

# أحمد الشقيري

زعيمًا فلسطينيًا ورائدًا عربيًا

الدكتورة  
خيرية قاسميه

نشر  
بمحة تخليد ذكرى المجاهد أحمد الشقيري  
الكويت  
١٩٨٧



# أحمد الشقيري.. زعيماً فلسطينياً.. ورائداً عربياً

الطبعة الإلكترونية الأولى

1425هـ

2005م

- أحمد الشقيري زعيماً فلسطينياً ورائداً عربياً
- أ. د. خيرية قاسمية
- الطبعة الإلكترونية الأولى 2005م

التنقيح والتدقيق الفني واللغوي

عبد العزيز السيد أحمد

أ.د. عزمي الصالحي

تدقيق التنضيد والإخراج :-

المؤسسة العربية الدولية للنشر والتوزيع

هاتف: +962-6-5650630 فاكس: +962-6-5668860

ب.إ: arab\_book@hotmail.com

صدرت الطبعة الورقية الأولى: لجنة تخليد ذكرى المجاهد أحمد الشقيري، الكويت 1987

جميع الحقوق محفوظة، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله أو استنساخه بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الناشر .

**All rights reserved.** No Part of this book may be reproduced , or transmitted in any form or by any means , electronic or mechanical , including photocopying , recording or by any information storage retrieval system , without the prior permission in writing of the publisher.

# المحتويات

| الصفحة | الموضوع                                              |
|--------|------------------------------------------------------|
| 11     | - كلمة لجنة تخليد المجاهد أحمد الشقيري               |
| 19     | - مقدمة- للدكتور أنيس صايغ                           |
| 42     | - أعضاء لجنة تخليد ذكرى المجاهد أحمد الشقيري بالكويت |
| 43     | - تمهيد                                              |
| 49     | حياته ... تاريخ ونضال                                |
| 181    | - شخصيته ... قوة وغنى وتنوع                          |
| 182    | - الشقيري الإنسان                                    |
| 197    | - رجل القانون                                        |
| 208    | - القارئ المثقف                                      |
| 231    | - الخطيب المفوه/فارس المنابر                         |
| 237    | - الأديب صاحب البيان                                 |
| 265    | مؤلفاته وآثاره                                       |
| 269    | أ- المذكرات                                          |
|        | ب- الخطب والبيانات والدراسات التي قيلت أو كتبت       |
| 275    | حتى عام 1968                                         |

|     |                                                         |
|-----|---------------------------------------------------------|
| 282 | ج- الكتب والمؤلفات القومية                              |
| 287 | د- الرسائل والدراسات والمقالات الأخيرة                  |
| 289 | في مواجهة الصهيونية                                     |
| 291 | - من الإحساس العفوي إلى الإدراك والوعي                  |
| 297 | - تتبع تاريخي لنشوء الحركة الصهيونية                    |
| 301 | - حق اليهود التاريخي في فلسطين ... زعم باطل             |
| 305 | - الحركة الصهيونية عنصرية ... وأسرائيل توسعية, وعدوانية |
| 309 | - الإعلام الصهيوني                                      |
| 314 | - هذا الكيان الصهيوني: لا قبول ... ولا اعتراف           |
| 329 | - موازنة مرة                                            |
| 337 | فلسطين في القلب                                         |
| 339 | - المحب المستهام                                        |
| 344 | - فلسطين قلب العروبة                                    |
| 347 | - فلسطين ... ولواء الوحدة في يدها                       |
| 353 | - شعب فلسطين ... مسيرة كفاح وتاريخ نضال                 |
| 368 | - القيادات الوطنية ... أخطاء ... وعثرات                 |
| 380 | - فوق منبر الأمم المتحدة ... قضية ضائعة ... ومضيعة      |
| 413 | - اللاجئين                                              |
| 424 | - القدس                                                 |

|     |                                                                  |
|-----|------------------------------------------------------------------|
| 435 | الشخصية والكيان..منظمة التحرير الفلسطينية وجيش التحرير الفلسطيني |
| 437 | - الكيان ... عقبات ومشقات                                        |
| 457 | - الكفاح المسلح ... سبيل التحرير ... الوحدة                      |
| 468 | - جيش التحرير ... طليعة البذل والفداء                            |
| 476 | - المنظمات الفدائية ... بطولات رائعة                             |
| 485 | في موكب العروبة والوحدة                                          |
| 487 | - الأمة العربية ... إيمان بأصالتها ومقدرتها                      |
| 492 | - القومية العربية ... مقومات ثابتة لا تقبل الشك                  |
| 494 | - الوحدة العربية ... ثقة بحتميتها                                |
| 502 | - واقع التجزئة ... من صنعه؟!                                     |
| 507 | - حرب على دعاة الانفصال والتجزئة                                 |
| 513 | - مع مسيرة الوحدة                                                |
| 517 | - صوت الوحدة العربية ... فوق منبر الأمم المتحدة                  |
| 524 | - اخفاقات الوحدة ... تشخيص وعلاج                                 |
| 535 | - رؤية مستقبلية                                                  |
| 542 | - سبل العمل والتنفيذ                                             |
| 549 | - الوحدة قوة وأنتصار                                             |
| 555 | - مع الأنظمة والحكام العرب                                       |
| 571 | جامعة الدول العربية                                              |

|     |                                                    |
|-----|----------------------------------------------------|
| 573 | - ولادة ... متعسرة                                 |
| 584 | - مآخذ ومطاحن                                      |
| 587 | 1- موقف الجامعة العربية من قضية فلسطين 1945 - 1948 |
| 594 | 2 - الجامعة والقضايا العربية في الخمسينات          |
| 595 | 3- موقف الجامعة العربية من الخلافات العربية        |
| 598 | 4- الجامعة العربية والإعلام                        |
| 600 | 5- الجامعة العربية وقضية الوحدة                    |
| 602 | - إصلاح وتطوير                                     |
| 609 | مؤتمرات القمة                                      |
| 611 | - معاشية ومعاناة                                   |
| 631 | حروب العرب مع العدو الصهيوني                       |
| 636 | - حرب حزيران / يونيو 1967                          |
| 640 | - حرب تشرين الأول / أكتوبر 1973                    |
| 647 | بترول العرب في المعركة                             |
| 649 | - البترول, سلاح لنا ... أو علينا؟                  |
| 657 | دول العالم وكتله ...                               |
| 659 | - مواقف وآراء                                      |
| 660 | - بريطانيا                                         |
| 665 | - الولايات المتحدة الأمريكية                       |
| 675 | - فرنسا                                            |



|     |                                                             |
|-----|-------------------------------------------------------------|
| 680 | - الإتحاد السوفيتي                                          |
| 694 | - الصين الشعبية                                             |
| 698 | - مجموعة الدول الآسيوية والأفريقية                          |
| 702 | - القضايا العالمية                                          |
| 707 | - الأمم المتحدة                                             |
| 716 | - العالم الإسلامي                                           |
| 721 | الخاتمة                                                     |
| 723 | الملاحق                                                     |
|     | - الملحق الأول                                              |
|     | ترجمة كلمة الأستاذ أحمد الشقيري التي ألقاها بوصفه وزير      |
|     | الدولة السعودي لشؤون الأمم المتحدة خلال الدورة 15 للجمعية   |
| 725 | العامة للأمم المتحدة المنعقدة بتاريخ 1960/11/29 .           |
|     | - الملحق الثاني                                             |
|     | ترجمة كلمة الأستاذ أحمد الشقيري التي ألقاها بوصفه رئيس وفد  |
|     | فلسطين خلال الدورة 18 للجمعية العامة للأمم المتحدة المنعقدة |
| 753 | عام 1963.                                                   |
|     | - الملحق الثالث                                             |
|     | خطاب الأستاذ أحمد الشقيري الذي ألقاه في افتتاح المؤتمر      |
| 871 | الفلسطيني الأول في القدس بتاريخ 1964/5/28.                  |

- 889 - الملحق الرابع  
تقرير عن المؤتمر الفلسطيني الأول لمنظمة التحرير الفلسطينية  
المنعقد بتاريخ 5/28 - 6/2 / 1964.
- 911 - الملحق الخامس  
منظمة التحرير الفلسطينية - الميثاق والنظام الأساسي  
- الملحق السادس  
كلمة الأستاذ أحمد الشقيري التي القاها في مؤتمر القمة المنعقد  
في الخرطوم عام 1967.
- 927
- 935 - كلمتان في ذكرى أحمد الشقيري
- 935 كلمة الأستاذ جاسم القطامي عضو مجلس الأمة (الكويتي)
- 939 كلمة الأستاذ خير الدين أبو الجبين
- 947 صور

بسم الله الرحمن الرحيم

## كلمة لجنة تخليد ذكرى المجاهد أحمد الشقيري

كان الأستاذ أحمد الشقيري - تغمده الله برحمته - بما طبع عليه من شخصية عظيمة، وقيم نبيلة أصيلة، مدرسة كبرى في الوطنية الصادقة المتأججة، والقيادة الرائدة المؤمنة الرشيدة، التقت على مبادئها، ونهلت من معينها، فئة من أبناء فلسطين مؤمنة بقضيتها، مدت أيديها إلى الأستاذ الشقيري، وتآزرت وتعاونت معه، ما وسعها التأزر والتعاون، وسارت على الدرب، درب الكفاح والنضال، من أجل القضية الفلسطينية، شوطا طويلا.

من هؤلاء نخبة عاشت على ساحة الكويت، مدت جسورها إلى الأستاذ الشقيري أو مد هو جسوره إليها، منذ وقت مبكر، وقدرت جهوده، والتقت معه لقاء فكريا ومعنويا ونضاليا عميقا، حتى إذا ما ابتدأ الشقيري مشروعه العظيم في إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية، كان هؤلاء، أو قسم ليس بالقليل منهم، طليعة الطليعة في إرساء أسس المنظمة على أرض صلبة، من وضوح المبادئ، التي تمثلت أكثر ما تمثلت في الميثاق الوطني الفلسطيني، الذي سمي آنذاك الميثاق القومي الفلسطيني، والذي نادى بتحرير أرض فلسطين تحريرا كاملا من النهر إلى البحر، وتصفية الكيان الصهيوني تصفية تامة.

غاية الأمر أن هذه المدرسة الوطنية، في تلك الحقبة التاريخية من منتصف الستينات، نجحت في إيجاد الهيئة المركزية لكفاح الشعب الفلسطيني والإطار الوطني الكبير، الذي التقت من خلاله العقول والأفكار، والقلوب والمشاعر الفلسطينية، ووجدت ترجمة لتوجهاتها في مؤسسات كبرى تجسد الكيان الفلسطيني، مثل المؤتمر الوطني الفلسطيني الأول، الذي سمي بحق مؤتمر الكفاح والسلاح، والصندوق القومي الفلسطيني، ومركز الأبحاث الفلسطيني بما يرمز إليه من أهمية العلم والبحث العلمي الرصين، ودورهما في النضال من أجل القضية، وتحقيق الأهداف الوطنية في صراعنا الطويل مع الحركة الصهيونية، والإذاعة والصحافة، اللتين تخاطبان الجماهير الفلسطينية، والعربية، وجماهير العالم، انطلاقاً من أهمية الإعلام، ودوره في الرد على أراجيف الصهيونية وأباطيلها وتزييفها للوقائع والأحداث والتاريخ، فضلاً عن وضع نواة الجيش الفلسطيني، تحقيقاً لمبدأ توفير القوة (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة)، وتطبيقاً لشعار طالما آمن به الشقيري ورجال مدرسته، ذلك هو أن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة، قوة المادة وقوة الروح.

وسرعان ما آتت هذه المبادئ والمؤسسات أكلها، وتفاعل معها الشعب الفلسطيني، في فلسطين والمهاجر، الذي طال شوقه للتحرير واسترداد الوطن السليب، على أحسن ما يكون التفاعل، والتقت عواطف الشعب الفلسطيني، حول هذه المنظمة الوليدة الواعدة، وانخرطت جماهيره في التنظيمات الشعبية

النابعة منها والمنبثقة عنها، ومضى الشقيري، بما أوتي من سعة في الفكر وديناميكية في الممارسة، يحدو مسيرة هذه القافلة المباركة، ويكسب لها كل يوم نصرا جديدا، ويضيف إضافة نوعية، حتى غدت منظمة التحرير الفلسطينية، بين يوم وليلة، ملء السمع والبصر، تملأ الدنيا وتشغل الناس.. آية ذلك ما أحرزته من انتصارات سياسية؛ بالاعتراف بها والتعاون معها على المستويين العربي والدولي، حتى أخذ ذلك شكل فتح المكاتب السياسية والإعلامية، وإرسال البعثات والحصول على الأسلحة.. وغير هذا كثير..

لقد أضاء الأستاذ الشقيري الشعلة، وحمل الراية، ووضع الأسس والركائز، وأصل الأصول وأثل المبادئ ليأتي من بعده، وبعد أن استقال من رئاسة منظمة التحرير الفلسطينية، من يستأنف حمل الراية.

والشقيري، رغم هذا، لم يستقل من العمل الوطني الفلسطيني، ولم يلق عصا الترحال، ولم يتخل عن الكفاح، بل استمر يكتب ويحاضر ويعمل بدأب، شأنه دائما، من أجل الدفاع عن القضية الفلسطينية والقضايا العربية، وكان في هذا على اتصال مع إخوانه في النضال في كل موقع من عالمنا العربي والعالم أجمع.. يزورهم في مواقع تجمعهم ويتبادل معهم الرسائل، مما يستجد من ممارسات لا تتفق مع المبادئ الأصلية في التحرير. وقد اعتاد أن يزور، فيما يزور، الكويت، بين الفنية والفنية، ليلتقي إخوانه، ومن بينهم أعضاء هذه اللجنة،

التي تصدر هذا الكتاب عن المرحوم الأستاذ الشقيري، وفاء ببعض الواجب، وتأدية لبعض ما في عنقها من أمانة نحو هذا الراحل العظيم.

ذلك أنه ما أن توفي هذا المجاهد الكبير، حتى تداعى ثلة من محبيه وتلاميذه ومقدي فضله، وقررت في حينه، أن تقوم بواجبها نحوه: نعتة في الصحف، وأشرفت على تأبينه في حفل كبير، أقيم بمكتب منظمة التحرير في الكويت، وتحدث بعض رموزها في حفل التأبين هذا، وكتبوا مع غيرهم الكثير عن سيرة هذا الراحل العظيم، في مختلف الصحف العربية والأجنبية، حتى إذا سكنت القلوب وهذأت الخواطر، بعد غياب هذا الفقيه، ارتأت هذه اللجنة إصدار كتاب عن حياة الشقيري ونضاله، وهنا اختلفت الآراء في صفة هذا الكتاب وأسلوبه، هل يكون للخاصة أو يكون للعامة، هل يكون للأكاديميين والدارسين والعلماء فقط، أو يكون لرجل الشارع الفلسطيني والجمهور العربي الكبير. وانتهى الرأي إلى الوسط، وخير الأمور أوسطها، كما يقال، فقد اتفق على أن تكون المعالجة في الكتاب علمية، موضوعية، وموثقة، على أن يكون الأسلوب سهلاً ميسراً، يفهمه القارئ العادي وينتفع به، كما يفيد منه المثقف؛ وهكذا كان، فقد عهدت هذه اللجنة بهذه المهمة إلى الأخت الفلسطينية الأستاذة الدكتورة خيرية قاسمية، وهي المؤهلة خير تأهيل، في التاريخ الفلسطيني الحديث. فأتى كتابها الذي بين أيدينا، كما أوصت اللجنة، توخياً للعلمية والموضوعية في المنهج، وتيسيراً وتبسيطاً طيباً في الأسلوب، فاستحقت منا الشكر والتقدير.

وهنا ، أيضا ، تقدم آل الشقيري الكرام، يعرضون تغطية نفقات إصدار هذا الكتاب، لكن اللجنة ردت على هذا العرض الكريم، بأن الشقيري ، بقدر ما هو لآله وأهله الأقربين، هو للشعب الفلسطيني والأمة العربية جمعاء، فلماذا ينفرد أهله بهذا الفضل؟ وليكن للجنة التي التقت على حب الشقيري وتقديس المبادئ التي انطلق منها، أن تعبر عن تقديرها لهذا الراحل الكريم، بأن تتولى هي تغطية نفقات هذا الكتاب، وغيره من الدراسات القادمة، وكان للجنة ما أرادت.

ولقد تولّى، وبمبادرة كريمة مشكورة، أحد رجال اللجنة المخلصين شرف تغطية هذه النفقات وحده، مما يوجب اعتزاز اللجنة وتقديرها.

وبعد، فهذا هو الكتاب بين يديك، أيها القارئ الكريم، وهو كتاب يتحدث عن نفسه، جمع فأوعى عن الشقيري، وأفاض في تعداد مآثره، وتحدث مليا عن جوانب كفاحه وجهاده، في مراحل حياته المختلفة، وجاء في ذلك بالكثير من الجديد والمفيد:

- تحدث عن الشقيري، بما يستحقه، إنساناً ومثقفاً وكاتباً.. ومحامياً عظيماً عن القضية الفلسطينية بخاصة، والقضايا العربية بعامة. كما تحدث عن الشقيري العالم والخطيب والداعية..

- كما تحدث عن خلفيات الشقيري العربية والإسلامية ونشأته الوطنية، منذ نعومة أظفاره، وكأنما أراد الله له أن يكون ذلك المجاهد الكبير منذ أبصرت

عيناه هذه الدنيا، ففوجئت بهذا الخطر الصهيوني الاستيطاني، وبوعد بلفور المشؤوم، وظل على ذلك، إلى آخر يوم من حياته، وآية ذلك أنه كان يكتب وهو على فراش الموت، إلى أحد أفراد اللجنة، يوصيه بعدم التقريط بشئ من فلسطين..

-وَضَحَ الكتاب، كذلك، دور الشقيري والخطوات العظيمة، التي سارها، وسط طريق مفروش بالأشواك والدموع، من أجل إرساء كيان المنظمة على أسس راسخة، سياسية وقانونية وعلمية واقتصادية وعسكرية.

- أبرز الكتاب إيمان الشقيري بالوحدة العربية، وأهمية البعد القومي في التحرير، كما بلور العلاقة الحميمة بين تحرير فلسطين والوحدة العربية، وبين أيضاً أن الأستاذ الشقيري بما جبل عليه، من تدين عميق. بريء من التزمت والتعصب والطائفية، وأنه كان يؤمن بالبعد الإسلامي للقضية، وبأن العالم الإسلامي رديف للعالم العربي، وبأن فلسطين، في معركة تحرير الأرض المقدسة، أولى القبلتين وثالث الحرمين.

وفي واقع الأمر ، لقد سيطرت الوحدة العربية، بوصفها طريقاً للإنقاذ، على بؤرة شعور الشقيري. ومن أمارات ذلك أن أحد كتبه، التي صنفها في أخريات أيامه، كان بهذا العنوان : (علم واحد وعشرون نجمة). ولعل في



المقدمة ما سيبقى للتاريخ من عطاء الأستاذ الشقيري الفكري والقومي، هو إبراز  
الكيان الفلسطيني، وإيمانه بالوحدة العربية الكبرى، وسعيه لتحقيقها.

- أوضح الكتاب منهج الشقيري السياسي في رفض الاعتراف والصلح  
والمفاوضات، أو ما يعرف بسياسة اللاءات الثلاث، مما نحن بأشد الحاجة  
إليه الآن في معركتنا الطويلة ضد عدونا الصهيوني.

قال الكتاب هذا وأكثر منه، وإن اللجنة، بعد كل هذا، لترجو لهذا الكتاب  
القيم، عن حياة الشقيري، أن يلقي قبولاً من القارئ جزاء ووفاء لما بذل فيه من  
جهد تركّز حول توضيح دور قائد عظيم، وزعيم جليل، ومجاهد كبير، ذهب إلى  
ربه، وهو الآن في مستقر رحمته تعالى، يهيب بالأجيال الصاعدة: أن عليكم  
بفلسطين فلسطين كاملة غير منقوصة لا تضيعوا ذرة من ترابها المقدس،  
وجاهدوا في سبيلها، وتعهدوها كفاحاً ورباطاً وجهاداً، جيلاً وراء جيل، فما الغزو  
الصهيوني الراهن إلا موجة من موجات الغزو التي جاءت فلسطين عبر تاريخها  
الطويل، وكما تحطم غزو الفرنجة الاستيطاني على أرض فلسطين فسيتحطم  
هذا الغزو الصهيوني الاستيطاني أيضاً، وتعود فلسطين إلى أهلها عربية، كما  
كانت دائماً، فالغزو أي غزو مصيره إلى الاندحار، وما ضاع حق وراءه  
مطالب.

هذا، وقد خصصت اللجنة ريع هذا السفر، ليكون منحة دراسية لإعداد رسالة لنيل درجة علمية عن هذه الشخصية الفذة في التاريخ العربي المعاصر .

وفي الختام تتوجه اللجنة بجزيل شكرها للأخ الدكتور أنيس صايغ لاسهامه القيم في الإشراف على طباعة الكتاب وكتابة مقدمة له، وتكرر شكرها لمؤلفة الكتاب الدكتورة خيرية قاسمية للمجهود الكبير الذي بذلته في إعداده.

والله من وراء القصد وهو ولي التوفيق.

## مقدمة

### الدكتور أنيس صايغ

تمثل سيرة المرحوم الأستاذ أحمد الشقيري النضالية إحدى القيادات الرئيسية الثلاث، التي تولت مسؤولية النضال العربي الفلسطيني (السياسي أو العسكري) في ما يزيد قليلاً عن الخمسين سنة الأخيرة، فهو واسطة العقد بين

المرحوم الحاج أمين الحسيني والسيد ياسر عرفات. ولئن كانت فترة تسلم الشقيري زمام القيادة هي الأقصر مقارنة بزميليه، فإنها لم تكن أقل أهمية ولا أضعف أثراً. ومع هذا، وربما لهذا السبب، كانت قيادة الشقيري للحركة الوطنية (وشخصيته أيضاً إلى حد بعيد) مثيرة للجدل، ليس إلى درجة اختلاف وجهات النظر وتباين أحكام الناس وآرائهم حولها فحسب، مثلما هو الحال مع قيادتي الحسيني وعرفات للحركة ذاتها (وشخصيتيهما أيضاً)، بل ربما كانت وجهات النظر تجاه الشقيري أكثر تنوعاً وتعددًا وتبايناً (إن لم نقل تناقضاً أيضاً) مما هي تجاه الزعيمين الفلسطينيين الآخرين. ويمثل هذا التباين (والتناقض أحياناً) حداً يبلغ اختلاط الأمور على من يحاول أن يكتب عن أحمد الشقيري، بل قد يصل إلى حد تعكير صورته في ذهن الكاتب مما يشبط عزيمة الكتابة.

نحن إذن بإزاء رجل كبير محور للخلافات وهدف للهجمات والتهجمات، في مواقفه وأساليبه وسياساته وعلاقاته، وكاتب يحاول أن يؤرخ لبلد أو لقضية في كنف قيادة ذلك الرجل. ومن ثم تكون النتيجة حيرة وتردد، بل في معظم الأحيان، إحجاماً فتقصيراً. ويبقى، من ثم، رجل عظيم مثل أحمد الشقيري، وتبقى الحركة الوطنية الفلسطينية في حوالي عشر سنوات من عمرها حافلة بالأحداث السمان والتطورات الجسام، يبقى كلاهما قليل الحظ والحظوة، مما يجعل المواطن العربي، الذي يريد أن يعرف أكثر عن الرجل أو عن القضية في عهده، مضطراً لأن يبحث بنفسه في خضم عشرات المصادر المبعثرة، على ما

تحتويه من معلومات ناقصة وأحكام متناقضة وآراء متعارضة، مما يزيد في حيرته وارتباك، فيغوص ، وربما يغرق ، في بحر من الكتابات وهو بعد بافٍ على جهله بالحقيقة.

وإذا استطردت في موضوع ( بل في مشكلة) ندرة البحث الموضوعي المجرد عن أحمد الشقيري، وعن الحركة الوطنية الفلسطينية في عهده، وحاولت تقصي العوامل التي أسهمت في حرمان الرجل وعهده مما يستحقانه من الدراسة والنشر ، بالرغم من مرور سبع سنوات على رحيله و مرور تسع عشرة سنة على تخليه عن مسؤولياته القيادية (علماً بأن هذا التخلي القسري إلى حد بعيد لا يعني انقطاعه عن العمل الوطني من أجل فلسطين) ، أقول إذا استطردت وحاولت تقصي هذه العوامل، تجد أن من أبرزها أن أحمد الشقيري كان قائداً بدون مؤسسة، فهو لم يكون حزبا ولا تنظيماً يعتمد عليه في فرض رأي أو كسب شعبية أو استمالة جماهير ، كان الشقيري هو الذي يتولى الاعلام عن نفسه، والدفاع عن مواقفه وسياساته، وهو الذي يعمل على صد هجمات المعارضين والمنتقدين، ولما كان "يستأجر"، من يخوض له، أو معه، حربه، على نحو ما كان يصنع غيره من السياسيين والحزبيين. بل إنه لم يستمل إلى جانبه حزباً أو تنظيماً قائماً، من العدد الوافر من بين العدد الوافر الأحزاب والتنظيمات والحركات، التي ظهرت على المسرح الفلسطيني، سواء أيام بواكير عمله السياسي (في عهد الانتداب البريطاني) أو في مرحلة تجنّده للإعلام من

أجل فلسطين (في الخمسينيات)، أوفي عهد منظمة التحرير الفلسطينية، التي تولى إنشاءها ورئاستها الأولى (في الستينيات). ولعله كان يبعد عنه هذه الأحزاب والتنظيمات القائمة، ويرفض أن يربط نفسه (شخصه أو قيادته) بأي منها، ليحافظ بذلك على حياده تجاهها لمصلحة القضية ولمصلحة قيادته معاً، ولأن مزاجيته وتركيبه الذهني السياسي كانا هكذا، يلعب اللعبة وحده - كما يقول المثل - خاصة أن الرجل كان صلباً وعنيداً، وعنيفاً أحياناً، وبعيداً عن المجاملة والنفاق. (وجدير بالإشارة هنا أن الرجل كان يتمتع بقدرة كبيرة على اكتشاف مجاملة الآخرين ونفاقهم). ذلك كله كان في ظروف عربية تفشى فيها وباء النفاق والاستنزاع لهذا الخط السياسي أوداك حتى أصبحت الأُمعية سيدة الأحكام ومرض الحكام .

أمام هذا الواقع المؤسف: غياب بطل وطني عن الساحة (ساحة المسؤولية، ثم انتقاله إلى الرفيق الأعلى )، وفي الوقت نفسه تقصير أهل التأريخ والبحث العلمي خصوصاً، وأهل الرأي والعلم عموماً، في دراسة الرجل الكبير، تداعى نفر من الرجال الفلسطينية المقيمة في الكويت إلى تكريم أحمد الشقيري، بطريقة هي الأفضل والأبقى لتكريم عظيم كالشقيري : بتعهد دراسة (إعداداً وطباعة ونشراً) عن الرجل، حياته وأعماله، سيرته ومسيرته في خدمه بلده.

وكأنني بلجنة "تخليد ذكرى المجاهد أحمد الشقيري في الكويت" أرادت أن تخرق جدار الصمت الذي لفّ سيرة رجل كان صوته هو الأعلى، في فلسطين وخارجها، في دنيا العرب وفي المحافل الدولية ، أكثر من ربع قرن، ولم تشأ اللجنة أن تنتظر حتى يقوم باحث أجنبي يحضر لشهادة الدكتوراه في جامعة ما فيختار الشقيري موضوعاً لرسالته الأكاديمية، ويعكف على دراسته وجمع المعلومات والوثائق عنه، ثم يخرج للناس، بعد سنوات، بكتاب جيد أو رديء، موضوعي أو متحامل ، ولكنه في كل الحالات إسهام أجنبي في ميدان لا يجوز أن يخوضه الأجنبي قبل العربي - وهو ما حصل، للأسف ،مع رجالات كثيرة، عربية فلسطينية أو عربية غير فلسطينية ، كانت المبادرة في دراسة تأريخها لغير العرب - وكان كل كتاب منها صفة للتعاقس وللعقوق العربيين، على مستوى البحث العلمي، خاصة وأن أحمد الشقيري، بالذات، وقرّ جهداً كبيراً على مؤرخيه بأن سجل بنفسه آلاف الصفحات عن سيرته وأفكاره وآرائه ومواقفه، ولعله من أكثر القادة العرب وفرة في التأليف في القضايا والموضوعات، التي تعامل معها وارتبط بها، في حوالي خمسين سنة، فكان، بلا شك ، أكثر قائد أو مسؤول فلسطيني إنتاجاً في هذا المجال.

ومن ثم فإن قسماً كبيراً من الجهد الذي يبذله الباحث عادة في توثيق موضوعه قام به الشقيري نفسه. إن مجموعة مؤلفاته تعد أوسع تفصيل وأصدق تعبير عن سيرة رجل فلسطيني ( إن لم أقل عن رجل عربي أيضاً). ومما

يضيف إلى التأليف أهمية هذا اعتباران: أن للشقيري أسلوباً جذاباً في الكتابة، بحيث يقبل الإنسان على قراءته باستمتاع ولذة (أكاد أضع اسمه إلى جانب طه حسين في "أيامه" وأحمد أمين في "حياته"، وهما أبلغ وأمتع السير العربية الذاتية والأدبية، مثلما أضعه إلى جانب أميل خوري في "آثار أقدامه" وبشارة الخوري في "مذكراته"، وهما أبلغ وأمتع السير العربية الذاتية السياسية). ثم إن كتابات الشقيري تغطي حياته كلها، من الطفولة حتى الاعتكاف، مروراً بالمراحل المتعددة زماناً ومكاناً ومهام، وقد كتبت في فترة امتدت عدة سنوات، وكان معظمها قريباً من الحدث، واعتمد أكثرها على أوراق ومفكرات خاصة، وعلى ذاكرة كانت مضرب المثل بتوقدها ومتانتها.

وبقدر ما شرفنتي "لجنة تخليد ذكرى المجاهد أحمد الشقيري" بطلبها أن أنقرغ سنة أو أكثر لوضع كتاب عن أحمد الشقيري، أسعدني أنها وافقت على اقتراحي أن توكل هذه المهمة الجليلة إلى فلسطينية قديرة، أستاذة للتاريخ العربي الحديث وباحثة في الشؤون الفلسطينية، قدّمت لنا، في جملة ما قدمت في الأعوام الخمسة عشر الأخيرة، مؤلفات وثائقية ممتازة، تناولت بالدراسة نفراً من السياسيين المناضلين في سبيل فلسطين، كعوني عبد الهادي وفوزي القاوقجي ونبيه وعادل العظمة.

لكن لا اللجنة ولا المؤلفة توهمت أنها تتعهد بأن تضع الدراسة عن أحمد الشقيري. إنها دراسة حسبها أن تفتح الباب، وأن تلقي أضواء، وأن تثير

شؤوناً وشجوناً تستتبع ، كما تأمل اللجنة والمؤلفة ، دراسات أخرى كثيرة ، تتناول بالبحث الجاد الرجل نفسه، ولكن من زوايا معينة وحادة، تعالج كل منها مرحلة تاريخية محددة ، وبذلك تكون الدراسات العتيدة أكثر تركيزاً من كتابنا هذا، الذي له فضلا الريادة والشمول ، وهما فضلان عظيمان تستحق الباحثة المؤلفة واللجنة المتعهدة عليهما كل شكر وإشادة . فأحمد الشقيري لم يكن رجلاً عادياً ، ولا كان لفئة فلسطينية دون أخرى ، بل إنه ما كان لفلسطين دون غيرها من أقطار العرب . وفي القيادة أيضاً. كان رمزاً لمرحلة تاريخية في النضال الفلسطيني العربي والانساني. وبهذه الصفة فأننا نأمل أن يلغي وفاء دراسي التاريخ الفلسطيني في التسعينيات تقصير زملائهم في الثمانينيات عن طريق إنتاج موضوعي يقتفي أثر هذا الكتاب ويتجاوزه.

لا يتوقع مني القارئ (ولا أنوي ) أن أدرس أحمد الشقيري في هذه المقدمة. فهو مقبل على ذلك في أكثر من أربعمئة من الصفحات التالية . لكنني استأذن القارئ (والمؤلفة أيضاً) في أن احشر نفسي بين الغلاف وبين الدراسات وانحشر قليلاً في الكلام عن الرجل الكبير ، لا تأريخاً ولا تقويماً ولا تحليلاً، وإنما لأطل ، ولو إطلالة خاطفة جداً ، على بعض الخطوط العامة، التي يمكن تعقبها في سيرته ومسيرته، على امتداد السنوات في مراحل متعددة، بحيث أصبح من اليسير لنا أن نعتبر وجودها واستمرارها مميزات اتصفت بها أعماله وتصرفاته، ومن ثم تحولت إلى معالم رئيسة في شخصية هذا المناضل



العربي الفلسطيني، الذي خدم بلده، بقلبه وعقله وإدراكه وإيمانه ، خدمات جُلّى توجّها أول الأمر بإنشاء الكيان الفلسطيني، متجسداً بمنظمة التحرير الفلسطينية، بعد ضياع دام خمسة عشر عاماً منذ النكبة /الشتات، ثم توجّها ثانية بأن تنحّى، وهو مرفوع الرأس، وارتضى لنفسه ان يقضي سنواته الأثنتي عشرة الأخيرة يدرس ويكتب ويحل ويوجّه وينصح ويرشد ، دون أن يعتب أو أن يعاتب حتى أولئك، الذين لم ينصفوه حينما سحبوا منه الأمانة، وحملوه على الاستقالة. فكان الرجل كبيراً في انطلاقه إلى ساحات النضال وكبيراً في انسحابه، وكان أمثلة وعبرة قل نظيرهما فلسطينياً وعربياً.

إن الصفة الرئيسة لشخصية أحمد الشقيري ، التي تتفرع عنها غالبية مميزاته، والتي تجلت في مواقفه و سياساته وتصرفاته المتتالية، وفي ميادين العمل الوطني والقومي كافة ، هي، في نظري ، قدرته الفائقة على ضبط التوازن العادل بين الاتجاهات ،أو بين القوى، أو بين الوسائل والأدوات: ذلك التوازن العادل بين الوقائع المختلفة والمتنوعة والمتعددة (وربما المتناقضة) الذي يتيح الوصول (أو يسهل ويقرب امكان الوصول، أو في الأقل يخفف العراقيل أمام الوصول ) إلى الهدف، الهدف الثابت والسامي والواحد ، حيث لا مساومة ولا تردد ولا شكوك ولا تلاعب ولا تهاون ، ولا اعتبارات تخفيفية أو خطوات مرحلية او حدود دنيا وعليا ولا غير ذلك من أساليب الكرّ والفرّ، التي تجوز في استعمال الوسائل ولا تجوز في تحديد الأهداف.

فما آمن به أحمد الشقيري قد آمن به كاملاً غير منقوص ، ثابتاً غير متبدل، صريحاً غير مخفي ، صادقاً غير موارب ، حاسماً وحازماً غير معروض ولا متعرض للمناقصة أو المتاجرة أو للتأجير أو للتأجيل.

استقلال فلسطين ( حتى نكبة 1948 ) ، واسترجاع فلسطين (منذ 1948) ، عروبة فلسطين (نضالاً حتى التحرير ، ووحدة بعد التحرير ) : اقانيم ثلاثة لا انفصام بينها ولا تهاون دونها .

أما الوسيلة ، أو الوسائل ، لتحقيق هذا الهدف المثلث ، الثابت والحاسم والأكيد والباقي والراسخ ، فهي المجال، الذي لعب الشقيري فيه لعبته بمهارة ، في حفظ التوازن العادل بين الإمكانيات والوقائع والمهارات والاتجاهات والظروف .

قد يكون من السهل أن نقول بعروبة العمل الفلسطيني ، من جهة، وبفلسطينية النضال ، من جهة أخرى . ولا أظن أن هناك من عارض أو يعارض هذه المعادلة، التي ارتضاها الفلسطينيون والعرب بعامه منذ حوالي ثلثي القرن.

لكنه لم يكن سهلاً على أحمد الشقيري ، الفلسطيني العربي حتى العظم ، أن يجسد تلك المعادلة في صيغة محددة وناجحة ومقبولة فلسطينياً وعربياً ، في منظمة التحرير الفلسطينية، عند قيامها عام 1964 . فقد كان على هذه

الصيغة أن تأخذ بعين الاعتبار وجود واحد وعشرين تناقضاً عربياً (إلى جانب ، وبسبب وجود واحد وعشرين سياسة عربية ومصلحة عربية قطرية). وكان عليها ، في الوقت نفسه، أن تأخذ بعين الاعتبار تشتت الشعب الفلسطيني في عشرات المجتمعات والتجمعات، في دنيا العرب وخارجها (وما نتج عن هذا التشتت والانتشار من تقنيت للمجتمع الواحد ) . وفوق هذا وذاك كان على واضع الصيغة الجديدة أن يلملم التطلعات الفلسطينية المتعددة (وبعضها، بفعل العقائد، متباعد بعضه عن بعض بعد اليمين عن اليسار، والمحافظة عن التجديد، والرجعية عن التقدمية والأفكار الدينية عن الأفكار القومية..). مثلما كان عليه أن يوفق بين الإرادات (إن لم نقل المصالح ) المتناطحة بين هذا الزعيم العربي وذاك ، وهذا المسؤول وذاك ، وكل واحد منهم ديك يتبخر في بلده (بقوة السلاح أو المخابرات أو بفضل إرادة الشعب، لا فرق) ولا يرضى للكيان الفلسطيني العتيد إلا أن يكون ساحة جديدة، يعرض فيها جمال عرفه الأحمر، وريشة المنفوش، وقامته العالية.

ومع هذا وذاك ، وبالرغم من كل المعوقات والعراقيل والحفر، استطاع أحمد الشقيري أن يخرج على العالم بمنظمة تحرير ، قوية وفاعلة، وذات وجود وحضور ورصيد ووزن أرسخ واشهر من أي تجربة مماثلة فلسطينياً أو عربياً، وربما في العالم الثالث أيضاً، ولا تزال المنظمة حتى هذه الدقيقة ، وبعد خمس وعشرين سنة تقريباً من تلقّي الضربات والصدمات، من داخل صفوفها وفي

المحيطين العربي والدولي، ومن العدو الأكبر والأشرس (إسرائيل والاستعمار) ، لا تزال المنظمة موجودة وحاضرة وغنية برصيدها ووزنها ، وما يزال شعبنا الفلسطيني، مع قطاعات واسعة من أمتتنا العربية ومن أحرار العالم، يرفع رأسه بهذه المنظمة، ويعلق عليها الآمال ، مهما اشتدت الجراح، وقسا الزمان، وظلم الإخوان، ومهما طال بقاء الاحتلال وترسخ، ومهما ازدادت شراسة سلطاته وعنف إرهابه .

هذا هو الكيان الفلسطيني ، العربي ، الذي أرادته أحمد الشقيري، وصاغ له معادلته الباقية إلى اليوم . يكفي ، كي نتبين قوة هذه المعادلة ، أن نقارن بين الحضور القوي لمنظمة التحرير الفلسطينية (في مختلف المجالات والميادين وعلى مختلف الصعد الداخلية والخارجية ) وبين ما سبقها من هيئات ولجان عليا، منذ العشرينيات . وكذلك بينها وبين الوجود الفلسطيني الصامت (إن لم نقل المسلوب الإرادة والمعطّل الحركة ) في هذا الكيان العربي أو ذاك. وليس صدفة أن يكون أحمد الشقيري هو أول من انتزع من الإخوان العرب (برضا بعضهم ورغمهم الآخر) حق النطق باسم الشعب الفلسطيني. وبه تحول المقعد الفلسطيني، في الساحة العربية أو الدولية، من مقعد رمزي منزوّخٍ إلى حضور ديناميكي، يحسب له ألف حساب. كل هذا دون طلاق مع العرب ودون تخل من العرب . ليس لأن الفلسطينيين عرب فحسب (ومن ثم فإن العرب مدعوون لنصرة أشقائهم، فقد أدرك الشقيري هشاشة هذه

الدعوة بالرغم من بلاغتها وجمالها ) . ولكن أيضاً لأن الخطر الصهيوني استهدف أرضاً غير فلسطين ، هي سورية وهي الأردن وهي مصر وهي لبنان وهي العراق، وهي كل شبر أرض عربية من المحيط إلى الخليج.

من هنا كانت سياسة الشقيري العربية تقوم على اركان ثلاثة : أولاً فلسطين عربية، أرضاً وشعباً وقضية، ومن ثم فإن نضالها هو جزء لا يتجزأ من النضال العربي، مثل كيانها القطري، الذي هو جزء لا يتجزأ عن الكيان العربي الواحد .

ثانياً: لأن العدو بدأ مؤامراته بفلسطين أرضاً و شعباً، (لا اعتبارات تاريخية وجغرافية وسياسية واقتصادية ودولية) فإن شعب هذا البلد مدعو، قبل غيره، لأن يناضل من أجل تحرير الأرض العربية. وبحسب منطق الأمور ، هو مدعو لأن يتحمل مسؤولية هذا النضال ، العسكري والسياسي والدبلوماسي ، وأن يقود سفينته بنفسه في البحر المتلاطم الأمواج، وأمام العواصف العاتية.

ثالثاً : إن فلسطين ، بهذا الواقع ، لا يجوز ولا يمكن أن تكون جزءاً من محور ضد محور ، ومع عرب ضد عرب ، إلاً بقدر ما يقف عرب معها وعرب ضدها ، وإلاً بقدر ما يشاركها محور النضال ويتخلى عنها محور . وكأن الشقيري ، وهو المحامي البارع ، أراد أن يطبق بدهية العدالة الأولى " الإنسان بريء حتى تثبت إدانته" على العلاقات الفلسطينية – العربية ، فيجعل وقوف

فلسطين، مع كل عربي، فرضاً لا يجوز الإخلال به، إلا إذا أخلّ عربي بواجبه نحو بلده وقضيته، وتخلف عن أداء واجباته تجاههما، بشكل أو بآخر، مما يضرّ بالنضال العربي العام ضد إسرائيل/الصهيونية، وضد الاستعمار، ويعرضه للخطر.

إن التجسيد العملي لهذه المفاهيم، في علاقات الشقيري العربية، كان وقوف منظمة التحرير الفلسطينية إلى جانب أي قطر أو تجمع عربي ضد إسرائيل، مهما كان شكل الحكم في هذا القطر أو بنيانه العقائدي أو نظامه الاجتماعي. فالعداء لإسرائيل هو اللحمة التي تربط بين المنظمة وهذا القطر أو ذلك الحزب أو تلك الحركة، ولا شيء آخر.

وهناك ناحية ثانية، هي أن أحمد الشقيري حرص، منذ إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية، على إقامة توازن عادل بين اتجاهاتها المختلفة، وصان المنظمة من المغالاة في التزام اتجاه على حساب الاتجاه الآخر. أعني به الجمع والتنسيق بين العمل السياسي (شاملاً الدبلوماسي أيضاً) والكفاح المسلح (شاملاً المقاومة المدنية غير المسلحة). فقد مارس الفلسطينيون، منذ نشأة قضيتهم وحتى أواسط الستينات، كلاً من هذين الأسلوبين، وأبلوا في كل منهما بلاء حسناً: فاوضوا السلطات البريطانية، منذ أوائل أيام الانتداب، واستمروا في التفاوض معها، وفي تقديم المذكرات، وفي حضور الاجتماعات، وفي المثول أمام لجان التحقيق، طوال ربع القرن، الذي وضعت بلادهم فيه تحت

الانتداب ، وأسسوا مكاتب للدعاية لقضيتهم، هي الأولى من نوعها في البلاد العربية، في لندن وفي واشنطن وفي نيويورك، في الثلاثينيات وفي الأربعينيات وفي الخمسينيات. وأصدروا الكتب والمنشورات ، ونشروا ظلامتهم في أماكن ومناسبات كثيرة . ورغم هذا كله كان نصيبهم نكبتين في أقل من عشرين سنة ، أنتا على بلادهم كلها وشتتت غالبية شعبهم.

وجرب الفلسطينيون ، من جهة أخرى ، النضال المدني والمسلح ضد الإنجليز وضد الصهيونيين ، في عشرات المحاولات والانتفاضات والثورات والعصيانات ، منذ سقوط فلسطين بأيدي القوات البريطانية أواخر الحرب العالمية الأولى إلى ما بعد انتهاء الانتداب ، بل انهم قاوموا طلائع الغزو الصهيوني، منذ موجات الهجرة اليهودية الأولى إلى فلسطين في ثمانينيات القرن الماضي. وحتى الأطفال اليوم يذكرون بتاريخ حادثة موسم النبي موسى ، وثورة البراق، وثورة القسام ، والثورة الكبرى 1936-1939، وغير ذلك من الصفحات الرائعة، التي خطها المجاهدون . لكن هذه البطولات لم تنفع، أيضاً، وانتهت ، كالعامل السياسي (والإعلامي والدبلوماسي) إلى ما نحن عليه اليوم ، بالنكبة ثم النكسة وما تخللهما من لجوء ونزوح.

وشأن جيل بكامله، عايش الشقيري التجريبتين الرئيسيتين وعانى فشلها على ما تضمنته من كفاح وتعب وتضحيات وخسائر . بل لعله عانى أكثر من غيره من أبناء جيله ، بحكم علاقاته مع المشتغلين بالأسلوبيين، منذ أوائل

الثلاثينيات . فقد كان محامياً عن عشرات المجاهدين، في الثلاثينيات، وكان من أركان المكاتب العربية ، التي أنيط بها العمل السياسي/الدبلوماسي/الإعلامي في الأربعينيات. أما في الخمسينيات، فقد اختبر الأسلوبين بحكم نشاطه في الجامعة العربية وفي الأمم المتحدة ، مندوباً فلسطينياً أحياناً وعربياً أحياناً أخرى، وفلسطينياً عربياً في كل الأحيان.

وقد أوصلته هذه التجارب إلى قناعة بضرورة سلوك السبيلين معاً، والكف عن اتباع أسلوب حيناً وأسلوب حيناً آخر، وفي مناسبات أخرى، بشرط ألا يتزامن الأسلوبان فحسب، بل أن يصدر أيضاً عن إدارة واحدة وقرار واحد، وأن يكونا صفحتين لورقة واحدة أو وجهين لقطعة نقد واحدة . فالنضال نضال سواء سلك هذا السبيل أو ذاك . وعلى القيادة أن تعبئ الشعب، وتعدّه ، للأسلوبين ، وأن تجعل الأسلوب الواحد في خدمة الآخر بدلاً عنه لا أن يحل مكانه . ولا ننسى أن الشقيري كان قارئاً نهماً للكتب التاريخية . وليس غريباً أن يكون قد اطلع على تجارب شعوب أخرى عرفت كيف تتحكم بالأسلوبين في وقت واحد ، ولم يكن الصهبيون إلا جماعة من جماعات كثيرة عرفت هذه الطريقة في العمل، من أجل أهدافها السياسية، وأتقنتها إلى أبعد حدود الإتقان .

من هنا كان تأسيس الإدارة السياسية وإدارة الأعلام في منظمة التحرير الفلسطينية موازياً ، في الزمان وفي الجهد وفي الاهتمام، لإنشاء جيش التحرير الفلسطيني . ومن العبث وضياح الوقت سدى البحث لدى الشقيري عن تمييز



بين الإدارة السياسية (شاملة الأعلام والصلات الدبلوماسية) وبين الإدارة العسكرية (شاملة إنشاء الجيش وتدريبه، وتزويده بالسلاح ) فقد وُزِعَ همه واهتماماته بين المجالين بالتساوي ، وأشرف على إنشاء الكوادر العسكرية . وكانت النتيجة أن النصف الثاني من الستينيات شهد حضوراً سياسياً فلسطينياً قوياً ، في الجامعة العربية ومؤتمرات القمة (ولا ننسى قمة الخرطوم 1967) وفي الأمم المتحدة ومنظماتها المتخصصة ، وفي العواصم والمؤتمرات والندوات السياسية الدولية والإقليمية . كما شهد حضوراً عسكرياً فلسطينياً قوياً، تجلّى في حرب 1967 وفي حرب 1973، وفي عشرات المعارك مع العدو (ولا ننسى الكرامة ، ولا معارك لبنان المتوالية في السبعينيات والثمانينيات)

وبنجاح هذه التجربة المزدوجة الأسلوب، التي أصبحت الآن بديهية لا تلفت نظرنا ، بطل ذلك النقاش السقيم، الذي طالما تلهى به جيل الانتداب ، عن أفضلية النضال على العلاقات السياسية ، أو عن ضرورة التفاوض مع سلطات الانتداب بدل التسلح والتدرب ثم القتال . فبفضل الصياغة الجديدة، أصبحت الاتصالات في الأم المتحدة ومعها ، مثلاً ، جبهة عسكرية لا تقل أهمية عن زرع القنابل تحت قافلة للعدو، وأصبح تهديد مستعمرة وقتل جنودها إجراء سياسياً يترك بصماته على مواقف الدول من قضيتنا.

مع ملاحظة صغيرة ، هنا .. وهي أن أحمد الشقيري، الأب الروحي لجيش التحرير الفلسطيني (الذي كان إنشأؤه معجزة ، بوجود قواته في ثلاثة أو

أربعة أقطار عربية، ومعظمها في صراع سياسي وتنافسي بعضها مع البعض الآخر) كان أبعد ما يكون عن معارضة العمل الفدائي، كما زعم بعض خصومه، أيام معارضتهم لرؤاسته للمنظمة.

فقد كان يرى، رحمة الله ، أن العمل الفدائي والعمل العسكري النظامي مرتبطان معاً، ولا يجوز التفريط بأحدهما لمصلحة الآخر . وكان يرى أن الوجود العسكري ، في مواجهة العدو، يتطلب العاملين معاً. وإذا كان يسعى في الستينيات إلى التحكم بالعمل الفدائي، فإنما كان يفعل ذلك ليضبط حركاته على إيقاعات العمل العسكري النظامي، ليؤمن شر انفراد أحدهما بالآخر ، وليأتي الجناحان النظامي والفدائي بالنتيجة العسكرية المرجوة، التي أرادها تكملة للعمل السياسي وحامياً له، كما بينا آنفاً .

وعلى غرار هذه المعادلة، بين النضال المسلح والجهاد السياسي، التي أرسى أحمد الشقيري قواعدها في الستينيات، والتي لا تزال منظمة التحرير الفلسطينية تلتزم بها حتى اليوم، أرسى الشقيري قواعد معادلة، هي أيضاً في غاية الأهمية، لكن لا يبدو أن منظمة التحرير لا تزال تلتزمها بالجدية والقناعة، اللتين مارس الشقيري بهما الموضوع، وتلك هي إيجاد التوازن العادل بين الفكر والقرار ، بين الرأي والتنفيذ ، بين رجال البحث والتخطيط ومسؤولي "الحكم" ، بين النظرية والتطبيق.

بادئ ذي بدء ، وقبل أن أسترسل في هذه النقطة المثيرة للجدل، اعترف بأن أحمد الشقيري لم يكن رجلاً ديمقراطياً بحسب المفهوم الغربي الحديث لكلمة الديمقراطية (نظرية وممارسة ) كلا ، كثيراً ما كان ينفرد بالقرار . وكثيراً ما كان يفعل عكس مشورة المستشارين. وكثيراً ما كان لا يستفتي. ومجالسه الوطنية كان أعضاؤها أقرب إلى التعيين منهم إلى الانتخاب، واللجان التنفيذية كانت لتنفيذ قراراته أكثر مما كانت للمشاركة في صنع القرار . هذا كله صحيح ، ولكن لنضع المسألة في إطارها المحدد : هل جاء إلى الساحة الفلسطينية ، قبله أو بعده ، قائد أكثر من الشقيري ديمقراطية ؟ الجواب هو كلا . وهل جاء مجلس وطني فلسطيني واحد، بعد مجالس الشقيري (وهل كانت الوفود والمؤتمرات الفلسطينية في العشرينيات والثلاثينيات ) بالانتخاب ؟ الجواب هو كلا ، وبالمقابل ، وحتى لا نستطرد كثيراً في المقارنة ، نتساءل أيضاً : هل أمر الشقيري بإجراء انتقامي واحد لخصم من خصومه ، أدى إلى قتل أو حتى ضرب أو نفي أو اعتقال؟ الجواب هو كلا، أيضاً : (ولا داعي للمقارنة التي قد تبدو وقحة ، والتي لو جرت لخرج الشقيري منها بطلاً ديمقراطياً). المهم أن الشقيري هو الذي وضع خطأ أحمر لحدود الاصطدام السياسي لا يسمح بتجاوزه إلى الاغتيال ولا حتى إلى التخوين.

لكن فحص المسألة لا يكون بمجرد المقارنة . إنه مجموعة حقائق ووقائع قد حصلت . والمهم أنها قد حصلت ، مع أن صاحبها لم يعرف بديمقراطية

أساليبه. ولو نجحت كلها ( ولم يكن وحده المسؤول عن عدم نجاحها في حالات عدم نجاحها ) لكان الشعب الفلسطيني قد اختبر مناخاً من الديمقراطية ربما لم يعرفه إلا القليل جداً من الثورات في العالم الثالث . ورغم عدم النجاح الكامل ، لتجربة الشقيري، فقد حققت، في هذا المجال، خطوات لا بأس بها من النجاح ، وهو ما جعل ثمارها يانعة لسنوات كثيرة من بعده ، وترك بصمات لا تنمحى بسهولة.

أحمد الشقيري أول مسؤول فلسطيني كبير جمع عدداً لا بأس به من رجال العلم والفكر والرأي ، من الشباب الفلسطيني المؤمن والملتزم، والنظيف والواعي والجاد . وقد استقطبهم حوله ، وجنّدهم لخدمة منظمة التحرير الفلسطينية، في سنواتها الأولى ، وبشكل خاص في عضوية اللجان التنفيذية، وفي تولي مسؤوليات الإدارات والدوائر والمكاتب ، من مالية وسياسية وإعلامية وتعبوية وقانونية . ويعود الفضل إلى هؤلاء في إرساء قواعد هذه المؤسسات والإدارات على أسس سليمة وثابتة. ولكن شهر العسل بين الشقيري ( ومعه المحيطون به ) وبين غالبية هؤلاء الشبان لم يدم إلا فترة قصيرة . كان معظم هؤلاء ينتمون إلى مدرسة واحدة، وعقلية واحدة، وأفكار سياسية واحدة (وبالتحديد ، انتمى معظمهم إلى " تنظيم "سياسي واحد) مما عني أن طموحات سياسية معينة كانت تتحكم بانتمائهم إلى المنظمة، وهي طموحات ومواقف أدت مع الأيام إلى تزعزع الثقة بينهم وبين الشقيري. فلا هم كانوا على استعداد للتخلي

عن التزامهم التنظيمي (الضيق)، ولا الشقيري كان يرتاح لهذه " العصبية " داخل العمل المنظمي المفروض فيه أن يلتزم بقواعده الجميع على اختلاف التنظيمات والحركات والأحزاب والعقائد . ويمكننا أن ننظر إلى لوحة الواقع من زاوية أخرى : أراد أولئك الشبان استخدام المنظمة وجهودهم في بنائها وترسيخها لمصلحة تنظيمهم وأفكارهم السياسية . وأراد الشقيري أن يستفيد من وجودهم معه ، ومن علمهم وثقافتهم وتجاربهم ووطنيتهم وصدقهم ، في بناء المنظمة التي هي للجميع وليست لجماعة دون أخرى وكان الاثنان في الواقع على حق ، من وجهة نظرة "الخاصة" ودون أن نستطرد في توزيع المسؤولية في نتيجة ما حصل ، يكفي أن نذكر أن التجربة كانت غنية ، وتركت أثراً عمقاً ، لكنها لم تدم. إلا أن تجربة أخرى ، مشابهة ، عاشت طويلاً وصمدت عدة سنوات بعد تنحي الشقيري ، ونجحت حيث فشلت التجربة الأولى، لأنها قامت على أسس اسلم حمت نفسها من المنزلقات، التي وقعت فيها تلك التجربة ، اعني بها تجربة مركز الأبحاث.

كان أحمد الشقيري ، حتى أيامه الأخيرة ،يفخر بثلاثة إنجازات له ضمن منظمة التحرير الفلسطينية : جيش التحرير الفلسطيني، الصندوق القومي الفلسطيني ، ومركز الأبحاث . وكان الرجل على حق في ذلك . وقد أنعم الله عليه فتوفاه قبل أن يشهد الفصول الأخيرة من مصراع هذه الإنجازات بشكل أو بآخر، أو بسلاح أو بآخر .

يهما في هذه المقدمة أن نتحدث عن دور الشقيري في الإنجاز الثالث  
بخاصة . وقد كان للشقيري فضل في إنشائه وتطويره وتشجيعه وانطلاقه ،  
وحمايته من العقليات التقليدية، التي لم تكن تشترك إدارة المركز ولا رئيس  
المنظمة إيمانها بالعلم والفكر في خدمة العمل السياسي والكفاح المسلح . ولست  
أبالغ، ولست أحابي ذكرى الرجل، ولست أطعن في سلوك غيره إذا أكدت على  
حقيقة لا يجهلها إلا القليلون : وهي أن السنوات الذهبية لمركز الأبحاث (التي  
استطاع خلالها أن يصبح مركزاً رئيساً وعالمياً للفكر الفلسطيني ، وأن يخترق  
حصار الجهل العربي والتآمر الصهيوني واللااكتراث الدولي) إنما هي مدينة  
لأحمد الشقيري نفسه. فقد سمح للمركز بأن يقوم أواسط الستينيات، وسمح له  
أن ينطلق أواخر الستينيات ، ليصبح في السبعينيات، واحداً من أمضى الأسلحة  
الفلسطينية في خط النار ، وحتى بعد أن قضت الظروف بأن يقدم الرجل  
استقالته، ويعود إلى دارته في لبنان، كان الشقيري من أشد الناس غيرة على  
المركز ، يطرب لنجاحاته فلسطينياً وعربياً ودولياً، ويتأثر لضربات فلسطينياً  
وعربياً ودولياً أيضاً، وظل الشقيري راعياً للمركز إلى آخر أيامهما معاً.

لم ينظر الشقيري إلى مركز الأبحاث داراً لنشر الكتب أو لجمع الوثائق  
. بل أراده ، دوماً، أكثر من ذلك ، على أهمية التوثيق والنشر ، أراده تجمعاً  
لرجال الفكر ، ندوة دائمة ومستمرة للرأي الحر، مصنعا للبحث وللباحثين ،  
ومناخاً سليماً يجد فيه أهل العلم والفكر مجالاً للتنفس والتفكير فالنقاش فالإبداع،

ليستتير أصحاب القرار وصنّاعه، من أهل السياسة في المنظمة وخارجها ، بما يأتي به هؤلاء من قول ونصح. وهذا ما كان يحصل بالفعل . وما كانت التجربة لتتجج لولا الحماية التي أمّنها الشقيري للمركز (لإدارته ولباحثيه ولرسلاته ولأهدافه ومشاريه ). وقد تجلت هذه الحماية في منع التدخل في شؤون المركز، وفي الحفاظ عليه وعلى حرّيته. وجدير بالذكر أن الرجل كان يقرأ ما يصدر عن المركز باستمرار، وكان يناقش ويجادل ويستفيد. وهو تصرف نادر في هذا الزمان (للتاريخ وللحقيقة نذكر أن الشقيري كان واحداً من مسؤولين عربيين كبيرين ، يتابعان عمل المركز وإنتاجه ويعكفان على مطالعة منشوراته العامة . وإصداراته المحدودة التوزيع، ويطلبان من المركز الرأي وليس الفتوى. وثانيهما هو المرحوم الرئيس جمال عبد الناصر).

يسجل التاريخ لأحمد الشقيري صفحات كثيرة، مشرقة ومشرّفة. ولا بأس إذا قسا عليه في فصل أو موضوع أو حادثة، فقد كان الرجل إنساناً وسياسياً وقائداً، وما الإنسان (خاصة السياسي والقائد) إلا مجموعة من الإيجابيات والسلبيات. وحسب أحمد الشقيري أن إيجابياته، مآثره ومنجزاته وسلوكه وخلقه ووطنيته ومجمل سيرته، تحصر السلبيات (التي لا بد من وجودها ما دمنا نتحدث عن إنسان) في زاوية ضيقة جداً.

يسجل التاريخ لأحمد الشقيري أنه كان رجلاً كبيراً، كبيراً بالنسبة إلى عصره وظروفه وبيئته، وكبيراً أيضاً بمختلف المقاييس وفي المطلق. كان سياسياً كبيراً

وكان قائداً كبيراً وكان إنساناً كبيراً. وفوق هذا وذاك كان الشقيري فلسطينياً كبيراً.

#### أعضاء لجنة تخليد ذكرى المجاهد أحمد الشقيري بالكويت

|                       |                                                                   |
|-----------------------|-------------------------------------------------------------------|
| أحمد السعدي           | العضو السابق في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية        |
| د. أسعد عبد الرحمن    | أستاذ في جامعة الكويت (سابقاً)                                    |
| أكرم الشقيري          | عضو اتحاد الكتاب والصحافيين الفلسطينيين بالكويت (سابقاً)          |
| حسن صرصور             | الأمين العام لاتحاد المعلمين الفلسطينيين بالكويت (سابقاً)         |
| خليل السالم*          | رئيس قسم الإنتاج الزراعي بالكويت (سابقاً)                         |
| خير الدين أبو الجبين  | (مقرر اللجنة) مدير مكتب منظمة التحرير الفلسطينية بالكويت (سابقاً) |
| د. درويش حمود أبو زور | موجه أول اللغة العربية بوزارة التربية بالكويت (سابقاً)            |

---

\*متوفى.



|                              |                                                                   |
|------------------------------|-------------------------------------------------------------------|
| عبد المحسن القطان            | الرئيس السابق للمجلس الوطني الفلسطيني                             |
| د. عصام الطاهر               | طبيب- من رجال الأعمال بالكويت (سابقاً)                            |
| د. علي سعود عطية*            | أستاذ في جامعة النجاح (سابقاً)                                    |
| د. محمد أبو سخيلة            | محام- عضو سابق بالمجلس الوطني الفلسطيني                           |
| د. محمد علي الفرا            | أستاذ في جامعة الكويت (سابقاً)                                    |
| محمود هاشم البورنو           | من رجال الأعمال في الكويت                                         |
| م. نادر خير الدين أبو الجبين | عضو الهيئة الإدارية لاتحاد المهندسين الفلسطينيين بالكويت (سابقاً) |
| نواف شاكر أبو كشك            | عضو سابق في المجلس الوطني الفلسطيني                               |

## تمهيد

أحمد الشقيري من أكثر الزعماء العرب إثارة للجدل، فقد تضاربت حوله الأقوال، واختلفت فيه وجهات النظر، وأثارت أقواله وأعماله الكثير من الحملات والانتقادات. لكن الجميع- على اختلاف مذاهبهم وآرائهم- لا ينكرون ان الشقيري علم من الأعلام البارزين في حياة الشعب الفلسطيني خاصة والشعب العربي عامة، علم مثّل الوطنية في أعلى مراتبها، وأصدق معانيها، وأنبل أغراضها، وكان صوت الحق المدوي في ميادين النضال، وصاحب المواقف الجريئة الثابتة في أوساط السياسة العربية والدولية. على يديه قام بناء منظمة

التحرير الفلسطينية، واستوى صرحاً شامخاً، يلتفُّ حوله أبناء الشعب المشرّد المنكوب.

كان أبو مازن - رحمه الله - الابن البار بشعبه وأمته. نذر حياته لقضيته، وترك ذكراً عطراً في وجدان كل فلسطيني وعربي، وخلف أثراً في مسيرة التاريخ العربي المعاصر. إنه واحد من هؤلاء الذين أنبتهم شعبنا العربي الفلسطيني في فترة من أخطر فترات حياته، ومرحلة من مراحل الحاسمة، تشابكت فيها الأحداث، واصطُرعت القوى، واشتدت الهجمات الباغية، وألقى بهم إلى ميدان النضال، فانطلقوا يتقدمون الصفوف ويتحملون الأعباء الثقال، وينهضون بالمسؤولية، وحملوا الراية، وأدّوا الأمانة، وأخلصوا النية والعمل، وكانوا أبناء بررة لشعبهم، وقفوا دونه مدافعين، وردوا عنه كيد الكائدين، وقدموا بين يديه كل ما يملكون وفاء بحق أرضهم التي أنبتتهم، وشعبهم الذي ضمّهم.

لقد شاء أحمد الشقيري أن يعيش مرحلة مصيرية من عمر أمتنا العربية، شهدت تكاثر قوى الاستعمار عليهما تنتهب خيراتها، وتتقاسم أجزاءها. وشاء قدره أن يشهد الصهيونية تسعى لتضرب لنفسها جذوراً خبيثة في تراب بلده الطهور، وتستوطن أقدس بقاعها، وتنتشر ظلال حقدّها وعنصريتها حولها.

ثمّ كانت النكبة، وكان الضياع، وتشرّد الأهل، وتفرّق الشمل. وكان الشقيري واحداً من النازحين إلى دنيا العرب، حمل بين جنبه آلام شعبه، ووعى

في عقله قضيته العادلة، فانبرى يدافع عن حق الشعب الفلسطيني.. بل عن كل حق مضيّع، وطفق يُعلي صوت العدل في كل ميدان، وعند كل مناسبة، وفوق كل منبر، بهمة لا تقتّر، وفكر لا يخبو، وعزم لا يلين.

آمن الشقيري بقضيته، فكانت محور تفكيره وهدف حياته، إلى أن ودّع الحياة. سار في موكبها حيناً، وقاد موكبها أحياناً، يحدوه أمل عظيم في إدراك الغاية، ويُوجّع عزمه تفاؤل عريض بالنصر المؤرّر، طال الزمن أم قصر. لقد أدرك بثاقب بصره وعظيم إيمانه أن طريق الكفاح طويل شاق، وأن هدف التحرير بعيد صعب.. لكنه طريق يوصل إلى الغاية، وهدف آت لا ريب فيه، كان إيمانه بالنصر العربي المحتوم أيماناً ثابتاً لا يزعه زمن وإن طال، ولا تضعفه عقبة مهما كبرت، ولا تُخمد ناره نكسة وإن جرّحت.

كان الشقيري - رحمه الله - رائداً من رواد انبعاث الشخصية الفلسطينية بعد النكبة، مارداً جباراً، يتخطى الماضي، ويمسح جراحات الهزيمة، ويكفكف دموع التشرد، مارداً خرج من قمقمه لبيني كيانه، ويؤكد حقوقه، ويثبت قدميه فوق أرضه، ويحول الشعب الفلسطيني من لاجئين مشردين إلى ثوريين مناضلين.

ولم يكن الشقيري، في هذا الدور الريادي، إقليمياً يحبس نفسه في إसार حدود جغرافية ضيقة رسمها الاستعمار لبلده. كان فوق ذلك فكراً ووجداناً،

آمن بالعروبة، وأدرك أن قضية فلسطين هي قضية العروبة جمعاء، تاريخاً وثقافة ومصيراً ، وأيقن أن تحرير الوطن المغتصب مرتهن بعمل عربي تاريخي عظيم، قوامه الوحدة؛ فهي الحمى، ومنها المدد، وبها الخلاص.

شق الشقيري طريقه في الحياة، وصعد سلّم العمل السياسي الوطني بعزيمة ثابتة وإرادة قوية، زاده شخصيته الفذة بما تحمل من صفات ومزايا أهله للقيادة، وأحلتها أعلى المراتب والمواقع؛ شخصية امتلأت حيوية ونشاطاً وحركة دائبة، وامتازت بالمنطق الواضح، والبيان الناصع، والقدرة على التأثير، يمدّ ذلك كله ويغذيه زاد ثقافي واسع، وعلم كبير راسخ، اجتمع فيهما القديم التراثي والجديد المعاصر، في نسيج متماسك لا ضعف فيه، وفي وحدة منسقة لا نبوّ فيها.

وقد حمل الشقيري اعتزازه بوطنه وبشعبه وإيمانه بعدالة قضيته، في كل زمان ومكان، فلم يساوم أو يهادن، ولم يضعف أو يداهن. رفع صوت القضية الفلسطينية، وصوت العروبة في كل مجتمع ومجلس في عالم العرب وفي عوالم الغرب، وعند كل زعيم أو ملك أو رئيس. لم يفرط بحق، ولم يتنازل عن مبدأ، ولم يحد عن النهج، الذي آمن به سبيلاً إلى تحقيق الغاية والوصول إلى الهدف.

وظل على صلابته وتماسكه، لا يضعف ولا يتخاذل ، ولا يفتر عن نشاط أو حركة.. إلى أن وصل إلى مفترق طرق، ورأى سبيله التي نهجها قد سُدت عليه، ووجد سبلاً أخرى ذات عوج والتواء، فأبى أن يسلكها، ورفض أن يسير مع السائرين.. وصارع وجاهد، ولكن الظروف كانت أكبر من قدرته وشخصه، فأثر الانسحاب والاعتزال على أن يمضي في درب ليس دربه، وينهج طريقاً لا يؤمن بسلامته.

بيد أن أبا مازن لم يخلد إلى الراحة. وكيف يرتاح من جعل شعبه همّه، وحمل آلامه في قلبه، وكان واحداً من المجرّحين، دماؤهم ما زالت نازفة، وعيونهم ما برحت مُعلّقة بتراب وطنهم؟!

وإذا كان قد انسحب وتوارى، وسلّم غيره الراية، فقد ظل يراقب، ويحلل، ويناقش. لقد كان بالأمس يحارب، ويقود المعركة. وبقي- في سنوات العزلة- يحارب، ويقود؛ يحارب بفكره، الذي سكب في مؤلفاته الغنية، ويقود بأرائه وتجاربه التي حوتها كتبه الكثيرة، ويوجّه الخطى، بما محض شعبه العظيم الوفيّ فيها من نصح وإرشاد..

لقد آمن الشقيري أن ميدان الصراع مع العدو واسع متعدد الجبهات، وأن زمن المعركة طويل، وأنه قد لا يرى نهايتها في حياته، وأن تحقيق النصر العربي فيها قد يأتي على أيدي أجيال فلسطينية وعربية قادمة. لهذا عكف على

الكتابة ليقدم لهذه الأجيال صورة لما كان، فتستفيد وتتعض، وتصوراً لما يجب أن يكون، فتسترشد وتستهدي، وتمضي في درب التحرير واثقة الخطو، قوية العزم، واضحة الرؤية، بيّنة الهدف.

وهذا الكتاب، الذي نقدمه للقراء، هو سيرة لحياة الشقيري العريضة الرحبة، حاولنا فيه تتبع ظروف النشأة وميادين العمل، ورتبنا فيه آراءه ومواقفه، كما رواها بنفسه في مؤلفاته، وجمعنا في المكان الواحد ما تفرق هنا وهناك، لنقدم، في كتاب واحد، صورة نرجو أن تكون جليّة واضحة لهذا الزعيم الفلسطيني، وفاء بحقه علينا، واعترافاً بفضلته الكبير، وإحياء لذكراه العطرة.

وأملنا أن يكون كتابنا هذا نوراً مرشداً وسط الظلام، الذي يلفّ عالمنا العربي، وشحنة عزم تشد سواعد أبناء الشعب الفلسطيني المناضل، وتقوّي نفوسهم، وتنبّئ أقدامهم، فيمضون في طريق النصر والتحرير أقوىاء، مؤمنين، متفائلين.

خ. ق

## حياته.. تاريخ ونضال





## حياته..

### تاريخ.. ونضال

---

يشاء القدر بأن يتيح للشقيري ما لم يتح لغيره من الأقران والأمثال ، وأن يهيئ له الفرصة لكتابة ترجمة حياته العريضة، فما حدث أن ضاع جزء من أجزائها مهما صغر ، أو أغفل جانب من جوانبها مهما بعد به الزمن. لقد ملك الشقيري من قوة الذاكرة ما مكّنه من تدوين صفحات مطوّلات عن أيام طفولته الأولى، وبدايات حياته يوم درج على الأرض يتيماً ، أو شبه يتيم. وعلى الرغم من أنه يعتذر في مقدمات ما كتب، فيقول: "لستُ أعني متى بدأت أعني، ولست أذكر متى بدأت أذكر.. "، على الرغم من ذلك تراه صافي الذهن، يزيح عن كاهله أحمال الحوادث المزدهمة التي امتلأت بها حياته، شاباً وكهلاً وشيخاً، وينبش في الذاكرة أعماق الأعماق، يستخرج دفينها، وينقل إلى الورق

صور الطفولة المبكرة، وأحوال الحياة الأولى، بكل دقائقها وجزئياتها، في عرض متدقّق، مشوّق، يثير الإعجاب، ويتّسع ليغدو لوحة عريضة للحياة آنذاك.

ينحدر أحمد الشقيري من أسرة عربية نزحت إلى مصر من الحجاز. وهو يقول في ذلك: "حقاً إنني عربي، من أسرة عربية من الشرقية من مصر، وجاء جدّ والدي الشيخ محمد شقير مع حملة إبراهيم باشا إلى عكا، وقبل ذلك نزحنا من الحجاز، وأحد أجدادي أبو بكر بن شقير من الشعراء المجيدين" (1)، والده الشيخ أسعد الشقيري. كان عضواً في البرلمان العثماني (المبعوثان)، ومن الأعضاء البارزين في جمعية الاتحاد والترقي. كان من أعضاء الوحدة الإسلامية، ومن المعارضين للتعامل مع الحلفاء.

وُلد أحمد الشقيري في قلعة تبنين في لبنان، حيث كان والده معتقلاً في عهد السلطان عبد الحميد، وكان مولده عام 1908 م، على ما قدّر هو نفسه فيما يعد من أعمار أقرانه (2). والدته تركية، تزوجها أبوه على زوجة تركية أخرى، ثم طلقها، فسافرت مع طفلها أحمد في صحبة أسرة عمّه قاسم لماً نقل هذا الأخير إلى طولكرم، موظفاً في دائرة المالية. وفي طولكرم تزوجت الأم موظفاً

---

(1) أربعون عاماً في الحياة العربية، ص42.

(2) يقول "ولدت في سنة الحرية أي 1908 سنة الانقلاب على عبد الحميد ونشر الدستور.

المصدر السابق، ص20.

في البريد، اسمه سليم. وقد توفي عم الشقيري، زوج أمه هذا، بعد الزواج بعام، أو بعض عام.

لم تكن طفولة أحمد الأولى طفولة هيّنة رخيّة، إنها سنوات من اليتيم والحرمان والفقر، ملأتها الأحزان، وتركت ظلالها القاتمة على نفسه، فلم تبرحها حتى أواخر حياته، وظلّ يذكر صورها الأليمة، ويحس مرارتها. يذكر بيته في طولكرم الذي "لم يكن بيتاً بمعنى الكلمة"، وقد خلا من أي مظهر من مظاهر الترف والغنى، لكنه نظيف حسن الترتيب، ويترخّم على عمه سليم، الذي أنقذه من شقاء اليتم، ولو الى حين. أما أمه، التي حملتها الأقدار من بلاد الترك إلى هذه المدينة الصغيرة النائية، فهي تلك الحزينة المنكسرة، وما تزال صورتها ماثلة في مخيلته حين كان يصحو ليلاً "قيراها جالسة في الفراش تدخّن، وترسل مع دخانها الزفرات والحسرات" (1)

عانى الطفل أحمد وأمّه في تلك الأيام ما عانى من الفقر، وقد أحب أمه حباً كبيراً، زاد فيه ما كان يراها عليه من حال أليمة. وكانت على الرغم من فقرها، تُقترّ من هنا وتُدبّر من هناك، حتى يفرح طفلها أحمد يوم العيد، فيرتدي ثوباً وحذاءً جديدين. ولعل هذا ما جعله، كلما ذكر والده الغني القوي، يترخّم عليه ترخّم الناقم المتألم، لأته هجر أمه وتركهما فريستين للشقاء.

---

(1) المصدر السابق، ص 28.

أخذ أحمد عن أمه اللغة التركية . وهو لا يتذكر متى ذهب إلى المدرسة ، لكنه يذكر انه كان في المدرسة الواقعة وسط مدينة طولكرم يتعلم القراءة والكتابة في جو من الرهبة والخشية . لم يحب المدرسة، وارتبطت صورتها في ذهنه بصورة السجن والإرهاب والتهديد والوعيد، وكان أسعد ما في طفولته الهرب من المدرسة<sup>(1)</sup>.

تفتحت عيناه، أول ما تفتحتا عليه من شؤون الدنيا ، على أخبار الحرب العالمية الأولى التي بدأت عام 1914. وكان " مجلس الخزاف" الوسيلة الوحيدة لتداول الأخبار ، والإطلاع على شؤون الدنيا وأحوالها. وكان معظم ما علق من أخبار الساعة آنذاك يدور حول الحرب والجراد .

مرضت أمه في السنة الثانية للحرب مرضاً شديداً ، لم يمهلها سوى يومين أو ثلاثة ماتت بعدها ، وهو طفل في السابعة من عمره ، و"دفنت في أطراف المقبرة كما يدفن الغرباء ، وأحرقت ثيابها وفراشها في المكان نفسه" <sup>(1)</sup>.

قضى الطفل أحمد أياماً في بيت الجيران ، بعد موت أمه ، ينتظر أن يُرسل به إلى أبيه وأهله في عكا . وقد سمع في أثناء ذلك حديث الجيران عن

---

<sup>(1)</sup> المصدر السابق، ص27.

<sup>(1)</sup> قيل إنه الكوليرا، المصدر السابق، ص29.

أبيه وثراء أهله، وعن عظمة مدينة عكا ، فأخذ يتطَّلَع للسفر، وتتازعته مشاعر الحزن لفراق طولكرم حيث ثوت أمه، ومشاعر الفرح للقاء أبيه .

في صيف 1916 حُمِل أحمد إلى قرية قاقون ، محطة المواصلات بين يافا وحيفا التي فيها العربات . ومنها حملته العربية الى حيفا، وقد أمضى في الطريق ليلة في مستعمرة زمارين، حيث رأى اليهود لأول مرة " غير عالم ، هو أو غيره ، بما سيخبئ لهم القدر<sup>(2)</sup>. ولما وصل إلى حيفا نام ليلته عند ابن عمه الدكتور محمد علي الشقيري الذي كان يعمل في دائرة الصحة في حيفا . وفي الصباح اتجه إلى عكا ، فوصل إليها يحدوه الشوق إلى لقاء أهله.

أمضى أحمد يومين أو ثلاثة أيام في بيت عمه داخل السور، ثم أخذ إلى بيت أبيه الفخم خارج السور. ويبدو أن خالته زوج أبيه، كانت لا ترغب في قدومه، واحتاج إقناعها بقبوله أياماً، أما أبوه، فكان في تركيا، لذا لم يره أشهراً.

كانت خالته صاحبة السطو والشأن، فلم يجزؤ أحد، حتى والده، على إظهار العطف عليه أمامها. وهكذا كانت أيامه الأولى في عكا صعبة اليمّة.

التحق أحمد بالمدرسة، فغمرته الحياة فيها، وأنسته بعض هموم البيت. وكان مواظباً على الدوام فيها، مجتهداً في دروسه، يبكر إلى المدرسة بنشاط

---

(2) المصدر السابق، ص32.

وهمة. وقد أولع بالنحو وبالإعراب، واستنقاه لسانه بالعربية وابتعد عن اللحن، على الرغم من أن الدروس كانت باللغة التركية. وكأنه عوّض بجده واجتهاده في المدرسة عن وضعه في البيت، فهو ابن صّرة، و "مواطن من الدرجة الثانية أو الثالثة".

أخذ هذا الطفل اليتيم يقتحم حياة الأسرة، ويصعد سلم المواطنة فيها بما أظهر من جدّ واجتهاد. وتفوّق على أقرانه في المدرسة، وتناقلت أسر عكا قصته، وغدا يتناول الطعام على مائدة الأسرة، ويجلس في الديوان، غدا "أمرا واقعا" في المنزل، وعضواً عادياً في الأسرة، وأصبح أكثر اتصالاً بالمدينة ومعرفة بشؤونها.

وكانت الحرب العالمية الأولى تبسط ظلّها الثقيل على حياة الناس، وشحت الأقوات، وعانت أسرة الشقيري بعض ما عاناه الناس من الحرب. ثم انكشفت الحرب عن هزيمة الأتراك وانتصار الحلفاء ، وبدأ عهد جديد بالنسبة إلى عكا وإلى فلسطين والأمة العربية كان له أثر بعيد في نفس الصبي الصغير، وهو لم يتفتّح بعد على الحياة.

عدّت أسرة الشقيري عثمانية، فأصابها ما أصاب العثمانيين المهزّمين، وطردها الإنكليز من بيتها خارج السور، واتخذوه مقراً لإقامة ضباطهم، فانتقلت الأسرة إلى البيت القديم داخل سور عكا. أما أبوه فقد ظل غائباً منقطع الأخبار

زمناً. ثم وصل إلى حيفا، فاعتقلته سلطات الاحتلال البريطاني، ونقلته إلى مصر مع الأسرى العرب، فظلّ هناك بضعة عشر شهراً، عاد بعدها إلى عكا، وبدأ الناس يزورونه في البيت شيئاً فشيئاً.

ومع الاحتلال انفتح البحر، ونشطت الأسواق، وتوافرت البضائع، وأخذت الحياة في مدينة عكا تتبدل. لكن سرعان ما بدأت أفراح الناس بانفراج الحرب، وعودة المجندين الغائبين تنحسر، وبدأ الشقيري يسمع في أحاديثهم شيئاً عن القضية، وحملت الصحف الفلسطينية والعربية أخبار الصهيونية، ووجد بلفور، وهجرة اليهود إلى فلسطين. وكان أحمد يجلس في الديوان مع من يجلس يستمع إلى عمّه قاسم وهو يقرأ الصحف، وكان يرى مجموعات الشباب تطوف شوارع عكا وأزقتها عام 1919، توقع الناس على عرائض الاحتجاج، وعلى رسائل تفويض شخصيات المدينة التي ستمثلها في المؤتمر السوري\*.

كان أحمد الشقيري، كما قلنا، مجداً في المدرسة، مجتهداً، متمكناً من العربية، ضعيفاً في الرسم، كارهاً للموسيقى والرياضة، أحب الكشافة، وانتمى إليها، ومن خلال نشاطها برزت قدراته الخطابية وإتقانه العلوم العربية، ورأى

---

\* عقد المؤتمر السوري في دمشق في 1919/6/8م وقرر وحدة البلاد السورية واستتكر الحركة الصهيونية، ورفع قراراته، في شكل عريضة إلى لجنة كينغ-كرين الأمريكية التي قدمت إلى فلسطين للوقوف على رأي سكانها ووجهات نظرهم فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية.

فيها نشاطاً ينفس فيه عن الروح الوطنية التي امتلأت بها نفسه ونفوس أبناء عكا وفلسطين، وانتقلت إليهم في المدارس، فغدوا يتحدثون في شؤون القضية ويناقشون أمورها يرددون ما يسمعون من أخبار تصلهم عن طريق الصحف أو الرواة. ولما زار المندوب السامي هربرت صموئيل عكا عطلت المدرسة حتى لا يكون التلاميذ في استقباله، وبذا ظهرت أولى بوادر المقاومة السلمية للانتداب البريطاني والحركة الصهيونية.

لم تكن المدرسة تشغل أحمد الشقيري عن حضور الدروس في الجامع، ومجالس والده، والقراءة في مكتبه. وعرف عنه إتقانه علوم العربية والعلوم الدينية، حتى قال الناس انه سيكون خليفة أبيه. وقد أنهى الصف الثاني الثانوي، وكان الأول في معظم المواد. وأبدى الرغبة في الالتحاق بالأزهر الشريف، لكنه ثني عن عزمه، وأجبره أهله على إعادة السنة، حتى يلحق به أخوه أنور، فيذهباً معاً إلى القدس لتكملة الدراسة في مدرسة صهيون.

سافر أحمد مع أخيه أنور، إلى القدس عن طريق حيفا واللد، ولما دخلها أثارت في نفسه الكثير من المعاني، ذكرته بشموخها وبعبق التاريخ فيها، وبكل معاني العزة والفخر. وقد أمضى الأخوان اليومين الأولين في الفندق، وزارا معالم المدينة الجديدة والقديمة. ورأى أحمد بعض اليهود عند حائط المبكى، ورأى بيوتهم خارج السور، لكنه لم يكن يتصور أن يحلّ به، وبشعبه و ببلاده ما حلّ بهم.



كانت مدرسة صهيون داخلية، اختارها أبوه لهما لأنها مدرسة تُعنى بالعلوم وبالنظام، ولم يكن يقدر على الانتساب إليها إلا الموسرون، وكان أساتذتها عرباً، إلا مدرسة الفرنسية فكانت إنكليزية. فكَره اللغة الفرنسية لكره مدرستها الإنكليزية. وقد أُعفي أحمد الشقيري من دروس اللغة العربية لتفوقه فيها. وتغلب على صعوبة اللغة الإنكليزية التي كانت جميع المواد تدرس بها، بحفظ المفردات الكثيرة. وأعانتته على التمكن في هذه اللغة دراسة الكتاب المقدس، وأفادته حتى في حياته السياسية فيما بعد.

أنهى أحمد دراسته الثانوية بنجاح في مدرسة صهيون مع أخيه، وقد تخرّج في شهر تموز 1926، وكانت فرحته بذلك كبيرة.

التحق الشقيري، مع أخيه، بالجامعة الأميركية في بيروت وقد أدهشته الجامعة ببنائها، وأقسامها وموقعها، وفتنته الحياة الجامعية بحريتها، بعد قيود مدرسة صهيون. وقد ملأت حياة الجامعة نفسه بالغبطة وشعر في رحابها بالحرية فكان يفعل ما يشاء. وانضم إلى نادي "العروة الوثقى" في الجامعة. وكان هذا النادي مجتمع الطلاب من جميع الأقطار. وقد أتاحت له أجواءه الإحساس فيه بروح الأمة العربية ووحدها، على الرغم من وجود النعرات الإقليمية التي كانت تظهر في أثناء انتخابات الهيئة الإدارية للنادي.

وتشاء الأمور أن تجري على غير هوى الشقيري، إذ اشترك في المظاهرة التي قام بها الطلاب في ذكرى شهداء السادس من أيار، وأندفع يرتجل خطبة حماسية في ساحة الشهداء ببيروت، ندّد فيها بالاستعمار وبالاستبداد العثماني، فأثار السلطات الفرنسية المستعمرة، فقررت إبعاده عن لبنان في 13/5/1927 وقد أثار إبعاده هياج رفاقه الطلاب، لكن القرار كان نافذاً لا رجعة فيه. فنقل إلى الناقورة، على الحدود الفلسطينية اللبنانية، ومنها عاد إلى عكا.

وكان إبعاده من لبنان نقطة تحوّل في حياته، ألقت به في ميادين العمل الوطني، فاستقرّ رأيه على أن يعطي نصيباً من وقته للسياسة، ونصيباً آخر للدراسة، وعلى أن يوفّق، ما أمكن، بين حوافز الأولى وضرورات الثانية. وقد أخذ يكتب المقالات الوطنية في جريدة (الزمر) لصاحبها الشيخ خليل زقوت، يدعو فيها إلى مقاومة الحركة الصهيونية والاستعمار، ويركز الهجمة على الاستعمار الفرنسي الذي حرّمه الدراسة الجامعية في بيروت. وكانت مقالاته عنيفة أثارت احتجاج القنصلية الفرنسية في عكا، وبرزت خلال هذه الفترة، مواهبه الخطابية. وكان عريف حفلة التّأبين التي أقيمت لسعد زغلول في المدينة، وخطب أبوه، وخطب هو بعده. وبات من تقاليد الصحافة أن تشير إليه (بالشقيري الصغير) وتسمي والده (الشقيري الكبير). وكان يدعى للخطابة في مختلف المناسبات. وقد دفعه إعجاب الناس بخطابته إلى التفكير جدياً بالسفر إلى القدس، والالتحاق بمعهد الحقوق لدراسة المحاماة.

قُبِلَ الشقيري في معهد الحقوق في القدس سنة 1928. وكان المعهد في حي المسكوبية، ونظام الدراسة فيه مسائي، ومعظم أساتذته والمحاضرين فيه من البريطانيين والصهيونيين، وكان فيه عدد كبير من الطلاب اليهود.

حاول أن يشغل وقت فراغه في النهار، فوجد عملاً في جريدة (مرآة الشرق)، التي كان يصدرها بولس شحادة. وقد سلّمه هذا أمر إصدارها مرتين في الأسبوع من دون أجر، على أن يسكنه عنده، ويقدم له الطعام. وهكذا بدأ صفحة جديدة من حياته، صحفياً وسياسياً في النهار وطالب حقوق في المساء.

أطلع عمله على الوضع السياسي، وعلى طبيعة الحركة الوطنية الفلسطينية، بعفويتها وبساطتها، في مواجهة الحركة الصهيونية الواعية المنظمة. وقد غدا مكتبه في الجريدة مزاراً لعدد من شباب القدس وغيرها، وندوة سياسية لهم، يتداولون فيها أمر تقاوم الخطر الصهيوني، وتردّي الحركة الوطنية الفلسطينية، وانقسامها بين مجلسيين ومعارضين.\*

وقد جعل الشقيري جريدة (مرآة الشرق) منبرا للدعوة المستقلة، التي ترفض الخلافات والانقسامات، ومهادنة الإنكليز، وتدعو إلى نبذ الزعامات

---

\* المجلسيون: نسبة إلى المجلس الإسلامي الأعلى. وهم المؤيدون للأسرة الحسينية التي كان بيدها أكبر منصبين دينيين: الإفتاء ورئاسة المجلس الإسلامي الأعلى. أما المعارضون فيمثلون بعض الأسر الأخرى، ولا سيما النشاشيبية. التي كانت تقف معارضة لنفوذ الأسرة.

التقليدية لتحل محلها قيادات شابة، وكانت أول مقالة له فيها بعنوان "تقدّم أيها الشاب واطرد أباك من الميدان".

تعرضت الجريدة للضغوط بسبب مقالات الشقيري، وحاولت السلطات البريطانية إغلاقها بحجة أن رئيس تحريرها، أي الشقيري، لم يبلغ الحادية والعشرين، فثار الشباب، وجمعوا العرائض والتقارير الطبية التي تثبت، أو تدّعي، أن أحمد الشقيري فوق هذه السن، فأبقي في عمله.

شارك الشقيري في ذلك العام (1928) في النشاط الوطني الفلسطيني، الذي كان على أشده، وكان للشباب فيه دور بارز. وكان همّه أن يزول الانقسام من صفوف الحركة الوطنية، وأن يتولى الحاج أمين الحسيني قيادة هذه الحركة مباشرة، وفي الظاهر ودون تسرّ. لهذا كان ينتقده، ويهاجمه، علّه يتحرك لهذه الغاية.

حضر الشقيري المؤتمر الفلسطيني السابع في القدس سنة 1928 صحفياً. ولما أنشئت جمعيات الشباب المسلمين في فلسطين، على غرار مصر، راقب للشقيري هذه الفكرة، وكان عضواً في وفد القدس إلى المؤتمر، الذي تقرر فيه تأسيس هذه الجمعيات في جميع أنحاء البلاد. وقد تلقى دعوات كثيرة من مدن فلسطين لإلقاء المحاضرات الوطنية، وكان يلهم الحماسة، ويدعو إلى جمع قوى الشعب للوقوف في وجه الاستعمار والصهيونية، بعيداً عن النزاعات

العائلية والطائفية والمحلية. وكاد يقع في أيدي الشرطة في أثناء موسم النبي موسى في الخليل، فعاد إلى القدس، والتزم السكنية زمناً، واستأنف الدراسة ليلاً والصحافة نهاراً.

زاد التحام الشقيري بالأحداث الوطنية بتأثير عمله ودراسته، وازداد نشاطه، مع غيره من الشباب، بعد أن وصلتهم أخبار المؤتمر الصهيوني في ميونيخ، وقويت الدعوة إلى بعث الحياة في الحركة الوطنية، خاصة بعد حادثة البراق الشريف<sup>\*</sup>. التي كشفت للعرب الخطر الداهم. وقد زادت الرغبة في نفس الشقيري، ونفوس الشباب، في قيام قيادة وطنية جديدة تتولى الإمساك بزمام الحركة الوطنية، فقرروا توزيع أنفسهم على مناطق البلاد المختلفة، لبث الوعي فيها. وكان نصيب الشقيري العمل في بلدة عكا وفي لواء الجليل، فصار يتنقل بينهما، يخطب، ويدعو إلى مقاومة الاستعمار والصهيونية معاً، وإلى التخلص من الزعامة التقليدية.

اعتقل وجال الشرطة الشقيري، ونقلوه إلى قرية الزيب، قرب عكا، في إقامة جبرية في بيت آل السعدي. وكانت فرصة العمر، إذ صاهرهم وتزوج

---

<sup>\*</sup> تفجرت ثورة البراق الشريف بسبب اعتداء اليهود على حائط البراق، الذي يسمونه حائط المبكى في 1928/9/24م وكان ذلك بداية سلسلة من الحوادث الدامية عمّت أنحاء فلسطين، وبلغت ذروتها في اصطدامات 1929/8/24م.

السيدة نسيبة، بنت عبد الفتاح السعدي رئيس بلدية عكا، وأنجبت له أولاده الستة.

عاد الشقيري إلى القدس، بعد انتهاء الاعتقال، واعتزل العمل في جريدة (مرآة الشرق) عام 1930، ليوفّر الوقت للدراسة. وكان في السنة الثالثة في معهد الحقوق عندما التحق للتمرين بمكتب المحامي مغنم الياس مغنم\* بدون أجر. وقد أفاد الشقيري كثيراً من العمل مع المحامي مغنم، إذ أعطاه الكثير من أسرار المهنة، وتعرّف عن طريقه بالقضاة والمحامين، ووجد في عمله متعة ولذة شغلته، بعض الوقت، عن السياسة. لكنه ما لبث أن عاد إلى السياسة عن طريق المحاماة عندما وصلت إلى فلسطين لجنة شو\*\* للتحقيق في اضطرابات البراق، فقد كان المحامي مغنم أحد الأمناء الثلاثة للجنة العربية، وكانت القيادة الفلسطينية تتولى بسط القضية أمام لجنة شو، نيابة عن شعب فلسطين، وبذلك أتيح للشقيري أن يسهم في إعداد ملف القضية، وكشفت له هذه المناسبة ضعف العرب، وضعف وسائلهم في الدفاع عن حقهم، وقد قام بدور لا بأس به في

---

\* من أبناء رام الله، هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية، حيث درس الحقوق، ثم عاد إلى فلسطين وعمل في المحاماة.

\*\* لجنة تحقيق برلمانية عينتها الحكومة البريطانية للتحقيق في أسباب الاضطرابات، لوضع التوصيات التي تحول دون تكرارها. وقد سميت باسم رئيسها (الترشو).

توضيح تاريخ القضية الفلسطينية وشرح وثائقها، ولا سيما مراسلات الحسين-مكماهون\*\*\*، للمحامين البريطانيين، اللذين اختارتها اللجنة العربية.

قويت صلة الشقيري بالحركة الوطنية، في أوائل الثلاثينيات، وبقادتها من المجلسيين والمعارضين والمستقلين على حد سواء. وقد ترك مكتب المحامي مغنم إلى مكتب المحامي عبد الهادي، لأسباب سياسية ولأسباب مادية، على الرغم من المقدرة المهنية التي كان يكتسبها في المكتب الأول، لأن مكتب المحامي عبد الهادي يغلب الجانب السياسي على الجانب المهني. وقد أثار هذا الانتقال والده، لأنه في نظره انتقل إلى صفوف المجلسيين، في حين كان الشيخ أسعد من قادة المعارضين.

وجد أحمد الشقيري فرصة أخرى للعمل في إعداد ملف القضية الفلسطينية، الذي حمله الوفد الفلسطيني إلى لندن\*، وكان قد أصبح متمرساً بتاريخ القضية، من خلال عمله في الملف، الذي قدم إلى لجنة شو. وكانت

---

\*\*\*مراسلات جرت بين شريف مكة الحسين بن علي، ومكماهون، المندوب السامي البريطاني في القاهرة، قبل الثورة العربية عام 1916.

\* هو وفد الحركة الوطنية الفلسطينية برئاسة موسى كاظم الحسيني، الذي ذهب إلى لندن أوائل عام 1930، اثر صدور تقرير لجنة شو، واجتمع بأركان الحكومة العمالية الجديدة التي كان يترأسها رامزي مكدونالد، وبرجال الصحافة، لشرح المطالب الوطنية، ومكث هناك قرابة شهرين، بيد أن مهمته لم تلق نجاحاً.

مساهمته الكبرى أيضاً من خلال عمله في مكتب المحامي عبد الهادي، الذي كان يتولى الدفاع عن القضية الفلسطينية أمام اللجنة الدولية، التي وفدت إلى فلسطين، للفصل في النزاع القائم بين العرب واليهود بصدد البراق\*.

ازداد تمرّس الشقيري في المحاماة في أوائل الثلاثينيات، خصوصاً في ميدان القضايا الوطنية الثورية، التي خلّفتها ثورة البراق، وما رفعته السلطات البريطانية من قضايا ضد الوطنيين. وقد اشترك في عدد منها، وشهد محاكمات فؤاد حجازي وعطا الزير ومحمد جمجوم، وزارهم غير مرّة، في سجن عكا مع الوفود المختلفة، التي كانت تزورهم قبل تنفيذ حكم الإعدام فيهم.

انصرف الشقيري للدراسة ولمعهد الحقوق زمناً بعد ذلك. ثم راحت أحداث فلسطين تشده إلى ميدان النشاط الوطني العام، ولاسيما بعد استفحال أمر الهجرة اليهودية، ومجيء المندوب السامي الجديد واكهوب\*\*، الذي سعى لتميع الحركة الوطنية، ولاجتذاب أبناء الأسر الكبيرة إلى السلطة. وقد نشط الشقيري وأقرانه من الشباب للوقوف في وجه هذا الخطر، وإيقاظ الشعور

---

\*أيدت اللجنة حق العرب الإسلامي، وأعلن تقريرها ملكية المسلمين للحائط، وأعطى اليهود حق الزيارة في أضيق الحدود.

\*\* هو الليفتنانت جنرال آرثر جرانفيل واكهوب. وقد جرى تعيينه في 13 / 7 / 1931.



الوطني، فعمدوا الاجتماعات الكثيرة فيما بينهم، واتفقوا على القيام بحملة توعية كبرى، كان نصيب الشقيري فيها منطقة القدس.

ولما تأسس حزب الاستقلال\* نفخت روح جديدة في الحركة الوطنية. وكان مؤسسو هذا الحزب من أصدقاء الشقيري. وقد اشترك في معظم اجتماعات الحزب الوطنية، لكنه رفض الانضمام إليه، لأنه كان، بطبيعته، ينفر من الحزبية والأحزاب.

في ذلك الوقت حدثت قصة عرب وادي الحوارث\*\*، وذهب الشقيري مع نفر من المحامين العرب ليحققوا في هذه الكارثة على الطبيعة، فأذلهما ما رأوا، وعقد الحزن ألسنتهم، وهم يرون رجال البوليس يندرون مئات العائلات العربية

---

\*أسسه عدد من رجالات حزب الاستقلال القديم في 1932/8/2، لتجديد شباب الحركة الوطنية وتصحيح سيرها بحيث يدخل في منهجها محاربة الاستعمار البريطاني والصهيونية معا، بعد أن كانت حتى ذلك الوقت تجاهر بعداء الصهيونية فقط.

\*\*تقع أراضي عرب وادي الحوارث على الساحل الفلسطيني بين قيسارية ونهر الفالاق، ومساحتها 400.000 دونم، كانت تسكنها 25 46 أسرة عربية، وهي ملك أسرة التيان البيروتية طرحت الأراضي في المزاد العلني في نيسان/ إبريل 1929 بأمر من محكمة نابلس، وفاء لدين يهود فرنسيين على الأسرة المالكة، فاشتراها الكيرين كايमित، وأصدرت المحكمة حكماً بطرد العرب منها. فاجلوا عنها بقوة الشرطة على الرغم من مقاومتهم أمر الإجراء.

بالجلاء عن أرضهم. وفي المؤتمر القومي الذي عُقد في يافا في آذار 1933، وحضره رجالات الحركة الوطنية على اختلافهم، خطب الشقيري، وحدث الحاضرين بما رأى في وادي الحوارث، وحذر من مصير مشابه ينتهي إليه العرب. في فلسطين، ودعا إلى قيام جبهة وطنية تضم جميع الزعماء، بشرط التخلي عن مناصبهم الحكومية. وقد أثارت دعوته هذه التوتر بين الحاضرين، وكادت تقع معركة يروح هو ضحيتها، لولا أن أحاط به عدد من الشباب يحمونه ويخرجونه من القاعة.

أنهى الشقيري دراسة المحاماة في معهد الحقوق أواخر عام 1933. وحلف اليمين في مكتب قاضي القضاة البريطاني، حتى يتمكن من ممارسة المحاماة. أحب الشقيري المحاماة، وانغمس فيها، لكن الحركة الوطنية كانت تقتحم مكتبه حيناً بعد حين، فهي عنده القضية الكبرى والأولى. وقد اشترك في المظاهرة الكبرى، التي جرت في القدس في 13/9/1933، وقادها موسى كاظم الحسيني، وفي المظاهرة التي نظمتها اللجنة التنفيذية في يافا بتاريخ 13/10/1933، وقادها موسى كاظم الحسيني أيضاً. وكان الشقيري واحداً من المحامين العرب الذين تطوعوا للدفاع عن المعتقلين، الذين زجت بهم السلطات البريطانية في السجون، حين قمعت هذه المظاهرة .

وعلى الرغم من قوة النشاط الحزبي في تلك الفترة، لم يشترك الشقيري فيه، ولم ينضم إلى أي حزب، لأنه كان يؤمن بالحاجة إلى جبهة وطنية واحدة.

وكان يساند كل فكرة وطنية تصدر عن أي حزب، لكنه، بشكل عام، كان ميلاً إلى الحزب العربي وحزب الاستقلال وحزب الشباب\*، ولم يكن يفهم سبباً لوجود بقية الأحزاب.

عقد أحمد الشقيري في عام 1933 قرانه على الأنسة نسيبه بنت عبد الفتاح السعدي. وكان جريئاً في الخطبة وحفلة عقد القران. فكسر كثيراً من التقاليد الاجتماعية السائدة آنذاك. وقد سافر أول نيسان 1933 مع عروسه لقضاء شهر العسل في طبرية، مفضلاً ذلك على السفر إلى أوروبا.

أمضى عام 1934 في عمل متواصل سعيّاً وراء الكسب والرزق، بعد أن أصبح مسؤولاً عن عائلة. وقد أنجبت له زوجته أولى بناته، وأواخر آذار 1934، وكان الشقيري في القدس يشارك في تشييع جثمان موسى كاظم الحسيني.

أخرجت الأحداث العامة الشقيري من دنياه الصغيرة، دنيا العمل من أجل الحياة الرخية، إلى دنيا الوطن حين جاءه يوم 10/11/1935 نبأ استشهاد

---

\* ترجع فكرة حزب الشباب إلى مؤتمر الشباب العربي الفلسطيني في 1/1/1932 لبحث شؤون التعليم وتشجيع المصنوعات الوطنية، ومشروع صندوق الأمة، وأمور الرياضة والحركة الكشفية. وكان المؤتمر رديفاً للحركة الوطنية، ثم صار يبرز كحزب ذي كيان خاص برئاسة يعقوب الغصين.

الشيخ عز الدين القسام. وقد اشترك في جنازة الشهيد القسام في حيفا. وعلى الرغم من معرفته القسام خطيباً في الجامع وواعظاً، لم يكن يدري شيئاً عن ثورته . وقد عرفها، وعرف رجالها، عندما تطوع مع زميله المحامي معين الماضي، للدفاع عن بقية أفراد جماعة القسام في مدينة جنين، فأعجبه الثورة القسامية، وأثارت نفسه شجاعة رجالها وبساطتهم وإيمانهم وهدوئهم، وأفاد الكثير من دروس هذه الثورة الرائدة.

اشترك الشقيري، مع غيره من الشباب، في حملات التوعية أواسط الثلاثينيات، تلك الحملات التي كانت تطالب بريطانيا بتبديل سياستها في فلسطين، وبوقف الهجرة الصهيونية. وكان بحكم عمله، كثير التنقل، يخرج من المحاكم إلى النوادي، يخطب ويحاضر. وقد انبرى، في جملة ما انبرى له من ألوان النشاط الوطني، إلى ترجمة مناقشات البرلمان البريطاني حول فلسطين آنذاك، وكان ينشر هذه الترجمات في الصحف العربية.

ولما أضربت مدينة يافا استتكاراً للأحداث الدامية في 15/4/1936، وبطش القوات الحكومية بالعرب في المدينة، تضامنت معها مدن فلسطين كلها، وفيها عكا، واشترك الشقيري في تأسيس لجنة قومية في مدينته، على غرار لجان المدن الأخرى، وسافر مع عدد من رجالات مدن شمال فلسطين إلى القدس للاتصال بزعماء الحركة الوطنية للعمل على توحيد الصفوف، وإنشاء

جبهة وطنية تقود النضال . وقد اتفقت الكلمة آخر الأمر على تأليف اللجنة العربية العليا في 25/4 / 1936.

بدأ الإضراب سلمياً، ثم تطور إلى مظاهرات، فإلى نضال مسلح في شكل عصابات تهاجم وتتسحب، تساعد وتتمدّها بالعون اللجان القومية. وقد كان الشقيري يخطب في كل مناسبات واجتماعات اللجنة القومية بعكا. ولما أعلنت السلطات البريطانية حالة الطوارئ، واعتقل الناس، وفرضت الإقامة الجبرية، اعتقل الشقيري ، ونقل إلى سمخ ، ثم إلى الحمة في شهر تموز 1936، حيث فرضت عليه الإقامة الجبرية. وقد جعله قربه من الحدود السورية على صلة ومعرفة بطريق عبور المجاهدين والأسلحة من سورية ، وتولّى مع رفاقه توزيع منشورات في جميع مناطق الشمال . وبهذا غدا المعتقل الإجباري موقعاً استراتيجياً بين سورية والأردن وفلسطين .

وجّه المعتقلون في الحمة ، وفيهم الشقيري ، رسالة الى اللجنة العربية العليا، يناشدونها رفض الوساطة العربية لإيقاف الثورة . ووجّه الشقيري نفسه رسالة خاصة مطولة الحاج أمين الحسيني يحذره من الوقوع في الفخ البريطاني، ومن قبول إيقاف الثورة بدون ضمانات صريحة. واقترح عليه - إن كان لابد من أمر - قبول وقف الإضراب فقط. لكن اللجنة العليا أصدرت في 1936/10/11 بياناً للشعب ، دعت به إلى الإخلاء للسكينة، اعتماداً على

ضمانات الملوك والرؤساء العرب . وكان البيان مفاجئاً للكثيرين ، وفيهم الشقيري .

عاد أحمد الشقيري ، مع من عاد من المعتقلين إلى مدنهم وقراهم ، وأستأنف العمل في المحاماة . وقد أمضى في القدس شهراً عند قدوم اللجنة الملكية البريطانية\*، التقى هناك بقيادة الحركة الوطنية ، وآلمته موافقة اللجنة العربية العليا على المثل أمام هذه اللجنة الملكية في 1937/2/26، وقد اعتذر عن قبول دعوة الحاج أمين له أن يكون في جملة المندوبين العرب ليتحدث عن القضية من الناحية القانونية وقال في آخر كتاب الاعتذار: "رأيي معروف لدى سماحتكم ، وقد أبديته في اجتماعنا الأخير . وعلى كل حال فإن القانون الدولي لن ينقذ فلسطين من خطر الصهيونية والاستعمار" ولما أصدرت اللجنة الملكية تقريرها\*\* مقترحة تقسيم فلسطين، ثارت ثائرة العرب، وعقدوا مؤتمراً في

---

\* برئاسة لورد بيل، وقد وصلت إلى فلسطين في 1936/11/11.

\*\* صدر تقرير اللجنة في 1937/7/7 ، وأوصت فيه بالتقسيم لاستحالة تسوية النزاع بين العرب واليهود.

بلودان\* في 8/9/1937، اشترك فيه الشقيري عضوا في لجنة الإعلام والتوعية.

ثم عادت الثورة الفلسطينية إلى الاشتعال بعد مقتل أندروز حاكم لواء الجليل البريطاني\*\*، وحُلّت اللجنة العربية العليا، ونفي معظم أعضائها إلى جزيرة سيشل، وهرب الحاج أمين الحسيني، وجمال الحسيني إلى لبنان، ولوحق الشقيري فيمن لوحق، فاخْتَبأ في القدس عند عمر صالح البرغوثي، وعند مغنم الياس مغنم. ثم قرر أن يلجأ إلى مصر، ودبر خطة للسفر متخفياً. لكن السلطات البريطانية قبضت عليه في محطة دير البلح، فأعيد إلى غزة مقيداً، وأودع السجن خمسة أيام، ثم نقل إلى سجن عكا حيث وضع مع السجناء العاديين، ولم يوضع في المعتقل أسوة بغيره من المعتقلين السياسيين. ونقل الشقيري بعد عشرين يوماً إلى معتقل المزرعة، حيث أمضى الخريف والشتاء والربيع. ثم أدركت السلطات الحاكمة أن لا جدوى من الاعتقال، فأفرجت عن المعتقلين، وعاد الشقيري إلى بيته على ألا يمارس أي نشاط سياسي.

---

\* دعت إليه لجنة الدفاع عن فلسطين في سوريا، وحضرته وفود من جميع الأقطار العربية، وأكد عروبة فلسطين، وقرر رفض التقسيم، ومقاومة إنشاء دولة يهودية، وطالب بإلغاء الانتداب وتصريح بلفور.

\*\* في 26 / 9 / 1937، في مدينة الناصرة مع حارسه.

دُعي الشقيري، فيمن دُعي من رجال الحركة الوطنية في شمال فلسطين، إلى مدينة الناصرة للقاء كيركبرايد، حاكم لواء الجليل، وقد هددهم هذا بالعقاب وفرض الغرامات إن لم تتوقف الثورة، فانبرى الشقيري يتحدث عن تاريخ النضال الوطني الفلسطيني، ويبيّن أن الشعب سيتابع كفاحه حتى تتحقق آماله. ولما خرج الشقيري من عند الحاكم، أُسرَ إليه موظف عربي كبير أن التعليمات قد صدرت باعتقاله، وإن عليه الهرب وعدم السفر إلى عكا. لذا خرج الشقيري بسيارته إلى طبرية، بدلاً من عكا، ثم إلى سمخ، فإلى الحمة، والحدود السورية، حيث ساعده صديقه روجي الخطيب على عبور الحدود بالقطار، فوصل إلى دمشق، ومن هناك اتصل هاتفياً بزوجته التي لم تكن تعلم عنه شيئاً.

بدأت في سورية ولبنان صفحة جديدة من حياة الشقيري، أسهم خلالها بقسط طيب في خدمة الثورة الفلسطينية، إلى جانب إخوانه. وقد انتقل إلى بيروت بعد أيام قضاها في دمشق، ليكون على مقربة من قيادة الحركة الوطنية وزعيمها الحاج أمين الحسيني. وقام بدور كبير في شرح القضية الفلسطينية، فصار يجتمع بالصحفيين الأجانب، ويكتب المقالات للصحف. وعلى الرغم من مخالفته الحاج أمين في أسلوب العمل، ألف، مع الوقت، أسلوبه، فالثورة عند الشقيري ضرورة قومية، ولا بد لها من قائد، وهو عنده الحاج أمين بلا منازع.

كان عام 1938 أجمل أيام عمره وأكثرها أحداثاً، فقد كان الثوار ينتقلون من نصر لآخر، فمضى يعمل في الميدانين السياسي والإعلامي بهمة ونشاط،



ويجتمع بقيادة الثورة، الذين كانوا يزورون بيروت أو دمشق لبعض شؤون الثورة، من أمثال عبد الرحيم الحاج محمد وأبي إبراهيم الكبير.

وآلم الشقيري أن يرى هذه الثورة الفلسطينية الكبرى - الرغم من نجاحها وانتصارها في الكثير من العمليات، مما دعا بريطانيا إلى التوقف عن تنفيذ خططها بتقسيم فلسطين، ودفعها إلى إرسال لجنة وود هيد\*، والدعوة إلى مؤتمر لندن\*\* - آلمه أن يرى هذه الثورة تؤول إلى ما آلت إليه، وتسلك طريق التصفيات والاغتيالات، التي راح ضحيتها الكثيرون، وكان من بينهم أخوه الطبيب أنور، فحزن عليه هو وأبوه كثيرا، ودار في نفسه صراع حاد بين ولاءه للثورة، وولائه لأسرته، التي كان رأسها، أي أبوه، خصماً من خصوم الحاج أمين الحسيني. لكن الشقيري - على الرغم من نكبته بأخيه - ظلّ مع الثورة، وتابع نشاطه، فسافر إلى تركيا موفداً من القيادة ليستطلع إمكان العون والتأييد هناك، وقد وقع عليه الاختيار في هذه المهمة لأن مصطفى كمال أتاتورك وعصمت إينينو صديقان لوالده. أمضى الشقيري في تركيا ثلاثة أسابيع، اتصل خلالها بالصحافة، واستعاد بعض ما فقدته من لغته التركية، وحاول الاتصال

---

\* أواخر نيسان/ إبريل 1938. وقد أشارت في تقريرها إلى العقوبات التي تعترض تنفيذ مشروع التقسيم، مما دفع الحكومة البريطانية إلى التخلي عن المشروع في 9 / 11 / 1938.

\*\* عقد في قصر سان جيمس في 7 / 12 / 1939 بحضور ممثلين عن الدول العربية المجاورة وممثلين عن عرب فلسطين من جهة وممثلين عن الوكالة اليهودية من جهة أخرى. وقد استمر المؤتمر بضعة أسابيع دون الوصول إلى نتيجة.

بالمسؤولين، لكنه أخفق في مهمته، ولم يجد آذاناً صاغية، فسارع بالعودة إلى بيروت، حيث كان النشاط السياسي على أشده، استعداداً لمؤتمر لندن. وتوالت الاجتماعات، وانتهت إلى موافقة الزعماء الفلسطينيين على حضور المؤتمر، على أن يكون الحاج أمين رئيساً اسماً للوفد الفلسطيني، دون أن يحضر المؤتمر. وقد اشترك الشقيري في إعداد المذكرات والدراسات التي سيجملها الوفد إلى لندن، وأعدّ دراسة مستفيضة لمراسلات الحسين-مكماهون. وظلّ الشقيري في بيروت إلى جانب الحاج أمين، يساعد في تزويد الوفد في لندن بكل ما يطلبه من نصائح ووثائق.

لم يكن الشقيري عضواً في اللجنة العربية العليا، لكنه كان يحضر اجتماعاتها المهمة. وقد هيأ دراسة وافية عن الكتاب الأبيض\* الذي أصدرته بريطانيا في 17/5/1939، واختلف حوله الزعماء الفلسطينيون، ومال الشقيري في دراسته إلى ترجيح قبول هذا الكتاب، على الرغم من معارضة الحاج أمين له. بيد أن الكتاب الأبيض هذا ذهب طيّ النسيان مع مجيء

---

\* صدر بعد فشل مؤتمر لندن لوضع خطة السياسة البريطانية المقبلة، على أساس إقامة دولة فلسطينية مستقلة خلال فترة انتقال مدتها عشر سنوات، مع تحديد الهجرة وتقييد انتقال الأراضي. وقد رفضه العرب لأنه لم يحدد موعداً لنهاية فترة الانتقال، وجعل القرار النهائي لبريطانيا، وعلى أساس نشوء علاقات طيبة بين العرب واليهود.

الحرب العالمية الثانية، بعد أن رفضته اللجنة العربية العليا، ولجنة الانتداب في عصبة الأمم، والمؤتمر الصهيوني.

مع نشوب الحرب العالمية الثانية طلبت السلطات الفرنسية من اللاجئين الفلسطينيين مغادرة لبنان، فعزم الشقيري على الإقامة في القاهرة بسبب يسر الحياة فيها، فقد كادت مدخراته آنذاك تنفد، حتى انه صار يقرأ الصحف في بيروت بالأجرة.

سكن الشقيري في القاهرة مع رشيد الحاج إبراهيم، وعلى عادته لم يتقاض راتباً، وأمضى بضعة أشهر يواصل النشاط على قدر ما تسمح له به الظروف، وكان يتردد على مكتب أسعد داغر في جريدة الأهرام، ويلتقي هناك عدداً من المصريين والسوريين واللبنانيين، وكان من بين من عرفهم آنذاك عبد الرحمن عزّام.

في هذه الفترة توقفت الثورة في فلسطين، أو كادت تتوقف. ومات أبوه في شهر شباط سنة 1940، فسمحت له السلطات البريطانية بالعودة إلى فلسطين. وقد عاد إلى مكتبه بعد أربع سنين من البعد خالي الوفاض. وقد غرق في بحر المحاماة إلى شحمتي أذنيه، وكبر أجره، وتدفقت الخيرات عليه، وانفجرت أزمته المالية.

وكان الشقيري، كغيره من أبناء فلسطين، مشغولاً بأخبار الحرب، ميالاً إلى الألمان ودول المحور نكاية بالإنكليز. ودعا الشباب إلى عدم الانخراط في القوة الفلسطينية، التي سعى الإنكليز إلى إنشائها لمساعدتهم في الحرب. وقد لمس الخوف والقلق، اللذين ظهرا على الإنكليز واليهود مع اقتراب رومل من الإسكندرية. لكن الهزائم بدأت تلحق بالجيش الألمانية، ونشط الصهليون يطالبون بفتح باب الهجرة إلى فلسطين، فأخذ الخوف يملأ نفوس العرب. وكان الشقيري يجمع قصاصات الصحف الصهيونية والبريطانية، ويجتمع مع أمثاله من الشبان المثقفين من حين لآخر، يترجم ويشرح، ويتناقش وإياهم في أخبار العدو. وقد اقترح في أحد هذه الاجتماعات، وكان في بيت رشيد الحاج إبراهيم في حيفا، قيام قيادة للشعب الفلسطيني تتمثل فيها جميع العناصر الوطنية، لأن قيادته السابقة غائبة خارج البلاد. وقد عارض الاقتراح أنصار الحاج أمين الحسيني. ثم اتفقت الكلمة على أن يتصل رشيد الحاج إبراهيم برجال الأحزاب لإنشاء هيئة تتولى قيادة الحركة الوطنية لأن المرحلة خطيرة لا تنتظر التأجيل.

وفي حين كان الجدل على أشده، جاء من خارج فلسطين خبر اتفاق زعماء العرب على عقد اجتماع تحضيرى في الإسكندرية لدراسة إنشاء جامعة الدول العربية، ولوضع أسس الوحدة العربية. وقد اهتم شعب فلسطين بذلك اهتماماً كبيراً، بسبب الفراغ الوطني الذي كان يعيشه. وتساءل أبنائه عن موقعهم من هذا الاجتماع. واجتمع رجال الحركة الوطنية الفلسطينية - وفيهم

الشقيري- في بيت أحمد حلمي باشا، لدراسة موضوع تمثيل عرب فلسطين. واتفقوا- بعد خلاف- على اختيار موسى العلمي مندوباً عن الأحزاب الفلسطينية لهذه المهمة.

عرض موسى العلمي على الشقيري أن يسافر معه إلى الإسكندرية في أواخر أيلول / سبتمبر 1944، فاعتذر الشقيري عن عدم الذهاب، لكنه قدّم للعلمي مذكرة تشرح تطورات القضية، وقدم له أيضاً جميع ملفاته التي أعدها من قبل عن النشاط الصهيوني والهجرة والمنظمات الصهيونية. ثم توالى اجتماعات الشقيري وموسى العلمي عامي 1944 و 1945، يخططان ويعقدان الندوات والاجتماعات لبعث الحركة الوطنية من جديد.

ولما ولدت الجامعة العربية في 22 / 3 / 1945، كان الشقيري في القاهرة على مقربة من الاجتماعات\*. وجاءه موسى العلمي يعرض عليه السفر إلى واشنطن لتأسيس مكتب عربي هناك بناء على توصيات مجلس جامعة الدول العربية. وقد اقنع العلمي الشقيري بقبول المهمة، بعد أن تبيّن له انها مهمة محدودة لأشهر لكي يؤسس فيها المكتب. وعاد الشقيري إلى عكا من القاهرة ليستعد للسفر إلى أمريكا.

---

\* ممثلاً شخصياً للرئيس السوري شكري القوتلي في هذه الاجتماعات.

بدأت الرحلة إلى أمريكا بالطائرة في 26 / 7 / 1945، ورافق الشقيري فيها زملاؤه في العمل خلوصي الخيري وعوني الدجاني وعمر أبو خضرا، ووصلوا إلى نيويورك مساء 3 / 8 / 1945. وقد أخذ الشقيري يتصل هاتفياً بالمفوضين العرب في واشنطن، وزار عدداً منهم ممن كانوا يجيئون إلى نيويورك، كذلك زاره في الفندق بعض الأمريكيين من أصل عربي، وكان الشقيري ورفاقه يشرحون للجميع مهمتهم ويطلبون منهم المساعدة والعون.

حضر الشقيري في أواخر شهر آب/ أغسطس احتفالاً أقيم في فندق والدورف استوريا لتكريم المستر دودج عميد الجامعة الأميركية في بيروت. وتكلم عدد من المثقفين العرب، ودُعي الشقيري للكلام، فكان كلامه قاسياً أحال الحفلة إلى جو قاتم، وأثار موجات من التشاؤم بما كشف من حقائق القضية الفلسطينية والأخطار المقبلة. وقد شهد الشقيري، في أيامه الأولى في أمريكا، قوة السيطرة الصهيونية التي تجعل الأمريكيين، يخشونها وينجرفون مع تيارها. وشهد إحدى جلسات الكونغرس الأمريكي في واشنطن، وعجب للفوضى فيها، ورأى كيف تصنع قرارات السياسة الأمريكية. وبعد مضي شهر تقريباً سافر إلى واشنطن لإنشاء المكتب هناك.

بدأ العمل في المكتب العربي في نهاية شهر أيلول/ سبتمبر 1945 وعقد الشقيري مؤتمراً صحفياً لمناسبة افتتاح المكتب، وألقى في بدايته بياناً، ثم أخذ يتلقى أسئلة الصحفيين الكثيرة، وكان معظمهم من اليهود، الذين تعمدوا

إجراجه . وقد حجبت الصحف أخبار المؤتمر، كما أهملت فيما بعد نشرات المكتب التي كان يصدرها، ويرسلها إلى جميع الصحف والإذاعات، فقد كانت وسائل الإعلام كلها تقريباً واقعة تحت السيطرة الصهيونية.

قدم الشقيري في منتصف شهر تشرين الثاني / نوفمبر 1945 إلى نيويورك لإلقاء كلمة بالعربية في الإذاعة، موجهة إلى المهاجرين العرب. وقد زاره عدد منهم، ورأى فيهم الحماسة والنخوة والعواطف الجياشة والإقبال على التبرع، فكان ذلك عنده كنزاً يجب أن يدخر للملمات. واشترك في الشهر نفسه في مساجلة من إذاعة نيويورك مع القس وندل فيلبس الموالي للصهيونية، حول القضية الفلسطينية.

رجع الشقيري في 1945/11/29 إلى فلسطين بالباخرة، وزار أسرته في عكا، وعاد في مطلع 1946 يحزم حقائبه ثانية للسفر إلى القدس.

كان عام 1946 عاماً جديداً متميزاً في القضية الفلسطينية، نشط فيه الصهليون بعد أن تقرر إيفاد لجنة التحقيق الأنكلو - أمريكية. وقد عقد العرب الاجتماعات الوطنية، واجمع زعمائهم على عدم مقاطعة لجنة التحقيق، واتفقوا على أن تعرض اللجنة العربية العليا القضية بشكل عام أمام لجنة التحقيق، وعلى أن يقوم المكتب العربي بعرض الجوانب التفصيلية التخصصية.

اجتمع الشقيري وزملاؤه في المكتب العربي في القدس مراراً، يتشاورون ويراجعون التقارير والوثائق، وأعدوا ملفاً ضخماً مبوباً ومفهرساً للقضية الفلسطينية باللغة الإنكليزية. وقد بدأت اللجنة الأنكلو - أمريكية عملها في القدس في شهر شباط / فبراير 1946، واستمعت إلى زعماء الصهيونية. ثم اجتمعت في جمعية الشبان المسيحية للاستماع إلى العرب . وبعد أن قدّم جمال الحسيني وعوني عبد الهادي عرض اللجنة العربية للقضية، قدّم المكتب العربي الملف الذي أعدّه. وأدلى الشقيري ببيان تفصيلي، رفض فيه أن يكون للجنة الحق في تقرير مصير الشعب الفلسطيني، وبين أن القصد من المثل أمامها هو إفهام الرأي العام العالمي فقط بعدالة القضية الفلسطينية ، وقد دار بينه وبين اللجنة نقاش وجدل حادان، وقف فيه الشقيري، كعادته، صلباً، قوي الحجة، سريع البديهة، واضح البيان.

وكان الشقيري في القاهرة يوم أ صدرت اللجنة الأنكلو - أمريكية تقريرها (نيسان/ إبريل 1946)، متجاوزة الحق العربي، موصية بإدخال مائة ألف يهودي مهاجر إلى فلسطين فوراً، وبإطلاق الهجرة اليهودية، وبإلغاء القيود على ملكية الأراضي، وبوضع فلسطين تحت الوصاية مدة طويلة إلى أن يكثر عدد اليهود فيها. وكان ذلك كله نسفاً للكتاب الأبيض سنة 1939.

عاد الشقيري إلى القدس في أوائل أيار / مايو 1946، فوجد الشعب العربي الفلسطيني في هياج، على حين كانت الأعمال الإرهابية الصهيونية



على أشدّها. واجتمع إلى أعضاء المكتب العربي في القدس وإلى عدد من العاملين في الحقل الوطني، وتدارسوا الأمر، وانتهوا إلى أنه لا بدّ من الكفاح المسلح، ولا بدّ من دعم الدول العربية لهذا الكفاح. وقد دعا الشقيري مراسلي الصحف الفلسطينية والعربية إلى المكتب العربي، واتفقوا على القيام بحملة صحفية تدعو للكفاح المسلح، ولإنشاء لجان طوارئ في البلاد.

ولما تنادى الملوك والرؤساء العرب إلى عقد مؤتمر في أشخاص (قرب القاهرة) في 28/5/1946 بشأن إنشاء جامعة للدول العربية، طلب الرئيس السوري شكري القوتلي من أحمد الشقيري أن يوافيه إلى القاهرة، ليكون إلى جانبه يستشيريه في شؤون القضية الفلسطينية. وقد اطلعه الرئيس القوتلي على الفقرة المتعلقة بقضية فلسطين في البيان الختامي لمؤتمر أشخاص قبل نشره، فاعترض الشقيري على نصّها، وبّين جوانب الضعف فيها<sup>\*</sup>، لكن الرئيس القوتلي صارحه بأنها الصيغة، التي أجمع عليها المؤتمر، وإنهم لا يوافقون على أن يشار في البيان إلى دور الاتحاد السوفييتي كما يرى الشقيري.

وفي 8/6/1946 انعقد مجلس جامعة الدول العربية في بلودان (في سورية)، وحضر اجتماعات المجلس وفد فلسطيني ترأسه جمال الحسيني، وكان فيه الشقيري. وقد اعتذر الشقيري عن الاشتراك في عضوية الهيئة العربية العليا

---

<sup>\*</sup>اعترض الشقيري على قصر البيان على ذكر الدولتين (الصديقتين) بريطانيا والولايات المتحدة وتجاهل الاتحاد السوفييتي. كذلك اعترض على عدم الإشارة إلى مسألة البترول.

التي ألفها مؤتمر بلودان من الفريقين الفلسطينيين المتناحرين، وعاد إلى فلسطين، مؤثراً العمل في الحقل الوطني مستقلاً.

تابع الشقيري نشاطه في المكتب العربي في القدس، في الوقت الذي أخذ فيه الإرهاب الصهيوني يزداد ويتسع في جميع أرجاء فلسطين، ومن ذلك حادث تفجير فندق الملك داود في القدس في 17/6/1946 القريب من المكتب العربي. وقد التقى الشقيري بجمال الحسيني وموسى العلمي، وتدارسوا الأوضاع القائمة، وارتأوا السفر إلى الأقطار العربية لطلب العون، بعد أن طال انتظار المدد العربي. وسافر ثلاثتهم بعد يومين إلى الرياض، والتقوا بالملك عبد العزيز آل سعود، ومن هناك اتجهوا إلى بغداد. ثم اتجه الشقيري وحده إلى دمشق لتأمين نقل السلاح من العراق عبر الحدود السورية.

وقد كلف الشقيري التوجه إلى القاهرة للاستزادة من العون. ولما وصلها كان الحاج أمين الحسيني قد عاد من ألمانيا في رحلة مثيرة، وحلّ ضيفاً على الملك فاروق في قصر المنتزه. وزاره الشقيري، وامتد الحديث بينهما طويلاً وشكر له المفتي دفاعه عنه في أمريكا عندما طالبت الصهيونية بتسليمه إلى الحلفاء. وقد شرح الشقيري للمفتي مسألة تنظيم الشعب الفلسطيني وتسليحه، وما تمّ في بغداد ودمشق والرياض، وأكدّ له أن الشعب الفلسطيني مجمع على زعامته. وحاول الشقيري جهده أن يزيل مخاوف الحاج أمين من موسى العلمي ومن مساندة بعض الدول العربية له في المشروع الإنشائي والمكاتب العربية

رغبة منها في انتزاع الزعامة من المفتي. وقد دافع الشقيري عن العلمي أمام المفتي، وهياً لقاء بين الرجلين، لكنه أخفق، فيما بعد، هو وجميع الفلسطينيين الموجودين في القاهرة في التوفيق بين الرجلين ، وقد ساء الشقيري هذا الأمر وغيره ، فعقد العزم على أن يتمتع عن النشاط العام حتى تبدو في الأفق بوادر الجدية على الصعيد العربي ، ومعالم الوحدة الوطنية على الصعيد الفلسطيني.

ظلّ الشقيري في القاهرة أسابيع ، إلى أن اجتمع مجلس جامعة الدول العربي في تشرين الأول /أكتوبر 1946 ، وكان على اتصال بالوفود ، ولا سيما الوفد السوري . وقد عاد إلى فلسطين بعد أن كتب له إخوانه يطلبون عودته بسبب الفراغ الوطني داخل فلسطين، ووجود القيادة الفلسطينية في القاهرة الى جوار المفتي . وتواترت الأخبار عن عزم بريطانيا طرح القضية الفلسطينية أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة ، وعن تشكيل لجنة تحقيق دولية . وقد اجتمع مجلس الجامعة العربية في هذا الجو ، في أوائل آذار /مارس 1947، وحضر الشقيري الجلسات مستشاراً للوفد السوري،وقدم للوفد السوري مذكرات قانونية أعدّها حول حق تقرير المصير .

انعقدت الجمعية العامة للأمم المتحدة في 1947/4/28 في دورة غير عادية للنظر في القضية الفلسطينية بطلب من بريطانيا ، وصدر قرار بإنشاء لجنة تحقيق دولية من أحد عشر عضواً. وقد وصلت اللجنة إلى فلسطين في 1947/6/17 فأضربت البلاد ، واجتمعت إلى ممثلي الصهيونيين ، ثم سافرت

إلى صوفر في لبنان حيث اجتمعت إلى ممثلي الحكومات العربية . وكان الشقيري في أثناء ذلك كله يتابع خيوط المؤامرة التي أخذت طريقها نحو الاكتمال . وانضم مستشاراً إلى الوفد السوري في اجتماعات مجلس الجامعة العربية الذي عقد في عاليه من 7-15/10/1974 . وفي هذه الاجتماعات اتخذت عدة قرارات، وتألّفت لجنة عسكرية ، على حين كان أبناء فلسطين يبحثون عن السلاح في كل مكان . وقد انتقل الشقيري الى دمشق ، والتقى بالحاج أمين الذي لم يكن راضياً عما قرره مجلس الجامعة، فحاول الشقيري إقناعه بالتعاون مع اللجنة العسكرية لكن محاولته باءت بالإخفاق.

ظلّ الشقيري في دمشق ، وفي مكتب خصص له في وزارة الخارجية السورية ، يتابع الأحداث العربية والدولية ، ويصوغ التقارير للمسؤولين في الحكومة السورية . وقد أشار في تقاريره بالاتصال بالاتحاد السوفييتي للحصول للحكومة السورية . وقد أشار في تقاريره إلى الاتصال بالاتحاد السوفييتي للحصول على تأييده أو حياذه على لأقل في وجه المؤامرة التي تحاك خيوطها، والضغط التي تمارسها الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا. لكن المؤامرة كانت قد اكتملت ونضجت فصدر قرار التقسيم المشؤوم رقم 181 في 29/11/1947، فكان يوم صدوره يوم حداد عام في العالم العربي.

تتابعت الأحداث، وساد جو الحرب، وافتتحت مكاتب التطوع، وجمعت الأموال وعقدت إجتماعات،. وكان الشقيري مع الوفد السوري في اجتماعات

مجلس الجامعة العربية الذي عقد وسط هذه الأجواء، يحمل حقيته الملقى بالملفات والمذكرات والدراسات. وقد رأى عن قرب سياسة المزادوات والتصريحات الجوفاء، والجدل العقيم، والخلافات القاتلة والافتقار إلى الأجهزة المناسبة والعمل الجاد.. واشترك مع مستشار الجامعة عبد المنعم مصطفى في صياغة المذكرة التي بعثت بها الجامعة العربية إلى الأمم المتحدة لشرح أسباب التدخل العسكري، وكان فيما تلا ذلك، يتردد بين دمشق وعمان والقاهرة، يلتقي بأمين الجامعة عبد الرحمن عزام (باشا)، وشهد تطور الأحداث التي انتهت إلى قبول قرار مجلس الأمن بوقف إطلاق النار وتوقيع الهدنة الأولى\*.

كان الشقيري في الوفد الذي اختارته الجامعة العربية\*\* لشرح وجهة النظر العربية للوسيط الدولي الكونت برنادوت في رودس، بعد توقف القتال في 11 حزيران/ يونيو 1948، وكان الناطق باسم الوفد فسرر المطالب الوطنية ورفض الاجتماع باليهود. ولما انعقدت الجمعية العامة للأمم المتحدة في قصر شايبه في باريس خريف 1948 بعد مقتل الكونت برنادوت (1948/9/17)، اشترك في الدورة وفد فلسطين الذي تألف من الشقيري ومن السيدين هنري كتن

---

\* بدءاً من صباح 1948/6/11، ولمدة أربعة أسابيع، بقصد تمكين الوسيط الدولي من تقديم اقتراحاته لحل المشكلة.

\*\* تألف الوفد من عبد المنعم مصطفى مستشار الجامعة العربية، ومحمد الجليلي من وزارة الخارجية العراقية، وهنري كتن المحامي الفلسطيني، ومن الشقيري مستشار الحكومة السورية. ودامت مداوالات رودس مع الوسيط الدولي أسبوعاً.

ويعقوب خوري، وقد علّمته حادثة مقتل برنادوت وتباكي وفود الدول عليه، ثمّ نسيانه، درساً في أولويات القواعد الدولية، وهو أن الأقوى هو الأبقى.

بذل الشقيري جهداً كبيراً في إعداد البيانات والخطب، وكان يجلس إلى يمينه موشي شرتوك ممثل الصهيونيين، الذي رد على الشقيري واتهمه بالنازية والعمل مع المفتي. وقد اختلفت الوفود العربية حول تقرير برنادوت\* وجدواه، ولم يعرفوا الموقف الذي يجب أن يتخذوه منه، لأنهم كانوا يجهلون واقع الموقف العربي العسكري على أرض المعارك. لهذا كلف الشقيري بالسفر السريع إلى القاهرة ليعرض على مجلس جامعة الدول العربية الأمر. وعلى الرغم من ميل بعض الدول العربية إلى تأييد مشروع برنادوت، قرر مجلس الجامعة رفض المشروع، ورفض مشروع التقسيم، والتمسك بعروبة فلسطين. وقد عاد الشقيري إلى باريس يحمل قرار الجامعة العربية، في حين كانت القوات الصهيونية تهاجم المواقع المصرية في النقب، وتضع الأمم

---

\* تضمنت مقترحات برنادوت أن يقوم اتحاد عربي يهودي في فلسطين وشرقي الأردن، علي أن يكون كل عضو في هذا الاتحاد مستقلاً في شؤونه الإدارية الداخلية والخارجية، بحيث يُضم القسم العربي من فلسطين مع النقب أو مع جزء منه، ومدينة القدس إلى الأردن، وإن يُضم بالمقابل الجليل إلى القسم اليهودي. وعلى أن يكون لليهود في القدس بلدية مستقلة ذاتياً، وأن يُعد ميناء حيفا ميناء حراً، ومطار اللد منطقة حرة، وعلى أن يعترف بحقوق سكان فلسطين العرب الذين هاجروا، ويكون لهم حق العودة، وعلى أن تتخذ التدابير لحماية الأماكن المقدسة.

المتحدة أمام الأمر الواقع. وأخذت قرارات مجلس الأمن بوقف القتال والعودة إلى الخطوط السابقة تتتالي بلا فائدة.

ثم صدر قرار الأمم المتحدة في 11/12/1948 بتعيين لجنة التوفيق\* . وقد حضر الشقيري اجتماعها مع الوفود العربية في فندق سان جورج ببيروت مستشاراً للوفد السوري، وألقى بياناً مطولاً، ركز فيه على حق اللاجئين الفلسطينيين في العودة من دون شرط، وناقش اللجنة في ذلك مناقشة قانونية وإفية. ثم اقترحت اللجنة بحث القضايا التفصيلية في مكان محايد هو لوزان، فقبلت الوفود العربية.

أحس الشقيري أن المسألة طويلة، ولا بد له من الاستقرار، فانتقل إلى القاهرة، وهياً لنفسه منزلاً هناك. لكنه سرعان ما طلبته سورية ببرقية عاجلة، ودعته للسفر إلى لوزان، والالتحاق بالوفد السوري إلى لجنة التوفيق الدولية.

---

\* من ثلاثة أعضاء تقوم بالأعمال التي أنيطت بالوسيط الدولي وتنمي الصلات الحسنة بين إسرائيل وعرب فلسطين في الدول العربية.

انتهت الاجتماعات إلى وضع صيغة نهائية لما سُمي (بروتوكول لوزان)\*\* وقد أحرزت الشقيري هذه النهاية التي لا تقدم جديداً، وأثارة الموقف العربي الضعيف، وما كان يُقدم من تنازلات متتالية. وقد سافر إلى ((ليك سكس)) ليحضر دورة الأمم المتحدة عام 1949. وبذل جهده في كل مكان، وكان يجتمع إلى الوفود، ويسعى مع اللجان، ولا سيما اللجنة القانونية في الأمم المتحدة. لكن هيهات أن يجدي ذلك كله نفعاً. لقد بدأ يدرك جوهر الأمم المتحدة، فهي لعبة بيد الدول الكبرى عند اتخاذ القرارات والتنفيذ، ولا مكان فيها للعواطف.

عاد الشقيري إلى دمشق من أمريكا أواخر عام 1949 وقدم تقريراً إلى الحكومة السورية. وأخذ يستقبل وفود اللاجئين الغاضبة المتسائلة عما سيؤول إليه المصير وهولا يقدر على شيء سوى شرح الجهود المبذولة في الأمم المتحدة. ثم صدر إليه الأمر في ربيع عام 1950 بالسفر إلى سويسرا لتمثيل سورية أمام لجنة التوفيق الدولية التي استأنفت عملها، في مجلس الوصاية الذي

---

\*\* وضع البروتوكول في 12/5/1949، وقبلت على أثره إسرائيل في الأمم المتحدة . وينص البروتوكول على قبول الحدود المقررة في قرار التقسيم مع بعض التعديلات التي تفرضها الاعتبارات الفنية وعلى تنويع القدس، وعلى عودة اللاجئين وحقوقهم في التصرف بأموالهم وأموالهم، والتعويض على من لا يرغب في العودة منهم.



عقد في جنيف لوضع مشروع دستور منطقة القدس\*. وقد امتدت الاجتماعات شهوراً، انتهت في مجلس الوصاية بإصدار مشروع الدستور، لكن العمل أمام لجنة التوفيق كان يدور في حلقة مفرغة، لم ينتج عنه سوى (تجميع بعض العائلات) والإفراج عن الأرصد المجمدة.

عين الشقيري في 2/2/ 1951 أميناً عاماً مساعداً لجامعة الدول العربية وجاء تعيينه حلاً مرضياً لجميع الدول العربية. فقد كانت كل واحدة تريد الأمين المساعد منها. لكن سورية اشترطت أن يظل الشقيري معاراً للعمل في الوفد السوري في الأمم المتحدة\*. وبهذه الصفة سافر إلى دورة الأمم المتحدة التي عقدت في قصر شاويه في باريس خريف 1951. وكان نائباً لرئيس الوفد السوري فارس الخوري الذي فوضه العمل والرأي والمشورة، مما ضاعف عزمه وحماسه، فانبرى يشرح القضية أمام اللجنة السياسية، ويحلل تقرير لجنة التوفيق، ويفضح ادعاءات الإسرائيليين. وقد انتهت الدورة باتخاذ قرار يلزم (إسرائيل) لأول مرة وخلافاً لرغبة أمريكا، بتنفيذ قرارات الأمم المتحدة.

---

\* في خريف 1949 أيدت الجمعية العامة للأمم المتحدة تقارير لجنة التوفيق بتدويل القدس، وحماية الأماكن المقدسة، على أن يعهد إلى هيئة الأمم المتحدة إدارة شؤون 1/12/1949، وانتهى من وضع الدستور في 4/4/1950.

\* استمر هذا الترتيب حتى عام 1957، حينما وافقت سورية على (إعادة) الشقيري للمملكة العربية السعودية.

دعا فاضل الجمالي، رئيس الوفد العراقي، الشقيري إلى تناول الغداء مع نوري السعيد الذي وصل إلى باريس في طريقه إلى لندن. وقد عرض عليه نوري السعيد إنقاذ ما يمكن إنقاذه، وإن يدرس مع البريطانيين إمكان العودة إلى قرار التقسيم. لكن الشقيري كان يدرك أن الصهيونيين لن يقبلوا ذلك.

وكانت هذه الدورة للأمم المتحدة حافلة بالمعارك التي تولى الشقيري أمرها، فقد عرضت فيها قضية السودان، ومسألة تقرير مصيره بالاستقلال أو بالاتحاد مع مصر، والقضية الجزائرية، والقضية التونسية، والقضية الليبية، والقضية المراكشية. وكان الشقيري في مختلف هذه القضايا جريئاً، قوي الحجّة، يتكلم ويناقش، وهو الذي لا وطن له، نيابة عن الوفود العربية الأخرى، حتى عدّه فارس الخوري نجم الدورة. وقد عاد من باريس ماراً بإسبانيا في رحلة ذكرته بمآثر العرب وأيقظت في نفسه أمجاد الماضي.

كان عام 1952 حافلاً بالأحداث العربية والدولية، وقد عاشها الشقيري بحكم عمله أميناً مساعداً لجامعة الدول العربية، ورئيساً للوفد السوري في الأمم المتحدة. ورأى المد الثوري في سورية ومصر تدفعه قضية فلسطين وتغذيه. واستدعاه الرئيس أديب الشيشكلي إلى دمشق، وعرض عليه منصب وزير الخارجية في حكومته. لكن الشقيري اعتذر عن قبول هذا المنصب.

أمضى الشقيري صيف ذلك العام في لبنان، حيث وصلت أخبار الثورة المصرية. فاستدعاه عبد الرحمن عزام إلى القاهرة ليكون إلى جانبه. وقد شنت مصر حملة مركزة على الأمين العام عبد الرحمن عزام، انتهت باستقالته، وجرت بين الشقيري ورجال الثورة المصرية مشاورات حول الأمين العام الجديد الذي كان يجب أن يكون مصرياً، ومشاورات حول أوضاع الجامعة العربية وميثاقها. واختير للمنصب السيد عبد الخالق حسونة، وطلب المصريون من الشقيري معاونته، لأن خبرته في القضايا العربية محدودة.

تكررت لقاءات الشقيري بقيادة الحكم الجديد في مصر، واجتماعاته بهم في مختلف المناسبات. وكان يدعوهم دائماً أن ينقلوا روح الثورة إلى داخل الجامعة العربية، وأن تعمل مصر في سبيل تطويرها، وأن تقوم بدورها التاريخي في حياة الأمة العربية وقضاياها. وقد طلب منه الرئيس محمد نجيب إعداد مذكرة وافية عن الجامعة العربية، وعما يقترحه لإصلاح ميثاقها وأجهزتها. وكان الشقيري، إلى ذلك الحين، لم يقابل جمال عبد الناصر إلا لقاءات عابرة في أثناء بعض الاحتفالات.

سافر الشقيري إلى أمريكا لحضور دورة الأمم المتحدة عام 1952. وكانت قضية فلسطين تواجهه، آنذاك، أكبر خطر يتهدها بعد التقسيم، فقد وجدت إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية أن العرب مشغولون بأمورهم الداخلية، وأن الفرصة مناسبة لتسوية القضية نهائياً وعلى أساس الأمر الواقع، بسبب حاجة

النظم الجديدة إلى الاعتراف الدبلوماسي وإلى الدعم الاقتصادي. لذلك رأت أمريكا أن التنمية الاقتصادية في المشرق العربي خير حل لاستيعاب اللاجئين، فدعمت وكالة غوث اللاجئين وأوفدت بعثة كلاب\* لدراسة المشروعات التي تؤدي إلى توطين اللاجئين، وأخذت أجهزة الإعلام الأمريكية تتحدث عن السلام بين العرب وإسرائيل وعن المفاوضات المباشرة. وقد افتتح وزير الخارجية الإسرائيلي أبا ابيان المناقشة في الأمم المتحدة، وعرض الخطوط العريضة لمشروع السلام. وقد اتفقت الوفود العربية، وكانت على مستوى عال، على أن يتولى الشقيري الرد على خطاب إيبان. وكان ملفاته جاهزة، ومراجعته متوافرة، وهي جهد بضعه عشر عاماً من العمل في الميدان الوطني.

شرح الشقيري، خلال الأيام الخمسة التي دامت فيها المناقشات، أساليب التضليل في الدعاية الصهيونية، والمؤامرة منذ وعد بلفور، وتحدث عن سنوات الانتداب وثورات الشعب الفلسطيني، وتناول موضوع التقسيم وما نتج عنه من

---

\*نسبة إلى رئيسها الأمريكي غوردون كلاب. وأعضاؤها من فرنسا وتركيا وإنكلترا. وهي لجنة فنية في نطاق لجنة التوفيق، غايتها حل مشكلة اللاجئين على أسس اقتصادية، عن طريق دراسة الأوضاع الاقتصادية في البلدان التي تأثرت بالقتال ووضع برامج مساعدات اقتصادية ومشاريع تعمير لدمج اللاجئين في حياة البلدان الاقتصادية.

تشريد الشعب الفلسطيني، ثم فند أخيراً مشروع أبا اييان\*\* . وقد اعتمد في ذلك كله على مصادر ومراجع بريطانية ويهودية ، لذلك كان رد إيبان عليه باهتا .

وتأجلت الجلسات ، وطبخ الأمريكان مشروع قرار يقترح مناشدة الفريقين الدخول في مفاوضات مباشرة\* ، وفاز هذا القرار بالأغلبية في اللجنة السياسية، فدرس العرب الموقف ، ووجدوا أن الحل لن يكون إلا عند الاتحاد السوفييتي حتى لا يفوز القرار بأغلبية الثلثين في الجمعية العامة . وذهب الشقيري إلى مكتب الوفد السوفييتي ، وتحدث مع رئيسه فيشنسكي . فكان من نتيجة ذلك إخفاق القرار في الجمعية العامة، لأن الاتحاد السوفييتي ، وجميع الدول الاشتراكية صوتت ضده . فانبرى الشقيري يشكر، من على منبر الأمم المتحدة ، الاتحاد،السوفييتي و يدين الدول الغربية، في حين كان كثيرون من أعضاء الوفود العربية في خوف من مغامرة الشقيري .

كانت الثورة أوائل الخمسينيات، تتفجر في اقطار المغرب العربي، بيد أن موقف الجامعة العربية كان ضعيفاً لا يتعدى الموااساة ترسلها إلى شعوب المغرب العربي من حين إلى حين . حتى إن الجامعة اكتفت بعرض قضية الجزائر أمام لجنة حقوق الإنسان في الأمم المتحدة، لا أمام الجمعية العامة مثلما فعلت بقضيّتي تونس ومراكش . وقد ترأس الشقيري الوفد السوري إلى

---

\*\* جمعت سورية الخطب ونشرتها بالإنكليزية في كتاب.

\* وهو ما عرف بمشروع الثمانية.

الأمم المتحدة في خريف 1953، وكان على عادته جريئاً، فضم إلى الوفد الباهي الأدغم من تونس وأحمد بلا فريج من المغرب على أنهما مستشاران، حتى يمكنهما من حضور الدورة من مقاعد الوفود. وقد أثار ذلك احتجاج المندوب الفرنسي، بلا جدوى. وانبرى له الشقيري يفند حجج الفرنسيين ويهاجم استعمارهم للشمال الإفريقي.

التقى الشقيري في هذه الدورة بوزير خارجية الاتحاد السوفييتي مولوتوف، وحادثه طويلاً عن الأوضاع العربية والأهداف الاستعمارية لقيام إسرائيل، وطلب منه، باسم الحكومة السورية، تزويد سورية بالأسلحة، فكانت تلك أول خطوة عربية لطلب السلاح من روسيا.

وقد ألم الشقيري أن يرى قضية فلسطين تتراجع وتتقلص إلى حدود قضية إغاثة اللاجئين. وعرج في طريق عودته من أمريكا على روما والتقى بالبابا يطلب منه السعي عند الدول الكاثوليكية لمناصرة قضية الأماكن المقدسة، فوعده البابا ذلك، ومنحه وساماً.

في عام 1954 استدعت الحكومة الليبية الشقيري لتقف على رأيه القانوني في موضوع الممتلكات الإيطالية في ليبيا بعد أن نالت استقلالها، وكان الشقيري عارفاً بقضية ليبيا، إذ واكبها منذ عام 1951. وقد قضى أياماً هناك، والتقى

الملك إدريس السنوسي، وشجعه على وضع اليد على هذه الأملاك، والاتفاق، فيما بعد، مع الحكومة الإيطالية بشأن التعويضات.

وما أن عاد إلى القاهرة وإلى ملفات الجامعة العربية حتى وصلتته رسالة من سفير الأردن في إسبانيا، ترجوه السفر إلى مدريد ومقابلة فرانكو لأن الفرصة مواتية لكسب دعم إسبانيا لشعب مراكش ضد فرنسا. وقد عرض الأمر على الأمير عبد الكريم الخطابي، وعلى الرئيس المصري محمد نجيب الذي رحب بالفكرة، وحمله رسالة منه إلى فرانكو. وسافر الشقيري إلى مدريد، وقابل الرئيس الإسباني فرانكو، الذي عجب من أن يحمل فلسطيني رسالة من رئيس مصري، ثم نصحه فرانكو بالسفر إلى تطوان، ومقابلة الجنرال كارسيا فالينو المفوض بالسلطات الكاملة في الشؤون المغربية. وفي تطوان أمضى أربعة أيام، التقى فيها الجنرال، وباحثه في الأمر، والتقى الشعب المغربي الذي رحب به ترحيباً حاراً. لكن الحكومة الفرنسية بذلت جهوداً كبيرة في الضغط على إسبانيا، فأخفقت مهمته، وعاد إلى مدريد، ومنها إلى القاهرة.

استدعى وزير الخارجية السورية، خالد العظم، الشقيري إلى دمشق ليعد العدة لمؤتمر باندونغ الذي كان سيعقد في نيسان/إبريل 1955. فأبدى الشقيري استعداداً لتقديم كل عون، لكنه اعتذر عن عدم الذهاب. ثم عاد فوافق على السفر لما عرف محاولات بعض الدول الآسيوية معارضة إدراج قضية فلسطين في جدول أعمال مؤتمر باندونغ، وعزم على التصدي لهذه المحاولات.

تمثلت في مؤتمر باندونغ انقسامات العالم وكتلتيه الشرقية والغربية ، وتوسلت إسرائيل بشتى السبل كي لا تعرض قضية فلسطين في المؤتمر ، فاقترحت بعض الدول أن يقتصر جدول أعمال المؤتمر على المبادئ لا القضايا ، وكان ذلك يعني ألا تدرج قضية فلسطين في جدول الأعمال ، لذلك انبرى الشقيري للنقاش والرد على أصحاب هذا الاقتراح ، وعلى رأسهم نهرو ، وبين أن العرب جميعاً يريدون لهذه القضية المصيرية أن تطرح في المؤتمر . وحسم الأمر ببحث قضية فلسطين في لجنة تقرير المصير . واتخذ في المؤتمر قرار حول حق شعب فلسطين ، قريب من قرارات الأمم المتحدة . وكانت هناك لقاءات جانبية على هامش المؤتمر ، منها الوليمة التي أعدها الوفد الصيني للوفد السوري ، وفيه الشقيري ، وتعهد شو إن لاي بتأييد القضايا العربية ، وقضية فلسطين خاصة . وكان اللقاء في الوليمة بداية صداقة توطدت بين الشقيري ورئيس وزراء الصين .

سافر الشقيري خريف 1955 إلى الأمم المتحدة ليدافع عن قضية فلسطين وقضايا الجزائر وتونس ومراكش . وكانت قضية فلسطين قد هانت على الأمم المتحدة ، فأوكلت أمرها إلى اللجنة السياسية الخاصة ، تعالجها على أنها قضية لاجئين ، تناشد الأسرة الدولية إرسال الدواء والكساء والغذاء من أجلها . وهانت القضية أيضاً على أصحابها فما عاد يشترك في دورات الأمم المتحدة وزراء خارجية الدول العربية ، في حين كان وزراء خارجية إسرائيل لا يفترون



عن حضور الدورات، ولا ينفكون يتحدثون فيها. وقد حاول الشقيري مع زملائه المندوبين العرب تجديد شباب القضية، ونجحوا في تجاوز البند المدرج على جدول الأعمال، وهو (إغاثة اللاجئين) إلى بحث القضية الفلسطينية من مختلف جوانبها. وقد انتهاز مناسبة (يوم الأمم المتحدة) و(يوم حقوق الإنسان) فركز في خطابه على معناهما في خدمة القضية والرد على ادعاءات الإسرائيليين والأمريكيين. وقد قدم بتاريخ 1955/12/11 شكوى إلى مجلس الأمن، بصفته رئيس الوفد السوري، بسبب عدوان الصهيونيين على مخافر الجيش السوري شرقي بحيرة طبرية، وطلب، لأول مرة، تطبيق المادة السادسة من ميثاق الأمم المتحدة التي تنص على فصل الدولة من عضوية الأمم المتحدة إذا كانت تستمر في مخالفتها. لكن قدراته الخطابية والقانونية لم تنفع في إصدار القرار المطلوب، واكتفى كالعادة بالتنديد.

ترأس الشقيري في شهر أيار من عام 1957 بعثة الجامعة العربية التي زارت اليمن للتحقيق في اعتداءات بريطانيا على جنوب اليمن المحتل. ثم زارها ثانية\* لتقديم المشورة للإمام أحمد ملك اليمن في النزاع اليمني البريطاني، وفي ملاءمة عرضه على الأمم المتحدة.

---

\* وهو يعمل رئيساً للوفد السعودي في الأمم المتحدة.

دفعت قضية خليج العقبة\*، وهي من نتائج عدوان 1956، الملك سعود إلى استعارة الشقيري من سورية، ليكون ممثل السعودية في الأمم المتحدة. ولم يمنعه مركزه الجديد ممثلاً للسعودية من التصدي بعنف لوزراء خارجية أمريكا وإنكلترا وفرنسا الذين هاجموا القومية العربية، وسورية ومصر، والجامعة العربية، والثورة الجزائرية، ونددوا بمساعدة الروس للعرب. وكان موقفه مثار استغراب الكثيرين بسبب معرفتهم بسياسة السعودية الموالية للغرب، ودافعاً إلى احتجاج سفراء الدول الغربية لدى السعودية، فطلب منه التقيد بالتعليمات، فقدم استقالته، لكن الملك سعود رفض قبولها.

تفجرت الأحداث عام 1958، إذ قامت الوحدة بين مصر وسورية بإقامة الجمهورية العربية المتحدة، وبعد ثلاثة أيام دخلت اليمن في اتحاد فيدرالي معها بعد توقيع ميثاقه وسمي "اتحاد الدول العربية" وأنشئ مجلس أعلى له. وسقطت الملكية في العراق، ونشبت أحداث خطيرة في الأردن ولبنان، وأنزلت الولايات المتحدة الأمريكية قواتها في لبنان، وأنزلت بريطانيا قواتها في الأردن. وقد انعقدت الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورة طارئة في آب 1958، وخطب الرئيس الأمريكي ايزنهاور منذراً ومحذراً. وكان وضع الشقيري حرجاً، لكنه قرر في نفسه أن القومية العربية وفلسطين أكبر من أي اعتبار، فألقى في

---

\* خرجت إسرائيل من العدوان الثلاثي 1956 بكسب جزئي يتمثل في فتح طريق الملاحة الإسرائيلية عبر مضائق تيران إلى ميناء إيلات.

15/8/1958 خطاباً مطولاً رد به على ايزنهاور وسـلـوـين لويد رئيس وزراء بريطانيا، مما أثار زوبعة صحفية عالمية ركزت على مهاجمته ايزنهاور، وعلى الأزمة السعودية الأمريكية التي أثارها خطابه. وقد قال ايزنهاور في مؤتمره الصحفي: "إن الشقيري لا يمثل المملكة العربية السعودية".

شارك الشقيري في اجتماعات الدورة 32 لمجلس جامعة الدول العربية الذي عقد في الدار البيضاء في أيلول 1959. وبالرغم من أن الوفود العربية كانت عالية المستوى، فقد أصدرت القرارات المعتادة. وكان الشقيري غير متفائل؛ لم ير جديداً في هذه الدورة. وقد التقى بالملك محمد الخامس، الذي أشاد بجهوده في الأمم المتحدة من أجل القضية المغربية، واستشاره بشأن قضية موريتانيا التي كانت فرنسا "تطبخ" استقلالها، وبشأن قضية التفجير الفرنسي الذري في الصحراء. وقد تولى في العام التالي الرد على مندوب فرنسا في الأمم المتحدة. لكن فرنسا فجرت قنابلها الذرية في الصحراء رغم قرار الأمم المتحدة، واستقلت موريتانيا وقبلت في الأمم المتحدة.

وكانت دورة الأمم المتحدة هذه (عام 1960) عالية المستوى، ترأس فيها رؤساء الدول والحكومات وفود بلادهم. وتحدث فيها أيزنهاور وخروشوف وعبد الناصر ونهرو وسوكارنو، ونكروما وكاسترو والملك حسين، وحدثت فيها الحادثة المشهورة، حين لَوّح خروشوف بحذائه في وجه أحد الأعضاء الغربيين. وقد هنا الشقيري الوفد السوفييتي، والقى كلمة رد فيها على كلمات

رؤساء الدول الغربية، مما دعا الصحافة الغربية إلى مهاجمته هجوماً عنيفاً ، واتهامه بأنه وضع نفسه "في حذاء خروشوف". وأعقب ذلك زيارة الشقيري لخروشوف في مقره في الأمم المتحدة وزيارته للاتحاد السوفييتي بدعوة شخصية من خروشوف<sup>(1)</sup>.

وعلى الرغم من الصداقة الشخصية التي كانت تربط بين الشقيري والأمير (الملك ) فيصل وزير خارجية المملكة العربية السعودية آنذاك ، فقد وصل الخلاف بينهما أوجه عام 1962 ، بسبب أزمة اليمن بين مصر والسعودية، الذي انتقل إلى الأمم المتحدة فقد كانت الحكومة السعودية تطلب منه أن يبلغ مجلس الأمن -بصفته ممثلاً لها في الأمم المتحدة - عن اعتداءات القوات المصرية على حدودها . لكننه كان يرى أن الخير أن تعرض هذه الخلافات على الجامعة العربية، في نطاق الأسرة الواحدة . فقد ظل عند رأيه، على الرغم من طلب الأمير فيصل منة الالتزام بالتعليمات ، لا تفسيرها . وقد شاعت قصة هذا الخلاف ، وتوقع الكثيرون إعفائه من منصبه بسببه.

في شهر آب /أغسطس من عام 1963 ، وفي الوقت الذي كان الشقيري يمضي فيه إجازته السنوية في لبنان ، ابلغ - عن طريق السفارة السعودية في بيروت -قرار الأمير فيصل إنهاء عمله رئيساً لوفد السعودية في

---

(1) انظر ص 685 من هذا الكتاب.

الأمم المتحدة . وقد أحس الشقيري بالألم والمرارة، لكنه رفض إثارة أي ضجة إعلامية حين انهال المراسلون الصحفيون يريدون تعليقه على قرار الطرد ، وآثر لزوم الصمت حرصاً على المصلحة العربية.

كان انتهاء عملة في رئاسة الوفد السعودي إلى الأمم المتحدة نقطة تحول كبرى في حياة الشقيري . فقد تقاطرت الوفود الفلسطينية إلى بيته في لبنان تطلب منه تولي قيادة الحركة الفلسطينية على الصعيد الشعبي . وبدأ الشقيري يتعرف على النشاط الوطني الفلسطيني وعلى المنظمات الفلسطينية المختلفة، بحد سنوات من الأسفار والبعد والعمل في الأمم المتحدة . وكان يستمع إلى ما تقوله الوفود باهتمام وعناية، دون أن يعد بشيء . وفي الأسبوع الأول من أيلول / سبتمبر 1963 أبلغته السفارة العراقية في بيروت مضمون برقية من السيد عبد الخالق حسونة، الأمين العام لجامعة الدول العربية، يرجوه فيها السفر فوراً إلى القاهرة . ثم زاره سفير الجمهورية العربية المتحدة في لبنان ، ونقل إليه أيضاً برقية الجامعة العربية، ورسالة شفوية من الرئيس جمال عبد الناصر، ترشحه لمنصب ممثل فلسطين في الجامعة العربية، بعد وفاة أحمد حلمي عبد الباقي (باشا) رئيس (حكومة عموم فلسطين)\*.

---

\* تألفت حكومة عموم فلسطين في - مؤتمر غزة الذي دعت إليه الهيئة العربية العليا في 1949/10/1، واعترفت بها دول الجامعة العربية ، عدا الأردن.

فوجئ الشقيري بالتكليف واعتذر، أول الأمر، عن عدم قبول المنصب ، لأن خبرته الماضية بالجامعة العربية لا تشجعه على القبول لكن السفير المصري أقنعه بالقبول بعد طول تردد، لأن الأوضاع - كما قال - قد تغيرت ، ولا بأس في التجربة . وقد قبل لأنه أراد أن يجرب الدول العربية، للمرة الأخيرة في حياته ، على حدّ قوله ، ونوى في قراره نفسه الاستقالة، أن رأى كما فيما بعد أن الأمر مجرد ظواهر، لا جوهر وراءها . وقد شجعه على القبول وعدم التراجع ما تلقى من هواتف الإخوان الفلسطينيين من كل حذب وصب ، وما حضر إليه من وفود فلسطينية تناشده القبول ، بعد أن ذاع أمر ترشيحه لهذا المنصب .

غادر الشقيري بيروت إلى القاهرة، وزار في اليوم الثاني لوصوله الأمين العام لجامعة الدول العربية الذي أكد أن معظم الدول العربية ترى إسناد المنصب له ، وأن الفرصة طيبة لخدمة القضية الفلسطينية . وقد انعقد مجلس الجامعة ورشحه رؤساء الوفود، عدا وفدي السعودية والأردن، في حين أبدى رئيس وفد العراق بعض التحفظات على هذا الترشيح. وقد أثارت هذه التحفظات الشقيري، وكاد يعدل عن قبول المنصب، لولا تدخل الوسطاء. وأصر على أن ينص قرار مجلس الجامعة على أن يكون اختيار الشقيري لهذا المنصب نافذاً إلى أن يتيسر للشعب الفلسطيني اختيار ممثله لدى مجلس الجامعة العربية. لذلك جاء نص القرار أخيراً باختيار "السيد أحمد الشقيري

مندوبا لفلسطين لدى جامعة الدول العربية، وذلك طبقاً لملحق ميثاق الجامعة الخاص بفلسطين، وإلى أن يتمكن الشعب الفلسطيني من اختيار ممثليه". وقد عد الشقيري العبارة الأخيرة في القرار نصراً لشخصية الشعب الفلسطيني<sup>(1)</sup>.

وعلى عادة الشقيري من الصراحة والجرأة، ألقى في الاجتماع العلني الأخير الذي يحضره الصحفيون، كلمة أرادها صريحة تنزل في محاضر مجلس الجامعة، وتحدد سياسته وموقفه من الدول العربية، وتصارع الشعب الفلسطيني والأمة العربية بكل آماله وآرائه، وأكد فيها طبيعة مهمته ومنصبه، وأنه لا يراه عملاً روتينياً يقتصر على المشاركة في أعمال المجلس، لأن قضية فلسطين لا تحتل هذا الروتين، ولا يراه عملاً دبلوماسياً بل عملاً نضالياً من أجل تحرير الوطن، يقبله بلا راتب. وأعلن أنه كان يتمنى لو كان اختياري، بالإجماع، ووعد بالاتصال بالرياض وعمان من أجل الحصول على موافقتيهما على تعيينه في منصبه.

وكان كلام الشقيري الصريح القوي مفاجئاً وجديداً على مجلس الجامعة الذي اعتاد أن يرى تمثيل فلسطين شكلياً، ولم يسمع من قبل كلمات "تحرير فلسطين.. وتجند الشعب الفلسطيني، والكيان الفلسطيني...". وقد أثار خطابه موجة من الاهتمام. وقد صارع الشقيري المجلس الذي اتخذ قراراً كلف فيه

---

(1) أحمد الشقيري، من القمة إلى الهزيمة، دار العودة، بيروت، 1972، ص 14.

الشقيري تأليف وفد فلسطيني إلى الأمم المتحدة، بأن لا حل للقضية الفلسطينية في الأمم المتحدة، فالحل هنا في الوطن العربي، وفي الوحدة العربية والمشكلات العربية هي أصعب العقبات التي تعترضه، وعلى الجامعة العربية أن تجعل فلسطين عامل توحيد، لا عامل خلاف وفرقة.

كانت أولى الصعوبات التي واجهت الشقيري في منصبه الجديد مسألة تأليف الوفد الفلسطيني إلى الأمم المتحدة؛ إذ لم يكن للشعب الفلسطيني كيان وطني، أو قيادة وطنية جامعة. فكان صعباً تأليف وفد، والشعب الفلسطيني مشقت ممزق بلا كيان ولا قيادة. وقد قام الشقيري بزيارة سريعة للأردن وسورية ولبنان وقطاع غزة، وحاول جهده أن يسترضي الحكومات العربية، ويسترضي التجمعات الفلسطينية. وتم تأليف الوفد الفلسطيني عام 1963 من ثمانية عشر عضواً منهم سيدتان، وسافر الوفد إلى الأمم المتحدة، وعرض الشقيري القضية الفلسطينية في ثلاث خطب<sup>\*</sup>، وبذلك أكدت الشخصية الفلسطينية وجودها لأول مرة بعد عام 1948، وحققت أول انتصار سياسي على الصعيدين العربي والدولي.

---

<sup>\*</sup> جمعتها منظمة التحرير فيما بعد في كتاب مستقل، بعنوان "فلسطين على منبر الأمم المتحدة"، وقد نشره مركز الأبحاث الفلسطيني في نصه الأصلي باللغة الإنجليزية تحت

عنوان: 3 . Liberation Not Negotiations, Beirut, 1966, Palestine Book No.



سافر الشقيري، بعد عودته من الأمم المتحدة أواخر عام 1963، إلى تونس بدعوة من الحبيب بورقيبة، بمناسبة جلاء القوات الفرنسية عن بنزرت. وكانت الدعوات قد وجهت إلى الملوك والرؤساء، وجاءته بصفته ممثل فلسطين في الجامعة العربية. وقد وجد الشقيري في هذه الزيارة فرصة لتجسيد الشخصية الفلسطينية المتميزة. وكان البرنامج حافلاً بالنشاط والحركة، واستقبلت الجماهير العربية التونسية الشقيري بالهتاف لفلسطين وتحريرها. والتقى الرئيس الحبيب بورقيبة، وتحدثا في شأن القضية الفلسطينية. وقد تجول الشقيري في المدن التونسية، وأقام الندوات والاجتماعات، وعقد في ختام زيارته مؤتمراً صحفياً شرح فيه القضية، وبيّن تحفز الشعب الفلسطيني، وتطلعه لتنظيم صفوفه والقيام بدوره في تحرير فلسطين.

وانتقل الشقيري من تونس إلى الجزائر، حيث استقبل استقبالا رسمياً وشعبياً عارماً. وأقام له الرئيس أحمد بن بلا مأدبة عشاء، تكريماً له، وأعلن أن الجزائر نضع جميع إمكاناتها تحت تصرف فلسطين، وإن استقلال الجزائر ناقص حتى يتم تحرير فلسطين، ووعده بإرسال مبلغ من المال عن طريق السفارة الجزائرية في القاهرة، وبدفع كل ما يترتب على الجزائر لفلسطين من خلال الجامعة العربية، وقد زار الشقيري الجامعة الجزائرية، والتقى بالطلاب الفلسطينيين فيها، وكان انفعاله وتأثره كبيرين بما لقي في الجزائر كلها من حفاوة وحماسة وتكريم.

سافر الشقيري بعد ذلك إلى المغرب، ووصل إليها في اليوم الذي ألقى فيه الرئيس المصري جمال عبد الناصر خطابه المشهور في بور سعيد في 1963 /12/23 ودعا فيه إلى عقد مؤتمر القمة العربي الأول لبحث موضوع تحويل إسرائيل مجرى نهر الأردن. وقد ناشد الشقيري الملك الحسن الثاني، في أثناء استقباله له، أن يوافق على حضور مؤتمر القمة، ناسياً خلافه مع الرئيس عبد الناصر بسبب تأييد الأخير الجزائر في نزاع الحدود بينها وبين المغرب.

وفي طريق العودة إلى القاهرة عرج الشقيري على ليبيا التي كانت آنذاك تحتفل بذكرى استقلالها، وطاف مع رئيس وزرائها بالمدن الليبية، وخطب في الجماهير عن تاريخ القضية الفلسطينية، وكفاح الشعب الفلسطيني.

كانت الاستجابة للدعوة إلى عقد مؤتمر القمة سريعة، بسبب الأثر القوي الذي كان لعبد الناصر. وقد ثار خلاف دستوري بروتوكولي حول أمر الشقيري؛ وكيف يحضر مؤتمر الملوك والرؤساء وهو ليس منهم، واضطر الشقيري للإنذار والتهديد، لأن هذا المؤتمر من أجل فلسطين، ولا بد من أن يحضره ممثلها، وإلا فإنه سيستقيل، ويعلن للملأ أسباب استقالته. وقد أفلح إنذاره، وأعلنت الصحف المصرية أن ممثل فلسطين سوف يحضر المؤتمر. كذلك ثارت مشكلة ثانية حول مكان جلوسه، و انتهى الرأي إلى أن يجلس في طرف الطاولة، وعلى كرسي عادي متأخر عن الملوك والرؤساء، فوافق الشقيري، مبيتاً في نفسه أمراً.

بدأت الاقتراحات تنهال على الشقيري حول إنشاء جمهورية فلسطينية، وتجنيّد الشعب الفلسطيني، وإنشاء الكيان، وإجراء الانتخابات... لكن همّ الشقيري، وهو العالم ببواطن الأمور وخباياها، كان منصّباً على أن يدفع المؤتمر إلى بحث قضية فلسطين برمتها، لا قضية تحويل مجرى نهر الأردن، على أن ينتزع من المؤتمر قراراً بإنشاء الكيان الفلسطيني، بأي صيغة كانت. وقد بذل في سبيل ذلك جهوداً كبيرة، وأعانتة في هذا المجال معرفته الشخصية السابقة بالملوك والرؤساء، وما تربطه بهم من ذكريات وصدقات.

يوم الاجتماع، وفي الساعة الخامسة من بعد ظهر 1964/1/13 فاجأ الشقيري الحاضرين في المؤتمر، حين دفع مقعده إلى الأمام حتى صار على مستوى الملك الحسن الثاني، بين دهشة رجال البروتوكول. وقد تكلم الملوك والرؤساء مؤكدين ضرورة العمل العربي الموحد للوقوف في وجه مشروع إسرائيل بتحويل مجرى نهر الأردن. ثم تكلم الشقيري، فطلب ألا يقتصر البحث في الفرع، وهو تحويل النهر، ويترك الأصل، وهو القضية الفلسطينية التي اندردت على الصعيدين العربي والدولي، وأصبحت قضية لاجئين. وطالب بالاهتمام بالقضية الأصل، وأعلن استعداد الشعب الفلسطيني للبذل والفداء.

تقرر أن يقتصر الاجتماع الثاني على الملوك والرؤساء. وسعى الشقيري بالحيلة والإنذار كي يحضر الجلسة.. ثم وضع الجميع أمام الأمر الواقع، ودخل قاعة الاجتماع، وجلس إلى جانب الرئيس الجزائري أحمد بن بلا، دون

أن يكون له مكان أو لوحة خاصة لفلسطين. وقد تكلم الشقيري في هذه الجلسة عن القضية الفلسطينية بإسهاب، وبين أن الواجب القومي يفرض قيام كيان فلسطيني يوحد الشعب الفلسطيني، وينظم صفوفه، ويعبئ طاقاته العسكرية والسياسية للقيام بدوره في تحرير وطنه. ويجب أن يكون العمل من أجل فلسطين أصيلاً بذاته، وفعالاً لا رد فعل لما تفعله إسرائيل. وقد شرح للمؤتمرين - بناء على طلب الملك حسين - المقصود بالكيان الفلسطيني وأسسه بما لا يعارض رأي الأردن، فوافق الملك حسين على الاجتماع به في عمان لاستكمال البحث.

صيغت القرارات النهائية لمؤتمر القمة الأول، ووقع المؤتمرين ميثاق التضامن العربي، وأنشئت قيادة عربية موحدة، وهيئة استغلال مياه نهر الأردن، وأقر اعتماد مالي لتمويل المشروعات العربية، وتعزيز القدرات العسكرية. وأقر المؤتمرين بشأن الكيان الفلسطيني "أن يستمر السيد أحمد الشقيري، ممثل فلسطين لدى جامعة الدول العربية، باتصالاته بالدول الأعضاء والشعب الفلسطيني بنية الوصول إلى إقامة القواعد السليمة لتنظيم الشعب الفلسطيني، وتمكينه من القيام بدوره في تحرير وطنه وتقرير مصيره.

رضى الشقيري بهذه الصيغة "الهزيلة" لأنها تضع القدم على أول الطريق، وتبرز الكيان الفلسطيني، أمراً واقعاً.. لا بد أن يكبر وينمو بصورة ذاتية.

بعد وداع الملوك في مطار القاهرة، اجتمع الشقيري بالرئيس جمال عبد الناصر في منزله بمنشية البكري، تحدثا في نتائج المؤتمر، وما حقق من إنجازات. ثم انصرف من عنده وهو يفكر في القرار الذي أولاه بتنظيم الشعب الفلسطيني، فوجده مجرد سطرين بلا دعم ولا تأييد. فشرع بثقل المهمة التي ألقيت على عاتقه، لكن ذلك لم يفت من عزمته، فبدأ يعمل، ويبني.

أمضى الشقيري في القاهرة ثلاثة أسابيع بعد مؤتمر القمة الأول، وهو يفكر ويخطط لبناء الكيان الفلسطيني من هذين السطرين اللذين كتبهما قرار الملوك والرؤساء، وأخذ يسترجع صور الماضي علّما تسعفه في بناء الحاضر والتخطيط للمستقبل، واستحضر الصور التي عاشها صبياً، وشاباً، ورجلاً، منذ تأسيس الجمعيات الإسلامية المسيحية إلى المؤتمرات الفلسطينية بين عامي 1920 و 1928، ثم قيام الأحزاب الفلسطينية أوائل الثلاثينيات، فإنشاء الهيئة العربية العليا، واجتماع المجلس الوطني في مدينة غزة الذي قرر إقامة حكومة عموم فلسطين وتذكر حال الكيان الفلسطيني على صعيد الجامعة العربية، من ميثاق الجامعة إلى ما تلا ذلك من توصيات. وأخذ يرسم، على الورق، صورة الكيان الفلسطيني، ويضع خريطة البناء، بأسسه وتفاصيله ومقاييسه. إلى أن تم له وضع (الميثاق الوطني) و(النظام الأساسي لمنظمة التحرير الفلسطينية) مستفيداً في ذلك من كل خبراته في القضية الفلسطينية على الصعيدين العربي والدولي، ومراعياً ظروف الشعب الفلسطيني المشتت الممزق. وقد طبع من هذا

الميثاق عشرين نسخة، وأعد نفسه للسفر والاتصال بالحكومات العربية وزيارة التجمعات الفلسطينية المختلفة.

كانت المهمة التي نص عليها قرار مؤتمر القمة "الاتصال" فقط لإنشاء الكيان الفلسطيني. وقد خشي الشقيري، إن نفذ القرار بحرفه، أن يكون لتقريره مصير التقارير السابقة. لذلك عزم على أن يضع الجميع أمام الأمر الواقع، فيدعو إلى مجلس وطني فلسطيني، ينعقد في القدس، لينظر في الميثاق وفي النظام الأساسي، ويعلن قيام منظمة التحرير الفلسطينية، وينتخب لجنة تنفيذية تشترك في مؤتمر الملوك والرؤساء التالي في الإسكندرية باسم (منظمة التحرير الفلسطينية)، لا باسم (ممثّل فلسطين في الجامعة العربية).

اتصل أول ما اتصل بالرئيس جمال عبد الناصر، ونال موافقته ثم اتجه إلى الأردن، واجتمع بالملك حسين مراراً، وناقش معه المشروع فقرة فقرة، مبيناً له أنه لا يسعى إلى سلخ الضفة أو إنشاء حكومة، أو إثارة نعرات إقليمية. وحصل على موافقة الأردن على مشروعه. وزار في أثناء وجوده في الأردن التجمعات الفلسطينية في الضفتين، وكان يخطب فيهما ويشرح مشروعه وسط جو حماسي دافق.

انتقل الشقيري بعد الأردن إلى دمشق، ولكنه أخفق في إقناع المسؤولين بمشروع الكيان الفلسطيني، لأنهم طالبوا بتخلي الأردن عن الضفة الغربية،

ومصر عن غزة، ليؤلفا نواة أرض هذا الكيان، وبأن تدفع الدول العربية نفقات بناء الجيش الفلسطيني، وبأن يقوم الكيان على أساس الانتخاب.

سافر الشقيري من دمشق إلى بيروت، ومنها إلى العراق ثم الكويت فالبحرين فقطر. وكان في كل مكان يستقبل استقبالا شعبيا عارما، ويحصل على موافقة الجهات المسؤولة على مشروعه. وعاد إلى بيروت حيث زار مخيمات اللاجئين في لبنان.. ولم يعكر عليه مسعاه سوى معارضة الحاج أمين الحسيني، على الرغم من أن الشقيري حاول استرضاءه.

ومضى الشقيري قدماً، وسافر إلى القاهرة ومنها إلى قطاع غزة، والتقى بجماهير الشعب الفلسطيني التي استقبلته أروع استقبال، وخطب في جموعها، وحاول إزالة ما علق في النفوس من خيبات أمل سابقة بالدول العربية، فأقنع حاكم لواء غزة المصري بإنشاء معسكر لتدريب المتطوعين الفلسطينيين في النصيرات، وقدم نفقات ذلك مما كان في حسابه في البنك العربي باسم صندوق فلسطين.

عرض الشقيري في شهر نيسان/إبريل 1964 نتائج رحلاته واتصالاته على لجنة المتابعة المؤلفة بموجب قرار مؤتمر القمة الأول، وأخبرها أنه قد تم إنشاء لجان تحضيرية لاختيار أعضاء المجلس الوطني المزمع عقده في 1964/5/28 في مدينة القدس، وأنه رجا الملوك والرؤساء أن يوفدوا وفوداً على

مستوى عالٍ لحضور المؤتمر، وأكد لهم معنى الكيان، وأنه يعني "السلح والكفاح". وقد كانت المناقشات في اللجنة هادئة، وأعلن الأعضاء استعداد حكوماتهم لتلبية الدعوة باستثناء الوفدين السعودي والسوري، اللذين التزما الصمت.

سافر الشقيري إلى الأردن ليهيئ البناء، وجابه هناك الكثير من المشككين والعديد من الصعوبات، إلى أن استقر الأمر على أن يعقد المؤتمر الفلسطيني في فندق إنتركونتيننتال على جبل الزيتون. وقد جند نفسه مع فريق انصرفوا للعمل ليل نهار إلى أن اكتمل كل شيء.

في صباح 1964/5/28 تكاملت الوفود الفلسطينية والعربية إلى المؤتمر، ووصل الملك حسين واستقبله الشقيري وجلسا سوية على المنصة مع الوزراء العرب والأمين العام لجامعة الدول العربية. وبعد الكلمات الترحيبية لرئيس بلدية القدس روعي الخطيب وللملك حسين ولأمين الجامعة العربية عبد الخالق حسونة، ألقى الشقيري خطاباً مطولاً بين فيه المراد بالكيان الفلسطيني، وطريقه التي هي طريق الكفاح والسلاح، ووضح دور الدول العربية في تيسير إنشائه وتأيينه بعد قيامه.

انتخب المؤتمر الشقيري رئيساً، وانتخب مكتب الرئاسة وأمانة المؤتمر، وانصرفت اللجان المختلفة بحماسة. وفي اليوم الأخير اقر المؤتمر الميثاق



والنظام كما قدمهما الشقيري تقريباً ، بل قرر المؤتمر اعتماد خطابه الافتتاحي بياناً إيضاحياً لمفهوم الكيان الفلسطيني . وأعلن المؤتمر في الجلسة الختامية قيام (منظمة التحرير الفلسطينية ) ممثلة للشعب الفلسطيني ، وقائدة لكفاحه من اجل تحرير وطنه ، وانتخب الشقيري رئيساً للجنة التنفيذية لمنظمة التحرير ، وخوله ، بموجب النظام الأساسي اختيار أعضاء اللجنة.

عاد الشقيري إلى القاهرة يحمل ملفات المؤتمر ، ويحمل على كتفيه مصاعب القضية الفلسطينية وأعباءها . وكانت أولى هذه الصعوبات مسألة اختيار قيادة المنظمة ، فالشعب الفلسطيني مشرد في عدة أقطار ، بلا مؤسسات وطنية ولا سلطان أو قانون ، وكان اختيار الأعضاء ممن يرضى عنهم الشعب الفلسطيني ، وترضى عنهم الحكومات العربية أمراً شبه مستحيل . إلى أن انتهى به الأمر في نهاية المطاف إلى اختيار أعضاء هذه المنظمة .

دعا الشقيري اللجنة التنفيذية إلى الاجتماع الأول في القدس ، في بيت مجاور لفندق الأمبسادور ، واستغرقت أعمال الدورة الأولى أسبوعاً كاملاً للتداول في شؤون منظمة التحرير ، اختصاصها ، خططها ، تمويلها ... وكان أول إنجازات هذه الدورة تكوين الصندوق القومي الفلسطيني واختيار أعضائه.

وانصرف الشقيري الى بيته في لبنان ليعد خطة شاملة متكاملة لنشاط المنظمة على ضوء الخطوط العريضة التي اتفق عليها في اجتماعات اللجنة

التنفيذية ، وأصم أذنيه عن سماع الكثير من الصيحات والالتهامات التي وجهت إليه ، والى من اختارهم من أعضاء اللجنة التنفيذية. وغدا بيته في بلدة كيفون خلية نحل وعمل ومركز نشاط إعلامي واسع . وكان الشقيري، وسط ذلك ، يعقد الندوات ويستعين بالخبراء الفلسطينيين في كل المجالات لإعداد ما يمكن تقديمه لاجتماعات مؤتمر القمة الثاني في الإسكندرية ، وخرج من ذلك كله بمشروع شامل مفصل ، أولى الجانب العسكري فيه اهتماماً كبيراً، واستعان من أجله بالزعيم شوكت شقير (لبناني) .

تكاملت خطة عمل منظمة التحرير في مختلف المجالات ، وضمها الشقيري إلى ملف المجلس الوطني الذي انبثقت عنه منظمة التحرير الفلسطينية . واخذ ينتظر انعقاد مؤتمر القمة، وهو يتطلع إلى هدفين : الأول الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلة للشعب الفلسطيني ، والثاني الموافقة على الخطة الشاملة التي أعدها ، وتوفير الأموال اللازمة لها . وقد جابه في فترة الانتظار هذه حملات سعت إلى تخريب ما خطط ورسم، والى توجيه مختلف الاتهامات إليه.

حمل الشقيري الملفات إلى الاسكندرية ، مع أعضاء اللجنة التنفيذية، وقد قام بزيارة الملوك والرؤساء زيارات المجاملة المعروفة ، وأعد في الليلة السابقة لاجتماعات المؤتمر الخطاب الذي سيلقيه ، وتشاور في أمره مع رفاقه أعضاء اللجنة التنفيذية .

بدأت الجلسات ، وألقيت الكلمات ، وبحثت تقارير القيادة العربية الموحدة وهيئة تحويل روافد الأردن والأمين العام لجامعة الدول العربية ...ثم جاء أخيراً دور موضوع الكيان الفلسطيني، فتكلم الشقيري محولاً المؤتمر كله إلى مؤتمر للقضية الفلسطينية ، لا مؤتمر لتحويل الروافد.

شرح الشقيري في كلمته المطولة مراحل إنشاء الكيان الفلسطيني ، وبين أن دور الدول العربية هو تيسير البناء وتسهيله ، لا إنشاؤه وبناءؤه ، فتلك مهمة الشعب الفلسطيني . وأكد أهمية الجانب العسكري ، لأن المنظمة بدون ذلك جسد بلا روح ، ولن يتم تحرير فلسطين إلا بالكفاح المسلح ، وعلى أرض فلسطين .

أبدى بعض الملوك استغرابهم لما سمعوا من الشقيري ، وعارضوه فيما ذهب إليه ، لأنه تجاوز المهمة التي أوكلت إليه ، وتوتر جو المؤتمر ، لولا تدخل الوسطاء ، فوافق الحاضرون على أن منظمة التحرير الفلسطينية هي ممثلة الشعب الفلسطيني. أما بشأن مطالب المنظمة ، فقد تقرر آخر الأمر ، إنشاء جيش التحرير الفلسطيني، وإن كان قُيّد بشرط التبعية للقيادة الموحدة، أو القيادات المحلية في الدول العربية، ولم يترك تابعاً للمنظمة فقط. ثم تبرعت الدول العربية بخمسة ملايين دينار ونصف للجوانب العسكرية، وبمليون دينار لميزانية منظمة التحرير المدنية، وتعهد الملوك والرؤساء بالوفاء بالتزاماتهم المالية ودفع الحصص المترتبة على دولهم. أما مشروع (المؤسسة المالية

لتحرير فلسطين) المقدم من المنظمة فقد اختلف حوله المجتمعون، وقرروا تكليف الأمين العام للجامعة، تأليف لجنة برئاسته لدراسة هذا المشروع، وتقديم تقرير عنه إلى دورة مؤتمر القمة المقبلة.

انصرف الشقيري بعد انتهاء مؤتمر القمة إلى العمل، وإلى جعل الكيان الفلسطيني حقيقة حية، ولا سيما إنشاء جيش التحرير الفلسطيني. وكان ضجره من العمل السياسي، ومن الأمم المتحدة دافعاً له للاندفاع بكل جوارحه في هذا العمل. ودعا اللجنة التنفيذية إلى اجتماع عاجل لاختيار قيادة الجيش، على الرغم من علمه بأن المنطق يدعو إلى إنشاء الجيش أولاً، ثم تختار له القيادة. وقد سأل واستقصى واستشار، إلى أن تم في 1964/9/10 اختيار عشرة من الضباط الفلسطينيين المستقلين في مختلف الأقطار العربية، لتتكون منهم قيادة جيش التحرير، قبل أن يكون هناك جيش أو سلاح.

وقد جابهت الشقيري عقبات كبرى بشأن الجيش مع الدول العربية، بعضها عسكري، وكثير منها متصل بالقضية السياسية. وعلى عادته في الجراءة ووضع الدول أمام الأمر الواقع، سافر إلى غزة، حيث اجتمع المجلس التشريعي، وأقر بالإجماع مشروع التجنيد الإجباري الفلسطيني. ثم عاد إلى القاهرة ليجد سيلاً من البرقيات والعرائض من جماهير الشعب الفلسطيني في مختلف الأقطار العربية تطالب بالانضمام إلى جيش التحرير.

قام الشقيري، مع القيادة الفلسطينية، بجولة في الأقطار العربية، ليعمل على إنشاء كتائب الجيش الفلسطيني. وكانت مهمته صعبة في بعض الأقطار، وسهلة في الأقطار الأخرى. وتم أخيراً إنشاء قوات (القادسية) في العراق، وقوات (حطين) في سورية، وقوات (عين جالوت) في غزة.

وكان عام 1965 عام عمل متصل ، من بدايته الى نهايته ، وعام نضال لاهث لبناء الكيان الفلسطيني بجميع مؤسساته السياسية والعسكرية والمالية والإعلامية والتنظيمية . وكان الشقيري عارفاً بمشقة البناء بين الانقراض والخرائب، ومع الحكومات العربية . وبعد أيام من الاستراحة في القاهرة إثر الجولة التي قام بها في الدول العربية لإنشاء جيش التحرير، أخذ يتردد على مكتبه في القاهرة ، فيجد وفود الفلسطينيين قد سبقته تلح لاستكمال بناء الكيان ، ويجد أكادساً من الرسائل من كل مكان تدعوه إلى المبادرة بتنظيم الشعب الفلسطيني وتعبئة طاقاته وقدراته.

كان أول عمل انصرف له الشقيري هو إنشاء إذاعة لمنظمة التحرير الفلسطينية . وقد آمن الشقيري، على الرغم من الانتقادات التي وجهت إليه في هذا الشأن ، أن الإذاعة لازمة و ضرورة "فإذا كانت الإذاعة لازمة لشعب آمن في وطنه مستقر في دياره ، وله حكومته وحرية واستقلاله ، فإنها للشعب

الفلسطيني ألزم، وقد فقد وطنه ودياره ، وتباعدت منازلهم ، ولم يعد من وسيلة للاتصال به أو الاجتماع اليه إلا عن طريق الإذاعة ، بالتعبئة والتوجيه...<sup>(1)</sup>.

افتتحت الإذاعة في مطلع شهر آذار /مارس 1965، بعد أن أعطت وزارة الثقافة والإرشاد القومي في مصر المنظمة – مقابل أجر – ست ساعات من برامج إحدى محطاتها ، وبعد أن وضع عدد من الإذاعيين الفلسطينيين خبراتهم وكفاءاتهم تحت تصرف المنظمة . وقد ألقى الشقيري كلمة افتتاح هذه الإذاعة . وكانت كلمة عاطفية أطلق فيها لجناحه ومشاعره العنان، وهو يخاطب أبناء فلسطين .

انصرف الشقيري بعد ذلك الى إنشاء مركز الأبحاث للقضية الفلسطينية. وتأسس المركز بسرعة ، وتجمعت فيه خيرة الكفاءات الفلسطينية. وقد حرص الشقيري على أن يكون المركز في بيروت لتوافر المراجع العلمية والاتصالات السهلة هناك ، من جهة ، ولأنه أراد أن يدفع عنه ، وعن المنظمة ، بشكل عملي تهمة وقوعهما تحت سيطرة مصر، من جهة أخرى.

خطا الشقيري خطوة ثالثة، على الرغم من الصعوبات الكبيرة التي وقفت في وجهها، وهي تأسيس مكاتب للمنظمة في أقطار الوطن العربي وفي الخارج.

---

<sup>(1)</sup> من القمة إلى الهزيمة ، مصدر سابق، ص 171.

وكانت المكاتب في نظره، ونظر من معه، ضرورة لازمة لا بد منها، لأن للفلسطينيين في أماكن تجمعهم، مشاكل خاصة وعامة مع السلطات المحلية، يجب أن يتولى معالجتها مكتب يفتح في هذا القطر وذاك. واحتمل الشقيري أسهم نقد كثيرة وجهت إليه في هذا الشأن، واتهمته بأنه إنما يبني سفارات، ويتوهم أنه رئيس دولة، ووجهت الاتهامات إلى الأشخاص الذين اختيروا لإدارة المكاتب. وقد صبر على ذلك كله، ومضى في طريقه، وافتتحت المكاتب في البلدان العربية، وفي نيويورك قريباً من الأمم المتحدة.

وكانت الصعوبة الكبرى التي جابهت الشقيري هي المال، فقد شكا رئيس مجلس إدارة الصندوق القومي له مراراً أن الحكومات العربية تتباطأ في الوفاء بالتزاماتها المالية التي أقرها مؤتمر القمة الثاني في الإسكندرية. لذلك قام الشقيري بجولة خاطفة، بدأها بقاء حاكم قطاع غزة، واتفق معه على مشروع قانون (ضريبة التحرير) الذي عرض على المجلس التشريعي في غزة، فأقره في 15/4/1965. وفي الأردن اعترضت الحكومة على ضريبة التحرير، واكتفت بدفع حصة الأردن المقررة للمنظمة. ووافق الملك فيصل (الذي اعتلى العرش بعد الملك سعود) على تحويل حصة المملكة السعودية من التزاماتها لمنظمة التحرير، ولم يوافق على اقتطاع مبالغ من رواتب الفلسطينيين العاملين في السعودية لصالح الصندوق القومي الفلسطيني. ووافقت الكويت على دفع الالتزامات المالية المقررة عليها، وعلى أن تحسم وزارة المالية - بصورة إدارية

- ضريبة التحرير من رواتب الفلسطينيين فيها، وسمحت بإنشاء مكتب لمنظمة التحرير في الكويت. وأقرت لبنان دفع التزاماتها لمنظمة التحرير الفلسطينية، عدا ضريبة التحرير، وسمحت بفتح مكتب للمنظمة في بيروت ومنحته الحصانة الدبلوماسية. وقد عاد الشقيري من جولته تلك إلى القاهرة ليجد التبرعات والمساهمات الطوعية وبعض الالتزامات العربية قد وصلت إلى الصندوق القومي، وحلت بعض الأزمات المالية.

زار الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة القاهرة في 1965/2/17، والتقاء الشقيري، وتذكرا معاً ما مضى من الأحداث والخدمات التي قدمها الشقيري لقضية تونس في الأمم المتحدة. لكن الشقيري فوجئ في الأسبوع الأول من آذار/مارس 1965 بالرئيس التونسي يدعو، في بعض خطبه، التي ألقاها في عدد من مدن الضفة الغربية في الأردن، إلى الاعتراف بالأمر الواقع والتعايش السلمي مع إسرائيل، والقبول بها دولة قائمة. وكاد لا يصدق ما نقل إليه لولا أن الرئيس بورقيبة كرره مرات في جولته، وفي مؤتمراته الصحفية في الأردن ولبنان وتركيا ويوغوسلافيا وتونس. وقد عقد الشقيري في 1965/4/22 مؤتمراً صحفياً أعلن فيه رفض مقترحات الرئيس بورقيبة، وهاجمه بعنف، ودعا إلى إسقاط عضوية تونس من الجامعة العربية، ومن مؤتمرات القمة العربية. لكن لجنة ممثلي الملوك والرؤساء، اتخذت في اجتماعها الدوري بتاريخ 1965/4/28 توصية بإحالة الموضوع إلى اجتماع مجلس رؤساء الحكومات العربية التالي.



وفي هذا الاجتماع الذي عقد من 26-30/5/1965 في القاهرة، وتحدث فيه الشقيري مطولاً عن خطورة موقف الرئيس التونسي وخروجه على الإجماع العربي، وطالب بفصل تونس من الجامعة العربية، اكتفي بمشروع قرار يرفض مقترحات الرئيس بورقيبة، ويؤكد تمسك الدول العربية بمقررات مؤتمر القمة الأول والثاني. وقد استنكر الشقيري هذا القرار الضعيف، وأعلن عدم موافقة المنظمة عليه، وخرج من قاعة الاجتماع احتجاجاً.

أخذ الشقيري، منذ أصبح رئيساً للمنظمة، يسعى إلى كسب التأييد العالمي للقضية الفلسطينية، فاتجه إلى المعسكر الاشتراكي، وعلى رأسه الاتحاد السوفييتي، وطرق باب سفاراته في كل بلد عربي، والتقى بكبار رجال الدولة السوفييت، وسرد عليهم مطالبه في تأييد المنظمة، وطلب منهم معونات عسكرية، ومساعدات وبعثات ثقافية، وموافقة على افتتاح مكتب للمنظمة في موسكو.. لكن الجواب دائماً كان الاعتذار عن تحقيق ذلك بسبب الظروف الدولية.

لذلك، وأمام الضغوط المتواصلة من الشعب الفلسطيني، وإحاحه في طلب السلاح، اتجه الشقيري إلى الصين الشعبية، وكان على معرفة قوية بشو إن لاي منذ أيام مؤتمر باندونغ عام 1955. وقد اتصل بالسفارة الصينية في القاهرة معرباً عن رغبته في زيارة الصين، فجاءه الجواب سريعاً بالترحيب بالزيارة، وبدعوة شخصية للشقيري، ورسمية بوصفه رئيساً للمنظمة.

حرص الشقيري، عند اختيار الوفد الذي سيرافقه في هذه الزيارة، على أن يكون الأعضاء من اللجنة التنفيذية، والمجلس الوطني، وجيش التحرير الفلسطيني، لتمثل فيه السلطات التنفيذية والتشريعية، وليعبر عن تطلعات المنظمة إلى العون العسكري الذي تريده من الصين.

غادر الشقيري والوفد، الذي يرافقه، القاهرة إلى الصين في 1965/3/15، وكانت المدينة الأولى التي زارها هي كانتون، تلتها بكين، فأوهان، وهان شاو، وأخيراً شانغهاي. وقد كانوا يستقبلون في كل مكان بالحفاوة واللافتات والأعلام، وتقام لهم الحفلات وتعد الاجتماعات العامة في الصالات الكبرى والميادين العامة، ويستقبلهم كبار رجال الدولة. وقد طلب الشقيري من شو إن لاي، في أثناء اجتماعهما على أفراد، الأسلحة والتدريب، فوافق بلا تردد، واتفق معه على إرسال سفينة محملة بالسلح إلى الإسكندرية على أن يعود عليها عدد من الشباب للتدريب على حرب العصابات.

وقد اعترفت الصين بالمنظمة، وسمحت بفتح مكتب لها في بكين ومنحته الحصانة الدبلوماسية. ثم جرى توقيع بيان مشترك فاجأ الجميع، وكان "اعترافاً ثورياً" بالمنظمة، مما أثار في نفس الشقيري وفي نفوس من معه مشاعر عظيمة من الفرح والاعتزاز. والتقى الشقيري والوفد الفلسطيني بالرئيس ماوتسي تونغ في مدينة أوهان، واستقبلهم بود وترحاب، وشرح لهم، في جلسة دامت ثلاث

ساعات، وجهة نظره حول الإمبريالية وسبل محاربتها، وما على الشعب الفلسطيني، والعرب، أن يفعلوه في معركتهم التحريرية<sup>(1)</sup>.

عاد الشقيري إلى القاهرة وهو يحس أنه قد حقق إنجازاً رائعاً. وقد دعا إلى مؤتمر صحفي في مكتب المنظمة في القاهرة، تحدث فيه عن الرحلة ومكاسبها السياسية والعسكرية، وأجاب عن أسئلة الصحفيين المحرجة بلباقة وبدقة. لكنه فوجئ فيما بعد بأن وسائل الإعلام في القاهرة عن أهملت مؤتمره الصحفي، وبأن الرئيس عبد الناصر امتنع عن مقابلته. فأدرك أن سفره إلى الصين هو السبب، لأن الخلاف بين روسيا والصين كان على أشده، ومصر مهتمة بصدقتها مع الاتحاد السوفييتي، ولأن الشقيري لم يستأذن الرئيس عبد الناصر في أمر شحن الأسلحة الصينية إلى ميناء الإسكندرية.

وظل الأمر على هذه الحال، إلى أن جاء شهر أيار/ مايو 1965، الموعد السنوي لانعقاد المجلس الوطني الفلسطيني في دورته العادية في القاهرة، فأخذت الإشاعات تتردد عن خلاف الشقيري وعبد الناصر، عند ذلك أبدى الشقيري لعدد من إخوانه الفلسطينيين استعداداه للاستقالة حتى لا تؤثر علاقته بعبد الناصر

---

(1) جميل بركات ، "الشقيري... وتبقى الذكرى"، مجلة الوطن العربي، العدد 219، 24-30 نيسان 1981.

بعلاقة المنظمة بالجمهورية العربية المتحدة، لأن تأييد القاهرة للمنظمة هو عنده  
أثمن من بقائه رئيساً للمنظمة.

ولما حان يوم افتتاح المجلس الوطني في قاعة جامعة القاهرة فاجأ  
الرئيس عبد الناصر المجلس بحضوره، وألقى خطاباً كان فيه دفاع عن الشقيري  
أمام من لا يدرك الواقع العربي ومصاعب القضية الفلسطينية، ولوم له لانسحابه  
من الجامعة في صدد موضوع بورقيبة، ولتجاوزه الحدود في مسألة الاتفاق مع  
الصين. ثم خطب الشقيري، وقدم في نهاية الخطاب، استقالته ليفسح المجال أمام  
المجلس كي يحاسبه، ويتخذ الموقف الذي يراه ملائماً، بعد أن كان ما مضى من  
تصرفات وأعمال تجري على مسؤولية الشقيري الفردية، بسبب تشتت أعضاء  
اللجنة التنفيذية هنا وهناك. وقد رفض المجلس الاستقالة وسجل التقدير للموقف  
الوطني الحازم الرائع الذي وقفه رئيس منظمة التحرير حفاظاً على القضية  
الفلسطينية".

كذلك كانت هذه السفارة إلى الصين بداية خلاف مع الأردن. فزار الشقيري  
الأردن لمعالجة هذا الوضع، ولحث الحكومة الأردنية على تنفيذ مطالب المنظمة  
الأربعة، وهي التجنيد الإجباري، وتسليح القرى الأمامية وتحصينها، وإقامة  
معسكرات التدريب، وإنشاء فرق الدفاع المدني. وحاول أن يقطع الطريق على  
من كان يدعي أن المنظمة تغذي الفرقة بين الفلسطينيين والأردني، وبين الضفة  
الشرقية والضفة الغربية.

وجابهت الشقيري أيضاً مصاعب كبيرة في دمشق، وهاجمته الصحف والإذاعة السورية، واتهمت المنظمة بأنها ليست ثورية، ولا جدوى في قيادتها.

كذلك أزعجه، وهو في بغداد يتفقد قوات القادسية، ما نقل إليه من أن السعودية ستتوقف عن دفع التزاماتها للمنظمة ولجيش التحرير، لأن الشقيري – كما قيل – أرسل كتائب من الفلسطينيين إلى فيتنام ليحاربوا هناك بدلاً من أن يخوضوا معركة التحرير في الوطن. فذهب إلى السفارة السعودية، وأبرق إلى الملك فيصل ينفي هذا الخبر، وطلب الإذن بزيارة السعودية. لكن الإذن لم يأت، فسافر إلى القاهرة، وأوعز لإذاعة فلسطين بإذاعة تصريح باسمه ينفي هذه التهمة.

كانت هذه الأحداث تجري، في الوقت الذي كانت مشروعات تحويل روافد نهر الأردن ومعها خطط القيادة العربية الموحدة تترنح وتتخبط. وقد ظل الشقيري يصرح دائماً منذ مؤتمر القمة الأول وفي لجنة المتابعة المنبثقة عنه وفي مجلس رؤساء الحكومات العربية، بأنه لا يؤمن بجدوى مشروع تحويل الروافد، لأن تكاليفه باهظة، ومن الخير أن تتفق على تسليح الجيوش العربية، ولأنه من ناحية فنية لا يحرم إسرائيل إلا من جانب ضئيل من المياه، ولأنه من ناحية عسكرية لا يملك الحماية الكافية؛ فإسرائيل قادرة دائماً على تدمير المشروع العربي. وكان رأي الشقيري أن يتولى الفلسطينيون تدمير المشروع الإسرائيلي. وقد تحقق ما حذر منه الشقيري في 17/3/1965 حين قامت إسرائيل بالإغارة على مواقع مشروع تحويل الروافد. وكان هذا أول تحد عسكري صارخ واجهته

الدول العربية بعد مؤتمر القمة، وثبت به، وبما تبعه من اعتداءات إسرائيلية متكررة على أعمال التحويل، أن القيادة العربية الموحدة تتعثر بلا عمل، وهيئة مشروع تحويل الروافد تشكو من توقف العمل، فالدول العربية لا تقي بالتزاماتها العسكرية والمالية.

كانت إرادة الشعب الفلسطيني، آنذاك، تشق طريقها لاستكمال المؤسسات. ورأى الشقيري وزملاؤه في قيادة المنظمة أن يكون المزيد نشاطاً دائماً في الخارج، وتنظيماً دائماً في الداخل. فأرسلت الوفود إلى أوروبا، وأمريكا اللاتينية، وأفريقيا وحملت هذه الوفود رسائل موقعة من الشقيري، رئيس المنظمة، إلى رؤساء الدول ووزرائها. وكان ذلك أول بادرة على بروز الشخصية الفلسطينية في الميدان الدولي. وقد قام سفراء الدول العربية بجهود كبيرة في تيسير مهمة الوفود، ومساعدتها في مواجهة الحملات الصهيونية المضادة.

وعلى الصعيد التنظيمي في الداخل، أنشأت المنظمة اتحاد الطلبة الفلسطينيين كقاعدة شعبية من قواعد منظمة التحرير. وقد دعا الاتحاد في أواخر آذار 1965، إلى (ندوة عالمية) عقدت جلساتها في القاعة الكبرى لجامعة القاهرة، وحضرتها جمهرة كبيرة من أنصار القضية العربية في أوروبا وآسيا وأفريقيا، وعدد من المفكرين العرب. وقد ألقى الشقيري خطاباً في افتتاح الندوة أبرز فيه قيمة هذه الندوة على مختلف الأصعدة، وبين فيه، من واقع خبرته الطويلة، أن قضية فلسطين ليس لها حل سياسي أو دبلوماسي، وأن حرب التحرير هي الطريقة

الوحيدة لإعادة الوطن، وللعودة إليه. ووجود إسرائيل في حقيقته باطل، يجب أن يزول من جذوره كما زال الوجود الاستعماري في أقطار آسيا وأفريقيا وأمريكا.

وفي 14/4/1965 ألقى الشقيري خطاباً في المؤتمر التأسيسي للاتحاد العام لعمال فلسطين الذي انعقد في غزة وحضره مندوبون عن اتحادات العمال العربية الدولية. وقد رحب بالوفود، وعرض لتاريخ الحركة العمالية في فلسطين ونشاطها الوطني، ودعا العمال إلى التدريب على السلاح، وإلى الوحدة ورص الصفوف.

وسافر الشقيري إلى القدس في أيار/مايو 1965 ليفتح المؤتمر العام لاتحاد المرأة الفلسطينية. واستعرض في كلمته التي ألقاها هناك تاريخ المرأة العربية عبر العصور، ودورها النضالي، ثم تحدث عن دور المرأة الفلسطينية في مكافحة الاستعمار والصهيونية إلى جانب الرجل.

وذهب الشقيري مع رجال المنظمة إلى قرية قلقيلية إثر العدوان الإسرائيلي عليها في 5/6/1965، وتلقاه أهل قلقيلية بصيحات تطالب بالسلاح.

كان الجو العربي والدولي، قبل عقد مؤتمر قمة الدار البيضاء في أيلول/سبتمبر 1965، مليداً بالغيوم الداكنة، وكان ذلك العام سلسلة من العثرات على الصعيدين العربي والدولي. ورأى الشقيري أن من حق الشعب العربي الفلسطيني أن يعرف موقع القضية الفلسطينية؛ فقد انتهى الزمن الذي كانت

القضية فيه تعالج في اجتماعات مغلقة بعيدة عن الشعب. لذلك ألقى من إذاعة فلسطين كلمة قبل مؤتمر القمة، ليعلم الشعب بالمصاعب التي تعانيها المنظمة، وبين فيها أن المنظمة ولدت على فراش مؤتمر القمة، أسيرة ظروف الدول العربية، ولا بد للمنظمة من أن تحرر إرادة الشعب الفلسطيني، ومن أن تمارس العمل بحرية كاملة. ووعد الشعب الفلسطيني بمطالبة الدول العربية بتعبئة قدرات الأمة لمعركة التحرير، وبإعداد الشعب الفلسطيني ليكون طليعة المعركة، وذلك بتطبيق التجنيد الإجباري، وتحصين القرى الأمامية، وإنشاء معسكرات التدريب، وجباية ضريبة التحرير.

وفي مؤتمر قمة الدار البيضاء الذي عقد في 1965/9/13، وتم فيه التوقيع على ميثاق التضامن العربي وإقرار خطة القيادة العربية الموحدة لتحرير فلسطين، عرض الشقيري على الملوك والرؤساء العرب ما استطاعت المنظمة أن تنجزه بالنسبة إلى جيش التحرير الفلسطيني، وإلى المؤسسات السياسية والإعلامية الأخرى، وطرح عدداً من المسائل والمقترحات للدراسة، وكان أولها موضوع الإقامة والسفر والعمل لأبناء فلسطين، وهو موضوع قديم يعود إلى بداية النكبة، ورجا الدول العربية التوقيع على البروتوكول الذي وضعته الجامعة العربية لتنظيم شؤون الفلسطينيين. لكن البروتوكول لم يوقع، واكتفى المجتمعون بدعوة المنظمة إلى الاتصال بالدول العربية للاتفاق مع كل منها على التسهيلات الممكنة.



ودعا الشقيري الحكومات العربية لإجراء انتخابات عامة لاختيار مجلس وطني تنبثق عنه قيادة فلسطينية، فالقضية قد وصلت إلى مرحلة تتطلب قيام قيادة منتخبة مسؤولة أمام الشعب. لكن الملوك والرؤساء طلبوا من المنظمة، في هذا الموضوع أيضاً، أن تتصل بالدول العربية وتتفق معها بشأنه. أما مسألة تجنيد الفلسطينيين في الأردن، فقد عارضها الأردن لأسباب اقتصادية واجتماعية. وكلفت القيادة العربية الموحدة بدراسة وتنفيذ مطلب المنظمة في زيادة عدد القوات الفلسطينية التي يتألف منها جيش التحرير في سورية وغزة. وقرر الملوك والرؤساء صرف المبالغ المستحقة للمنظمة من الوفر الموجود في ميزانية القيادة العربية الموحدة.

كان مؤتمر القمة في الدار البيضاء آخر مؤتمر قمة عقده الملوك والرؤساء قبل نكسة حزيران 1967، وقد أحس الشقيري بأن المؤتمر أخفق في معظم ما انعقد لأجله، إن لم يكن كله، ورأى أن الأمر يحتاج إلى مكاشفة الأمة العربية والشعب الفلسطيني بحقائق ما يجري من الأمور، وتحذيرهم مما سيكون في المستقبل، فألقى كلمة مطولة من إذاعة فلسطين حول القضية الفلسطينية ومستقبلها، وعن مؤتمر الدار البيضاء. وافرغ فيها غضبه على الحاضر، وأبدى جوانب الضعف في الموقف العربي وقرارات مؤتمر القمة، وانتقد الخلافات العربية التي تشل حركة الأمة، وتضعف إمكاناتها. ثم كاشف المستمعين بالمصاعب التي تواجهها منظمة التحرير بشأن مطالبها الشرعية في التجنيد العسكري

للفلسطينيين وحرية سفرهم وإقامتهم وممارسة نشاطهم الوطني وتعبئة طاقاتهم وتنظيم صفوفهم ، وهي المطالب التي رفضها المؤتمر ، ولم تجد الاستجابة الجديرة للتحرير وأهدافه ؛ فشعب فلسطين بحاجة إلى تحرير إرادته قبل تحرير أرضه ، وانطلاقه في تعبئة طاقاته هو أول خطوة على طريق تحرير فلسطين.. وأعلن الشقيري أن منظمة التحرير ليست رئيس المنظمة وأعضاء لجننتها التنفيذية، بل هي الشعب الفلسطيني.. ومن حق هذا الشعب أن يحدد موقفه ويقول كلمته، وهو يرفض أن تتكرر مأساة حكومة عموم فلسطين، فتصبح المنظمة دمية يلهو بها الحكام العرب.

وقد أثارت كلمة الشقيري هذه ردود فعل كثيرة من بعض الدول العربية، ولاسيما الأردن، لذلك تولت إذاعة فلسطين القيام بحملة توعية تبين مطالب المنظمة. وقام الشقيري، في اجتماعات كثيرة، بشرح وجهات نظره مؤكداً أن المنظمة لا تريد إقامة دولة في الضفة الغربية، وإنما تريد التعاون مع الأردن لبناء قاعدة انطلاق لتحرير.

وسافر الشقيري في 19/10/1965 إلى الأردن، لهذه الغاية، وقابل الملك وأجرى مباحثات مع رئيس الوزارة الأردنية، لكن المباحثات لم تنته إلى نجاح، وعادت الحملات الإعلامية بين الأردن والمنظمة، ولا سيما بعد اعتداء الإسرائيليين على منطقة اللطرون في 30/10/1965.

وتوسط الرئيس عبد الناصر للمصالحة بين المنظمة والأردن، ووصل  
بنتيجة هذه الوساطة وفد أردني إلى القاهرة. وانتهى الأمر في 1966/3/1 إلى  
اتفاق وقع في دار الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، من بنوده دراسة الأردن  
موضوع التجنيد الإجباري، وإحالة موضوع كتائب جيش التحرير إلى القيادة  
العربية الموحدة، والمبادرة إلى تسليح القرى الأمامية ومساعدتها في المجالين  
الاجتماعي والاقتصادي، والسماح للمنظمة بإنشاء مكاتب فرعية في المحافظات  
الأردنية ولجان توعية وجباية. وكان الاتفاق - على الرغم من ضعف الجانب  
العسكري - محققاً لبعض المكاسب للمنظمة. وقد سافر الشقيري إلى عمان لبحث  
وسائل تنفيذ الإنفاق، وطلب الأردن وقتاً للدراسة، وأرجئ الموضوع إلى اجتماع  
رؤساء الحكومات العربية في 1966/3/14.

شهد عام 1966 بداية نهاية مؤتمرات القمة. وكان التصدع قد بدأ منذ  
انتهاء مؤتمر الدار البيضاء، حين حامت في الآفاق الدولية والإسلامية أطياف  
المؤتمر الإسلامي. وأخذ الملك فيصل يتكلم عن الحاجة الماسة إلى عقده للنظر  
في شؤون المسلمين وتوحيد كلمتهم. وقد عارض الرئيس عبد الناصر هذه الدعوة  
وهاجمها، وانتهى به الأمر في خطابه في السويس في 1966/3/22 إلى إعلان  
إيمانه بعدم جدوى العمل العربي المشترك من خلال مؤتمرات القمة، والحملة على  
الرجعية العربية ودعاة الحلف الإسلامي. وظلت منظمة التحرير حيال ذلك كله  
تلتزم الصمت.

كان الموقف العربي في أعلى درجات التصدع والتمزق عندما اجتمع مجلس رؤساء الحكومات العربية في القاهرة في آذار 1966، وبدأ واضحاً فيه أن التضامن العربي غير موجود، وأن القيادة العربية الموحدة غير قادرة على تحريك القوات العسكرية، وأن هيئة تحويل روافد الأردن لا تجد حماية عسكرية، وأن منظمة التحرير في حاجة إلى تحرير، قبل أن تدخل معركة التحرير.

حضر الشقيري في آذار 1966 احتفال الفلسطينيين في قطاع غزة بذكرى جلاء القوات الإسرائيلية بعد عدوان 1956 الثلاثي، وتقل بين غزة وخان يونس ورفح يخطب في الجماهير، ويبرز بطولات الشعب الفلسطيني التي تجلت في أثناء الاحتلال الإسرائيلي .

في شهر أيار من هذا العام تكامل عقد المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الثالثة في غزة، وألقى الشقيري كلمة عن إنجازات المنظمة، وعن جيش التحرير، والأسلحة الصينية. وعرض فيها المطالب التي قدمها للاتحاد السوفيتي، وفيها ما تحتاج إليه المنظمة في هذه المرحلة من النضال. وبين في الكلمة موقف المنظمة من الحلف الإسلامي، وأنها معه إن كان قيامه للجهاد من أجل فلسطين، وضده أن كان مجرد اجتماع حكومات، بعضها معترف بإسرائيل.

وشاهد الشقيري وأعضاء المجلس الوطني مناورة لكثائب جيش التحرير الفلسطيني في خان يونس. وكانت ساعات ملأت النفوس بالاعتزاز، فانهمرت

دموع الفرح والنشوة، وناشد الشقيري، في خطابه هناك، كل ملك وكل رئيس أن يكون مع شعب فلسطين، ومع كفاحه لتحرير أرضه المحتلة.

ناقش المجلس الوطني تقارير اللجان الفرعية في جو كامل التقاليد البرلمانية، وانتهى إلى قرارات وافق عليها بالإجماع، منها المبادرة إلى إجراء انتخابات حرة للمجلس المقبل، واستكمال العدة، ومطالبة الدول العربية بالالتزام بتنفيذ قرارات مؤتمر القمة، وضرورة استخدام البترول العربي سلاحاً في المعركة، وشجب الأحلاف. وأوصى المجلس "باعتبار فلسطين المحتلة دائرة انتخابية واحدة، لها مقعد واحد، وانتخاب الأستاذ الشقيري رئيس المنظمة، نائباً عن هذه الدائرة واعتباره عضواً طبيعياً في المجلس الوطني الذي سيجري انتخابه في العام المقبل" (1).

ازدادت مطالبة الفلسطينيين في الأردن بتنفيذ اتفاق آذار /مارس 1966 بشأن التجنيد والتدريب والتسليح والتنظيم، ولاسيما بعد انتهاء دورة المجلس الوطني الثالثة في غزة، ووصول أخبار المنظمة وإنجازاتها، وجيش التحرير واستعداداته. وقد أثارت هذه المطالبة السلطات الأردنية، فصدرت الأوامر بالقبض على عدد من الفلسطينيين، وبمحاصرة مقر المنظمة في القدس. وكتب الشقيري للملك حسين يطلب منه إطلاق سراح المعتقلين، فرد عليه بأنها أمور داخلية وإجراءات

---

(1) أحمد الشقيري، على طريق الهزيمة، دار العودة بيروت، 1972، ص 162.

تتعلق بالأمن والقوانين . وحاول الشقيري الاتصال بالملك ، وبعث له برسالتين آخرين ، لكنه لم يفلح في مسعاه وازداد الأمر سوءاً بخطاب الملك حسين في عجلون في 14/6/1966 الذي هاجم فيه المنظمة و"غوغائية" رئيسها . ثم تمت القطيعة رسمياً بين الأردن والمنظمة في 17/7/1966.

انهار مؤتمر القمة بعد خطاب عبد الناصر في العيد الرابع عشر للثورة المصرية ، الذي أعلن فيه رفض الجمهورية العربية المتحدة الاشتراك في مؤتمر القمة المقبل و طالب بتأجيله إلى أجل غير مسمى . عندئذ أخذ الشقيري يتساءل عن مصير منظمة التحرير وجيش التحرير ، وعزم على بدء علاقات ثنائية مع الدول العربية في 28/7/1966 ألقى في الإسكندرية خطاباً قبل خطاب عبد الناصر التقليدي ، دعا فيه إلى تجميع قدرات الشعب الفلسطيني، لتكون طليعة للأمة العربية في معركة التحرير، ويّين أن الأردن منطلق التحرير، وعليها أن تفتح قلبها للمنظمة وغاياتها . وقال في ختام خطابه : "نحن في منأى عن الخلافات العربية ما دام الخلاف في منأى عن قضية فلسطين ... ومن كان معنا من الملوك والرؤساء فنحن معه ، ومن لم يكن معنا فلسنا معه، وليست الأمة العربية معه..."<sup>(١)</sup>.

---

(١) المصدر السابق ، ص 216.

وفي أيلول 1966 انعقد مجلس جامعة الدول العربية ، واتخذ قراراً بشأن تهويد القدس وافتتاح مبنى الكنيسة الجديد في القدس في 1966/8/30 م. وقد اعترض الشقيري على القرار في مجموعه. ورآه قراراً إنشائياً مثل جميع القرارات التي أصدرتها الجامعة العربية. وتقدم، بالمقابل ، باقتراحات عملية تجابه الأعمال الصهيونية . كذلك طالب في اجتماعات المجلس بالوفاء بالالتزامات العسكرية والمالية ، بعد أن قام الإسرائيليون بتدمير مواقع العمل في مشروع تحويل روافد نهر الأردن تدميراً كاملاً ، وطالب بدخول القوات السعودية والعراقية إلى الأردن ، وبتحديد الموقف من الولايات المتحدة الأمريكية التي تساند إسرائيل في عدوانها . لكن المجلس اكتفى بقرار استنكار للاعتداء ، ولموقف أمريكا.

عقد المجلس الدفاع العربي المشترك في 1966/12/7 دورة استثنائية بدعوة من الفريق علي عامر ، القائد العام للقيادة العربية الموحدة لبحث في العدوان على السموع وواجبات القيادة الموحدة، والتزامات الدول العربية. وقد تولى الشقيري الحديث على الجلسات الأربع لهذه الدورة الطارئة ، فتكلم عن القيادة الموحدة ومطالبها التي لا تنفذ ولا يستجاب لها . وشرح للمجلس تفاصيل غارة السموع ، واستعرض مطالب الشعب الفلسطيني . ثم مضت ثلاثة أشهر من القلق والحيرة في انتظار انعقاد مجلس الدفاع العربي من جديد ، وكان الشقيري ، ومعه منظمة التحرير ، وعلى قمة القلق والحيرة بعد أن سقطت مؤتمرات القمة . وفي هذا الجو انعقد مجلس الدفاع العربي المشترك في

1967/3/12 بدون حضور السعودية والأردن . وانتهت الاجتماعات بتوصيات موجزة تدعو إلى الوفاء بالالتزامات المالية، وبتكليف القيادة العربية الموحدة وضع تقدير جديد للموقف العسكري ، وبتوزيع الاعتمادات المخصصة للأردن على سورية ولبنان وجيش التحرير الفلسطيني .

كان الشقيري حريصاً أن تكون الحكومات العربية جميعاً في الميدان ، وأن تكون القضية فوق الخلافات العربية ، وبمنأى عن التناقضات العربية . لكن التناقضات وقعت على رأس الشقيري ، بغير إرادته ، واضطر إلى خوض المعارك على الرغم منه، وكانت أولها كما ذكرنا مع تونس عام 1965، وثانيتهما مع الأردن عام 1966، وكانت الثالثة، وهي صامتة، مع السعودية التي أوقفت دفع التزاماتها لمنظمة التحرير بتهمة أن الشقيري عميل لعبد الناصر وللشيوعية العالمية. وقد اضطر الشقيري للدفاع عن نفسه والرد على الحملات التي وجهت إليه. وجاء الدفاع في دورة مجلس جامعة الدول العربية في 1967/3/14. وقد استعرض في رده تاريخه النضالي ودفاعه عن القضايا العربية في المحافل الدولية. وأكد انه إنسان زائل، واختياره، أو اختيار غيره، من حق الشعب الفلسطيني الذي يرفض كل وصاية. وهو وحده، الذي يقرر أن كان جديراً برئاسة المنظمة أو غير جدير بها. وقد تولى مندوبو الدول العربية الدفاع عن الشقيري، وابرز مواقفه الوطنية في مختلف الميادين، ودعوا - عدا السعودية- إلى حذف أي بيان يتهمه بالانحراف، من ضبط الجلسة.



كان الشقيري في القاهرة أوائل نيسان/ ابريل 1967، ووصلته صباح السابع من نيسان، عن طريق الإذاعات، أخبار العدوان الإسرائيلي الجوي والبري على سورية، الذي كان أكبر المعارك التي شهدتها خطوط الهدنة العربية الإسرائيلية. وقد التقى بالسيد محمود صدقي سليمان رئيس الوزارة المصرية والفريق محمود صدقي، قائد سلاح الطيران ، بعد عودة الوفدين السياسي والعسكري اللذين ترأسهما من دمشق، وتباحث معهما بشأن الموقف العام. كذلك التقى بالفريق علي عامر القائد العام للقيادة العربية الموحدة، وتدارس معه الموضوع، وانتهى اللقاء بتوقع كارثة مهلكة.

عاش الشقيري النصف الأول من شهر أيار/ مايو 1967 في دمشق التي كانت تغور بالأحداث الساخنة، ومحورها العمل الفدائي الذي كان الإسرائيليون يهولون من مخاطره عليهم آنذاك، والتهديدات الإسرائيلية ضد سورية. وقد اجتمع بعدد من قادة فتح وأبطال العودة وجبهة تحرير فلسطين، وحاورهم حول العمل الفدائي، وبين لهم أخطاءه وأخطاره إن لم تتوحد المنظمات الفدائية، وإن لم تتوحد المنظمات السياسية، وأبدى استعداداه لوضع إمكانيات المنظمة تحت تصرفهم، وتكررت الاجتماعات دون نتيجة، ورفض الشقيري الرأي المناهض لتوريط الدول العربية وجرحها إلى حرب مع إسرائيل حتى لا تندوب القضية الفلسطينية. وبين قادة المنظمات خطر هذا الرأي، لأن الدول العربية غير قادرة على الحرب وغير

راغبة فيها، وستكون النتيجة وخيمة، وستعطى إسرائيل فرصة ذهبية للتوسع، وستختار مكان المعركة وزمانها.

أمضى الشقيري شطراً من وقته في دمشق في دار وزارة الخارجية السورية حيث كان يطلع على التقارير السياسية والصحافية والبرقيات، يدرسها ويحللها ويستخلص منها النتائج. وكانت الحشود الإسرائيلية على الحدود السورية بلغت حداً مثيراً للقلق. وقد دار بينه وبين وزير الخارجية السورية آنذاك حوار ونقاش حول مختلف الموضوعات، وحذر الشقيري من خطط الصهيونية وعزمها على العدوان. والتقى في 14 / 5 / 1967 في دمشق بالفريق فوزي رئيس هيئة القوات المسلحة في الجمهورية العربية المتحدة، لكنه لم يستطع أن يفهم منه شيئاً يشفي غليله ويجيب عن تساؤلاته ويزيل حيرته حول الحرب القادمة المتوقعة والاستعداد العربي لها، فعزم على العودة إلى القاهرة.

وفي صباح عودته من دمشق في 15 / 5 / 1967 شاهد من مكتبه في القاهرة وحدات الجيش المصري تخترق شوارع القاهرة إلى مناطق القتال. ووضعت القوات المسلحة المصرية في حالة الاستعداد القصوى، وأعلنت صحف مصر أن الجمهورية العربية المتحدة سوف تخوض المعركة ضد إسرائيل إذا تعرضت سورية لعدوان يهدد أراضيها وسلامتها.

ولما وجه الفريق محمد فوزي في 17/5/1967 كتاباً إلى قائد قوات الطوارئ الدولية في غزة يطلب منه سحب القوات الدولية من نقط المراقبة على حدود الجمهورية العربية المتحدة حفاظاً على سلامتها، قرأ الشقيري هذا الكتاب مرات ومرات، وتنازعه شعوران؛ شعور الفرحة بالهجوم والتحرير، وشعور الخوف لأنه خبر قوة الصهيونية، ومساندة أمريكا لها، وعرف مواطن الضعف العربي. وكان موقعه في قلب الأحداث لا على هامشها، وهو يذكر جيداً ما قاله عبد الناصر أكثر من مرة من أن تحرير فلسطين يحتاج إلى مزيد من الاستعداد والمال والوقت.

لذلك أيقن أن الرئيس عبد الناصر لا يعتزم الحرب حقاً، وأن الأمر لا يعدو كونه مظاهرة عسكرية لتحقيق مكاسب سياسية، وفرصة ذهبية للخلاص من قوات الطوارئ الدولية، وهي أكبر المطاعن التي كان خصوم عبد الناصر يوجهون إليه النقد والهجوم بسببها.

حاول الشقيري أن يعرف حقيقة الأمر وبواطنه، فتعذر عليه مقابلة الرئيس عبد الناصر لانشغاله الشديد، فقابل المشير عبد الحكيم عامر وتدارسا أمر جيش التحرير ودوره في المعركة المقبلة وخطط حماية قطاع غزة حتى لا تتكرر مأساة عام 1956. ولم تشف غليله هذه المقابلة، كما لم تشفها مقابلة محمود رياض، وزير الخارجية، وظل على قلقه وحيرته، وبخاصة بعد زيارة عبد الناصر وأركان حكمه سيناء في 22/5/1967، والخطاب القوي الذي ألقاه الرئيس عبد الناصر

هناك، لكن لم يكن أمام الشقيري إلا أن يعيش تلك الأيام التاريخية مع الشعب العربي وهو في قمة حماسته واندفاعه، فأمضى الشهر الأخير من شهر أيار/ مايو ينتقل من حي إلى حي في القاهرة، ومن مسجد إلى مسجد يخطب في الجماهير المتوثبة ويثير حماسها.

التقى الشقيري بعبد الناصر مساء 26/ 5/ 1967، وتحادثا حول الموقف، وبيّن للرئيس المصري شكوكه وأسباب قلقه، فأخبره الرئيس أن معركة التحرير لم يحن وقتها بعد، والمعركة اليوم معركة دفاعية مفروضة على مصر وعلى العرب، وإسرائيل هي التي بدأتها. وأوضح له أن الأمر انتهى بالنسبة إليه عند هذه المرحلة التي حقق فيها ثلاثة نجاحات: رفع الضغط عن سورية، والخلاص من قوات الطوارئ وموضوع خليج العقبة وهو يرجو ألا يزداد الموقف توتراً. وقد طلب من الشقيري الاتصال بدمشق من أجل الابتعاد عن كل ما يزيد التوتر ويشعله.

ظل الشقيري يتابع الأخبار ويتقرب الأحداث، وكان شديد الانتباه إلى كل ما يصدر عن واشنطن، لأن قرار إسرائيل حول الحرب، هو في حقيقته قرار الولايات المتحدة. وفي هذه الأثناء جاء الأمين العام للأمم المتحدة يوثانت إلى القاهرة، فاجتمع به الشقيري بحكم الصداقة التي تربط بينهما منذ أيام العمل في الأمم المتحدة. وقد دار بينهما حديث طويل طلب فيه يوثانت من الشقيري أن يساعده في إقناع القاهرة بقبول أفكاره التي سيقترحها من أجل تهدئة الموقف. ثم

أخبره يوثانت حينما زاره ثانية مودعاً أن الرئيس عبد الناصر لا يريد الحرب، لكنه لا يعرف، أو لا يضمن إسرائيل، وأنه يخشى أن يؤدي النزاع حول خليج العقبة إلى نشوب صدام شامل في الشرق الأدنى.

تتبع الشقيري خطابات عبد الناصر الثلاثة التي ألقاها في 26 و 28 و 1967/5/29 بعقله وقلبه، وراجعها ودرس مقاطعها. كذلك زار السفير السوفييتي في القاهرة ثلاث مرات محاولاً التعرف على موقف الاتحاد السوفييتي من تطور الأحداث، لكنه لم يسترح إلى حصيلة هذه اللقاءات، وظل على غير يقين من الموقف السوفييتي، في حين كان على يقين من موقف الولايات المتحدة المعادي. وأخذ يستطلع أخبار إسرائيل ويراجع مختلف الصحف، فاجتمع لديه من القرائن ما يثبت أن تواطؤاً أمريكياً إسرائيلياً قد دبر في واشنطن، وأن إسرائيل قررت أن تحارب في الوقت المناسب، ولم يبق إلا أن تحدد ساعة الصفر. وأخذ المتطوعون اليهود يتوافدون عليها من كل مكان، فازدادت مخاوفه، خاصة أنه يعرف أكثر من غيره أن العرب غير قادرين على الحرب، وليسوا مستعدين لها.

وصل الملك حسين إلى القاهرة في 1967/5/30 بصورة مفاجئة، فقد كانت العلاقات المصرية الأردنية في غاية السوء. وقد طلب الرئيس عبد الناصر بإلحاح من الشقيري أن يحضر اجتماعاته بالملك حسين لإزالة سوء التفاهم بين الأردن والمنظمة، من أجل الظروف الحاضرة والمعركة المقبلة. وانتهى النقاش بين الشقيري والملك إلى موافقة الملك على استئناف المنظمة نشاطها في الأردن،

وعلى عودة مكتب المنظمة في القدس إلى العمل.واقترح الشقيري أن يسافر مع الملك إلى الأردن في طائرته، لأن الأمر لا يحتمل التأجيل.

عاد الشقيري إلى بيته ليعدّ نفسه للسفر، في حين انصرف الرئيس عبد الناصر والملك حسين لإعداد معاهدة الدفاع المشترك بين مصر والأردن. ولم تتح للشقيري فرصة مقابلة زملائه في اللجنة التنفيذية، ورجع إلى قصر القبة حيث كانت الاستعدادات قائمة على قدم وساق لحفل توقيع المعاهدة. وقد أصر الرئيس عبد الناصر أن يحضر الشقيري الاحتفال، ويجلس معهما، ويخطب فيه. وبعد تبادل الرئيس والملك الكلمات، ألقى الشقيري كلمة قصيرة رجا فيها الله تعالى أن ينتقل هذا الاتفاق من الورق إلى الميدان بكل أمانة وإخلاص.

جلس الشقيري في الطائرة يتصفح اتفاقية الدفاع المشترك التي وقعت، فلم يجد فيها جديداً. ولما سأله الملك حسين عن رأيه، صارحه بأنه لا يرتاح إلا إذا سمح الملك لقوات جيش التحرير الفلسطيني الموجودة في درعا (سورية) بالدخول إلى الأردن والتمركز في القدس. فاستمهله الملك حتى يجد لذلك صيغة مناسبة، وحتى يتشاور مع القادة العسكريين. وقد أطلع الشقيري الملك على مخاوفه على القدس، وحاول أن يزيل ترددده .

ولما وصلت الطائرة إلى عمان خرج الشعب للترحيب بهما. وانصرف الشقيري إلى الفندق، وجاءته الوفود الفلسطينية المختلفة، والتقى بأصدقائه

القدامى. واجتمع في اليوم التالي مع الملك حسين والشريف ناصر بن جميل لبحث خطة التعاون والتنسيق بين الأردن والمنظمة. ثم سافر إلى القدس في اليوم نفسه، وفتح مكتب المنظمة المغلق، ورجع إلى فندقه في القدس ليستقبل الوفود التي تقاطرت من كل أنحاء الضفة، وعرض عليها أوضاع القضية الفلسطينية، وشرح لها ما جرى في اجتماع قصر القبة.

غادر الشقيري القدس في الليلة نفسها عائداً إلى عمان وذهب في اليوم التالي مع الشريف ناصر في جولة تقديرية لقطعات الجيش الأردني في الضفة الغربية. وعاد آخر النهار إلى قصر الملك في الحمّ، فأخبر الملك بانطباعاته، وأثنى على الجيش الأردني، لكنه بيّن له أن لا بدّ من دعم الجيوش العربية الأخرى، لأن الجيش الأردني وحده لا يستطيع الصمود أمام القوات الإسرائيلية، وأن هذا الدعم يجب أن يتم في أسرع وقت لأن المعركة قريبة بدليل ما تذيعه الإذاعات الإسرائيلية وتنتشره الصحف الصهيونية، وما اتخذته لجنة الصليب الأحمر من احتياطات الطوارئ في المنطقة لمجابهة احتمال الحرب. وقد أبدى الشقيري قلقه على القدس، فالشعب أعزل، والمدينة معرضة للسقوط في أي وقت، والدفاع عنها يجب أن يكون من الداخل بحرب شوارع، لا من الخارج. وعاد يكرر طلبه بالسماح بدخول كتائب جيش التحرير الفلسطيني من سورية إلى القدس .

أمضى الشقيري المدة الواقعة بين صباح يوم الجمعة 1967/6/2 وصباح الاثنين 1967/6/5 في القدس وذهب مع وفود الفلسطينيين من مختلف

أنحاء الضفة إلى المسجد الأقصى ليؤدوا صلاة الجمعة. وكان يوماً مشهوداً،  
خطب فيه الشقيري بعد الصلاة، وشدد على وحدة الأمة. ثم عاد إلى فندقه يستريح  
قليلاً، فمرت به الخواطر الكثيرة وهو يرى استعدادات اليهود، و حفر الخنادق  
ووضع أكياس الرمل، في حين كانت القدس القديمة نائمة بلا استعداد.

أتصل المشير عبد الحكيم عامر بالشقيري يخبره بأن الفريق طاهر  
يحيى قد جاء إلى مصر ليوقع على بروتوكول انضمام العراق إلى اتفاقية الدفاع  
لمشارك مع الأردن وأنه سيسافر غداً إلى عمان ليوقع مع الملك حسين هذه  
الاتفاقية وطلب منه أن يكون في عمان ليقابل الفريق يحيى ويحضر توقيع  
الاتفاقية .

انطلق الشقيري صباح الخامس من حزيران، مع سائقه، إلى عمان، وفي  
الطريق سمع من الراديو أخبار نشوب المعركة والبلاغات العسكرية. ولما وصل  
عمان اتجه فوراً إلى السفارة العراقية، فعلم أن القوات العراقية ستصل هذا اليوم  
ثم اتجه إلى مبنى القيادة العامة، وإلى غرفة العمليات العسكرية حيث كان الملك  
حسين والفريق عبد المنعم رياض ، الذي تولى القيادة الأردنية المصرية المشتركة،  
واللواء عامر خمّاش والشريف ناصر واللواء عاطف المجالي. وقد نقلوا إليه أخباراً  
مطمئنة أول الأمر، ثم وصل خبر ضرب المطارات الأردنية وتحطيم الطيران  
الأردني، ففزع الجميع. وذهل الشقيري ومن معه بما كانت الإذاعات الإسرائيلية  
تذيعه عن سير المعارك وعن الاستيلاء على عدد من مدن الضفة وغزة، فأدرك



أن الخطر كبير، لكنه لم يتصور آنذاك حجم الكارثة. وقد عاد إلى فندق الأردن وظل ساهراً يستمع إلى الإذاعات عليها تنتقل إليه أخبار الانتصارات العربية. ثم نام ما بقي من ليلته متألماً خائفاً.

صحا في اليوم التالي على أخبار إذاعة القاهرة التي كانت تملأ النفس إحباطاً وخوفاً، فأسرع إلى غرفة العمليات، فأخبر أن الموقف غير حسن، وأن الضفة ساقطة لا محالة. وكاد يفجع لما سمع، وهاله أن تسقط القدس والضفة. وتتابع الأخبار الكئيبة، وكان آخرها موافقة القيادة في مصر على اقتراح الأردن بسحب الجيش إلى الضفة الشرقية وإخلاء الضفة الغربية، وبرقية عبد الناصر التي تعترف بالهزيمة، فصعق الشقيري من السرعة التي حلت بها الهزيمة بالعرب.

عاد الشقيري إلى الفندق، واتصل به رجال المنظمة عن طريق موفد لهم، واخبروه عن وضع القدس السيئ، ونقلوا إليه مطالبهم. وفي اليوم التالي دعاه عبد المنعم رياض إلى غرفة العمليات حيث كان الملك حسين والجميع ومعهم برقية من الرئيس عبد الناصر تُشعر بانتهاء الجبهة المصرية. فعاد الشقيري إلى الفندق حزينا كاسف البال، وتعطلت مشاعره وهو يسمع إذاعة إسرائيل وهي تعلن سقوط القدس ومعظم الضفة، وصلاة زعماء اليهود عند حائط المبكى .

لم يحتمل الشقيري البقاء في عمان بعد سقوط القدس، فعزم على العودة إلى القاهرة عن طريق دمشق وبيروت. وانطلق - بدون زيارة دار القيادة العامة -

إلى دمشق، وشاهد في الطريق ارتال الآليات العراقية المدمرة. وكانت في طريقها إلى الميدان دون غطاء جوي. وفي درعا انتقل إلى مقر قيادة جيش التحرير الفلسطيني الذي وُضع بإمرة الجيش السوري، واتخذ مواقعه على الخطوط الأمامية. وطلب من هناك مقابلة رئيس الجمهورية السورية، فحملته سيارة من سيارات الدولة إلى مقر الرئاسة حيث التقى بالرئيس السوري، ودار بينهما حوار مؤلم حول الأوضاع- وعرج بعد المقابلة على مكتب المنظمة في دمشق حيث رأى مئات الفلسطينيين يتجمعون حوله يبدون رغبتهم في التطوع، ويطلبون السلاح وهم لا يعملون أن كل شيء قد انتهى إلى هزيمة. فانسحب الشقيري من أمام المكتب، ولم يدخله، وتابع سفره إلى بيروت حيث لم يجد طائرة تقله إلى القاهرة، لأن الأجواء مغلقة.

قضى الشقيري خمسة أيام في بيروت (من 8 - 13/6/1967) في الفندق يستمع إلى الزائرين والأصدقاء والصحفيين ، ويتحمل الكثير مما دار من لغط حوله وحنق عليه وعلى الملوك والرؤساء ، ولاسيما عبد الناصر . وفي هذه الأيام أعلن عبد الناصر استقالته وتتحّيه عن رئاسة الجمهورية ، ثم أعلن استعداداه للبقاء في مكانه حتى تنتهي الفترة التي يمكن فيها إزالة آثار العدوان .

وكان شغل الشقيري أثناء أيام انتظاره هذه ، أن يتابع تحرك مجلس الأمن في نيويورك ، وتحرك إسرائيل على الأرض العربية . ولما طال انتظار الشقيري في بيروت سافر إلى أثينا ، ومنها إلى ليبيا حيث أقام إلى أن وصلت أول طائرة

ركاب من القاهرة ، فعاد عليها . وكانت عودته مفاجئة لأسرته التي لم تكن تدري من أمره سوى أنه سافر مع الملك حسين ثم انقطعت أخباره بعد ذلك . وقد رأى الشقيري بعد عودته إلى مكتبه كل شيء في مكانه ، لكن الوجوه تغيرت فرسمت على ملامحها الكآبة والذلة.

أمضى الشقيري النصف الثاني من شهر حزيران /يونيو مع بريد الملوك والرؤساء وكان من تقاليدهم، رمزاً لاعترافهم بمنظمة التحرير، إرسال خطبهم وتصريحاتهم ورسائلهم التي يتبادلونها إلى الشقيري . وكان طبيعياً أن تصبح حرب حزيران ميداناً خصباً للرسائل ، تحدد المواقف والمواقع . لذلك اهتم الشقيري بهذا البريد ، يقرأه ويتأمل فيه ليحدد مكانه في المعركة . وكانت تصله أيضاً تقارير مكاتب المنظمة في الوطن العربي وهي تتحدث عن موقف الشعب أثناء المعركة ، واندفاعه ورغبته في القتال .

وقابل الشقيري في دار السفارة الجزائرية وزير الخارجية الجزائري عبد العزيز بوتفليقة الذي جاء إلى القاهرة ليطلع الرئيس جمال عبد الناصر على ما دار في موسكو خلال يومي الزيارة العاجلة التي قام بها الرئيس الجزائري هواري بومدين في 14/6/1967، وأبلغه أن الرئيس الجزائري نقل إلى السوفييت مشاعر الاستياء التي تعم الوطن العربي تجاه الاتحاد السوفيتي ، وتحمله جانباً كبيراً من المسؤولية في الهزيمة ، وأعلمه أن موسكو التزمت بتقديم جميع الأسلحة لمصر وسورية من أجل إزالة آثار العدوان . وكان الشقيري متألماً من موقف

الاتحاد السوفييتي اللين في تأييد العرب بمقابل الموقف الأمريكي الصلب في تأييد إسرائيل، ومن عدم سعيه لإجبار إسرائيل على الجلاء عن الأراضي العربية كما حدث في عهد خروشوف عام 1956.

حضر الشقيري اجتماع وزراء الخارجية العرب في الكويت في 17/6/1967 لبحث آثار العدوان . وقد دام الاجتماع نصف يوم ونصف ليلة، سارع بعده الوزراء إلى نيويورك لحضور الدورة الطارئة للأمم المتحدة بدعوة من الاتحاد السوفييتي . وكان من رأي الشقيري البقاء في الكويت وقتاً كافياً يسمح بدراسة خطة شاملة للتصدي للعدوان الإسرائيلي حتى يذهب الوزراء العرب إلى الأمم المتحدة وهم يتحدثون بلسان واحد . لكن رأيه لم يستجب له ، فسافر الوزراء إلى نيويورك ليجابها إسرائيل المؤيدة من أمريكا تعلن أنها لن تتزحزح من المناطق المحتلة ، وستضم القدس القديمة إلى القدس الجديدة وتعلنهما عاصمة موحدة لإسرائيل

ظل الشقيري في القاهرة يتسقط الأخبار ، ويقرأ التقارير الواردة من نيويورك ، ويترسخ في نفسه " أن الهزيمة في الوطن لا يمكن معها انتصار في الأمم المتحدة ؛ فان الغلبة في الأمم المتحدة للمنتصرين ، ولو كانوا على باطل، والهزيمة للمهزومين ، ولو كانوا على حق "(1).

---

(1) أحمد الشقيري، الهزيمة الكبرى ، دار العودة بيروت، 1972، ج2، ص50.

وكان الشقيري في جملة مستقبلي الرئيس السوفييتي بودغورني والمارشال زخاروف رئيس أركان الجيش السوفييتي والوفد المرافق لهما عند زيارتهما القاهرة في 1967/6/20، ولاحظ الهدوء والتحفظ في كلام الرئيس السوفييتي ، والبعد عن الالتزام بشيء حازم حاسم ، في حين كان يتوقع حزماً أكبر ، والتزاماً أوضح .

بدأ في مطلع الشهر السابع تحرك عربي متلاحق على أعلى المستويات، فزار بومدين القاهرة في 1967/7/9، والتقى به الشقيري ، وبين الرئيس الجزائري وجهة نظره ، وأنه كان يرى استمرار المعركة وعدم الموافقة على قرار مجلس الأمن بوقف إطلاق النار . وسأله عن موقف الشعب الفلسطيني في دوره ، فأبدى الشقيري الاستعداد لوضع جميع إمكانيات الشعب الفلسطيني في المعركة ، وأعلمه أن جيش التحرير جاهز مستعد .

وعقدت في القاهرة في منتصف هذا الشهر قمة عربية مصغرة من مصر والجزائر وسورية والعراق والسودان ، وحضر الشقيري جانباً من الاجتماعات، والتقى ببعض الرؤساء في لقاءات ثنائية . وكان محور الحديث استئناف القتال وتعبئة القدرات العربية للمعركة . وجاء إلى القاهرة في هذه الفترة جاكوب مالك نائب وزير الخارجية السوفييتية يحمل مقترحات لتسوية أزمة الشرق الأوسط ، وقابل الرؤساء الخمسة ، والتقى به الشقيري مرات ، ولم يجد من الرؤساء ومن الشقيري موافقة على مقترحاته التي تدعو إلى الاعتراف بإسرائيل وإزالة حالة

الحرب في سبيل الانسحاب من الأراضي المحتلة عام 1967، وأبدى له الشقيري رأيه في أن في مقترحاته تصفية للقضية الفلسطينية.

وفي ذكرى عيد الثورة الخامس عشر 1967/7/23 خطب عبد الناصر لأول مرة بعد النكسة ، وكان الشقيري يجلس على المنصة الرئيسية في جامعة القاهرة . وطلب منه الرئيس عبد الناصر بعد الخطاب أن يزوره في منزله في اليوم التالي لأنه لم يجتمع به منذ سافر مع الملك حسين قبل النكسة . وفي اليوم التالي روى الشقيري لعبد الناصر ما جرى ، ثم بدا عبد الناصر يتحدث عن المعركة، وعن الأخطاء ، والمسؤوليات بمرارة وحزن ، وشعر الشقيري أنه كان ينفس عما في نفسه مما لا يستطيع الجهر به ، فحاول أن يخفف عنه .

وقدم المارشال تيتو إلى القاهرة في 1967/8/10، وهو يحمل مشروعاً لحل أزمة الشرق الأوسط ينص على انسحاب القوات الإسرائيلية تحت إشراف مراقبي الأمم المتحدة ، وقيام مجلس الأمن بضمان حدود وأمن جميع دول المنطقة ريثما يتم حل نهائي للقضية .. وقد اجتمع الشقيري بالرئيس اليوغسلافي ، وأبدى له رأيه في المشروع ، وبين له أن الشعب الفلسطيني ، وهو ليس فريقاً في الأمم المتحدة ، لا يمكن أن يقبل هذا المشروع لأنه يترك قضية فلسطين بمجموعها بدون حل ، بين يدي مجلس الأمن الذي تسيطر عليه أمريكا .

اجتمع وزراء الخارجية العرب في الخرطوم في 1/8/1967، للتمهيد والإعداد لمؤتمر القمة الذي اتفق الرؤساء الخمسة على الدعوة إليه أثناء اجتماعهم في القاهرة في الشهر الماضي . وحضر الشقيري اجتماع الخرطوم هذا، وتقدم ، باسم الشعب الفلسطيني ، بمجموعة من المقترحات السياسية والإعلامية والعسكرية لتكون أساساً لخطة عربية شاملة لإزالة آثار العدوانين، اللاحق والسابق ، وقد ظهرت في المؤتمر تناقضات الدول العربية واختلافاتها، واصطدم الشقيري بوزير الخارجية التونسي، واحتدمت المناقشة بينهما حين طالب بقصر الاجتماعات على الوزراء دون الشقيري فهدد الشقيري بالانسحاب ، وأصدر بياناً صحفياً عنيفاً رد به على بيان المندوب التونسي. وتوسط عدد من المندوبين لتهئية الجو. وتوتر جو المؤتمر ثانية حين طالب الشقيري بضرورة فتح الجبهة الاقتصادية في المعركة ، واستخدام النفط سلاحاً فيها . وانتهى الأمر بإرجاء بحث الجوانب السياسية لموضوع البترول ، ودعوة وزراء العرب المختصين (المال والاقتصاد والبترول) لبحث الموضوع من جميع جوانبه ، وتقديم تقرير بنتيجة أبحاثهم وتوصياتهم إلى اجتماع وزراء الخارجية الثاني في 26/8/1967، حتى يكون كل شيء جاهزاً أمام مؤتمر القمة المقرر عقده في 29/8/1967.

تأخرت دعوة الشقيري إلى مؤتمر قمة الخرطوم لأن عدداً من الرؤساء كان يعارض وجوده . ووقعت حكومة السودان المضيفة في حيرة ، لأنها لا تستطيع أن تقرر وحدها استبعاد رئيس منظمة التحرير ، ولا تستطيع من جهة

أخرى ، إغضاب بعض الملوك والرؤساء . وكان الشقيري زاهداً حقاً في حضور المؤتمر ، لكنه رأى أنه لا يصح ، من أجل القضية الفلسطينية، أن يرضى بهذه السابقة، وتغيب المنظمة عن الساحة. لذلك خطر في نفسه خاطر جريء، فبعث مدير مكتب المنظمة في بيروت إلى السودان ليذكر بالدعوة ،وليهدد – إن فشل – بأن الشقيري سيحضر إلى السودان ،وسيزهد إلى الجامع الكبير ، ويعلم من على منبره للشعب السوداني أنه ضيف الشعب ، وأن الملوك والرؤساء ، ومعهم حكومة السودان ، يريدون استعباد منظمة التحرير من حضور المؤتمر . ونجحت الخطة ، إذ وصلته برقية دعوة إلى المؤتمر بعد 48 ساعة ، فسافر في مساء اليوم نفسه إلى الخرطوم، واستقبله رئيس الوزراء محمد أحمد محبوب .

ذهب الشقيري في اليوم التالي لحضور اجتماع وزراء الخارجية الذي كان يعد جدول أعمال المؤتمر، ويهيئ التوصيات والدراسات ، وقدم في الاجتماع ملفاً كاملاً عن موضوع استخدام السلاح الاقتصادي في المعركة، بعد أن قدم مندوب العراق مشروع بلده عن (التكامل الاقتصادي) . ورفض الشقيري أن يكتفي وزراء الخارجية بإحالة الموضوع إلى مؤتمر الرؤساء والملوك ، وطلب التصويت عليه لمعرفة من يوافق على توصيات بغداد ومن لا يوافق ، حتى يعرف الرأي العام العربي حقائق الأمور . وأوقف النقاش خشية تطوره إلى خلاف وأُتفق في الكواليس على أن لا داعي للتصويت حتى لا يحدث شقاق ،وعلى أنه يحسن إحالة موضوع النفط إلى الملوك والرؤساء .



وقد قدم الشقيري ، باسم المنظمة ، ورقة عمل للمناقشة ضمنها اقتراحات على الصعيد الفلسطيني والصعيد العربي ، والصعيد الدولي . وأصرّ على أن يناقشها وزراء الخارجية ، ويتخذوا بشأنها قراراتهم ، وألا يكتفي بإحالتها إلى الملوك والرؤساء مع جدول الأعمال . وتوتر جو الاجتماع ثانية وانتهى الأمر بإحالة اقتراحات المنظمة إلى لجنة فرعية لدراستها ، وتقديم التوصيات بشأنها .

خرج الشقيري مع الوزراء والسفراء لاستقبال الملوك والرؤساء وسط حشود الشعب السوداني ، وكأنها خرجت تستقبل آمالها المرجوة ونصرها المستقبلي ، وهي لا تدري بما يجري داخل الاجتماعات المغلقة . وتوافد القادمون ، وكان آخرهم الرئيس جمال عبد الناصر والملك فيصل ، وتخلف عن حضور المؤتمر الرئيسان الجزائري هواري بومدين والسوري نور الدين الأتاسي .

افتتح الرئيس السوداني إسماعيل الأزهرى الجلسة الأولى مساء يوم الثلاثاء في 1967/8/29 في جو غير مسترخ ، لما بين الرؤساء ، وألقى كلمة دعا فيها الجميع الى نبذ التناحر . وفي الليل جرى لقاء مغلق بين الملك فيصل والرئيس عبد الناصر في منزل رئيس الوزارة السودانية، لم يعرف أحد كنهه. وفي اليوم التالي تحدث عبد الناصر في جلسة شبه مغلقة للمؤتمر، ولخص على مدى ساعتين الوضع قبل النكسة وبعدها، وقدم اقتراحاته لقيام عمل عربي موحد على الجبهات الثلاث العسكرية والسياسية والاقتصادية.

ثم تحدث باقي الملوك والرؤساء عدا الملك فيصل، وجاء دور الشقيري، فألقى كلمة، كانت - على خلاف عادته - مكتوبة حتى يوحى لمن يسمعه أنها بعيدة عن العاطفة والارتجال. وقد لخص في بدايتها الاتجاه الغالب في المؤتمر في استبعاد استئناف القتال في وقت قريب، وبين أن هذا الاتجاه لا يمثل إرادة الشعوب العربية وتصميمها على احتمال التضحية. وقدم خطة بديلة تترابط فيها الجوانب العسكرية والاقتصادية والسياسية، وأكد فيها المبادئ الأربعة التالية: لا صلح مع إسرائيل، ولا تفاوض، ولا تعايش، ولا انفراد بقبول أي حل للقضية الفلسطينية.

كانت كلمة الشقيري بمقام إنذار للملوك والرؤساء، واستنكار للمصير الذي سينتهي إليه المؤتمر إذا ظل على حاله من التراخي. وقد بيت الشقيري في نفسه أمراً، لأنه أحس أن مسيرته مع الملوك والرؤساء قد طالت بدون فائدة.. ودعا الرئيس جمال عبد الناصر مساء لتناول العشاء منفردين في جناحه. وقد انساقا في حديث طويل وصريح، سأل فيه عبد الناصر عن كلمته، وعن الأسباب التي حملته إلى هذا الموقف (الناشف)، فروى له بعض ما عاناه من الدول العربية منذ إنشاء الكيان الفلسطيني، وصارحه بأن الأمر قد بلغ مرحلة خطيرة لا يجوز السكوت عنها أو الصبر عليها، فإما مسيرة صحيحة ووفاء بالالتزامات، وإما مكاشفة الأمة العربية بالحقيقة وانتهاج مسيرة نضالية قويمة، يسير فيها من يسير، ويتخلف عنها من يتخلف. ثم بين له الرئيس عبد الناصر سياسته في هذا

المؤتمر، والتي تقوم على الحصول على الممكن. فرد الشقيري بأن الممكن أمر نسبي، ولا بد من استغلال المد الشعبي العربي للحصول على (ممكن) قوي. وكان عبد الناصر يؤكد الحاجة إلى الحكومات العربية في هذه المرحلة، في حين كان الشقيري يشدد على دور الشعوب.

بدأت الجلسة التالية عند ظهر اليوم التالي، وكان الجو مشحوناً بتأثير كلام الشقيري، وجرى نقاش حول العمل الفدائي، والعسكري، والقيادة العربية الموحدة..... ثم اقترح الرئيس عبد الناصر، وبسرعة، أن يستأنف ضخ النفط على أن تساعد دول النفط الدول المعتدي عليها. وقد تم الأمر بسرعة، واتفق الطرفان النقيضان، الملك فيصل والرئيس عبدالناصر، وصيغ القرار، وحددت مبالغ الإعانات، بما دلّ على أن كل شيء كان مرتباً من قبل، في الاجتماع الذي عقد بين الرئيس عبد الناصر والملك فيصل في منزل محمد أحمد محجوب.

وتوتر جو المؤتمر حين بين الشقيري -بحزم - أن قضية فلسطين بالرغم من كونها قضية عربية، هي قضية شعب فلسطين، ولشعبها الكلمة الأولى في تقرير مصيره، ومنظمة التحرير هي وحدها، التي تمثل الشعب الفلسطيني وتتحدث بلسانه، ولا يملك أحد غير الشعب الفلسطيني أن يوافق على أي حل للقضية الفلسطينية. وأوضح أن خبرته بإسرائيل تدفعه إلى رفض الرأي الذي ينادي بالحاجة إلى العمل السياسي، لأنه لا بد من ثمن بدفعه العرب، والثمن هو تصفية القضية الفلسطينية تصفية نهائية. وهو لا يعتقد أن الضفة الغربية،

أو غيرها من المناطق المحتلة يمكن أن تعود سلباً وبالعامل السياسي . وقد أثارت كلمات الشقيري هذه نقاشاً طويلاً حامياً ، ظل فيه الشقيري على صلابته ومعارضته، حتى لعبد الناصر فيما قاله وطرحه، لذلك بادر الرئيس الأزهري إلى تأجيل الجلسة إلى اليوم التالي. وظل الشقيري متمسكاً بموقفه رغم توسط بعض الوزراء الذين سعوا لتلين موقفه.

ولما استؤنفت الجلسة الرابعة والأخيرة في اليوم التالي ، أكد المجتمعون الحاجة إلى السير في خطوات العمل السياسي إلى جانب العمل العسكري ، واتجهوا إلى وضع القرارات . فذكرهم الشقيري بأن جدول الأعمال لم يُبحث بكامله بعد ، وبقي منه : إزالة آثار العدوان على المستوى العسكري ، ووضع خطة عربية شاملة بعيدة المدى ومتكاملة سياسيا وعسكريا واقتصاديا لدعم التضامن العربي وتحقيق الأهداف العربية ، فاعتذر الرئيس بأن الملوك والرؤساء لديهم مسؤوليات في بلادهم ، ولا بدّ من عودتهم . عندئذ سخر الشقيري من أن ينتهي المؤتمر كله إلى تقديم 135 مليون جنيه فقط ولا يتخذ أي قرار آخر ناجح ، واصطدم مع بعض المجتمعين ، واختلّ نظام الجلسة ، فنهض الشقيري يحمل أوراقه وهو يقول " أنا لست ملكاً لأحرص على البقاء في الملك ، ولست رئيساً لأحرص على البقاء رئيس جمهورية " ... أنا واحد من شعب فقد كل شيء ، ولم يعد لنا ما نخسره لأننا خسرن كل شيء ، ولكن بقي لنا عقلنا وكرامتنا وآمالنا . إن الاتجاه العام في هذا المؤتمر لا يشجعي على المشاركة فيه ، ولا أستطيع

أن أساهم في هذه القرارات : ولذلك فإني أعلن انسحابي من المؤتمر<sup>(1)</sup>. وخرج من الاجتماع في حين أكمل الملوك والرؤساء جلستهم.

بعد انتهاء الجلسة الختامية لمؤتمر القمة مباشرة عقد الشقيري مؤتمراً صحفياً في الفندق ، وعرض في بدايته أسباب انسحاب المنظمة من المؤتمر ، فهي "لا تستطيع أن تشارك في تحمل مسؤولية الاتجاه العام الذي سار عليه الملوك والرؤساء في معالجتهم لموضوع إزالة آثار العدوان " <sup>(2)</sup>. وانصرف بعد المؤتمر إلى شرفة الفندق وهو يحس أنه قد ملك حريته بعد عبودية .

غادر الشقيري الخرطوم إلى القاهرة في اليوم التالي ، وكانت الصحف تقدم قرارات المؤتمر بأضخم العناوين، على حين أوردت خبر انسحابه في زاوية مغمورة . وظل موضوع انسحابه من المؤتمر مطموساً بعيداً عن انتباه المواطن لما فرض من رقابة على الصحف والإذاعات بهذا الشأن .

أمضى الشقيري وقته في القاهرة . وفي هذه الفترة عقد مجلس الأمن جلسة مستعجلة بطلب من وفد الجمهورية العربية المتحدة في 1967/11/9. وقد انتهت جلسات المجلس في 1967/11/22 بالموافقة بالإجماع على القرار 242 المعروف . وكان الشقيري ليلة إصداره يتابع الإذاعات الأجنبية وهي تنقل نصه بالإنكليزية ، فتملكه الخوف ، وتحققت مخاوفه ، فقد أعطى القرار لإسرائيل أكثر

---

<sup>(1)</sup> الهزيمة الكبرى، ج2، مصدر سابق، ص 227.

<sup>(2)</sup> المصدر السابق، ص228.

مما تريد ، وأعطى العرب أقلّ مما يطلبون ، لذلك رحب الإسرائيليون بالقرار ،  
وبقدوم الدكتور يارنغ ممثل الأمين العام للأمم المتحدة ، فهذا القرار يربط - لأول  
مرة - بين الانسحاب وإحلال السلام وإقامة حدود آمنة متفق عليها.

وعقد الشقيري في مقر منظمة التحرير بالقاهرة في 1967/11/24 مؤتمراً  
صحفياً ليحدد موقف الشعب الفلسطيني من هذا القرار . وقد أعلن فيه "رفض  
منظمة التحرير الممثلة للشعب الفلسطيني ، قرار مجلس الأمن جملة وتفصيلاً  
(1)". وأجاب عن أسئلة الصحفيين ، ولاسيما الأجانب ، بما يملك من خبرات  
اكتسبها من معاشة القضية عمره كله . وقد اضطر الى ارسال وقائع المؤتمر  
إلى صحف بيروت كي تنشر هناك ، بعد أن أغفلت أجهزة الإعلام المصرية  
الحديث عن تفاصيل ما جرى في المؤتمر .

بعد أقل من شهر ، وفي 1967/12/14 وصلت الشقيري مذكرة قدمها  
سبعة من أعضاء اللجنة التنفيذية منظمة التحرير الفلسطينية يقول  
فيها : "حرصاً على الكيان الفلسطيني ، وتحقيقاً للوحدة الوطنية ، ووحدة النضال  
المسلح، وتمكيناً للمنظمة من التصدي لإحباط المحاولات والإجراءات المترتبة  
على قرار مجلس الأمن الذي يستهدف تصفية القضية الفلسطينية، نعلن أنه لا  
بد من تحريك من رئاسة اللجنة التنفيذية للمنظمة إذا ما أُريد لها البقاء . ونطلب

---

(1) الهزيمة الكبرى، ج 2 ، مصدر سابق، ص 274.

إليكم التحي فوراً عن رئاسة المنظمة لنتمكن ، بالتعاون مع ذوي الرأي من إخواننا أبناء فلسطين ، من الوصول إلى قيام قيادة جماعية واعية للمنظمة تعمل على مستوى الأحداث".

وقد قدّم الشقيري استقالته في 1967/12/24 بناء على عوامل كانت وراءها أوضاع عربية ودولية فقد شعر أنه قد خلق أزمة عربية بانسحابه من مؤتمر قمة الخرطوم ، وأن عدداً من الملوك لا يريدون التعاون معه ، وأنه أصبح شخصاً غير مرغوب فيه لدى الرأي العام الدولي .

لم ينته دور الشقيري بخروجه من رئاسة اللجنة التنفيذية ، وتوقفه عن ممارسة العمل الرسمي ، وابتعاده عن واجهة الأحداث السياسية في الشرق الأوسط ، لأن "دور المؤسس لا ينتهي بخروجه ، ما دامت المؤسسة قائمة"<sup>(1)</sup>. وقد ظل يؤدي دورة الوطني والقومي ، على الصعيدين الفلسطيني والعربي، إلى أواخر حياته، وإلى أن أقعده المرض، وحال بينه وبين النشاط والعمل.

لقد واصل الاهتمام بالشؤون الفلسطينية والعربية ومتابعة السياسة الدولية من موقع المواطن العادي ، وقام بجولات في الوطن العربي ، قادته من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب، وتعرف خلال ذلك على مشاعر الجماهير العربية

---

<sup>(1)</sup> من مقال للدكتور انيس صايغ بمناسبة أربعين أحمد الشقيري ، عنوانه: "الرجل المفترى عليه .. صادق تأمرت عليه الظروف"، جريدة القبس الكويتية 1980/4/9.

وآرائها بصدد القضايا العامة التي تشغل بالها وتثير اهتمامها ، وكانت له لقاءات كثيرة مع المواطنين والمسؤولين هنا وهناك ، عرض فيها آراءه، ونصائحه وخبراته. وعقد مؤتمرات صحفية وكتب رسائل كثيرة يضاف إلى ذلك تأليف كتبه الغنية القيمة التي سطرها بعد (تقاعده) في السنوات الإثنتي عشرة الأخيرة من حياته. يقول في رسالة كتبها من القاهرة إلى أحد أصدقائه بعد أسابيع من استقالته : " واني أرجو أن يكون فيما جرى خير لقضيتنا ومنظمتنا. وسأظل في خدمة النضال العربي ، وفلسطين في الطليعة ، حتى النفس الأخير . وما أحسن ما قال القدماء من الصوفية : لو اطلعت على الغيب لاخترتم الواقع. ثم أردفوا ذلك بقول آخر : "إن لله خواص في الأزمنة والأمكنة والأشخاص"(1).

وقد ظل الشقيري مفتحاً على جميع الفئات والتنظيمات الفلسطينية ، يتعاون مع أي جماعة تقصده للاستشارة ، أو للاستشارة برأيه ، ويستقبلها بسعادة ورضا ، ولا يفتقر عن إبداء النصيحة والدعاء بالتوفيق . وقد قبل ، بسرور واعتزاز ، اختياره عضواً مدى الحياة في المجلس الوطني الفلسطيني، تكريماً لنضاله في سبيل القضية . وكان بيته الصيفي في بلدة كيفون بلبنان، ومنزله القديم في القاهرة ملتقى رجالات فلسطين والعروبة ، يجتمعون عنده ويتدارسون معه سبل التحرير وطريق الوحدة . وكان الشقيري يدلي بآرائه المستخلصة من تجاربه الطويلة في

---

(1) من رسالة للشقيري إلى صديقه خيري أبو الجبين في الكويت، نيسان /أبيل 1978.



الميدانيين العربي والدولي ، ويقدم ذكرياته عن فلسطين ، تراباً ونضالاً وقصصاً .

وخلال زيارته البلدان العربية ، كان يحب الالتقاء بأصدقائه هناك ، يبصّروهم ويوعيههم . وقد ظلت الوحدة العربية القضية الأولى عنده ، يتابعها ، ويراقب مسيرتها وأثرها في القضية الفلسطينية . كتب في بعض رسائله إلى أصدقائه في نيسان / ابريل 1971 بعد قيام اتحاد الجمهوريات العربية : " وأنا وإياك من الجيل الذي عاش وناضل من أجل الوحدة . وإني أدعو الله أن ينقضي الفاتح من أيلول والوحدة قد نجت من المؤامرات التي تحيط بها ، وأن تتجسد الفكرة على صورة جدية قادرة على مواجهة الأحداث . وأنه بقدر ارتياحنا للوحدة ترى أن القضية تسير من سيء إلى أسوأ ، والأوضاع الفلسطينية تكتنفها مرحلة خطيرة " (1) .

ومن رسائله في هذه المرحلة من حياته رسالة وجهها إلى مؤتمر القمة العربية السابع في الرباط عام 1974 ، دعا فيها الملوك والرؤساء إلى الحفاظ على منجزات حرب رمضان / أكتوبر 1973 من المساومات السياسية ، ولفت نظرهم إلى الأخطاء السياسية التي وقعت بعد الحرب ، ورسم معالم خطة بديلة

---

(1) رسالته السابقة إلى خيري أبو الجبين.

لاستمرار النضال ومتابعته ، مؤكداً أن " الكفاح المسلح هو طريق التحرير ، ولا طريق سواه " (1) .

وعقد مؤتمراً صحفياً في الكويت في 1/2/1977 حمل فيه على الاتجاه إلى التسوية السلمية لأزمة الشرق الأوسط من خلال مؤتمر السلام في جنيف ، فأوضح خطورة هذا المؤتمر لأنه يقوم على الالتزام بقرار مجلس الأمن رقم 242 ، ووجه النقد إلى السياسة الأمريكية ، وذكر بالقوة الاقتصادية التي تملكها الدول العربية .

وقد شارك الشقيري في الحوار الذي دار على صفحات الصحف المصرية في منتصف عام 1977 عن القومية العربية ، والوحدة العربية ، وتصدى بروح علمية هادئة ، لظاهرة التشكيك بعروبة مصر ، بالوحدة العربية. وقال في مقدمة ذلك : وأحسب أن من حقي، بل من واجبي كمواطن عربي، أن أشارك في هذا الحوار، وألا أتركه مقصوراً على المفكرين الكبار من أبناء مصر.... ولا يصح أن اكتفي بدور القارئ والمستمع، وصيحة هذا الحوار عن الأمة العربية غير بعيدة عن منزلي(1).

---

(1) أحمد الشقيري، صفحات من القضية العربية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، ص24.

(1) صفحات من القضية العربية ، ص 103.

كَلَّف الأمين لجامعة الدول العربية الشقيري في عام 1977 وضع صيغة جديدة للجامعة العربية؛ ميثاقاً ، ونظماً ، وإدارة أساسية . وقد قام ، من أجل ذلك، بعدد من الزيارات لبعض الأقطار الغربية، للتشاور بشأن المشروع الذي بدأ يعبه. لكن بعض الظروف العربية حالت دون تنفيذ المشروع رسمياً. فحوّل الشقيري مشروعه إلى مادة كتاب ، أنجزت طباعته قبل وفاته بأشهر قليلة .

وكان التحول المفاجئ في السياسة المصرية حيال الصراع العربي الإسرائيلي ، وتوقيع اتفاقيات كامب ديفيد، صدمة كبرى للشقيري، سببت له ألماً عظيماً ، عبر عنه في رسالة إلى أحد أصدقائه في الكويت بتاريخ 1978/11/2، ذكرى وعد بلفور ، فقد قال : " اكتب في هذا اليوم المشؤم ، وهو الآن في ذروة الشؤم لما حل بشعبنا من الهوان والتشرد... "(2) وأبدى في هذه الرسالة عزمه على السفر إلى الكويت للاتصال بالأخوة "لمزيد من التبصرة والتوعية ، وخاصة على الصعيد الإعلامي " ، وطلب تدبير عقد ندوة في الجامعة ، ولو على نطاق محدود ، من أجل ذلك . وقد حاول الشقيري أن يثني السادات عن عزمه على توقيع معاهدة كامب ديفيد ، فوجه إليه رسالتين ، الأولى بتاريخ 1978/11/22، وتركز الحديث فيها عن القدس وأهميتها الإسلامية ، وتنفيذ الضمانات الأمريكية بعودتها ، وإظهار مسؤولية مصر القومية تجاهها ، ونصحه ألا يوقع مع العدو الصهيوني أية وثيقة ، مهما كانت الظروف ، من أجل الحفاظ على حقوق

---

(2) من رسالة إلى خيري أبو الجبين في الكويت بتاريخ 1978/11/2.

الشعب العربي الفلسطيني . واختتم الرسالة قائلاً: " كتبت لسيادتكم هذه الرسالة بعد صلاة الفجر ، ويداي مرفوعتان إلى السماء ، تضرعان إلى الله بأن يهيئ لك من أمرك رشداً ، وأن يخرجك مما أنت فيه مخرج صدق . واذكروا قول الله تعالى في كتابه الكريم " لا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون . صدق الله العظيم "(1).

وقبيل توقيع المعاهدة بعث الشقيري رسالته الثانية إلى السادات ، وبين فيها رأيه في مباحثات معاهدة الصلح المصرية الإسرائيلية ، وحذر السادات من مصير العزلة عن الوطن العربي إن وقعت المعاهدة ، وأوضح له أن التسويات المقبلة تتجاهل القضية الفلسطينية ، وأنها أعطت كل شيء لإسرائيل ، فهي الرابحة ومعها أمريكا(2).

وظلّ الشقيري يتابع القضية ، ويواصل نشاطه الإعلامي ، فأرسل بواسطة السفارة الأمريكية بالقاهرة ، قبيل توقيع معاهدة الصلح المصرية الإسرائيلية أيضاً رسالة إلى وزير الدفاع الأمريكي الذي كان يقوم بزيارة الشرق الأوسط ، انتقد فيها سياسة أمريكا المحابية لإسرائيل والمعادية للعرب ، وانتقد مبادئ التسوية السلمية

---

(1) صفحات من القضية العربية، ص 31-36. وكانت الرسالة نشرت في جريدة الرأي الأردنية بتاريخ 1978/11/22.

(2) المصدر نفسه، ص 37 - 43.

المطروحة (1) . وأرسل مذكرة تحذير إلى الرئيس الأمريكي كارتر قبيل توقيع المعاهدة بأيام (آذار/مارس 1979) عن طريق السفارة الأمريكية في القاهرة ، وكلف بعض أصدقائه نشرها في صحف الخليج . وقد وضع فيها أحاسيس المواطن العربي وآماله ومخاوفه ، وضمّنها الرأي العربي الشعبي المعارض للمعاهدة والمعادي لأمريكا بسبب مساندتها لإسرائيل ، ودحض فيها بنود التسوية فيما يتعلق بالقدس والضفة الغربية وقطاع غزة وتقرير المصير والحكم الذاتي والمستوطنات ، وانتقد إهمال حق اللاجئين الفلسطينيين في العودة وهدر حقوق الإنسان الفلسطيني، وتناول بالتحليل جميع المواضيع المختلف عليها في التسوية المطروحة، وبيّن أسباب رفضها، ودعا إلى تغيير جذري في السياسة الأمريكية، لأن التسوية تحمل مخاطر الدمار والخراب والاضطراب في الشرق الأوسط(2). وقد عقد الشقيري مؤتمراً صحفياً في الكويت بتاريخ 1979/3/1، بعد أن توافدت إلى منطقة الخليج الوفود الأمريكية في أعقاب الثورة الإيرانية، تدعو إلى إقامة نظام دفاعي لحماية المصالح الأمريكية تكون فيه إسرائيل، بالطبع، رأس هذا النظام. ودعا الشقيري – لمواجهة التهديدات الأمريكية – إلى إقامة دولة اتحادية

---

(1) المصدر نفسه، ص ص 45-51.

(2) صفحات من القضية العربية، ص ص 61-74.

في الجزيرة العربية، لأن أي تناقص في عدد الدول العربية سيصبح تكاثراً في القوة<sup>(1)</sup>.

وبعد توقيع معاهدة الصلح المصرية الإسرائيلية، لم يعد بمستطاع رجل ناهز السبعين أن يرضى بالهوان، وأن يصمت على ما يدور حوله من مؤامرات، وأن ينسف ما بناه في خمسين عاماً، وأن ينسى القضية الفلسطينية والقضايا العربية... لذا لم يعد يطيق البقاء في القاهرة في ظل هذا الوضع الجديد، وتحت رقابة شديدة تحصي عليه حركاته وسكناته. يقول لبعض أصدقائه<sup>(2)</sup> الذين التقى بهم: "لقد أصبحت حياتي في القاهرة لا تطاق.. البوليس السري يراقبني، والتلفون مراقب عندي، ورسائلي مراقبة رغم أنفي، وإذا تركت شقتي في الزمالك لكي أقوم بمشواري العزيز على قلبي على كورنيش النيل، وجدت البوليس السري المصري يتبعني، ويعدّ علي خطواتي... وإنني أشعر وكأن مانشيتات الصحف اليومية القاهرية، ومقالاتها المضللة لشعبنا العربي في مصر لرماح تغرز في صدري صبيحة كل يوم لما تحتويه من أذاليل وأكاذيب، وما تدعيه من إخلاص السادات، وسعيه لخير شعب فلسطين...". لهذا قرر الشقيري مرغماً، أن يترك القاهرة التي أحبها.

---

(1) صفحات من القضية العربية، مصدر سابق، ص ص 53، 60.

(2) الأستاذ خيرى أبو الجبين: من كلمته في حفل تأبين الشقيري في مكتب منظمة التحرير الفلسطينية بالكويت، 1980/4/9.

ولم تكن الحالة في لبنان تسمح له بالإقامة في بيته في كيفون ، فاختار تونس ليكون قريباً من جامعة الدول العربية التي انتقلت إليها.<sup>(1)</sup>

ويُكرم الشقيري في تونس ، ويذكره ذلك الكرم بشيمة الوفاء الأصيلة التي ما زالت في الأمة العربية، وتهزه الذكريات، وتحرك المحنة مشاعره، فيترجمها إلى واقع أليم يفيض حسرة وينبض شجناً، ويكتب إلى ابن أخيه في الكويت رسالة تحمل ذلك كله، ويقول فيها: "... وأخيراً ، فقد انتهى بنا المطاف ، ورحلنا إلى تونس الخضراء بعد مشاور مع عدد من الإخوان، ومنهم أصدقاؤك الشباب في الكويت، وقد اعتذرت ، شاكراً ، عن استضافة عدد من الدول العربية ، بينهم الأردن كما تعلم . وكان استقبالنا في تونس حاراً وأخوياً ، وقد ذكر الإخوة هنا أيام قضيتهم في الأمم المتحدة ، وكان ذلك بعض واجبنا ، والحمد لله لا يزال الوفاء من شيمة العرب ..... بدأت زيارتي للسفارات العربية وللجامعة العربية حتى لا ننزل عن قضيتنا ما استطعت إلى ذلك سبيلاً". وألحق الشقيري برسائلته هذه بضع نقاط ، طلب من ابن ، أخيه توزيعها على أكبر عدد من الأصدقاء والصحف . وقد وضح في هذه النقاط ما آلت إليه مصر في عهد السادات من تبعية لأمريكا ، وخروج عن العروبة والإسلام ، وكشفت آثار فعلة السادات

---

<sup>(1)</sup> نشرت الرسالة في جريدة الرأي العام الكويتية عام 1979.

بالقضية الفلسطينية والعروبة وبثورة يوليو نفسها ، وتحدثت عما حقق للصهيونية من مكاسب وانتصارات ما كانت تحلم بها لولاها.

كان الشقيري يتحدث ويكتب وخطوط الدمع ترسم فوق وجنتيه ، وروح التشاؤم والحزن والقنوط تسيطر عليه، وتلقي بظلالها السوداء من حوله.. كان يتحدث عن مستقبله برعشة الخوف ، وعن حياته بنبض الضياع ، ويقول : "إنني أحس بأنني لن أرى القدس مرة أخرى يا أخي .. إنني أحس بأن العدو اغتصبها مني ولن يعيدها .. وستمضي عدة سنوات طوال قبل أن يعرف العرب والمسلمون قيمة القدس، ويعدّوا أنفسهم عسكرياً ونفسياً وسياسياً لاستخلاصها . ومن الآن إلى أن تتحقق المعجزة سنعيش، نحن وأمثالنا، في ضياع ومقت وتفتت وألم دفين" (1).

لم يتحمل الشقيري، وهو الذي عاش لقضية وطنه بكل جوارحه، التوقيع على معاهدة الصلح المصرية الإسرائيلية، فداهمه المرض، وأقعده عن الحركة والنشاط، وغدا من الصعب عليه أن يجتمع بزائريه الكثيرين. وقد صور حاله خلال المرض وظروف الفترة القاسية التي كان يمر بها في رسالة بعث بها من تونس في 1979/10/7 إلى بعض أصدقائه في الكويت \* ، قال فيها: "... وخلاصة الأمر

---

(1) ناصر الدين النشاشيبي، "أبو مازن" رثاء القلب إلى أحمد الشقيري. جريدة الأنباء 1980/2/29.

\* الأستاذ خيرى أبو الجبين.



إنني الآن في مصحة التوفيق في تونس، تحت رعاية كبار الاختصاصيين، وصحتي في تقدم مستمر... وقد استدعينا أخصائياً فرنسياً شهيراً، وقد أقرّ تشخيص الأطباء وطريقة العلاج، وأوصى باستمرار العلاج والإخلاء إلى الراحة... وقد أجروا لي تصويراً بالأشعة، وظهر نزيف في المخ أثر على الساعد الأيسر والساق الأيسر. وبعد أن باشر الأطباء بالمعالجة بالأدوية اللازمة هدأت الحالة، وظهر بعض التحسن، حتى إنه في الصورة الثانية للأشعة التي أخذوها لي منذ أسبوع بدت الصورة أحسن من سابقتها، وظهر تناقص الالتهاب والاتجاه نحو العافية والصحة. ثم إنهم وصفوا لنا التدليك الطبي، ونحن نمارسه يومياً بمعرفة خبير طبي، وأصبحت قادراً على المشي داخل الغرفة..".

وقد جاءت الشقيري وفود عربية كثيرة تحمل إليه التمنيات بالشفاء ووصلته رسائل كثيرة، كان يجيب عليها بواسطة ابنه نزار، الذي سماه (رئيس ديوان الرسائل). وقال في وصف أيام المرض: "أما أوقات فراغي فإنني أقضيها في استعراض أيامنا الخالية، واستنكار أحوالنا الماضية.... وأقضي بعض الوقت في القراءة، فقرأت كتاب كليله ودمنة، وهو غني بالحكم والأمثال... وها أنت ترى أن المرض لا يخلو من فائدة، فقد هيا لي ثلاثة أمور: أولاً فراغاً عميقاً أراجع فيه شؤون الحياة، ثانياً منحني وقتاً لقراءة كتب لم أكن أحلم بقراءتها في الماضي... ثالثاً هيا لي المرض وقتاً طويلاً لنوم عميق هادئ أحس فيه براحة طويلة، لم

أشعر بها في حياتي الماضية، وكأنما قذف الله بي من السموات العلى إلى قاع وادي النوم العميق الهادئ. ونحمد الله على هذه النعم الربانية"<sup>(1)</sup>.

وكتب الشقيري في حاشية رسالته هذه كلمات لخص فيها الغاية الكبرى التي أفنى عمره من أجلها، وأوصى صديقه، أو كل فلسطيني وعربي، أن يحافظ عليها، ويعمل من أجلها، فقال: "... بقي أن أرجوك أنت واخواننا في النضال أن تنصبوا أنفسكم حراساً على القضية الفلسطينية، وأن تداوموا على نصح إخواننا الذين ألقت المقادير بين أيديهم قيادة القيادة الفلسطينية، ألا يفرطوا بأي شبر من وطننا المقدس، ولا ذرة من تراب وطننا الغالي، فإن تجربة السادات الخائن قد أثبتت أن كل تقريط واستسلام يقابله العدو بالمزيد من الأطماع والتوسع والعدوان. وهذه هي وصيتي لشعبنا البطل، أرجو أن تحفظها وتدونها بين أوراقك، وأسأل الله لقادتنا الهدى، ولشعبنا النصر المبين...".

أصيب الشقيري بالشلل النصفي في أيلول/سبتمبر 1979، واشتد عليه المرض بعد شهر كانون الأول/ديسمبر 1979. وترددت أنباء مرضه في أرجاء الوطن العربي، فدعاه الملك حسين للحضور إلى عمان للعلاج في مدينة الحسين الطبية، المركز الطبي الحديث في الشرق الأوسط، وقد نُقل إليها في كانون الثاني/يناير 1980 ليكون في رعاية أحد أصهاره من أطباء ذلك المركز، بعد أن

---

(1) الرسالة السابقة.

أحس بخطورة المرض، ورأى أن يستسلم للعلاج، فإذا حمّ القضاء كانت وفاته في أقرب بقعة إلى أرض بلده.

وزاره صديق <sup>(1)</sup> وهو يصارع الموت، فبادره الشقيري قائلاً: "لنا وقفة، لنا أحاديث، لنا ذكريات".

وقضت مشيئة الله، أو رحمته، أن يفارق الشقيري الحياة في فجر يوم 1980/2/26، قبل ساعات معدودات من قيام أول سفير للعدو الإسرائيلي بتقديم أوراق اعتماده للسادات نفسه <sup>(2)</sup>. وكتب الأستاذ ناصر الدين النشاشيبي يرثيه وقال: "لقد رحمك الموت فلم تشهد سفير إسرائيل يقدم أوراقه لأنور السادات بجوار منزلك على شاطئ النيل في صباح يوم وفاتك" <sup>(1)</sup>.

أوصى الشقيري - رحمه الله - أن يدفن على تخوم فلسطين في منطقة الأغوار "التي امتلأت من العقبة جنوباً إلى اربد شمالاً بمقابر الشهداء من الصحابة والتابعين، منذ صدر الإسلام أيام معارك مؤتة وتبوك واليرموك واجنادين

---

<sup>(1)</sup> الأستاذ جميل بركات: الشهداء أحياء في ذكراهم - مع الشقيري في ذكراه الأولى، "مقالة"، جريدة الصباح التونسية، 26 شباط/فبراير 1981. نشرت المقالة في جريدة الدستور الأردنية، في التاريخ نفسه، ونقلتها مجلة الخليج الجديد، التي تصدر في قطر بعددها رقم 62 ، نيسان/إبريل 1981.

<sup>(2)</sup> جميل بركات، مقدمة كتاب الشقيري خرافات يهودية. عمان ، 1981.

<sup>(1)</sup> جريدة الأنباء 1980/2/29.

وبيت المقدس، إلى عهد صلاح الدين بطل معركة حطين.. إلى السلطان قطز، بطل معركة عين جالوت... إلى كل تلك الأيام الغراء والذكريات الزهراء.. وما القبور القائمة حتى اليوم لأبي عبيدة الجراح، وزيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة إلا حفنة من تلك المعالم الغالية. وكلها يعرفها الأعراب والفلاحون أكثر مما يعرفها المؤرخون والباحثون<sup>(2)</sup>. وأوصى أن يجعل قبره ملازماً لضريح الصحابي أبي عبيدة، فاتح فلسطين، ومحرر بيت المقدس. وكان يردد قبل وفاته: "لكي يغفروا لنا أننا قد أضعنا ما سبق لهم وحرروه بأيديهم ودمائهم من أرض وأوطان". و"لعله اختار أن يرقد في صحبة أمين الأمة ليدعو الأمة العربية إلى استلهاهم روح الأمانة والتحرير، والإقتداء بسير الفاتحين الأولين... وبهذا فإنه قد ظل يعمل في سبيل القضية المقدسة حتى في اختياره لمدفنه، ويبقى في خدمتها بعد مماته"<sup>(3)</sup>.

## شخصيته..

## قوة.. وغنى.. وتنوع

---

<sup>(2)</sup> الهزيمة الكبرى، مصدر سابق، ج 1، ص 233.

<sup>(3)</sup> جميل بركات، مقدمة كتاب الشقيري (خرافات يهودية)، مصدر سابق.

كان في شخصية الشقيري من الغنى ما في حياته من التنوع والسعة، فلا تكاد تحيط بها الكلمات، أو تكشف جميع ملامحها الدراسات. لقد تنوعت مصادر ثقافته ودراسته بين عربية تراثية وغربية معاصرة، وتعددت مجالات عمله في الصحافة والمحاماة والسياسة. وعمل في بلده، وفي بلدان عربية أخرى. وعاصر أكثر من مرحلة سياسية. وشهد أحداثاً خطيرة ألّمت بوطنه فلسطين، وبغيره من أقطار العروبة.. كل ذلك أغنى شخصيته ولوّّن ملامحها بألوان كثيرة، يصعب على الدارس أن يُلم بها كلها، أو يحلل نسيجها المتداخل. وسنكتفي في هذا المقام بالقليل الموجز عسى أن يكون فيما مضى من سيرة حياته، أو فيما سيلي من مواقفه وأفكاره في مختلف الميادين وتجاه أبرز القضايا، ما يكشف المستتر، ويوضح الغامض، ويفصّل الوجيز المختصر.

## الشقيري الإنسان..

---

نشأ الشقيري معتدا بنفسه، معجبا بقدراته وكفاءته، يعتز بنسبه وأصله، ويفتخر بتفوقه على أقرانه في الدراسة والخطابة. لا بل إنه يروي في مذكراته أن شهرته في الخطابة قد بلغت حدا جعل الناس في مدينة عكا يتحدثون عنه على أنه (خليفة) والده في العلم والخطابة. ويكثر الشقيري من الكلام على تفوقه في اللغتين العربية والإنكليزية أثناء دراسته في مدرسة صهيون في القدس، وكيف تعلم اللغة الإنكليزية القديمة، وحفظ كثيراً من الأمثال والقصص، وبرز في هذا الميدان، وحاز جائزة التفوق في الكتاب المقدس. ومما قاله في هذا: "كان الشيخ الصغير، ابن الشيخ الكبير، يناقش المسيحيين في دينهم، ويتفوق عليهم في كتابهم"<sup>(1)</sup>. وقد ساعده ذلك في مستقبل حياته، وكان له زادا في الأمم المتحدة خاصة حين كان يرّد على مزاعم الصهيونيين، ويدحض حججهم الدينية.

ونلمح في روايته لقصة طرده من الجامعة الأمريكية في بيروت، وإبعاد السلطات الفرنسية له من لبنان بسبب خطابه في ذكرى شهداء أيار، نلمح هذا الإعجاب بالنفس: فهو يروي أنه وجد العزاء من أصدقاء العائلة وزوار المنزل، وهم يطرون وطنيته، ويثنون على خطابه العظيم الذي أقصّ مضاجع السلطة الفرنسية، ويقول: "وأصبحت أرى فيما أقدمت عليه في بيروت مدعاة للفخر والاعتزاز"<sup>(1)</sup>.

---

<sup>(1)</sup> أربعون عاما في الحياة العربية والدولية، مصدر سابق، ص 81-82.

<sup>(1)</sup> أربعون عاما في الحياة العربية والدولية، مصدر سابق، ص 91.

وهو إذ يتحدث عن دراسته للحقوق في أواخر العشرينات، يفتخر بأنه جمع إلى الدراسة العمل في الصحافة، ويقول: "وهكذا وضعت قدمي على العتبات الأولى في ميدان الحركة الوطنية في فلسطين، لأنتقل بعدها بسنتين إلى ميدان الحياة العامة على الصعيدين العربي والدولي"<sup>(2)</sup>. وكان لا يزال في العشرين من عمره، يشغل نهاره في الصحافة والسياسة، في حين يتابع دراسة الحقوق ليلاً. وهذه الجوانب، من وجهة نظره، متداخلة "فالصحافة لا بد لها من سياسة، وكلاهما لا بدّ له من ثقافة، جوهرها الحق والعدل ومبادئ القانون... ولقد أقبلت على هذه الجوانب الثلاثة بكل جوارحي، حتى أصبح أصدقائي ومعارفي يشفقون على هذا (الإدمان) المتواصل في النشاط الدائب"<sup>(1)</sup>.

ولعل هذا الاعتداد بالنفس وذلك الإعجاب بالقدرات الذاتية هما اللذان جعلاً الشقيري يشارك في النضال السياسي في فلسطين أثناء الانتداب، ويعيش في قلب الأحداث دون أن ينتمي إلى حزب من الأحزاب الفلسطينية. وقد نشأ كارهاً التعصب الحزبي، داعياً إلى الوحدة الوطنية، منتقداً الانقسام إلى (مجلسيين) و(معارضين). يتحدث عن تأسيس حزب الاستقلال عام 1934 فيقول: "كانت لي صداقة مع مؤسسي الحزب، وعرضوا علي أن أنضم إليهم، فاعتذرت بعد

---

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه، ص 104.

<sup>(1)</sup> أربعون عاما في الحياة العربية والدولية، ص 105.

تردد، فقد كنت مؤمناً بمبادئهم، ولكني كنت أنفر من الحزبية، ولا أرى مبرراً لقيامها قبل أن تصل البلاد إلى الاستقلال. وكنت أخشى أن يكون الحزب غير قادر على الاستقلال بالتخطيط والتفكير" (2) ..

وهو يوجه النقد للأحزاب التي قامت بعد انهيار اللجنة التنفيذية للمؤتمر الوطني السابع، ويتهمها بأنها لم تقم بسبب الخلاف على المبادئ الوطنية، ولكن حباً في الزعامة والقيادة. ويذكر أن رؤساء الأحزاب عرضوا عليه، وعلى غيره، الانضمام إلى أحزابهم، لكنه كان يؤمن بأن عهد الاستعمار لا تصلح لمجابهته والوقوف في وجهه إلا جبهة وطنية.

ولا يستطيع المرء أن ينكر صحة النقد الذي وجهه الشقيري للأحزاب الفلسطينية، أو ينفي صواب رأيه فيها، لكنه - إلى جانب ذلك - لا يستطيع أن يرفض السبب الذاتي في شخصيته، والذي يتعلق بروحه الاستقلالية التي نماها اعتداده بنفسه وبمقدرته.

وكانت للشقيري في الأوساط الدولية بعد نكبة 1948 جولات ومعارك، يروي أخبارها، ويعيد ملاحمها الخطابية المطوّلة، مشيداً ومعتزاً بالمواقف التي انتصر فيها وأفحم خصومه. يقول في بعض ذلك: "جئت الأمم المتحدة لأنزل إيبان،

---

(2) المصدر نفسه، ص 131.



والقضية الفلسطينية على أطراف أناملي، بتاريخها وأحداثها وأسانيدها، ومعني حقيبة مليئة بالأسانيد الصهيونية الزائفة، بوبتها في روية الليالي وصنفتها في صبر الأيام. يسند هذا وذاك، قدرتي الذي حفظني التوراة والإنجيل في المدرسة التبشيرية، ثم جعلني محاميا أمام القضاء، متمرسا بالحوار والجدال. وعلى رأس ذلك كله حملت معي إلى الأمم المتحدة أفئدة شعبنا، بكل آمالهم وآلامهم..آلام الهجرة والتشريد، وآمال العودة الكريمة الظافرة... وبهذه الروح وحدها بدأت السجال مع إيبان، ومع الوزراء الذين سبقوه ولحقوه.. حتى أصبحت خطبي ثمانية، كتبت باللغة الإنكليزية<sup>(1)</sup>.

ويقول في وصفه لأحد بياناته التي ألقاها أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في باريس عام 1948 بوصفه رئيسا لوفد سوريا: "... كان الإصغاء شاملاً وكاملاً، وقلّ أن تجد إصغاء بالمعنى الصحيح في الأمم المتحدة إلا حين يتكلم مندوبو الدول العظمى..."<sup>(2)</sup>. ثم يضيف "... أصاب الوفود العربية كثير من الزهو أنهم قدّموا للأمم المتحدة واحدا من إخوانهم من أبناء فلسطين يستطيع حين يتكلم أن يفرض على الأعضاء إصغاءهم"<sup>(3)</sup>.

---

(1) أربعون عاما في الحياة العربية والدولية، مصدر سابق، ص 490.

(2) المصدر نفسه، ص 303.

(3) المصدر نفسه، ص 304.

لكنه، وهو في ذروة الشعور بالاعتزاز لا ينسى أنها معارك كلامية بلا جدوى، ومنازلات لا طائل منها يخوضها مع الأعداء من فوق المنابر، بسلاح الخطابة، والحجة، والمنطق.. وكلها عنده أسلحة غير مجدية أمام واقع القوة الذي يفرضه العدو الإسرائيلي في الوطن.

وقد أكسب هذا الاعتداد بالنفس الشقيري جرأة كبيرة في حياته العملية، فكان يتخذ القرارات والمواقف التي يراها سليمة دون انتظار لتعليمات الجهات العليا، أو تقيد بالأنظمة والروتين. من ذلك صرفه في مطلع الخمسينات، وأثناء عمله في الجامعة العربية، المعونة الإندونيسية لتونس على مسؤوليته، دون انتظار لقرار مجلس الجامعة، كما تقضي أنظمة الإدارة المالية في الجامعة، ومنها تصديه للولايات المتحدة الأمريكية في دورة الأمم المتحدة عام 1957، وكان يعمل آنذاك ممثلاً للمملكة العربية السعودية. وقد هاجمته الصحف الأمريكية لهذا التصدي، وقالت، فيما قالت، إنه لا يمثل السعودية في هذا التهجم. ويعترف الشقيري بمغامرته في الأمم المتحدة، ويقول: "لقد أصبح الشقيري بشخصه الدولة الثالثة بعد المائة في الأمم المتحدة.. والواقع أن هذا الكلام صحيح، فإن جميع مناقشاتي في الأمم المتحدة كانت من غير تعليمات.. الصحيح أنني كنت أمثل مشاعر الأمة العربية في جميع أقطارها وديارها، فأصبحت عبئاً على السعودية، وهي دولة لها مصالحها وارتباطاتها ونظرتها

السياسية..ولست أحسب أن دولة عربية أخرى كانت تتحمل أن يمثلها رجل يتكلم بعاطفة الجماهير.. ذلك كان (ضعفي) الكبير<sup>(1)</sup>.

وكانت للشقيري مواقف اتسمت بالصرامة والجرأة والشجاعة في مواجهة الملوك والرؤساء في مؤتمرات القمة، يقف فيها معهم موقف الند للند. ففي مؤتمر القمة الأول ثار خلاف حول أمر حضوره مؤتمر الملوك والرؤساء وهو ليس واحدا منهم، فأندر المختلفين بأنه إن لم يُدعَ إلى المؤتمر فسيستقيل من منصبه ممثلاً لفلسطين في الجامعة العربية، وسيعلن أسباب استقالته على الملأ. وعندما تقرر حضوره على أن يجلس في طرف الطاولة متأخراً عن الملوك والرؤساء، فاجأ الحاضرين في المؤتمر ودفع مقعده، فصار بمستوى الملوك والرؤساء بين دهشة رجال البروتوكول واستغرابهم.

وكانت مبادراته الجريئة كثيرة أثناء رئاسته لمنظمة التحرير، ولاسيما في بداية التكوين والإعداد، من ذلك إنشاء معسكرات التدريب العسكري في غزة، وإقرار التجنيد الإجباري في القطاع، وإنشاء إذاعة منظمة التحرير، وتأسيس مركز الأبحاث، وسفره إلى الصين وإحضار السلاح من هناك. وقد أثارت بعض مواقفه هذه أو معظمها الدهشة، أو المعارضة، أو الغضب والنقد من عدد من الأنظمة العربية، وكانت مثاراً - للمضايقة والمعارضة له، حتى على الصعيد الشخصي.

---

(1) أربعون عاما في الحياة العربية والدولية، مصدر سابق، ص 455.

لكنه كان لا يبالي بما يلاقي، ما دام يؤمن بالعمل الذي يقوم به، وبصحة الخطوة التي يخطوها.

وكان في جميع المؤتمرات والاجتماعات لا يني يقدم الاقتراحات والمشاريع الجريئة، ويقف بالمرصاد لأي رأي أو اقتراح يراه مضرًا بالقضية، أو يشتم فيه رائحة تهاون أو استسلام، وكان يهدد، وينذر، ويقاقل بشدة، ويحتج وينسحب إن لمس ضعفاً وتخاذلاً.

وعندما تأخرت دعوته إلى مؤتمر قمة الخرطوم عام 1967 بسبب معارضة بعض الرؤساء حضوره المؤتمر، هدد بالقدوم إلى الخرطوم دون دعوة، والاعتصام في الجامع الكبير. وخلال المؤتمر كان جريئاً، صلباً في موقفه حيال ما رأى من اتجاه متراخ غالب على المؤتمر. فألقى كلمة حملت في طياتها الاستنكار والإنذار، مما جعل جو المؤتمر يتأزم، وظل على تصلبيه ومعارضته تجاه الملوك والرؤساء، وإصراره على (اللءات) الأربع التي وردت في مذكرة منظمة التحرير. وانتهى الأمر إلى الصدام.. وإلى الانسحاب من المؤتمر وهو يخاطب الملوك والرؤساء قائلاً: ".. أنا واحد من شعب فقد كل شيء، ولم يعد لنا ما نخسره، لأننا خسرننا كل شيء.. ولكنه بقي لنا عقلنا وكرامتنا وآمالنا"<sup>(1)</sup>.

---

<sup>(1)</sup> الهزيمة الكبرى، مصدر سابق، ج 2، ص 227.

وقد تردد أن بعض الملوك والرؤساء قد دعوا إلى إزاحته من رئاسة المنظمة. فسأله الصحفيون عن ذلك في مؤتمر صحفي عقده في القاهرة في 1967/11/24 ليعلن رفض المنظمة قرار مجلس الأمن رقم 242، فأجابهم: "هذه مسألة تتعلق بي وبالشعب الفلسطيني، ولا شأن للملوك والرؤساء فيمن يتولى رئاسة منظمة التحرير"<sup>(2)</sup>.

وحمل الشقيري هذه الصراحة وهذه الجرأة في قول الحق معه طوال عمره، لا يحيد عنها ولو كان فيها الضرر والسوء له شخصياً. ها هو في سنواته الأخيرة، حين عكف على الكتابة في معتزله لا ينتهي عن هذه الصراحة على الرغم من علمه بأنها ستدفع بعض الأنظمة العربية إلى معاداته، وإلى منع كتبه من التداول في بلادها. يقول في مقدمة كتابه (من القمة إلى الهزيمة) : "وبعد، فهذا هو الجزء الأول من مذكراتي (من القمة إلى الهزيمة). سيقروه المواطن العربي جهاً في بعض البلاد العربية، وسراً في البعض الآخر.. ولكن، فليعلم الحكام الذين يمنعونه عن شعوبهم أن من يقرؤه سرا سيكون أكثر استمئاعاً وانتفاعاً.. بل إن من يقرؤه سرا سيكون أكبر خطراً".

ولم يورث الاعتداد بالنفس الشقيري الاستبداد بالرأي، والفردية في اتخاذ القرارات حين تولى المسؤولية العامة. لقد كان صلباً تجاه كل ما يمس قضية

---

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه، ص 276.

فلسطين بسوء، أو ما ينحرف بها إلى غير مسارها الوطني السليم، ولكنه في إطار العمل الرسمي كان حريصاً على التشاور، وعلى ألا يستقل باتخاذ القرارات الهامة المصيرية. وتكفي الإشارة إلى إضافة عبارة "وإلى أن يتمكن الشعب الفلسطيني من اختيار ممثليه" إلى قرار مجلس جامعة الدول العربية باختياره ممثلاً لفلسطين في الجامعة، لتدل على الروح الديمقراطية التي كان يحملها بين جوانحه. وقد حرص في مرحلة إنشاء الكيان الفلسطيني على القيام بجولات على التجمعات الفلسطينية المتناثرة في الوطن العربي، للتشاور ولسماع مختلف الآراء، والتعرف على كافة الاتجاهات، وفتح الحوار مع جميع الجبهات. وعمل على أن يكون أعضاء المجلس الوطني الفلسطيني الأول ممثلين للتيارات والتجمعات الفلسطينية المختلفة. وكان إجراء انتخابات تمثيلية لأبناء الشعب الفلسطيني أمراً متعذراً، ولكنه ظل، خلال مؤتمرات القمة التي اشترك فيها، يتقدم باقتراح إتاحة الفرصة أمام الشعب الفلسطيني كي يختار ممثليه بأسلوب الانتخاب الديمقراطي.

وهو يروي في مذكراته حادثة تصرف فيها على مسؤوليته الفردية، ودون التشاور مع أعضاء اللجنة التنفيذية، وكانت تلك الحادثة تتعلق بموقفه من تصريحات الرئيس التونسي بورقيبة في آذار/مارس 1956 ومطالبته مجلس جامعة الدول العربية بفصل تونس من الجامعة، وانسحابه فيما بعد من مجلس رؤساء الحكومات العربية في أيار/مايو 1965 بسبب تردد الرؤساء في الموافقة على اقتراحه. وقد قدم استقالته إلى المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الثانية

بنتيجة ذلك، وبين لأعضاء المجلس في الجلسة الافتتاحية أنه سيقف أمامهم للحساب، ثم خاطبهم قائلاً: "ومن رأى اعوجاجاً فليقومه... إن الأمانة بلاء وعناء. والجال أبن أن يحملنها... وأنا حاضر أن أرد الأمانة إلى الشعب، فإنه وحده صاحبها"<sup>(1)</sup>.

وفي معرض دفاعه عن قيادته لمنظمة التحرير عبر سنوات أربع، يذكر زعامة الحاج أمين للحركة الوطنية في فلسطين خلال الانتداب. فيقول: "وقد أورث الحاج أمين في نفسي، منذ ذلك الوقت، خوفاً كبيراً من الزعامة ومسؤولياتها. ويوم جاءت الأقدار في عام 1963 لأتولى قيادة الحركة الوطنية تملكنتي عقدة الخوف من مسؤوليات القيادة، وبقيت تلازمي رهبتها حتى عام 1968\*، حين اعتزلت وأنا أحمد الله أنني لم أخطئ كثيراً، ولا أخطأت خطأ كبيراً"<sup>(2)</sup>.

وكانت مواقف الشقيري المختلفة، سواء تلك التي مثلت الصلابة والشدّة أو التي مثلت الهدوء والبساطة وروح الديمقراطية المتسامحة، تنطلق كلها من تعفّفه، وبعده عن السعي إلى الزعامة، وزهده في المناصب، وهو الذي وصل إلى أرفعها. إنه لم يقبل منصب ممثل فلسطين في الجامعة عام 1963 إلا بعد تردد، وأعلن أمام مجلس الجامعة أنه لا يرى في منصبه عملاً روتينياً، أو عملاً دبلوماسياً.

---

<sup>(1)</sup> من القمة إلى الهزيمة، مصدر سابق، ص 276.

\* تاريخ الاستقالة 1967/12/24.

<sup>(2)</sup> أربعون عاماً، مصدر سابق، ص 113.

وقال أمامهم كلاماً عن النضال والتحرير لم يسمعه من قبل، ولا يدل على تعلق بالمنصب أو تشبث به، وصرّح أنه يقبل المنصب من غير راتب، على أن يجعل كل ما يستحق له من مكافآت إلى صندوق فلسطين، من أجل تحرير فلسطين. ومما قاله آنذاك: " .. وعلى هذا فإنني أعتبر منصبي الذي عُهد إليّ بأنه منصب نضالي تملكه أمة تريد أن تناضل من أجل تحرير الوطن"(1).

ومما يرويه الشقيري في هذا الصدد ما جرى أثناء زيارته غزة في 20 نيسان /ابريل 1964 قبل إعلان قيام المنظمة رسمياً ، عن توقيعه شيكا بمبلغ خمسة آلاف جنيه إسترليني دفعة أولى للإنفاق على تأسيس معسكر النصيرات، فيقول : " وكان هو المبلغ الأول والأخير الذي وقعته وحدي من أموال القضية الفلسطينية فقد أصبح يوقع معي السيد عبد المجيد شومان الذين اختارته منظمة التحرير فيما بعد رئيساً لمجلس إدارة الصندوق القومي " (2) .

وبعد تجربة دامت قرابة خمسين عاماً ، جلس الشقيري في مكتبه ليضع على الورق حصيلة هذه التجربة الواسعة ، وصفوة معاناته، ولسان حاله يقول : " وليس لي ما اطمع فيه ، فلا أمل لي أن أكون ملكاً أو رئيس جمهورية . ومن

---

(1) من القمة إلى الهزيمة، مصدر سابق، ص 15.

(2) المصدر نفسه ، ص 87 .



أين للاجئ مثلي أن يكون؟!... ولا أتطلع أن أكون رئيساً على فلسطين . وما أدري إذا كان الأجل سيمتد بي لأرى تحرير فلسطين <sup>(1)</sup>.

ولعل الإنسان العربي اليوم ، الذي يعيش أزمة خانقة ، وكابوساً ثقيلاً يجثم على صدره ، ويتنشق هواءً مسموماً يهدد مصيره ووجوده . .لعل هذا الإنسان العربي يخرج ، وهو يقرأ سيرة الشقيري ومواقفه المختلفة ، بانطباع سلبي يزيد الاختناق والثقل الجاثم على صدره ، وبشعور متخاذل يكاد يوصله إلى اليأس من النصر ، لما يرى ويسمع من معاناة وعثرات وسقطات ... لكن على هذا الإنسان العربي أن يرجع إلى نفسه فيردها عن أن تهوي إلى وادي الخذلان وهاوية اليأس ، ويتذكر أن الشقيري الذي عاش من الأحداث أعنفها ، ومن النكبات أقساها ، والذي كان وسط المعمة قريباً من قيادتها، عارفاً بأسرارها ، ظل مليئاً بالأمل ، متفائلاً بالمستقبل ، واثقاً بجوهر الأمة العربية وبأسرار قوتها على الرغم من أعراض الوهن . وكان يؤمن بأن الأمة العربية ، كما اثبت تاريخها الحافل بآيات الصمود ، الغني بإرادة الحياة وعزيمة البقاء ، لا يمكن أن تأذن بزوال شخصيتها القومية ، وانقراض كيانها ، وفناء وجودها " <sup>(2)</sup> . وهو إذ يذكر الصراع الرهيب الذي خاضته الأمة العربية مع الصهيونية لعشرات السنين ، وما تزال تخوضه إلى يومنا هذا ، يعود إلى " توكيد التوكيد بأن الغزوة الإسرائيلية

---

(1) أحمد الشقيري، حوار وأسرار مع الملوك والرؤساء، دار العودة، بيروت، 197، ص237 .

(2) من القمة إلى الهزيمة، مصدر سابق، المقدمة .

التي تهدد وجودنا سيزول وجودها بالذات ، طال الزمن أو قصر... إسرائيل عرض لمرض عابر ، لا بد أن تتعافى الأمة العربية منه . هذا هو اليقين .. كل اليقين <sup>(1)</sup>.

وبتفاؤل وثقة ، كان الشقيري يرى أن لا مندوحة من " أن تتفجر في الأمة العربية الثورة العربية الكبرى .. لتجتاح الوطن العربي بأسره ، من المحيط إلى الخليج ، وتقتلع من طريقها كل أسباب الهزيمة ، وكل عوامل الوهن .. ويومئذ ، لا قبلنذ، تعود إلى فلسطين عروبتها ، وتعود فلسطين إلى العروبة " <sup>(2)</sup>. وهذا اليوم -عنده -آت ، لا ريب فيه : " ذلك إيماني .. وذلك علمي وخبرتي ، وكل آت قريب . يروونه بعيدا .. ونراه قريباً . أجل إنه فتح قريب .. ولكن بالوحدة ، وبالوحدة وحدها " <sup>(3)</sup> . والمستقبل ، كما يتصوره ، مستقبل مشرق ، فيه "يتيسر للأمة العربية أن تبني حياتها القومية على خير ما تتمنى ، وتؤدي دورها مع الأسرة الدولية في بناء عالم يسوده العدل والإخاء والسلام " <sup>(4)</sup> .

---

<sup>(1)</sup> من القمة إلى الهزيمة ، مصدر سابق.

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه.

<sup>(3)</sup> أربعون عاما ، مصدر سابق، ص80.

<sup>(4)</sup> من القمة إلى الهزيمة ، مصدر سابق، المقدمة.

وقد أكد الشقيري هذه الثقة بالمستقبل المشرق للعرب والذي هم  
واصلون إليه ، إن اخلصوا وصدقوا ووفوا ، مهما طال الزمن أو كثرت العقبات  
..

أكدها في رسالة وجهها إلى مؤتمر قمة بغداد عام 1979، وقال فيها "   
..الأمة العربية ،وقد ملّت القرارات المتسارعة المرتجلة في الماضي ، تطالبكم  
اليوم بخطة المائة عام . طويلة النفس ، عميقة الإيمان ، عنيدة العقل ،تتسم  
بالإخلاص ، والصدق ،والوفاء ..وما عليكم إلا أن تبدؤوا من جديد ... واحرصوا  
قبل عودتكم إلى عواصمكم أن تزوروا قلعة تكريت، مولد صلاح الدين، فليس  
المزار ببعيد!!"(1).

---

(1) صفحات من القضية العربية، مصدر سابق، ص ص 28،29.

## رجل القانون

---

داعبت مهنة المحاماة خيال الشقيري بعد أن أبعد عن لبنان، وصار يشارك في النشاط الوطني في فلسطين، وبعد أن اكتشف في نفسه المهارة في الخطابة، وقد أصبح يردد في سره: "إذا كنت خطيباً فلم لا أكون محامياً؟!"<sup>(1)</sup>. والتحق بمعهد الحقوق في القدس وتخرج منه، والتحق بمكتب المحامي مغنم الياس مغنم للتدرب على المحاماة، والتعرف على تقاليد المهنة وأصولها. وكان الشقيري، مثله مثل غيره من جيل المحامين الصاعد، يتطلع للمرافعة بالإنكليزية في المحاكم التي يرأسها قضاة بريطانيون، وصار يتردد مع أستاذه على المحاكم، يُعدّ له الملفات والمراجع. وكان المحامي مغنم أحد المحامين العرب القلائل القادرين على المرافعة بالإنكليزية، العارفين بأسرار الصنعة والمهنة. وهو لم يبخل على الشقيري بأسرار الصنعة وخبايا المهنة. وقد تعرف الشقيري – من

---

<sup>(1)</sup> أربعون عاما، مصدر سابق، ص 96.

خلاله - على فئة من القضاة والمحامين، وعاش جو القضاء، بمرافعاته وحواره، ووجد فيه لذة شغلته عن السياسة بعض الوقت. لكن المحاماة كانت مفتاح نضال الشقيري السياسي. كما كانت الحركة الوطنية سببا في زيادة تمرس الشقيري بالمهنة. فقد أوجدت ثورة البراق عام 1929 عدداً كبيراً من القضايا الوطنية التي رفعتها السلطات البريطانية أمام المحاكم ضد الأبطال العرب الذين قاموا بعمليات مسلحة في مختلف أنحاء فلسطين، وأمضى الشقيري أشهراً في أروقة المحاكم. وهو يصف تلك الأيام قائلا: "وكاد المحامون والمحامون المتمرنون من أمثالي أن يبيتوا في دور المحاكم، ونحن نعد المرافعات، كلنا متطوعون في سبيل الوطن"<sup>(1)</sup>. وقد تسنى له أن يشهد محاكمات الأبطال الثلاثة فؤاد حجازي من صفد، وعطا الزير ومحمد مجوم من الخليل، وأن يعمل مع رهط كبير من المحامين للدفاع في هذه القضية. ولم تقلح جهود المحامين في قضايا الأبطال الثلاثة فحكم عليهم القضاة البريطانيون بالموت شنقا في سجن عكا.

بعد أن انتهت دراسة الشقيري في معهد عام 1933، وفرغ من التمرين، واجتاز الامتحان بنجاح، وأقسم اليمين أمام قاضي القضاة.. مضى في عمله جاداً مثابراً، وبدأ يقاسي من عناء العمل مع المتقاضيين. يقول في وصف مهنة المحاماة: "والمحاماة عالم بذاته حافل بالمكايدة والتجارب المريرة... وشر ما في المحاماة، وهو جوهر شرفها، إذا كان صاحبها ذا ضمير حي...

---

<sup>(1)</sup> أربعون عاما، مصدر سابق، ص 127.

إنها عناء وبلاء"، فقد كان يعيش (قضيته) بكل جوارحه وعواطفه ، خاصة إذا كانت قضية جنائية كبرى . وكان يحسب أن هذا (الهم) سيمضي مع الزمن بالعادة والممارسة ، ولكنه بقي معه على الدوام . وهو يفسر ذلك بقوله " .. فقد كنت أحب مهنتي حباً جماً ، وزادني شقاؤها وعناؤها حباً لها وكلفاً بها " (1) .

ويذكر الشقيري أنه لم يكن مكثراً في استلام القضايا، بل كان يعتمد إلى اختيار أجلها وأدناها إلى النجاح، ولو بأجر غير كبير ويقول في تعليق ذلك: "إني كنت أحب القضية الصعبة المراس ... يلذ لي فتح مغلفاتها، وتحطيم صعوباتها، وكنت ازهد بالقضايا الروتينية البسيطة ، حتى ولو كبر أجرها" (2) . وقد أغرم الشقيري بقضايا الأراضي ، فقد كانت المنازعات ناشبة بين العرب واليهود حول ملكية الأراضي. وكانت الشركات اليهودية ، بما لها من ثراء ونفوذ في الدوائر الرسمية ، تعرف كيف (تصطاد) ملكية اسمية للأراضي العربية .

وكثيراً ما تطوع الشقيري للدفاع عن حقوق الفلاحين في عدد من القرى العربية ، وسهر مع الفلاحين في قراهم الليلية ، يبحث معهم في صبر وأناة مواقع القرية وسجلاتها وحدودها من أيام الدولة العثمانية .

---

(1) أربعون عاماً ، مصدر سابق، ص136.

(2) المصدر نفسه .

وشارك أيضا مع المحامين الآخرين في الدفاع عن المعتقلين العرب، بعد اشتداد الحركة الوطنية عام 1933، وقضوا أسابيع في دور المحاكم أمام القضاة البريطانيين ، يترافعون في ظل قوانين الطوارئ الظالمة . كما تطوّر الشقيري للدفاع عن بقية أفراد عصابة الشيخ عز الدين القسام المؤمنة بالباسلة، طليعة الجهاد المقدس . وكان في حيرة من أمره ، هو وباقي المحامين المتطوعين ، عما سيقولون - من ناحية قانونية بحث - في هؤلاء الذين قُبض عليهم (متلبسين ) في وسط المعركة ، وهم بكامل أسلحتهم وعتادهم . لقد استمع الشقيري وزملاؤه إلى القصة البطولية يريها لهم (المهتمون) وهم في سجن التوقيف في جنين .

وكما كانت الحركة الوطنية سبباً في زيادة تمرس الشقيري بمهنة المحاماة ، كانت المحاماة ودراسة القانون له زاداً في عمله السياسي على مختلف الأصعدة . وأفادته ثقافته القانونية في الدفاع عن الحق العربي وتفنيد الدعاوى الصهيونية والغربية .

من أمثلة ذلك تعرضه لدراسة مراسلات الحسين - مكماهون لدحض حجة بريطانيا بأن فلسطين كانت ضمن المناطق المستثناة من الوعد البريطاني بدولة عربية مستقلة . وهو يفند هذه الحجة ، ويتساءل عن السبب الذي من أجله لم تذكر فلسطين ، أو يذكر نهر الأردن بالاسم بدل الاقتصار على ذكر ( المناطق غربي حمص وحماة ودمشق ) . وهو يثبت أن التفسير البريطاني

باستثناء فلسطين ليس له سند قانوني . ويستنتج من ثانيا تقرير اللجنة الفرعية التي درست المراسلات عام 1939 أن اللجنة أحست أن فلسطين داخلية في الوعد بمنح الاستقلال للعرب<sup>(1)</sup>.

ويتناول الشقيري في محاضراته عن قضية فلسطين<sup>(2)</sup> ماهية تصريح بلفور بالدراسة القانونية ، ويبيّن أن في التصريح غموضاً والتواء في التعبير وتناقضاً لم يقتصر على نص التصريح ذاته، بل انتقل إلى التفسيرات المختلفة التي صدرت حوله من اللجان البريطانية ومن عصبة الأمم، فهذه التفسيرات يناقض بعضها بعضاً في بيان معنى التصريح والالتزامات التي يقوم عليها . ويستدل الشقيري من كلمات التصريح وتفسيراته على أنه يحرم الأهالي من أي حق حتى يصبح اليهود أكثرية ، عندها يقرر مصير البلاد . وهذا مخالف للقانون الدولي ، ولنظريات العدالة الطبيعية وللحق الطبيعي . والتصريح باطل على ضوء الحق في تقرير المصير ، لأنه يخالف رأى أهل البلاد ويتناقض مع حقوق السكان المحليين، ولا يحافظ عليها ، بل إن مجرد صدوره قد الحق الضرر بأهل

---

<sup>(1)</sup> محاضرات في قضية فلسطين ، مصدر سابق، ص 65،66، ورسالة مكماهون بتاريخ 1939/10/24 اشتملت على العهود التي قطعها الإنكليز للعرب مقابل اشتراكهم في الحرب إلى جانب الحلفاء . وقد قبل مكماهون فيها الحدود التي وضعها الشريف حسين لمنطقة الاستقلال العربي، عدا بعض التحفظات .

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه، ص 44-46 .



فلسطين . وهو - من الناحية الدولية - يخلو من الالتزام الدولي القانوني ، ويتناقض مع وعود دولية سابقة ووعود دولية لاحقة .

ويناقش الشقيري نظام الانتداب ، كنظام دولي بحسب المادة 22 من ميثاق عصبة الأمم . لقد ترتبت لفلسطين - كقطر وقع تحت الانتداب - حقوق دولية نص عليها ميثاق العصبة. وأن تصريح بلفور ينافي هذه الحقوق الدولية ، ويتناقض مع المادة 22 من ميثاق العصبة .

وكان الشقيري يلجأ كثيراً إلى القانون الدولي لتنفيذ المزاعم الصهيونية ودعم الحجج العربية . وتشهد مواقفه الكثيرة في الأمم المتحدة على عمق ثقافته ومعرفته بمادة القانون واعتماده عليها في الاحتجاج والنقاش. ففي دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة عام 1957 كانت قضية خليج العقبة مطروحة ، وقدم الأمين العام همرشولد اقتراحاً ، فحواه أن تطلب الجمعية العامة من محكمة العدل الدولية دراسة القضية ، وإصدار الفتوى فيما إذا كان إذا كان لإسرائيل حق " المرور البرئ " في مياه الخليج. وقد انبرى الشقيري يعارض اقتراح الأمين العام ، ويشرح الوضع القانوني لخليج العقبة ، ويثبت أنه خليج عربي مقفل ، ليس لإسرائيل فيه حق الملاحة والمرور ، معتمداً الشواهد والأمثلة القانونية لخلجان أخرى في دول مختلفة ، ويبين أن خليج العقبة هو خليج تاريخي ، باعتباره طريقاً للحج الإسلامي ، مقارناً إياه بأمثاله من الخلجان التاريخية ، ولا سيما في دول أمريكا اللاتينية. أما مسألة طلب الفتوى القانونية من محكمة العدل الدولية، فقد نبّه الشقيري الأمم

المتحدة إلى أن الوفود العربية سبق أن اقترحت استفتاء محكمة العدل الدولية حول التقسيم وحول أملاك العرب. لكن اقتراحاتها أخفقت، وتساءل "عجب أن تسد أبواب العدالة حين تكون الفتوى مطلوبة للعرب، وتفتح لإسرائيل؟!"<sup>(1)</sup>. أما "المرور البريء" فهو مثار عجب الشقيري، لأن الأمم المتحدة تشغل نفسها بمرور البضائع الإسرائيلية ويمنع اللاجئين من العبور إلى أراضيهم، وكأنها – أي الأمم المتحدة – "وكالة شحن لنقل البضائع الإسرائيلية".

وخلال انعقاد المؤتمر الدولي لقانون البحار عام 1958 وعام 1960 في جنيف لوضع مشروع متكامل عن المياه الإقليمية ومداها، قام الشقيري – بوصفه رئيساً للوفد السعودي – بدور فعال في أعمال المؤتمر الذي حضره عدد كبير من خبراء القانون الدولي، وعاد إلى المراجع القانونية المختلفة، وأعد الدراسات القانونية حول المياه الإقليمية، لأن لموضوع قانون البحار، ومدى المياه الإقليمية أهمية عظيمة بالنسبة إلى الدول العربية فيما يتعلق بخليج العقبة. وكانت المعركة مع الوفود البريطانية والأمريكية والإسرائيلية وبعض الدول البحرية حامية، فقد أصرت على الأخذ بمبدأ جعل مدى المياه الإقليمية ستة أميال، واعتبار خليج العقبة مياهاً دولية مفتوحة للملاحة الحرة، في حين حرص الشقيري والمندوبون العرب الآخرون على أن يوافق المؤتمر على مدّها إلى حدود اثني عشر ميلاً، بما يكفل لخليج العقبة أن يكون مياهاً داخلية عربية. وقد نجح العرب في معركة

---

<sup>(1)</sup> أربعون عاماً، مصدر سابق، ص 409.

الجدل والاستشهاد بالمراجع القانونية، لكن حملة الضغط الأمريكية عند التصويت أسقطت وجهة النظر العربية (1).

ومن أمثلة استخدام الشقيري القانون الدولي في ميدان الرد على الأباطيل الإسرائيلية، دحضه المزاعم التي تقدم بها مندوب إسرائيل إلى مؤتمر جنيف عام 1973 حول الحدود الآمنة لإسرائيل، فقد أبدى هذا المندوب عدم استعداد إسرائيل الرجوع إلى خطوط عام 1967 قبل قبول حل وسط إقليمي. والشقيري يبين أن هذه المقولات الإسرائيلية لا تصمد أمام النقاش، وسرعان ما تنهار.. حتى أمام المنطق الدولي.. حتى أمام القرار 242 الذي لا يتحدث عن حل إقليمي وسط. فضلاً عن أن اتخاذ موقف صلب، لا تفكير فيه بالرجوع إلى خطوط عام 1967 معناه نسف المؤتمر من أساسه، بحسب المفهوم الدولي، ويقول: "لقد اعتمدت إسرائيل على الوطن العربي، وهي تطلب المزيد من الأرض لتكون لها حدوداً آمنة، ولانعرف دولة في العالم تطالب جاراتها ببعض أراضيها لتجعل منها حدوداً آمنة إلا إذا كانت تلك الدولة معتدية في الأصل" (1).

---

(1) أربعون عاماً، مصدر سابق، ص 424، وقد نشرت مجموعة هذه الدراسات في كتاب،

هو:

Territorial and Historical Waters in International Law, Research Center, P.L.O, Beirut, 1967

(1) الطريق إلى جنيف، مصدر سابق، ص 256.

وقبل توقيع المعاهدة المصرية الإسرائيلية بعث الشقيري برسالة إلى الرئيس الأمريكي كارتر، بيّن له فيها حجته في رفض المعاهدة، فهي "لا تلزم أحداً من الأمة العربية، ولو كانت تحمل توقيع 22 ملكاً ورئيساً، ومعهم توقيع منظمة التحرير الفلسطينية، إذا وقعت.. والسبب قانوني دولي، قبل أن يكون سبباً قومياً. هذا السبب القانوني والدولي إن مثل المعاهدة في اتفاقية غير متكافئة، تتعقد في جو من الضغوط العسكرية. ومثل هذه الضغوط تجعل المعاهدة باطلة بطلاناً أساسياً، وليست لها أي قيمة قانونية أو إلزامية (2).

لكن الشقيري - على الرغم من التجائه الكثير إلى القانون الدولي واعتماده في عمله السياسي على المراجع القانونية - كان مؤمناً أن القانون الدولي وحده لن ينقذ قضية، ولن يعيد حقاً. إنه يقول في معرض حديثه عن محاضرات القانون الدولي في معهد الحقوق في القدس.. "زاد احساسنا بالظلم إننا نعيش هذا الجو الروحي في معهد الحقوق، معهد الحق والعدل... المحاضرات والكتب تجعل للحق حرمة كبرى، وللقانون سلطاناً مهيباً، وللعدل قوة نافذة... نذرنا أن نجعل من ميدان الحق والعدل مهنة لنا، ولم ندر

---

(2) صفحات من القضية العربية، مصدر سابق، ص 70.

أن وجودنا كله في وطننا إنما يستمد وجوده من (القوة) لا من الحق.. ولا من القانون<sup>(1)</sup>.

وحين يشير إلى لجنة شو يقول: "ومنذ الجلسة الأولى وضحت الصورة بكل معالمها؛ الحق العربي بوسائله الهزيلة، والباطل اليهودي بأساليبه البارعة"<sup>(2)</sup>.  
وحين طلب منه الحاج أمين الحسيني أن يمثل أمام اللجنة، مع غيره، للتحدث عن القضية من ناحية القانون الدولي، أرسل إليه الشقيري كتاباً اعتذر عن الإدلاء بأي بيان، كان مما قاله فيه: ".. فإن رأيي معروف.. وعلى كل حال فإن القانون الدولي لن ينقذ فلسطين من خطر الصهيونية"<sup>(3)</sup>.

ويكتب الشقيري تعليقاً على اغتيال الوسيط الدولي الكونت برنادوت: "ظننا أن اغتيال برنادوت سيكون اغتيالاً (لحكومة إسرائيل المؤقتة)، واندلعت الخطب من الوفود تستنكر الحادث، وتطلب التحقيق. وأعلنت إسرائيل أنها ماضية في التحقيق. وكان ذلك أول درس لنا في أوليات القواعد الدولية؛ فإن أحاسيس الغضب والاستنكار أمور عابرة في الحياة الدولية، وإن الأبقى هو الأقوى"<sup>(1)</sup>.

---

<sup>(1)</sup> أربعون عاماً، مصدر سابق، ص 104.

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه ص 119.

<sup>(3)</sup> المصدر نفسه، ص 169.

<sup>(1)</sup> أربعون عاماً، مصدر سابق، ص 302.

## القارئ المثقف

---

نشأ الشقيري في بيت علم وأدب، وكان لوالده مكتبة قيّمة، أصبح مسئولاً  
عن تنظيفها وتنظيمها، واعتاد على القراءة فيها. يقول في ذلك: "فكرت ماهية

هذه الكتب، وهي في جملتها ما يسميه الناشئون الأوراق الصفراء. وليتهم عرفوا ما فيها من كنوز المعرفة<sup>(1)</sup>.

وكان مجلس والده ندوة علم وثقافة، كذلك كان جامع الباشا في عكا، حيث اعتاد الشقيري أن يحضر مجلس الدرس بعد صلاة العصر، فيرى حوله

العلماء الكبار والصغار وطلاب العلم، ويستمع إلى دروس النحو والفقه والحديث. وقد ظل مواظباً على حضور مجلس الدروس في هذا الجامع، وأصبحت له صداقات مع طلبة العلم في المدرسة الأحمدية، التي كانت أشبه ما تكون بالأزهر الصغير في نظامها، حتى غدا بنتيجة ذلك "عالماً من غير عمامة" على حد قوله. وأحب اللغة العربية والقرآن، منذ نشأته، وظل حبه للغة يرافقه في جميع مراحل التعليم، حتى تمكن من قواعدها وشواهددها، وأصبح الإعراب سليقته. وقد أُعفي من حضور حصة اللغة العربية بعد انتقاله إلى مدرسة صهيون، وكتب في تفسير ذلك: "فقد كنت حفظت شواردها ونوادرها على أيدي أساتذتي في عكا. وكنت - وغرور الصبا يملأ نفسي - أماحك أستاذ العربية في صهيون، وأمطره بالأسئلة عن قواعد الصرف والنحو. ولم يكن (أزهرياً) في مثل حالي، فرأى أن

---

(1) أربعون عاماً، مصدر سابق، ص 63.

يتخلص مني، فكان كريماً، ولطيفاً، فأعفاني من الدروس.. ومن الامتحانات أيضاً<sup>(1)</sup>.

وكانت اللغة الإنكليزية في مدرسة صهيون من أصعب الصعوبات أمام الشقيري، ولم يستطع أن يجد مخرجاً من هذه الأزمة في الاستماع إلى محاضرات الأساتذة التي كانت تلقى بالإنكليزية، سوى أن يلجأ إلى الحفظ؛ فكان يحفظ الدرس كله عن ظهر قلب، مستعيناً بالقاموس لتفسير بعض الألفاظ. وهو يصف هذه المرحلة بقوله: "ولقد كانت هذه الطريقة قاسية ومريرة، خفف منها أنني كنت سريع الحفظ، حسن الذاكرة. ولكنني أحسست، فيما بعد، بفائدتها الكبيرة؛ فقد حشدت ذاكرتي بعبارات ومفردات وتعابير أصبحت نواة للغتي الإنكليزية في مختلف المراحل من حياتي، فكانت زادي في مرافعتي بالإنكليزية أمام المحاكم الفلسطينية بضعة عشر عاماً، وأهلنتني لأرتجل كثيراً من خطبي في الأمم المتحدة، وفي سائر المحافل الدولية"<sup>(1)</sup>.

أما التاريخ فقد تعرف عليه منذ طفولته في مجلس والده بالرواية والسماع، قبل أن يتعرف عليه بالدرس والإطلاع. ثم كلف، في شبابه، بقراءة التاريخ العربي، وبخاصة من زاوية الوحدة العربية، وهو يرى أن "قراءة التاريخ العربي هي الشرارة الأولى في إشعال الثورة على الحدود، لأن الجيل المعاصر ولد ليرى

---

<sup>(1)</sup> أربعون عاماً، مصدر سابق، ص 63.

<sup>(1)</sup> أربعون عاماً، مصدر سابق، ص 79.



الوطن مجزأ... والعودة إلى التاريخ ستكشف مجموعة غرائب رافقت إنشاء الدول العشرين، وإقامة الحدود".

ولم تلفته مشكلات الحياة السياسية، وما يعانيه واقع الأمة العربية من تعرجات، عن استعادة ذكريات الماضي العربي بكل أمجاده. يروي خبر وصوله إلى الدار البيضاء في رحلته الأولى إلى الولايات المتحدة عام 1945، ووقوفه على شاطئ الأطلسي، فيتذكر الحملة العربية الكبرى قبل ثلاثة عشر قرناً، فيقول: "وقد قطعت الفدافد والصحارى، والوهاد والأنجاد، ثم ضربت سهمها في أحشاء أفريقيا الشمالية. وراح هذا السهم ينحني ليخترق إسبانيا وجنوب فرنسا"<sup>(2)</sup>. وفي رحلة العودة من الولايات المتحدة أواخر ذلك العام هزه منظر الصخرة عند جبل طارق، فرأى "جحافل النصر وراء القائد العربي عقبة بن نافع، ممتطيا صهوة جواده، يمضي في الشمال الأفريقي من نصر إلى نصر، حتى يبلغ المحيط الأطلسي، وهو يصيح في أذن السماء: والله لولا هذا البحر لمضيت في سبيلك مجاهدا"<sup>(1)</sup>. ورأى طارق بن زياد "وفي ركبه الغطاريف من العرب يحرقون سفنهم بأيديهم التماسا للنصر، أو القبر"<sup>(2)</sup>، ورأى مدنية عجيبة، وحضارة رفيعة، وعدلاً

---

(2) المصدر نفسه، ص 212.

(1) أحمد الشقيري، من القدس إلى واشنطن، مطبعة السروجي، عكا، 1947، وهي خواطر المؤلف حين سافر إلى أمريكا لتأسيس المكتب العربي.

(2) المصدر نفسه، ص 260.

شاملاً، ورحمةً رشيدةً.. كل أولئك في مجالس الخلفاء وقصور الأمراء ورياض المدائن ومعاهد العلم، ودور المرضى، ومنازل الناقهين والعاجزين... كل ذلك في الأندلس..". وفي زيارته الأولى للأندلس عام 1951 عاد بالذاكرة إلى تلك القرون الثمانية التي أقامها العرب في الأندلس، وكانت الأحجار الكريمة تتكلم..

"كانت تتكلم فناً وحضارةً وروعة في هندسة بالغة الحسن والإبداع والجلال... لقد كان كل شيء في الأندلس ينبئ أننا في أرض عربية؛ المنازل في شرفاتها، والشوارع في منعرجاتها، والحدائق في تنسيقها، والجماهير في مشيتها وتأملاتها... ولقد عاش العرب هنا عيشاً رصياً ندياً، في جنات وظلال وعيون، وفي أمتع وأروع ما يخطر على البال"<sup>(1)</sup>.

وكان الشقيري، في جميع أدبياته وآثاره، يبدي عهما عميقا للتاريخ، وكان التاريخ زاداً يغنيه بالعبر والشواهد، وسندا له في دفاعه عن قضية فلسطين وفي مواجهة الدعاوى الصهيونية. يذكر الشقيري دورة الأمم المتحدة عام 1957 التي رد فيها على الوزراء الغربيين الثلاثة، وزراء أمريكا وإنكلترا وفرنسا، وكيف استعرض أولاً تاريخ العلاقات العربية الأمريكية، وتاريخ ثلاثين سنة من السياسة البريطانية منذ وعد بلفور وحتى عام 1948. كذلك استعرض تاريخ الحركات التحريرية في العالم.

---

<sup>(1)</sup> من القدس إلى واشنطن، مصدر سابق، ص ص 339-340.

وفي محاضراته عن قضية فلسطين<sup>(2)</sup> يشير بعمق إلى كتب التاريخ والجغرافيا التي تؤكد أن فلسطين جزء من بلاد الشام، ويدرس بالتفصيل اسم (فلسطين)، ويقدم في فصل عنوانه (فلسطين منذ فجر التاريخ) عرضاً تاريخياً لإبراز وجهة النظر العربية، ودحض الادعاءات الصهيونية بالحق التاريخي لليهود في فلسطين، ويوازن بين الحروب الصليبية في القرون الوسطى والغزوة الصهيونية في القرن العشرين، ويجد أن انتصار الصليبيين كان بسبب ضعف العرب وتمزقهم، أما كيف انتصر العرب على الصليبيين فيقول في تفسيره: "بقيت فلسطين في حوزة الصليبيين تعاني مرارة الاحتلال الأجنبي إلى أن استطاع العرب توحيد صفوفهم وتعبئة قواهم لدفع هذه الغزوة الباغية... وقد كان تاريخ هذه الحقبة من الزمن مليئاً بضروب البطولة والشجاعة والصبر، ومثلاً أعلى فيما بذله العالم الإسلامي من تضحيات في الأنفس والأموال"<sup>(1)</sup>.

وفي كتابه (الطريق إلى جنيف)، وفي معرض رده على القائلين بالاتجاه نحو الصلح والاعتراف بإسرائيل، يسرد أمثلة من التاريخ العالمي عن رفض الشعوب التي كانت تناضل من أجل التحرير معاهدات الاستسلام أو الاعتراف بتسليم أرض الوطن، ويخاطب أصحاب ذلك الاتجاه قائلاً: "أما إذا كنتم تريدون

---

(2) محاضرات عن قضية فلسطين، مصدر سابق، ص 4-19.

(1) محاضرات عن قضية فلسطين، مصدر سابق، ص 19.

الحكم وسدة الحكم فدونكم التاريخ، إنه الآن يقرع بابكم كما قرعه على الذين من قبلكم" (2).

والأمثلة أكثر من أن تحصى في اعتماد الشقيري على شواهد التاريخ أثناء مواقفه الخطابية التي كان يواجه بها الجماهير العربية. من تلك خطبته في الأزهر عشية حرب 1967، واستعراضه تاريخ هذا المعقل الإسلامي الكبير الذي تخرج من أروقته الصفوة الممتازة من العرب والمسلمين الذين قادوا ثورات التحرير، وذكره ما كان للأزهريين من فضل في رفع راية الجهاد ضد الغزوة الفرنسية والاحتلال البريطاني. ومنها خطبته في مسجد الإمام الحسين بالقاهرة والتي أشاد فيها بالروابط التاريخية بين مصر وفلسطين، وبين أن الدفاع عن مصر كان دائماً في ساحة ديار الشام، وفي مقدمتها فلسطين، وأن المسجد الأقصى قد بناه الأمويون بخراج مصر لسبع سنين...

وكان من نتيجة تبحر الشقيري في العلوم الدينية واللغة والتاريخ العربي، ونشأته في بيئة تقليدية تأثر فيها بوالده الشيخ أسعد، وبمجالس الدروس في المسجد... كان من نتيجة ذلك كله أن بدت عنده روح إسلامية ظاهرة، ومشاعر دينية عميقة، وتجلت في كتاباته وآثاره عمق ثقافته الإسلامية واستيعابه لحقب التاريخ الإسلامي، وإكباره لشخصياته، وكثرة استشاداته بآيات القرآن الكريم.

---

(2) الطريق إلى جينف، مصدر سابق، ص 212.

وكان منذ بدايات الكفاح الوطني الفلسطيني يشدد على أهمية العالم الإسلامي رديفا للعمل القومي، وكان إيمانه بالوحدة العربية يتلازم عنده مع شعور إسلامي عميق. ولكن هذا الشعور لم ينحرف به إلى سبيل التعصب الطائفي البغيض. فحين نشط الشباب، وهو منهم، لإنشاء جمعيات الشبان المسلمين، على غرار ما قام في مصر، كانوا حريصين، كما يقول الشقيري، على "أن تظل الجبهة الوطنية في فلسطين، الإسلامية المسيحية، قوية متماسكة. وبات مفهوما لدى الأوساط المسيحية أن تأليف جمعيات الشبان المسلمين هو قوة جديدة للحركة الوطنية وليس انفصاما للجبهة القومية"<sup>(1)</sup>.

ونلمح روحه الإسلامية في إشاداته بالمعاني الرفيعة التي تجسدت في ثورة القسام، وأول هذه المعاني عنده "أن الإسلام دين جهاد، يستهين معه المؤمن بحياته في سبيل الله والوطن. وهؤلاء عصبة القسام، لا أمل لهم في جاه، بذلوا حياتهم في معركة الجهاد، وما عندهم إلا قوت يومهم". والمعنى الثاني "أن الإيمان المطلق بأن المؤمن لن يصيبه إلا ما كتب الله له جعل من هؤلاء البسطاء أبطالاً ميامين نزل ذكرهم في التاريخ". وثالث هذه المعاني "أن مصير الإسلام والعروبة مترابط متشابك. وهذا الشيخ القسام استشهد على أرض فلسطين، بعد أن فاته القدر في سوريا". أما المعنى الرابع، فهو "أن الجهاد في سبيل الله والوطن هو أعلى مراتب الحياة. وهذا القسام، الإمام العالم، لم يقتصر على

---

<sup>(1)</sup> أربعون عاما، مصدر سابق، ص 110.

الخطابة والتدريس، ولكنه حمل السلاح على كتفيه، تماما كما فعل العلماء والزهاد في ضاحية دمشق، يوم قاتلوا الصليبيين، ثم التتار"<sup>(2)</sup>. وتبدو هذه الروح في وصفه رفاق القسم الذين تولى، مع عدد آخر من المحامين، الدفاع عنهم. فهو يتحدث عنهم بإعجاب، ويقول: "كانوا قوماً مؤمنين، خلقهم الإيمان، فصفت نفوسهم، وتألفت إرادتهم، وتعاضمت عزائمهم، وأحسوا أن حبلمهم مع الله قد أصبح موصولا، وأن الباب بينهم وبينه قد بات مفتوحا".

ويتذكر الشقيري صلاة عيد الأضحى التي أداها في مسجد بروكلين في الولايات المتحدة عام 1945، ويقول: "جلست في المسجد، ولكن نفسي وثبت، فطافت، وهامت في المشرق والمغرب، فرأيتني أذكر صلاتي في المسجد الأقصى، وفي المسجد الأزهر، وفي المسجد الأموي، وفي مساجد أخرى عامرة بالقدسية والجلال، ولكنني في مسجدي هذا أراني أمام وحي لا عهد لي به، وأمام رهبة لم تكن قد اقتحمت نفسي فيما مضى"<sup>(1)</sup>.

وكانت الأيام السابقة لحرب حزيران 1967 مثيرةً لمخاوف الشقيري وقلقه، ولم يجد السكينة إلا في الالتجاء إلى الله: "وعلى هذه السكينة استسلمتُ إلى الغيب الداهم، ولم أعد أسأل عن مواقف الروس والأمريكان، ولا أتساءل عن النصر أو الهزيمة، وأنا أردد قوله تعالى: إن ينصركم الله فلا غالب لكم، وإن

---

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه، ص 127.

<sup>(1)</sup> أربعون عاما، مصدر سابق، ص 254.

يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده"<sup>(2)</sup>. وبعد الهزيمة أخذ يطرح على نفسه مجموعة من الأسئلة، فيأتيه الجواب آيات من القرآن الكريم تكشف أسباب الهزيمة وتعللها. سأل نفسه: "لَمْ لَمْ ينصرنا الله؟" وكان جواب الله تعالى: "إن تنصروا الله ينصركم..."، وسأل نفسه: "لَمْ لَمْ ينصرنا الله وقد حاربنا؟" وكان جواب الله تعالى: "إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا". وسأل نفسه: "لَمْ خرجت القدس من أيدينا وسقطت في يد إسرائيل؟" فكان جوابه تعالى: "يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله أثأقنتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا عن الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل. إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضرون شيئاً والله على كل شيء قدير"<sup>(1)</sup>.

وللشقيري دراسة مستفيضة عن الاشتراكية في الإسلام، وردت في كتابه (علم واحد)<sup>(2)</sup> حين كان يرسم الخطوط العريضة للنظام الاقتصادي لدولة الوحدة المقبلة. فالاشتراكية نظام متأصل في تراث العرب، نابع من المثل الروحية والقيم الأخلاقية في تاريخهم كما يقول. وهو يقرر أن الإسلام صنع للأمة العربية مصدراً فياضاً من الاشتراكية، يتمثل في الثورة على الفوارق الطبقية والاستغلال، والدعوة إلى المساواة والعدالة والتكامل الاجتماعي وربط ملكية الأرض بالإنتاج.

---

<sup>(2)</sup> الهزيمة الكبرى، مصدر سابق، ج 1، ص 168.

<sup>(1)</sup> الهزيمة الكبرى، مصدر سابق، ج 1، ص 320.

<sup>(2)</sup> أحمد الشقيري، علم واحد، بغداد، ص 377 وما بعدها.

ويأتي بأمثلة كثيرة من التاريخ العربي ليدلل على أن الاشتراكية هي من صميم الإسلام، ويتتبع ما أصاب الاشتراكية من انتكاسات في المجتمع الإسلامي، ويقف طويلاً عند نظام الأوقاف، أو الحبوس، فهو - في نظره - نظام فريد تميزت به الاشتراكية العربية الإسلامية، بل هو ذروة الاشتراكية، أخطأ الباحثون حين عدّوه أمراً تعبدياً فقط دون أن ينفذوا إلى جوانبه الاجتماعية وتأثيره في النفع العام.

وكان الشقيري، في كل مناسبة، يؤكد أن قضية فلسطين هي قضية إسلامية بالإضافة إلى كونها قضية عربية، ويدرك أهمية استنهاض دول العالم الإسلامي من أجلها، ويعي الإمكانيات الضخمة لهذه الدول مما يوجب الالتجاء إليها والاعتماد عليها ذخراً كبيراً للقضية الفلسطينية<sup>(1)</sup>.

هذه كلها جوانب ثقافة الشقيري المختلفة، والموارد التي نهل منها، والمؤثرات التي عملت في صياغتها، وهي جوانب كثيرة يمتزج فيها التراث بالمعاصرة، ويتداخلان في نسيج واحد، متعدد الخيوط والألوان، يجمع الدين والأدب والقانون والسياسة والتاريخ، ويضم الاقتدار في اللغة الإنكليزية إلى جانب التمكن من اللغة العربية، ويضع النجاح في المحاماة إلى جانب التفوق في الكتابة والبلاغة في الخطابة.

---

(1) انظر ص 717 من هذا الكتاب تحت قسم (العالم الإسلامي).



وقد مكّنته هذه الثقافة الواسعة المتنوعة من أن يمتاز بمقدرة واضحة على المحاجة وعلى سبر النتائج. فقد أظهر في المعترك الدولي قوة في الحجة ومعرفة شاملة في أساليب النقاش والحوار والجدال وإقامة الدليل على ما يذهب إليه بالحجج التاريخية، وبالاقتباسات والوثائق، وبالاستقراء والاستنتاج المنطقي، زاده في ذلك حفظ واسع، ولغة عالية، وملفات جاهزة، وتمرس بالمحاماة والمرافعة أمام القضاء سنوات طويلة، ودافعه ولاء للوطن المغتصب والشعب المنكوب، كان يجعله دائماً مفهم الحجة، متدفق الخطابة، حاضراً لأي نزال.

وكانت أولى معاركه مع الصهيونيين في اجتماعات الأمم المتحدة عام 1948 بباريس، يوم ألقى بيانا - بوصفه رئيساً لوفد فلسطين - استعرض فيه القضية في مختلف مراحلها ومن جميع جوانبها، وناقش تقرير الوسيط الدولي الكونت برنادوت وفند جوانبه المختلفة، فلم يترك لوزير الخارجية اليهودي مجاًلاً للرد عليه سوى أن يتهمه بأنه نازي سابق، ولا يمثل سوى العناصر العربية المتطرفة التي تريد أن تلقي اليهود في البحر<sup>(1)</sup>.

وتوالت المعارك بينه وبين خصومه من المندوبين ووزراء الخارجية الإسرائيليين، ومن مندوبي وزراء الدول الغربية الكبرى، ومن كل من كان الشقيري يرى أو يلمح في كلامه أو اقتراحاته ما يمس قضيته الفلسطينية. من هذه المعارك

---

(1) أربعون عاماً، مصدر سابق، ص ص 303-304.

تصديده لأبائيه في مجلس الوصاية الذي كان يضع مشروع دستور القدس عام 1950 في جنيف<sup>(2)</sup>، وسعيه الدائب لإقحام موضوع فلسطين في كل لجنة من لجان الأمم المتحدة في دورة عام 1949<sup>(1)</sup>، وردّه على إيبان وشاريت في دورة عام 1951<sup>(2)</sup>، وردّه - باسم الوفود العربية كلها - على مشروع السلام الذي عرضه إيبان خلال دورة عام 1952، معتمداً في ردوده العلمية الموضوعية والزرانة حتى يستطيع أن يهدم "صرح السلام الجميل" الذي بناه إيبان، وصاغه بقوالب ناصعة تضلل الرأي العام وتثير إعجاب الوفود الجاهلة بحقيقة المؤامرة الاستعمارية الصهيونية. وكان الرد مفحماً لإيبان الذي لم يجد ما يقوله إلا أن الشقيري لا يمثل أحداً، فرد عليه الشقيري أنه رئيس الوفد السوري، وأنه ينوب عن وزراء خارجية الدول العربية بصدد القضية الفلسطينية، وأن إيبان لا يمثل شيئاً، فهو مواطن بريطاني من جنوب إفريقيا، حصل على الجنسية الإسرائيلية مؤخراً، وتعلم اللغة العبرية حديثاً.

وشهدت دورة الأمم المتحدة عام 1957 معركة ثلاثية خاضها الشقيري بكل أحمال ثقافته وخبرته ومعاناته مع وزراء خارجية الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا<sup>(3)</sup>، وله معارك ومواقف أخرى تصدى فيها للأمين العام للأمم

---

(2) المصدر نفسه، ص ص 319-320.

(1) أربعون عاماً، مصدر سابق، ص 315.

(2) المصدر نفسه، ص 326.

(3) المصدر نفسه، ص ص 404 وما بعدها.

المتحدة بشأن اقتراحه حول خليج العقبة <sup>(4)</sup>، ولمندوب فرنسا أثناء مناقشة قضية التفجير الذري الفرنسي، ولبريطانيا في كل ما رأى فيه تنفيذاً عن بعض الحقد الشريف والبغضاء الكريمة عليها، حتى في حادثة اعتداء أسطول الصيد البريطاني على شواطئ آيسلندا عام 1958 <sup>(1)</sup>.

وقد هيات له ثقافته متعددة الجوانب، وساعده تسنمه الكثير من المناصب التي جعلته في قلب الأحداث وقريبا من صانعيها وموجهيها، هيا له القدرة على السبر، وساعده على الوصول إلى استنتاجات يستيق بها الأحداث. ولم تكن تلك القدرة على الاستنتاج تنبؤات بالمستقبل يدعيها ضربا بالغيب الذي لا يعلمه إلا رب العالمين، بل كانت قدرة على حساب النتائج، قائمة على الدراسة والتحليل للمواقف العربية والدولية.

ولعل أوضح الأمثلة وأقواها على هذا الجانب عند الشقيري، حاله قبيل عدوان حزيران 1967 وتوقعاته المتشائمة. وهو يفسر ذلك قائلا: "فلم أكن على هامش الأحداث ولم أكن مراقبا أو متفرجا، ولكني كنت في قلب المسرح العربي، وراء كواليسه، أعرف ما يعرف الملوك والرؤساء.. بل أكثر مما يعرف معظمهم" <sup>(2)</sup>. وكان شعوره مزيجا من شعور الفرحة بالهجوم والتحرير، والخوف

---

<sup>(4)</sup> المصدر نفسه، ص 410 .

<sup>(1)</sup> أربعون عاما، مصدر سابق، ص ص 445-446.

<sup>(2)</sup> الهزيمة الكبرى، مصدر سابق، ج 1، ص 69

من قوة الصهيونية، ومساندة الإمبريالية، وتخاذل الحكم العربي. وفي غمرة هذه الحيرة عكف على دراسة ما تقوله الصحافة العربية، فازداد قلقاً وهماً، وانطلقت في خاطره أسئلة كثيرة، وكان سؤال النصر أو الهزيمة هو الذي عاش في فؤاده في تلك الأيام. وقد عبر عن مشاعر الخوف عنده في لقاء مع قادة الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية الذين طلبوا منه تقدير الموقف السياسي، فقال بعد أن حلل المواقف العربية والدولية: "أدعو الله أن تتأخر المعركة عامين، فنحن لم نستكمل استعداداتنا، والقدرات العربية متوافرة، ولكنها مبددة. الحرب إرادة واستعداد، ووحدية.. ونحن نفتقر إلى هذه العناصر الثلاثة"<sup>(1)</sup>.

ومما قاله في تلك الأيام: "..... فلم تعد المعركة تنتظرنا لنستعد، ولم تعد إسرائيل تنتظرنا لنستكمل استعداداتنا..... بل هي تريد أن تضرب الضربة القاصمة في هذه المرحلة بالذات، قبل أن نجمع صفوفنا، ونعبي طاقاتنا"<sup>(2)</sup>.

وفي مؤتمر قمة الخرطوم وقف الشقيري موقف الرفض للاتجاه نحو التسوية السلمية، وحذر من مغبة الذهاب إلى معركة الأمم المتحدة بدون سلاح.. حتى سلاح المال والاقتصاد على الأقل. ومن أجل ذلك انسحب من مؤتمر الخرطوم لأنه لا يستطيع المشاركة في هذه السياسة ولا يرضى بحمل مسؤولياتها، على حد قوله، وقد دافع عن انسحابه من المؤتمر، مبيّناً أنه لم يكن لأسباب

---

<sup>(1)</sup> الهزيمة الكبرى، مصدر سابق، ص 228.

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه، ص ص 238 - 239

شخصية بل لحوافز عامة وأساسية". قد تبدو خاطئة في يومها وأثبتت الأيام صوابها.. وأعوذ بالله من الغرور<sup>(1)</sup>.

وكان لثقافة الشقيري العامة المتنوعة ، ولثقافته القانونية الخاصة ، كما كان لعمله في مهنته المحاماة ، أثر كبير في إكسابه النشاط والعكوف والدأب على إعداد المذكرات والوثائق ، والرجوع إلى المصادر المختلفة ، دون أن يترك الأمر للحافظة والارتجال، على الرغم من شهرته بسعة الذاكرة والقدرة على الارتجال . وقد بدأ تكون هذه العادة الثقافية – إن صح التعبير – منذ الشباب الباكر ، يوم كان يعمل محامياً متمرنًا في مكتب المحامي مغنم ومكتب المحامي عوني عبد الهادي . فقد أسهم في مساعدة الأول في إعداد مذكرة عن القضية الفلسطينية لتعرض أمام لجنة شو ، وشارك – وهو في مكتب الثاني – في جمع الوثائق وتهيئة المذكرات لإعداد ملف القضية الذي سيحمله الوفد العربي إلى لندن بعد صدور توصيات لجنة شو عام 1930 . وبعد صدور الكتاب الأبيض أخذ الشقيري يعد المذكرات في المواضيع التي عالجها هذا الكتاب وهو يصف مهمته هذه بقوله : " فقد أصبحت متمرساً في هذا العمل ، وكانت الوقائع والتواريخ و الأرقام طوع ذاكرتي ، وعلى أطراف أناملي"<sup>(2)</sup>.

---

(1) الهزيمة الكبرى، مصدر سابق، ج2، ص298.

(2) أربعون عاما ، مصدر سابق، ص ص124 - 125 .

وكان الشقيري في المؤتمر القومي في بلودان عام 1937 عضوا في لجنة الإعلام والتوعية ، فقدم دراسات وتوصيات . وكان في مطلع عام 1939 قريبا من المفتي في بيروت ، يعد المذكرات والدراسات لتكون بين يدي الوفد المسافر إلى لندن، ومنها ملف عن مراسلات الحسين - مكماهون. كما أعد دراسة وافية عن الكتاب الأبيض الذي أصدر في أيار /مايو 1939 وانقسمت اللجنة العربية العليا بشأنه، فبين ما له وما عليه ، ورجح في النهاية القبول به. وحين أخذت التطورات الخطيرة تتلاحق على الصعيد الدولي مع اقتراب نهاية الحرب العالمية الثانية ، أخذ الشقيري يتابع كل ما تقوله الصحف الصهيونية ، ويجمع منها قصاصات يضعها في ملف خاص . وكان يحمل معه في أسفاره وتغلاته في المدن الفلسطينية المختلفة الملفات التي أعدها لكل الموضوعات : الهجرة ، والتصريحات الأمريكية البريطانية بتأييد الصهيونية، والإرهاب اليهودي ، وغيرها . وقد زود موسى العلمي ، مندوب الأحزاب الفلسطينية لحضور اجتماعات الإسكندرية في مشاورات الوحدة عام 1944. زوده بمذكرة ضافية تشرح تطورات القضية الفلسطينية وقدمها إليه مع ملفاته التي كان قد أعدها عن النشاط الصهيوني والهجرة والمنظمات الصهيونية .

وشارك الشقيري، خلال عمله في المكتب العربي بالقدس عام 946 ، في إعداد الدراسات التفصيلية عن جميع جوانب القضية الفلسطينية استعدادا لقدوم اللجنة الأنكلو أمريكية . وكان هو، وزملاؤه في المكتب، يقضون سحابة النهار

وشطراً من الليل في مراجعة التقارير والوثائق ، حتى انتهى بهم الأمر إلى إعداد ملف ضخّم يزيد على الألف صفحة ، مبوبّ مفهرس مكتوب باللغة الإنكليزية.

وأثناء الاجتماعات العربية الرسمية التي عقدت في أعقاب التقسيم ، كان الشقيري يلهث وراء الوفد السوري ، يرافقه حيث ذهب، ومعه حقيبة (متورمة) بالملفات والمذكرات والدراسات كما يقول. واشترك مع عبد المنعم مصطفى مستشار الجامعة العربية في إعداد مذكرة الجامعة إلى الأمم المتحدة لشرح أسباب التدخل العربي العسكري عام 1948. كما كان واحداً من أربعة خبراء أوفدتهم الجامعة العربية للاجتماع ببرنادوت في رودس وشرح وجهة النظر العربية، وحملوا معهم الحقائق المكدسة بالتقارير والمذكرات. ويصف الشقيري المناقشات في مختلف الموضوعات التي تتعلق بالقضية الفلسطينية فيقول : "وكانت هذه الموضوعات جاهزة في مذكراتنا وفي ذاكرتنا ، فكنا نتحدث باستفاضة علمية موضوعية ، نفند ذلك بالأسانيد والوثائق والإحصاءات ، ولا نترك شاردة ولا واردة"<sup>(1)</sup>.

ظل هذا دأب الشقيري بعد أن أصبح أميناً مساعداً لجامعة الدول العربية، فوضع ، بطلب من الأمين العام، مسودة مشروع الدفاع العربي المشترك بعد أن درس السوابق الدولية والاتفاقات العربية المختلفة ، وأعدّ الدراسات الكثيرة في

---

<sup>(1)</sup> أربعون عاما، مصدر سابق، ص 297.

مختلف الميادين التي نص عليها ميثاق الجامعة العربية، من ثقافة وإعلام ومواصلات ، ولما كُلف برئاسة بعثة الجامعة عام 1957 لدراسة الحالة في اليمن ، وكان بعيداً عن القضية اليمنية والاحتلال البريطاني لجنوب اليمن ، نشط في الرجوع إلى المصادر التي عُنيت بهذه المشكلة ، وعاد من رحلته إلى اليمن بتقرير وافٍ عن أحوالها ، وتوصيات محددة بشأنها.

وكان دفاعه عن القضية الفلسطينية ، وعن القضايا العربية في الساحة الدولية مثلاً على ثقافته الواسعة ، ودليلاً حياً على نشاطه في إعداد الملفات والدراسات.

وهو يفخر دائماً بأنه كان يعد كل شيء بنفسه ، في حين كان مع خصومه الخبراء الكثيرون يقدمون لهم المعلومات حين الطلب. يقول واصفاً هذا الجهد :.. "ملفاتي جاهزة موضوعاً موضوعاً ، والمقتبسات والمراجع مُعدّة بفهارسها ، ووراء ذلك جهد امتد بضعة عشر عاماً"<sup>(1)</sup> . وكان يُؤثر الاعتماد على المراجع الرسمية كسجلات مجلس الشيوخ الأمريكي ، وكتاب إسرائيل السنوي وسجلات الحكومة البريطانية "<sup>(1)</sup>.

---

<sup>(1)</sup> أربعون عاماً، مصدر سابق، ص 853.

<sup>(1)</sup> فلسطين على منبر الأمم المتحدة ، مصدر سابق، ص 130.



أما القضايا التي كانت بعيدة عن ميدان اختصاصه أو اهتمامه أو عمله، فقد كان لا يتأخر عن دراستها دراسة وافية يلزم فيها المكتبات العامة والخاصة ، ويعود من أجل الإحاطة بها إلى مختلف الوثائق والملفات والمراجع . من ذلك قضية موريتانيا التي كلفه الملك المغربي محمد الخامس عام 1959 مناقشتها في الأمم المتحدة وقضية التفجير الذري الفرنسي في الصحراء المغربية التي عاد فيها إلى مؤلفات علماء الطبيعة والكيمياء ، ليثت الأضرار الخطيرة الناتجة من الإشعاعات الذرية ، " فكانت جولة في هذه المصارعة الذرية بين (الأمي) الفلسطيني السعودي وبين الخبير العالم" كما يقول<sup>(2)</sup>، ومنها أيضا موضوع حقوق الدول وواجباتها الذي دار النقاش حوله في اللجنة القانونية للأمم المتحدة في ليك سكس في بداية عملة في الأمم المتحدة ، فوقف يسترسل في سرد حقوق الدول وواجباتها ويستعرض تطور الموضوع معتمداً على المراجع البريطانية ، ويجادل كبار علماء القانون الدولي . وانبرى بعد ذلك يشرح تعريف الدول ومقوماتها، ليبين أن إسرائيل لا تنطبق عليها مبادئ القانون الدولي ، وأن نشوءها والاعتراف بها ، وعضويتها في الأمم المتحدة ، قائم على السياسة الاستعمارية لا على مبادئ القانون الدولي . كذلك أمضى شهرين في ربيع 1958 وشهرين في عام 1960 في نبش المراجع القانونية القديمة والحديثة لإعداد الدراسات القانونية حول المياه الإقليمية وخليج العقبة ليشترك بها في المؤتمر الدولي لقانون البحار في جنيف، وليقف بالحجة القانونية والبحث

---

(2) أربعون عاما، مصدر سابق، ص428.

العلمي في مواجهة الآراء والمقترحات والمشاريع التي قد تمس بنتيجتها عروبة خليج العقبة وتبيح حرية الملاحة لإسرائيل فيه<sup>(1)</sup> .

ولما كلفه مؤتمر القمة العربية الأول الاتصال من أجل تنظيم الكيان الفلسطيني ، عاد إلى جميع الدراسات والوثائق المتعلقة بالكيان ، ووضع بنفسه تفاصيله ورسمها في الميثاق والنظام الأساسي اللذين أقرهما المجلس الوطني الفلسطيني الأول، وأقرّ اعتماد خطاب الشقيري الافتتاحي بياناً إيضاحياً لمفهوم الكيان . وقد عكف الشقيري في بيته لإعداد الخطة المتكاملة لنشاطات منظمة التحرير على ضوء الخطوط العريضة التي اتفق عليها في اجتماع اللجنة التنفيذية ، وبالاستعانة بالخبراء في الشؤون الإعلامية والعسكرية والمالية وغيرها، حتى تيسر للشقيري إعداد خطة كاملة متماسكة الجوانب يتقدم بها لمؤتمر القمة الثاني.

وكان من أول ما اهتم به الشقيري إنشاء مركز الأبحاث الفلسطيني في بيروت ، وجمع الكفاءات الفلسطينية لوضع الدراسات والأبحاث . وفي هذا دليل على أن الشقيري المنقف كان يؤمن بقيمة العلم والثقافة ، وبأثرهما في خدمة القضية الفلسطينية ، وكان أثناء عمله رئيساً لمنظمة التحرير ، حريصاً على متابعة كل شيء بنفسه ، وقراءة التقارير ، وتحليلها ، والاستنتاج منها. وكان يتقدم في الاجتماعات العربية ، ولاسيما بعد نكسة 1967 ، بمقترحات مكتوبة

---

(1) انظر ص 204 من هذا الكتاب.

حول مشروع خطة عربية موحدة ، شاملة لمختلف الجوانب ، لمواجهة الاحتلال والعدوان.

ولم يمنع الشقيري اعتزال العمل السياسي من متابعة النشاط الثقافي ، بل كانت سنوات اعتزاله هذه هي السنوات التي أغنى فيها المكتبة بمؤلفاته الكثيرة، التي قدم فيها تجاربه الغنية ، وثقافته الواسعة . ولعل كلماته هذه تعطي صورة صادقة عن الشقيري المناضل المثقف : " إن تجاربي الدولية والعربية هي ملك أمتي العربية بأجيالها الصاعدة والوافدة ..... وسأضعها بين يدي الإنسان العربي. وإن أجمل الأيام في أخريات العمر للإنسان الحي أن يقرأ وأن يكتب ..وها أنا أدعو الله أن يحفظ عقلي لأفهم ..وأن يصون بصري لأقرأ .....وأن يشدّ يدي لأكتب "(1). وقد حفظ الله عقله، وصان بصره، وشدّ يده. وظل على نشاطه يكتب وينقّب، إلى أن دعاه داعي الموت، فلباه والقلم في يده ، وقد فرغ من تأليف كتابه (خرافات يهودية ) لتوّه ، ولم يمهله لكتابة مقدمته.

---

(1) الهزيمة الكبرى، مصدر سابق، ج 2 ص ص 309 – 310 .

الخطيب المفوه/ فارس المنابر \_\_\_\_\_

امتاز الشقيري بقدرة فائقة على مواجهة الجماهير، وكانت له مواقف مأثورة يشهد له بها كل من سمعه في المناسبات الوطنية. وهو يروي في مذكراته أن معلمه اكتشف عنده المقدرة الخطابية أيام كان صبياً في الكشافة ، أو أنه اكتشف نفسه، فأصبح خطيب الفرقة في اجتماعاتها وفي رحلاتها. ويذكر جولة قام بها مع فرقته في بعض القرى قرب عكا ، وكان يخطب خطباً حماسية يختمها بشعر حماسي من محفوظاته، يرسله بصوت جهوري<sup>(1)</sup>.

ولا ننسى الخطبة الحماسية اللاهبة التي ألقاها في ذكرى السادس من أيار في بيروت، والتي حمل فيها على جمال باشا وعلى العهد العثماني ، وأشاد بالوحدة العربية . وعاد بعدها مع رفاقه طلاب الجامعة الأمريكية إلى الجامعة وهم فخورون به، وهو فخور بنفسه، وقد كانت هذه الخطبة سبباً في إبعاد السلطات الفرنسية له عن لبنان.

وبعد عودته إلى عكا من بيروت عام 1927 قوي حبّه للخطابة ، وظهرت مهارته فيها بوضوح ، وغدا خطيب الاجتماعات الوطنية في مدينته ، فكان يخطب فيها وحده أحياناً ، أو مع والده أحياناً أخرى ، وبات من تقاليد الصحافة أن تشير إليهما باسم (الشقيري الكبير) ، و(الشقيري الصغير) ، وصارت الأحاديث تتعاقب، جادة حازمة مازحة: أيهما أخطب الكبير أو الصغير؟ ويعلق

---

(1) أربعون عاماً، مصدر سابق، ص 77 .

الشقيري على ذلك قائلاً: "وأبتسم أنا متطلعاً الى المستقبل ، وابتسم والدي ناظراً إلى الوراء .....إلى الماضي"(1).

لقد كان حبه للخطابة كبيراً ملك عليه نفسه ، فقال : " فقد كانت الخطابة هوايتي وسليقتي، وبعض حياتي وكل حياتي " . وقال أيضا : " كنت مستعداً أن أذهب من غير دعوة وكيفي أن يكون هناك اجتماع كبير لأخطب فيه"(2). وفي عام 1928 ألقى سلسلة من الخطب في عدة مدن من فلسطين . وعند تأسيس حزب الاستقلال عام 1931 اشترك في معظم الاجتماعات الوطنية التي نظمها الحزب في مناسبات وطنية مثيرة ، وخطب فيها دون أن يكون عضواً في الحزب . وكان يقضي نهاره . خلال أحداث 1936 ، مع اخوانه من اللجنة القومية في عكا ، وفي ساحات جامع الجزائر ، معقل الحركة الوطنية في المدينة للإشراف على الإضراب وللخطابة . ويصف حاله تلك الأيام فيقول : "وقد ضربت رقماً قياسيماً في عدد الخطب التي ألقيتها دون أن تتفد طاقتي فإن مجال القضية الفلسطينية تتسع آفاقه للحديث"(1).

وكان للشقيري معاركه الخطابية باللغة الإنكليزية في الأمم المتحدة ، تحدث عنها بإسهاب، ووصف جولاته فيها وإفحامه الخطباء ، وبراعته في

---

(1) أربعون عاماً، مصدر سابق، ص 96.

(2) المصدر نفسه، ص 112.

(1) أربعون عاماً، مصدر سابق، ص 154.

الدفاع عن القضايا المختلفة .. حتى كان غالباً ما يقع عليه اختيار الوفود العربية لكي يتولى الكلام . ولم يكن إعداد هذه الخطب أمراً سهلاً ، إذ كان عليه أن يُلمّ بخطوط القضية التي يتكلم عنها ، ويناقش ويستوضح ، ثم يتكلم من خطاب مكتوب في ذهنه ، ويسرد الوقائع التي اختزنتها ذاكرته ، مستعيناً هنا وهناك، بتلاوة مقتبسات من المستندات التي كان يحرص على جمعها قبل تناول الموضوع . وهو يذكر أنه على الرغم من تمرّسه بشؤون القضية الفلسطينية مع الأيام والأعوام ، كان ينفق الجهد الكثير في إعداد الخطب ، ويقضي أياماً يكتب ويشطب ويعدّل ويبدّل ، ويقدم ويؤخر : "وأنا أحسب أن كل كلمة محسوبة علي.. بل محسوبة على الأمة العربية بأسرها..(2).

وشهد قيام منظمة التحرير الفلسطينية مناسبات كثيرة خاطب فيها الشقيري الجماهير الفلسطينية، وأصبحت إذاعة فلسطين وسيلة للاتصال بأبناء فلسطين ، حتى أنه قال في تعليق ساخر: "إن المنظمة تملك أجهزة إعلام ثلاثة :الإذاعة ، جريدة أخبار فلسطين في غزة ، لسانني.....ولعل الثالث هو الأول ....."(1).

وكان الشقيري بوصفه رئيساً لمنظمة التحرير ، يخطب في كثير من المواقف والمناسبات . وقد جند نفسه لهذه المهمة عشية حرب 1967 ، فقضى الشطر الأخير من شهر أيار /مايو يحدث الجماهير في كل حي ومسجد ، ويعمل

---

(2) المصدر نفسه، ص 303.

(1) على طريق الهزيمة، مصدر سابق، ص 83.

ذلك قائلا : " ذلك أني لا أقدر على حمل السلاح ..... وأحسست أن دوري في المعركة هو أن أدعو الناس إلى الجهاد بلساني .....وهو أضعف الإيمان"(2).

ويصف الشقيري قدرته على ارتجال الخطب ، وما وراء هذا الارتجال من جهد وعناء وإعداد بقوله : " لقد ارتجلت الخطب بالعشرات والمئات في حياتي الخطابية الطويلة وكذلك في الأمم المتحدة ، ولكن ما أشقها أشقأها ..إن وراء هذه الخطب المرتجلة إعدادا ذهنيا ونفسيا وقراءة ومذاكرة ..وما أيسر أن تكتب وتخطب ، ذلك كان الارتجال عندي ، إلا مناسبات معدودة دعيت فيها للكلام من غير (إنذار) سابق ، وقال عنها أصدقائي إنها أجود من المرتجلات الأخرى."(1)

وعلى الرغم من هذه الشهرة في ميدان الخطابة .....وعلى الرغم من هذا الزهو بالتفوق فيها ، كان دائما يتساءل عن جدوى الخطب وقيمة الكلمات ، بل كان يدرك أنها كلام ضائع في الهواء ، ليس وراءه ثمر أو نتيجة ، ما دام لا يدعمه عمل ، أو تسنده قوة . إنه يذكر دورة الأمم المتحدة عام 1951، حين أفحم شاريت وزير الخارجية الصهيوني وسقّه دعواه المزيفة الى السلام ، وكيف أقبل عليه أعضاء وفود الدول مهئين بهذا "النصر العظيم ،لأنه وضع إسرائيل في القفص، وأنه يسقيها سمها بكأسها " . يذكر ذلك كله ثم يضيف: "ولم يكن

---

(2) الهزيمة الكبرى، مصدر سابق، ج 1، ص 98.

(1) أربعون عاما ، مصدر سابق، ص 97.



أعضاء الأمم المتحدة يملكون إلا التهنئة ، وعبارات التشجيع والتقدير ، فلقد مرّغتُ أنف شاريت وإيبان في الوحل ، وفعلت ذلك مرات ومرات في السنين المتعاقبة..ومعهما الأنف الأحذب لجولدا مئير ، رئيسة وزراء إسرائيل فيما بعد.....ولكن إسرائيل مرّغت أنوفنا ووجوهنا في الوحل ، بكل عفنه وننتنه ، في الميدان....وفيه فصل الخطاب".

وظل الشقيري يذكر أخطر خطبة له ألقاها بعد توقيع اتفاقية الدفاع المشترك بين مصر والأردن في 1967/5/30، فقد اكتفى بقوله : "أدعو الله أن ينتقل هذا الاتفاق من الورق إلى الميدان بكل أمانة.....وبكل شرف..وبكل إخلاص " وقد أثارت هذه الخطبة دهشة الرئيس عبد الناصر ، لأنه إنما كان يريد خطبة "شقيرية" فرد عليه الشقيري بقولة : " المعركة على الأبواب ، وشاعرنا يقول : تكلم السيف فاسكت أيها القلم"(1).

---

(1) الهزيمة الكبرى، مصدر سابق، ص206.

## الأديب صاحب البيان

---

للشقيري أسلوب متميز في الكتابة، وكما انقادت له منابر الخطابة امتلاك ناصية الترسل، وحمل بين جوانحه روح الأديب ، وسالت على طرف قلمه أحاسيسه ، بكل ما في روح الأديب من دفق العاطفة وتلهب المشاعر ، وبكل ما فيها من صور ملونة وخيال مجنح ولغة موحية . ولعله كان مقدراً للشقيري أن يغدو أدبياً نابهاً لولا أن المحاماة أخذته الى ميدانها أغرقته في مشكلاتها وقضاياها

، لولا أن شدة النضال السياسي إلى لجة بحره المتلاطم ، وتركه يصارع أمواجه العاتية . بيد أن سنوات الاعتزال الأخيرة من عمره، تلك السنوات التي وقف فيها على شاطئ هذا البحر، يلتقط بعض أنفاسه ، ويستعيد ذكرياته، يراجع حساباته... تلك السنوات كانت الفرصة التي أفسحت له وقتاً يكتب فيه ..ويؤلف ..ويعوض فيه ما فاتته ، فترك لنا الكثير من المؤلفات ، التي أغنت المكتبة العربية بآثار ، هي \_ الى جانب قيمتها السياسية والنضالية \_ آثار أدبية تجعل الشقيري في مستوى قريب من أعلام الأدب المعاصرين.

وللتعرف على طبيعة أسلوبه الأدبي ، وتحديد سماته العامة ، لا بد لنا من الرجوع الى مكونات ثقافته العامة ، فهي ثقافة تقليدية ،قوامها محفوظه الجيد من القرن الكريم والحديث الشريف، وكتب السير والتراجم والتواريخ ، ومؤلفات اللغة والنحو والأدب ، ودواوين الشعر ...وقد تمثل الشقيري ذلك كله وطبعه بروح المعاصرة ، وصبغه بطابع الحداثة التي رفدته بها دراسته ذات الطوابع الغربية ، وعمله في المنتديات العالمية.

في أسلوب الشقيري رصانة الأساليب العربية في أيام عهدها الزاهرة ، بلغتها الجزلة ، وتراكيبها المتينة ، وخيالها المجنح ، وصنعتها اللطيفة المتقنة، يرصعها الاقتباس والتضمين ، في نسق متماسك من بلاغة القول، وسلامة المنطق ، وقوة الحجة ، وفي جو دافق من المشاعر والأحاسيس ، التي يعلو وقعها في بعض المواطنين حتى يقترب من الخطبة الحماسية ويدانيها، ويرق في مواطن أخرى ،

فينساب عذبا يسيرا هادئا ..... يلف ذلك أحيانا مسحات من الحزن والسخرية ، اعتصرتهم تجاربه الأليمة ، فلونت بسحائبهما أسلوبه بلون مرّ كئيب.....

كان يميل إلى العبارة القصيرة المتوازنة ، يرتب ألفاظها بدقة وعناية، ويوشّيه أحيانا بالسجع ويؤلف بينها تأليف المهندس المقتدر ، دون أن يوقعه ذلك في شرك التكلف الممجوج . يقول في الوحدة ، معبرا عن إيمانه بحتميتها حتى لو بدا الواقع خلاف ذلك : "وكما نرى الشمس في كبد السماء سنرى الوحدة العربية تشمل الوطن العربي بأسره ، والأمة العربية جمعاء . سنراها بأعيننا ، أو بأعين أبنائنا ..... وما عيونهم إلا عيوننا ، وسنراها في حياتنا ، أو في حياة أبنائنا ، وما حياتهم إلا حياتنا . أجل ، سنراها كما نرى الشمس في كبد السماء "(1). ويعبر عن تفاؤله بمستقبل العمل الوحدوي بقوله : "ونكاد نرى الأمة العربية من ورائها تتجمع وترحف ، وتهدم وتبني . وكذلك كان تاريخ الوحدة في كل زمان ومكان ، فبأي آلاء ربكما تكذبان"(2).

وقد أكثر الشقيري من الاقتباس ، فكان لا يني يرصع عباراته بآيات من القرآن الكريم . والأمثلة على ذلك كثيرة ، لا تكاد تحصى ، حتى غدا الاقتباس سمة واضحة من سمات أسلوبه\* . وكان يغلب عليه أن يختم بعض فصول كتبه

---

(1) علم واحد، مصدر سابق، ص 155.

(2) المصدر نفسه، ص 357.

\* مرت وستمر الأمثلة الكثيرة الدالة على ذلك.

بآية توحى بالمعنى المقصود ، وتنبئ بحاله النفسية. وها هو بعد أن يعلل الانكسار ويرجعه إلى الكثرة المبعثرة يستشهد بالآية : " ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين"(1). وكانت هواجسه قبل حرب حزيران/يونيو 1967 كثيرة وتوقعاته متشائمة ، لأنه يعرف أن الحرب خدعة وأن العدو الصهيوني غدار ماهر، فيتذكر قول الله تعالى ، ويقول : "ليت الذين بيدهم مقاليد الأمور يعلمون بقوله تعالى وهو يعلم الرسول كيف يصلي في ميدان القتال : " وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ودّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة".

وكان تضمين أبيات من الشعر أمراً مألوفاً عنده، يستدعيه الموقف، ويأتي في موقعه المناسب، بكل ما في الشعر من إحياء وإثارة. فحين وقعت عليه القرعة للتوجه إلى مصر عام 1946 للاستزادة من العون والمدد ، تمت في نفسه قائلاً : "موكل بقضاء الله يذره.."(2) وهذا شطر من بيت مشهور . ولما زار اسبانيا في رحلة العودة إلى المشرق عام 1951، أوحى إليه هذه الزيارة بمشاعر الاعتزاز ، فكتب : " الأحجار تتكلم ....كانت تتكلم فناً وحضارة ، وروعة في هندسة بالغة

---

(1) الهزيمة الكبرى ، مصدر سابق، ج2، ص25.

(2) أربعون عاما، مصدر سابق، ص277.

الحسن والإبداع والجلال " ، وأوحت بمشاعر الحنين إلى الوطن الذي كان يغالب  
العرب هناك ، فاستعاد ما قاله صقر قريش ، عبد الرحمن الداخل ، الطريد الشريد  
من ديار الشام، الذي أسس دولة في الأندلس ، فطاب له الزمان ، لكنه ظل يحن  
الى ديار الشام ويقول:

أيها الراكب الميمم أرضي      أقرئن السلام بعضي لبعضي

إن جسمي كما علمت بأرض      وفؤادي ومالكيه بأرض

وأضاف الشقيري: ولم أكن أدري كذلك أن فلسطين ستشهد البيت المشهور  
الذي أنشدته الأندلس قبل 500 عام :

أبكِ مثل النساء ملكاً مضاعاً      لم تحافظ عليه مثل الرجال(1)

الشقيري صاحب خيال خصب ، كان يحلق به في كثير من الأحيان، فينتزعه  
من واقع السياسة اللصيق بالأرض ، ويرفعه إلى عوالم الأدب الملونة بالصور  
والأخيلة . لنستمع إليه وهو يصف شاطئ عكا وصف الفنان : " على ذلك الخليج  
الفاتن بين حيفا وعكا..على ميمنتنا كثنان الرمال النقية البيضاء تتعكس عليها  
أشعة الشمس ، فتغدو كأنها روابي من الفضة، انبثق من آكامها نخيل هنا

---

(1) أربعون عاما، مصدر سابق، ص340.

وطرفة هناك. وعلى ميسرتنا البحر الرحب الفسيح، بلونه الأزرق. والأمواج الهادئة تتكسر بأناقة ورشاقة على الشاطئ، فتؤنس المسافرين في وحشتهم ووحدهم". (1)

ويصف الطريق بالسيارة من عكا إلى القدس ، فيقول : " الطريق من حول خليج عكا برماله الناصعة ، وأمواجهه الوادعة، عزّ نظيره في الدنيا . والصعود الهادئ الى ربى الناصرة ، بأحراشها العطرة ، نزهة رائعة تبعث في النفس كل معاني السكينة والراحة . والنزول الى مرج ابن عامر ، والبقاع السندسية تحت بصرك كأنها سجادة مطرزة هوت من السماء، وافترشت هاتيك البقاع ..... واجتياز جنين ونابلس ورام الله والبيرة بين الروابي والوديان، مرصعة بالزيتون والأعناب ، غرسها الآباء والأجداد ..متعة روحية بالغة الإمتاع والإيناس . والإطلال على بيت المقدس من حي الشيخ جراح، وأسوارها التي تلف الأقصى والقيامة بين ذراعيها في سكون ودعة، إنما هو إطلال على موكب رائع من التاريخ والقداسة والجلال. ولقد أخذت بهذا الجمال وأنا أسلك ذلك الطريق لأول مرة في حياتي. وما سلكته مرة إلا رأيت صفحة جديدة من الجمال الرائع الفتان ". (2)

ويصف جزر الخالدات (جزر الآزور) بهذه الكلمات الحلوة الملونة النابضة بالحياة : "وخرجت أجيل بصري في الجبال المحيطة بنا في هذه الجزيرة التي يقطنها بعض مئات من البرتغال ، وأبصرت بالأطلنطي يحتضن هذه الجزيرة

---

(1) أربعون عاماً ، مصدر سابق، ص35.

(2) المصدر نفسه ، ص 101.

، ولكنة ما زال منذ القدم يضربها بأمواجه ويظللها بغمامه ، ويشدد الطوق من حولها ، وينتقص من أطرافها ، ويأكل نواتنها ، ويخلع عليها الفقر والفاقة ..حتى أعيائها الكفاح الأزلي من حولها وقد ملّ الصراع ، فتهادنا ، وتصالحا .....فكانت جزر (الخالدات) .....وكان صلح ... وكان سلام"(1).

ويتحدث عن سقوط الثلج في نيويورك عام 1945 جامعا الصور التقليدية إلى المتبكرة الطريفة في وحدة متماسكة : "يتساقط كالعهن المنفوش ، يهوي من السماء في أطباق الهواء ، متهاديا مترنحا . وكان الطقس باردا جدا ، حتى لقد خُيِّلَ إلَيَّ أن هذا الثلج المتهادي من السماء قد صعقه البرد ، فنزل راجعا مرتعشا ، يلتمس الدفء على الأرض ، حتى إذا ما وجد قراره أخذ يصعد أنفاسه ، وجرى ماء سلسبيلا"(2).

وفي حديث جرى بينه وبين الرئيس عبد الناصر بعيد ثورة 1952، سعى لبيّن له قيمة العمل العربي ، وليحثّه على أن تنهض مصر بدورها في الوحدة العربية ، فقال له : "إن بناء مصر الحديثة \_ على عظمتها \_ سيكون له سطر

---

(1) من القدس الى واشنطن، طبع في عكا 1947، ص 17.

(2) أربعون عاما، مصدر سابق، ص 226.



واحد في التاريخ ولكن بناء الوحدة العربية سيكون له فصل كبير وسيكون الذين يصنعونه من صانعي التاريخ"<sup>(1)</sup>.

وينتقد مواقف الملوك والرؤساء من منظمة التحرير ، ويصوّر مصاعبه بهذه الكلمات: "إني قضيت أيامي وأعوامي في منظمة التحرير وفي عنقي ثلاثة عشر حبلا ، يمسكها ثلاثة عشر ملكا ورئيسا .....وما أشدّ أن يقع المرء في حلبة الصراع حين يكون المتصارعون هم الملوك والرؤساء ..وأنكي من ذلك كله أن تكون الضحية قضية فلسطين ، وأن يُبتلى شعب فلسطين بهذا البلاء"<sup>(2)</sup>.

ويذكر بأسى ما أصاب خطة التحرير من طعنات بعد كارثة 1967 وقرارات مؤتمر قمة الخرطوم ، فيقول : "..ولكن هذا التصور لمستقبل التحرير قد أنقص قبل أن تتفتح أكمامه ، كما تنقص براعم الزهور تحت وطأة الصقيع"<sup>(3)</sup>. ويعلق على صمت مجلس الأمن الطويل بعد عدوان 1967 قائلاً : " وهكذا لم يكن الصمت من ذهب في ذلك اليوم..ولكن صمت النار والدم "<sup>(4)</sup>. ويعقب على زيارة كوسيجين لشلالات نياغارا ، بعد لقائه بالرئيس الأمريكي جونسون ، خلال انعقاد دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة في عام 1967، ويقول : " فكان مقدرا

---

<sup>(1)</sup> حوار وأسرار مع الملوك والرؤساء ، مصدر سابق، ص 134.

<sup>(2)</sup> من القمة إلى الهزيمة ، مصدر سابق، ص 300.

<sup>(3)</sup> الهزيمة الكبرى، مصدر سابق، ج2، ص299.

<sup>(4)</sup> الطريق الى جنيف ، مصدر سابق، ص 9.

أن تتساقط مناقشات الأمم المتحدة عند مساقط شلالات نياغارا ، وأن تحتجب وراء أقواس قزح التي تنهدى في سماء تلك المدينة الفاتنة"<sup>(1)</sup>.

ويحلل الجدل القائم حول (أل) التعريف في قرار مجلس الأمن رقم (242) بتصوير طريف : " فإن (أل) التعريف، على حجمها الصغير، تطوي وراءها سهولاً وجبالاً وأوديةً وهضاباً ، وقرى ومزارع، تطمح إسرائيل في الاستيلاء عليها. وبسبب الحدود الآمنة التي تتعلل بها، وتتدلل عليها"<sup>(2)</sup>.

ويقول في التضامن العربي الذي لا يجد فيه الشفاء الكافي للتمزق العربي: "وإن التضامن العربي غلاف براق شفاف ، تهب عليه الرياح ، فيتناثر أدراج الرياح. إن التضامن العربي أسطورة واهية ، تركع أمام نسيج العنكبوت ، وأن الوحدة هي الأذوم ..الأقوم.. والأسلم"<sup>(3)</sup>.

وكانت القدرة على التصوير تبعث في كتابات الشقيري الحركة الموحية، وتنقل القارئ الى جو الحادثة أو الذكرى ، فنعيشها نابضة بالحياة. انه يصف المرحلة الأولى من حياته التعليمية في طولكرم ، فيحمل القارئ إلى ذلك الماضي البعيد ، ثم إلى الحاضر بالتفاته سريعة ذكية: " وكل ما أذكره أننا كنا نراقب شعاع

---

<sup>(1)</sup> الطريق إلى جنيف، مصدر سابق، ص 44.

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه، ص 64.

<sup>(3)</sup> علم واحد ، مصدر سابق، ص 283.

الشمس وهو يخترق نافذة غرفة المدرسة. ليزحف بطيئاً على أرض الغرفة ...بلاطة بعد بلاطة . ويبدو أن شعاع الشمس كان هو ساعتنا التي نحدد موعد الانصراف من المدرسة . وكان بلاط الغرفة موضع أبصارنا طيلة الوقت، نختلس إليه النظرات ونحن ننتظر موعد الفرج، فقد كان للانصراف فرحة كبرى في نفوسنا ، وما استشعرت مثلها حتى ساعة إطلاق سراجي من السجن بعد ربع قرن من الزمان"(1). ويقول في تصوير الطفولة البائسة التي عاشها: ".....وكانت الحجارة متوفرة أكواما أكواما . فلم يكن في البلد طرق معبدة ، وكان كل شيء خارج البيوت حجارة وتراباً .. الحجارة نتراشق بها والتراب نعفر به وجوهنا .. تلك كانت طفولتي وطفولة الملايين من الأمة العربية في العام 1913، ولعلها لا تزال كذلك حتى الآن في العام 1969 ، في الحواضر والبادي ، والمدائن ، والأرياف... تلك هي الجذور الأولى للتخلف العربي... بل الجذور الأولى للكوارث والهزائم التي حلت بالأمة العربية . وكان قدر جيلنا أن يشقى بعارها، ويكتوي بنارها"(2).

ويتحدث بأسى عن الأبطال الثلاثة : حجازي وجمجوم والوزير ، الذين أعدمتهن السلطات البريطانية ، فيقول : " تولينا بناء القبور للأبطال الثلاثة من

---

(1) أربعون عاما، مصدر سابق، ص23.

(2) المصدر السابق.

صمّ الصخور، وكانت القبور الثلاثة زاهية الورود ، فوّاحة الرياحين ، حتى خرجنا من فلسطين . وأحسب أنها ذبلت ، وأصبح ما حولها بلقعاً خراباً ، وعالمأً يباباً".

ويصف وقوفه خاشعاً أمام قبر والده وقبر أخيه عام 1940، ونفسه تكاد تذهب حسرات ، فيقول : "وأنا أكتب هذه المذكرات أذكر أن عكا في قبضة إسرائيل ، ولا أعلم ما جرى للضريحين ، وقد كانا يانعين بالأزهار ،ناعمين بالظلال. وأحسب أنهما الان وسط قفر يباب<sup>(1)</sup>، وعالم خراب ...وكذلك حال شعبنا بأسره، وحال مقابر الآباء، ومضاجع الأجداد ...ولا حول ولا قوة إلا بالله"<sup>(2)</sup>.

ويصور الشقيري الأفراح العربية بقيام الوحدة بين مصر وسوريا عام 1958 ، فيقول : "...فقد قضت دمشق الأيام والليالي وهي في عرس كبير لم تشهد مثيلاً له منذ أن عاد إليها صلاح الدين بعد أن فتح بيت المقدس . وقضت القاهرة الأيام والليالي وهي في هرج ومرج ، لم تشهد مثله منذ أن وقع لويس التاسع أسيراً في دار لقمان في المنصورة ، في أعقاب الحملة الصليبية المنهزمة ، وعبرت الأفراح العربية فوق الحواجز والحدود ، من غير جواز سفر ولا تصريح

---

<sup>(1)</sup> أربعون عاماً، مصدر سابق، ص129.

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه، ص194. (أن الأسرة قد أبلغت خلال مرضه أن السلطات الإسرائيلية قامت بنقل رفات القبرين إلى المقبرة . العامة في المدينة (عكا) وذلك من أجل شق طريق فتغيرت المعالم).

دخول ، فغمرت العواصم العربية ، وامتلأت الشوارع بالمظاهرات ، وانطلقت الحناجر بالهتافات : وحدة...وحدة ، وتسلفت خافطة من النوافذ إلى مخادع الحكام ومهاجع الملوك والأمراء <sup>(1)</sup> ويصور بالمقابل مشاعره يوم الانفصال بين مصر وسوريا ، وكان آنذاك في الأمم المتحدة ، فيقول : "... ولم أطق صبراً على نظرات الساخرين وقهقهات الشامتين ، فحملت نفسي، وبعضني يحمل بعضي ، الى الفندق الذي انزل فيه، واعتكفت فيه أياماً، وأنا صريع آلامي وأحزاني . وتجمعت كربتي إلى غربتي ، وجعلت مني إنساناً ساهماً واجماً... وجاءت الأيام الستة من حزيران ، وإذا بالأحزان تتفجر في نفسي من جديد ، كأنما أصبح الفؤاد حقل ألغام ، أصابته شرارة ، فراح ينفجر كالبركان" <sup>(2)</sup>.

ويصف هول كارثة 1967 بأسلوب تصويري حزين... رصين ، ويقول:  
"وقعت الداهمة الدهماء التي سميت بنكسة حزيران ، ووقعت الأمة العربية أمامها مشدوهة مذهولة ، وهي تحسب أن، حلما رهيبا مخيفا قد سطا على نومها ، فارتعدت فرائصها ، واضطربت جوانحها . ثم أفأقت من هول الصدمة الماحقة لترى انها أمام الحقيقة الراجفة ، تنبئ عن سقوط سيناء والجولان والضفة الغربية بعد أن تبعثرت الجيوش المصرية والسورية والأردنية ، مخلفة ورائها الآلاف من الشهداء ، وقد تسمرت أبصارهم المنورة على دباباتهم المهشمة ، ومصفحاتهم

---

<sup>(1)</sup> حوار وأسرار مع الملوك والرؤساء، مصدر سابق، ص 172.

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه ، ص 184.

الدمرة ، وطائراتهم المحترقة، ولم يدر أحد ماذا جرى ... وكيف جرى ... وكأنما ربح صرصر عاتية قد لفت الوطن العربي ، وانشل إحساس الناس من هول زفيرها وشهيقها، فلن تعد أسماعهم تسمع ، وأبصارهم تبصر ، وعقولهم تعقل ، وكأن أن هدأت الريح الصرصر العاتية،وبدأ الناس يبصرون ويشعرون ويعقلون...وراحوا يتساءلون : كيف جرى كل ما جرى ؟!(1)

وعندما ينتقل ليصف السنوات الأليمة التي سبقت حرب عام 1973، يسطر هذه العبارات، التي تفيض بشعور وجداني وعميق، وتتلون بريشة مصور بارع، فتخرج في ثوب طريف الوشي عميق المعنى : " كان ذلك في العاشر من رمضان، السادس من أكتوبر وكان يوما مشرقا وضاء ، طلع فيه الفجر بعد ظلام دامس وليل حالك طويل، أرخى سدوله على الأمة العربية في اليوم الرابع عشر من شهر أيار من عام 1948، يوم دخلت الجيوش العربية إلى فلسطين ، وحلت بنا هزيمة نكراء. وامتد الظلام عبر اعوام طويلة مثقلة بالعار. ثم أشدت حالكا في حرب الأيام الستة، وحلت بنا هزيمة أخرى، وعاشت الأمة العربية حقبة الظلام هذه، وهي تلتمس الفجر. وراحت الأمة تعد الأيام، وتحسب الأعوام، وكأنها تروض ذاكرتها على الحساب، إلى أن بزغ الفجر أخيرا .. بعد خمسة وعشرين عاما، وخمسة شهور، واثنين وعشرين يوما. وليست هذه عملية حسابية تستهدف اللهو والتسلية، بل إنها ليست من أجل عيون التاريخ .. ولكنها لواعج المحبين

---

(1) حوار وأسرار ، مصدر سابق، ص 208 .

وهم يحسبون يوم اللقاء ساعة بساعة، ناهيك عن حب الوطن، وهو ارفع مراتب  
العشق الإنساني، يستشهد المرء في سبيله، وهو في كامل عقله، ولا ينتحر لفقده  
وهو في غمرة جنونه كحال المحبين المدنفين. ومن أجل ذلك، فلا غرابة أن  
يقضي عاشق الوطن أيامه ولياليه وهو يحسب .. ويحسب، فتلك سمات العشق  
والحنين إلى الوطن، والشوق إلى المراجع، والثورة على الاحتلال، والتأثر للكرامة.  
وفوق ذلك .. فأنها استجابة حميمة لأستغاثة الماضي وصرخة الحاضر،  
ولهفة المستقبل".<sup>(1)</sup>

وكان الشقيري - في بعض ما كتب - يخرج على القارئ بتراكيب طريفة  
مستحدثة، أو عبارات موجزة تجمع المعاني البعيدة، ويلخص فيها تجربته الواسعة  
في ميدان النضال السياسي. ها هو يعلل أسباب الهزيمة العربية في حرب  
1967 بهذه الكلمات المعدودات، فيقول: " .. فلم تجد إسرائيل أمامها ضمانا  
عربيا، أو وحدة عربية، ووقعت النكسة، لأننا صنعنا وحدة الهزيمة، لا وحدة  
النصر"<sup>(1)</sup>. ويقدم رأيه في مؤتمر الخرطوم قائلا: "قفي هذا المؤتمر كانت  
اللاّخطة هي الخطة، وانتصرت اللاّوحدة على الوحدة، وتغلب بترول العرب على

---

<sup>(1)</sup> الطريق إلى جنيف، مصدر سابق، ص 133 - 134.

<sup>(1)</sup> حوار وأسرار مع الملوك والرؤساء، مصدر سابق، ص 207.

العرب، وارتفعت راية الحلول السلمية بديلا عن مسيرة النضال، وبرز شعار الصمود، فكان صمودا على ارض الذل والهوان".<sup>(2)</sup>

ويقول بعد حديثه عن أيام ثلاثة من أواخر شهر أيار/مايو 1967، شهدت ثلاث خطب للرئيس عبد الناصر: "... اكتبها بالحروف حتى لا تنسى أو تبلى، فالأرقام اقرب إلى البلى، وايسر على النسيان، ومن يدري .. فقد تبلى الحروف قبل الأرقام"<sup>(3)</sup>. ويصف العيد الخامس عشر لثورة مصر في 23 تموز/يوليو 1967 قائلا: "وامتزجت انتصارات الثورة بانتكاسات النكبة. وسنترك للتاريخ وحده أن يحكم أيهما ارجح. ومعالم الرجحان لا تتجلى إلا بعد هدوء العواصف والعواطف".<sup>(4)</sup>

ويقول في معرض دحض الأسطورة الصهيونية التي تزعم أن العرب يريدون إلقاء اليهود في البحر: "... فان قضية فلسطين اكبر من الشقيري، ومن حكام العرب أجمعين، بل إنها أكبر من الشعب الفلسطيني، بكل بسالاته وبطولاته.

---

(2) الهزيمة الكبرى، مصدر سابق، ج 2، ص 138.

(3) المصدر نفسه، ج 1، ص 138.

(4) المصدر نفسه، ج 2، ص 83.



إنها قضية الأمة العربية بكل طاقاتها وقدراتها، وبكل أجيالها.. إذا كان مقدرًا لهذه القضية أن تعيش مع الأجيال<sup>(1)</sup>.

ويؤكد أولوية العمل من أجل الوحدة بقوله: "... فان قضية الوحدة يجب أن تكون في المقام الأول في اهتمام أحرار العرب والمفكرين، ويجب أن تصبح قضية قومية ويومية، مشتعلة دائما وأبدا، تملؤها روح الكفاح وعزيمة النضال. وحذار.. حذار أن نتركها للزمن، تتقاذفها أيامه وأعوامه"<sup>(2)</sup>.

ويعبر عن العلاقة المتلازمة بين تحرير فلسطين والوحدة العربية بهذه الكلمات: "... سيظل التفاعل بين الوحدة\* قائما حتى تنهض الوحدة وتتحرر فلسطين، أو تتحرر فلسطين وتنهض الوحدة. والنضال على الساحتين، بظروفه وملابساته، وهو الذي يقرر الخيار بين الطريقتين: أيهما أولا، الوحدة أو التحرير؟".

هذه أبرز سمات أسلوب الشقيري في ألفاظه وتراكيبه وموسيقاه وصنعتة، وصوره وأخيلته. لعل الأمثلة التي سلفت أن تقدم بعض ملامحه، أو أبرزها. وكان هذا الأسلوب، بكل عناصره يتموج بتموج عاطفة الشقيري وبتلون مشاعره. فالشقيري، في كل ما كتب، لا يكتب بحثا علمية موضوعية، يغلب عليها هدوء

---

(1) الهزيمة الكبرى، مصدر سابق، ج 2، ص 285 - 286.

(2) علم واحد، مصدر سابق، ص 290.

\* كذا وردت في الأصل، ولعل كلمة (التحرير) سقطت أثناء الطباعة.

التحليل وبرودة المنطق، بل يكتب خواطر وذكريات عاشها، ويروي أخبار أحداث أليمة اكتوى بنارها وعانى منها، ويقص حكاية معارك خاضها فوق المنابر وداخل القاعات المغلقة .. فهو يكتب، ويتذكر، ويقص بانفعال وتوتر. يهدأ قليلا ويضطرب كثيرا، ينساب حيناً ويصطخب أحياناً، بحسب المناسبة والموقف.

إنه يرق، وهو يتحدث عن طفولته المبكرة، فيكتب بأسلوب هادئ، وبعبارات ناعمة موحية، تحرك في النفس ارق المشاعر وأطفها: "الطفولة، في ذلك العهد، عالم مجهول، يحوم حوله العلماء بالحدس والتخمين. ومن ذلك العالم المجهول تنطلق الإنسانية من عقالها، وتسير في حركتها المتطورة الدائبة، متطلعة إلى استكناه الكون، والتعرف على أسرارهِ بشوق ملح، ولهفة غالبة، وهي لا تدري سر وجودها ونشوءها، بل إنها لا تدري متى بدأت تعي.. ومتى بدأت تذكر".<sup>(1)</sup>

ويسجل بعض خواطره وهو يحلق بالطائرة فوق الشمال الإفريقي في طريقه إلى أمريكا عام 1945، بأسلوب مفعم بالمشاعر الهادئة المسترخية: "إن الإنسان في هذا الكون العجيب نقطة هندسية من غير طول .. ولا عرض .. ولا عمق. وأن هذا الإنسان، وإن استفتح كثيرا من مغلقات هذه الدنيا، فسيظل - مهما استفتح ومهما اكتشف - النقطة الأولى، في الألف الأولى من الدنيا. ومع هذا، فإن تلك النقطة لا طول لها، ولا عرض، ولا عمق"<sup>(1)</sup>. ويصور حاله وحال

---

<sup>(1)</sup> من القدس إلى واشنطن، مصدر سابق، طبع في عكا عام 1947.

<sup>(1)</sup> من القدس إلى واشنطن، مصدر سابق.

ركاب الطائرة وقد داهمتها العاصفة فوق المحيط الأطلسي بقلب المؤمن المستسلم لقضاء الله وقدره، فيقول: "وأخذت الطائرة تجوز بنا أطباق السماء، في ليل رهيب، فوق بحر مخوف، انقطعت في سمائه كل معاني الأنس، فأبدلت بظلمات الوحشة والرهبة. والرحلة تستغرق ثلاث عشرة ساعة متمادية، وقد توسطتها عاصفة مذلّمة، رجرت الطائرة من غير رحمة ورفق. هناك .. انقطعت أسباب المراء بالقدرة الإنسانية، فانخذلت شجاعته، وانصهرت ذاتيته وانايته، ولم يجد ما يهدئ الروح إلا أن يسترخي في أحضان العناية الإلهية، وأن يستسلم للمشيمة القاهرة الحافظة. ثم بعث الله سكينته، فزالت العاصفة، وعادت إلينا إنسانيتنا الناسية الجاحدة".<sup>(2)</sup>

وخاطب المهاجرين العرب في أمريكا من الإذاعة في نيويورك عام 1945 بأسلوب وجداني يراعي ما يفرض مقام الحديث الإذاعي من هدوء، ويمتلئ بمشاعر المحبة لأبناء أمته: "... وهنا، أنا أجهر إليكم بالتحية الصادقة، تحية المواطنين إلى المهاجرين .. إلى الإخوان النازحين المغتربين، التحية التي أحملها إليكم تقيض بالحياة، وما يزيدها البعد إلا قربا وعطفا وحباً، تحية متوّجة بالاعجاب، فلقد نزلتم هذا الوطن الكريم بعد أن قطعتم مخاوف البحر، ولم يكن بين أيديكم إلا الأمل والعزم. ونبغ فيكم العلماء، وانشد منكم الشعراء، وأصبحت لكم صحافة وصناعة وتجارة. وفي كل ذلك، رفعتم عن وطنكم الأول، وعن

---

<sup>(2)</sup>المصدر نفسه.

شعبكم الاول، تهمة العجز وعدم الصلاح. فبكم أثبتت الأمة قدرتها في العلم والصناعة والتجارة والحرب، ولو أتيح لوطنكم الاول، ولشعبكم الأول مثل ما أتيح لكم... لتحركت المواهب من مكانها، ولانطلقت العزائم من عقالها، كما تتطلق قوة (الأثوم).. قوة الذرة. الثابت أن في الأمة العربية فيضاً من القدر على البقاء، وطاقة عجيبة في مغالبة أسباب الفناء".<sup>(1)</sup>

وكذلك يفعل حين يخاطب أبناء الشعب الفلسطيني يوم افتتاح إذاعة منظمة التحرير من القاهرة في آذار/مارس 1965، يخاطبهم بكلام يغلب عليه الهدوء الذي يفرضه المقام، فيقول: "إذا كانت الإذاعة، أي إذاعة، حاجة قومية ملحة في حياة الأمة المستقرة في وطنها، الأمانة في ديارها، الرافلة في نعماء الحرية والسيادة والاستقلال، فإنها أدعى وأوجب، بل إنها أهم وألزم لأهل فلسطين، وقد تمزق جمعهم، وتشنت شملهم، وتباعدت ديارهم ومنازلهم... فهي إذاعة ثورية، جديرة بأمة ثورية، لها قضية ثورية. لن تكون تسلية ولا لهواً ولا عبثاً ولا مجوناً... إن معركة التحرير متعددة الجبهات، متنوعة الأسلحة، كثيرة المقاتل. نقاتل بالكلمة المرسلّة كما نقاتل بالقذيفة الموجهة".<sup>(1)</sup>

وتعلو نبرات الشقيري، في كثير من المواطن، فيغدو أسلوبه خطابياً يستثير المشاعر، ويوقدها بحرارته وانفعاله. يخاطب أعضاء المجلس الوطني

---

<sup>(1)</sup> أربعون عاماً، مصدر سابق، ص ص 245-248.

<sup>(1)</sup> من القمة إلى الهزيمة، مصدر سابق، ص 173 - 174.

الفلسطيني الأول عام 1964 قائلاً: "... ولكن مؤتمرنا هذا جاء يعلن للعالم بأسرها، أننا نحن أهل فلسطين، أصحابها الشرعيين، قد التقينا... قد اجتمعنا على تحرير فلسطين، وإننا نشهد اليوم أول مؤتمر فلسطيني ينعقد على مقربة من خطوط الهدنة، لنعلن على الملأ أن الشعب العربي الفلسطيني مصمم تصميمًا لا يلين، وعازم عزمًا لا ينتهي على تحرير وطنه، مهما عظمت التضحيات، ومهما طال الزمن... لقد انتهى بنا الأمر بعد ستة عشر عاماً من الكارثة، أننا أمام كارثة أخرى؛ نحن شعب من غير كيان، وقضية من غير قيادة... وإنني، كواحد من هذا الشعب الباسل، أعلن في مؤتمرنا هذا أنه يجب أن يجند القادرون منا على حمل السلاح، رجالاً ونساء. وإذا خلا الكيان الفلسطيني من الناحية العسكرية كان كلاماً في كلام، وكياناً من غير كيان... فحرام أن تظل طاقات الشعب الفلسطيني مهدورة.. حرام أن يموت اللاجئين في الخيام، بدلاً من أن يستشهدوا في ميدان الشرف".<sup>(1)</sup>

وإذا كان المثل السابق هو في الحقيقة خطبة أُلقيت من فوق منبر، وفي مناسبة وطنية حماسية، فكان لا بد من أن تتوافر فيها مقومات الخطبة الحماسية... إذا كان الأمر كذلك، فإن الشقيري فيما كتب، لا فيما خطب، كان يوفر لأسلوبه ما يجعله أقرب إلى أسلوب الخطبة الحماسية. فهو مثلاً، يقول في وصف خطاب الرئيس جمال عبد الناصر الذي ألقاه في سيناء في 1967/5/22:

---

<sup>(1)</sup> من القمة إلى الهزيمة، مصدر سابق، ص 103 - 104.

"... ليقول كلاماً هزّ الدنيا بأسرها، من مشرقها إلى مغربها، فخلخل مواطئ أقدامهم، وهزّز مواقع رؤوسهم ... وليس هذا الكلام من طراز البديع العربي الغني بالكنائيات والمجازات، ولكنه الحق كل الحق، والصدق كل الصدق ... وكـم شهدت سيناء من رسالات المرسلين في العصور القديمة، وكـم شهدت من بطولات الفاتحين في العصور الوسيطة، وها أنا ذا اليوم أستمع إلى هذا الرئيس العربي، وهو يقف أمام الزمان، يتحدث وجها لوجه، وليصبح حديثه تاريخاً في صميم التاريخ... انتهى عبد الناصر من خطابه، وابتدأ العالم يفور ويمور، كأنما غلاف كهربائي قد أحاط بالدنيا بأسرها، وراح يهزّها هزّاً عنيفاً حتى باتت تترنح في مدارها".<sup>(1)</sup>

ويقف في وجه مروّجي فكرة الصلح مع إسرائيل، والتعايش السلمي معها، والاعتراف بها، يقف في وجوههم يدحض رأيهم، ويرفض فكرتهم، بقوة وحزم، ويقول: "أما الاعتراف العربي، فمعناه اعترافنا بأن فلسطين هي الوطن التاريخي لليهود، وأنهم يعودون إليه عن حق، وأنهم استردّوها أرضاً كنا نحن اغتصبناها قبل ثلاثة عشر قرناً من الزمان.. هذا هو معنى الاعتراف العربي، وليس له معنى سواه. ومن أراد أن يعترف فليعترف بشخصه، سواء كان فلسطينياً أو عربياً،

---

<sup>(1)</sup> الهزيمة الكبرى، مصدر سابق، ج 1، ص 87-92.

وليُعترف باسمه فقط، دون أن يقرن اسم أبيه، فإن آباءنا قد ذهبوا إلى جوار ربهم دون أن يعترفوا".<sup>(2)</sup>

ولا يسعنا، ونحن في معرض الحديث عن أسلوب الشقيري - إلا أن نقف أمام ظاهرة السخرية التي تمتلئ بها آثار الشقيري ومؤلفاته. فقد تأثر الشقيري بالتجارب القاسية التي عاشها فطبعته بطابعها المرّ، ولقته بوشاحها الأليم. ولعل التناقض بين الواقع العربي والواقع الصهيوني، أو التناقض بين الكلمة المعلنة والواقع المخبأ هو الذي استدعى هذه السخرية وآثارها في أسلوب الشقيري في كثير من المواطن.

وتثير سخريته أحيانا قليلة الابتسام، كقوله في معرض حديثه عن تعلقه باللغة العربية وعلومها وآدابها منذ نشأته: "وظل ولعي باللغة يرافقني في جميع مراحل التعليم حتى تمكنت من قواعدها وشواردها ، وأصبح الإعراب سليقتي ، فما فسدت موسيقا الإعراب في أذني إلا بعد أن عملت في الجامعة العربية ثلاثين عاما، ويومها أصبح اللحن يملأ أذني بما أسمعته من أحاديث الرؤساء والوزراء والسفراء".<sup>(1)</sup>

---

<sup>(2)</sup> من القمة إلى الهزيمة، مصدر سابق، ص 208.

<sup>(1)</sup> أربعون عاما، مصدر سابق، ص 42.

لكن هذه السخرية ، في معظم الأحيان ، كانت تفيض مرارة وألماً ، وتضيفي التشاؤم والسوداوية على كتابته ، وإن كان أثرها الأخير في نفوس القارئ، استشارة للهمم ، ودفعاً للعزائم حتى ترفض هذا الواقع الذي غرقت فيه الأمة العربية وتشمّر عن سواعد الجد والعمل من أجل تغييره .

إنه يعلق على الآمال التي عقدها الناس على قدوم لجنة التحقيق الملكية عام 1937 ، فيقول ساخراً: " صدق أولئك الذين يلدغون من الحجر مرّات ومرّات فلا يتعظون ولا يعتبرون، فصدقوا ان اللجنة ستكون غير (متحيّزة) ، ومستقلة استقلالاً تاماً، ولها الحرية الكاملة في وضع تقريرها على الصورة التي تراها ملائمة " .<sup>(2)</sup>

ويقض مضجعه خاطر وهو في الطائرة التي حملته من البحر الميت إلى شمال افريقيا في رحلته الأولى لأمريكا عام 1945 من أجل تأسيس مكتب عربي هناك ، فيقول : "كشفتُ (أي الرحلة) عن مطارات ومطارات مرصّعة في الصحراء ، وعلى مقربة من المدن ، آخذة بالنمو والازدياد . هنا في مواطن العرب مطارات تنشأ وتبني ، وأنا ذاهب لأنشئ مكتباً عربياً في واشنطن، أحرك فيه لساني وقلمي أنا أعنى بالكلام ليسمعوا ، وهم يمضون في إقامة القلاع والحصون لنتقّرج ، فأين

---

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه، ص163.



نلتقي؟! وكيف نلتقي ؟ ومتى نلتقي؟ إذا مضينا في إنشاء المكاتب ومضوا في إنشاء الحصون والقلاع؟! (1).

يورد - وهو يستعرض مشاورات إنشاء الجامعة العربية - عددا من التعليقات الساخرة ، ومما قاله: "ولدت الجامعة العربية بعد حمل دام ثمانية عشر شهرا، وتكفي هذه المدة أن تلد ولدين ، ولكنها تمخضت ... وسنرى ما ولدت ... وقد سرّث في هذا الموكب من بدايته إلى نهايته ، وأنا استمع إلى مخاض الولادة متعسرة حينا ، متعثرة حينا آخر ، تماما كما كنت في صباي أستمع إلى الحوامل في (حارتنا) صارخات مستجدات ... ولا مغيث ولا مجير ، إلا ما تجري به المقادير" (2). وقال : "لقد كان رؤساء الوفود العربية في تلك الأيام ، شأن خلفائهم في هذه الأيام ، يتكلمون بلسانين ، ولغتين ولهجتين. وكانوا يتحدثون إلى الصحافة مؤكدين أن الوحدة العربية يجب قيامها من اليوم قبل الغد، وأن .. وأن .. أما في الاجتماعات الرسمية فكانوا يغمغمون ويتلعثمون ... كانوا يخشون أن يسجل عليهم في المحاضر الرسمية لأنهم لا يرغبون في الوحدة العربية ... أو أنهم لا يقدرّون عليها".

ويذكر الشقيري كيف فاز الملك فاروق بنصيب الأسد في مؤتمر أنشاص ، فقد وصفه البيان بأنه "صاحب بلاد النوبة والسودان وكردفان ودارفور" ،

---

(1) أربعون عاما، مصدر سابق، ص 211.

(2) حوار وأسرار، مصدر سابق، ص 81.

فيضيف الشقيري: "وقد وقع الملوك والرؤساء على هذا البيان ولا يدري بعضهم أين تقع بعضهم أين تقع كردفان ودارفور.... بل لم يسأل أين تقع." (1)

ويتلاعب بأسلوبه أحياناً لإثارة السخرية في النفوس . فهو يعلق على قرارات مؤتمر بلودان السرية مستخدماً السجع: "كان ياماكان.... وسخرية الزمان، وتفكهة العصر والأوان... بين المثقفين والرعيان.... وتلك كانت المسيرة من أنشاص إلى بلودان" (2). ويلجأ إلى التصوير من أجل السخرية، كقوله في وصف أيام اجتماعات عاليه أواخر صيف 1947: "وكننت أحس النسمات الباردة في صوفر وعاليه (تَلَطَّف) ريح السموم التي تلفت الوطن العربي في تلك الأيام الكالحة". (1)

أما جوهر مناقشات هذه الاجتماعات فمعروف، أنه "سيل من التصريحات وقيء من البيانات".

وكان تضمين الشعر أسلوباً من أساليب السخرية عند الشقيري. فهو يصف حال العرب وهم يرجون الخير من لجنة التوفيق بقوله: "فنحن قوم منكسرون منهزمون، واليهود منتصرون. وما علينا إلا أن نقول ما قال الشاعر:

---

(1) أربعون عاما ، مصدر سابق، ص 270.

(2) المصدر نفسه، ص 272.

(1) أربعون عاما، مصدر سابق، ص 284.

مُنَى إن تكن حقاً أسعد المنى      وإلا فقد عشنا بها زمناً رغداً<sup>(2)</sup>

ويذكر آخر جلسات مجلس جامعة الدول العربية التي ناقشت موضوع التعويضات الألمانية الغربية لإسرائيل، والتي لم تنته بقرار شاف حول مقاطعة ألمانيا. وكان على الأمانة العامة للجامعة أن تواجه الصحافة بقرار إنشائي، فاقترح رئيس أحد الوفود أن يعلن الشقيري هذا القرار للصحفيين. عندئذ رأى الشقيري نفسه وهو يردد لمجلس الجامعة قول الشاعر:

وإذا تكون كريهة أدعى لها      وإذا يحاس الحيس يدعى جندب<sup>(1)</sup>

وقد حمل الشقيري معه روح السخرية التي صنعتها الآلام وصبغت النكبات، إلى المنتديات الدولية التي كان يذهب إليها، وظهرت في خطابه ومناقشاته. فحين كان يتحدث أمام لجنة التوفيق خلال مباحثات لوزان عام 1949، شبه بروتوكول لوزان بالمثل التركي (لا شيش ولا كباب)، فقال له المندوب الأمريكي في اللجنة أن المثل بالإنكليزية "لا سمكة ولا ضفدعة". وأضاف الشقيري في مذكراته معلقاً على هذه القصة: "وانتهى الحوار، لنبدأ العمل في الجلسات التالية،

---

(2) المصدر نفسه، ص 310.

(1) أربعون عاماً، مصدر سابق، ص 365.

ونرى مصير البروتوكول: أهو شيش أم كباب؟ أهو سمكة أم ضفدعة؟ وراحت الأيام تثبت أنه لا هذا.. ولا ذاك".<sup>(2)</sup>

ويتذكر الشقيري خطاباً له ألقاه في ليك سكس عام 1950 عن حقوق الإنسان وعن انتهاك حق الشعب العربي الفلسطيني في وطنه، علق فيه على وضع الرئيس ترومان الحجر الأساسي لبناء الأمم المتحدة الحالي في نيويورك، وتحت الحجر نسخة من ميثاق الأمم المتحدة، بقوله: "ولكن الرئيس ترومان قد جنى على الأمم المتحدة نفسها، فقد تولى بيديه (دفن) ميثاق الأمم المتحدة تحت الحجر الأساسي، في احتفال عظيم.. غير كريم".<sup>(1)</sup>

وكانت سخرية الشقيري، في جميع مقاماتها وألوانها، تقطر مرارة وأسى، مرارة النكبة والهزيمة، وأسى الخذلان والتقاعس. فحين عكف على كتابة مذكراته عام 1968 عادت به الذاكرة إلى أيام صباه، حين كان، وجيله، يحلمون أحلاماً كباراً أقرب إلى الخيال.. لقد عاش هذه الأمانى، ومعه جماهير الطلاب، بكل جوارحهم، ولكن.. "امتدت الأيام، وتعاقبت الكوارث.. وقدر لي أن أعيش في خضم النكبات، فضاغ الفردوس الموجود، ونحن نتعلل بالفردوس المفقود، وانقلبنا من تحرير الأندلس.. إلى تحرير فلسطين.. ثم إلى تحرير سيناء والجولان"<sup>(2)</sup>.

---

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه، ص 312.

<sup>(1)</sup> أربعون عاماً، مصدر سابق، ص 452.

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه، المقدمة.

ويقول أيضا: "إن شعار استقلال فلسطين سقط عام 1948، وحل محله شعار تحرير فلسطين. وها نحن الآن في عام 1969 نعيش تحت شعار جديد: تحرير الأرض العربية. ولسنا ندري ما تخبئه لنا الأقدار المقبلة من شعارات جديدة"<sup>(3)</sup>.

## مؤلفاته وآثاره

---

عاش الشقيري حياة عريضة، واكب خلالها عهودا متعاقبة، غنية بالعظات والعبر، عرفها، وعرفها جيله بالممارسة والمعاناة، لا بالتفكير والتدبير. وقامت فيها أحداث جسام تركت أعظم الأثر في حياة العرب المعاصرة. وكان قدره أن يعيش في قلب الأحداث، يتأثر ويؤثر بما يجري منها على مسرح الحياة، ويطلع، بحكم موقعه من العمل، على أسرارها وراء الكواليس الخفية.

---

<sup>(3)</sup> المصدر نفسه، ص 481.

كان سياسياً مثقفاً، ورجل قانون متقهما، وخطيباً مبدعاً، ومحدثاً بارعاً، عاكفاً على البحث والدراسة، حافظاً للتراث، مطالعاً من الدرجة الأولى، يقرأ بالعربية كما يقرأ بالإنكليزية. تشهد على سعة ثقافته وغنى قراءاته مكتبته الكبيرة في بيته في القاهرة، ومكتبته الثانية في بيته في لبنان،\* وكان يصرف الساعات من وقته يوماً في قراءات متعمقة لمؤلفات التاريخ والفلسفة والفنون والأدب والسياسة والتراجم والسير. يقول واصفاً نفسه: "أنا قارئ صوفي، أحب أن أفنى في الكتاب كما يفنى العابد الزاهد في ذات الله إذا استطاع إلى ذلك سبيلاً"<sup>(1)</sup>

اختزن الشقيري تجارب حياته الكثيرة، بأحداثها الجسيمة المتلاحقة، وقراءاتها الغنية، في ذاكرة قوية وحافظة متينة، وسطرها في مذكرات يومية تعود أن يدونها خلال حياته يوماً بيوم. ولما شاءت ظروف الحياة أن يترك الميدان ويستقيل من رئاسة منظمة التحرير عكف على وضع حصيلة تجاربه وصفوة معاناته واختباراته السياسية والقومية في خدمة القضية التي عاش من أجلها. وإذا

---

\* كتب أكرم زعيتر في جريدة الدستور الصادرة بتاريخ 26/11/1982 تحت عنوان "يوميات الأعاصير" حول ما فعله الإسرائيليون بمكتبة الشقيري في كيغون بلبنان بعد اجتياح الجبل ما يلي: "إن أول ما صنعوه اقتحام بيت المرحوم الأستاذ أحمد الشقيري وقد نهبوا جميع ما في مكتبته من كتب وأوراق ووضعوها في رزم وصناديق وشحنوها إلى إسرائيل. إن أحمد الشقيري قد قضى ولم يخطر على باله أن يبلغ هوان أمته يوماً أن تحتل فيه إسرائيل جبل لبنان وتقتحم بيته بعد أربع وثلاثين سنة من اقتحام بيته في عكا".

<sup>(1)</sup> الهزيمة الكبرى، مصدر سابق، ج 1، ص 12.

كانت الساحة الفلسطينية والعربية قد فقدته مناضلاً صلباً، فقد ربحته المكتبة العربية كاتباً سياسياً رائعاً، يملك قلماً ساحراً يجعله في عداد كتّاب العرب المعاصرين. يقول مصوراً هذه المرحلة من حياته: "...إذا كانت قد انتهت قيادتي فإن مواطني قد ابتدأت، وقد بدأت مواطني بكتابة مذكراتي... إن أجمل الأيام في أخريات العمر للإنسان الحي أن يقرأ ويكتب. وها أنا أدعو الله أن يحفظ عقلي لأفهم، وأن يصون بصري لأقرأ، وأن يشد يدي لأكتب"(1).

وقد أخذ الشقيري ينشر مذكراته على شكل مؤلفات متتابعة، وصفها بقوله: "ليست مرجعاً تاريخياً، ولا دراسةً سياسية، ولا خطةً قومية، ولا كتاباً أدبياً إنسانياً، ولكنها مزيج من كل ذلك...". هي مذكرات مواطن عربي قدّر له أن يكون له دور في الحياة السياسية على الصعيدين العربي والدولي، تدرس بالأحداث، وساهم في صنع الوقائع عبر حقبة حافلة امتدت قرابة خمسين عاماً. وهو يدوّن في مذكراته الأحداث التي كان قريباً منها فقط، ولا تؤرخ للحقبة التاريخية التي عاشها. وهذه المذكرات، بشكل عام، مجموعة فريدة من الأعمال الوثائقية لتاريخ فلسطين منذ بدايات القرن العشرين وحتى نكسة عام 1967، ضمت الكثير من الآراء والحوادث والوثائق التي توضح الأبعاد العربية والدولية لقضية فلسطين.

بالإضافة إلى المذكرات، كان للشقيري مؤلفات قومية كثيرة، ساهم بها في خدمة القضية، وضمت في ثناياها خلاصة قراءاته في كتب التاريخ والفلسفة

---

(1) الهزيمة الكبرى، مصدر سابق، ج 2، ص 309 - 310.

والأدب والتراجم والسير. وقد كتب الشقيري أيضا عددا من الرسائل والمقالات لفت فيها أنظار الملوك والرؤساء والساسة العرب، وأنظار المعلقين والكتّاب والصحفيين إلى كثير من الأمور الخطيرة بما كان يعرف من خبايا وأسرار تتصل بالقضية الفلسطينية.

وكان في كل ما كتب، صاحب أسلوب واضح، وبيان رصين مشرق، وتحليل عقلي دقيق يأسر القارئ ويشده إلى متابعته. وقد جرت عادته أن يكتب مقدمات لمؤلفاته، يسطرها في آخر مراحل الطباعة، ويضمنها ما قد يطرأ من تغييرات هامة، أو يلخص فيها رأيه. وهو يدعو أبناءه وجميع أصدقائه في الوطن العربي إلى أن يراجعوا هذه الكتب بالتصحيح والتنقيح. ويجمل هدفه من مؤلفاته في الوصية التي ذكرت من قبل أسرته الكريمة في تمهيد كتاب (خرافات يهودية) الذي ورد فيه "لقد آثرنا نشر هذا الكتاب أملا في تعميم الفائدة منه، وعملا بوصية فقيدها التي جاء فيها: "حرصت كل أيام حياتي أن أترك لأمتي ميراثا من الرأي والجهد في سبيل قضايانا القومية وشؤوننا العامة. وقد هيا الله لي في سبيل هذا القصد مجالا رحبا من التأليف والترجمة والخطب والمقالات".

ويمكن أن نصنف إرث الشقيري الفكري في أربعة أقسام رئيسية:

أ- المذكرات التي كتبها بين عامي 1968 و 1972



ب- الخطب والكلمات والبيانات والدراسات التي قالها وكتبها حتى عام 1968.

ح - الكتب والمؤلفات القومية.

د- الرسائل والمذكرات والمقالات التي كتبها في آخر حياته.

أ- المذكرات :

1 - أربعون عاما في الحياة العربية والدولية - دار النهار ، بيروت 1969

هو الكتاب الأول الرئيسي في سلسلة مذكرات الشقيري وقد استعرض فيه حياته منذ طفولته المبكرة الى عام 1963 العام الذي انتهى فيه عمله في رئاسة وفد المملكة العربية السعودية الى الأمم المتحدة.

والكتاب ليس مذكرات سياسية بقدر ما هو سيرة جهاد رجل واكب الحياة العربية والدولية في حقبة من أخطر حقبة التاريخ العربي ، شهدت اغتصاب وطن وتشريد شعب. والقارئ في هذه السيرة يجد نفسه أمام فارس، سلاحه الكلمة ، يقارع الحجة بالحجة ، ويقرن القول بالعمل، ويروي فيه أحداث الحركة الوطنية الفلسطينية ودوره فيها إلى أن عُهد إليه تأسيس المكتب العربي في واشنطن عام 1945، وأشرف على عرض القضية الفلسطينية أمام لجنة التحقيق الأنكلو

أمريكية عام 1946 ثم عمل أميناً مساعداً لجامعة الدول العربية بين عامي 1949، 1956، مستشاراً في وزارة الخارجية السورية واشترك في مؤتمر باندونغ ، واستعارته المملكة العربية السعودية من سورية ليكون وزير دولة لدى الأمم المتحدة من 1957 – 1963 .

يصف الشقيري هذا الكتب في المقدمة قائلاً : " هذه المذكرات هي ولدي السابع ، مع فارق واحد ، إن أبنائي ساهمت في صنعهم عوامل الإرث والبيئة وأسرار أخرى لا نعرفها .....أما هذه المذكرات فقد صنعتها كما اخترت وأردت . وأرجو أن يكون مكانها في مكتب التحرير في فلسطين، تمجيذاً لبطولات شعبنا البطل ، وبسالات أمتنا الباسلة " .

**2- حوار وأسرار مع الملوك والرؤساء - دار العودة ، بيروت 1970 .** وهو كتاب عن مسيرة الوحدة العربية على مدى خمسين عاماً ، منذ 1920 وحتى 1970 وذاكريات الشقيري عنها. يصفه الشقيري بقوله : " لست أؤرخ لهذه الحقبة، ولا لهذه المشكلة بالذات ، فهذه مذكرات مواطن يسير في ركاب الأحداث ، وليست كتاب تاريخ. وأنا أتحدث بقدر ما اتصلت بها ذكرياتي " .

بتعرف القارئ العربي في هذا الكتاب على انتصارات القومية العربية وهزائمها ، وتتكشف له معالم الوحدة العربية في جزرها ومدّها ، وما أحاط القضية العربية من أسرار تنشر لأول مرة . والشقيري يقدم ذكرياته عبر خمسين عاماً

من الكفاح القومي في ميدان القضية الفلسطينية خاصة ، والقضية العربية عامة .  
ويقدم خلاصة تجاربه ومعاناته ، مقرونة بالحوار والأسرار مع الملوك والرؤساء .

### 3- من القمة إلى الهزيمة ، مع الملوك والرؤساء - دار العودة، بيروت 1971.

هو الجزء الأول من ثلاثة أجزاء متكاملة ، تتناول مرحلة خطيرة من تاريخ  
الأمة العربية بين عامي 1963-1967. ويروي سيرة حياته منذ أن عيّن ممثلاً  
لفلسطين في الجامعة العربية ، ويعرض بالتفصيل لمؤتمري القمة العربية الأول  
في القاهرة في كانون الثاني / يناير عام 1964 والثاني في الإسكندرية في أيلول  
/ سبتمبر عام 1964، وما تخللها من مناورات ومداورات وقرارات تتصل بإنشاء  
القيادة العربية الموحدة ، وهيئة تحويل روافد الأردن ، وبروز الكيان الفلسطيني  
والصعاب التي رافقت إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية . وهو سجل حافل  
يتضمن ذكرياته عن تلك الحقبة ، وما رأى ، وسمع ، وساهم به منذ أن شاء  
حظه أن يكون رفيقاً للملوك والرؤساء في تلك المسيرة الخطيرة . ويظهر  
الشقيري في هذا الكتاب أمله بتفجر الثورة العربية الكبرى التي ستعيد عروبة  
فلسطين ، ويوجه فيه النقد للحكم العربي المعاصر . ومما قاله في مقدمته: "وبعد  
، فهذا هو الجزء الأول من مذكرات (من القمة إلى الهزيمة ) ، سيقرؤه المواطن  
العربي جهاراً في بعض البلاد العربية ، وسراً في البعض الآخر . ولكن ، فليعلم

الحكام الذين سيمنعونه أن من يقرؤه سراً سيكون أكثر استمتاعاً وانتفاعاً. بل إن من يقرؤه سراً سيكون أكبر خطراً".

#### 4 - على طريق الهزيمة ، مع الملوك والرؤساء - دار العودة ، بيروت 1972:

هذا الكتاب هو الجزء الثاني من الأجزاء الثلاثة المتكاملة التي تتناول المسيرة العربية من 1963 - 1967 . وهو وثيقة تاريخية فريدة ، تسجل أهم الأحداث العربية التي قادت الى حرب الأيام الستة . ويعرض الكتاب الوقائع الدقيقة عن مؤتمر القمة العربية الثالث في الدار البيضاء عام 1965 ، وما سبقه ولحقه من اجتماعات مجلس رؤساء الحكومات العربية ووزراء الخارجية العرب ومجلس الدفاع العربي المشترك ، وما تخلل ذلك من أحداث تتصل بالقضية الفلسطينية . يقول الشقيري في المقدمة : " الكتاب خلاصة وجيزة للمسيرة العربية التي انتهت بالكارثة الكبرى التي نزلت بالوطن العربي ، وما تزال الأمة العربية تعيش ذيلها الرهيب إلى يومنا هذا ، وأخشى ، أن أقول : لزمان غير قريب ..... " ثم يتابع قائلاً : " اكتب المقدمة والعدوان الإسرائيلي يدخل عامه السادس ، والحكم العربي يتثائب غارقاً في الضياع ، في تيه كتيه بني إسرائيل . وسيجد القارئ العربي ، وهو يقلب الكتاب ، أنه يقرأ أمام مرحلة تعيسة جاءت بعدها مرحلة أتعس... "

أدعو المواطن أن يقرأ الصفحات قراءة واعية عميقة ، ويتابع مسيرة الملوك والرؤساء ليرى كيف أدت السياسة العربية في قيادة الأمة العربية الى الهزيمة ، وأجهزة الإعلام العربية الرسمية تردد شعارات التحرير ، وتلعلع بأناشيد النصر" ، وينتهي إلى القول : "الأجهزة العربية قد تفلح في منع الكتاب ، ولكن لن تستطيع أن تمنعه من أن يدخل محراب الكتاب كان في موكب هذه الحقيقة التاريخية شاهد عيان وسامع آذان ، بلغ منه العمر مرحلة لم يعد معها راهبا من شيء ولا راغبا في شيء " .

#### 5-الهزيمة الكبرى ، مع الملوك والرؤساء ( من بيت عبد الناصر إلى غرفة العمليات ) ج1 و ج2- دار العودة ، بيروت 1973:

يؤلف هذان الجزءان الكتاب الثالث من الأجزاء الثلاثة التي تؤرخ لما بين عامي 1963 و 1967. وهو كتاب هام خطير ، يسجل الأحداث الرهيبة في حرب حزيران 1967 بكل أسرارها وآثارها . ويمتاز من بين المؤلفات الكثيرة التي كتبت حول هذه الحرب ، بأن صاحبه كان على مسرح الأحداث وفي قلبها فهو بذلك سجل وثائقي تاريخي.

تبدأ أحداث الكتاب منذ آذار / مارس 1967، أي قبل الحرب بأربعة أشهر ، ويعرض فيها الشقيري المقدمات المباشرة التي أدت إلى الحرب ، ثم يصل إلى وقائع الهزيمة على الجبهات الثلاث، ويعالج الموقف العربي والموقف

الدولي آنذاك .وتتناول الفصول الأخيرة أسرار مؤتمر قمة الخرطوم ، والأسباب التي حملت الشقيري على الانسحاب من المؤتمر . وينتهي الكتاب بفصلين آخرين؛ الأول عن دعوى (إلقاء اليهود في البحر) وأسرارها، والثاني عن استقالة الشقيري من رئاسة منظمة التحرير الفلسطينية .والكتاب يسرد الأحداث بتسلسل زمني دقيق ، حتى إن القارئ يحس أنه يعيش المعركة ساعة بساعة، ويسير في ركاب الأحداث من البداية إلى النهاية .

وعنوان الكتاب ذو دلالتين ؛ الأولى أن الشقيري لا يعد حرب حزيران نكسة أو نكبة فحسب ، بل يعدّها هزيمة كبرى لا تقل أثرا وخطرا عن الحروب الصليبية وغزوات التتار . والدلالة الثانية هي أن الهزيمة لم تكن للأمة العربية بشعوبها ، بل للحكام ، فالشعوب العربية تملك جميع مقومات النصر المادية والروحية ، لكن الحكم العربي ، آنذاك ،لم يكن أهلا لهذه الحرب.

**ب- الخطب والبيانات والدراسات التي قيلت أو كتبت حتى عام 1968:**

**1- محاضرات عن قضية فلسطين منذ فجر التاريخ حتى الحرب العالمية الأولى -القاهرة 1954.**

ألقيت هذه المحاضرات على طلاب معهد البحوث والدراسات العربية، تبيننا لأهمية القضية الفلسطينية ، وتبدأ بالتعريف بجغرافية فلسطين ثم تعدد المؤامرات الدولية والأطماع الصهيونية التي أدت إلى تدهور الأوضاع في فلسطين بعد الحرب العالمية الأولى .

وتدحض هذه المحاضرات مزاعم اليهود(بالحق التاريخي) لهم في فلسطين ، معتمدة على التوراة والتاريخ . ويوازن الشقيري في المحاضرات بين الحروب الصليبية والغزوة الصهيونية ، ويثبت فيها أن فلسطين حافظت على مقوماتها القومية حتى نهاية العهد العثماني ،في حين انقطعت صلة اليهود بفلسطين منذ أن أخرجهم الرومان منها . ثم ينتقل إلى دراسة الحركة الصهيونية فكراً ودعوةً وبرنامجاً ، ويركز على الترابط العضوي بين الحركة الصهيونية والاستعمار الذي بلغ ذروته بتصريح بلفور . ويبدو واضحاً في المحاضرات أن الشقيري عرض القضية الفلسطينية بموضوعية إلى جانب المشاعر القومية، وسعى لإبراز العلاقة بين الماضي والحاضر ، على أساس مكين من الحق والعدل وحقائق التاريخ .

2- قضايا عربية (بالإنكليزية ) - ترجمة خيرى حماد - المكتب التجاري ،بيروت 1961 .

مجموعة خطب الشقيري في الأمم المتحدة بين عامي 1957 و1959 حين كان يعمل في المملكة العربية السعودية وزير دولة لشؤون الأمم المتحدة ، ورئيساً لوفد السعودية إلى اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة. وهي بيانات ألقاها بالإنكليزية في اجتماعات الجمعية العامة ولجانها السياسية ، وتمتاز بقوة التأثير ومتانة الأسلوب وقد رفع فيها الشقيري صوت فلسطين في هذا المنتدى الدولي، متحدثاً عن الجريمة النكراء التي ارتكبت بحقها ، ومبكّناً الضمير الإنساني لسكوته وصمته حيالها .

وليست الخطب كلها عن فلسطين ، وإن كانت فلسطين تحتل الجزء الأكبر منها . ففيها عرض رائع لقضية الجزائر وجهادها المتصل لنيل حريتها والوصول إلى استقلالها. وفيها قضايا أخرى، كقضية قبرص ، ومشكلة نزع السلاح .

3- المياه الإقليمية والتاريخية في القانون الدولي ( بالإنكليزية ) - مركز الأبحاث ، بيروت 1967.

Territorial and Historical Waters in International Law,  
Research Center, Beirut, 1967

يضم هذا الكتاب كلمات الشقيري الأربع في المؤتمر الدولي لقانون البحار الذي عقد في جنيف من 1958/2/24 وحتى 1958/4/27، وكان آنذاك



رئيساً للوفد السعودي ، ومشكلة خليج العقبة قائمة بين العرب واليهود. وقد حاول شرح السياسية المتعلقة بالمياه الاقليمية ، والمظاهر المتعددة للمشكلة .

ويضم الكتاب أيضا كلمات الشقيري في المؤتمر الدولي الثاني لقانون البحار والذي عقد في جنيف في آذار / مارس 1960 ، ودار فيه النقاش والجدل حول حدود المياه الاقليمية . وكان الشقيري من دعاة توسيع الحدود الاقليمية إلى مدى 12 ميلاً حتى تتناسب مع الحقائق المتغيرة للأزمة المعاصرة . وقد اشترك مع عدد من مندوبي الدول الآسيوية الإفريقية ، في صياغة مشروع قرار بهذا الشأن ، مقابل مشروع قرار أمريكي كندي يجعل هذه الحدود ستة أميال فقط، لكن المشروع الآسيوي الأفريقي أخفق في الحصول على الأكثرية المطلوبة ، كما أخفق المشروع الآخر في ذلك أيضا ، وظلت حدود المياه الاقليمية أمراً غير متفق عليه .

وفي الكتاب- إلى جانب ما سبق - كلمة الشقيري في 30/11/1959 أمام اللجنة السادسة للجمعية العامة للأمم المتحدة حول مسألة البدء بدراسة عن النظام القضائي للمياه التاريخية ، بما فيها الخلجان التاريخية . ومجموع كلمات الشقيري أمام المؤتمرين والجمعية العامة مع مشروع القرارين يعطي صورة جيدة عن المواقف العربية من قانون البحار عامة، ومن خليج العقبة خاصة.

4 - دفاعا عن فلسطين والجزائر (بالإنكليزية) - تعريب خيرى حماد - المكتب التجاري، بيروت، 1962.

يجمع هذا الكتاب خطب الشقيري التي ألقاها في دورة الأمم المتحدة عام 1960 (دورة القمة) بجمعيتها العامة ولجنتها السياسية الخاصة، والتي تناول فيها الدفاع عن قضية فلسطين. وقد أضيف في نهاية الكتاب خطابان عن الاستعمار والجزائر.

5 - فلسطين على منبر الأمم المتحدة (1) - نشر منظمة التحرير الفلسطينية، 1965.

جمعت في هذا الكتاب خطابات الشقيري الثلاثة التي ألقاها في الأمم المتحدة عام 1963، يوم ذهب إليها رئيسا لوفد فلسطين. وقد ألقى الشقيري خطابه أمام اللجنة السياسية الخاصة في الخامس والتاسع والرابع عشر من شهر تشرين الثاني/نوفمبر 1963، وأكد بها، وبالوفد الفلسطيني الذي كان يترأسه، وجود الشخصية الفلسطينية في الأمم المتحدة لأول مرة بعد عام 1948.

6 - مواقف حاسمة وقومية في قضية فلسطين - منظمة التحرير، 1965.

يشتمل على مجموعة من الكلمات والبيانات التي ألقاها أو أصدرها الشقيري باسم الشعب الفلسطيني في عدد من المناسبات الهامة التي سبقت أو رافقت قيام منظمة التحرير الفلسطينية، من ذلك:

- حديث صريح في مجلس الجامعة: وهو نص كلمته في الجلسة الختامية لمجلس جامعة الدول العربية في الدورة الأربعين، آب/أغسطس 1963.

(1) نشرة مركز الأبحاث الفلسطيني في نصه الأصلي باللغة الإنجليزية تحت عنوان: Liberation not Negotiations

Beirut 1966, Palestine Book No. 3.

- الكيان الفلسطيني في أول الطريق : خطاب وجهه إلى أبناء فلسطين في مرحلة الإعداد للكيان.
- الكيان الفلسطيني ، ما هو؟: كلمة الشقيري إلى أبناء فلسطين عبر الإذاعة بعد مؤتمر القمة العربية الأول.

ومنها كلمته أمام المؤتمر الفلسطيني الأول ( القدس 1964/5/28 ) وكلمته أمام الملوك والرؤساء في مؤتمر القمة الثانية (الإسكندرية أيلول/ سبتمبر 1964) .وكلماته بمناسبة ذكرى وعد بلفور، وبمناسبة ذكرى توقيع ميثاق الأمم المتحدة ، وبمناسبة ذكرى الخامس عشر من أيار/ مايو ، إلى جانب كلمات افتتاح إذاعة

صوت فلسطين (1965/3/1) ، والندوة العالمية للاتحاد العام لطلاب فلسطين (القاهرة 1965/3/31)، والمؤتمر الأول لعمال فلسطين ( غزة 1965/4/14).

7- **كلمات على طريق التحرير** - نشر منظمة التحرير ، 1965، غزة مجموعة البيانات والخطب والرسائل التي وجهها الشقيري إلى الشعب العربي الفلسطيني في مناسبات شتى " وفاءً بأمانة العمل التحريري، وأيماناً بأن الحقيقة يجب أن توضع بين أيدي الشعب " . ويقول في مقدمة هذه المجموعة : " .. طريقنا إلى هدف التحرير طريق يمتد بين الكلمة والمدفع ... ومهمتنا- نحن أبناء فلسطين - وبعد سبعة عشر عاماً من المأساة ، أن نقصّر المسافة بين الكلمة الثائرة ، وانطلاقة مدفع التحرير " .

ويضم المؤلف كلمة الشقيري في منتصف أيار/ مايو 1965 على مدرج جامعة القاهرة ، ورسالته إلى مؤتمر منظمة الطلاب العرب في جامعة إلينوي بأمريكا ، وبيانه إلى الشعب الفلسطيني قبيل الذهاب إلى مؤتمر القمة العربية الثالث في الدار البيضاء ، وبعد الرجوع منه ، وخطابه في جامعة الإسكندرية في 1965/10/14.

8- **مشروع الدولة العربية المتحدة** - مركز الأبحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، 1967.

في هذا الكتاب المبادئ الأساسية لمشروع الدولة العربية المقترحة الذي وضعه الشقيري حين كان رئيساً لمنظمة التحرير ، وأذاعه في أواسط تشرين الأول/ أكتوبر 1967. وقد قدم مركز الأبحاث للمشروع بعرض سريع لتطور فكرة الوحدة العربية في نصف القرن الماضي ، على الصعيدين الشعبي والرسمي، وللصيغ والأشكال المختلفة من الاتفاقيات والدعوات الفكرية والعقائدية والحزبية، ليكون هذا التقديم خلفية تاريخية لفكرة الوحدة التي حدد الشقيري في مشروعه خطوطها الرئيسية .

ونشر مركز الأبحاث، في نهاية الكتاب ، نص الرسالة التي وجهها الشقيري إلى شعب فلسطين وإلى الأمة العربية بمناسبة الذكرى الخمسين لوعده بلفور والتي بين فيها مسؤولية التجزئة عن نكسة 1967، وعن نكسات فلسطين ونكباتها الأخرى . وكان الشقيري ، وهو يطلق في تلك المرحلة الحاسمة من التاريخ العربي ، شعار الدولة العربية المتحدة، إنما يعبر عن آمال الأمة العربية عامة ، وشعب فلسطين خاصة في تحقيق هدف لا بد له من أن يؤدي بدور إلى تحرير فلسطين .

#### ج- الكتب والمؤلفات القومية :

1- معارك العرب، وما أشبه الليلة بالبارحة- دار النهار ، بيروت 1975.

يوازن المؤلف في هذا الكتاب بين وقائع من تاريخ العرب القديم والحديث في معاركهم بين النصر والهزيمة ، ويخلص من كل ذلك إلى أن القادة هم القادة لأنفسهم ، والهزائم هي الهزائم ذاتها ، في الماضي وفي الحاضر وأن التجزئة والانفصال ، والنكاية والاغتيال .. كلها صور قديمة بعثت مجددا. وأن معركتنا مع إسرائيل اليوم هي معركتنا مع الإفرنج بالأمس.. وما أشبه الليلة بالبارحة.

ويقول الشقيري في مقدمة الكتاب : " لا أهدي هذا الكتاب إلى المعاصرين من ملوك العرب والإسلام وأمرائهم ورؤسائهم...لأن الذين سقط بيت المقدس في أيامهم لا يستحقون أن يهدى كتاب تدور بعض فصوله حول بيت المقدس.. ثمة سبب آخر حملني على العدول؛ وقفت على ملحمة بطولية كانت مضمورة في جوف الكهوف، وشاء القدر أن تنتشر .." ثم يروي قصة عثور أربعة من المستشرقين في أواخر القرن التاسع عشر على موقع أثري عظيم في أسفل جبل الزيتون ؛ مغارة تحتوي على بضع عشرات من الأسماء العربية لرجال ، منقوشة في الجدران ..وقد توصل الباحثون إلى أن الكتابات ترجع إلى زمن الملك العادل نور الدين بن زنكي (546هـ/1154م) . والرجال هم من كتائب الفدائيين الذين كان يرسلهم نور الدين إلى بيت المقدس ليغيروا على الإفرنج ،تمهيدا لاجلائهم عن بيت المقدس . ويتأسف الشقيري لأن الظروف لم تسعفه للذهاب إلى كهف الأبطال، ولاستذكار أيامهم الباسلة ، ويضيف " ..واليوم تلوح لي هذه الفرصة المتواضعة لأعوض عن تقصيري وربما تقصير جيلي بكامله .فإلى أولئك

الأبطال أهدي هذا الكتاب تمجيذاً للأبطال المجهولين، ووفاء لكهف الأبطال عند سفح جبل الزيتون ، وعهداً بأن نظل مرابطين لتحرير بيت المقدس " .

## 2- علم واحد وعشرون نجمة - بغداد 1978.

يتحدث الشقيري في هذا الكتاب عن معاناته في موكب الوحدة العربية . ويعرف كتابه بأنه تعريف بقضية الوحدة من نواحيها التاريخية والسياسية والدستورية ، وحوافزها القومية ، ويناقش الحجج الانفصالية ويفندھا .

يتناول الكتاب في جانبه التاريخي ، مسيرة الوحدة منذ فجر التاريخ في الإمبراطوريات المتعددة ويؤكد عروبة هذه الإمبراطوريات التي قامت قبل الإسلام . ويؤكد المعنى الحضاري والثقافي للقومية العربية كأساس للوحدة ، ويعالج مسائل الأقليات الدينية والمذهبية والعنصرية . ويدعو الكتاب إلى إقامة الدولة العربية المتحدة ، شاملة الوطن العربي ، في نظام فدرالي ، على رأسه حكومة اتحادية مركزية ، تحتها عشرون حكومة قطرية ، ولها (علم واحد فيه عشرون نجمة ) .

وفي الكتاب فصل عن الوحدة العربية وفلسطين ، باعتبار القضية الفلسطينية قضية قومية. كما يعالج الكتاب المضمون الاجتماعي لدولة الوحدة، ويبرز المنابع الفكرية التي يتعين على الاشتراكية أن تنهل منها.

ويؤكد الشقيري في كتابة أن الخلافات العربية القائمة هي حجة للوحدة على الانفصال . وأن الوحدة حقيقية علمية وحتمية تاريخية ، فكثير من الأمم والشعوب تجمعت وتوحدت بعد حروب وخلافات . إن تحديات الحاضر ، وآمال المستقبل تشد الأمة العربية إلى الوحدة وتدعوها إلى تذليل عقبات الوحدة.

ولا يقتصر الكتاب على الجوانب النظرية ، بل يسعى في مواضع متعددة إلى تحديد المبادئ الرئيسية لميثاق العمل ، وبرنامج العمل لتطبيقها ، ودور القيادات في تعبئة الأمة راية الوحدة.

### 3 - الطريق إلى مؤتمر جنيف - بغداد 1978.

يجيب الشقيري في عن هذا الكتاب الذي دفع به إلى المطبعة حين كان الحديث عن عقد مؤتمر جنيف يملأ الآفاق، عن سؤال كبير كان يتردد في ذهن المواطن العربي عن مصير المرحلة السياسية الحاضرة بعد أن حفلت الأجهزة العربية الرسمية بأخبار الانتصارات السياسية الكبرى التي حصلت عليها القضية العربية والقضية الفلسطينية على الصعيد الدولي، وشعارات السلام القائم على العدل ، والجلء الكامل عن الأرض العربية ، وتحقيق المطالب المشروعة للشعب الفلسطيني.

ويرى الشقيري أنه لابد من التعرف على البداية قبل البحث في النهاية، حتى نتمكن من الإلمام بالإطار الحقيقي لمؤتمر جنيف ، والنتائج التي سينتهي



إليها. إن المرحلة الحاضرة - في نظره - هي امتداد للماضي القريب ، أي معركة الأيام الستة عام 1967. وهو لا يعني بالمعركة الحرب نفسها ، بل يقصد المعركة السياسية الضارية التي واكبتها في الأمم المتحدة ، وانتهت إلى هزيمة فاضحة . إن الكشف عن جوانب هذه المعركة المختلفة سيكشف لنا "الأرض التي يقوم عليها مؤتمر جنيف بكل أبعاده وزواياه ". وسيعلمنا إلى أين تسير القضية العربية ، فنرى الحقائق الخلفية لمؤتمر جنيف ، وما يبيته المؤتمر للأمة العربية وللشعب الفلسطيني في مسيرة تجاوزت عشر سنوات من العراك بين عامي 1967 و 1977، تخللتها حرب مجيدة ، رسمت خطا بيانيا شامخا للإنسان العربي ، جاء الخط السياسي البياني بعده دونه بكثير . والكتاب في مجموعه يرفض التسوية والصلح والمفاوضات والاعتراف والتعايش السلمي ، لأن معنى ذلك الاستسلام والتسليم بالوطن ، والوطن ليس موضع مساومة.

#### 4 - الجامعة العربية ، كيف تكون جامعة ؟ كيف تصبح عربية؟ - تونس 1979 - دار بو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع \_ .

دراسة شاملة عن نشأة الجامعة ومسيرتها الطويلة ، وكيف يمكن أن تطوّر لتصبح أداة لخدمة الأمة العربية وتجميع قدراتها وإمكاناتها في سبيل بناء الوطن . والكتاب محصول خبرة قضاها الشقيري في خدمة القضايا العربية . وهو يتضمن موازنة بين الجامعة العربية والجماعة الأوروبية (السوق الأوروبية المشتركة ) تبين أن الثانية حققت إنجازات عجزت الجامعة العربية عن تحقيقها للأمة العربية.

ويحاول الشقيري ، من خلال انتقاده واقع الجامعة العربية ، وقصور ميثاقها ، وعجزها عن اتخاذ قرارات نافذة المفعول في المشكلات الكبرى ، أن يضع تصوراً لإصلاح الجامعة ، أو بمعنى أدق تبديل الجامعة ، وأن يضع أهدافاً ومبادئ أساسية لميثاق جديد . وهو يستمد أفكاره من واقع تجربته الشخصية ، ومن منطلق فكره الوجداني .

#### د - الرسائل والدراسات والمقالات الأخيرة :

1 - صفحات من القضية العربية - المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت 1979 .

الكتاب مجموعة من الرسائل والمقالات والمذكرات ، التي تبرز اهتمام الشقيري بالشؤون العربية القومية ، من واقع المواطن العادي ، بوصفه قارئاً للتاريخ ، متابعاً للسياسية الدولية، ومالكاً لتجارب واسعة عميقة في مختلف الميادين العربية والدولية.

ومن أمثلة ما حواه الكتاب رسالة إلى مؤتمر القمة في الرباط ، وأخرى إلى مؤتمر بغداد ، ورسائله إلى السادات وكارتر ووزير الدفاع الأمريكي يحذر فيها من عواقب عقد تسوية مع إسرائيل . والكتاب ينتهي بمجموعة ردود على الدكتور لويس عوض، يدافع فيها الشقيري عن عروبة مصر، وعن الوحدة العربية.

## 2 - خرافات يهودية - عمان 1981.

هو الجزء الأول من مؤلف أخير للشقيري عنوانه (خرافات يهودية وجهالات عربية) لم يمتد به العمر ليتم جزءه الثاني ، فظل الجزء الأول بين يديه في مرضه الأخير ، يراجع وينقحه.

والكتاب ردّ على كلمة مناحيم بيغن التي وجهها الى الشعب المصري في 1977/11/11 ردّاً على مبادرة السادات . والشقيري يدحض مزاعم بيغن التي ملأ بها رسالته ، ويعتمد على نصوص التوراة في هذا الدحض . فهو ينقض أولاً ادعاء اليهود نسبتهم الى إبراهيم عليه السلام، ويدحض مزاعم الحق التاريخي ويثبت أن اليهودية ليست عرقاً ، ويكشف مؤامرات اليهود على التاريخ ويعرّف القراء بحقيقة العدو الذي ابتلي به العرب . ويعتب الشقيري في كتابه على المفكرين العرب الذين لم يتصدوا لادعاءات الصهيونية الدينية والتاريخية ، ويدعو أن يكون الإيمان بالحق العربي موازياً - على الأقل - لإيمان اليهود بباطلهم. ويخلو الكتاب - على غير عادة الشقيري - من مقدمة يكتبها له في آخر مراحل الطباعة ، لأن الموت لم يمهله ليسطرها ، فكتب المقدمة صديقه جميل بركات<sup>(1)</sup>.

---

<sup>(1)</sup> خرافات يهودية، مصدر سابق، ص ص 5 - 9.

## في مواجهة الصهيونية



من الإحساس العفوي..

إلى الإدراك والوعي

---

عاش الشقيري الصراع مع الصهيونية كما عاشه جيله من أبناء فلسطين ، وقد ظلت الصور الأولى مرتسمة في ذاكرته إلى آخر عمره لا تبرحها ، كان طفلاً صغيراً لا يتعدى السابعة من عمره، حين شاء القدر أن ينام ليلة في مستعمرة يهودية، وهو في طريقه من طولكرم إلى عكا للانضمام إلى أبيه بعد وفاة أمه، ورأى المزارعين اليهود، فلم يثر وجودهم أي معنى في نفسه سوى أنهم فلاحون في ملابس أجنبية. ولم يكن يدري آنذاك أن الزمن يخبئ في طياته أحداث صراع بين العرب واليهود، سيكون له فيه دور كبير.

ثم أخذت أفراح العرب بانتهاء الحرب العالمية الأولى وبزوال الحكم العثماني تتحسر أمام أنباء بعثت القلق في النفوس، ورسمت الوجوم والذهول، ملامح الوجوه، فقد بدأت الصحف تتحدث عن الصهيونية ، وعن وعد

بلفور ، والهجرة إلى فلسطين ، وشراء الأراضي ، وإقامه الوطن القومي ... وكان الشقيري الفتى يستمع إلى حوار الشيوخ الضالعين في السياسة ، ونقاشهم الطويل ، وما كانوا ينتهون إليه من أحكام وآراء حاسمة تصف وعد بلفور بالخيال ، والمطالب الصهيونية بالمحال والأوهام .

ولم يدر بخلد الشقيري أثناء زيارته الأولى للقدس في مطلع العشرينات أن هذه البقعة من الوطن سيدور على حلبتها صراع دام ، وتروى أحداث تاريخ عجيب .

لقد رأى اليهود سيكون أمام حائط المسجد الأقصى ، ولمس وجودهم في هذه المدينة الكبيرة ، بعد أن كان في عكا لا يعرف لهم وجودا ولا يرى لهم منشآت ، فبدأ له الجو غريباً ، وغامضاً . وعلى الرغم من أن خطط الصهيونية وأهدافها كانت ، حسب ما تنشره الصحف آنذاك ، واضحة لا لبس فيها ولا إبهام ، وكانت ستؤدي في نهايتها المنطقية إلى إجلاء العرب عن وطنهم ، على الرغم من ذلك لم يكن الشقيري وغيره ، يتصورون أن هذا يمكن أن يتحقق ، فمن المستحيل أن يحدث هذا الأمر في نظرهم . لأن العرب أصحاب الوطن ، منذ فجر التاريخ ، وهم الأكثرية . وهذه المدن ، والقرى والمزارع والمروج والجبال والوديان كلها عربية . بناها وملكها العرب منذ القدم ، ولا تستطيع قوة إخراجهم منها .

وكان إبعاد الشقيري عن لبنان عام 1927 بداية تحول كبير في حياته ألقاه في خضم العمل الوطني في وقت مبكر من عمره . وأخذ الشعور بخطر الحركة الصهيونية يملأ جوانحه، وقد قوي هذا الشعور في نفسه بعد التحاقه بمعهد الحقوق في القدس. ورؤيته الطلاب اليهود في المعهد، و معظمهم من المهاجرين الجدد، فزادت المخاوف والهواجس في نفسه وفي نفوس أقرانه من طلاب المعهد العرب، وتحرك فيها بغض هؤلاء الأغراب الذين جاءوا إلى الوطن ليحلوا محل العرب.

ولاحظ الشقيري خلال تحقيقات لجنة شو التي جاءت فلسطين إثر أحداث ثورة البراق، أن الحركة الصهيونية تكشف عن مطامعها بلا مواربة، وهي تعرض لأول مرة " قضيتها " بصورة "قانونية"، أمام اللجنة، مما قوى عنده المخاوف على مصير الوطن .وقد عبرت عن هذه المخاوف إحدى فقرات المذكرة الرسمية التي عرض فيها الوفد الفلسطيني إلى لندن عام 1930 المطالب العربية. وكان، الشقيري هو الذي صاغ العبارة على حد ما يروي في مذكراته على النحو التالي: (إن الاستمرار في هضم حقوق العرب إكراما للسياسة الصهيونية يؤدي إلى إبادةنا وإجلائنا عن بلادنا، وإن المسألة عندنا هي مسألة حياة أو موت <sup>(1)</sup> )، إذا، نما إحساس الشقيري بخطر الصهيونية من شعور مبهم غامض إلى وعي كامل وإدراك تام بأنه خطر يهدد الحياة والمصير والوجود وكان هذا الخطر يمد مخالفه

---

(1) أربعون عاما ، مصدر سابق، ص 123.



يوماً بعد يوم ، ويدفع الشقيري، أثناء اشتغاله بالمحامة في الثلاثينات، إلى أن يجعل مجابهة هذا الخطر والتصدي له قضيته الأولى، يبذل من أجلها الجهد والمال والوقت ، " إذْ ما طعم الكسب والعمل والرزق إذا كان المرء مهدداً في وطنه ، وفي بقائه في وطنه " .<sup>(2)</sup>

وبرزت الهجرة الصهيونية إلى فلسطين خطراً داهماً يهدد البلد الصغير فلسطين ، الضيق في مساحته ، الفقير بموارده الطبيعية . وكان الشقيري - مع بقية شعب فلسطين يتابع الأحداث العامة، ويراقب تصاعد أرقام الهجرة، ويقف وجهاً لوجه أمام خطر مخيف ، ويتوقع مصيراً مأساوياً ينتهي إليه العرب في فلسطين.

وخلال الحرب العالمية الثانية شعر الشقيري بغيوم العاصفة تتجمع في الأفق الدولي، وملاً الفزع قلبه عند سماعه أنباء النشاط الصهيوني في أمريكا ومؤتمر بلتيمور عام 1942 ومؤتمر حزب العمال البريطاني في عام 1944، ومواقف الرئيس الأمريكي ترومان. وكان يجمع كل ما يقرأ في الصحف الأجنبية واليهودية من هذه الأخبار، ويضعها في ملف خاص، فيتعاطف في نفسه الإحساس بالخطر المقبل. لذلك تراه، بعد أن أدلى ببيان تفصيلي أمام اللجنة الأنكلو-أمريكية عام 1946 عن حق الشعب العربي الفلسطيني في تقرير مصيره، يقول

---

<sup>(2)</sup> أربعون عاماً، مصدر سابق، ص 137.

لرئيس اللجنة : "نحن مهددون بالجلاء، وأخشى أن يكون، والذي أسعد حالا مني، حتى في مماته فقد دفن في تراب الوطن، ولا أعلم أين يكون قبري ، وكذلك كل جيلنا ".<sup>(1)</sup>

وهكذا كان وعي الشقيري للخطر الصهيوني كبيراً، مكنه من استشراف أبعاده وحدود مطامعه. لكن، يبدو أن الواقع الذي حدث، وحجم النكبة التي أصابت العرب كانا فوق ما تصور واستشرف . ها هو يقول في مذكراته التي كتبها بعد نكسة 1967: "لقد ولدت في وطني، وكان اليهود لا يتجاوزون 000.50، وهأنذا اليوم أكتب مذكراتي لأرى اليهود وقد تضاعفوا خمسين مرة، وأصبحوا 000.500.2، في نسبة مدة فريدة لم يعرف التاريخ الإنساني مثيلاً لها. لقد ولدت في وطني ولم يكن اليهود يملكون فيه أكثر من 2% اشتروها من مالكين غائبين خلال خمسين سنة خلت. وهأنذا أراهم اليوم وقد ملكوا فلسطين من البحر إلى النهر، وأضافوا أضعافها في سيناء والجولان. لقد ولدت في وطني والحكايات تملأ سمعي عن جبن اليهود، وكيف كانوا يفرون من وجهنا حين نسير في الشوارع والساحات. ثم امتد لي العمر لأسمع الطائرات الإسرائيلية تقصف مدننا وقرانا، وتشتت شعبنا، و تنهب ثرواتنا، وتصادر كرومنا ومزارعنا، وتسرق كنيسة القيامة، وتمضي في الحفائر تحت المسجد الأقصى"<sup>(1)</sup>.

---

<sup>(1)</sup> أربعون عاماً، مصدر سابق، ص265.

<sup>(1)</sup> أربعون عاماً، مصدر سابق، المقدمة.



## تتبع تاريخي..

### لنشوء الحركة الصهيونية

---

ودفعت هذه المواجهة المصيرية مع الصهيونية الشقيري إلى البحث التاريخي ودراسة نشأة هذه الحركة العنصرية، وتطورها، ومعناها<sup>(1)</sup>. فالصهيونية كما يعرفها، حركة أوروبية استعمارية، غدتها المطامع الدولية. فقد عاش اليهود في أوروبا مضطهدين، وفرضت عليهم القيود. لكن مدى هذا الاضطهاد غير معروف أو ثابت. إن التاريخ الأوروبي، بمجمله، هو تاريخ اضطهاد، لم يصب اليهود وحدهم، بيد أن الحركة الصهيونية أبرزته وبالغت فيه خدمة لأهدافها المرسومة. لقد عزل اليهود أنفسهم وسط الشعوب الأوروبية التي كانوا يعيشون

---

(1) محاضرات في قضية فلسطين، مصدر سابق، ص 21-41.

بينها، وأقاموا حولهم أسوارا انطوا وراءها. ومع يقظة دعوة الحرية في أوروبا في القرن الثامن عشر، وانتشار معاني الحرية والإخاء والمساواة أخذت حياة اليهود تنتقل إلى شيء من التحرر، وتميل إلى الاندماج بغيرهم من الشعوب. ورافق ذلك انصراف بعض اليهود إلى القومية الخالصة في وقت بدأ الاضطهاد فيه يزول ويضمحل. وكان ذلك بداية انبثاق الحركة الصهيونية ودعوتها القومية، على الرغم من أن فكرة عودة اليهود إلى فلسطين فكرة دينية ومسألة إلهية .

وحتى يوضح الشقيري أسباب استجابة اليهود للحركة الصهيونية، ودعوتها القومية، يعود إلى دراسة المرحلة التاريخية التي نشأت فيها هذه الحركة؛ فهي عنده مرحلة مَدّ الحركة الاستعمارية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، والاهتمام بحماية الطرق الإمبراطورية الاستعمارية. فالحركة الصهيونية، بتعبير الشقيري "ولدت في فراش الحركة الاستعمارية"<sup>(1)</sup>.

لذلك أخذت الدول الاستعمارية في تلك الفترة تعمل على مساعدة اليهود على الاستيطان في فلسطين ، وتشجعهم وتضمن لهم الحماية . وبالمقابل أخذت المؤلفات اليهودية تحث الدول الاستعمارية على الاستعانة باليهود في الاستيلاء على البلاد العربية العثمانية.

---

(1) دفاعا عن فلسطين والجزائر ، مصدر سابق، ص 104.

وبمجيء هرتسل تحولت الحركة الصهيونية إلى حركة سياسية ذات برامج ووسائل محددة- فهرتسل- كما يقول الشقيري - واضع الفكرة الصهيونية السياسية في كتابه ( الدولة اليهودية ) ، وآل روتشلا هم عصب الحركة الصهيونية . لكن دعوة هرتسل واجهت اعتراضات من اليهود المتدينين ، لأن اليهودية ليست قومية ، ولأنه لا يجوز استعجال إرادة الله بعودة اليهود إلى ( أرض الميعاد ) .

كما عاها بعض يهود أمريكا الذين قالوا إنه لا توجد (قومية ) يهودية ، وإن اليهودية عقيدة دينية محض ، وعارضها أيضا أولئك اليهود الذين تقنحت لهم أبواب الحرية ورفع عنهم الاضطهاد .

ويواصل الشقيري تتبعه التاريخي ، فيضيف أن عقد المؤتمر الصهيوني الأول في بال كان انتقالاً بالمسألة إلى مرحلة عملية ، وضعت فيه فكرة إنشاء الوطن القومي ، ووسائل تحقيقها . ثم أخذت الصهيونية تكشف مساعيها بعد هذا المؤتمر لدى اليهود أنفسهم ، ولدى الدول الاستعمارية ، ولدى الدولة العثمانية، عازفة عند كل طرف على الوتر الملائم ، مقدمة مختلف الاغراءات والوعود والخدمات ، وتركزت جهود هرتسل - بعد إخفاقه عند الدولة العثمانية - على إنكلترا في الوقت الذي كان يجري فيه البحث أيضا داخل الحركة الصهيونية عن إقليم آخر يسكنه اليهود، مما يدل على زيف دعوى القومية اليهودية المرتبطة بفلسطين. ويلخص الشقيري النشاط الصهيوني بين 1897 و1914 بأنه محاولة البحث عن إقليم للاستيطان مع محاولات تسرب إلى فلسطين .

وتغير مصير الحركة الصهيونية بنشوب الحرب العالمية الأولى ، وتوزع رجالها بين المعسكرين المتحاربين ، وواجهت الحركة الصهيونية الحركة العربية الناشئة ، وتزايد الجهد الصهيوني في بريطانيا ، وتركز على تأكيد فكرة الارتباط بين المصالح البريطانية والصهيونية . وقد تركت فلسطين منطقة دولية في اتفاقية سايكس بيكو ، لكن بريطانيا احتضنت الحركة الصهيونية لمواجهة أطماع حليفها فرنسا . وجرّت مفاوضات بين سايكس وأقطاب الحركة الصهيونية وحصل زعماء الصهيونية في الوقت نفسه على موافقة الحكومتين الفرنسية والإيطالية على المشروع الصهيوني، كما ازداد نشاط زعماء الصهيونية في أمريكا في الدعوة إلى فكرتهم . وانتهى هذا النشاط المركز بصدور وعد بلفور الذي كان اعترافا بفلسطين وطننا قوميا لليهود ، ووافق الرئيس ويلسون على صيغته.

## حق اليهود التاريخي في فلسطين ... زعم باطل

ملك الشقيري ثقافة واسعة ، وقدرة كبيرة على الاحتجاج ، ودأبا على البحث والتنقيب والمراجعة ، صقلت ذلك كله وساعدته الخلفية الدراسية التي أمضاها في مدرسة صهيون ومعهد الحقوق ومكتبة أبيه ، ومعرفته الممتازة باللغة الإنكليزية، وخبرته الغنية في عالم المحاماة وميدان العمل الوطني .

وقد هيا له ذلك القدرة على التصدي للزعم الصهيوني بحق اليهود التاريخي في فلسطين ، وعلى دحض هذا المفهوم الذي كان القاعدة الأساسية في السياسة الدولية المناصرة للصهيونية.

وقد اعتمد في هذا الدحض على التوراة نفسها ، يأخذ من نصوصها ما يدعم رأيه ، ويفند المزاعم الصهيونية.<sup>(1)</sup>

فلسطين هي وطن العرب الكنعانيين الذين خرجوا من الجزيرة العربية . والعرب، على ماتقول التوراة، هم أول من استوطن بلاد فلسطين ، ولا توجد أمة أخرى في العالم استوطنت أرضها أربعة آلاف سنة وعروبة فلسطين أقدم عمرا من أي قومية أخرى .ولقد أصبحت فلسطين (بلد اللبن والعسل) على أيدي الكنعانيين ، وبحضارتهم المزدهرة . أما العبرانيون فهم غرباء ،يدل على ذلك أصل كلمة(عبراني)، غزوا فلسطين، وكانت سيرتهم فيها سيرة تدمير وقتل حتى

---

(1) محاضرات في قضية فلسطين ، ص ص10-20 وكتاب "خرافات يهودية" ، مصادر سابقة.



الدولة اليهودية في عهد سليمان كانت دولة رمزية تابعة لمصر . والنتيجة التي يخرج بها الشقيري من ذلك أن الحكم اليهودي الذي دام قرابة سبعين عاما لا يعطي حقا تاريخيا ولا حقا دوليا لليهود في فلسطين . وقد استمر وجود أهل البلاد الأصليين خلال الغزوة العبرانية التي كانت أقصر عمرا من غزوات أخرى تعرضت لها البلاد . وبعد أن أخرج الرومان اليهود من فلسطين انتشروا في العالم، وانقطعت صلتهم بها ، ولم يتجاوز عددهم فيها في القرن التاسع عشر 8000 فرد.

وقد أكد الشقيري هذه الحقائق في خطبه أمام الأمم المتحدة، يقول من على منبرها عام 1960: " .لقد ملك شعب فلسطين هذه الجبال والوهاد، وأهلها بصورة مستمرة ودائمة فيها منذ أقدم عصور التاريخ"<sup>(1)</sup>، ويتساءل في معرض رده على ادعاءات غولدامثير في الأمم المتحدة عام 1963: (هل قضايا الشعوب تتصل بالآثار؟"ويؤكد أن الحضارات شيء عالمي، وأنه في فلسطين لا يوجد احتكار لآثار العبرانيين، وقد شاء وضع فلسطين الجغرافي أن تكون عند مفترق الطرق في العالم، لذا توافرت فيها آثار مختلف الأمم والشعوب.<sup>(2)</sup>

وقد خصّ الشقيري اليهود واليهودية ببحث مستفيض في كتابه (خرافات يهودية) ، واعتمد أدلة قومية وعنصرية في الرد على المزاعم الصهيونية القومية

---

<sup>(1)</sup> دفاعا عن فلسطين والجزائر ، مصدر سابق، ص 36.

<sup>(2)</sup> فلسطين على منبر الأمم المتحدة ، مصدر سابق، ص ص 126-128.

والعنصرية، فاليهود ليسوا شعباً، بل اتباع ديانة. وقد امتزجوا بالشعوب الأخرى، كما انتشرت اليهودية بين أقوام مختلفين . لذا ليس يهود اليوم أحفاد يهود فلسطين ، ولا علاقة لليهود أوروبا بفلسطين . والادعاء الصهيوني بأن اليهود المهاجرين إنما يعودون إلى أرض آبائهم ادعاء باطل كاذب . ويستعين الشقيري بآراء علماء الأجناس لتكذيب ادعاء اليهود أنهم ينتسبون إلى فلسطين ، فالوحدة الجنسية غير قائمة بينهم ، وهم ينتمون إلى سلالات مختلفة سلافية وجرمانية ، ويهود أوروبا الشرقية مثلاً هم من أحفاد الخزر. أما في الوطن العربي فقد اعتنقت بعض القبائل العربية في الحجاز الديانة اليهودية .

ويحتكم الشقيري إلى التوراة ليدحض ادعاء بيغن وغيره من زعماء الصهيونية الانتساب إلى إبراهيم ، فهي تثبت أن إبراهيم ليس جداً لليهود ، بل يكاد يكون "آدم " الثاني وجداً للإنسانية بأسرها<sup>(1)</sup>. وانتساب يهود اليوم إلى العبرانيين القدامى بعد نحو أربعة آلاف عام أكذوبة واضحة . وقد أطل الشقيري في الاقتباس عن التوراة عامداً ، لأن "الخرافات اليهودية " تسللت إلى كثير من كتب التاريخ والتراث الديني ، وغدت لتكرارها ، أشبه بالحقائق التي لا يشك في صحتها ، فكان لا بد من نقدها ومناقشة مضمونها.

---

(1) خرافات يهودية، مصدر سابق.

## الحركة الصهيونية عنصرية ...

### وإسرائيل توسعية ، عدوانية

---

يقول الشقيري في تعقيبه على وقائع الجلسة الأولى ، والأخيرة لمؤتمر جنيف في 1973/12/21 : "انشبت إسرائيل ، كما تفعل ، كما تفعل القطة تماماً ، مخليين بارزين ... وكشفت من جديد الحقيقة الأصلية المتمثلة في الحركة الصهيونية . وكل هذه الخصائص الخلقية لا تخضع للتعديل أو للتبديل ، ولا سبيل للخلاص منها إلا بالخلاص من الكيان الذي يحتويها<sup>(1)</sup> ذلكم كان رأيه في الحركة الصهيونية ، وكيانها إسرائيل . وقد توصل إليه عن اقتناع وتجربة ودراسة

---

<sup>(1)</sup> الطريق إلى جنيف ، مصدر سابق ، ص 247.

وطول معرفة . لقد وضعت الصهيونية نصب عينيها شعاراً رهيباً سعت لتطبيقه عبر السنين ، ذلك هو شعار " إلقاء العرب في الصحراء " .

والشقيري ينفي أن يكون رأيه هذا دعاية أو مبالغة ، فان المراجع الصهيونية الكثيرة ، تقول: " أن على العرب أن يعودوا إلى الصحراء ..هناك وطنهم " .

وتلك هي قصة الصهيونية عنده ؛ اخترعت شعار إلقاء اليهود في البحر ، زوراً وبهتاناً ، وألقت بالعرب في الصحراء ، فعلاً وعملاً<sup>(1)</sup>.

لذلك كانت وجهة نظر الشقيري أن (المعتدلين) من الرجال الصهيونية هم الأكثر خطراً، لأنهم يبنون الدولة بالأعمال ويبددون المخاوف بالأقوال. فوايزمان من اعقل رجال الصهيونية، إذ بدا للناس رجلاً معتدلاً في قيادته للحركة الصهيونية، ولم يتردد في القول بأن لا داعي للخوف من الحركة الصهيونية، فهي حركة سلمية ، وبأنهم سيتعاونون مع أبناء عموماتهم (العرب ) لإعادة الحياة إلى البلاد .

وكان الشقيري في كل مناسبة، يؤكد رأيه في طبيعة الحركة الصهيونية، ويكشف عدوانية إسرائيل وتوسيعيتها، ويسخر من ادعائها الرغبة في السلام

---

(1) الهزيمة الكبرى ، مصدر سابق، ج2، ص296.

والعيش الأمن، ويثبت بالأدلة والبراهين والأرقام كذبها وخداعها . ها هو حين يطرح أمام مجلس الأمن الدولي عام 1955 موضوع الاعتداءات الإسرائيلية على الجبهة السورية، يعرض سجل الاعتداءات السابقة المتكررة التي لم تردعها قرارات المجلس ، ويطالب بطردها من عضوية الأمم المتحدة . ويردّ على مزاعم السلام الإسرائيلية في خطابه أمام الأمم المتحدة عام 1960 فيقول : " لقد مدت إسرائيل يدا للسلام، ولكنها يد ملطخة بدماء الأبرياء ، يد اقتلعت شعبا بكامله من جذوره في وطنه " (1) . ويعلن في خطابه أمام الأمم المتحدة عام 1963 إن إسرائيل " خلقت ثمرة الحرب ، ونشأت في العدوان ... وكانت الحرب هي أداة السياسة القومية التي تتبعها إسرائيل " (2) . وقد قدم الشقيري سجلا بأعمال الإرهاب الصهيوني خلال الحرب العالمية الثانية ، وبمجازر اليهود بعد التقسيم، واحتلال المدن والقرى العربية وتشريد أهلها . وكان دائما يفند مزاعم السلام التي تدعيها إسرائيل في حين تخطط للتوسع ، ويستقي من أقوال زعمائها ما يكشف النوايا التوسعية.

وقد عني الشقيري دائما بتتبيه أبناء قومه العرب إلى ما استقر في عقله وقلبه من إدراك وعلم بطبيعة الحركة الصهيونية وحقيقة إسرائيل. يقول في الرد على من كان يظن أن إسرائيل ستكتفي - في الأزمة السابقة لعدوان 1967-

---

(1) دفاعا عن فلسطين والجزائر ، مصدر سابق، ص39.

(2) فلسطين على منبر الأمم المتحدة ، مصدر سابق، ص40.

بغارات انتقامية لا بحرب شاملة : " أنتم مخطئون فأنتم لا تعرفون الصهيونية وأطماعها أن إسرائيل لا تكتفي بالعدوان الذي تم ، ولكنها تتطلع إلى التوسع ، إلى المزيد من أرض فلسطين ، ومن الأرض العربية " (1). وينتقد - اثر هزيمة حزيران 1967- أولئك الذين أخذوا يتحدثون عن الخسة والمكر والدناءة ، ويطالبون بالانصياع لصوت الضمير العالمي ، ويتشدقون بالحديث عن السلوك الأخلاقي ... ينتقدهم لجهلهم بحقيقة إسرائيل وعدوانيتها وغدرها ، ولجهلهم بالحرب خطة وهدفاً ، "الحرب هي الغدر ، والغبي الذي ينصاع لقرار مجلس الأمن حين يكون قادراً على القتال " (2) وبكلمة أخرى منه : "الحرب خدعة وإسرائيل ولدت في فراش الخديعة " (3). إن إسرائيل ، بطبيعتها ، ليست بحاجة إلى تحريض ، فهي " دولة تصطنع الأحداث لتعتدي " (4). ويسخر الشقيري من مطالب الإسرائيليين (بحدود آمنة) وادعائهم الحرص على (الأمن الإسرائيلي ) فيقول : " إسرائيل غازية معتدية أصلاً، وهي أقحمت وجودها في الوطن العربي، فهي المسؤولة عن العداء ، وهي تطالب بالأمن من هذا العداء " (4).

---

(1) الهزيمة الكبرى ، مصدر سابق، ج1، ص47.

(2) المصدر نفسه، ج1، ص323.

(3) المصدر نفسه، ص198.

(4) الطريق إلى جنيف ، مصدر سابق، ص256.

## الإعلام الصهيوني..

كان لخبرة الشقيري في ميدان المواجهة مع الصهيونية العالمية أثر كبير في تعريفه أساليبها الذكية والخبيثة في الإعلام . وقد اهتم - وهو في مطلع الشباب وعلى أبواب النضال الوطني - بقراءة كل ما تصدره الأجهزة الإعلامية الصهيونية .

والاستعمارية ولمس- وهو في الولايات المتحدة الأمريكية منذ عام 1946- تحيز وسائل الإعلام الأمريكية وسيطرة الصهيونية عليها. لذلك اهتم في مرحلة تأسيس الكيان الفلسطيني أن يوجد للكيان جهاز إعلام. فأنشأ الإذاعة ، إيماناً منه بأهمية الإعلام العربي في مواجهة الإعلام الصهيوني ، وتحمل في سبيل إنشائها كثيراً من النقد الذي وجه إليه .

لقد كان الإعلام الصهيوني من أخطر الأدوات التي استخدمتها الصهيونية في هجمتها العنصرية التوسعية الاستعمارية ، فكان عوناً في

الحقائق، وكسب الرأي العام وتبرير العدوان . ومن أمثلة ذلك الحملة الإعلامية المركزة التي شنتها إسرائيل على الجمهورية العربية المتحدة قبيل عدوان الخامس من حزيران 1967، فقد ألقت في ذهن الرأي العام الدولي أن الجمهورية العربية المتحدة تدبر عدواناً على إسرائيل وأن الحشود المصرية باتت تهدد أمن إسرائيل وسلامتها . وباتت تكرر في أجهزة الإعلام المختلفة في أرجاء العالم ، ولا سيما الولايات المتحدة الأمريكية ، تعبير الهجوم على إسرائيل " حتى تبرر أي إجراء عسكري تتخذه فيبدو عملاً مشروعاً وموفقاً طبيعياً من مواقف الدفاع عن النفس. ومضت الأجهزة الإسرائيلية في هذه الحملة الإعلامية وعبأت كل قدراتها في هذه المعركة ، فلم تترك عاصمة إلا طرق فيها الممثل الإسرائيلي أبواب الدولة ليقول إن إسرائيل في خطر ، وأن العرب يريدون أن يدمروها ، ويلقوا بشعب إسرائيل في البحر ، حتى على الصعيد الداخلي مضت أجهزة الإعلام الإسرائيلي تلهب ظهر المجتمع الإسرائيلي بسياط الهجوم العربي وتدمير إسرائيل ، وتشحن مشاعر الإسرائيليين لتضعهم أمام خيار وحيد ، والهجوم الإسرائيلي لقمع الهجوم العربي في مهده وتسعى الصهيونية - عن طريق وسائل إعلامها - إلى اختراع الشعارات الكاذبة وترويجها إلى أن تصل إلى مستوى اقتناع الرأي العام بها اقتناعاً يكاد يبلغ مستوى الحقائق الثابتة والبيدهيات التي لا تناقش . بل إن الأمر بلغ حد اقتناع بعض الغافلين من العرب أنفسهم ، وبذلك مشوا وراء التيار السائد ، وجرفتهم الأوهام وأقنعتهم الأباطيل. من ذلك وقبل كل ذلك الأسس التاريخية الباطلة التي يحاول الصهيونيون بها إثبات حقهم التاريخي في أرض فلسطين ،



حتى غدا قسم كبير من الرأي العالمي مقتنعاً بأن اليهود إنما يعودون إلى أرضهم التي انتزعت منهم بلا حق.

ولعل أوضح الأمثلة على قدرات وسائل الإعلام الصهيونية واعتماد إسرائيل عليها في تشويه وجه الحقيقة الشعار الباطل الذي روجته وألصقته بزعماء العرب وحملت الشقيري خاصة ، مسؤوليته ، ألا وهو شعار إن العرب إنما يريدون إلقاء اليهود في البحر<sup>(1)</sup> . ويرى الشقيري أنه شعار قديم عمه أكثر من أربعين عاماً ، صنعه اليهود أنفسهم ، وكان يتجدد مع الزمن ، وفي المناسبات والمواسم السياسية . وقد رمى اليهود من وراء تزويجه أول الأمر إلى التشهير بالشعب الفلسطيني ، ثم استهدفوا به الأمة العربية كلها ، بعد أن تطور الصراع إلى صراع عربي -إسرائيلي . وأصبح الشعار على حد قول الشقيري تاريخ له بداية ، وما أظن أنه ستكون له نهاية إلا بزوال إسرائيل الدولة وإنهاء الصهيونية كعقيدة وحركة وتنظيم . وقد أصاب الشقيري أكبر نصيب من هذه الحملة الصهيونية الإعلامية ، وظلت الحملة تلاحقه حتى بعد أن تخلص عن النشاط السياسي العام . وما فتئت أجهزة الإعلام الصهيونية تذكر العالم في كل مناسبة بأن الشقيري قد صرّح بأنه يريد إلقاء اليهود في البحر .

---

(1) الهزيمة الكبرى ، مصدر سابق ، ج2، ص ص279-286.

لذلك عدّ الشقيري هذه المسألة قضية عامة أولاها غايته من التحليل والدرس على أساس إنها جزء من المعركة الكبرى مع إسرائيل والصهيونية والاستعمار العالمي. وقد أشار إلى أنه لم يكن أول من ألصقت به هذه التهمة ، فقد كان الحاج أمين أول من شنت عليه الصهيونية حملة ، واتهمته بها ، كذلك ألصقها بالدول العربية خلال حرب 1948. وكانت عودة الشخصية الفلسطينية إلى ميدان النشاط عام 1964 مفاجأة لإسرائيل، فبدأ العداء الضاري لمنظمة التحرير، وركزت وسائل الإعلام الصهيونية حملتها على الشقيري ، متناسية أنه ليس القضية الفلسطينية.

ويرجع أصل الزعم بأن الشقيري يريد إلقاء اليهود في البحر إلى المؤتمر الصحفي الذي عقده في عمان قبل عدوان الخامس من حزيران 1967 بأيام ثلاثة<sup>(1)</sup>، فقد أكد للصحفيين أن هدف المنظمة أو هدف حركة النضال الفلسطيني هو تحرير الوطن ، مثلها مثل غيرها من الحركات التحريرية . ولما سأله الصحفيون عن مصير الإسرائيليين، وهل سيلقى بهم في البحر، نفى الشقيري ذلك ،وبين أنها تهمة قديمة أما مصير الإسرائيليين فهو أمر تقرره الأمم المتحدة باعتباره مشكلة دولية . وأشار للصحفيين إلى أنه سبق له في عام 1957 أن اقترح على الأمم المتحدة إنشاء وكالة تعرف باسم "وكالة العودة" تعمل على تسهيل إعادة الإسرائيليين إلى مواطنهم الأولى، وأن الدول العربية مستعدة

---

(1) الهزيمة الكبرى ، مصدر سابق، ج 2 ، ص ص 286-289.

للمساهمة في ميزانية هذه الوكالة . ولما ألح الصحفيون في السؤال قال الشقيري :  
"نحن نقاوم الصهيونيين، ويمكن لليهود الفلسطينيين البقاء ، وكذلك يهود البلاد  
العربية. أما اليهود الباقون فيعودون كما جاؤوا؛ لقد جاؤوا بالبحر وبالبحر يعودون،  
ونحن مستعدون للمساهمة بعودتهم ". تلك قصة هذا الشاعر الزائف ، وما كان  
أمره غريباً عن الشقيري، أو مثيراً له. لكن الغريب والمثير أن تخترق دعايات  
العدو الصهيوني عقول بعض العرب ، فيصدقون التزوير ، ولا يتردد بعضهم في  
أن يقول اليهود (بحكمة ورجاحة وعقلانية ) : " هذه نتيجة خطبنا بأننا نريد إلقاء  
اليهود بالبحر".

هذا الكيان الصهيوني..

لا قبول ..ولا اعتراف

---

أدرك الشقيري بوضوح وجلاء طبيعة الكيان الصهيوني الاستعمارية، فكان موقفه منه ، على مدى سنوات عمره، موقفاً ثابتاً، حاسماً، لا لبس فيه ولا موارد .

لم تزعزعه العثرات عبر المسيرة الطويلة ولم تتشوش الرؤية عنده الملبسات الكثيرة التي رافقت القضية الفلسطينية. كان رافضاً لهذا الوجود الاستعماري الدخيل، ومنكراً عليه ادعاءه الحق في العيش بسلام وأمن، فهو كيان عنصري ، عدواني بُني على حراب الشعب الفلسطيني، وزرع بالقوة بعد

اقتلاع هذا الشعب من أرضه وقد عبر في موقفه هذا عن موقف الشعب الفلسطيني ، بفطرته السليمة ، وتعلقه الطبيعي بوطنه .

لقد كانت الصهيونية منذ البداية تسعى للتفاهم مع الشعب الفلسطيني ، وتبذل الجهود المضنية لتلتقي مع مسؤول فلسطيني يرضى بذلك ، فلم تفلح ولم يكن رفض الشعب الفلسطيني مبدأ المفاوضات طوال أعوام نضاله الوطني راجعاً إلى إيمانه بأن الاجتماع ( بالإنسان اليهودي ) أمر محرّم بل ليقينه أن التجمع اليهودي السياسي في فلسطين هو تجمع احتلال استيطاني ، يهدف إلى إجلاء الشعب الفلسطيني صاحب الحق الشرعي عن وطنه ويقول الشقيري في هذا الشأن (كان الغرض الحصول على موافقة العرب واعترافهم بإنشاء الدولة اليهودية إذ لا يمكن للدولة اليهودية أن تقوم لها قائمة - في الماضي أو في المستقبل - إلا إذا اعترف العرب بها ... ) لذلك " ليس هناك من يملك التنازل عن الوطن لأن الوطن لا يملكه من يعيش عليه ، بل هو وطن الأجيال المقبلة على مرّ الزمن (1) ."

وكانت ممارسات الشقيري العملية تجسيدا لهذا الموقف الحازم الثابت من الكيان الصهيوني ، وتعبيرا عن الرؤية الواضحة لطبيعته العدوانية والتوسعية فها هو يرفض اقتراح الوسيط الدولي الكونت برنا دوت بقاء غير رسمي مع الوفد

---

(1) محاضرات في قضية فلسطين ، مصدر سابق ، ص 74 .

اليهودي إلى رودس عام 1949 ، مصرًا على أنه لا لقاء إلا بعد زوال الدولة اليهودية<sup>(1)</sup> ، وفي عام 1958 دعا الأمم المتحدة إلى تسوية " المشكلة " الفلسطينية ، لا عن طريق المفاوضات المباشرة أو غير المباشرة ، بل بإعادة النظر في خلق إسرائيل ونبذ شعار ( إسرائيل وجدت لتبقى )<sup>(2)</sup> . وقال في خطاب آخر له أمام الأمم المتحدة عام 1959 : "إن وجود إسرائيل فريد في نوعه، وأمنها فريد في نوعه، قامت في عالم معاد لها ، وقامت على الاغتصاب، وليس بوسع العرب أن يعترفوا باغتصاب وطنهم"<sup>(3)</sup> ويقول في هذا الخطاب أيضا نافيا تهمة الحقد على اليهود: "نرفض قيام دولة يهودية في قلب بلادنا ..إنه موقف يتفق مع ميثاق الأمم المتحدة في نصه وروحه " <sup>(4)</sup>.

ويسخر الشقيري من الادعاء الإسرائيلي بحق السيادة والأمن ويقول من على منبر الأمم المتحدة عام 1960 : "إن حق الفلسطينيين في وطنهم لا تحجبه دواعي الأمن الإسرائيلي ، فإن الدولة التي لا يتوافر لها الأمن إلا بطرد المواطنين ليست لها مقومات الدولة ، ولا تتمتع بأخلاقيات الدولة .. إن الأمر الواقع لا

---

<sup>(1)</sup> أربعون عاما ، مصدر سابق ، ص 298.

<sup>(2)</sup> قضايا عربية ، مصدر سابق ، ص 109-110.

<sup>(3)</sup> المصدر نفسه ، ص 266.

<sup>(4)</sup> المصدر نفسه ، ص 274.

يمكن قبوله من غير تحقيق دقيق ... شعار الأمر الواقع شعار استعماري نابع من فلسفة الاستعمار الغربي ..<sup>(1)</sup> ويقول للمجتمع الدولي : "أن لا سلام مع الأمر الواقع. لأن الأمر الواقع هو سبب الأزمة التي تشكون منها.. والخيار أمامكم واحد من اثنين ، لن يكون هناك تعايش مع العدوان ولا تعايش مع الصهيونية إننا لا نريد أن نلقي اليهود بالبحر، ولكننا لن نرضى أن يظل اللاجئين في الخيام، وأن تظل إسرائيل الدولة في وطننا .مفتاح الأزمة هو عودة أبناء فلسطين إلى فلسطين، وعودة اليهود إلى مواطنهم الأولى. والسلام القائم على العدل - دعا إليه أيزنهاور - لا يتحقق إلا بهذا ".<sup>(1)</sup>

وقد رفض الشقيري رفضا قاطعا الدعوة إلى التفاوض مع إسرائيل. لأنه "لا يمكن التفاوض مع حركة هدامة، عدوانية، توسعية، ولا يمكنه التفاوض مع سياسة الصهيونية، لأنها تخلق الازدواج في الولاء. ولا يمكن التفاوض مع إسرائيل والصهيونية، لا بالنسبة إلى عقائدهما فحسب. بل وبالنسبة إلى أساليبهما ووسائلهما. فأهدافهما لا مشروعة، وطرقهما ووسائلهما لا مشروعة أيضا. ولا ريب أن أساليب الصهيونية وإسرائيل وطرقهما تستثير الاضطهاد وتخلق اللاسامية"<sup>(1)</sup> وكان شديد الحسم في شأن المفاوضات، يرفضها بشدة، ولا يسمح

---

(1) أريعون عامما، مصدر سابق، ص 435.

(2) المصدر نفسه، ص 437.

(1) فلسطين على المنبر الأمم المتحدة ، مصدر سابق، ص 99.

بقبولها والتفكير بها من أحد من العرب. فهو ينبغي للرد عندما سأل أباإيبان الوفد العربية في الأمم المتحدة عن مدى استعدادها للمفاوضات المباشرة مع إسرائيل بقصد الوصول إلى تسوية، ويقول بقوة: "أنا صاحب الحق في الجواب، وليست الدول العربية، ولم يولد ذلك العربي الذي يقبل أية تسوية نيابة عن الشعب الفلسطيني .. إن العرب مستعدون للمفاوضة المباشرة لتحرير فلسطين" (2) ولما سأل إيبان عما يبقى للمفاوضات بعد تحرير فلسطين، رد الشقيري: "نبحث الضمانات الدستورية لصيانة حقوق المواطنين الشرعيين من اليهود".

من هذا المنطلق وقف الشقيري بالمرصاد لكل دعوة فلسطينية أو عربية تدعو إلى قبول الأمر الواقع. أو إلى ما يسمى عندها (الإيجابية): لقد لاحظ أن موجة (الإيجابية) هذه أخذت تسود الأوساط الحاكمة في أواخر الأربعينات، وكان الاتصال بلجنة التوفيق الدولية وتوقيع بروتوكول لوزان الذي ألحقت به خريطة التقسيم أول خطوات (الإيجابية)، "وبعد اتهام العرب، على مدى ثلاثين عاما بأنهم رفضوا كثيرا من الحلول السياسية إسرافاً وتطرفاً، ولكنهم بعد فوات الوقت يعودون ليطلبوا بتنفيذ ما رفضوا" (1).

---

(2) أربعون عاما، مصدر سابق، ص501.

(1) أربعون عاما، مصدر سابق، 313.



كذلك وجه الشقيري نقداً مُراً لمواقف السياسة (الإيجابية) التي سادت في مطلع الخمسينات، وكان من كبار دعايتها وأنصارها نوري السعيد، وبين أنها أخفقت، على الرغم من صداقة نوري السعيد للإنكليز وتحالفه معهم.

وكان موقف الشقيري متشدداً عنيفاً من الدعوة إلى قبول الأمر الواقع على أساس الاحترام المتبادل بين العرب وإسرائيل . وهاجم سياسة المراحل ، لأن المرحلة الأولى في تصفية القضية الفلسطينية ونهايتها. ولن يكون بعدها انتقال إلى مرحلة أخرى، يقول في بيان ذلك : " فالقضية لا تنتهي إلا بالمرحلة النهائية، مرحلة التحرير والاستقلال ولكن المرحلة حينما تنتهي المراحل التالية تكون تصفية للقضية الوطنية ونحن لو سلمنا (بالباقى) إلى العدو. لم يبق الباقي. ولذلك فإن سياسة المراحل مع إسرائيل ، وتحت شعار (خذ وأعط) لها معنى واحد، هي أن نأخذ من إسرائيل ما تعطينه ، ونعطينها ما تريد أن نعطينها . والأخذ والعطاء في جميع هذه الأحوال هو على حساب الوطن.. وحاشا لله أن يكون الوطن محل مساومة، وموضع أخذ وعطاء" (2) وبعد هزيمة حزيران 1967 طفت على السطح تصريحات أخرى ترضى بالاعتراف بإسرائيل وإقامة حدود آمنة ، وأخذت الدول العربية تعزز الاتجاه إلى التسوية السلمية ، ورفع شعار " إزالة آثار العدوان " بعد أن كان الشعار من قبل "تدمير إسرائيل وتحرير فلسطين". لهذا انطلق الشقيري ، من موقفه الثابت والمبدئي من الكيان الصهيوني، يهاجم هذا الاتجاه وينتقده،

---

(2) الطريق إلى جنيف، مصدر سابق، ص 210.

ويحاربه، منذ أن ظهرت بوادره أول مرة في اجتماع وزراء الخارجية العرب في الكويت لبحث العدوان الإسرائيلي ، ووضع الخطة التي يجب اتباعها " لإزالة آثار العدوان". لقد كان هذا الاجتماع برأيه "أول لقاء عربي بعد الكارثة سادته جو الهزيمة بدلا من العزيمة"<sup>(1)</sup>، شعاره "السياسة الإيجابية " التي قوامها تجنب الحديث عن التحرير والتصدي لإسرائيل ومخاطبة العالم الدولي بمنطق التسوية السلمية أو مبادئ التعايش السلمي ، ومطالبة الأمم المتحدة، وفقا لميثاقها، بإزالة آثار العدوان .

وزاد تخوّف الشقيري من هذا الاتجاه العام في مؤتمر قمة الخرطوم، حيث ساد الاتجاه إلى استبعاد القتال، وإلى عدم الموافقة على قطع العلاقات مع الدول التي ساندت العدوان ، والاقتصار على المساعي السياسية المجردة من كل دعم وقوة. وقد عبر الشقيري عن تشاؤمه ورفضه لهذا الاتجاه في خطابه أمام المؤتمر وبين أنه لا يمثل إرادة الأمة ورغبتها في النضال، ولا ينتهي أخيرا إلى إزالة العدوان والاحتلال، وبالمقابل قدم للمؤتمر خطة بديلة مترابطة في جوانبها العسكرية والاقتصادية والسياسية، وأعلن إصرار منظمة التحرير الفلسطينية على المبادئ التالية المعبرة عن إيمانها بقضيتها وعن موقفها من الكيان الصهيوني العدوانى :لا صلح، ولا تعايش، ولا مفاوضات، ولا اعتراف، وعدم الموافقة على أي تسوية تؤدي إلى تصفية القضية . وشعب فلسطين هو الذي يقرر مصيره

---

(1) الهزيمة الكبرى ، مصدر سابق، ج2، ص37.

بنفسه<sup>(1)</sup>. ويّين للملوك والرؤساء في ذلك المؤتمر أن هذا الموقف الثابت لمنظمة التحرير ليس نتيجة عناد وجهل بالأخطار التي يتعرض لها الشعب العربي، بل نتيجته تقديرات مدروسة وخبرة طويلة بطبيعة إسرائيل ، فإسرائيل تريد ثمننا لعودة الضفة الغربية والقطاع، والثنى هو التسوية النهائية وتصفية القضية الفلسطينية

وكان إصرار الشقيري على (اللاءات) التي وردت في مذكرة المنظمة سبباً في انسحابه من مؤتمر القمة، وإعلانه في المؤتمر الصحفي الذي عقده بعد ذلك أن المنظمة انسحبت من المؤتمر " لأنها لا تستطيع أن تشارك في تحمل مسؤولية الاتجاه العام الذي سار عليه الملوك والرؤساء في معالجتهم لموضوع إزالة آثار العدوان"<sup>(2)</sup> وكان أول صوت عربي يندد بقرار مجلس الأمن رقم 242 هو صوت منظمة التحرير في المؤتمر الصحفي الذي عقده الشقيري بعيد صدوره. فاتجاه الأمم المتحدة" إلى التسوية السلمية، واستجابة مجلس الأمن في هذا القرار للدعوة إلى "سلام دائم عادل" كان أمراً طبيعياً ما دام العرب أنفسهم قد تطلّعوا ، في مؤتمر الخرطوم، إلى هذه التسوية السلمية وكان تنديده بهذا القرار ورفضه له قائمين على أساس رفضه الأصلي لوجود إسرائيل والقرار قد أعطى إسرائيل أكثر مما تريد، وأعطى أقل مما يريدون. والقرار تصفية كاملة للقضية الفلسطينية

---

(1) الهزيمة الكبرى ، مصدر سابق، ج2، ص190-197.

(2) المصدر نفسه، ج2، ص222.

وطناً وشعباً، وتصفية كاملة للصراع العربي الإسرائيلي. وقد حقق لإسرائيل مطالبها التي تتطلع إليها باستصدار قرار بالمفاوضة والصلح. وهو قرار بانسحاب غير كامل ، في زمن غير محدد، ووفق شروط الغالب. وهذا يعني التنازل عن الأرض الفلسطينية<sup>(1)</sup>

وآلم الشقيري وأثاره أن يقبل الحكم العربي بعد حرب رمضان 1973 قراراً أملتة هزيمة 1967، فيتساءل " أين ذهبنا بالنصر المجيد في أكتوبر وبدماء شهدائه؟<sup>(2)</sup> .ثم يضيف : " كان من المنطقي بعد حرب أكتوبر الدخول في مرحلة عزيزة كريمة، ولكن العكس هو أن سيرة السياسة العربية ازدادت التصاقاً بالمرحلة السابقة ، وبدأ عهد جديد بالتراجع القومي، ومدرسة جديدة تقوم على مبادئ وأسس جديدة، بدأت بالتمهيد لهذه المفاهيم ، وتحت شعار التسوية ، السلمية أخذت تعلن عزمها على مصالحة إسرائيل والتعايش معها والاعتراف بسيادتها، و (حدودها الإقليمية ) مع أن هذه أرضنا . (وحدودها) في صميم وطننا<sup>(1)</sup>. وقد بدأ عمل هذه المدرسة بصدور القرار 338 الذي ينص، كالقرار 242، على الاعتراف والصلح. والحدود الآمنة ، وحرية الملاحة.

---

<sup>(1)</sup> الطريق إلى جنيف ، مصدر سابق، ص ص 65-67.

<sup>(2)</sup> من القمة إلى الهزيمة، مصدر سابق، ص 132.

<sup>(1)</sup> من القمة إلى الهزيمة ، مصدر سابق، ص 180-181.

ويردّ على دعاة الصلح بعد حرب رمضان قائلاً "إن كل حرب لا بد أن تنتهي إلى صلح، ولكن هل عرف التاريخ الإنساني حرباً قامت من أجل الوطن وانتهت إلى صلح بين الغالب والمغلوب ..حرباً كان الخلاف بين شعبين على الوطن بكامله، وجوهر الخلاف هل هذا الوطن لهذا الشعب أم لذاك؟ ولا نجد حادثة واحدة في التاريخ اختلف فيها قومان على وطن واحد، تحاربا ثم تصالحا على الوطن، يتنازل فيه هذا الشعب لذاك الشعب عن وطن آبائه وأجداده... وجميع المفاوضات في التاريخ كانت القاعدة فيها على أساس الحفاظ على التراب الوطني بكامله، ولم يكن الوطن موضع خلاف أوجدال . فمن هو الفلسطيني، ومن هو العربي الذي يملك، أو يستطيع أن يتنازل عن الوطن، وأن يفاوض المحتلين على هذا الأساس، سواء كانت المفاوضات مباشرة أو غير مباشرة؟، والمواطن العربي لا ينسى أن مؤتمر القمة في الخرطوم لم يقرر عبثاً قراراً عاطفياً، ولكنه كان قراراً قومياً يقوم على أسس وطنية لا يمكن التساهل فيها أو التنازل عنها وقد رفض الشعب الفلسطيني مبدأ المفاوضات طوال 30 عاما وكذلك في مؤتمر لندن 1939، وفي مؤتمر لوزان 1949 وعام 1954. ولذلك كان عجباً بعد هذه المسيرة الطويلة، أن يعلن الحكم العربي أنه مستعد للمفاوضات مع إسرائيل" (1).

---

(1) الطريق إلى جنيف ، مصدر سابق، ص ص 220-207.

ودفعته معرفته العميقة بالكيان الصهيوني وخبرته الطويلة في التصدي له إلى السخرية من الحكم العربي الذي أخذ يهمل لعقد مؤتمر جنيف ( فوراً ) طمعاً في أن تتسحب إسرائيل، دون أن يدري هذا الحكم أن كلمة (فوراً) قد تعني التعامل الدولي أعواماً وأعواماً، ففي الجلسة الأولى والأخيرة في 1973/12/21 أكد الأمين العام للأمم المتحدة كورت فالدهايم أن أساس الاجتماع يقوم على قراري 242 و338، ومعنى ذلك في نظر الشقيري "تفنيد لتصريحات عربية بأن المؤتمر سيبحث جوهر القضية الفلسطينية وتحقيق الحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني" <sup>(2)</sup> وقد أعلن فالدهايم بعد الجلسة اليتيمة تأجيل المؤتمر، وكان الكاسب الوحيد- كما يقول الشقيري هو إسرائيل ، التي استمرت في احتلال الأرض وإقامة المستوطنات .

وكان مؤتمر جنيف موضع دراسة الشقيري وتحليله المستفيضة وقد أثار اهتمامه خطاب الوزير الإسرائيلي في المؤتمر ، والذي طرح فيه عدة أمور منها المفاوضات والسلام...وهي أمور ظلت الدول العربية ترفضها، والوزير الإسرائيلي يطرحها على أنها غرض المؤتمر وكان يدعو إلى انقلاب في الفكر القومي العربي، يتحول فيه من الرفض إلى القبول، ومن النضال إلى الاستسلام ومن هدف التحرير إلى الصلح مع العدو والدخيل، حتى يصبح الاستيطان الاستعماري هو الوطن الشرعي "وكانت أول خطوة في هذا الانقلاب هو اللقاء

---

<sup>(1)</sup> المصدر نفسه، ص234.

العربي اليهودي في مؤتمر جنيف ؛ مؤتمر اسمه الدولي : مؤتمر السلام <sup>(1)</sup>،  
ويلخص الشقيري ما تحدث به الوزير الإسرائيلي عن السلام الذي تريده إسرائيل  
ويقول " وهذا ما ينبغي للمواطن العربي أن يعيه ليعرف إلى أين تسير الدبلوماسية  
العربية بالقضية العربية" <sup>(2)</sup> فتصور إسرائيل للسلام يفترض زيارات ومؤتمرات  
ومصالح مشتركة ومنافع متبادلة، بل ومساهمة إسرائيل هي نشاطات الجامعة  
العربية . والمواضيع التي يجب أن تتضمنها معاهدة السلام، على حد ما سرد  
وزير خارجية إسرائيل . هي القضاء على كل صور العداوة ، والمقاطعة والحصار  
، وأن تتضمن عدم الإلتجاء إلى القوة في العلاقات ، مع الاعتراف القانوني ،  
واحترام استقلال كل طرف ، ووحدة التراب الوطني ، والسيادة الإقليمية .. وفي  
إطار السلام يصبح من الطبيعي لإسرائيل والدول العربية المشاركة في منظمات  
التنمية الإقليمية <sup>(1)</sup>.

وظل الشقيري ثابتاً على موقفه من وجود الكيان الصهيوني. وقد عبر  
عن هذا الموقف بقوة ووضوح وحزم في رسالته إلى مؤتمر القمة العربي السابع  
في الرباط 1974 \* ، فعدد الأخطاء العربية الكبرى بعد حرب 1973 ، وعلى  
رأسها التعامل مع أمريكا ، والتراجع عن سلاح النفط والتحريك السياسي المستمد

---

<sup>(1)</sup> الطريق إلى جنيف، مصدر سابق، ص250.

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه، ص 253 .

<sup>(1)</sup> صفحات من القضية العربية، مصدر سابق، ص ص18 – 25.

\* كان مقررا له ان ينعقد في عام 1977.

من الهزيمة لا النصر . ودحض الدعاية المروجة للقرار 242 ، وخطأ الاشتراك في مؤتمر جنيف ، وبين أن ذلك كله لا يتفق مع مبادئ القضية الفلسطينية ويخالف مقررات مؤتمر الجزائر 1973 ، ويجعل من المستحيل تنفيذ المرحلة النضالية التي حددها مؤتمر الجزائر فالكفاح المسلح هو طريق التحرير عند الشقيري ، ولا جدوى في الوسائل السياسية في مواجهة المحتل الصهيوني الغاصب .

" إسرائيل هذه لا سلام معها ولا كلام " وذلك رأي الشقيري ومعتقد الراسخ ، وهو عنوان فصل في كتابه ( الطريق إلى جنيف ) خصصه للرد على القائلين بالذهاب إلى مؤتمر جنيف بعد أن يستأنف جلساته ، ولدحض الدعوة إلى الاعتراف بإسرائيل ما دامت الأسره الدولية تعترف بها ، وحتى نكون واقعيين وحضاريين ، وإنسانيين ، فهذا الكلام الباطل ، لأن فلسطين ملك شعبها وليست ملك الأمم المتحدة ، ولأن الاعتراف العربي بإسرائيل معناه اعتراف العرب بأن فلسطين هي الوطن التاريخي لليهود ، وأنهم يعودون إليه عن حق .... " الاعتراف بالغزو والاحتلال له عنوان واحد في القانون الدولي اسمه : الاستسلام <sup>(1)</sup> . إن الدعوة إلى التعايش السلمي مع إسرائيل دعوة باطلة ، " فحينما يكون الهدف من السلام هو بقاء الاحتلال والعدوان ، فذلك هو الاستسلام " <sup>(2)</sup> .

---

<sup>(1)</sup> الطريق إلى جنيف ، مصدر سابق ، ص 208.

<sup>(2)</sup> المصدر السابق ، ص 209.



وتناول الشقيري خطاب مناحيم بيغن الذي رد به على إعلان أنور السادات عزمه على زيارة القدس ، وتناوله بالتحليل والدراسة لأنه يكشف عن مواطن الخطر العدواني الرهيب ، فهو يدعو إلى تناسي الماضي والنظر إلى المستقبل ، وفي ذلك تصفية للقضية إذ " لا بد من الالتفاف إلى الماضي ، لأن القضية بيننا وبين إسرائيل تقوم على الماضي "(3).

ويتابع الشقيري المراحل التي رافقت مفاوضات كامب ديفيد ، ويؤكد أن اليهود لا يصلحون للمفاوضات الدبلوماسية . ويوضح للسادات في رسالة وجهها إليه أملاً في إيقاف المفاوضات ومحاولة منه لتثنيه عن متابعتها<sup>(1)</sup>، إن التسوية المقبلة تتجاهل القضية الفلسطينية، وتهدد سيناء ذاتها ، ويحذر من العواقب، ومن مصير العزلة عن الوطن العربي لو وقعت التسوية ، ويؤكد له أن إسرائيل هي الرابحة ومعها أمريكا .

وحملت مذكرة الشقيري إلى الرئيس الأمريكي كارتر ، وقبل توقيع المعاهدة المصرية الإسرائيلية، الرأي العربي الشعبي في المقترحات الأمريكية للتسوية فهي " في الواقع تسوية إسرائيلية تحقق كل مطامع إسرائيل التي كانت تحلم بتحقيقها عند نهاية القرن " .

---

(3) خرافات يهودية ، مصدر سابق، ص ص 15-18.

(1) صفحات من القضية العربية ، مصدر سابق، ص ص 37-43.

وخلص القول ، ظل الشقيري رافضاً فكرة المفاوضات والتعايش ، مؤمناً بأن التعايش مع إسرائيل اسطورة ، وبأن في الصهيونية تهديداً لبقاء الحركة القومية العربية . وقد أفنى عمره في مواجهة هذه الحركة ، ومراقبة خطواتها في السعي لإقامة ( الوطن القومي ) ، وإنشاء إسرائيل ، وتوسعها . ومن هنا آمن بأن " الصهيونية حركة هائلة ، معززة بالأموال والرجال والعلماء والحق والإصرار حتى في معزل عن مساندة الاستعمار والامبريالية، وأن البقاء هو لواحد من الاثنين : القومية العربية ، أو الحركة الصهيونية " (2)

## موازنة مرة ..

---

واجه الشقيري الحقائق بواقعية، ووضع الأمور في نصابها، وأدرك ، بالوعي والممارسة ، قدرة العدو الصهيوني ، ولم يستهن بها أو يقلل من قيمتها .

---

(2) أربعون عاماً، مصدر سابق، ص 237

وكان كثيراً ما يوازن ، بمرارة ، بين قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية قبل عام 1948 وقيادة الحركة الصهيونية ، فيجد البون شاسعاً . لقد كان الشعب الفلسطيني ، برأي الشقيري ، المثل الأعلى في الوطنية والاخلاص والبذل والتضحية ، وتشهد على ذلك ثوراته الكثيرة المتواصلة على الاستعمار والصهيونية . لكن القيادة الوطنية الفلسطينية لم تكن مؤهلة للمعركة الضخمة التي فرضت عليها وللغزوة الطاغية التي كان عليها أن تتصدى لها " لم تكن الحركة الفلسطينية منظمة ذات خطة مدروسة واضحة وكان التحرك الوطني عفوياً عاطفياً ، تثيره أحداث الهجرة والاستقرازمات الصهيونية . وفي معظم الأحوال كان الشعب هو الذي يقود الحركة الوطنية ، ويقود معها زعماءه وقادته "(1) ويشهد الشقيري لموسى كاظم الحسيني ، زعيم البلاد منذ اوائل العشرينات بالتقوى وسلامة النية والوطنية ، ولكنه لا يجده كفؤاً لوايزمن ، الذي كان يومئذ زعيم الحركة الصهيونية . وكذلك كانت حال غيره من رجالات القيادة الوطنية الفلسطينية .

وفي الوقت الذي كانت فيه الصهيونية مسنودة باليهودية العالمية والدول الاستعمارية ، كان العالمان العربي والاسلامي من حول فلسطين ، لا طول لهما ولا حول ، يرزخان تحت اغلال الاستعمار والنفوذ الاجنبي . وفي مقابل الحركة الوطنية الفلسطينية البدائية وقفت الصهيونية حركة منظمة عالمية مجهزة بوسائل الإعلام ،تساندها مؤسسات مالية ضخمة . وكانت الوكالة اليهودية في فلسطين

---

(1) أربعون عاما، مصدر سابق، ص ص 105 - 106 .

أشبه بحكومة لها ميزانيتها ودوائرها ونشاطها ، ووراءها بريطانيا تعلن بصراحة كاملة أن مهمتها الرئيسية هي تشجيع الهجرة اليهودية ، وتسهيل انتقال الأراضي لليهود ، ووضع البلاد تحت ظروف تسهل إنشاء انتقال الوطن القومي اليهودي .

لقد أمضى الشقيري ، اثر نشوب ثورة البراق سنة 1929 ، بضعة أشهر وهو يكتب في جريدة ( مرآة الشرق ) عن المؤسسات اليهودية التي تؤلف بمجموعها شبكة الحياة الرئيسية للمجتمع اليهودي في زراعته وصناعته ، وفي مستعمراته وعصاباته ، وفي إعلامه وسياسته . وكان مقصده الدائم من وراء ذلك تعريف أبناء وطنه بهذا العدو الخطر ، ومحاولة تصحيح المسار الوطني ، والرغبة في الإفادة من كل ما يمد الحركة الوطنية بعناصر القوة والاستمرار ، ولو كان مأخوذاً من العدو . لهذا يتساءل : "لم لا تكون لنا جباية شعبية منظمة كما يفعل اليهود ؟ ولم لا تكون لنا (عربية عالمية ) و(إسلامية عالمية ) تمدنا ، وتقوي صمودنا وثباتنا في وطننا ، وتكون درعاً وحصناً لنا ، على غرار ما تفعل اليهودية العالمية في بناء الوطن القومي اليهودي و حمايته ورعايته ؟" (1) .

وهكذا كانت الحركة الصهيونية قوة عالمية منظمة ، قوة ديناميكية نامية متطورة ، متحركة مندفعة ، وكانت الحركة العربية تتراجع أمامها شبرا شبرا .

---

(1) أربعون عاما ، مصدر سابق ، ص ص 116-117 .

حتى مع تصاعد الحركة الوطنية في الثلاثينات ، لم يجد الشقيري جديداً، ولم يغير ظهور حزب الاستقلال رأيه هذا ، فقد ملك الحزب الفكر الصحيح والكلمة الشجاعة ، لكن الصهيونية كانت تملك شركات الأراضي والبنوك وأجهزة الدعاية والتنظيم الشعبي والجباية القومية.

ولمس الشقيري عدم التكافؤ في المعركة خلال سعيه لإنشاء المكتب العربي في واشنطن عام 1945. فقد كانت الصهيونية تعبئ كل قواها للمعركة المقبلة الحاسمة ، وتجد في الفوضى الأوروبية فرصة لاستدراار عطف العالم لتهجير اليهود إلى فلسطين وإقامة الدولة ، وتملك لتحقيق ذلك المال والخبرة، والقدرة على السيطرة على مفاتيح القوة في أوروبا وأمريكا ، في وقت فيه تعذر على الشقيري إيجاد مكان لائق بالمكتب في واشنطن أو نيويورك ، واحتار في إيجاد السبيل لتسجيل المكتب العربي في وزارة العدل الأمريكية ، وشح في يده المال وحجبت أخبار المكتب والحركة العربية عن وسائل الإعلام بتأثير النفوذ الصهيوني .

وكان الألم يعتصر فؤاد الشقيري كلما لمس هذا الفرق بين العرب والصهيونيين .

يقول في تعليقه على ما خرجت به لجنة التحقيق الدولية بعد اجتماعها في صوفر في 1947/7/22 بممثلي الحكومات العربية : " خرجت بقناعة أن

الشعب الفلسطيني لم يكن منظماً ولا مدرباً ولا مسلحاً ، وأن الدول العربية ليست جادة في معاداة أي اتجاه دولي لتقسيم فلسطين . وعلى النقيض ، لليهود جيش وثلاث عصابات قوية التسليح والتنظيم والتدريب <sup>(1)</sup> . وفي معرض الرد على التساؤل الذي كان يدور في أروقة الجامعة العربية بعد صدور قرار التقسيم عما سيحدث بعد خروج البريطانيين ، يصرّ لعبد الرحمن عزام الأمين العام للجامعة العربية قائلاً " إن الوكالة اليهودية قد أصبحت حكومة ، وإنه ليست للمجالس البلدية في المدن العربية ، أو المجالس المحلية في القرى القدرة للاضطلاع بأية مسؤولية ، وكذلك ليس لعرب فلسطين جهاز مركزي يقابل الوكالة اليهودية" <sup>(1)</sup> .

وكانت هذه الموازنات المرة تقفز إلى ذهنه دائماً ، ويسطرها قلمه في كل مناسبة، ولا سيما في سنوات عمله في الأمم المتحدة . يقول عن مباحثات لوزان ولجنة التوفيق عام 1949 ، " سافرنا الى الأمم المتحدة وحقيبة مليئة بالتقارير والمذكرات ... ذلك كله كان رأسمال القضية الفلسطينية ، عند شعب فلسطين وعند الدول العربية . وسافر وفد إسرائيل يرأسه شاريت يمثل واقعا إسرائيلياً معترفاً بها من عدد من الدول في مقدمتها الدول الأربع العظمى <sup>(2)</sup> . وكان يؤلمه عدم اشتراك وزراء الخارجية العرب في مناقشات القضية الفلسطينية في الأمم المتحدة

---

<sup>(1)</sup> أربعون عاما ، مصدر سابق ، ص 280.

<sup>(1)</sup> أربعون عاما ، مصدر سابق ، ص 283.

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه ، ص 315.

ولو مستمعين "على حين كان وزراء الخارجية الإسرائيلية لا يفترقون عن حضور الجلسات بأنفسهم ويتحدثون بأنفسهم ، ويحاورون، ويجادلون...." (3). ويعود ليسأل نفسه، عقب مشادة حادة مع وزير خارجية إسرائيل عام 1963: "أي معنى لهذا الحوار في الأمم المتحدة وقد امتد بيني وبين إسرائيل خمسة عشر عاماً طوالاً ؟ لقد مرّغت وجه إسرائيل في التراب في الأمم المتحدة، ولكنهم يمرغون وجوه العرب في الوطن" (1) .

ويقول لرئيس وزراء مصر ولقائد القوات الجوية إثر عدوان إسرائيل على سورية في السابع من نيسان / ابريل 1967: "... هذا هو الفرق بيننا و بين إسرائيل، إسرائيل عندها خطة واحدة تنفذها في اللحظة الحاسمة، و نحن نواجه اللحظة الحاسمة من غير خطة واحدة ولا قيادة واحدة" (2). ويردد مع تصاعد الأزمة التي سبقت عدوان الخامس من حزيران / يونيو 1967: "الحرب إرادة واستعداد ووحدة.. " ونحن لازلنا نفتقر إلى هذه العناصر الثلاثة، وهي متكاملة عند إسرائيل ". وملتفت معنفاً كل من اتهم إسرائيل بالمكر والخداع والغدر

---

(3) المصدر نفسه ، ، ص39.

(1) المصدر السابق، ص 501.

(2) الهزيمة الكبرى، ج1، ص 30.

والمباغطة في عدوان الخامس من حزيران، فيقول: ". وليس لنا أن نشكو من ذلك، فمنذ عهد الحجارة إلى عهد الصواريخ والحرب غدر وخداع"<sup>(3)</sup>.

ولم يكن الشقيري في هذا مثل نفر من السليبيين المتقاعسين، الذين لا همّ لهم إلا التتقيب عن العيوب والكشف عن العورات، ولوك الكلمات بما يملأ النفوس إحباطاً ويدفعها نحو التخاذل و المزيد من الانهزامية. لقد كانت موازنته الدائمة من موقع المسؤولية الإيجابية، ومن قلب النضال العملي، ومن باب معرفة العدو وعدم الشعور بأي ضير في التعلم منه. لذلك نراه دائم الإلحاح على هذا الجانب، كثير الدعوة إلى الأخذ والتعلم من العدو ودراسة أساليبه الناجحة في تنفيذ وتحقيق مشاريعه، ها هو يدقق ملياً في خطاب مندوب إسرائيل في مؤتمر جنيف عام 1973، ويقول: "إنه لم يكن عفويا، بل خطاباً مكتوباً مدروساً، أعدّه عالم فاهم..ولذا إذا كان شعار (إعرف عدوك) ينبغي أن يعلقه كل مواطن عربي قلادة في عنقه من المهد إلى اللحد، فلنجعل هذا الشعار (إعرف عدوك العالم الفاهم) ومن هنا كان الفصل مكرّساً للمواطن العربي ليعرف عدوه معرفة العلم والفهم. وبهذا تصبح مواقفنا الوطنية أشد رسوخاً، وأصلب عوداً"<sup>(1)</sup>.

---

(3) المصدر السابق، ج 1، ص 267.

(1) الطريق إلى جنيف، مصدر سابق، ص 247.





## فلسطين في القلب



## المحب المستهام

---

" لقد أتاحت لي أسفاري الكثيرة أن أرى أجمل ما في هذه الدنيا من مشاهد رائعة، ولكنني كنت دائماً أقيس وأفاضل وأشبهه، فأرى أن بقاع الجليل ، من شواطئ عكا إلى جبال صنف ، إلى وهاد طبرية ، إلى روابي الناصرة، أجمل ما في هذا الوجود، وأبدع ما في هذا الوجود، وأبدع ما في هذا الوجود، ومن هنا صنع السيد المسيح أعجز معجزاته وأرفع عظاته "(1).

تلك كلمات الشقيري التي كان يعبر بها ،وبكثير من أمثالها في مختلف المناسبات، عن حبه لفلسطين، وتعلقه بها، وشغفه بكل بقعة من بقاعها. ها هو حين يكتب مذكراته، ويرجع إلى أول رحله له إلى القدس يصف جمال طبيعة فلسطين، ويكرر عبارات الحب نفسها ، وتحس معها أن روحه ما زالت معلقة

---

(1) أربعون عاما، مصدر سابق، ص 142.

هناك، رهينة تراب الوطن، وأسيرة مفاتنه: "ولقد أخذت بهذا الجمال وأنا أسلك ذلك الطريق لأول مرة في حياتي .وما سلكته مرة إلا رأيت صفحة جديدة من الجمال الرائع الفتان... ولقد قدر لي في أسفاري أن أشهد مواطن بارعة ومفاتن رائعة في هذه الدنيا ولكنني كنت على الدوام أرى أن هذا الطريق من إلى بيت المقدس وما حوله من المدن والقرى والهضاب والوديان، والمروج والجبال، والزرور والضروع، أروع جمالاً وأرفع حسناً"<sup>(1)</sup>.

وكان دائم الحنين إلى الوطن، تفيض نفسه بالمشاعر شوقاً إلى مرابع الصبا، وتهتز عاطفته وهي تتطلع إلى لقاء بلده وأرضه ، فيحلق في سموات الخيال وتجنح به أحاسيسه إلى ما يشبه الشعر، رقةً وانفعالاً وتصويراً ، إنه يقف على شاطئ البحر المتوسط في ليبيا عام 1954، فيناجي مياهه التي تحضن شواطئ فلسطين وثغورها. ولكن الواقع الأليم يرده إلى أرض الألم والغربة والتشرد، فيقول: "ويا تعاسة الذين يرزقون الخيال المرهف ، تكاد جوارحهم أن تلامس الأشياء وهم في دنيا الرؤى والأحلام .ولكن ما أبعد الواقع عن الذكريات وعن التمنيات"<sup>(2)</sup>.

وعندما يتذكر وقفته أمام قبري والده وأخيه عام 1940، يقول : "إن عكا في إسرائيل، ولا أعلم ما جرى للضريحين، وقد كانا يانعين بالأزهار، ناعمين

---

<sup>(1)</sup> أربعون عاماً، مصدر سابق، ص 101.

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه، ص 372.

بالظلال، وأحسب أنهما الآن وسط قفر يباب، وعالم خراب . وكذلك حال شعبنا بأسره، وحال مقابر الآباء ومضاجع الأجداد".

ورأى في مشاعره الدافقة على أبواب حرب 1967 صورة موجزة عن الشعور الشعبي في كل صقع، بل هو أكثر عمقا في الخيام حيث ينتظر النازحون أن يسارعوا إلى رحلة العودة إلى فلسطين " ليعفروا جباههم في ترابها ،ويلثموا أديمها قبل أن ينزل بهم القضاء والقدر بعيداً عن مرابع الوطن"<sup>(1)</sup>. ويصف هذا الشعور عنده في اليوم الأخير الذي قضاه في القدس قبل كارثة 1967 فيقول : "علّلت النفس أن يوم النصر قريب، وأننا على موعد مع التحرير ، وأن العودة إلى الوطن السليب آتية لاريب فيها، وأن مسيرتي إلى عكا، بلدتي الحبيبة، ستكون خاتمة المطاف بعد أربعين عاماً من حياة العناء والكفاح، وهناك سأستريح أقرأ وأكتب... "<sup>(2)</sup>.

ذلك حلمه الذي حضنه سنوات النفي والتشرد يراه اليوم يكاد يتحقق. لكن الأمل بالعودة ينتابه التخوف والقلق حين تصل مسامعه أخبار الهجوم الجوي على مصر صبيحة الخامس من حزيران، فيقول: "وأنا عليم بظروفنا العسكرية المخلخلة لم أكن أتوقع هزيمة ساحقة، وكل ما كنت أخشاه أن تنتهي الحرب

---

(1) الهزيمة الكبرى، مصدر سابق، ج1، ص100.

(2) المصدر نفسه، ص256.

بخسائر متعادلة ، ويتأجل أمل التحرير سنوات أخرى تضاف إلى العشرين سنة الماضية".<sup>(1)</sup>

كان على يقين من أن حلم العودة لا محالة، وأن الأمل المنشود حاصل بلا ريب، لكنه يخشى أن يمضي الزمن، فيتأخر موعد اللقاء بأرض فلسطين الحبيبة . لهذا كانت الصدمة كبيرة عليه، وعلى غيره من أبناء فلسطين، "ولقد سقطت هذه البقاع كلها في يد إسرائيل في حرب حزيران 1967 كما سقطت شقيقتها قبل حرب 1984، فغدونا نراها في منامنا وأحلامنا فردوسنا المنشود، بل فردوسنا المفقود- ولكن إلى حين ".<sup>(2)</sup>

وتعجّر حرب رمضان في 1973 كل الشوق والحنين إلى الوطن في نفس الشقيري فيقول: "عاشت الأمة العربية حقبة الظلام هذه وهي تلتهمس الفجر، كل عام، وكل شهر، وكل يوم.. بل وكل ساعة من اليوم. وراحت الأمة تعدّ الأيام، وتحسب الأعوام، وكأنها تروض ذاكرتها على الحساب... إلى أن بزغ الفجر أخيراً بعد خمسة وعشرين عاماً، و خمسة شهور، واثنين وعشرين يوماً، وذلك الحساب منذ صباح الكارثة إياها.. في الرابع عشر من مايو من عام 1948. ويابئس ذلك الصباح. وليست هذه الأرقام حسابية تستهدف اللهو والتسلية ، بل إنها ليست من أجل عيون التاريخ، ولكنها لواعج المحبين وهم يحسبون يوم اللقاء ساعة بساعة

---

<sup>(1)</sup> الهزيمة الكبرى، مصدر سابق، ج ١، عن 266

<sup>(2)</sup> أربعون عاماً، مصدر سابق، ص 101.

، ناهيك عن حب الوطن، وهو أرفع مراتب العشق الإنساني، يستشهد المرء في سبيله وهو في كامل عقله، ولا ينتحر لفقده وهو في غمرة جنونه، كحال المحبين المدنفين. ومن أجل ذلك فلا غرابة أن يقضي عاشق الوطن أيامه ولياليه وهو يحسب.. ويحسب، فتلك سمات العشق والحنين إلى الوطن، والشوق إلى المربع، والثورة على الاحتلال، والتأثر للكرامة، وفوق ذلك فإنها استجابة حميمة لاستغاثة الماضي، وصرخة الحاضر، ولهفة المستقبل<sup>(1)</sup>.

## فلسطين قلب العرب

---

ما فتئ الشقيري يدلل في كل ما كتب وخطب على مكانة فلسطين وسط العالم العربي. وكان يعود إلى التاريخ يستقرئه ليثبت هذه المكانة لها . لقد كانت

---

(1) الطريق إلى جنيف، مصدر سابق، ص ص 133 - 134.



فلسطين أول ما دخل في حوزة الفتح العربي الإسلامي، وعلى أرضها جرت موقعة اليرموك. ويعدّ الشقيري ميثاق عُمر لأهل القدس أقدم ميثاق دولي حيّ، و عهده هذا حجة لنا بأن الحكم العربي كان قادراً على حماية الأماكن المقدسة، التي ظلت بين أيدي سدنتها العرب محفوفة بالرعاية والتقدير.

وقد بقيت فلسطين، خلال العهود الإسلامية المتعاقبة، على عروبتها، تشارك العالم العربي مصيره. وحافظ أهلها على خصائصهم القومية على مرّ الزمن. وكانت فلسطين خلال ذلك كله جزءاً من ديار الشام، وأحد أقسامها الإدارية. ولم تؤلف وحدة سياسية منفصلة إلا منذ نهاية الحرب العالمية الأولى، حين حلتّ التجزئة بالعالم العربي بعد هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى. وبدأت فلسطين تتخذ وضعاً خاصاً وأصبحت هدفاً للاستيطان الصهيوني، فتفردت باهتمام عربي خاص، لأن الحركة الصهيونية رمت لانتزاع إقليم ذي مكانة فريدة في الوطن العربي، وللوقوف في وجه تطلعات الحركة العربية الناشئة. ولعل مكانة فلسطين في قلب الوطن العربي، وكونها صلة الوصل بين شطريه الآسيوي والإفريقي. يفسر خطر إنشاء إسرائيل وسط هذا الوطن.

وغدت فلسطين، منذ أن أصبحت قضية، "كالهواء في كل مكان وزمان، وهي في كل عاصمة عربية بمشاكلها ومتاعبها،"<sup>(1)</sup>. واكتسب الشقيري من تجربة

---

<sup>(1)</sup> الهزيمة الكبرى، مصدر سابق، ج1، ص 38.

عمله السياسي في القضية الفلسطينية سنوات طويلة ما جعله يقول عنها إنها أصبحت "القنبلة الصاروخية التي تساقطت شظاياها في عدد من العواصم العربية، فأحدثت الثورات والانقلابات والانتفاضات.."<sup>(2)</sup>. ولقد كانت فلسطين وراء الأحداث التي كانت تموج بها كثير من الأقطار العربية في الخمسينات. وكانت معظم الانقلابات والثورات تعبيراً عن معنى كبير، هو الثأر لشرف الأمة العربية الذي أهين في فلسطين، وأصبحت "قضية فلسطين هي شعار الحكم لكل حاكم، وديباجة البلاغ الأول في أي انقلاب تصحو الجماهير العربية"<sup>(1)</sup>

لكن عروبة القضية الفلسطينية كانت عند أحمد الشقيري نقمة ونعمة؛ "فهي نقمة لأنها قضية الأمة العربية على صعيد الجماهير، ونقمة لأنها قضية الحكومات على صعيد الملوك والأمراء والرؤساء"<sup>(2)</sup>.

---

<sup>(2)</sup> أربعون عاماً، مصدر سابق، المقدمة.

<sup>(1)</sup> أربعون عاماً، مصدر سابق، ص 243.

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه، 424.

فلسطين ..

ولواء الوحدة في يدها \_\_\_\_\_

يؤكد الشقيري في كل ما كتب وقال ، أن فلسطين ضحية التجزئة ،  
وشعبها أكثر الشعوب العربية تعلقا بالوحدة وسعيا لتحقيقها . وإذا كان بلاء

التجزئة قد وقع، بشكل عام، على الأمة العربية، فإن ما أنزلته التجزئة بفلسطين ، وطننا وشعبنا، تعدى خطوة حدود فلسطين وشعبها إلى الوطن العربي كله وإلى الأمة العربية جمعاء. وأصبحت هذه الأمة تواجه ثلاثة أخطار: انسلاخ فلسطين عن الوطن العربي، انسلاخ الأقطار العربية بعضها عن بعض، وقيام إسرائيل وسط الوطن العربي مهددة وجود الأمة العربية. والشعب الفلسطيني "كان أسبق الشعوب العربية لإدراك هذه الأخطار لأنه كان الضحية الأولى التي استهدفها الاستعمار والصهيونية، فكان أكثر وعياً بخطر التجزئة، وأشد سعيًا لتحقيق الوحدة".<sup>(1)</sup>

ويستعرض الشقيري تاريخ النضال الفلسطيني من زاوية النضال من أجل الوحدة ومواجهة خطر التجزئة، والارتباط العضوي بين الوحدة وقضية فلسطين، فيذكر كيف وضحت المعادلة البسيطة منذ عام 1919 حين كان الاستعمار والصهيونية يعملان على فصل فلسطين عن سورية" لأن الحلفاء كانوا يدركون تماماً أن إنشاء دولة يهودية في فلسطين أمر لا يمكن مادامت سورية قائمة في مجموعها موحدة مستقلة. ولهذا كان لابد، في رأيهم، من هذه التجزئة كخطوة أولى لتحقيق إنشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين. ومن هنا كانت التجزئة أول البلاء الذي نزل بالعرب في أعقاب الحرب الأولى"<sup>(2)</sup>.

---

<sup>(1)</sup> علم واحد، مصدر سابق، 312.

<sup>(2)</sup> محاضرات في قضية فلسطين، مصدر سابق، ص 71.

لهذا أخذت الحركة الوطنية الفلسطينية تناضل من أجل الوحدة مع سورية، ورفعت شعار ( من طوروس إلى رفح) حتى يستطيع عرب فلسطين وسورية معا مقاومة الصهيونية والهجرة. وهكذا يقول الشقيري: "الوحدة العربية لم تعد عزةً ومجداً، بل خلاصاً وإنقاذاً .. أن نبقي كشعب أولاً نبقي... الوحدة هي الفاصل بين البقاء والفناء"<sup>(1)</sup>. وهذا ما أدركته الحركة الصهيونية منذ البداية. ويؤكد الشقيري أن الجيل العربي السابق كان مستميتاً في مناهضة الصهيونية والتجزئة لأنه كان يرى بفراسته وبصيرته النافذة الترابط العضوي بينهما، وكان هذا الجيل يخاطب التاريخ كأنه يراه ببصيرته الحية. ولم يكن مطلب الوحدة عند الشعب شعاراً يردده في المناسبات الوطنية، ولكنه أصبح جزءاً من الميثاق الوطني ، وسعياً عاماً يشمل جميع الطبقات الكادحة لأنها رأت في الوحدة الطريق لخلاص الوطن من الصهيونية. وقد استمرت قضية الوحدة نابضة بالحياة، تراقف الكفاح الوطني في مراحل. يقول الشقيري: "وأحسست وجيلي بهذا التفاعل بيننا وبين الوحدة، وواكبنا مسيرتها شباباً ورجالاً. كنا نرى استقلالنا واستقلال اخواننا من حولنا نهاية الاحتلال وبداية الوحدة.. " تضامن وتعاطف فيما بيننا، وتمجيد أبطال العروبة.. ثورة مصر ثورتنا، ثورة الخطابي وعمر المختار.. وجداننا كان دائماً مع الوطن العربي بأسره ومع الأمة العربية بأسرها"<sup>(2)</sup>. وهكذا أصبحت

---

(1) حوار وأسرار، مصدر سابق، ص 1.

(2) المصدر نفسه، ص ص 38-40.

القضية من أكبر حوافز الوحدة العربية ،كما أصبحت الثورات الفلسطينية زخما يضيء مشعل الوحدة، وبرز الشعور الواحد إزاء القضية وتحول إلى نضال واحد.

ويمضي الشقيري قدما في استقراء تاريخ النضال الوطني بين الحريين، فيرى أن الشعب العربي في تلك الفترة مضى- بعيدا عن القادة- يعمل للوحدة من غير مؤتمر ولا ميثاق؛ ساحة الوحدة أرض فلسطين، والوسيلة هي الثورة بالسلح، لأن الشعب مصمم على الوحدة. ويروي كيف شهدت فلسطين منذ عام 1930 وحتى عام 1940 طلائع الوحدة وهي تقاتل بالسلح، وتوافد المجاهدين العرب إلى فلسطين لمحاربة الصهيونية باعتبارها إسغينا يفصل مشرق الأمة عن مغربها، و يعمل على إشغالها عن وحدتها، و سقط عدد منهم شهداء في ظل راية الوحدة، " سقط هؤلاء الشهداء، لكن راية الوحدة لم تسقط ... مضى جيلنا العربي يحملها على أكتافه في كل بلد حسب ظروفه وأحواله"<sup>(1)</sup>. وكان الجواب الدائم عن الحل المقترح لقضية فلسطين هو الاستقلال التام في إطار الوحدة العربية.

وتوقف كفاح شعب فلسطين المسلح مع نشوب الحرب العالمية الثانية ، ورقدت الدعوة إلى الوحدة العربية . ثم بدأ التحرك العربي مع قرب انتهاء الحرب لتوحيد الصفوف وتنسيق السياسة العربية لمواجهة مستقبل مابعد الحرب ،واتفقت

---

<sup>(1)</sup> حوار وأسرار، مصدر سابق، ص ص44- 45.

الكلمة على عقد اجتماع تحضيرى في الإسكندرية لوضع الأسس اللازمة لموضوع الوحدة العربية، وقد تابع الشعب الفلسطيني ذلك باهتمام وفرحة. ويصف الشقيري ذلك بقوله: "إذا كانت تلك الخطوة العربية ضرورية للدول العربية، فقد كانت لنا، نحن شعب فلسطين، أعظم وأهم ، ذلك أننا كنا نعيش في فراغ وطني... لا نشاط ولا قيادة.. والعدو يعبئ كل طاقاته في ميدان المعركة ونحن هدف هذه المعركة مصيراً ووجوداً. لقد كانت قضية فلسطين هي التي تنادى أقطاب العرب من أجلها، بل هي اللغة المشتركة الوحيدة التي يستطيعون أن يتحدثوا بها، وأراد شعب فلسطين أن يعرف مكانه ودوره في اجتماعات الإسكندرية، وطالب بأن يكون له ممثل في اجتماعات الإسكندرية ليشرح للقادة العرب الخطورة التي بلغتها قضية فلسطين وما حققته الصهيونية من إنجازات"<sup>(1)</sup>. ويذكر الشقيري كيف كان شعب فلسطين كله ينصت إلى ما تحمله وكالات الأنباء من تصريحات زعماء العرب لبحث "المصير الواحد". ويذكر دعوات "يارب حقق آمالنا" التي كان يرددتها الفلسطينيون وهم يستمعون إلى موسى العلمي وهو يروي لهم خلاصة ما جرى في المباحثات العربية، والتي حضرها ممثلاً لفلسطين.

---

(1) أربعون عاماً، مصدر سابق، ص 203.

وقد حمل أبناء فلسطين شعار الوحدة معهم إلى مهاجرهم بعد وقوع كارثة 1948" واستمر التفاعل بين ظاهرتي التحرر والوحدة . وكان النضال على الساحتين هو الذي يقرر أيهما أولاً: الوحدة أم التحرير" (2).

وحرص الشقيري ، عند قيام منظمة التحرير، على إبراز الوحدة العربية في صلب الميثاق القومي في أكثر من مادة؛ فقد تحدثت المادة الأولى عن عروبة ، وبيّنت أن " فلسطين وطن عربي تجمعها روابط القومية العربية بسائر الأقطار العربية التي تؤلف معها الوطن العربي الكبير ". وجاء في المادة الثالثة أن الشعب العربي الفلسطيني "جزء لا يتجزأ من الأمة العربية، يشترك في آمالها وآلامها ، وفي كفاحها من أجل الحرية والسيادة والتقدم والوحدة "، وأو ضحت المادة الثانية عشرة العلاقة بين الوحدة العربية وتحرير فلسطين، وهي تنص أن "الوحدة العربية وتحرير فلسطين، هدفان متكاملان يهيئ الواحد منهما تحقيق الآخر، فالوحدة العربية تؤدي إلى تحرير فلسطين ، وتحرير فلسطين يؤدي إلى الوحدة العربية، والعمل لهما يسير جنباً إلى جنب".

---

(2) علم وحد، مصدر سابق، ص 311.



## شعب فلسطين ..

### مسيرة كفاح وتاريخ نضال

---

آمن الشقيري إيماناً لا يتزعزع بقدرات الشعب الفلسطيني ، وامتألت نفسه، منذ البدايه وحتى النهاية ، بمشاعر الإكبار لكفاح هذا الشعب والاعتزاز ببطولاته. فنتبع كفاحه منذ أن كان مشاعر قلق وعرائض استنكار إلى أن غدا كفاحاً مسلحاً وتفتجر ثورات متلاحقة، تقدم في كل حين الشهداء قوافل إثر قوافل ، تروّي تراب الوطن المقدس بدمائها الطاهرة.

لقد كان التفوق الصهيوني طاغياً ، (ولو كان للحقائق الحسابية العلمية أن تقرر المصير، لوجب أن يقوم الوطن القومي اليهودي، ومعه إسرائيل في سنوات

قليات، لا بعد ثلاثين عاماً كما تم في 1948. ولكن أصالة الشعب العربي الفلسطيني وعراقته ووطنيته الفطرية هي التي تغلبت على تلك الحقائق، وصمد الشعب الفلسطيني ثلاثين عاماً يقاوم ويغالب إلى أن جاءت الكوارث العسكرية العربية 1956، 1976، 1948، وكان أن وقع وطننا كله تحت الاحتلال ، وأصبح شعبنا بين أسير، ونازح، وشريد ، وشهيد<sup>(1)</sup> .

ذلك رأي الشقيري بالشعب، وإيمانه بقدراته وبدوره العظيم. وقد كان عنده الأساس في كل ما مضى من مراحل الكفاح . ولا بد أن يظل مركز الاهتمام، ومصب كل خطة ترسم للتحريك . لهذا امتلأت آثار الشقيري بقصص بطولات الشعب الفلسطيني، وعرضت صفحاتها الكثيرة تاريخ كفاحه، وتتبع أطوار نضاله، وكان الشعب دائماً نصب عينيه حين تولى مسؤولية القيادة في منظمة التحرير .

يذكر الشقيري بدايات الحركة الوطنية في مدينته عكا إثر انتهاء الحرب العالمية الأولى ، وتزايد مشاعر القلق التي أثارها أخبار الصحف عن الهجرة اليهودية، ويرى الشقيري ذلك الأمر في عكا وغيرها من مدن فلسطين (( أول تحرك سياسي في مقاومة الحركة الصهيونية وإنشاء الوطن القومي اليهودي))<sup>(2)</sup>.

---

<sup>(1)</sup> أربعون عاماً، مصدر سابق، ص 106.

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه، ص 52.

ويذكر أيضا كيف كان الشباب والرجال يطوفون بالأسواق يحملون بأيديهم العرائض، ويدعون المارة وأصحاب لتوقيعها. وكان من العرائض ما يفوض بعض أعيان المدينة لتمثيل عكا في المؤتمر السوري الذي عقد في دمشق في 8/ 6/ 1919، وقرر وحدة البلاد السورية واستنكار الحركة الصهيونية. وكان منها ما يحتج على وعد بلفور، أو يفوض ممثلين عن المدينة لحضور الاجتماعات الوطنية في القدس وغيرها، أو يطالب اللجان الدولية التي كانت ترد إلى فلسطين بالاستقلال.

وكان الشقيري واحداً من تلاميذ المدارس الذين انتقلت إليهم الحركة الوطنية، فغدوا يجتمعون حلقات يرددون فيها ما يسمعون في بيوتهم عن هجرة اليهود إلى البلاد، ومشروعاتهم للاستيلاء على فلسطين. ويقول الشقيري عن قرار اتخذه في طفولتهم بالتصدي لأولاد اليهود انه "يمثل في حوافزه العميقة بداية الصراع الطويل الذي خاضه شعب فلسطين لثلاثين عاما متعاقبة... وكان ذلك القرار، حقاً، بداية الكفاح الوطني في براعمه الأولى، فما كان يجري في عكا نفسها كان يجري في فلسطين كلها، بمدنها وقراها.. وأصبحنا، نحن الأطفال، رجال فلسطين الذين حملوا راية الكفاح في عهد الانتداب البريطاني، وبعده"<sup>(1)</sup>.

---

(1) أربعون عاما، مصدر سابق، ص 53.

وتظل صور بطولات الشعب وأحداث نضاله ماثلة في ذاكرة الشقيري إلى آخر عمره لا تمحى ، يروي بعضها في كتبه الكثيرة ، ويحدث بها في كل مناسبة، ويستمد منها العزيمة الصادقة والإيمان القوي بقدرات الشعب وصموده . وهو يسرد في مذكراته أخبار الحركة الوطنية منذ مطلع العشرينات لمقاومة وعد بلفور والهجرة اليهودية، ويصور حماسة الشعب في مدينة عكا حين وصلتته أخبار مقاومة بحارة يافا المسلحة لنزول المهاجرين اليهود الى شواطئ مدينتهم، ويتحدث عن إنشاء الجمعية الإسلامية المسيحية في مدينته على غرار ما جرى في سائر المدن، ويستعيد ذكرى المقاومة السليبية التي قام بها أبناء عكا كبارا وصغارا حين زار مدينتهم المندوب السامي هربرت صموئيل، ويتذكر مروره، في شوارع المدينة والناس في المقاهي والبيوت لا يكثرثون به تعبيرا عن استنكارهم، ويروي كيف هرب التلاميذ من مدارسهم حتى لا يجبروا على الاحتفال بالمندوب السامي واستقباله ووداعه. فكان ذلك "رمزا للتضامن الشعبي على الكفاح الوطني الذي خاضه شعب فلسطين عبر ثلاثين عاما"<sup>(1)</sup>.

وفي ربيع عام 1925 أثارت خواطر الناس زيارة بلفور لبيت المقدس بمناسبة افتتاح الجامعة العبرية، وآلمهم أن يروا في وطنهم ذلك الوزير البريطاني الذي صدر باسمه التصريح بإنشاء الوطن القومي اليهودي. ويحدث الشقيري بما قام به تلاميذ المدارس آنذاك، وكيف اتصلوا برفاقهم في المعاهد الأخرى للإعراب

---

<sup>(1)</sup> أربعون عاما، مصدر سابق، ص 68.

عن استنكارهم للزيارة البغيضة، ويصور مدينة القدس ورفع الأعلام السوداء، ورفض إدارة الأوقاف السماح لبلفور بزيارة الحرم . وفي معرض الحديث عن نضال الشعب الفلسطيني ووعيه ينقل الشقيري فقرة وردت في تقرير لجنة شو عام 1929 تتص على "أن الفلاحين العرب مهتمون اهتماماً حقيقياً وشخصياً بسياسة الوطن القومي اليهودي ، وانهم يهتمون بالأمور السياسية أكثر بكثير من أهالي أوروبا" <sup>(1)</sup> فيعلق على تلك الفقرة قائلاً : " لقد أنصفهم التقرير في (الوطن) وفي (البراق)، وفي حق تقرير المصير، وأنصفهم في الكشف عن طغيان الصهيونية وأطماعها " <sup>(2)</sup>.

وكان إجلاء عرب الحوارث فصلاً من فصول كفاح هذا الشعب ضد الاستعمار والصهيونية. ويملاً الأسى نفس الشقيري بهذا الشأن ، ويلوم القيادة الوطنية لأنها لم تملك لعرب الحوارث إلا التعزية والمواساة، فأجلوا "ليكونوا قافلة من قوافل الجلاء عن أرض الآباء والأجداد. ولم يكن تشريدهم الطليعة الأولى في قافلة لتشريد ، سبقتة ولحقته حملات رهيبة من التشريد، كان الفلاحون الكادحون ضحاياها الأليمة " <sup>(3)</sup>.

---

<sup>(1)</sup> أربعون عاماً، مصدر سابق، ص 121.

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه، 121.

<sup>(3)</sup> المصدر نفسه ، ص 130 .

وقد وجد الشقيري في حركة القسام "أول مواجهة مسلحة جريئة لسلطة الانتداب البريطاني"، وكان الشعب مع حركة القسام لأنها عبرت عن مشاعره الوطنية في وقت كان يفتقر فيه إلى القيادة الثائرة المثيرة" وقد أخذ الشعب، منذ أواسط الثلاثينات، يتحفز للثورة، فكانت ((ثورة شعبية قادها الشعب بادئ ذي بدء، وقاد معه القيادة الوطنية<sup>(1)</sup> على حد قول الشقيري . وكان إضراب 1936 "غضبة شعبية تريد أن تعبر عن ذاتها، وتتفلس عن مكنونات نفسها"<sup>(2)</sup>. ولا ريب في أن الشقيري وغيره من رجالات قيادة الحركة الوطنية قد أدوا واجبهم في تمهيد الطريق أمام الثورة المجيدة، لكن الشقيري مؤمن بأن "الفضل كان لشعبنا الأصيل، فهو الذي (قاد) الحركة أولاً ومن بعده تألفت القيادة، ومن بعده تحركت القيادة. ولكن الزمام بقي بيد الشعب على الدوام، فهو الذي حمل السلاح، ومعه سقط الشهداء"<sup>(3)</sup>. ويتابع الشقيري التعبير عن إيمانه بالشعب واعتزازه بصموده، فيقول: "انطلق الشعب بعفويته الأصيلة مع استمراره بالإضراب، يقوم بالنضال المسلح، وتألفت في المدن والقرى (عصابات)، لتعمل قدر ظروفها وقدراتها، تغذيها اللجان القومية"<sup>(4)</sup>، وعلى الرغم مما اتخذته السلطات البريطانية من

---

(1) أربعون عاماً، مصدر سابق، ص 149 .

(2) المصدر نفسه، ص 151.

(3) المصدر نفسه، ص 152.

(4) المصدر نفسه، ص 155.

إجراءات ظالمة ظل الشعب "صامداً لا تنتهيه الإجراءات التعسفية والأحكام العرفية عن مسيرته"<sup>(5)</sup>.

كان الشعب - في نظر الشقيري - هو البطل المكافح والمضحى السخي ، والمناضل الثابت الصابر . ويحيي صبره وتحمله جميع أنواع التضحية ، وقيام جميع أبنائه بدورهم في المعركة ، أنه يرى في الإضراب الكبير عام 1936 مثلاً فريداً من أمثلة الكفاح الإنساني فيكتب في مذكراته: "ونزل هذا الإضراب في تاريخ الكفاح الإنساني ، لا مثيل له في شموله واستمراره، منذ كان الكفاح الإنساني ، وما أظن أن إضراباً في العالم سيجاريه أو يدانيه"<sup>(1)</sup>.

والشعب عند الشقيري سليم في حكمه، تسيره فطرته السليمة، وهو يحترم رأيه وحكمه ، ويقدر متابعته النضال عام 1937 بعد أن ستندد وسائل الاحتجاج والاستنكار، واستشعر بواحد التأييد العاطفي تنهال عليه من العالمين العربي والإسلامي ، وفي رأيه أن المجاهدين من عصبة القسام وغيرهم قد تشاوروا فيما بينهم، وتعاهدوا على النضال من غير أن يكون للجنة العربية العليا يد من قريب أو من بعيد ، "فقد أيقنوا أن العمل السياسي فاشل لا محالة إذا لم تدعمه قوة السلاح ، وأيقنوا أن النضال المسلح يجب أن يبدأه شعب فلسطين، وعلى

---

<sup>(5)</sup> المصدر نفسه ، 156.

<sup>(1)</sup> أربعون عاماً، مصدر سابق، ص 157.

أرض فلسطين ، وأيقنوا أن اللجنة العربية العليا تقاد ولا تقود، ولا بد أن توضع أمام الأمر الواقع ،لتخرج من المكاتب والدوائر إلى الميدان، ميدان الشعب والنضال... ولم يكن هؤلاء من المثقفين العارفين بالأمور السياسية ومضاعفاتها، سواء في الوطن العربي ، أو في العالم الدولي ، ولكنهم كانوا عصابة مؤمنة، وقد أدركوا بفطرتهم السليمة أن فريضة الجهاد قد اقترب موعدها، وأن الجهاد ليس في حاجة إلى (ترخيص ) أو مشورة من اللجنة العربية العليا أو من الملوك والأمراء .

وهب الإخوان القساميون إلى كهوفهم ومغاورهم ينبشون ما طمروا من السلاح والعتاد يوم وقف الإضراب والثورة. وماهي إلا أيام كان شعبنا كله تحت السلاح <sup>(1)</sup>. ويلخص الشقيري رأيه في ثورة 1936-1939 بأنها في بدايتها كانت "انفجارا شعبيا ذاتيا، يجهز المناضلون أنفسهم بأنفسهم سلاحا وعتادا وتموينا حتى إذا اشتعلت الثورة أخذت اللجنة العربية العليا بمساندتها من بيروت ودمشق <sup>(2)</sup> .

هكذا كان إيمان الشقيري بالشعب المكافح الثائر، وذلك كان رأيه في ثورته التي كان القساميون طلائعها. وقد ظل هذا الإيمان ثابتاً، والرأي قائماً لا يتغير، فهذا الشعب الفلسطيني يتهيأ للمعركة قبيل قرار التقسيم عام 1947، ويذهب الكثيرون من أبنائه عن السلاح بأي ثمن، واصطياده جديداً وقديماً في

---

<sup>(1)</sup> أربعون عاما، مصدر سابق، ص 172.

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه، ص 188 .



لبنان وسوريه ومصر، " انهم يريدون أن يعودوا إلى الوطن والسلاح على أكتافهم، ليخوضوا غمار الجهاد"<sup>(1)</sup>.

وسادت أجواء الحرب في أعقاب التقسيم، وازداد النشاط في ميدان التسليح والتدريب، ولم يعد للشعب، بعد إعلان بريطانيا الانسحاب، إلا أن يدافع عن وجوده، والتحق أبناؤه بمعسكرات التدريب في ضواحي دمشق لاعداد جيش الإنقاذ. ويسرد الشقيري أعمال المجاهدين البطولية، ويصف روحهم المعنوية العالية، ومعاركهم الدامية التي خاضوها مع العصابات الصهيونية. وكان هدفه من عرض شريط الكفاح الدامي الذي نهض بأعبائه شعب فلسطين خلال الانتداب، أن يعرف الحكم العربي المعاصر بجهاد شعب فلسطين وبطولاته، لأن هذا الحكم المعاصر "يحسب أن في النضال القومي قد بدأ بسيادته.. ولا يعرف مواقف المناضلين السابقين، ومنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً"<sup>(2)</sup>.

وقد حمل الشقيري هذا الإيمان بالشعب والاعتزاز ببطولاته وقدراته في مرحلة (الغربة) فلم تفتقر حماسته في إبراز هذا الإيمان في كل مناسبة. كان تطلع الشعب الفلسطيني بعد النكبة للعودة، وتوثبه للنضال واستعداده للتضحية تملأ نفس الشقيري، فينقل ذلك إلى كل اجتماع ومؤتمر، ويؤكد من على كل منبر،

---

<sup>(1)</sup> المصدر نفسه، ص 284.

<sup>(2)</sup> الطريق إلى جنيف، مصدر سابق، ص 211.

ها هو يشرح ذلك لأبناء تونس حين شارك في احتفالات الجلاء عن بنزرت عام 1963، ويصور تحفز الشعب الفلسطيني للقيام بدوره في تنظيم صفوفه والعمل لتحرير وطنه. وهاهو يطلب من الرؤساء العرب في مؤتمر القمة الأول أن يكون مؤتمرهم لقضية فلسطين لا لمسألة الروافد. ويبيدي لهم استعداد الشعب الفلسطيني. لتدمير المنشآت الإسرائيلية التي تعمل في التحويل.

ولم يكن هذا الرأي كلاماً مبنياً على الوهم والمبالغة، بل مبنياً على واقع لمسه الشقيري وآمن به عن معرفة بتاريخ هذا الشعب، ومعايشة لمراحل نضاله، ومتابعة لواقعه المشرّد الممزق. لقد وجد الشعب الفلسطيني، خلال المساعي التي قام بها من أجل تنظيم الكيان الفلسطيني عام 1964، وجده في كل مكان يطالب بالسلاح، ولا يرى بديلاً من الكفاح المسلح سبيلاً لتحرير الأرض. من أمثلة ذلك ما حدث في غزة قبيل انعقاد المجلس الوطني الأول، لما أعد معسكراً في النصيرات لتدريب المتطوعين على القتال، فقد سرى النبا بين جموع الطلاب والشباب، فسارعوا إلى التطوع وأقبلوا على المعسكر، حتى غدا قطاع غزة في يوم 20/4/1964 في أفراح وأعياد لا تزيد عنها في روعتها وبهجتها إلا أيام التحرير<sup>(1)</sup>.

---

<sup>(1)</sup> من القمة إلى الهزيمة، مصدر سابق، ص 86.

وقد أكد الشقيري قي الخطاب الذي ألقاه في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر الوطني الفلسطيني في 28 / 5 / 1964 أن المؤتمر "جاء يعلن للدنيا بأسرها أننا نحن، أهل فلسطين أصحابها الشرعيين ،قد التقينا- وقد أجمعنا على تحرير فلسطين.. إننا نشهد اليوم أول مؤتمر فلسطيني ينعقد على مقربة من خطوط الهدنة، لنعلن على الملأ أن الشعب العربي الفلسطيني مصمم تصميماً لا يلين، وعازم عزم لا ينتهي على تحرير وطنه، مهما عظمت التضحيات، ومهما طال الزمن، إنني كواحد من هذا الشعب الباسل أعلن في مؤتمرنا هذا انه يجب أن يجند القادرون منا على حمل السلاح ، رجالا ونساء، وإذا خلا الكيان الفلسطيني من الناحية العسكرية كان كلاما في كلام، وكياناً من غير كيان. وعلى هذا ، أصبح واجباً لزاماً علينا أن يُهَيَّأ ابن فلسطين لتحرير فلسطين، أن يُهَيَّأ جندياً فدائياً، فحرام أن تظل طاقات الشعب الفلسطيني مهدورة، حرام أن يموت اللاجئون في الخيام بدلاً من أن يستشهدوا في ميدان الشرف))<sup>(1)</sup>.

ويخاطب الشقيري رجال الفكر الحر في العالم الذين حضروا(الندوة العالمية، لاتحاد طلبة فلسطين في آذار / مارس 1965 بقوله: "أن قضية

---

<sup>(1)</sup> من القمة إلى الهزيمة، مصدر سابق، ص ص 103- 104.

فلسطين قضية حياة.. وراءها شعب عريق يهيئ نفسه للكفاح من أجل التحرير واسترداد الكرامة الإنسانية<sup>(1)</sup>.

ويكبر الشقيري قرية قلقيلية التي شاعت خطوط الهدنة أن تقتطع منها أراضيها وبياراتها وتضمها إلى الجانب الإسرائيلي، وظلت صامدة أمام فوهات المدافع الإسرائيلية تجابه العدوان الصهيوني عليها في 5 / 6 / 1965. وقد وصل إليها مع رجال منظمة التحرير ليروا بأعينهم الجريمة، فخرج إليهم أهلها يصيحون ((يا شقيري بدنا سلاح وخذ رجال)) - ويكتب عنها الشقيري هذه الكلمات الخالدة: ((وقلقيلية لم تعد اسم قرية، ولكنها حكاية بطولة وسيرة صمود شجاع تمثل تقاليد الفلاح الفلسطيني البطل، صانع تاريخنا انتصاراتنا، وضحية انكساراتنا وهزائمنا))<sup>(2)</sup>.

ويعلن الشقيري للملوك والرؤساء في مؤتمر القمة الثالث في الدار البيضاء أن انطلاق الشعب الفلسطيني في تعبئة طاقاته هو أول الطريق لتحرير فلسطين، ومن غير شعب فلسطين، حراً منظماً معبأ، فإن أية خطة عربية لتحرير فلسطين في خطة مبتورة - ويحذر المجتمعين من نتائج الصعوبات التي تجابهها منظمة التحرير مع الدول العربية ويقول: "إذا كان الطريق مسدوداً أمام المنظمة فإن هذا الشعب البطل لا بد أن يجد كل وسيلة ليشق للمنظمة طريقاً ثانياً تحت

---

(1) على طريق الهزيمة، مصدر سابق، ص 60.

(2) المصدر نفسه، ص 65.

الأرض ، وستكون الأمة العربية يومئذ في هذا الطريق ، لأنه طريق الكفاح والنضال <sup>(1)</sup>.

ولا يغفل الشقيري وقفة قطاع غزة في وجه العدوان والاحتلال ، فيشارك في آذار 1966 في عيد النصر ويحضر احتفالات غزة بذكرى جلاء القوات الإسرائيلية بعد العدوان الثلاثي عام 1956، ويستعيد صور بطولات الشعب أثناء الاحتلال وأمثلة الشجاعة وضروب التضحية التي قدمها الأبطال آنذاك.

وفي كلمة وجهها إلى ضباط الجيش السعودي وجنوده الذين دخلوا الأردن إثر العدوان الإسرائيلي على قرية السموع في تشرين الثاني / نوفمبر يقول معبرا عن عظيم إكباره للشعب : "إن الشعار الوحيد الذي يطرحه الشعب في هذه المرحلة من حياته القومية هو شعار التحرير ... رابطوا أيها الشجعان في الخطوط الأمامية، فأنتم جديرون بالمقدمة أمام الخطر تجدونه على مرمى أبصاركم متجسداً في قيام إسرائيل ..ثم انتقلوا إلى مخيمات العائدين لتروا كبرياء هذا الشعب في خيام مهلهلة ، تحتها عزة وكرامة.. <sup>(2)</sup>.

---

<sup>(1)</sup> على طريق الهزيمة، مصدر سابق، ص 105.

<sup>(2)</sup> الهزيمة الكبرى ص 284.

ويقف الشقيري في قمة الخرطوم بعد نكسة حزيران 1967 يؤكد إيمانه بصلافة الشعب الفلسطيني وصموده أمام المؤامرة الاستعمارية الصهيونية في الخمسين عاما الماضية، ويعلن أن الشعب في الضفة الغربية وقطاع غزة يتصدى بشجاعة وبطولة للغزو الإسرائيلي وهو أعزل من أسباب المقاومة والصمود، وكل ما يلقاه على الصعيد العربي من الدعم والتأييد هو الإذاعات العربية تنشر أخبار بطولاته وبسالته <sup>(1)</sup>. وحين يكتب الشقيري استقالته يرفعها إلى الشعب الفلسطيني الذي آمن به وبقدراته، إلى " الشعب الأسير الشريد، المهجر الطريد... إلى الفدائيين الأبطال الذين يخوضون في هذه الأيام غمرات النضال أرض الوطن الحبيب " <sup>(2)</sup>.

ويهدي مذكراته التي كتبها فيما بعد "إلى مكتبة التحرير، في فلسطين تمجيداً لبطولات شعبنا البطل ، وبسالات أمتنا الباسلة" <sup>(3)</sup>.

ويظل الشقيري إلى آخر عمره يحمل لهذا الشعب الاعتزاز بإيمان لا يتزعزع بطاقاته وقدراته على العطاء والبذل، ويلقي ببصره فلا يرى في الوطن العربي إلا شعب الكارثة يحمل السلاح بعد سنوات طويلة من الكفاح... "يزداد

---

(1) الهزيمة الكبرى، مصدر سابق، ج 2، ص 193.

(2) المصدر نفسه، ص 8.

(3) أربعون عاما، مصدر سابق، المقدمة.

كل يوم إيماناً وعزماً ومضاً، ويتساقط منه الشهداء، وهم أبناء الشهداء وأحفاد  
الشهداء. وكأنما نذر هذا الشعب نفسه ألا يموت على فراشه".

## القيادات الوطنية ..

### أخطاء وعثرات

---

في مقابل هذا الإيمان العظيم بالشعب وقدراته، وفي مقابل العرض المفصل لملاحم بطولاته وتضحياته، كان رأي الشقيري في القيادات الفلسطينية أيام الانتداب البريطاني سيئاً، فلم يترك مناسبة في كل ما كتب لتوجيه سهام النقد واللوم إليها ، ولتحميلها مسؤولية معظم النكسات والهزائم في مسيرة كفاح الشعب الفلسطيني".

لقد ملأ نفسه ألماً أن يرى الخلافات على أشدها بين رجالات البلاد " المجلسيين والمعارضين " مما قاد الحركة الوطنية في أواخر العشرينات نحو الفتور والجمود، يقول عن ذلك: " وأوحى إلينا التردّي القومي، نحن مجموعة



الشباب ، أن ننبه الشعب إلى هذه الحالة" <sup>(1)</sup> وكان الشقيري آنذاك أصبح يمارس الصحافة والسياسة معاً ، وغدا مكتبه في جريدة (مرآة الشرق) ندوة سياسية يتذاكر فيها الشقيري مع أقرانه تقاوم الخطر الصهيوني وتردي الحركة الوطنية، كما أصبح منبراً لدعوة مستقلة تدعو إلى نبذ الزعامات التقليدية لتحل محلها قيادات شابة لا تهادن السياسة البريطانية ولا تجاريها، وقد استقر رأي الشباب ، وفيهم الشقيري على أن ينفخوا روحاً جديدة في الحركة الوطنية ، وان يشقوا خطأً وطنياً مستقلاً ، وأن يدعوا إلى مصارحة الاستعمار البريطاني بالعداء باعتباره "مصدر الداء ورأس البلاء" بعد أن ظلت قيادات الحركة الوطنية حتى أوائل الثلاثينات ، تتصدى للسياسة الصهيونية، وتغض الطرف عن السياسة البريطانية ولا تجاهرها بالعداء ويلوم الشقيري قيادة الحركة الوطنية ، لأنها كانت في معظم الأحوال متعايشة مع الإدارة البريطانية إلى حد بعيد ، ويقول: "الحزبان الوطنيان الكبيران يعيشان في كنف السياسة البريطانية" <sup>(1)</sup>.

وكان الشقيري يندد في كل مناسبة بالخلافات العائلية التي كانت تمزق البلاد وقياداتها، وتنخر كالسوس في جسد القضية الوطنية وروحها، ويدعو إلى التفكير الوطني الخالص المبرأ من هذه الحزازات " ويروي ما جرى في المؤتمر الوطني السابع عام 1928 الذي شارك فيه، وكيف ازدادت ثورة الشباب على

---

<sup>(1)</sup> أربعون عاماً، مصدر سابق، ص 106 .

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه ص 107 .

القيادات المتناحرة والأوضاع السائدة. ويتحدث في مذكراته عن سلسلة الخطب التي ألقاها في عدة مدن من فلسطين عام 1928 وكان تركيزه فيها على الدعوة إلى تجميع قوى الشعب للوقوف في وجه الاستعمار والصهيونية بعيدا عن النزاعات العائلية والطائفية والمحلية.

وقد ازداد نشاط الشباب الفلسطيني بعد إعلان قرارات المؤتمر الصهيوني في زيوريخ عام 1928، وما فيها من الدعوة إلى مزيد من الهجرة، وشراء الأراضي، ودعم المؤسسات الصهيونية. ودعا الشباب إلى بعث الحياة في الحركة الوطنية وقياداتها ، فاتصل الشقيري بالناشئين من أبناء العائلات والوجهاء محاولا تجميعهم في إطار وطني خالص. لكن اللقاء بينهم كان امراً مستحيلا كما يقول ، " فتلك كانت البيئة التي صنعتها عهود التخلف والانحلال ، تقابلها البيئة اليهودية "التي لا تعرف العائلية" <sup>(1)</sup> - وقد أخذ الشقيري على عاتقه، مع أقرانه الشباب، مهمة توعية الجماهير، وتبصيرها بالخطر، فأخذ يكرر الدعوة إلى "قيام قيادة وطنية جديدة تتولى زمام الحركة الوطنية بعد أن أصبحت البلاد أسيرة العائلتين الكبيرتين ... وهم أصبحوا أسرى مناصبهم" <sup>(1)</sup>.

---

(1) أربعون عاما، مصدر سابق، ص 114 .

(1) أربعون عاما، مصدر سابق، ص 115.

ويذكر الشقيري كيف أفلح المندوب السامي البريطاني واكهورب في جذب عدد من أبناء الأسر ، و هم النخبة الممتازة القادرة على قيادة الحركة الوطنية وتنظيمها، بما تملك من كفاءة وخبرة. وقد ربطت خطة المندوب السامي العائلات الكبرى في البلاد بالسلطة البريطانية ، وأدت إلى " تميع" النضال، ولو إلى حين. ويقول في هذا المعرض : "ومضينا، نحن الشباب الذين بقينا خارج المناصب الحكومية، نوقظ الشعور الوطني بعقد الندوات الاجتماعات، فعدت الحركة الوطنية إلى نشاطها؛ في جانب ، والقيادة الوطنية في الجانب الآخر"<sup>(2)</sup>.

وخطب الشقيري في مؤتمر يافا عام 1933 في جو حماسي لاهب، وشرح للمؤتمرين خطورة الموقف ، وبين لهم أن مصير عرب وادي الحوارث ينتظر شعب بأسره"، ودعا إلى قيام جبهة وطنية تضم كل الزعماء، بشرط أن يتخلوا عن مناصبهم الحكومية، ويتفرغوا لقيادة الحركة الوطنية. ووجه إلى الحاج أمين الحسيني وإلى راغب النشاشيبي الموجودين بين الحاضرين ، دعوة صريحة طالبهما فيها بالاستقالة، والنزول إلى الميدان مع الشعب. وقد أثارت دعوته هذه جوا من التوتر في المؤتمر ، ورفض الزعيمان الدعوة ، وعداها من قبيل التوريط. ويعلق الشقيري على ذلك بقوله: "أن نكبة شعبنا كانت في الانتداب ووعد بلفور

---

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه، ص 130.

، ثم في قيادته الوطنية"  
(1).

ويتألم الشقيري من قيام الأحزاب المتعددة بعد انهيار اللجنة التنفيذية للمؤتمر السابع عام 1933 دون أن يكون بينها خلاف على المبادئ، ولا تفسير لذلك عنده إلا شهوة الزعامة والقيادة.

وكان يأخذ على القيادة الوطنية أيضاً عجزها عن الوقوف في وجه القيادات المعادية والوصول إلى مستواها الفكري والثقافي وقدراتها السياسية. فعلى الرغم من وصفه موسى كاظم الحسيني حين وفاته عام 1943 بأنه زعيم البلاد الذي وهب وطنه كل قدراته بإخلاص وتجرد وتقوى، على الرغم من ذلك ينتقده ويقول إنه "قاد الحركة الوطنية بضعة عشر عاما بفكره المحدود وثقافته الضيقة. ولكن ما حيلته ، فقد كان هكذا ، ولا يستطيع أن يكون غير ما كان" (2).

ويحزن الشقيري من موقف القيادات من ثورة القسام ، ويعبر عن ذلك بقوله: "إن هذه العصابة الوطنية لقيت من الشعب كل مظاهر الاهتمام ، على حين كان حظها من القيادة الوطنية الحر والصمت". وتفسير ذلك عنده

---

(1) أربعون عاما، مصدر سابق، ص139.

(2) المصدر نفسه، ص142.

"إن القيادة الوطنية لم تكن لتخلو من الروابط والصلات والمصالح بالسلطة البريطانية ، فكيف تكون مجاهرته بالعداء والسلاح ؟!"<sup>(1)</sup> .

وكانت القيادة - في رأيه - متخلفة عن الشعب ، لا تتبادر إلى العمل كما يفترض فيها. هذه ثورة عام 1936 "ثورة شعبية قادها الشعب باديء ذي بدء ، وقاد معه القيادة الوطنية...وهكذا كانت مسيرتنا النضالية خلال ثلاثين عاما، يتحرك الشعب، وتتحرك القيادة من ورائه"<sup>(2)</sup>. وكانت الفترة التي تلت إيقاف الثورة عام 1936 بناء على وعود بريطانيا وحكام العرب عند الشقيري "صراعاً بين جيلين ؛ جيل الحرب الأولى الذي واكب وعود الحلفاء، وجيلنا نحن الشباب ضحية الوعود"، وكانت النتيجة انتصار الجيل الأول، واستطاعت بريطانيا وأصدقائها أن يوقفوا الإضراب والثورة . ولكن فترة الامتحان لم تطل ، فنكثت ، بريطانيا بوعدها ، وعاد الشعب إلى السلاح ليخوض غمار ثورة ثانية أشد ضراوة.

ويصور الشقيري ذهول الشعب لموقف قيادته حين استجابت اللجنة لعربية العليا لتدخل الملوك والحكام العرب ، وقبلت الاتصال باللجنة الملكية عام 1937 بعدما كانت قررت مقاطعتها ، ويقول: ((لو كان الشعب يملك الوسائل يومئذ لخلع قيادته، وثار عليها، وسحب ثقته منها"... ولكن أنى له ذلك والموقف حاد وخطير، والوقت لا يتسع لشيء إلا للوحدة وللتماسك، فسكت الشعب على مضض ،

<sup>(1)</sup> أربعون عاما، مصدر سابق، ص143.

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه، ص149.

وترك للقيادة الوطنية ،ومن ورائها الملوك والأمراء ، أن يتحملوا مسئوليتهم أمام التاريخ<sup>(1)</sup>)). ويعيد الشقيري للأذهان موقف الشعب بعد صدور قرار التقسيم في تموز 1937 ، وكيف ندد أبناءه باللجنة العربية العليا ، وعدوها سبباً في هذه الكارثة ، وحملوها مسؤولية وقف الثورة والإخلاد إلى السكينة استناداً إلى حسن نوايا بريطانيا ، وكيف هبت البلاد تستنكر التقسيم ، وتصرخ في وجه الزعماء ، وتستصرخ الملوك والرؤساء أن يهبوا لدفع هذه الكارثة ، مما أجبر اللجنة العربية العليا على دعوة الشعب إلى رفض القرار . ويعلق الشقيري على هذا بقوله: "ولم يكن الشعب في حاجة إلى هذه الدعوة، فقد كان السخط والغضب يعم المدن والقرى"<sup>(2)</sup>.

وقد تمثل رأي الشقيري في القيادة الوطنية في موقفه من الحاج أمين الحسيني ، وقد خصّه بحديث طويل ، وكان له معه شأن كبير . وهو يصرح بأنه لم يكن يكره الحاج أمين كما كان والده يكرهه ، ولم تكن الحقائق الواقعة تعمي بصره عن الرأي الصحيح والحكم المنصف على شخصية الحاج أمين ، على الرغم من خلافه معه . فهو يعترف له بالزعامة ويقول: " الحاج هو ذلك القائد ، صنعته ظروف متعددة ، وسنن طويلة. وقد أصبح معبود الشعب ، فلا مكان

---

(1) أربعون عاماً، مصدر سابق، ص 169.

(2) المصدر نفسه، ص 171.

للتغيير ولا إمكان.. وهو فوق ذلك شجاع جسور، مخلص صلب، وفيه كثير من مؤهلات الزعامة" (1).

وعلى الرغم من تقدير الشقيري الكبير لزعامة الحاج أمين، وإدراكه للظروف المحيطة به، وجه النقد الشديد والكثير لشخصيته وأسلوبه في العمل، وسياسته. ومنذ أواخر العشرينات تصدى له في عدة مقالات نشرها في جريدة (مرآة الشرق)، وندد فيها بسياسته في المجلس الإسلامي، ونعى عليه تعيين أقاربه وأهله في المحاكم الشرعية ودوائر الأوقاف، وكان من أشدها مقالة بعنوان (اتعظ بعثمان بن عفان يا حاج أمين)، وكانت مقالة قاسية امتلأت تحريضا وإثارة. ويعترف الشقيري بالقسوة. ولكنه يبررها بأن قصده كان إحراج الحاج أمين ودفعه إلى الخروج من المجلس الإسلامي إلى قيادة الحركة الوطنية مباشرة وعلنا: "فقد كنت أراه مؤهلا للزعامة، ولكنه لم يخرج، ولم يخرج، وقنع أن يبقى في منصبه يسند الحركة الوطنية من وراء ستار دون أن يثير حفيظة الإنكليز" (1). ولا ينكر الشقيري دور الحاج أمين ودوائر المجلس الإسلامي في أيقاظ الشعور الوطني، والتنبيه إلى الخطر الصهيوني، والاتصال بالبلاد العربية والإسلامية، لكنه يرى أن الحاج أمين كان حريصا على الاحتفاظ بمنصبه في كنف السلطة البريطانية. ولم تكن هذه تشعر بخطر على وجودها ما دام نشاطه بعيدا عنها

---

(1) أربعون عاما، مصدر سابق، ص 194.

(1) أربعون عاما، مصدر سابق، ص 108.

محصوراً في دائرة محدودة ضد الحركة الصهيونية ، فكان ذلك، في رأي الشقيري "توازنا وتهادنا غير مكتوب ، قدر له أن يعيش لسنوات حتى عام 1936"<sup>(2)</sup>.

ازدادت معرفة الشقيري مع الأيام والسنين بالحاج أمين ، ولا سيما بعد أن اضطلع الأخير بمسؤولية قيادة الحركة الوطنية مباشرة من عام 1936، فعمل معه في الحقل الوطني ، وتصادقا إلى حين . وقد سر الشقيري لعزل الحاج أمين من مناصبه عام 1937 وهروبه من البلاد على أثر ذلك ، لأن القضية الوطنية كما يقول الشقيري "ستجد قائدها متحررا من ارتباطاته بالحكومة البريطانية...)"<sup>(3)</sup> وغادر الشقيري فلسطين إلى بيروت ليكون على مقربة من الحاج أمين ، وليعمل معه. وقد ضاق كثيرا بالعمل مع المفتي ، ولم يكن راضيا عن أسلوبه في القيادة وطبيعة عمله البعيدة عن النظام، فقال في ذلك: "لقيت في هذا العمل عناء ، فإن التعاون مع الحاج أمين عسير للغاية إذا كان المرء يريد أن يعمل بنظام ... وكنت دائما أدعو الحاج إلى التنظيم ... وصارحته أن قيادة الثورة تتطلب تنظيما ، وأن الثورة ليست فوضى ، ولكنها نظام في ظل الثورة .. وان الكفاءات الكثيرة يجب الانتفاع بها... وانه أصبح قائد الشعب بدون منازع ، وليس عليه إلا أن يحيط نفسه بالمخلصين من أبناء الشعب ، بدل الأعوان والأنصار)"<sup>(1)</sup>. ومع

---

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه، ص 113 .

<sup>(3)</sup> المصدر نفسه، ص 173.

<sup>(3)</sup> أربعون عاما، مصدر سابق، ص 194.



مرور الوقت ألف الشقيري أسلوب الحاج أمين لأنه شعر أن الثورة ضرورة ، ولا بد لها من قائد.. والحاج أمين هو ذلك القائد.

ويحمل الشقيري الحاج أمين بعض المسؤولية عما وصلت إليه الثورة من فوضى وأعمال اغتيال أصابت الكثيرين ، كما أنه اتهمه باغتيال أخيه الطبيب أنور . وكان يحذره من عواقب الفوضى ويدعوه إلى تناسي الأحقاد والعمل من أجل الوحدة الوطنية وتأديب المنحرفين. لكنه ، أي الحاج أمين ، لم يصغ إلى مناشدة الشقيري ولا إلى توسلات الكثيرين غيره على ما يقول الأخير.

وينتقد الشقيري الحاج أمين لرفضه الكتاب الأبيض عام 1939<sup>(1)</sup> ، وكان الشقيري يرجح قبوله ، ويعيد عداء المفتي لهذا الكتاب إلى نوازع شخصيته. والشقيري يلوم أنصار الحاج أمين لاعتراضهم على تأليف قيادة سياسية خلال غياب الحاج أمين في ألمانيا سنوات الحرب العالمية الثانية، مما أوجد فراغا سياسيا في فلسطين في وقت كانت البلاد تجابه مرحلة خطيرة. وعلى الرغم من هذا النقد لم يترك الشقيري الحاج أمين، ودافع عنه حين كان في أمريكا عام 1945 رئيسا للمكتب العربي ، ورد عنه تهمة النازية والفاشية والتقى الشقيري بالحاج أمين في القاهرة بعد عودة الحاج أمين إلى مصر في أعقاب الحرب العالمية الثانية وت، وشرح له ما جرى معه خلال جولاته ، وبين له الحاجة إلى

---

(1) انظر ص 78 من هذا الكتاب .

تنظيم الشعب الفلسطيني وتدريبه وتسليحه ، والحاجة إلى الوحدة الوطنية وتعبئة الطاقات والكفاءات دون النظر إلى الخلافات. وأخفق الشقيري في إقناع الحاج أمين بالتعاون مع اللجنة العسكرية التي قررت جامعة الدول العربية إنشاءها عام 1947 في اجتماع عاليه قبيل صدور قرار التقسيم. وكان لهذا الخلاف أثره في حركة الجهاد داخل فلسطين . وقد دفع ذلك كله الشقيري إلى تحميل الحاج أمين جزءا من تبعات نكبة عام 1948، وإلى اتهامه بأنه "يريد كل شيء بيديه"، وبأن "أمجاد سماحته كانت فوق أمجاد الوطن ، فسقط الوطن ، وسقطت معه الأمجاد"(1) .

وقد ظلّ هذا رأي الشقيري في الحاج أمين، وكان له شأنه في عرقلة العمل على إنشاء الكيان الفلسطيني عام 1964 على نحو ما يذكر الشقيري في كثير من المواضع . وقد نشب الخلاف بين الرجلين بنتيجة ذلك، ووقف الحاج أمين موقف المعارض لإنشاء الكيان ومنظمة التحرير .

وعلى الرغم من الخصومة السياسية، كان الشقيري وفياً لذكرى الحاج أمين، يقدر له جهده وجهاده . وعندما توفي المفتي كان الشقيري في مقدمة المعزين . وقد قال لأحد أصدقائه : "إنني أعزي في المفتي، لأنه في جهاده

---

(1) أربعون عاما، مصدر سابق، ص 113.

الطويل لم يلن ولم يهادن المستعمر، بل كان يرفض الانتداب والصهيونية على الدوام" (2).

فوق منبر الأمم المتحدة ...

قضية ضائعة... ومُضَيعة

---

منذ حزيران / يونيو 1948، وبعد توقف القتال على أرض فلسطين، وتحول العرب إلى ميدان السياسة، شارك الشقيري في عرض القضية الفلسطينية

---

(2) من كلمة خير الدين أبو الجبين في حفل تأبين الشقيري، الكويت 19 / 1 / 1980.

على الأمم المتحدة، وفي الدفاع عن حق الشعب العربي الفلسطيني في أرضه ، والوقوف في وجه الأباطيل والمؤامرات التي كانت تقال وتحاك في هذه المؤسسة الدولية.

وكانت تجربة الشقيري الأولى على الساحة الدولية حين مثل الجامعة العربية في الوفد العربي الرباعي ذهب إلى جزيرة رودس لبدء المحادثات مع الوسيط الدولي الكونت برنادوت في حزيران/ يونيو 1948 ، وكان الشقيري - آنذاك- يعمل مستشاراً لدى الحكومة السورية. وقد حمل معه التقارير والمذكرات والكتب ، ورفض بصفته الناطق باسم الوفد، اقتراح برنادوت الاجتماع بالموافد الصهيوني ، وقال: "لا لقاء بيننا وبين اليهود، لا على مستوى المفاوضات أو المحادثات" <sup>(1)</sup> - ورهن اللقاء بإزالة الدولة اليهودية، وأكد للصحفيين أن لا مفاوضات مباشرة مع اليهود، وكذب ادعاءات الوفد اليهودي نقيض ذلك. وقد تقاسم الشقيري مع زملائه أعضاء الوفد العربي شرح المواضيع المختلفة ومناقشة الوسيط الدولي ومعاونيه حول مختلف جوانب القضية الفلسطينية باستفاضة علمية موضوعية مؤيدة بالوثائق والأسانيد ، وسردوا المطالب الوطنية التي كانت تتلخص في إقامة حكومة وطنية ديمقراطية في فلسطين تمثل المواطنين على اختلاف مذاهبهم ، وتضمن الحقوق للجميع ، وفي العدول عن التقسيم والدولة اليهودية، ووقف الهجرة وبيع الأراضي ، وفي السماح بعودة اللاجئين الذين نزحوا

---

(1) أربعون عاماً، مصدر سابق، ص298.

عن البلاد بنتيجة الإرهاب الصهيوني ، كتدبير عاجل ، ومن غير انتظار للحل السياسي النهائي.

كانت التجربة الثانية للشقيري في الأمم المتحدة في خريف عام 1948 في قصر شاويه بباريس بعد اغتيال الكونت برنادوت في 17/ 9/ 1948 وكانت الوفود العربية عالية المستوى ، وتألف وفد فلسطين من الشقيري،\* ويعقوب الخوري وهنري كتن وقد ظن. العرب أن اغتيال برنادوت "سيكون اغتيالاً لحكومة إسرائيل المؤقتة، وإن الدولة الاسكندنافية ستقود الحملة على الدولة اليهودية"<sup>(1)</sup>. لكن الظن خاب، وعرف اليهود كيف ينحنون للعاصفة، فبكوا مع الباكين، وأعلنوا انهم ماضون في التحقيق لاكتشاف الذين قتلوا الوسيط " وأخذ الشقيري مع الوفد الفلسطيني يعدون العدة لالقاء بياناتهم وخطبهم وسط هذه الضجة العارمة، وعني الشقيري بإعداد خطابه عناية كبرى، فهي المرة الأولى التي يتكلم فيها على منبر الأمم المتحدة باسم فلسطين. وقد تهيّب الأمر، وأحس أن كل كلمة محسوبة عليه، بل محسوبة على الأمة العربية، وتوهم أن الخلاص منوط بقلمه ولسانه، وألقى بياناً مستقيضاً استعرض فيه القضية منذ نشأتها، وساق الحجج والأسانيد التي تؤيد كلامه، وناقش تقرير الوسيط الدولي برنادوت، وفند جوانبه المختلفة ، ورد

---

\* بعد أن تم الاتفاق مع الحكومة السورية على أن يرأس وفد فلسطين، ويعمل مباشرة، بدلاً من أن يعمل من وراء الكواليس مستشاراً للوفد السوري.

<sup>(1)</sup> أربعون عاماً، مصدر سابق، ص 302.

عليه وزير خارجية (حكومة إسرائيل المؤقتة) معلنا تمسكه بقرار التقسيم ، مصرأ على أن يكون حل قضية اللاجئين ضمن التسوية العامة ، متهما الشقيري بالنازية. رد عليه الشقيري بقوة . ثم دار نقاش حاد طويل حول تقرير الكونت برنادوت، الذي لم يأت بجديد ، في رأي الشقيري، وكل ما فعله أنه جعل النقب عربيا والجليل العربي يهودياً، في حين كان قرار التقسيم على العكس.

وتعرضت الوفود العربية لضغوط غربية تطلب منها عدم معارضة مشروع برنادوت حتى يفوز بأكثرية الثلثين ، في الوقت الذي كانت فيه القوات الإسرائيلية تحتل الأراضي العربية لتضع الأمم المتحدة أمام الأمر الواقع، الذي سيصبح مقبولا بعد حين. لذلك أرسلت الوفود العربية الشقيري إلى القاهرة ليعرض الأمر على مجلس الجامعة، الذي قرر بالإجماع رفض مشروع برنادوت، ومشروع التقسيم مع التمسك بعروبة فلسطين.

ودارت معارك ضارية جنوب فلسطين على الجبهة المصرية، وتوالت قرارات مجلس الأمن تدعو إلى وقف إطلاق النار. لكن اليهود لم يتوقفوا إلا بعد أن اجتاحت النقب "وأصبح تقرير برنادوت عن النقب العربي كلاما في الهواء"<sup>(1)</sup> واتجهت النية إلى تعيين ( لجنة توفيق) بدلا من الوسيط الدولي. واختير أعضاؤها من أمريكا وفرنسا وتركيا، وصاغ الأمريكيون والبريطانيون والفرنسيون مشروع

---

<sup>(1)</sup> أربعون عاما، مصدر سابق، ص 306.

قرار صدر بتاريخ 9 / 12 / 1948\* . وقد عارض الشقيري القرار ، وأوضح للوفود العربية في اجتماع خاص دعاهم إليه أنه لا يتضمن إلزاماً لإسرائيل بعودة اللاجئين في زمن محدد، وأن المادة 11 منه هي أسوأ صيغة لأقدس حق، وهو حق العودة إلى الوطن، وقد ظلت إلى إسرائيل - خلال عشرين دورة للأمم المتحدة - تجد مهرباً من تنفيذ هذه المادة ، على الرغم من الحجج الكثيرة التي كان يقدمها العرب لدعم حق اللاجئين بالعودة.

رجع الشقيري من باريس مع الوفود العربية ، وانتظروا قدوم لجنة التوفيق . وعاد يعمل مستشاراً للوفد السوري برئاسة وزير الخارجية خالد العظم، الذي اجتمع مع غيره من وزراء الخارجية العرب بلجنة التوفيق في بيروت في شباط/فبراير 1949. وقد أوجز المندوب الأمريكي مهمة اللجنة بأنها التوفيق بين المتخاصمين ، ولخص موقف إسرائيل بأنها ترغب في تحويل اتفاقيات الهدنة إلى اتفاقيات صلح وتسوية عامة تحل في إطارها مشكلة اللاجئين. وبين أن لجنة التوفيق لا تملك سلطات تنفيذية ، وأن المادة 11 من قرار الأمم المتحدة السابق ذكره لا يعطي اللاجئين حقاً مطلقاً في العودة. ثم تكلم وزراء الخارجية العرب،

---

\* في القرار اعتراف بحق العودة في أقرب وقت ممكن للاجئين الراغبين في العودة والعيش بسلام مع جيرانهم ، روجوا دفع تعويضات عن ممتلكات من لا يرغب في العودة، وعن كل مفقود أو مصاب بضرر. ونص القرار كذلك على إنشاء لجنة توفيق عهد إليها "اتخاذ التدابير بغية معاونه الحكومات والسلطات المعنية لإحراز تسوية نهائية لجميع المسائل المعلقة بينهم " .

وأحال خالد العظم اللجنة إلى الشقيري لشرح الجوانب المتعلقة باختصاص لجنة التوفيق والشروط الواردة في المادة 11 من قرار الأمم المتحدة في شباط 1948، فتولى الشقيري الكلام حق العودة ، وبين انه حق طبيعي وأصيل غير مقيد بشروط على حد ما جاء في ميثاق حقوق الإنسان الذي أقرته للأمم المتحدة في دورتها السابقة.

لم تبد لجنة التوفيق رأيا ، حتى بشأن قضية اللاجئين، وكان العرب يصرون على اتخاذ التدابير العملية لإعادة اللاجئين ، في حين كانت إسرائيل تراوغ وتخاذع ، وتربط موضوع اللاجئين بقضية فلسطين برمتها. وقد أعلنت لجنة التوفيق أن المشكلات القائمة تتطلب بحثا مستفيضا من النواحي السياسية والقانونية والفنية ، وأن الأمر يقتضي اجتماعات متواصلة في مكان محايد ، هو لوزان في سويسرا. ونفت اللجنة أن يكون ذلك دخولا في مفاوضات مباشرة مع إسرائيل للوصول إلى معاهدة صلح، وأعلنت أن المباحثات ستكون مع اللجنة المباشرة عندئذ قبلت الوفود العربية هذا الاقتراح.

انتقل الشقيري للسكن في القاهرة، ومنها سافر إلى لوزان للإلتحاق بالوفد السوري أمام لجنة التوفيق. وكان العرب- كما يقول الشقيري- يرجون الخير، أو بعض الخير من اللجنة ، ويعقدون عليها الآمال ،لأنهم منكسرون في الحرب



واليهود منتصرون<sup>(1)</sup> وقد كانت الاجتماعات مع لجنة التوفيق يوماً للجانب العربي (مصر، لبنان، الأردن، سورية) ويوماً للجانب الإسرائيلي. وكان العرب يلتقون باللجنة مجتمعين ، خشية أن ينزلق واحد بكلمة ، أو ينفرد بموقف. وبدأت الاجتماعات بعرض عام للقضية، مع التركيز على التكتيك العربي بأن قضية اللاجئين يجب أن تحل أولاً، لأنها قضية إنسانية ملحة خصها قرار الأمم المتحدة في باريس بمادة من مستقلة.

اتجهت لجنة التوفيق إلى وضع (إطار عام) لمباحثاتها، يكون منطلقاً لخطوات عملية، فاقتُرحت صيغة (بروتوكول) يوقعه كل جانب مع اللجنة مباشرة، وفي وثيقة منفصلة، وهكذا امتدت لقاءات جانبية انتهت بوضع صيغة نهائية لهذا البروتوكول ، ووقعه الجانب الإسرائيلي في جلسة خاصة ، ثم وقعه الجانب العربي في جلسة أخرى. وانشرحت اللجنة، وعدت ذلك نصراً ، ومفتاحاً لحل الموقف، لأن فيه اعترافاً بحق اللاجئين في العودة والتعويض عليهم .. إلى غير ذلك. لكن الشقيري ظل قلقاً سيئ الظن بالنتائج، لأن إسرائيل وقعت على (أن تبحث مع اللجنة حق اللاجئين في العودة) فهذا التزام بالبحث. وبالبحث فحسب ... وإسرائيل، في رأي الشقيري قادرة أن (تبحث) إلى آخر الزمن.. بلا نتيجة<sup>(2)</sup>.

---

(1) أربعون عاماً، مصدر سابق، ص 310.

(2) المصدر نفسه، ص 312.

عرف البروتوكول فيما بعد باسم ( بروتوكول لوزان). وقررت اللجنة إنشاء ثلاث لجان فرعية: لجنة عامة تبحث نواحي القضية العامة ، ولجنة ثانية مختصة بموضوع التدويل ، ولجنة ثالثة فنية مختصة ببحث الإجراءات العملية لعودة اللاجئين والمحافظة على أملاكهم. بدأت اللجان عملها، وتضخمت الملفات، وتبلورت مطالب الوفود العربية في: انسحاب إسرائيل إلى خطوط التقسيم ، وعودة اللاجئين بلا قيد أو شرط إلى المناطق المخصصة للعرب، وإتاحة الفرصة ليعود من يشاء ويعوض على من يشاء من اللاجئين الذين نزحوا من المناطق المخصصة لليهود، أو سلخ الأراضي الكافية لإسكانهم من اليهود وضمها إلى العرب ، في حال رفض إسرائيل إعادتهم ، وتدويل القدس تدويلاً حقيقياً ، وتجريدها من السلاح. وكان العرب- كما يروي الشقيري- على عجل ، في حين كان اليهود على مهل، يسوفون ويؤجلون انتظاراً للتعليمات، فهم يبسطون أذرعهم على الأرض العربية، يحتلون ويستبيحون خيراتها، وآلاف اللاجئين العرب ينتظرون في الخيام<sup>(1)</sup>. وقد بدا واضحاً أن اليهود يعارضون تدويل القدس، يرفضون عودة اللاجئين، ولا يوافقون إلا على بحث الجوانب الإقليمية التي تنحصر في نطاق (تجليس) الحدود ، فيعطون قرية مقابل قرية ، أو أرضاً مقابل أرض. وشددت الوفود العربية على لجنة التوفيق كي ترفع تقريراً إلى الأمم المتحدة تصرح فيه

---

(1) أربعون عاماً، مصدر سابق، ص 314.

بما يجري ، وتشير باصبعها إلى الطرف الذي يرفض تنفيذ قرار الأمم المتحدة، وقد ظنت هذه الوفود أن الأمم المتحدة قادرة على أن تفعل شيئاً.

وقدمت لجنة التوفيق تقريراً إضافياً إلى الأمم المتحدة، أعلنت فيه رفض إسرائيل عودة اللاجئين ، وتدويل القدس . ووصل التقرير إلى الوفود العربية ، وفيهم الشقيري، فقرأوه بانعام ، ودرسوه بدقه، ووضعوا عنه النقاط التي سيناقشونها في الأمم المتحدة في ليك سكس قرب نيويورك . يقول الشقيري واصفاً الحال: "سافرنا إلى الأمم المتحدة لحضور دورة 1949نحمل قلبا يفور بالحد والمرارة ، ولسانا أرهفناه لليوم الموعد، وحقيبة مليئة بالتقارير والمذكرات... ذلك كله كان رأس مال القضية الفلسطينية عند شعب فلسطين عند الدول العربية"<sup>(1)</sup>.

وبالمقابل ، سافر الوفد الإسرائيلي وعلى رأسه وزير الخارجية شاريت ، يمثل واقعاً إسرائيلياً يتجسد في حكومة لها جيشها وتمارس سيادة إقليمية يعترف بها عدد من الدول ، في مقدمتها الدول الأربع العظمى. وبدأت المعارك في كل الجهات ، وشحذ الشقيري قريحته وشمّر عن ساعديه، فلم يترك لجنة من لجان الأمم المتحدة دون أن يقحم عليها موضوع فلسطين، ولا بندا على جدول أعمال الأمم المتحدة دون تذييله بقضية فلسطين. وأسهب في شرح القضية الفلسطينية على ضوء تقرير لجنة التوفيق، وتكلم على قضية اللاجئين، وقضية القدس

---

<sup>(1)</sup> أربعون عاماً، مصدر سابق، ص 315 .

مستثيرا العواطف بمناسبة قرب أعياد الميلاد و رأس السنة . وخاطب أعضاء اللجنة القانونية بما يناسب اختصاصهم في موضوع الحقوق والواجبات، منكرًا على إسرائيل أن تكون دولة، لها المؤهلات والمقومات القانونية اللازمة.

مضت الدورة في عمل متصل وخطب متلاحقة ، "وأنا أحسب أننا سنقيم الدنيا ونقعدھا على إسرائيل" <sup>(1)</sup> على حد قول الشقيري . لكن السحب أخذت تنجلي أمامه وتبدد الوهم حين جاء دور القرار الذي يحسن بالأمم المتحدة أن تتخذہ بشأن القضية وتقرير لجنة التوفيق . وكان الوفد الأمريكي فارس هذه الجولة ، يضع صيغة القرار ، ويعرضها على الوفود، ويضعها أمام الأمر الواقع.

ووافقت الأمم المتحدة على المشروع الأمريكي ، داعية لجنة التوفيق إلى استئناف مهمتها، ومجلس الوصاية إلى وضع دستور لتدويل القدس.

في ربيع عام 1950 صدر الأمر إلى الشقيري بالسفر إلى سويسرا لتمثيل الحكومة السورية أمام لجنة التوفيق وفي مجلس الوصاية الذي سينعقد في جنيف لوضع مشروع دستور القدس ..

وتجمعت الوفود العربية في جنيف تتشاور وتتباحث . وجاء عن إسرائيل وفدان ؛ أحدهما يمثلها أمام لجنة التوفيق ، وآخر يمثلها أمام مجلس الوصاية.

---

<sup>(1)</sup> أربعون عاما، مصدر سابق، ص315.

وقد أمضت الوفود العربية أسابيع أمام لجنة التوفيق، تكرر مطالبتها في إطار بروتوكول لوزان وما ينطوي عليه من تطبيق عملي لقرار التقسيم، في حين كان الوفد الإسرائيلي يسوف ، ويؤجل ، ويطلب التعليمات من تل أبيب.

أما في مجلس الوصاية فقد رفض الأردن تدويل القدس، كذلك رفضته إسرائيل، وقرأ أبا إيبان رئيس الوفد الإسرائيلي نص خطاب بن غوريون في الكنيسة، والذي جاء فيه "أن القدس هي عاصمتنا الخالدة". وطلبت الوفود العربية الأخرى أن يعمل مجلس الوصاية على وضع مشروع الدستور، وفق ما كلفته الهيئة الدولية ، وأن يرفعه إلى الأمم المتحدة لتتظر فيه. ولما جاء دور الشقيري للكلام ندد بخطاب بن غوريون، وكشف ما يحمله من تمرد على الأمم المتحدة. ثم تحدث عن تاريخ القدس، وأثبت بالأرقام أن اليهود لا يملكون من القدس الجديدة أكثر من 28% من أراضيها وممتلكاتها ، وأعلن تمسكه بالسيادة العربية الكاملة على القدس بشطريها القديم والجديد ، وأن التدويل ليس سوى مرحلة انتقالية ريثما يتم الوصول إلى حل نهائي للقضية الفلسطينية على أساس الحق والعدل. وطالب ألا يكون التدويل مرحلة تمهيدية لتهويد القدس، وبتجريد القدس من السلاح وإعلانها منطقة محايدة، وبأن يعود إليها جميع اللاجئين الذين نزحوا منها، ويمنع الهجرة اليهودية إليها. وقد رفض الوفد الإسرائيلي بالطبع مقترحات الشقيري ، بحجة أن أمر القدس من شأن إسرائيل والأردن فقط ...

بدأ مجلس الوصاية في اليوم التالي وضع مشروع دستور القدس ، وانتهى منه في ثلاثة أسابيع ، وأقره بصيغته النهائية ليرفعه إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها المقبلة في خريف 1950. وجاء المشروع بشكل عام محققا لمطالب العرب لأنه حافظ عروبة القدس تحت اسم التدويل. لكن الإسرائيليين رفضوا المشروع ، وأعلنوا انهم لن يسمحوا لأي سلطة دولية بالدخول إلى القدس.

لم يكن عمل الوفود العربية أمام لجنة التوفيق ناجحا، ولو على الورق، كما كانت الحال في الوصاية، فقد دارت المباحثات في حلقة مفرغة، وظلت إسرائيل تلجأ إلى الألاعيب السياسية تساندها الانتصارات العسكرية، وأن أعلنت تنازلها عن شيء ففي مقابل شيء آخر. وكان بروتوكول لوزان ورقة رابحة بيدها ، فقد ذهبت إلى مجلس الأمن تثبت بهذه الورقة التزامها بالواجبات الدولية، وتتقدم بطلب الانضمام إلى عضوية الأمم المتحدة. وكان الأمر الذي رضيت به إسرائيل هو تجميع العائلات ، والإفراج عن الأرصداء المجمدة، وعد هذا نجاحا كبيرا للجنة التوفيق، فأضمت عامي 1950 و 1951 مشتتة في إطار "تجميع العائلات المشتتة"، ومجمدة في سراديب "الأرصداء المجمدة"<sup>(1)</sup> على حد قول الشقيري.

---

(1) أربعون عاما، مصدر سابق، ص 342.

عقدت دورة الأمم المتحدة في خريف 1951 في قصر شاويوه في باريس. وكان الشقيري قد عين أميناً عاماً مساعداً للجامعة العربية على أن يعار إلى سورية للعمل مع وفدها إلى الأمم المتحدة \* . ويروي الشقيري أن العرب علقوا الآمال على هذه الدورة "وعسى أن تجد القضية الفلسطينية بعض الرحمة في شعار الثورة الفرنسية: الإخاء والحرية والمساواة"<sup>(2)</sup>. واهتمت إسرائيل بالدورة أيضاً اهتماماً كبيراً، وألحقت بوفدها عدداً من الخبراء والمستشارين والصحفيين .

تولى الشقيري، بصفته نائباً لرئيس الوفد السوري، شرح القضية في اللجنة السياسية، محلاً تقرير لجنة التوفيق، مندداً بإسرائيل التي تمن على اللاجئين بأموالهم المجمدة فتقرج عنها، والتي تزعم أنها راغبة في السلام وجمع الشعبين الساميين العربي واليهودي في صفاء. وبين بالأدلة أن صهيونيي اليوم ليسوا ساميين. وطالب وفد إسرائيل أن يبين أمام الهيئة الدولية ان كانت إسرائيل توافق على تنفيذ قرارات الأمم المتحدة ، وإن كانت رغبتها في المفاوضات المباشرة من أجل تنفيذها . لكن رئيس الوفد الإسرائيلي ، وزير الخارجية شاريت، لم يجب عن سؤال الشقيري. وأعدّ الوفد الأمريكي مشروع قرار يدعو الفريقين المتخاصمين إلى التعاون مع لجنة التوفيق ويصرح بأن السلام يقتضي تسوية قضية اللاجئين ولكنه لم يضم في سطره إشارة إلى قرارات الأمم المتحدة السابقة. وقام الشقيري بمناورة

---

\* ظل هذا الترتيب قائماً حتى عام 1957.

(2) أربعون عاماً، مصدر سابق، ص 325.

من وراء ظهر المندوب الأمريكي ، واتفق مع ممثل أفغانستان على أن يقترح إضافة عبارة "بموجب قرار الأمم المتحدة" في نهاية كل بند. وكانت مفاجأة، وصدر القرار بالصيغة المعدلة.

وكانت دورة الأمم المتحدة عام 1951 "الدورة القمة" بالنسبة إلى القضايا العربية ، اجتمعت فيها كل القضايا العربية بمصاعبها الدولية وخلافاتها العربية ، وهي قضية تقرير مصير السودان ، والقضية الجزائرية، والقضية التونسية، والقضية الليبية، والقضية المراكشية بالإضافة إلى القضية الفلسطينية. وقد ضرب الشقيري مع بقية الوفود العربية في جميع الجبهات، وقاتل مختلف القوى الاستعمارية الداعمة لإسرائيل والقوى الصهيونية التي تساندها.

حفل عام 1952 بأحداث عربية كبيرة عاش الشقيري وسطها بحكم منصبه في الجامعة العربية، وعاش آثارها بحكم عمله في الأمم المتحدة. وقد وصل إلى نيويورك في خريف ذلك العام وصيحات الثورة تعلو في دمشق والقاهرة ، فوجد قضية فلسطين تواجه أكبر يتهدها بعد التقسيم. فقد سعت إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية إلى تصفية القضية تصفية نهائية على أساس الأمر الواقع ، لأنهما أدركتا أن العرب مشغولون بأمورهم الداخلية ، وان الأنظمة الجديدة محتاجة إلى دعم اقتصادي وعون فني واعتراف دبلوماسي بها، وان الفرصة مؤقتة للضغط عليها من أجل قبول التسوية. وكانت أمريكا منذ بداية الخمسينات قد رسمت سياستها على أساس أن التنمية الاقتصادية في المشرق العربي هي



خير حل لاستيعاب اللاجئين.... وبالتالي التغطية على القضية الفلسطينية كلها. لهذا وكالة غوث اللاجئين، وأوفدت بعثة (كلاب) لدراسة الأوضاع الاقتصادية في البلاد العربية والمشروعات التي يمكن أن تؤدي إلى توطين اللاجئين الفلسطينيين في البلاد العربية.

وقد سعت السياستان الأمريكية والصهيونية لأن تحققا أهدافهما في دورة الأمم المتحدة هذه ، وتحركت أجهزة إعلامهما تتحدث عن السلام بين العرب واليهود، وعن المفاوضات المباشرة. وبرز أبا إيبان يحمل راية السلام ، ويقدم مشروعا ينهي حالة الحرب بين العرب واليهود. وأثرت العاصفة الإعلامية في الجو العام داخل الأمم المتحدة، وأخذ الكثيرون يتحدثون عن ضرورة الصلح والمفاوضات المباشرة ، عسى أن تنتهي هذه القضية المعقدة ، وتشطب من جدول أعمال الأمم المتحدة نهائياً.

كانت الخطوط العريضة لمشروع إيبان تتلخص في أن إسرائيل تتطلع للسلام الدائم من أجل ازدهار الشرق الأوسط بشعبيه الساميين، وأنها جسر يصل بين الدول العربية، لا إسفين يقسمها، وأنها بخبرتها العلمية والفنية تكمل العرب بثرواتهم وإمكاناتهم وتقيدهم ، وأنها ليست عدوانية الأهداف، وأنها مستعدة لتعديل خطوط الهدنة ، وجعلها حدودا ثابتة، ومستعدة لمنح الأردن تسهيلات للوصول إلى البحر المتوسط واستخدام مطار اللد، ومستعدة لحماية الأماكن المقدسة وضمان حرية الزيارة والعبادة ، وموافقة على إعادة عدد معين من اللاجئين، في

الوقت الذي ترى أن حل مشكله اللاجئين جميعهم لا يكون إلا عن طريق مشروعات التنمية في البلاد العربية، وستقدم العون في هذا المجال، وستعوض اللاجئين عن أملاكهم وأراضيهم. وهي تدعو إلى عقد مؤتمر مائدة مستديرة بين العرب واليهود بإشراف الأمم المتحدة لبحث تفاصيل هذه الخطوط العريضة، وللوصول إلى معاهدة صلح وسلام دائم.

اتفقت كلمة الوفود العربية على أن يتولى الشقيري الرد على بيان إيبان الذي صيغ بعبارات مشرقة، اتخذت شكل الموضوعية والدقة العلمية والمنطق العملي، وأثارت إعجاب مندوبي الدول الأجنبية، وكان العبء ثقيلاً، لكن الشقيري كان مستعداً له بما يملك من معرفة ووثائق وملفات. فانبرى على مدى خمسة أيام يعرض القضية الفلسطينية برمتها عرضاً موضوعياً علمياً، ويتحدث عن المؤامرة الصهيونية الاستعمارية منذ صدور وعد بلفور وعن أحداث الانتداب البريطاني وثورات الشعب الفلسطيني. ويتناول بالتفصيل موضوع التقسيم، وجهود الولايات المتحدة لحمل المنظمة الدولية على الموافقة على قيام إسرائيل وما نتج عن ذلك من تشريد الشعب الفلسطيني. وختم المناقشة في اليوم الخامس بتقنين مشروع إيبان دون أن يترك له مهراً يلجأ إليه أو حجة يعتمد عليها\*. وكان يعتمد في كل ما يقول على الوثائق والمصادر الإسرائيلية والكتاب السنوي لحكومة إسرائيل. لهذا لم يجد وزير الخارجية الإسرائيلي ما يرد به على الشقيري سوى

---

\* طبعت الحكومة السورية الخطب الخمس بنصها الإنكليزي في كتاب مستقل.

القول انه فلسطيني لا يمثل أحداً في هذه المنظمة الدولية. فرد عليه الشقيري بأنه ينوب عن جميع الوفود العربية. "أما الذي لا يمثل أحداً، ولا يمثل شيئاً فهو إيبان.. مواطن بريطاني من جنوب أفريقيا، حصل على الجنسية الإسرائيلية مؤخراً، وتعلم اللغة العبرية حديثاً..."<sup>(1)</sup> .

وكالعادة، "طبخ" الوفد الأمريكي مشروع قرار يصفي القضية، وقدمه باسم ثمانى دول، وعرف ب (مشروع الثمانية). ويقترح المشروع بمجمله "مناشدة الفريقين الدخول في مفاوضات مباشرة بغية حل الخلافات القائمة بينهما، والوصول إلى تسوية نهائية للمشكلة الفلسطينية". ودارت معركة (تعبئة) الأصوات، والعرب في هذا المجال ضعفاء - على حد قول الشقيري - لا يقدرون على الوقوف في وجه أمريكا التي تضغط.. وتبذل المساعدات الاقتصادية الضخمة. وقد فاز مشروع القرار بأكثرية الثلثين في اللجنة السياسية، وبقيت أيام، تعقد فيها الجمعية العامة للتصويت على القرار بصورة نهائية. وكان ذلك اليوم يوم نصر لليهود صفقوا له وهللوا، ويوم تعاسة للعرب حزنوا له وأرقوا.

تدارس الشقيري مع زملائه في الوفد السوري الموقف، ورأوا أن الفرج موجود عند الاتحاد السوفييتي، وأن لا بد من اللجوء إلى فيشنسكي رئيس الوفد السوفييتي عسى أن تغير الدول الاشتراكية موقفها فتصوت معارضة للقرار في

---

<sup>(1)</sup> أربعون عاما، مصدر سابق، ص359.

الجمعية العامة. وقد انطلق الشقيري إلى مكتب فيشنسكي، وتحدث معه طويلاً حول القضية الفلسطينية، وأوضح له الأسس التي يرفض العرب من أجلها المفاوضات مع اليهود، وأعلمه أن الأمة العربية تتطلع إلى نصرة الدول الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفييتي. ووعده فيشنسكي بنقل رجائه إلى موسكو.

ولما جاء يوم التصويت في الجمعية العامة طمأن فيشنسكي الشقيري إلى أن الدول الاشتراكية ستكون إلى جانب العرب- وبذلك انقلبت الحسابات وسقط مشروع القرار لأنه لم يظفر بأكثرية الثلثين. وصفق الكثيرون، وصفقت الوفود العربية، وشق الشقيري طريقه إلى المنبر يعلن شكر العرب للدول الاشتراكية، واستنكارهم لموقف الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها. وقد انتهت تلك الدورة بهزيمة لإسرائيل ومن وراءها، ولم تعد المفاوضات المباشرة إلا كلاماً إعلامياً إسرائيلياً، ليس له حظ في النجاح في الأمم المتحدة.

ترأس الشقيري الوفد السوري إلى دورة الأمم المتحدة عام 1953 وعام 1954. وقد انكشفت قضية فلسطين في هاتين الدورتين وغدت قضية إغاثة اللاجئين، وحاول الشقيري جهده أن يحرك الجوانب السياسية، فلم يفلح. "ولم يكن سند الشقيري في دورة الأمم المتحدة خريف عام 1955 سوى قرار مؤتمر باندونغ"

---

\* اتخذ المؤتمر قراراً بتأييد حق شعب فلسطين يشبه في صيغته قرارات الأمم المتحدة. وقد عدته الوفود العربية- على ما فيه- خطوة إلى الأمام على الساحة الأفروآسيوية.

وتمنيات الجامعة العربية، وقد هانت القضية الفلسطينية على أصحابها- كما يقول- فهانت على الأمم المتحدة ، فوكل أمرها إلى اللجنة السياسية لتعالجها على أنها قضية لاجئين تناشد الأسرة الدولية الدواء والكساء والغذاء من أجلهم<sup>(1)</sup>.

حاول الشقيري، مع المندوبين العرب الدائمين، أن يجددوا شباب القضية في هذه الدورة، ونجحت محاولتهم، إذ تجاوزوا البند المدرج على جدول الأعمال، وهو إغاثة اللاجئين، إلى بحث القضية الفلسطينية من "جميع جوانبها، وحققوا بذلك نصراً، ولو كان على الصعيد الإعلامي. وكان الوفد الأمريكي يصطنع العقبات ليمنع ذلك، ويحول دون تنفيذ قرار عام 1948 بشأن عودة اللاجئين . وقد استغل الشقيري مناسبتتي (يوم الأمم المتحدة) و ( يوم حقوق الإنسان) واتخذهما ركيزتين للهجوم على الولايات المتحدة الأمريكية ، فاضطر الوفد الأمريكي إلى الموافقة على إدخال فقرة تقضي بتنفيذ قرار الأمم المتحدة عام 1948 بشأن العودة في مشروع القرار بموضوع إغاثة اللاجئين . وقبل انتهاء الدورة تقدم بشكوى أمام مجلس الأمن في 11 / 12 / 1955 بسبب اعتداء الإسرائيليين على المخافر السورية شرقي بحيرة طبرية، وقد استغل الشكوى ليعود إلى تاريخ الاعتداءات الإسرائيلية يعرضه، وإلى قرارات الإدانة التي صدرت عن مجلس الأمن يستعرضها. لينتهي إلى القول إن قرارات الإدانة لم تعد كافية أو رادعه، وليطرح- لأول مرة أمام الأمم المتحدة - تطبيق المادة السادسة من ميثاق

---

(1) أربعون عاما، مصدر سابق، ص 390.

الأمم المتحدة التي تنص على فصل الدولة من عضوية الأمم المتحدة إذا كانت "تستمر في مخالفتها". لكن مجلس الأمن لم يوافق أخيراً إلا على قرار يندد بالعدوان وينذر بالنظر في إجراءات أخرى إن تكرر مثل هذا العدوان . وتوالت اعتداءات إسرائيل بعد ذلك القرار، ولم يتخذ مجلس الأمن أية إجراءات أخرى.. غير التدديد، وكان أكبر هذه الاعتداءات العدوان الثلاثي عام 1956 .

وكانت دورة الأمم المتحدة عام 1957 ميداناً للحرب الباردة، وتهجم وزراء الدول الغربية الثلاثة، بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة، على القومية العربية، ونسبوا إليها الوضع القلق الذي يسود الشرق الأوسط. فأخذ الشقيري - وكان قد أصبح ممثل المملكة العربية السعودية- على عاتقه أن يرد على الوزراء الثلاثة جميعاً ، وأن يتحمل العبء كله . وتحدث في معرض رده عن العلاقات العربية مع الغرب عبر التاريخ، وأعلن أن الأمة العربية راغبة في أن تقوم بينها وبين الدول الغربية علاقات ود وصداقة، لكن نقطة البداية في هذا العهد هي القضية الفلسطينية ، فهي المحور الدائم للعلاقات العربية الدولية، ولا بد من الاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في وطنه، وحقه في تقرير مصيره . وقال: "إن عدونا هو من يعاديها (أي قضية فلسطين)، وإن صديقنا من يصادقها"<sup>(1)</sup>، وأشار في هذا المقام إلى ما تكنه الأمة العربية من الأمة العربية من التقدم للاتحاد

---

(1) أربعون عاماً، مصدر سابق، ص 408

السوفييتي لأنه لا يسمح بالهجرة إلى فلسطين، ويحرم الصهيونية، ويعدّها حركة غير مشروعة، ويحظر نشاطها، وجمع الأموال لها.

وكانت على كتف القومية العربية في هذه الدورة قضية أخرى ملتهبة، هي قضية خليج العقبة، التي كانت سببا في استعارة السعودية الشقيري من سورية لتمثيلها في الأمم المتحدة ويعالج قضية الخليج والملاحاة الإسرائيلية فيه. وقد تولى الشقيري الرد على مشروع الأمين العام للأمم المتحدة همرشولد الذي اقترح استصدار (فتوى) من محكمة العدل الدولية بشأن الملاحاة فيه، وأعلن رفضه إياه بالحجج القانونية والأدلة التاريخية<sup>(1)</sup>، فتراجع همرشولد، وسكت عن الاقتراح.

وانعقدت الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورة طارئة في آب 1958، بعد تفجر الأحداث في المشرق العربي بقيام الوحدة بين مصر وسورية، وبسقوط الملكية في العراق، وبنشوب أحداث خطيرة في لبنان والأردن. وقد خطب في الدورة الرئيس الأمريكي ايزنهاور، وركز الحديث على الشرق الأوسط، فرد عليه الشقيري بخطاب شديد، أكد فيه أن ما يسمى أزمة الشرق الأوسط إنما هي نتيجة طبيعية للاستعمار وللإستيطان الأجنبي. وقد بين- بعد حديث مطول عن العلاقات العربية الغربية واستعراض واف للقضايا العربية- أن إنشاء إسرائيل كارثة عظيمة للشعب العربي، وهو سبب أزمة الشرق الأوسط. ولن يكون لها

---

(1) أنظر 202 من هذا الكتاب.

حل إلا بإزالة السبب. ومما قاله: " .. إن قضية اللاجئين - على أهميتها وخطورتها- ليست هي القضية الفلسطينية، إن الموضوع يتصل بوطن اغتصب ووقع تحت احتلال أجنبي... وأن لشعب فلسطين ، ومعهم الدول العربية لا يتنازلون عن وطنهم مقابل كنوز الأرض كلها... إن العرب مصممون أن يكونوا سادة في وطنهم، وهذا هو الذي يفرق بيننا وبين الغرب. وإن الخيار أمامكم هو بين السلام وإسرائيل <sup>(1)</sup>. وقد أكد أن السلام وحل القضية الفلسطينية ليس له إلا طريق واحد، هو طريق العدالة. وما عدا ذلك باطل قصير العمر <sup>(2)</sup>.

وعاد الشقيري بحث الأمم المتحدة في دورة عام 1959 على ضرورة حل قضية فلسطين بالوسائل السلمية، ويبيدي تطلعه للسلام ، لأن هذه القضية، إن لم تحل ، ستقود العالم إلى شفيرالحرب . وقد قال: " وبينما يتركز اهتمام العالم وقلقه على برلين المجزأة كمستودع البارود الذي قد يفجر الحرب ، فإن شررها قد يندلع أيضا من القدس المجزأة" <sup>(3)</sup>. وحذر الأمم المتحدة من الحالة النفسية التي تسيطر على أبناء الشعب الفلسطيني، بعد إخفاق جميع الجهود التي بذلتها الأمم المتحدة لإعادتهم، وتمنى ألا توصل هذه الهيئة الدولية شعب فلسطين إلى اليأس، فيلجأ إلى الثورة المسلحة ، وهي حقه الطبيعي. وقد سرد الشقيري أمام الأمم

---

(1) أريعون عاما، مصدر سابق، ص ص415-421.

(2) قضايا عربية، مصدر سابق، ص 114.

(3) المصدر نفسه، ص 227.



المتحدة الحجاج التي تعاد إثارتها حول القضية الفلسطينية في جميع الدورات ، وحاول أن يوضح بعض المفاهيم الخاطئة، وعلى رأسها ما تطلبه الجمعية العامة من الوصول إلى حل بالاتفاق بين الأطراف المتنازعة، وتساءل عن سبل هذا الحل ما دامت إسرائيل ترفض حق العودة لأبناء الشعب الفلسطيني المشردين. ثم طالب الأمم المتحدة بتنفيذ جميع القرارات التي اتخذت في موضوع فلسطين. وأكد أن الفريق الرئيسي في المشكلة هو شعب فلسطين- وعلى الرغم من سعي إسرائيل الدؤوب لطمس دوره وإبعاده عن الميدان، فإن أي اتفاق يجب أن يكون مع هذا الشعب، وبرضاه وموافقته، وهو صاحب القول الفصل في الموضوع، وهو الذي يقرر مصيره بنفسه.

وعرض الشقيري القضية الفلسطينية بإسهاب في دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة عام 1960 التي حضرها عدد كبير من رؤساء الحكومات ، وقبل فيها عدد من الدول التي تحررت حديثاً من الاستعمار، وسميت الدورة (دورة القمة). وقد شرح أولاً أهمية تلك الدورة بالنسبة إلى القضية الفلسطينية ، فقال: "إن مؤتمر القمة يهيئ فرصة لعرض القضية الفلسطينية من بعض جوانبها، وخاصة مع حملة التضليل التي تقوم بها الصهيونية... وخاصة أن الأمم المتحدة

التي أنزلت بنا الظلم عام 1947 لم تعد موجودة ، بعد أن أصبحت الكثرة للدول الآسيوية الإفريقية، المصممة على إقرار العدل والحق <sup>(1)</sup>.

وردّ الشقيري على الرؤساء الذين تصدوا للقضية العربية ولقضية فلسطين، قاصراً حديثه على الجانب الواقعي الإنساني، فذكر رئيس وزراء بريطانيا مكميلان بأن السياسة البريطانية هي السبب الأول لكارثة فلسطين وتشريد شعبها، وأكد لنكروما رئيس جمهورية غانا أن قضية فلسطين هي قضية شعب يريد أن بسلام وكرامة وسيادة في وطنه، وبين لأعضاء الأمم المتحدة أن مشكلة فلسطين ليست صراعاً عقائدياً، بل هي مشكلة شعب راح ضحية إنكار حقه في تقرير مصيره. ولا يمكن إغفال وجود القومي، كما لا يمكن الاعتراف بالواقع السياسي. فالواقع السياسي تعبير استعماري، وهذا الواقع السياسي، إن صح التعبير، نتيجة عدوان وتنكر للحقوق الطبيعية.

إن قضيه فلسطين تتلخص - في رأي الشقيري الذي قاله في هذه الدورة - في ثلاث مسائل: لاجئين، وحدود، وقُدس، وقد عالجتها جميعاً قرارات الأمم المتحدة - وإن حق الشعب الفلسطيني في وطنه هو حق قائم وطبيعي - وليس منحة والأمم المتحدة لا تخلقه، بل تؤيده. أما الحل الذي يقترحه الشقيري أمام الأمم المتحدة، فيتخلص في أن على الأمم المتحدة - خليفة عصبة الأمم - احترام

---

(1) أربعون عاماً، مصدر سابق، ص 434.

استقلال فلسطين السياسي، وإعادة فلسطين إلى وحدتها، وعودة اليهود المهاجرين، وإنشاء دولة فلسطين الديمقراطية<sup>(1)</sup>. وقد طالب الشقيري الأمم المتحدة بضرورة إيجاد الحل، وإلا وجد الفلسطينيون الحل خارجها، فالخيار الوحيد للاجئين هو اللجوء إلى حرب تحريرية، وسيعيد الشعب الفلسطيني عندئذ تنظيم نفسه، ويبادر لحمل السلاح لفرض القانون بيده، وعلى الأمم المتحدة، ألا تجعل الحرب أمرا محتوما بإنكارها الحق الطبيعي والكرامة الإنسانية<sup>(2)</sup>.

وفي دورة عام 1961 تصدى الشقيري للوفد البريطاني ، و سخر من تباكي رئيس الوفد اللورد هيوم على ما يقاسيه شعب برلين الحائط الذي يقسمها إلى شرقية وغربية، وذكره بمدينة القدس ، التي فصلها خط الهدنة نحو أسوأ كل من برلين، وخاطبه قائلا: " يبدو لنا أن اللورد هيوم قد اتخذ من حائط برلين حائط مبكى يذرف دموع الشفقة و الرحمة على شعب برلين، في حين أن الحكومة البريطانية قد أنزلت بالشعب العربي في فلسطين، على مدى ثلاثين عاماً، ما هو أحق بالدموع " <sup>(1)</sup>.

---

(1) دفاعا عن فلسطين والجزائر، مصدر سابق، ص 114.

(2) المصدر نفسه ص 76.

(1) أربعون عاماً، مصدر سابق، ص 450.

وتناول في الدورة ذاتها، خطاب الرئيس الأمريكي كينيدي بالتنفيذ والتنديد ، وكان هذا قد استعرض القضايا الدولية، ومنها مشكلة برلين " ومما قاله في معرض تنديده: "أن الذين في برلين الشرقية والغربية هم من الشعب الألماني"، صاحب الحق في وطنه. أما في بيت المقدس فيعيش في القدس القديمة أصحاب البلاد الأصليين، وفي القدر الجديدة يقيم المهاجرين الذين وفدوا على البلاد ظلماً وعدواناً.. "(2). وتساءل في ختام كلمته متعجباً من هذا التأييد الأمريكي الأعمى لإسرائيل، وضرب مثلاً فقال: " لقد أعلنت الولايات المتحدة دعمها لإسرائيل في أربعة أيام متوالية من الشهر الماضي، كما لو كان الأمر تمريناً رياضياً... فأين العدل والإنصاف؟ وأين جميع المبادئ التي تحدث عنها الرئيس كينيدي بسخاء"(3).

وتقدمت كوبا في دورة 1962 بشكوى ضد الولايات المتحدة بسبب تدريب السلطات الأمريكية للاجئين الكوبيين للقيام بأعمال عسكرية داخل الأراضي الكوبية، ولم يكن أحد يظن أن للعرب مكاناً في هذا الموضوع الخطير\_على حد قول الشقيري\_ ولا سيما أن احتمالات حرب نووية كانت تلوح في الأفق ، ولم يكن أحد يجرؤ على الاقتراب من هذا الحوار، فقد كان الجو ساخناً، بل لاهباً. يقول الشقيري: "ولكن فلسطين أصبحت قضيتها متغلغلة في كل قضية دولية،

---

(2) المصدر نفسه، ص 453.

(3) المصدر نفسه.

ورأيت أن الفرصة سانحة لكي (أنخس) الولايات المتحدة في أكثر قضاياها حساسيةً وخطراً، وأبعدها أثراً.. علها تستيقظ وتصحو، وترى مبلغ الظلم الذي أنزلته بشعب فلسطين وبالأمة العربية <sup>(1)</sup>. فتحدث، وطالب ساخرا الرئيس الأمريكي أن يدرب اللاجئين الفلسطينيين على حمل السلاح ليستردوا بلادهم، أسوة بما يفعله مع الكوبيين، خاصة أن الأمم المتحدة قد اعترفت بحق اللاجئين الفلسطينيين بالعودة إلى ديارهم، ورفضت إسرائيل عودتهم .. فلم يبق أمام الفلسطينيين الا السلاح.

جاءت معركة الشقيري الكبرى والأخيرة في الأمم المتحدة صيف عام 1963 حين ذهب إلى الأمم المتحدة رئيساً، لوفد فلسطين، ولم تكن منظمة التحرير قد أنشئت بعد. طرحت القضية الفلسطينية في هذه الدورة قضية سياسية قومية تحريرية. وعلى الرغم من بلاء الوفود العربية في هذه الدورة، كان زمام القضية بيد الوفد الفلسطيني. وقد تقدم الشقيري إلى الأمم المتحدة بطلب الاستماع إلى (الوفد الفلسطيني)، وثارَت ثائرة غولدا مئير وزيرة خارجية إسرائيل ، فاتصلت بالوفود لحثها على معارضة قبول الوفد بهذا الاسم، وأعلمتهم أن أقصى ما يمكن الموافقة عليه هو أن يكون (وفد لاجئين) ، وادعت في خطابها أنه لم يعد هناك بعد التقسيم إلا دولتان؛ إسرائيل والأردن، وهما عضوان في الأمم المتحدة، ولا وجود لأرض فلسطين، أو شعب فلسطين. وخاض الشقيري معها معركة حامية،

---

(1) أربعون عاما، مصدر سابق، ص454.

وأعلن أن فلسطين قائمة وباقية، وإن قيام إسرائيل مرحلة تشويه عابرة، وأن الأمم المتحدة ما زالت تستخدم في عباراتها كلمة فلسطين، وأكد أن وفد فلسطين هو الفريق الرئيسي في القضية ، أما الوفد الإسرائيلي فيتألف من أعضاء ليسوا فلسطينيين. وقد اقترح الوفد السوفييتي إقفال باب المناقشة، وقبول الوفد الفلسطيني بهذه الصفة، فوافقت الأكثرية على ذلك، واستنكفت عن التصويت الولايات المتحدة وبريطانيا.

افتتح الشقيري المناقشة في اللجنة السياسية<sup>(1)</sup> بالتذكير بميثاق الأمم المتحدة الذي يؤكد الحقوق الإنسانية الأساسية. وأوضح أن مأساة شعب فلسطين ليست لها سابقة ولا مثل، وفند مزاعم إسرائيل التي تدعي عدم وجود مشكلة اسمها مشكلة فلسطين، فالمشكلة تبحث منذ عام 1947 داخل الأمم المتحدة وخارجها، وما قضية اللاجئين إلا جزء منها. وأعلن للجنة أن وفد فلسطين لم يأت يطلب الإحسان، بل يطلب العودة إلى الوطن، وهو لا يطلب اعترافاً من أحد، ولكنه لا يجد إلا الأمم المتحدة للتعبير عن رأيه، فهو يطلب منها أن تمنحه العدالة.

ودافع الشقيري عن وجود الشعب الفلسطيني الذي تنكره الأمم المتحدة، وعن حقه في الحياة والوجود، وتطلعه إلى ممارسة حقه في تقرير مصيره. إن قضية

---

<sup>(1)</sup> نشرت خطب الشقيري الثلاث أمام اللجنة السياسية في هذه الدورة في كتاب مستقل بالإنكليزية والعربية.

الشعب الفلسطيني هي قضية الوطن، لذا لا تقبل الحلول الوسطى، أو المفاوضة، أو الجدل. ووجه النقد إلى بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية لأنهما لا تأبهان لوجود شعب فلسطين، وانتقد لجنة التوفيق التي لا تعترف بوجوده أيضاً في تقريرها، وتستبعده من الأطراف المعنيين، وأعلن عالياً أن شعب فلسطين هو الفريق الأول في القضية، ولا يمكن حل القضية من وراء ظهره، أو تقرير مصيره في غيابه<sup>(1)</sup>.

ثم وجه خطابه إلى الوفود الأعضاء قائلاً: "على الأمم المتحدة، إذا أرادت بحث موضوع اللاجئين وقضية فلسطين في مجموعها، أن تتحدث إلينا نحن شعب فلسطين، فهذا الشعب هو الطرف الرئيسي في المشكلة الفلسطينية... الدول العربية ليست الفريق الشرعي المعني في أية مفاوضات بالنسبة إلى حقوق اللاجئين، وليس من حق هذه الدول أن تتفاوض في الحقوق الوطنية لشعب فلسطين... إن المصير النهائي لشعبنا - شعب فلسطين - ومستقبل بلادنا رهن بمشيئة هذا الشعب، فنحن الذين في وسعنا أن نقبل أو نرفض..."<sup>(1)</sup>.

وأندر الشقيري الأمم المتحدة بأن صبر الشعب الفلسطيني قد ينفد، وبأنه يلجأ إلى الأمم المتحدة لآخر مرة، وهو لا يرى مناصاً من حرب تحريرية لاسترداد وطنه، لأن مشكلة استعمارية في أبشع صورة، بل هي أخطر هذه المشكلات

---

<sup>(1)</sup> فلسطين على منبر الأمم المتحدة، مصدر سابق، ص 34.

<sup>(1)</sup> أربعون عاماً، مصدر سابق، ص 16.

الاستعمارية، وهي ثمرة تحالف بين الصهيونية والإمبريالية، ويتساءل فيما إذا كانت هناك وسيلة سلمية الوطن دون اللجوء إلى القوة، وهل يكون الحفاظ على حساب العدالة؟ وقد يلجأ شعب فلسطين إلى حمل السلاح أن ظل موقف الأمم المتحدة على هذا الجمود، لذا كان على الأمم المتحدة أن تختار بين السلام والحرب.

وبالإضافة إلى هذه الخطب أمام اللجنة السياسية، وقعت بين الشقيري والوفد الإسرائيلي مساجلات تشبه صراعا خاطفا. كان الشقيري يوجه فيه الطعنات لإسرائيل بأسلحتها. من ذلك رده على أبا إيبان الذي طرح على الوفود العربية سؤالا عما إذا كانت الدول العربية مستعدة للمفاوضات المباشرة، بقصد الوصول إلى تسوية سلمية للقضية الفلسطينية. وكان رد الشقيري: "أنا صاحب الحق في الجواب، وليست الدول العربية، ولم يولد ذلك العربي الذي يقبل أية تسوية للقضية الفلسطينية نيابة عن الشعب الفلسطيني ". وحين وجه إيبان السؤال إلى الشقيري، ردّ: "نعم، العرب مستعدون للمفاوضة المباشرة لتحرير فلسطين"، فقال إيبان: "وماذا يبقى للمفاوضات بعد تحرير فلسطين؟"، ورد الشقيري: "تبحث الضمانات الدستورية لصيانة حقوق المواطنين الشرعيين من اليهود"<sup>(1)</sup>.

---

<sup>(1)</sup> أربعون عاما، مصدر سابق، ص 501.



تلك كانت معارك الشقيري على المنبر الدولي من أجل القضية الفلسطينية، خاضها بإيمان.. وحماسة.. وشجاعة.. ودراية، يحمل بيمينه سلاح الحق والقانون، يصول به ويجول... ولكن هيهات.. فقد كان الشقيري يزداد، مع الزمن، إيمانا بأن لا جدوى في الخطب والكلمات، وأن لا بدّ من قوة تدعم الحق وتؤيده، لذلك يقول: ".. فعزمت أن تكون تلك الدورة آخر دورة أحضرها في الأمم المتحدة.. وعزمت أن أساهم في بناء حركة تحرير فلسطين، كما جرى في وطننا العربي في شمال إفريقيا.."<sup>(2)</sup>. وذهب الشقيري في الجلسة الأخيرة، وألقى كلمة.. كانت بمقام الوداع، وقال: ".. وقد أصبح من الضروري أن نشرع في حركة تحريرية، تعتمد على جيش التحرير. وسنبني هذا الجيش، وستقوم حركة التحرير"<sup>(1)</sup>.

وكانت العودة إلى الوطن .. وجاءت مؤتمرات القمة العربية.. وعهد إلى الشقيري بإنشاء الكيان الفلسطيني .. وقامت منظمة التحرير. وبُني جيش التحرير.. وتجسّدت الشخصية الفلسطينية.

---

<sup>(1)</sup> المصدر نفسه، ص 501.

<sup>(2)</sup> أربعون عاما، مصدر سابق، ص 501.

## اللاجئون

---

أَقْصَتْ مشكلة اللاجئين\_ منذ وجدت\_ مضجع الشقيري وأرقته، وحمل  
همها طوال عمره، ودافع عن حقوق الشعب المشرّد في كل ميدان ، وفوق كل

منبر. ولا عجب، فقد كان واحداً من هؤلاء اللاجئين الذين عصفت بهم رياح النزوح والرحيل، "كنت واحداً من الشعب النازح، خلفت ورائي الوطن بأعلى ذكرياته وأقدس مقدساته"<sup>(1)</sup>. ويصور في مؤلفاته حياة الألوف من أبناء فلسطين المشردين، ويلخص مأساة اللاجئين الفلسطينيين في "الغربة" في حكاية بعض من عرفهم من أبناء مدينته عكا (واسمه بدر)، الذي هاجر بعد كارثة 1948، وعاش على الإحسان ومات، في الهجرة في بؤس وشقاء بعد أن كان يعيش في فلسطين في عز ووفاء، ويقول في نهايتها: "وما مأساة بدر إلا واحدة من ألوف المآسي التي نزلت بشعبنا البطل، ويكاد كل فلسطيني أن تكون له تراجيديا إنسانية في حياته، توشك أن تكون أسطورة من أساطير الأولين"<sup>(1)</sup>.

ويؤلم الشقيري أشد الألم ما يعانيه اللاجئين الفلسطينيين من القيود في الأقطار العربية التي لجأوا إليها أو تشردوا فيها. وعلى الرغم من أن عدداً من أبناء الشعب الفلسطيني قد تسلموا مناصب عالية في بعض الأقطار العربية، فإن الآلاف المؤلفة منهم "يعيشون تحت ظروف قاسية وقيود صارمة لا تليق أن تصدر من عربي إلى عربي.. كائنة ما كانت الأسباب، ويكفي أن أشير إلى قيود السفر.. والانتقال... والعمل"<sup>(2)</sup>.

---

<sup>(1)</sup> أربعون عاماً، مصدر سابق، ص 442.

<sup>(1)</sup> أربعون عاماً، مصدر سابق، ص 66.

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه، ص 379.

وظل شعب فلسطين بعد الجلاء عن الوطن يتساءل " متى نعود إلى وطننا".

وعلى الساحة الدولية كان صوت الشقيري يذكر بأن " شعب فلسطين هو الضحية، وشعور أفرادها بالافتقار إلى الأمن يعيش معهم في مخيماتهم ، لا تطفئ جذوته إلا العودة "(3). ويقول دائماً أنه لا يمكن أن يفهم مشكلة اللاجئين إلا من يعيش حياتهم " في مخيماتهم البالية القذرة، ويعيش معهم في حنينهم اللاهب إلى وطنهم ، وفي حرقتهم على بيوتهم ومساجدهم وكنائسهم، وفي لوعتهم على أضرحة أحبائهم، وفي تعشقهم لكل حفنة من تراب أرضهم "(1).

بهذه المشاعر العميقة حمل الشقيري قضية اللاجئين، وجعلها شغله الشاغل خلال عمله في الأمم المتحدة، وفي كل مناسبة، وكان يسعى جهده في الدورات الأولى للأمم المتحدة خاصة أن ينتزع من هذه الهيئة الدولية قراراً يلزم إسرائيل بإعادة اللاجئين أولاً، وقيل كل شيء، لأن مشكلتهم مشكلة ملحة لا تحتل تسويفاً أو تأجيلاً. لذلك عارض الفقرة (11) من قرار الأمم المتحدة في دورة عام 1948 التي عقدت في قصر شايفو في باريس، لأنها لم تتضمن إلزاماً لإسرائيل بعودة اللاجئين، ولم تحدد زمناً للعودة. وعلى العكس، تشترط على اللاجئين أن يعيشوا بسلام مع جيرانهم. وتحققت مخاوف الشقيري التي دفعته إلى

---

(3) قضايا عربية، مصدر سابق، ص 269.

(1) أربعون عاماً ، مصدر سابق، ص 236.

معارضة هذا القرار ورفض الفقرة (11) منه بخاصة ، لأن إسرائيل استطاعت\_ خلال عشرين دورة من دورات الأمم المتحدة اشترك الشقيري في معظمها\_ أن تجد مهرباً من إعادة اللاجئين، معتمدة على ما في هذه المادة من فجوات وعدم إلزام.

ولما وصلت " لجنة التوفيق " إلى بيروت في شباط / فبراير 1949 تولّى الشقيري \_ بصفته مستشاراً لوفد السوري \_ شرح مشكلة اللاجئين والحديث عن حقهم الطبيعي في العودة اعتماداً على حقوق الإنسان. وكان موضوع اللاجئين محور التكتيك بين الوفود العربية وإسرائيل؛ فقد كانت الوفود العربية تصر على أن تبادر لجنة التوفيق إلى اتخاذ التدابير العملية لإعادة اللاجئين، لكن إسرائيل كانت تراوغ، وتربط موضوع اللاجئين بالقضية الفلسطينية برمتها، مما دفع الشقيري إلى أن يعلن أمام التوفيق "أن إسرائيل تريد أن تربط موضوع اللاجئين بصخرة جبل طارق، لا تتحرك الا إذا تحرك الجبل "(1) .

وجاءت وفود اللاجئين تقابل الشقيري بعد أن عاد من مباحثات لوزان عام 1949، تسأله عن العودة، وتطالبه، وتوجه إليه الانتقادات اللاذعة. وكان يصبر على ملاحظاتهم الموجهة ويشرح ويوضح، ويدعو إلى مزيد من الصبر

---

(1) أربعون عاماً، مصدر سابق، ص 309

والثقة بالمستقبل، ويردد في نفسه "ما أنا إلا لاجئ مثلهم، غضبتهم غضبتي" (2)

وقد تناول الشقيري مسألة اللاجئين بالتفصيل خلال عرضه القضية الفلسطينية على منبر الأمم المتحدة في مختلف دوراتها، وكان يصور مأساتهم وأوضاعهم السيئة، ويدعو الأمم المتحدة لفهم مشكلتهم بالعودة إلى جذورها؛ فهي ليست مشكلة إغاثة، بل حقوقاً أساسية إنسانية. إن إقامة دولة إسرائيل بقرار من الأمم المتحدة قد خلق هذه المشكلة، وأن منع إسرائيل عودتهم إلى وطنهم جعل المشكلة مسألة دائمة على جدول أعمال الجمعية العامة\_ لا بل كانت سياسة إسرائيل التوسعية والإرهاب الذي تمارسه السبب في تفاقم المشكلة وازدياد حجمها بدلاً من تناقصه. لقد تحدثت إسرائيل قرارات الأمم المتحدة الداعية إلى إغاثة اللاجئين، وعودتهم، والتعويض عليهم، دون أن تفعل الأمم المتحدة شيئاً تجاه ذلك التحدي.

فمن حيث الإغاثة وتكاليفها الكبيرة، حمل الشقيري إسرائيل المسؤولية عن ذلك، لأنها هي المسؤولة عن تمديد عمل وكالة الغوث؛ وهي التي لم تعط اللاجئين الفرصة للاختيار بين العودة والتعويض. ومن أجل حل جزء من مسألة اللاجئين ولوقف أعمال الإغاثة تقدم بخطة مقابلة، تدعو إلى إدماج اللاجئين

---

(2) المصدر نفسه، ص 318.

في المناطق التي تحتلها إسرائيل\_ لا خارجها\_ على مراحل ثلاث، تقوم على أساس إعادة التكامل الاقتصادي.

والعودة هي الطريق المختصر لحل مسألة اللاجئين. وحق العودة لا يخضع للتنازل والتسليم أو التعويض. ومسؤولية العودة تقع على عاتق الأمم المتحدة، لأن قرار الجمعية العامة بخلق دولة يهودية كان بداية مشكلة اللاجئين. "وحالة اللاجئين هي الموضوع الرئيسي الذي تلتف حوله قضايا السلام في الشرق الأوسط كافة"<sup>(1)</sup>. وقد أعطت الأمم المتحدة اللاجئين حق الاختيار بين العودة والتعويض. ومعنى ذلك أن نصف اللاجئين يجب أن يعودوا ، وليس لهم حق الاختيار، لأن بيوتهم تقع في المنطقة العربية المحددة بقرار تقسيم عام 1948. لذلك إن عودة نصف مليون، واختيار نصف مليون، ليس بداية الحل.

أما موضوع التعويضات الذي قررت مبدأه الأمم المتحدة فقد تناوله الشقيري بالتفصيل، وأكد أنه خاص فقط بمتلكات أولئك الذين يختارون عدم العودة. وأن هذه الممتلكات لا يمكن تقدير قيمتها، لأنها إرث شعب بكامله. وعلى الأمم المتحدة أن تحمي هذه الثروة العربية التي اغتصبتها إسرائيل. وقد دحض إدعاء إسرائيل "حق السيادة" في موضوع اللاجئين وممتلكاتهم، لأن الأمم المتحدة عندما

---

<sup>(1)</sup> قضايا عربية، مصدر سابق، ص 24.

خلقت إسرائيل لم تعطها كل الحقوق، بل منحتها حقوقاً محدودة ، وفرضت عليها التزامات معينة.

ووقف الشقيري يدحض حجج إسرائيل في دعوتها إلى إدماج اللاجئين في بنية المجتمعات العربية التي يعيشون فيها مشردين، مدعية أن اللاجئين أنفسهم قد قبلوا الإدماج وعاشوا مواطنين في البلاد التي يقيمون فيها. فتبين أن هذا الادعاء تشويه للحقيقة ، "فلا الدولة العربية ولا اللاجئين أنفسهم قد تخلوا عن حقوق اللاجئين كشعب وكأفراد"<sup>(1)</sup>. إن إعادة إدماج اللاجئين لا تعني إدماجهم في غير بلادهم . وقد أعلنت جميع قرارات الجمعية العامة بعد عام 1948 تأييدها لمبدأ العودة((دون المساس بحقوق اللاجئين))<sup>(2)</sup>. والعبارات الاقتصادية الواردة في تلك القرارات مقصود بها فلسطين لا البلاد العربية. وهي تعني عودة اللاجئين، ثم إدماجهم اقتصادياً في بلادهم ، وإنماءها اقتصادياً.

ورفض الشقيري حجة إسرائيل لرفض عودة اللاجئين بالادعاء بأن العودة مستحيلة لما يحمله العرب من مشاعر الكره والعداء نحو إسرائيل ، وبين أن العرب كانوا على علاقات حسنة مع اليهود حتى خلق الدولة الصهيونية، وتعرض

---

<sup>(1)</sup> أربعون عاماً، مصدر سابق، ص 83.

<sup>(2)</sup> قضايا عربية، المصدر نفسه ، ص 207.



فلسطين للغزو والاحتلال، فإسرائيل هي التي خلقت الكراهية، ثم جعلتها ذريعة لرفض العودة.

ورد على الذين يتحدثون عن "سيادة إسرائيل" و"أمن إسرائيل" ويؤيدون حججها لرفض عودة اللاجئين قائلاً: "إن حرمان الشعب من وطنه ليس أمراً من أمور السيادة... إن اللاجئين وجدوا في وطنهم قبل وجود سيادتها. ولا سيادة على أهل البلاد... إن حق الفلسطينيين في وطنهم لا تحجبه دواعي الأمن الإسرائيلي... وليس من حق أية دولة أن تضمن أمنها عن طريق طرد الشعب من البلاد" (1).

وكان الشقيري، في خطبه أمام الأمم المتحدة، يؤكد دائماً أن قضية اللاجئين\_ على أهميتها\_ ليست هي القضية الفلسطينية، الموضوع يتصل بوطن اغتصب، واقتراحات تعويض اللاجئين لا يمكن أن تعتبر حلاً للمشكلة (2)، فقضية اللاجئين في جوهرها قضية قومية وسياسية، وليست قضية اقتصادية تحل بإعادة إدماجهم في حياة الشرق الأوسط الاقتصادية، أو بالتعويض عليهم، و"قد يكون في الإمكان التعويض على الأضرار التي لحقت بممتلكات العرب، أما بالنسبة إلى فلسطين، كوطن عربي، فليس ثمة من تعويض أبداً" (3). وعلى الرغم

---

(1) من خطابه في الجمعية العامة في 30/9/1960 انظر: دفاعا عن فلسطين والجزائر، ص14.

(2) أربعون عاما، مصدر سابق، ص 420.

(3) دفاعا عن فلسطين والجزائر، مصدر سابق، ص89.

من عدم ثقة الشقيري بإمكانية الوصول إلى حل لمشكلة اللاجئين داخل الأمم المتحدة، عرض الحل بالوسائل السلمية عليها، ودعا عام 1959 إلى استئناف لجنة التوفيق عملها الذي توقف عام 1951، لأنها جهاز تنفيذ لقرار العودة<sup>(1)</sup>.

وكان يلح كثيرا على الجانب الإنساني الواقعي في شرح مشكلة اللاجئين وتوضح أبعادها. ففي خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة عام 1960 قصر الحديث تقريبا على هذا الجانب. ومما قاله عن قضية اللاجئين إنها "قضية شعب عاش في وطنه منذ فجر التاريخ.. ترعرعت آماله، وساهم في صنع التاريخ الإنساني. وهذا الشعب يعيش عامه العاشر في الخيام، وهو يرى الآلاف من المهاجرين يحتلون منازلهم، ويضعون أيديهم على كنوز من ثرواته، جمعها بالجهد والعرق عبر الأجيال .. ولست أحسب أن بينكم رجلا يتمتع بضمير نقي يستطيع أن ينكر على اللاجئين حقهم في العودة إلى وطنهم . إن كثيرا منكم يدرك ما معنى أن يكون الإنسان لاجئا... اللجوء ينطوي على مشاعر عميقة، إنه الحنين الملتهب إلى الوطن.. إنه الحرب المقدسة في سبيل تحرير الوطن وتحطيم الحواجز التي تحول دون الرجوع.. إن شعب فلسطين عريق، ولا يمكن أن تتجاهلوا إرادته بهذه السهولة... ساهم في بناء الحضارة العربية... قام بنضاله الوطني ضد الاستعمار.. القضية الفلسطينية قضية شعب يريد أن يعيش في وطنه كما

---

(1) قضايا عربية، مصدر سابق، ص 324.

تعيشون، وأن يقيم في مدنه وقراه كما أنتم تقيمون. ليحذر كائن من كان، وينكر على الشعب الفلسطيني حقه في الوجود والعيش في وطنه<sup>(1)</sup>.

وفي خطاب الشقيري الأخير أمام الأمم المتحدة عام 1963 يوجه النقد إلى لجنة التوفيق، وإلى الأمم المتحدة. فلجنة التوفيق لم تقم بشيء فيما يتعلق بتنفيذ قرارات الأمم المتحدة، وانتهى بها الأمر إلى الشلل التام، وبلغت تقاريرها زهاء عشرين تقريراً حتى ذلك العام، لكنها تقاريراً روتينية شكلية كانت تصدرها من مكتبها في الطابق الأعلى من مقر الأمم المتحدة. وطلب من الهيئة الدولية أن تبحث في لباب المشكلة، وهو ضياع الوطن والديار والوجود القومي، لا في الفروع والقشور، وهي الغوث والمأوى والتعليم والخدمة الطبية والرعاية الاجتماعية، على الرغم من أن هذه الفروع أمور ضرورية لحياة اللاجئين اليومية. وأشاد في الخطاب الأخير باستقالة ديفيزمدير وكالة الغوث بسبب فشله، وبأسه، بعد أن أندر الأمم المتحدة بصعوبة مشكلة اللاجئين وخطورتها، ونبه إلى مشاعر اللاجئين النابضة بالحياة.

ولام الشقيري الأمم المتحدة لافتقار جميع قراراتها إلى التنفيذ، وبين لها أن مشكلة اللاجئين الفلسطينيين لا تشبه أي مشكلة أخرى من حيث نسبة عدد اللاجئين إلى الشعب. وهي فريدة؛ لأن أسبابها ليست عادية كبقية المشكلات،

---

(1) أربعون عاماً، مصدر سابق، ص 435.

فلم تكن مثلاً نتيجة صراع ديني أو اجتماعي أو سياسي على الحدود. وطالب الأمم المتحدة أن تتحمل المسؤولية في هذه المشكلة وتحمي حقوق اللاجئين ومصالحهم وتدافع عن إنسانيتهم ، وتطلع العالم على حقيقة مأساتهم في وقت تسعى فيه إسرائيل إلى التعتيم على قضيتهم. وتساءل غاضباً: " أليس لهذه المأساة الإنسانية من نهاية؟ أو ليس ثمة نهاية لمشكلة اللاجئين؟ أو يسمح لإسرائيل بأن تتحدى رغبات المجتمع الدولي، وأن تهزأ بقرارات الأمم المتحدة إلى ما لا نهاية؟!"<sup>(1)</sup>.

وعاد في خطابه الأخير هذا إلى تأكيد حق اللاجئين في العودة، وإلى رفض إقحام الشرق الأوسط في الموضوع، أو توسيع القضية لتشمل الشرق الأوسط، وأوضح أنه لا يحق للأمم المتحدة بحث مشكلة اللاجئين في إطار مشكلات الشرق الأوسط. وعاد أيضاً إلى تأكيد رفض الإدماج، فالإدماج مقيد إما بالعودة وإما بالإسكان، واللاجئون مصممون على الإدماج في فلسطين. ولخص المشكلة في كلمات أخيرة تقول: "العودة حق لنا دون قيد أو شرط، ودون تحفظ، إذ إنها عودة إلى وطننا فلسطين، وأرض آبائنا وأجدادنا.. ولا يمكن البحث عن حل لها إلا ضمن إطار القضية الفلسطينية كلها، وعلى أساس حق أهل فلسطين في تقرير مصيرهم"<sup>(2)</sup>.

---

(1) فلسطين على منبر الأمم المتحدة، مصدر سابق، ص 37.

(2) المصدر نفسه ص 45 ، 160.

## القدس

---

احتلت القدس حيزاً كبيراً في تفكير الشقيري، وكتاباتة. تغنى بطبيعتها، وكتب عن مقدساتها وتراثها ومكانتها التاريخية وأهميتها الإسلامية والعربية، ودافع عنها دولياً، ودحض المزاعم الصهيونية بشأنها، وفجع لكارثة احتلالها.

رأى الشقيري القدس لأول مرة في مطلع العشرينات، حين قدم إليها للدراسة. وقد قال في ذلك: "بلغنا مشارف القدس، بين هضاب تتناثر من حولها الصخور الصماء. وكان كل شيء من حولنا هادئاً خاشعاً، كأنما الطبيعة تصلي والروابي ساجدة.. منذ الأزل. وقد قدر لي مع السنين أن أسافر من القدس وإليها، في القطار، في الليل والنهار، وكانت هذه المعاني تتأكد في نفسي، وتلقي جذورها إلى أعماق الأعماق، وأنا لا أدري ما سر الجمال والجلال وهما يشعان حول بيت المقدس في روايها، وما سر البهاء والسناء في وديانها ولقد قدر لي كذلك في حياتي (المسافرة) أن أشهد أروع المشاهد وأبهاها، ولكنني كنت أرى أن

حول بيت المقدس أبدع وأروع .وكننت أسأل عن السر المكنون في ذلك كله،  
وكننت أجد الجواب في ثنايا التاريخ عبر العصور، وما كان نصيب بيت المقدس  
وما حوله من هذا التاريخ، وما أحس إلا وشفتاي تتمتمان: (سبحان الذي أسرى  
بعبدته ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من  
آياتنا) ثم أردد بعد في ذلك قول الرسول: "إن الجنة لتحن شوقاً إلى بيت  
المقدس".<sup>(1)</sup>

وتجول في أنحاء القدس مع أخيه، ووقف أمام أبوابها العظيمة، وتذكر  
هذه الساعات فيما بعد، وكتب في مذكراته: "فها نحن أمام الأسوار التي قرأنا  
تاريخها وسيرة المعارك من حولها، نجوس خلال بواباتها القديمة.. وفي جنبات  
المسجد الأقصى المبارك.. في كنيسة القيامة عامرة بالقسس والزوار، يجلس على  
بابها الشيخ المسلم، يحفظ مفاتيحها. جامع عمر في قبالة القيامة حيث صلى  
الفتاح العظيم بعد أن فرغ من زيارة الكنيسة. وكان كل شيء ينطق بالتاريخ،  
حافلاً بأجمل الذكريات وأروعها... منذ الإسراء والمعراج، إلى الفتح العمري،  
إلى أيام صلاح الدين، إلى الدولة العثمانية، حتى دخول المارشال اللنبي إلى  
بيت المقدس، وسقوط فلسطين على أيدي جيوش الحلفاء".<sup>(1)</sup>

---

<sup>(1)</sup> أربعون عاما، مصدر سابق، ص ص 71-72.

<sup>(1)</sup> أربعون عاما، مصدر سابق، ص 74.

وكانت فاجعة 1948، وقدر للشقيري أن يكون في الوفد السوري إلى مجلس الوصاية في جنيف عام 1950 المكلف بوضع دستور منطقة القدس ، فوقف يدافع عن عروبة القدس، ويصون لها قدسيته. وخطب أمام المجلس مفندا خطاب بن غوريون الذي بعث به إلى المجلس، وادعى فيه أن القدس عاصمة إسرائيل الأبدية، فتحدث عن تاريخ هذه المدينة المقدسة، وعهد عمر بن الخطاب، واعتمد على الوثائق المختلفة ليدلل على أن اليهود لا يملكون حتى في القدس الجديدة، أكثر من 28% من ممتلكاتها. وقد وضع الشقيري مجموعة تحفظات وشروط لقبول تدويل القدس آنذاك. وهذه الشروط هي التمسك بالسيادة العربية الكاملة على فلسطين بأجمعها، والقدس بشطريها، وعلى أن يكون التدويل مرحلة انتقالية ريثما يتم الوصول إلى حل نهائي للقضية، وألا يكون مرحلة تمهيدية لتهويد القدس. وطلب تجريد القدس من السلاح، وعودة كل اللاجئين العرب إلى القدس، ومنع الهجرة اليهودية إليها، وطلب أن تكون السلطة الفعلية للأمم المتحدة.

وطرق الشقيري باب الفاتيكان من أجل القدس ومقدساتها وعروبته، فالتقى عام 1953 البابا ، وحدثه عن المقدسات الإسلامية والمسيحية، ونقل إليه صورة كئيبة عن مستقبل مدينة القدس التي "ستظل مقدسة ما بقي أهلها فيها، وإذا خرجوا فستكون معبداً مهجوراً.." (1).

---

(1) أربعون عاما ، مصدر سابق، ص370.

وكان يتحدث دائما عن القدس في دورات الأمم المتحدة، ويغتنم كل مناسبة ممكنة من أجل الدفاع عنها وصونها. ففي دورة عام 1961 ذكر الشقيري بالقدس في معرض رده على اللورد هيوم الذي تحدث عن المآسي التي يقاسي منها شعب برلين بسبب الجدار، فقال: "ما للوزير البريطاني ينسى مدينة القدس؟! ألم يفصلها خط الهدنة إلى مدينتين؟ ولماذا لا نبكي لحال أهل القدس القديمة وهم لا يستطيعون الوصول إلى منازلهم في القدس الجديدة؟<sup>(2)</sup>.

وكان موضوع القدس والمقدسات الدينية فيها من مواضيع النقاش والجدل الدائم بين الشقيري وممثلي إسرائيل خلال مناقشات تقارير لجنة التوفيق الدولية. وكان الشقيري يندد دائما بدعوى إسرائيل أن القدس هي العاصمة الخالدة لإسرائيل ، يقول في المواقف: "إنني كفلسطيني أملك القدس وطناً، وكعربي أملكها كحاضرة من أعز حواضر العرب، وكمسلم أملكها موطناً للإسراء والمعراج وأولى القبلتين وثالث الحرمين، وكأنسان مهوى لقلوب المؤمنين في العالم.."<sup>(1)</sup> . واعتمد على عبارات من التوراة ليثبت أن الغريب عن القدس هم زعماء الصهيونية وإسرائيل.

وقد اختار الشقيري القدس مكاناً لانعقاد المؤتمر الوطني الفلسطيني الأول، وكان راغباً أول الأمر، في أن ينعقد المؤتمر في المدينة القديمة، "ليضفي

---

<sup>(1)</sup> المصدر نفسه، ص 540 .

<sup>(2)</sup> أربعون عاماً، مصدر سابق، ص 491.



على المؤتمر جلال الماضي وقدسية الكفاح الذي خاضه البطل صلاح الدين لتحرير القدس" (2). لكن أمين بلدية القدس اقترح أن يعقد المؤتمر في فندق إنتركونتيننتال على جبل الزيتون، ورضي الشقيري بهذا الاقتراح حلاً وسطاً ، "ويكفي أن هذا الجبل قد ساهم في حياة بيت المقدس في جميع حقب التاريخ. ويكفي كذلك إن المؤتمرين يستطيعون أن يشرفوا من هذا الجبل على مدينة القدس بشطريها القديم والجديد، بل إنه يكفي ، فوق هذا وذاك، أن الوفود العربية تستطيع أن تتعلم عن هذا الجبل قضية فلسطين من خلال خطوط الهدنة على مرمى البصر، وهي تفصلنا عن ديارنا وأحيائنا ومزارعنا.. حتى البحر" (3).

ويوم الافتتاح في 28/ 5 / 1964 ألقى الشقيري خطاباً عبر فيه عن المعاني التي توحى بها إلى النفس هذه المدينة المقدسة، وقال: "لقد شهدت هذه المدينة الباسلة، منذ أن دخلها سيدنا عمر بن الخطاب وهو يسوق جملة عليه مولاه، شهدت أياماً فاصلة جليلة، اقتحمت على التاريخ العربي طريقه، فغيرت مجراه، وصعدت به إلى ذروة الأمجاد الإنسانية ، وما أيام صلاح الدين الأيوبي إلا واحدة منها، واليوم تشهد هذه المدينة حدثاً تاريخياً سيقثم على الحياة العربية

---

(2) من القمة إلى الهزيمة، مصدر سابق، ص 96.

(3) أربعون عاماً، مصدر سابق، ص ص 96-97.

طريقها، ليفجر مجراه، فيعيد إلى الديار المقدسة عروبته وحريتها وأمنها  
وقدسيته"<sup>(1)</sup>.

في آب / اغسطس 1966 قام الإسرائيليون باحتفالات كبرى بمناسبة  
افتتاح الكنيسة الجديد في القدس، وانهقد مجلس الدول العربية في أيلول/سبتمبر،  
وسيطر على اهتمامه هذا الموضوع، وعده المجلس " محاولة إسرائيل تهويد مدينة  
القدس "، واشترك الوزراء العرب في صياغة قرار أعلنوا فيه "أن الأمة العربية إذ  
ترفض التسليم بالأمر الواقع المتمثل في قيام إسرائيل بفلسطينها المحتلة، تؤكد  
أن مدينة القدس عربية، باعتبارها جزءا من العربية... وأن افتتاح المبنى الجديد  
المسمى بالكنيسة يمثل تحدياً جديداً للحق العربي في فلسطين"<sup>(2)</sup>. وقد اعترض  
الشقيري على القرار في مجموعته، لأنه قرار إنشائي، مثل جميع القرارات التي  
أصدرتها الجامعة العربية، وتقدم للمجلس باقتراح عملي، خلاصته أن تبادر  
حكومة الأردن بإعلان القدس عاصمة للبلاد بأسرها، وفي جملتها فلسطين، وأن  
تكلف القيادة العربية وضع خطة كاملة من أجل الدفاع عن القدس، وأن منظمة  
التحرير مستعدة أن تشترك بقوات جيش التحرير في هذا الواجب، وعلى الدول  
العربية أن تلتزم القيام بمشروعات إنشائية وعمرانية في مدينة القدس. وطلب

---

(1) من القمة إلى الهزيمة، مصدر سابق، ص 102.

(2) على طريق الهزيمة، مصدر سابق، ص 224.

الشقيري إحالة اقتراحه إلى الحكومات العربية والقيادة الموحدة. لكن هذا الاقتراح لم يجد التأييد والتحبيز من الدول العربية.

وقد أبدى الشقيري، قبيل أيام من عدوان حزيران 1967، للملك حسين خشيته على القدس، واقترح أن يكون الدفاع عنها من الداخل، بتمركز القوات المسلحة دخل أسوارها، لأن القدس لا تحميها إلا حرب الشوارع، وطلب منه السماح بإدخال قوات جيش التحرير الفلسطيني إلى المدينة لحمايتها.

وخطب الشقيري في جماهير القدس، قبيل العدوان، مناشدا العالم الإسلامي أن يصون عروبة القدس، مستشهدا بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة. وقد أخذ يرقب المدينة من غرفته في الفندق، في آخر ليلة قضاها فيها، وأزعجه خاطر رهيب وهو يتطلع إلى شطري المدينة القديم والجديد، فالشطر الجديد يعج بالحركة والحياة، واليهود يحفرون الخنادق ويكدسون الرمل، والشطر القديم راقد راكد بلا مخبأ ولا ملجأ.

ومن غير سبب يعرفه طال وقوفه في الشرفة صباح الخامس من حزيران يجيل الطرف قي مدينة القدس، ولعله الإحساس بالكارثة قبل وقوعها.. وراح يتذكر الآثار والأسوار والمساجد والكنائس والأسواق والفنادق، "وداومت النظر في بيت المقدس... تماما كما يفعل الوالد يوم يودع ولده وهو في طريقه إلى ميدان المعركة... ونفضت نفسي من هذه الرؤى التي اختلط فيها الخوف بالرجاء...

(ولما غادرت إلى عمان) أحسست، كما لم أحس من قبل، أنني خلفت القدس ورأيت تحت سحابة من الكآبة، في مثل شعور الإنسان وهو يترك وراءه وحيدته الوديعة في غابة من الوحوش الكواسر<sup>(1)</sup>.

وصور الشقيري في مذكراته هول كارثة سقوط القدس عام 1967 فقال:

"كنت أؤثر أن تدخل إسرائيل إلى بيت المقدس على أنقاضها حجرا على حجر، من المسجد الأقصى إلى كنيسة القيامة، وأن نخوضها معركة ضارية، ستالجراد الثانية، فنقاتل من بيت إلى بيت، ومن قنطرة إلى قنطرة، ولتقصها إسرائيل بالطائرات والمدافع. ونحن لو فعلنا هذا لسلمت القدس لنا إلى يومنا هذا"<sup>(1)</sup>.

ويعود الشقيري بذاكرته إلى مطلع العشرينات، حين كان يجوب شوارع القدس التاريخية فيقول: "والواقع أن أحدا على وجه الأرض، حتى من غلاة اليهود أنفسهم، لم يكن يخطر على باله وفي خياله وأضغاث أحلامه أنه سيأتي بعد 45 عاما ذلك اليوم الذي يشهد فيه جيلنا القوات الإسرائيلية تفتح بيت المقدس، ويقدم اليهود الصلاة الكبرى أمام حائط المبكى، ويهدمون المباني من حوله ليجعلوا

---

<sup>(1)</sup> الهزيمة الكبرى، مصدر سابق، ج 1، ص 263-264.

<sup>(1)</sup> أربعون عاما، مصدر سابق، ص 126.

منها ساحة رحبة تتسع لجماهير المصلين انتظارا لليوم الموعد لإقامة الهيكل على أنقاض المسجد الأقصى. لم يكن يخطر بال أحد أن يقع شيء من هذا وفي الدنيا العربية 100 مليون من البشر، من حولهم في الدنيا الإسلامية 600 مليون آخرون يعرفون مقام المسجد الأقصى في حياة العروبة والإسلام، بوصفه أولى القبلتين وثالث الحرمين ... لم يكن ذلك يخطر في بالي وأنا أجوس خلال بيت المقدس مع الدليل "(2).

وظل الشقيري يبكي القدس كلما تذكرها، لأنه كان يعلم علم اليقين "أن إسرائيل لن تخرج منها عن طريق الأمم المتحدة، ولا بالمساعي السياسية، ولا بالحلول الدبلوماسية.. أجل لن تخرج إسرائيل إلا إذا خضناها حربا طاحنة لا تبقي ولا تذر، تترك بيت المقدس حجراً على حجر، من المسجد الأقصى إلى كنيسة القيامة. وإذا كان هذا هو الثمن فليكن هذا هو الثمن، فإن الأرض الطهور في بيت المقدس ستبقى، ويومئذ سنبنّي عليها مسجداً وكنيسة، وسنعيد بناء التاريخ" (1).

وبقيت القدس هاجس الشقيري ، وشغله الشاغل بعد الكارثة، فأهدى كتابه (معارك العرب) عام 1975 إلى الفدائيين الذين كان نور الدين زنكي يرسلهم إلى

---

(2) المصدر نفسه ، ص 5 7

(1) أربعون عاما، مصدر سابق، ص 124.

بيت المقدس ليغيروا على الإفرنج ، وعاهدهم على العمل من أجل تحرير هذه المدينة العربية المقدسة.

ورد على الدعاوى الصهيونية في القدس، والتي وردت في رسالة بيغن إلى السادات بعد المبادرة المشؤومة، فدافع عن عروبة القدس، ودحض الزعم الصهيوني بمكانة القدس لدى اليهود مستعينا بشواهد التاريخ ، وانتهى إلى القول: " تلك هي قصة القدس في سيرتها عبر سبعة آلاف عام.. مدينة عربية، حتى بأسمائها: أورسالم، ويبوس، وإيلياء في عهد الرومان، وبيت المقدس في فترة الفتح الإسلامي عبر ثلاثة عشر قرناً من الزمان. فإذا كان الحق هو التاريخ والتاريخ وحده، فإن القدس هي بلدنا، وليست لسوانا..

وإذا كان الحق هو القوة والسلاح والحرب فما على المسلمين والعرب إلا أن يحاربوا، ويقتحموا مدينتهم المقدسة، وذلك هو فصل الخطاب<sup>(1)</sup>.

وقد بعث الشقيري إلى السادات رسالة بعد توقيع إتفاقيات كامب ديفيد، أوضح فيها أن الضمانات الأمريكية له بعودة القدس لا معنى لها، كذلك فإن تعهد الرئيس كارتر ليست له صفة قانونية. ولفت نظر السادات إلى تصريحات بيغن بأن القدس عاصمة إسرائيل، وإلى حدود القدس كما رسمتها إسرائيل. وسرد عددا من الحجج الدينية والتاريخية بشأن هذه المدينة، مبينا أهميتها إسلاميا وعربيا، ومطالباً بالألا تترك مقدرات القدس لوعد أمريكي.

---

(1) خرافات يهودية ، مصدر سابق، ص228.

كما وجّه الشقيري رسالة إلى الملوك والرؤساء العرب في مؤتمر بغداد عام 1978 إثر إتفاقيات كامب ديفيد، قال فيها: "إن مآذن بيت القدس تستصرخكم الغوث. ولو كنت فيها لأرسلت إليكم شعور نسائها تتأشدم النجدة. فقد أصبحت العذراء الطهور عارية تحت أقدام العدو يلهبها كل يوم بسياطه النجسة"<sup>(1)</sup>.

## الشخصية والكيان...

### منظمة التحرير الفلسطينية

---

<sup>(1)</sup> صفحات من القضية العربية ، مصدر سابق، ص29.

## وجيش التحرير الفلسطيني



## الكيان .. عقبات ومشقات

---

أخذ العمل الدبلوماسي في الأمم المتحدة من الشقيري معظم جهده في الفترة الواقعة بين عام 1948 وعام 1963. وعلى الرغم من اهتمامه الكبير \_ أثناء عمله هذا \_ بإبراز الشخصية الفلسطينية وتأكيد وجود الشعب الفلسطيني وطرح قضيته على أنها قضية سياسية تحررية، وقضية حقوق شعب مشروعة، على الرغم من ذلك كله كان بعيداً عن الاتصال المباشر بجماهير هذا الشعب فيما بقي من أرض فلسطين بلا احتلال، وفي مناطق تجمع اللاجئين في البلاد العربية

المجاورة. وكان الأسبوع الأول من شهر أيلول/سبتمبر 1963 نقطة تحول كبرى في حياته السياسية، حين رشح لمنصب ممثل فلسطين في جامعة الدول العربية الذي خلا بوفاة أحمد حلمي (باشا) رئيس حكومة عموم فلسطين. وقد تردد الشقيري في قبول هذا المنصب وخشي تبعاته الكبرى، لأنه كان يعرف مسبقاً معارضة بعض الدول العربية لهذا التعيين، ولأنه كان على علم بصعوبة العمل مع الدول العربية، وبصعوبة الاتصال بأبناء الشعب الفلسطيني المشردين هنا وهناك، لا يجمعهم مكان واحد، ولا يضمهم رأي واحد. لكنه أمام إلحاح عدد من الوفود الفلسطينية التي زارته، وأمام سيل البرقيات التي جاءت، قرر قبول المنصب، وجعله المرة الأخيرة التي يجرب فيها التعامل مع الدول العربية؛ فإما أن يحقق ما يتطلع إلى تحقيقه من أجل القضية، وإما أن يستقيل، إن أحس أنه لن يستطيع عمل شيء نافع.

وإذا كان الإعلان الرسمي عن مولد الكيان الفلسطيني قد تم في مؤتمر القمة في أيلول / سبتمبر 1964 فإن الفترة من أيلول 1963 إلى أيلول 1964 شهدت جهداً متصلاً وتعباً وعرقاً وأرقاً بذله الشقيري من أجل تأكيد الشخصية الفلسطينية على الصعيدين العربي والدولي.

كان النصر الأول لشخصية الشعب الفلسطيني وعدم تبعيته للجامعة العربية ووصايتها على شؤونها، في رأي الشقيري، موافقته على أن يعين ممثلاً لفلسطين في الجامعة العربية بشرط إضافة نص في نهاية قرار مجلس الجامعة

يقول باختيار "السيد أحمد الشقيري مندوباً لفلسطين لدى مجلس الجامعة، وذلك طبقاً لملاحق ميثاق الجامعة الخاص بفلسطين، وإلى أن يتمكن الشعب الفلسطيني من اختيار ممثليه". وقد أكد الشقيري في الكلمة التي ألقاها أمام مجلس جامعة الدول العربية إثر تعيينه طبيعة مهمته بصراحة ، وحدد سياسته وتصوره وموقفه من الدول العربية، واعتبر أن منصبه " منصب نضالي تملكه أمة تريد أن تناضل من أجل تحرير الوطن، وليس منصبا رمزياً أو شكلياً". كما أكد إن مسألة الكيان الفلسطيني تعني جعل أهل فلسطين قوة وطنية عاملة، تسهم في تحرير فلسطين بعد أن كان أهل فلسطين قد أصبحوا قوة غير عاملة في الحقل العربي منذ خمسة عشر عاماً- ولفت الأنظار إلى أن هناك من يخشى أن يؤدي الكيان الفلسطيني إلى سلخ الضفة الغربية عن الأردن، أو إلى تخلي الدول العربية عن قضية فلسطين، وأعلن أن حل قضية فلسطين هو في الوطن العربي وفي الوحدة العربية.

وكان تأليف وفد فلسطيني إلى الأمم المتحدة برئاسته أواخر عام 1963 بعد الاحتجاب الطويل للفلسطينيين، أول تأكيد لوجود الشخصية الفلسطينية على الصعيد الدولي، وأول إعلان لمطلب التحرير. فقد كانت القضية الفلسطينية تهاوت إلى مسألة لاجئين، وبرزت الحاجة إلى طرحها من جديد قومية تحررية. وكانت الضرورة ملحة لوجود قيادة وطنية في إطار وطني، أو ما اصطلح عليه بعبارة "كيان فلسطيني". وفي خلال الزيارات التي قام بها الشقيري لتجمعات الفلسطينيين

في البلاد العربية من أجل تأليف هذا الوفد شرح لأبناء<sup>(1)</sup> فلسطين الذين التقى بهم ماهية الكيان الفلسطيني، وبين لهم رأيهم في طبيعته ودوره: إنه دعوة إلى التنظيم العام للشعب الفلسطيني، وتأكيد لشخصيته القومية، وإبراز لوجوده على الصعيد العربي وفي المجال الدولي، إذ لا بد من سد الفراغ الذي تعيش فيه القضية الفلسطينية بالتنظيم، ولابد من إدخال الأجيال الصاعدة في قيادة الحركة الوطنية. إن هذا الكيان دعوة لاستلام شعب فلسطين شؤون قضيته، وتنظيم نفسه. ولا يعني ذلك التكرار للوحدة، لأن تبعية التحرير تقع على عاتق الأمة العربية ولكن ليس بمعزل عن شعب فلسطين. أما تبعية إقامة الكيان فتقع على عاتق شعب فلسطين. وهذا الكيان وسيلة لا غاية، إنه تنظيم وجهاز يعيد للشعب شخصيته وقدرته على العمل وعلى الكفاح من أجل التحرير. والكيان ليس حكومة، فالهدف هو تعبئة أهل فلسطين ليؤدوا دورهم في معركة التحرير، معنى الكيان الفلسطيني، كما اختصره الشقيري بكلمات: "تنظيم وعمل وتحرير، قوة طليعية نضالية في ميدان النضال العربي... تضحيات و بطولات... لا مناصب ولا وزارات... عرق لا يجف، ودمع لا يكفكف، ودم غير ضنين".<sup>(1)</sup>

وُدُفِعَت مسألة إنشاء الكيان الفلسطيني خطوة واسعة في مؤتمر القمة الأول عام 1963. وقد توجه اهتمام الشقيري في هذا المؤتمر إلى أمرين: الأول

---

<sup>(1)</sup> من القمة إلى الهزيمة، مصدر سابق، ص 15-17.

<sup>(1)</sup> مواقف حاسمة وقومية في قضية فلسطين، مصدر سابق، ص 14.

أن يكون المؤتمر لقضية فلسطين برمتها، وليست لتحويل روافد الأردن فقط، والثاني انتزاع قرار بإنشاء الكيان الفلسطيني، مهما كانت صيغته. وكان حضور الشقيري المؤتمر، رغم معارضة بعض الدول العربية ذلك، وجلسه إلى مائدة الملوك والرؤساء، ومشاركته في الجلسة السرية المغلقة المخصصة للملوك والرؤساء، كانت كلها لبنات في بناء الكيان الفلسطيني قبل أن يولد، وبها\_ على ما يقول الشقيري\_ "تقدمت قضية فلسطين خطوة أخرى في زحفها المقدس على طريق بناء شخصيتها وكيانها، وإثبات وجودها، حتى قبل أن تصبح دولة"<sup>(1)</sup>.

وقد تحدث الشقيري في الجلسة الأولى لمؤتمر القمة عن القضية الفلسطينية وبين ضرورة قيام كيان فلسطيني ينظم صفوف الشعب الفلسطيني، ويعبئ طاقاته العسكرية والسياسية للقيام بدوره في تحرير وطنه. ودعا إلى أن يكون العمل من أجل فلسطين أصيلاً بذاته، لاردّ فعل. وطمأن المتخوفين من إنشاء الكيان بقوله: "نحن لسنا طلاب حكم، نحن طلاب تحرير".<sup>(2)</sup> أبذل الشقيري جهوداً جبارة لانتزاع القرار بإنشاء الكيان، واستعان في ذلك بمعرفته السابقة وصداقته الشخصية للملوك والرؤساء، وتودد للجميع. ولكن، على الرغم من ذلك لم ترد كلمة "الكيان" في القرار الذي صدر عن المؤتمر، والذي جاء فيه فقط تكليف الشقيري بالاستمرار باتصالاته بالدول العربية وبالشعب الفلسطيني

---

<sup>(1)</sup> من القمة إلى الهزيمة، مصدر سابق، ص 38.

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه، ص 46.

بنية الوصول إلى إقامة القواعد السليمة لتنظيم الشعب الفلسطيني، وتمكينه من القيام بدوره في تحرير وطنه وتقرير مصيره <sup>(1)</sup>. وقد أعاد ذلك القرار (بتنظيم) الشعب الفلسطيني إلى ذاكرة الشقيري صور هذا التنظيم السابقة، منذ وضع الملحق الخاص بفلسطين في ميثاق الجامعة العربية، وإنشاء حكومة عموم فلسطين، وقرارات مجلس جامعة الدول العربية بإعادة تنظيم شعب فلسطين بين عامي 1959 و 1963، وإخفاؤها. وأحس مع هذه الذكريات بثقل التركة التي عهد بها إليه.

أخذ الشقيري في شباط / فبراير 1964 يستعد لحمل هذه التركة، وبتهيأ لأداء المهمة الثقيلة بتنظيم الشعب الفلسطيني، من نقطة الصفر، وليس معه إلا قرار مؤتمر القمة، الذي كان يخوله "الاتصال" فقط، لا "الإنشاء"، وقد قام بوضع ملامح تصوره للهيكل العام للكيان الفلسطيني على الورق، بما فيه "الميثاق القومي" و "النظام الأساسي لمنظمة التحرير الفلسطينية"، و "المجلس الوطني" و "اللجنة التنفيذية" التي تنبثق عنه، و "الكثائب الفلسطينية" و "الصندوق القومي"، و "الجهاز الإعلامي" و "المكاتب" في العواصم المختلفة. وعزم على أن يضع الحكومات العربية أمام الأمر الواقع بعقد مجلس وطني في القدس للنظر في

---

(1) من القمة إلى الهزيمة، مصدر سابق، ص 50.

الميثاق والنظام الأساسي ولأعلان قيام منظمة التحرير، وانتخاب لجنة تنفيذية، والاشتراك في مؤتمر القمة باسم منظمة التحرير الفلسطينية.

ضمّن الشقيري "الميثاق القومي" و"النظام الأساسي لمنظمة التحرير الفلسطينية" كل خبراته التي اكتسبها في ميدان القضية الفلسطينية، على الصعيدين العربي والدولي. وقد احتوى "الميثاق القومي" على مقدمة وتسع وعشرين مادة. وعرضت المقدمة تاريخ نضال الشعب الفلسطيني، وتضمنت وصفاً لمحنه، وأكدت تصميمه على السير قدماً على طريق الجهاد المقدس حتى يتحقق له النصر النهائي، وتناولت مواد الميثاق عدداً من القضايا التي تقدم صورة متكاملة لمفهوم الشقيري عن تنظيم الشعب الفلسطيني وكيانه، فتحدثت المادة الأولى عن عروبة فلسطين، وبينت أن "فلسطين وطن عربي تجمعته روابط القومية العربية بسائر الأقطار العربية التي تُولف معها الوطن العربي الكبير". ونصت المادة الثانية على أن "فلسطين، بحدودها التي كانت قائمة في عهد الانتداب البريطاني، وحدة إقليمية لا تتجزأ". وأكدت المادة الثالثة أن "الشعب العربي الفلسطيني هو صاحب الحق الشرعي في وطنه"، ونصت المادة الرابعة على أن "شعب فلسطين يقرر مصيره بعد أن يتم تحرير وطنه وفق مشيئته وبمحض إرادته واختياره". وقالت المادة العاشرة: "بعد أن يتم تحرير الوطن يختار الشعب الفلسطيني لحياته العامة ما يشاء من النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية". وإلى أن تتم عملية التحرير والعودة يكون للفلسطينيين ثلاثة

شعارات: الوحدة الوطنية، والتعبئة القومية والتحرير". وتناولت المادة الخامسة موضوع (الشخصية الفلسطينية) فقررت أنها "صفة أصيلة لازمة يا تزول، وهي تنتقل من الآباء إلى الأبناء". كما نصت المادة الحادية عشرة على أن من واجب الشعب الفلسطيني " في هذه المرحلة من كفاحه، أن يحافظ على شخصيته الفلسطينية ومقوماتها، وأن ينمي الوعي بوجودها، وأن يناهض أياً من المشروعات التي من شأنها إذابتها أو إضعافها". عرّفت المادة السادسة الفلسطينيين، في حين عرفت المادة السابعة اليهودي الفلسطيني. وعالجت المادة الثامنة موضوع تنشئة الجيل الفلسطيني وتوعيته. وعبرت المادة التاسعة عن الموقف من موضوع الانتماء الحزبي للفلسطينيين، وأكدت أن الفلسطينيين جميعاً "جبهة وطنية واحدة يعملون لتحرير وطنهم بكل مشاعرهم وطاقتهم الروحية والمادية".

ووضّحت مواد الميثاق الأخرى العلاقة بين الوحدة العربية وتحرير فلسطين، وأهمية القضية الفلسطينية بالنسبة الى الوجود العربي، ورفضت قرار التقسيم ووعد بلفور وصك الانتداب، ودحضت المزاعم الصهيونية وشرحت وجهة النظر الفلسطينية تجاه المسألة اليهودية، وعرفت الحركة الصهيونية بأنها حركة استعمارية عدوانية توسعية عنصرية فاشستية.

وحددت المواد 23 و 26 و 27 و 28 مسؤوليات منظمة التحرير في تحقيق أهداف الميثاق ومبادئه، وعلاقتها بالدول العربية ، وقررت أن " يكون لهذه المنظمة وعلم وقسم ونشيد". وفي سبيل إرضاء الأطراف العربية التي وضعت



شروطاً لقبول قيام منظمة التحرير الفلسطينية قررت المادة الرابعة والعشرون بشأن السيادة على الأرض الفلسطينية أن " لا تمارس هذه المنظمة أية سيادة إقليمية على الضفة الغربية في المملكة الأردنية الهاشمية ولا قطاع غزة ولا منطقة الحمة ،وسيكون نشاطها على المستوى القومي الشعبي في الميادين التحريرية والتنظيمية والسياسية والمالية " .

بدأ الشقيري اتصالاته بأبناء الشعب الفلسطيني، وقام بزيارة التجمعات في الأردن ، والضفة الغربية، وغزة ، وسورية، ولبنان. وعلت في هذه الجولات صيحات الشعب بحياة الكيان الفلسطيني، وارتفعت النداءات تطالب بالسلاح، وتعلن الاستعداد للتضحية بالأرواح في سبيل بناء هذا الكيان .وقد أبدى الشقيري قدراً كبيراً من المرونة، وتحمل الكثير من أصحاب الآراء والاتجاهات المخالفة. وطلب من الجميع الاشتراك في بناء الكيان لا محاربتة. وفي غزة أنشأ معسكر النصيرات للتدريب العسكري قبل إنشاء الكيان ليدل على أن الكفاح المسلح هو طريق التحرير .

وفي نيسان/ إبريل 1964 أعلن الشقيري أمام لجنة المتابعة المؤلفة بموجب قرار مؤتمر القمة الأول لمواصلة تنفيذ قرارات الملوك والرؤساء أن اتصالاته بالحكومات العربية والشعب الفلسطيني قد انتهت، وأن الكيان الفلسطيني في طريقه إلى الوجود. وأخبر أعضاء اللجنة نتائج رحلته واتصالاته، والإجراءات

العملية لاختيار ممثلي الشعب الفلسطيني في المجلس الوطني الذي سينعقد في القدس في 1964/5/28.

وهكذا اجتمع المجلس الوطني في القدس في موعده ، وأعلن قيام منظمة التحرير ممثلة للشعب الفلسطيني ، وقائدة لكفاحه من أجل تحرير وطنه، وانتخب الشقيري رئيساً للجنة التنفيذية مخولاً اختيار أعضاء اللجنة التنفيذية. فكان ذلك إيذاناً بمولد الكيان الفلسطيني يجسده عدد من المؤسسات .. بدأت من العدم .

مضى الشقيري يبني المنظمة في الأشهر الأربعة الباقية أمامه ليعلن مولد الكيان أمام مؤتمر القمة الذي سيجتمع في أيلول/ سبتمبر 1964. واستطاع أن يتجاوز كثيراً من الصعوبات التي جابهته من الحكومات العربية والتنظيمات الفلسطينية، واختار قيادة المنظمة، ومضى معهم إلى مؤتمر القمة الثاني في الإسكندرية، وألقى تقريراً باسم منظمة التحرير مبيناً شرف مشاركته بوصفه رئيس المنظمة الذي اختاره ممثلو الشعب الفلسطيني، لا بوصفه مشاركاً اختاره الملوك والرؤساء، وشرح للمؤتمر مراحل بناء الكيان، وطلب من الدول أن يكون دورها تسهيل البناء وتأييده، لا بناءه، وأن تترك له شخصيته المستقلة المتعاونة غير المنعزلة<sup>(1)</sup>. وأكد في معرض رده على من عارض إنشاء الكيان \_ أن الكيان الفلسطيني لا يبنيه الملوك والرؤساء بل شعب فلسطين، ودافع عن حق الشعب

---

(1) من القمة إلى الهزيمة، مصدر سابق، ص 127 .

الفلسطيني في ذلك، وعن ديمقراطية الانتخاب ، وتساءل: "ألأننا شعب من اللاجئين تتكرون علينا حقنا في أن ننشئ كياننا كما نريد إنشاءه" <sup>(1)</sup>.

جعل الشقيري الكيان الفلسطيني حقيقة حية، وناضل لبناء الكيان بجميع مؤسساته السياسية والعسكرية والمالية والإعلامية والتنظيمية، بعد أن تهدم الكيان وفقد الشعب مؤسساته ووجوده على أرضه عام 1948. وانتزع من مؤتمر القمة قرار إنشاء "جيش التحرير الفلسطيني" وإن كان ذلك مشروطاً بما يجعله تابعاً للحكومات العربية، فقد كان هذا خيراً من عدم وجود جيش على الإطلاق، واختار مع أعضاء اللجنة التنفيذية قيادة هذا الجيش. ثم قام بجولة عربية انتهت، بعد صعوبات وعقبات كثيرة، إلى إنشاء قوات القادسية وحطين وعين جالوت، وإلى إقرار مشروع التجنيد الإجباري في قطاع غزة. أما مشروع إنشاء "المؤسسة المالية لتحرير فلسطين" الذي قدمه الشقيري لمؤتمر القمة فقد أحيل إلى لجنة مختصة، وتعهد الملوك والرؤساء بتقديم التزاماتهم المالية للمنظمة. واهتم بعدئذ بإنشاء إذاعة لمنظمة التحرير في القاهرة في آذار/ مارس 1965 لإيمانه بأنها لازمة وضرورية كي تكون وسيلة اتصال بأبناء الشعب الفلسطيني المشردين في مختلف الأصقاع، وأداة لتعبئتهم وتوجيههم. كما أسس مركز الأبحاث للقضية في بيروت،

---

<sup>(1)</sup> من القمة إلى الهزيمة، مصدر سابق، ص 135.

وأسس مكاتب المنظمة في الأقطار وفي الخارج، وجابه بصلافة الاتهامات التي وجهت إليه لإنشاء هذه المكاتب أو لإقامة تلك الإذاعة.

أخذت إرادة الشعب الفلسطيني تشق طريقها لاستكمال مؤسسات الكيان ، وقد تمثل ذلك في مزيد من النشاط على مختلف الصعد الخارجية والداخلية. فعلى الصعيد الخارجي، أرسلت الوفود إلى أوروبا وأمريكا اللاتينية وأفريقيا، وكان ذلك برأي الشقيري "خطوة جريئة للمنظمة، وهي لم تثبت بعد أقدامها على الأرض العربية"<sup>(1)</sup>، وحملت الوفود رسائل موقعة من الشقيري ، بصفته رئيس المنظمة، إلى رؤساء الدول ووزرائها، فكانت أول بادرة على بروز الشخصية الفلسطينية في المجال العالمي في مواجهة الدعاية الإسرائيلية المضادة وترأس هو نفسه وفدا كبيرا إلى الصين الشعبية<sup>(2)</sup>. أما على الصعيد الداخلي فقد تم قيام "اتحاد الطلبة الفلسطينيين " قاعدة شعبية من قواعد منظمة التحرير، والذي دعا إلى "ندوة عالمية" في القاهرة أواخر آذار/ مارس 1965 افتتحها الشقيري نفسه، وأصدرت بيانا ختاميا أعلن تأييد حقوق شعب فلسطين. كذلك تم إنشاء "اتحاد عمال فلسطين " وعقد مؤتمره التأسيسي في غزة في 14/4/1965 بحضور الشقيري. وولد أيضا "اتحاد المرأة الفلسطينية" في أيار / مايو 1965 في القدس.

---

(1) على طريق الهزيمة، مصدر سابق، ص 36.

(2) أنظر ص 128 وما بعدها من هذا الكتاب.

كان الشقيري قد عزم، منذ البداية، أن يتجنب المعركة على الصعيد العربي، فهو صاحب الميثاق الوطني الذي أكد "أن تحرير فلسطين تنبئة قومية كبرى تقع على عاتق الأمة العربية حكومات وشعوبا، وفي طليعتها شعب فلسطين"<sup>(1)</sup>. وحرص أن تكون الحكومات العربية جميعها في الميدان، وأن تكون القضية فوق الخلافات العربية، وفي منأى عن التناقضات العربية. بيد أنه يعترف بعجزه عن هذه السياسة، وإخفاقه في أن يبقى الكيان الفلسطيني بعيدا عن الخلافات العربية، فيقول: "ما ذنبي إذا وقعت هذه الخلافات والتناقضات على رأس القضية الفلسطينية على غير إرادتي؟ وما ذنبي إذا كانت بعض الحكومات هي التي فتحت النار أولاً ولم يكن أمامي إلا أن أقابل النار بالنار؟"<sup>(2)</sup>.

لقد أعطى الملوك والرؤساء الشقيري المسؤولية، ولكنهم لم يعطوه الإمكانيات، فأصبح يحمل إلى متاعب القضية الفلسطينية متاعبه الكثيرة مع الدول العربية. وكانت أولى المشكلات هي الصعوبة المالية وتباطؤ الحكومات العربية في الوفاء بالتزاماتها المادية التي أقرها مؤتمر قمة الإسكندرية عام 1964. وكان المورد الثابت للمنظمة هو تبرعات الشعب الفلسطيني لمنظمتهم. وقد لخص الشقيري ما تعانيه المنظمة على الصعيد العربي في كلمة ألقاها من إذاعة فلسطين

---

<sup>(1)</sup> الميثاق القومي، المادة 14.

<sup>(2)</sup> على طريق الهزيمة، مصدر سابق، ص 280-281.

قبيل انعقاد مؤتمر القمة الثالث في الدار البيضاء في أيلول/ سبتمبر 1965، فقال: "ولدت المنظمة على فراش مؤتمر القمة أسيرة الظروف العربية"<sup>(1)</sup>.

وكان الشقيري، بعد أن تجسد الكيان الفلسطيني في مؤسسات، حريصاً على أن يمد جسد هذا الكيان بكل أسباب الحياة السليمة، ويدفع عنه كل ما ينحرف به أو يضعفه. فقد ذهب إلى مؤتمر القمة الثالث في الدار البيضاء يحمل مطالب المنظمة الواضحة القوية بتحرير إرادة الشعب الفلسطيني، وبممارسة حرية العمل كاملاً، والتجنيد الإجباري، وتحصين القرى الأمامية في الضفة، وإنشاء معسكرات التدريب الشعبي، وجباية ضريبة التحرير، وتسهيل السفر والإقامة والعمل لأبناء فلسطين، وتيسير إجراء انتخابات عامة لاختيار مجلس وطني ينتخب قيادة فلسطينية مسؤولة أمام الشعب. لكن هذه المطالب غرقت في بحار (التحفظات) العربية مما دفع الشقيري إلى أن يكشف الشعب الفلسطيني ثانية عن طريق الإذاعة، ويصارحه بنتائج مؤتمر القمة، ويعترف بأن ما تم الاتفاق عليه أدنى بكثير من المطلوب ومن الممكن، ودفعه إلى أن يؤكد حق الشعب الفلسطيني في الاستجابة لمطالبه، وأنه "لتحرير الأرض لا بد من تحرير إرادة الإنسان الفلسطيني"<sup>(1)</sup>، ولا بدّ من تيسير الطريق أمام الشعب الفلسطيني لتعبئة طاقاته وتنظيم صفوفه. وأن "منظمة التحرير الفلسطينية في حاجة إلى تحرير

---

<sup>(1)</sup> على طريق الهزيمة، مصدر سابق، ص 76.

<sup>(1)</sup> على طريق الهزيمة، مصدر سابق، 103.

قبل أن تدخل معركة التحرير... أن منظمة التحرير لم تجد في مؤتمر الذروة ما كانت تطمح في تحقيقه ؛ فان مطالبها ، وهي مطالب الشعب، لم تجد الاستجابة الجديرة بالتحرير، وأهداف التحرير...<sup>(2)</sup>.

وكان رأيه الأخير في تقييم الموقف بعد استعراضه مصير مطالب أمام مؤتمر القمة هذه الكلمات الحاسمة التي أنهى بها كلمته الإذاعية ، وجمع فيها ما في نفسه من آلام ، وعبر فيها عن رأيه المتصور لبنية الكيان الفلسطيني الفعال الذي سيقوم بدوره الطبيعي على طريق التحرير : " إذا كان لدينا قضية اسمها قضية فلسطين فيجب أن يكون لها شعب اسمه شعب فلسطين، فلا يمكن أن نتحدث عن قضية دون أن يكون لها شعب يحمل اسمها وعلمها ، ويكافح من أجلها... إن انطلاق الشعب الفلسطيني في تعبئة طاقاته هو أول الطريق لتحرير فلسطين ، ومن غير شعب فلسطين حراً، منظماً، معباً فإن أية خطة عربية لتحرير مبنية... المنظمة بعد المؤتمر لا بد لها من تحديد الموقف. وهو حق الشعب وواجبه، والأمر مطروح على الشعب ليقول كلمته، فليست المنظمة هي رئيس المنظمة وأعضاءها، المنظمة هي الشعب . رئاسة المنظمة ليست وظيفة ألقاضى عنها راتباً ، أو أطلع من ورائها إلى جاه. هذا المنصب هو الصراع الرهيب في أعماق النفس من يوم التحرير، متى؟ وأين؟ هذا المنصب تلتقي فيه آلام الهجرة وذكريات الوطن ، وتتجسد فيه نكبة شعب وكرثة وطن. شعب فلسطين يرفض

---

<sup>(2)</sup> من القمة إلى الهزيمة، أربعون عاماً، ص 104.

أن تتكرر مأساة حكومة عموم فلسطين، وأن تصبح المنظمة دميةً يلهو بها. وإذا كان الطريق مسدوداً أمام المنظمة فإن هذا الشعب البطل لا بدّ أن يجد كل وسيلة ليشق للمنظمة طريقاً ثانياً تحت الأرض .. وستكون الأمة العربية يومئذ في هذا الطريق ، لأنه طريق الكفاح والنضال.. " (1) .

وأعقب ذلك خصومة عنيفة بين منظمة التحرير ورئيسها الشقيري وبين عدد من الدول العربية تخللتها هدنات وتسويات تدخل فيها الوسطاء من زعماء العرب. وقد لاقى الشقيري كثيراً من العناء، وحاول بما لديه من مرونة أن يبعد المنظمة عن ميادين الصدام مع الحكومات العربية، وأن يحافظ على الكيان الوليد حياً قوياً متماسكاً، ودعا الدول العربية أن تفتح قلبها للمنظمة، وأن تساعد على تنظيم الشعب الفلسطيني وتدريبه وتسليحه. يقول في حديثه عن الملوك والرؤساء: "إننا نمدّ أيدينا إليهم جميعاً على هدف التحرير ، نتعاون معهم جميعاً على هدف التحرير... لا نختلف مع أحد... نحن في منأى عن الخلافات العربية مادام الخلاف في منأى عن قضية فلسطين .. ومن كان معنا من الملوك والرؤساء فنحن معه ، ومن لم يكن معنا فلنسا معه ، وليست الأمة العربية معه ".

وعلى الرغم من مرونة الشقيري، وتأكيداته الدائم أن المنظمة لا تريد التدخل في الأنظمة العربية، ولا تريد إقامة حكومة فلسطينية في الوطن أو في

---

(1) على طريق الهزيمة ، مصدر سابق، ص ص 105 - 106.



المهجر .. على الرغم من ذلك كله وقع الصدام في السنة التي سبقت كارثة حزيران 1967. وكان قد دخل في معركة مع تونس ورئيسها الحبيب بورقيبة بسبب تصريحات الأخير، ودارت بينه وبين السعودية معركة صامتة بسبب صلته الوثيقة بعبد الناصر، وبسبب زيارته للصين وما نتج عنها من اتفاق على الدعم العسكري والسياسي. ثم تفجر الخلاف مع الأردن، وسحب الأردن اعترافه بالمنظمة وقطع علاقته بها في تموز/ يوليو 1966 . واشتدت الحملة على الشقيري في مطلع 1967، واتهم بالانحراف عن المهمة الأساسية لإنشاء المنظمة، وطالبت بعض الدول العربية بتنحيته عن رئاسة المنظمة، فرد في مجلس جامعة الدول العربية في آذار 1967 بقوله: (( النمو لا يتصل بأحمد الشقيري، فأنا إنسان زائل، وسيأتي غيري رئيسا يختاره الشعب الفلسطيني. هذا هو حق الشعب الذي يرفض كل وصاية .. رئيس المنظمة موجود هنا بإرادة الشعب الفلسطيني لا بإرادة أي ملك تمثلونه، ولا بأي رئيس تمثلونه.. الشعب الفلسطيني هو الذي يختار من يتكلم باسمه ويتولى الدفاع عن قضيته، وهو وحده الذي يقرر إذا كنت جديرا برئاسة المنظمة ..<sup>(1)</sup> .

هكذا كانت وقفة الشقيري الصلبة في الدفاع عن الشخصية الفلسطينية، والكيان الفلسطيني الذي يتمثل في منظمة التحرير . وقد مضت المنظمة برئاسته تشق طريقها وسط الصعاب حتى كانت هزيمة حزيران 1967 وما تلاها

---

<sup>(1)</sup> على طريق الهزيمة، مصدر سابق، ص 286 وما بعدها.

من اجتماعات عربية لدراسة آثار النكسة وإزالة آثار العدوان. وفرض الشقيري وجود المنظمة في هذه الاجتماعات على الرغم من معارضة بعض الدول، وأكد أن مشاركتها حق لها ، فقال في اجتماع وزراء الخارجية العرب في الخرطوم في 1 / 8 / 1967 تمهيدا لمؤتمر القمة: "إن رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ، الذي هو أنا بلحمي ودمي، ليس فضوليا في هذا الاجتماع"<sup>(2)</sup>، وأوضح في الاجتماع أن الشعب الفلسطيني فريق أصيل، فحضوره حق لا منحة، وتساءل "إذا كان اجتماعكم من أجل إزالة آثار العدوان فإن العدوان واقع على بلدنا وشعبنا، ولا بد من حضوري ومشاركتي.. فهل اجتمعتم لإزالة آثار العدوان أم لإزالة منظمة التحرير؟!"<sup>(3)</sup>. وفرض وجوده، كرئيس للمنظمة، في مؤتمر قمة الخرطوم ، وتكلم فيه مدافعا عن حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره، وعن حق المنظمة في تمثيل الشعب الفلسطيني، وأكد بقوة "إن منظمة التحرير هي وحدها التي تمثل الشعب الفلسطيني، وتتحدث بلسانه، ولا يملك أحد غير الشعب الفلسطيني ملكاً كان أو رئيساً ، أن يوافق على أي حل للقضية الفلسطينية".

كان تمسك الشقيري بإبراز الكيان الفلسطيني القوي المستقل عظيما، وكان حرصه على وجود منظمة التحرير، مجسدةً هذا الكيان، بمؤسساتها المختلفة كبيرا. وقد أعلن هذا التمسك والحرص بوضوح وجلاء أمام الملوك والرؤساء في

---

(2) الهزيمة الكبرى، مصدر سابق، ج 2 ص 122.

(3) المصدر نفسه، ج 2 ص 122.

مؤتمر قمة الخرطوم بقوله: "إن منظمة التحرير هي نفسها إنجاز كبير ، يتجلى في قيامها كيان الشعب الفلسطيني وشخصيته الوطنية. وأن بقاءها واستمرارها في الاضطلاع بمسؤولياتها القومية ألزم واجب في هذه المحنة القاسية من أي وقت مضى... لقد استطاعت منظمة التحرير، رغم المصاعب الكثيرة المتراكمة في طريقها أن تجمع حولها جميع فئات الشعب الفلسطيني، فأصبحت تمثله كما تمثل أي حكومة عربية شعبها المتجمع على أرضها، المقيم تحت سلطاتها... إن منظمة التحرير الفلسطينية وجيش التحرير الفلسطيني يقفان الآن وجها لوجه أمام المصير . وأن بقاء المنظمة ضرورة قومية، فلسطينية وعربية ، في المقام الأول. وإنها لكارثة قومية، فلسطينية وعربية، أن تصفَى المنظمة، وأن يسرح جيش التحرير . ويأبى شعب فلسطين، ومعه الأمة العربية، أن تصل المنظمة وجيشها إلى هذا المصير وسيظل شعب فلسطين يقطع من لحمه، ويستنزف من دمه ليبقي ما أمكن أن يبقى من منظمة التحرير وجيش التحرير"<sup>(1)</sup>.

---

(1) الهزيمة الكبرى، مصدر سابق، ج 2 ص ص 194 - 195.

الكفاح المسلح ...

سبيل التحرير .. الوحيد

---

في آخر كلمة للشقيري في الأمم المتحدة قبل أن يترك العمل في الوفد الفلسطيني سنة 1963، قال: "إن مشكلة فلسطين هي مشكلة استعمارية ، ولا يمكن أن تحل إلا كما حلت المشاكل الاستعمارية، وكما حلت المشكلة الجزائرية. وأنتم تعرفون معنى الحل الجزائري من البداية إلى النهاية. وقد أصبح من الضروري أن نشرع في حركة تحريرية تعتمد على جيش التحرير .وسنبني هذا الجيش ، وستقوم حركة التحرير"<sup>(1)</sup>.

هذا هو رأي الشقيري الذي يوضح موقفه من حل القضية الفلسطينية، وينبئ بمدى إيمانه بالكفاح المسلح سبيلاً إلى التحرير. ولعل عمل الشقيري في المحاماة، وطبيعة المهمات السياسية والدبلوماسية التي تولاها طوال حياته قد تركا في أذهان الناس صورة أخرى عنه ، فهو عندهم فارس المنابر، سلاحه الكلمة ، وميدانه قاعات الاجتماعات وحلقات اللجان ، يصل فيها ويجول بعيداً عن دوي المدافع وأزيز الرصاص وغبار المعارك الدامية . لكن تلك في حقيقة الأمر صورة ناقصة أو مغلوطة، قاد إليها حكم متعجل.

حقاً كان الشقيري رجل سياسة ودبلوماسية. لكنه كان مؤمناً بأنه لا جدوى من العمل السياسي إن لم يكن وراءه كفاح مسلح ، وبأنه لا يمكن إقرار الحق والعدل في أية قضية تحريرية أن لم تعززهما قوة . لقد ألمح مراراً منذ

---

<sup>(1)</sup> أربعون عاماً، مصدر سابق، ص 501.

بدايات النضال الوطني الفلسطيني \_ إلى أن السياسي الذي تمارسه القيادات الفلسطينية يفتقر إلى العمل العسكري. فهو مثلاً يتساءل عن مصير الانتصارات التي فاز بها هو وأمثاله من المحامين الوطنيين في قضايا الأراضي التي كانت تعرض أمام المحاكم ، فيرى أن الانتصارات العسكرية الصهيونية قد حلت محلها، ويقول: "الحق لامحاله ضائع إذا لم تكن وراءه قوة تصونه وتحميه" (1).

وهو يذكر بإعزاز ثورة الشيخ عز الدين القسام ، واستشهاد هذا العالم الجليل الذي خط بدمه الزكي صفحة جديدة في تاريخ الكفاح، وقام وإخوانه بحدث خطير غريب غير مألوف في مسيرة الحركة الوطنية إلى ذلك الوقت. والشقيري يتذكر، وهو يتحدث عن المعاني الرفيعة السامية التي جسدتها ثورة القسام، يتذكر ما دار من حوار وجدل بين ( المفكرين ) و(أهل الكلام) ، ويستعيد تساؤلاتهم: ماذا فعل القسام؟ ماذا أفاد الوطن؟ ألم يذهب ضحية رخيصة ؟ ألم يغرر بأولئك البسطاء السذج من غير خطة مدروسة ، متكافئة؟، لكنه، أي الشقيري ، يرفض ذلك كله، ويؤكد أن الشعب لم يكن يخوض مع الخائضين في هذا الشعب يمجّد البطولة... ولكنه جدل الذين لا يؤمنون بالكفاح... ونحمد الله أن هؤلاء كانوا قلة في شعبنا على الدوام" (1) "كان الشقيري يبين لهؤلاء المجادلين أن الحركات التحريرية إنما تبدأ كما بدأها القسام ، ويروي رفاق القسام وكيف

---

(1) أربعون عاما، مصدر سابق، ص 136.

(1) أربعون عاما، مصدر سابق، ص 148.

واجهوا القضاء بشجاعة وثبات. لقد سقط القسم شهيدا، ولكن راية الكفاح \_ كما يقول الشقيري \_ لم تسقط، فقد استلم الشعب ، شعب فلسطين ، راية الجهاد من الشيخ عز الدين القسام ، وكانت الثورة الكبرى التي بدأت عام 1936... ولو أن قادة العرب قد استلهموا روح القسم في عام 1948 لما وقعت الكارثة الأولى، أو لو أن قادة العرب قد استلهموا روح القسم في عام 1967 لما وقعت الكارثة الثانية<sup>(2)</sup>.

وحين بدأ إضراب عام 1936 دار الحديث بين الشقيري وعدد من قادة المنطقة الشمالية حول رعاية شؤون الإضراب وتنظيمه ، واستقر الرأي على أن الفرصة ذهبية أمام القوى الوطنية للقيام بثورة شعبية تحريرية. وقد اتجه هو وصحبه إلى القدس للاتصال بزعماء الحركة الوطنية، وللعمل على توحيد الصفوف وإنشاء جبهة وطنية تقود النضال القومي. ولما زارت اللجنة العربية العليا مدينة عكا، خطب الشقيري، وناشد الزعماء المبادرة إلى الكفاح المسلح لإنقاذ البلاد من الخطر الداهم.

وقد آلمه، وهو في منفاه في الحمه، أن تتوقف الثورة بتدخل زعماء العرب، واعتراه القلق، فبعث رسالة مطولة إلى الحاج أمين يحذره من وقوع البلاد في الفخ البريطاني وإيقاف الثورة . وكان استياؤه كبيرا من موافقة اللجنة العربية

---

(2) أربعون عاماً، مصدر سابق، ص 148.

العليا على مقابلة اللجنة الملكية والمثل أمامها لعرض القضية، فعاد إلى عكا، ولزم بيته ومكتبه. ولما دعاه الحاج أمين للحضور إلى القدس للمشاركة في عرض الجانب القانوني للقضية الفلسطينية، رفض، وأصر على أنه لا يرى خيرا في هذه اللجنة، وعلى أن الشعب متعطش للجهاد قد شبع من لجان التحقيق، وقال له: "أن قضيتنا في الجبال والوديان وليست أمام لجنة التحقيق" (1).

وأمد تجدد الثورة الشقيري بحافز جديد، فمضى يعالج الأمور السياسية والإعلامية ووراءه فيض زاخر من أبناء الثورة، " إذ أية قيمة للسياسة والإعلام إذا لم يكن وراءهما كفاح مسلح تتعاقب أخباره" (2). وكان عام 1938 أحلى أعوام عمره، لأن أحلى أخبار الثورة كانت تصله، فيزداد نشاطا وعملا. إن الكفاح المسلح هو وحده العامل الذي يحسم الأمور، وما عداه ضائع لا قيمة له وحده، ها هو يرجع عدول بريطانيا عن مشروع التقسيم سنة 1938 إلى سببه الحقيقي لا إلى ما تدعيه بريطانيا من صعوبة التطبيق، فيقول: "الثورة، والثورة وحدها هي التي تصنع الأمر الواقع، ما له من دافع... وأن الثورة، والثورة وحدها عام 1938 هي التي أحبطت

---

(1) أربعون عاما، مصدر سابق، ص 163.

(2) المصدر نفسه، ص 184.



مشروع التقسيم<sup>(1)</sup>. وخلال مؤتمر لندن 1939 كان زمام المباحثات بيد الوفد الفلسطيني، وهذا\_ في نظر الشقيري\_ أمر طبيعي، "فقد كان شعبنا في وطنه، وكان شعبنا ثائراً، ومقاليد الثورة بين يديه"<sup>(2)</sup>.

حتى عندما عهد إليه أمر إنشاء المكتب العربي في الولايات المتحدة الأمريكية عام 1945، سافر وهو غير واثق بجدوى المهمة التي عهد إليه بها "إذا لم تكن وراءها جذور أصيلة عميقة.. لم يكن وراءها شعب فلسطين منظماً مسلحاً، تقوده قيادة واعية مدركة"<sup>(3)</sup>. ويعلق على توصيات اللجنة الأنكلو-أمريكية عام 1946 وردود الفعل العربية قائلاً "لأمين جامعة الدول العربية آنذاك عبد الرحمن عزام: "إنه لا ينفع كل ما قلناه، فاليهود في فلسطين وراءهم جيش الهاغاناه والعصابات الإرهابية، أما عرب فلسطين فشعب أعزل..."<sup>(4)</sup>. ويقول أيضاً: "هل نقف عند حدود الاستنكار والاحتجاج؟ هل يظل شعبنا أعزل وعدونا ماضٍ في تحقيق أطماعه بالسياسة والمال، وبالسلح أولاً وآخرًا"<sup>(5)</sup>. وقد بذل

---

(1) أربعون عاماً، مصدر سابق، ص 186.

(2) المصدر نفسه، ص 189.

(3) المصدر نفسه، ص 239.

(4) المصدر نفسه، ص 266.

(5) المصدر نفسه، ص 267.

الشقيري وزملاؤه في المكتب العربي في القدس جهوداً وجهوها للإعداد للتدريب والتسليح ودعوة الدول العربية للدعم. وحث الشقيري مراسلي الصحف الفلسطينية والعربية على بدء حملة صحفية تدعو إلى الكفاح المسلح وإنشاء لجان الطوارئ، وجعل الوطن ثكنة عسكرية وإخراج النساء والأطفال إلى البلاد المجاورة، لإشغالها معركة حتى الاستقلال.

وبعد النكبة كان للشقيري إسهام كبير في الميدان الدولي، وتعددت معاركه في الأمم المتحدة مع خصوم الشعب الفلسطيني وأعداء حقوقه المشروعة ، ولا سيما ممثلي إسرائيل، ومرغ أنوفهم في الوحل، ولكن هيهات أن يجد ذلك في نظره لذا يقول: "إسرائيل مرغت أنوفنا ووجوهنا في الوحل، بكل عفنه وننته في الميدان... وفيه فصل الخطاب" <sup>(1)</sup> "ويقول تعقيباً على مقابلة خاصة مع رئيس وزراء العراق نوري السعيد عام 1951، دعاه فيها للبحث عن (حل معقول) بإتباع (سياسة إيجابية): " الشعب، أي شعب، يستتقذ وطنه، ويبلغ حريته وسيادته بكفاحه وسلاحه... على الأجيال العربية أن تعلم علم اليقين أن الشعوب لا تبلغ حريتها وسيادتها لا بالإيجابية ولا بالسلبية" <sup>(2)</sup>. ويتخذ الشقيري ثورة الجزائر المسلحة مثلاً يضرب ، وانموذجاً يحتذى به، فيعلق على قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة بالاعتراف بجمهورية التحرير الجزائرية عام 1957 حين دعتها إلى

---

<sup>(1)</sup> أربعون عاماً، مصدر سابق، ص 325.

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه، ص 329.

المحادثات من أجل الوصول إلى حل، ويقول: ((وبهذا تداعت أسطورة الجزائر الإفريقية، والذين بددوا هذه الأسطورة لم يكونوا خطباء الأمم المتحدة، وأنا واحد منهم، ولكنهم كانوا أبطال الحرب التحريرية الجزائرية الذين قدموا أرواحهم للحرية والاستقلال"

(1). ويقول معقبا على قرار الأمم المتحدة بحق الجزائر في الاستقلال عام 1958: "...هذا النصر، ومعه الرأي العام صنعه أبطال الجزائر، ولم تصنعه جهودنا السياسية" (2).

ويبلغ اليأس من العمل السياسي في نفس الشقيري مبلغه في عام 1963، فيقول في دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة في تلك السنة: "إن الشعب يلجأ إلى الأمم المتحدة لآخر مرة، وأنه لا يرى مناصاً من حرب تحريرية لاسترداد وطنه" (3). وبعد سجال مع أبا إيبان في تلك الدورة، يسائل الشقيري نفسه قائلاً: "أي معنى لهذا الحوار في الأمم المتحدة وقد امتد بيني وبين إسرائيل خمسة عشر عاماً طويلاً؟ لقد مرغت وجه إسرائيل في التراب في الأمم المتحدة، ولكنهم يمرغون

---

(1) أربعون عاماً، مصدر سابق، ص 479.

(2) المصدر نفسه، ص 481.

(3) المصدر نفسه، ص 498.

وجوه العرب في الوطن، وقد أحسست أنه لم تعد هناك جدوى من الأمم المتحدة إذا لم يكن من وراء خطبنا كفاح مسلح؟<sup>(1)</sup>.

هكذا حمل الشقيري الإيمان بالكفاح المسلح سبيلاً للتحرير، لا يرى، بدون، جدوى في أي عمل سياسي أو نشاط إعلامي. لذلك كان معنى الكيان الفلسطيني عنده قائماً على هذا المفهوم، فشرحه بقوله: "إنه تنظيم، وعمل، وتحرير. إنه قوة طليعية نضالية في ميدان النضال العربي.. إنه تضحيات وبطولات... إنه عرق لا يجف ودمع لا يكفكف، ودم غير ضنين.. إنه أداة نضالية تمكن أهل فلسطين من النضال، تكفل التدريب والسلاح للقادرين على حمل السلاح.."<sup>(2)</sup>، ويخاطب أبناء فلسطين قائلاً: "لست أدعوكم إلى طريق لا أسير فيه معكم، علينا أن نسير معاً، وأن نسير جميعاً. فإن هلك في الطريق فاحملوني أيها الرفاق إلى عربية حرة مستقلة"<sup>(3)</sup>.

وقد أعلن الشقيري للشعب الفلسطيني "إن الكفاح المسلح هو طريق التحرير"<sup>(4)</sup>. وأوضح للجنة المتابعة المنبثقة عن مؤتمر القمة الأول "أن الكيان يعني السلاح والكفاح" وأن استمراره بالعمل مرهون بالإمكانات العسكرية التي

---

(1) أربعون عاماً، مصدر سابق، ص 501، وانظر ص 235 من هذا الكتاب.

(2) مواقف حاسمة وقومية في قضية فلسطين، مصدر سابق، ص 14-15.

(3) المصدر نفسه، ص 15.

(4) من القمة إلى الهزيمة، مصدر سابق، ص 88.

تتوفر له <sup>(1)</sup>. ولم يقف عند حدود الكلام والإعلان بل سارع إلى العمل، وسعى لإنشاء معسكر النصيرات في غزة حتى قبل إنشاء الكيان الفلسطيني. وأكد في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر الوطني الفلسطيني في القدس في 28 أيار/مايو 1964 أن الكيان إذا خلا من الناحية العسكرية كان كلاماً، وانتهى إلى القول: "إن قضية ليس لها حل سياسي أو دبلوماسي أو في الأمم المتحدة، بل لا تحل إلا في فلسطين بالسلاح والكفاح وتعبئة الأمة العربية حكومات وشعوباً، وفي مقدمتها شعب فلسطين ... إن قضية فلسطين، باعتبارها قضية تحريرية، لا تحل إلا كما حلت جميع القضايا التحريرية...".

<sup>(2)</sup>. وقدم لمؤتمر القمة الثاني في أيلول/سبتمبر 1964 خطة مفصلة لتحرير التراب الفلسطيني وإقامة الدولة الفلسطينية، وبين للملوك والرؤساء أن المنظمة من غير نشاط عسكري جسد من غير روح، وأنه لا بدّ من إعداد شعب فلسطين عسكرياً وروحياً. وأكد لهم أن التحرير تبعة قومية كبرى.. وأنه لا يتم إلا بالكفاح.. وعلى أرض فلسطين .

وكان إيمانه بالعمل العسكري وبالكفاح سبباً في الخلاف الكبير الذي نشب بينه وبين الملوك والرؤساء في مؤتمر قمة الخرطوم سنة 1967، والذي دفعه إلى اتخاذ موقف حاسم من المؤتمر حين رأى الاتجاه الغالب في هو استبعاد

---

<sup>(1)</sup> أربعون عاماً، مصدر سابق، ص 89.

<sup>(2)</sup> من القمة إلى الهزيمة ، مصدر سابق، ص 102 وما بعدها.

استئناف القتال- لذلك تقدم بخطة متكاملة، تتربط فيها الجوانب السياسية والاقتصادية والعسكرية، وهدد المؤتمرين . ودعا إلى انتهاء مسيرة نضالية قديمة، يسير فيها من يسير، ويتخلف من يتخلف. وانسحب \_أخيرا\_ من المؤتمر، لأنه لم يبحث الجوانب العسكرية الأساسية.

## جيش التحرير...

### طليلة البذل والفداء

---

من هذا المنطلق كان تشديد الشقيري، في مؤتمر القمة الأول على إنشاء (كتائب نظامية وفدائية)، وبهذا الإيمان بالكفاح المسلح وقف يجابه الصعوبات الكبيرة التي ثارت في وجهه منذ أن عهد إليه مؤتمر القمة مسؤولية تنظيم الشعب الفلسطيني وإنشاء كيانه، فالمنظمة لا تملك أرضاً ولا سيادة ، والشعب مشنت والدول العربية لا ترضى بوجود قوات أراضيها. وقد سبب له هذا الموضوع كثيراً من العناء، وقاده إلى خصومات مع عدد من القادة والمسؤولين العرب، لكنه مضى في سبيله الذي آمن به لا يحيد عنه. وقد تلا شفويأ أمام مؤتمر القمة الثاني (الإسكندرية أيلول/ 1964) قرار إنشاء جيش التحرير "ليؤدي دوره الطبيعي

إلى جانب الجيوش العربية في تحرير فلسطين واسترداد الوطن السليب <sup>(1)</sup>. واستطاع، بعد جدل ونقاش، أن يحصل على موافقة الملوك والرؤساء على إنشاء جيش للتحرير خاضع للقيادة العربية الموحدة في العمليات الحربية، على أن يكون تابعاً لمنظمة التحرير في اختيار أفرادهِ وتشكيلهِ وتسليحهِ وتدريبهِ واختيار مقرهِ بالتعاون مع القيادة العربية الموحدة والقيادات المحلية. وعلى الرغم من أن هذه الموافقة المشروطة لم تكن مطابقة لطموحه في بناء جيش مستقل ، رضي بذلك على أساس أنه خير من لا شيء.

مضى الشقيري حثيثاً في بناء جيش التحرير ، وسارع إلى تنفيذ قرار مؤتمر القمة قبل أن توضع العراقيل في طريق إنشائه. وقد دعا اللجنة التنفيذية إلى اجتماع عاجل اختارت فيه قيادة جيش التحرير في 10 / 9 / 1964 فور انتهاء مؤتمر القمة، وقبل أن يكون هناك جيش أو سلاح. وحاول تذليل العقبات الكثيرة السياسية والعسكرية التي جابهه بها المسؤولون السياسيون والعسكريون في الأقطار العربية. ووضعت لجنة فلسطينية، بالتعاون مع القيادة العربية الموحدة، خطة إنشاء الجيش، وتمركز وحداته في غزة وسورية والعراق، على أن يكون تمويله من صندوق القيادة العربية الموحدة، وأعلن ذلك في مؤتمر صحفي. وسافر إلى قطاع غزة يحمل مشروع التجنيد الإجباري، وحصل على موافقة المجلس التشريعي عليه. وكان لهذا القانون صده الكبير عند أهالي القطاع، فاندفع الشباب

---

<sup>(1)</sup> من القمة إلى الهزيمة ، مصدر سابق، ص138.



للتجنيد. ثم سافر مع قيادة الجيش في جولة على عدد من الدول العربية، انتهت بإنشاء قوات (القادسية) في العراق، وقوات (حطين) في سورية، وقوات (عين جالوت) في غزة. وقد اختار لها الشقيري وصحبه هذه الأسماء، تيمنا بذكريات الانتصارات العظيمة التي فاز بها العرب في هذه المعارك الحاسمة.

كان كل همّ الشقيري أن يبني للكيان الفلسطيني الناشئ جيشاً، ويمده بالسلاح، بأي وسيلة. وطرق من أجل ذلك كل الأبواب العربية والدولية، واستطاع أن يفوز من الصين الشعبية بالسلاح والتدريب. وقد كان هذا السعي الدؤوب سبباً في خلافات كبيرة نشبت بين الشقيري والمنظمة وبين بعض الدول العربية؛ فقد أثار شحن الأسلحة الصينية إلى ميناء الإسكندرية، بدون استئذان، استياء الرئيس جمال عبد الناصر، لأن ذلك يزعج الاتحاد السوفيتي. كذلك أثار اتصاله بالصين استياء المملكة العربية السعودية. أما الخلاف الأكبر والأطول فكان مع الأردن، الذي عارض مشروع التجنيد الإجباري للفلسطينيين لأنه - في نظر المسؤولين الأردنيين - كان سيخلق حساسية بين الفلسطينيين والأردنيين من جهة ولأن أسباب اقتصادية واجتماعية تحول دون الموافقة عليه. وعلى الرغم من الحوار الطويل، وعلى الرغم من عرض مسألة التجنيد الإجباري لأبناء فلسطين في الأردن على مؤتمر قمة الدار البيضاء ( أيلول/ سبتمبر 1965) ظل الخلاف قائماً، وبقي المسؤولون الأردنيون مصرين على موقفهم... حتى كانت القطيعة الرسمية بين الأردن والمنظمة في منتصف عام 1966.

كان الشقيري\_ انطلاقا من إيمانه بأن تحرير فلسطين يقوم، أولاً وقبل كل شيء، على أساس إعداد شعب فلسطين روحياً وعسكرياً ليخوض بنفسه معركة التحرير للبذل والفداء\_ يطالب في كل مناسبة بالتجنيد العسكري لأبناء الشعب الفلسطيني، وينتقد أي خطة أو رأي لا يضع في حسابه هذا الأمر في الموقع الأول. ها هو يوضح في خطابه من إذاعة فلسطين 1965/10/1 ما حدث أمام مؤتمر قمة الدار البيضاء وسبب إلحاحه على هذا المطلب، فيقول: "إن شعب فلسطين متلهف لخوض معركة التحرير، فلم لا تيسر له أسباب التجنيد في جميع الدول العربية؟! لقد تشتت شعب فلسطين بعد الكارثة، وشاء القدر أن تكون تجمعاته الكبيرة وراء خطوط الهدنة في قطاع غزة وفي الأردن وفي سورية وفي لبنان. ومنذ أن وقعت الكارثة وشعب فلسطين يطالب الدول العربية بأن تفتح أمامه أبواب التجنيد. وحين قامت منظمة التحرير أخذت على عاتقها المسؤولية الوطنية في تعبئة الشعب الفلسطيني حيثما كان في الوطن العربي الكبير. قد تحدثت طويلاً في هذا الموضوع أمام مجلس الدفاع المشترك، وأمام الملوك والرؤساء، وتركز الحوار في الدرجة الأولى مع الأردن؛ فإن الأردن هو المنطلق الكبير للتحرير... وفي الأردن بقية وطننا، أو بقية شعبنا، وحرام أن يحرم أبناء فلسطين من شرف التحرير، كائنة ما كانت الأسباب؛ فإن كل الأسباب يجب أن تخضع لهدف التحرير"<sup>(1)</sup>.

---

<sup>(1)</sup> على طريق الهزيمة، مصدر سابق، ص ص 102-103.

وإثر العدوان الإسرائيلي على السموع في تشرين الثاني / نوفمبر 1966 استأنف الشقيري الاتصال بالأردن، وذكر في رسالة وجهها إلى الملك حسين أن منظمة التحرير الفلسطينية \_ منذ قامت \_ تدعو للتجنيد وإنشاء معسكرات التدريب على أعمال المقاومة الشعبية.. وأضاف بأن الزمن زمن كفاح وجهاد وإعداد واستعداد، وأن المنظمة ليست لها مطالب شخصية، إنها مطالب التحرير؛ فهذا الشعب يجب أن ينظم ويدرب ويسلح ليكون قادراً على الدفاع عن الحياة وعن الوجود. ثم قال: "ليس الأردن عندنا بلداً شقيقاً، إنه بلدنا، فيه وطننا، وفيه شعبنا، وله علينا حق النضال وواجب الجهاد. إن منظمة التحرير مستعدة لنقل وحدات جيش التحرير إلى أرض الوطن، وبهذا يجد الجيش الأردني الباسل توأمة الشقيق، تجمعهم أخوة الدم والسلاح.. منظمة التحرير تريد أن تعبئ الشعب لمعركة التحرير. هذا هو هدفها الوحيد في الحياة، بل هذا ما قامت به ومن أجله منظمة التحرير.."<sup>(2)</sup>. وكان قبيل عدوان حزيران 1967 يرى أن مكان جيش التحرير في الضفة الغربية، وفي داخل القدس بخاصة، لأنها ستكون هدف إسرائيل الأول، وستكون المعركة فيها حرب شوارع تقدر عليها وحدات جيش التحرير. يقول: "نحن نستطيع أن نجعل معركة القدس معجزة للبطولة العربية. إن الشعب غير مدرب على القتال، وعلينا ألا نسمح لإسرائيل باقتحام المدينة إلا بعد أن نصبح

---

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه، ص 276.

أكواما من الجثث، فالعار أن تستلمها إسرائيل والمسجد الأقصى قائم على جدرانهِ".<sup>(1)</sup>

وقبيل عدوان الخامس من حزيران 1967 بأيام أصر الشقيري على أن يكون جيش التحرير في المواقع الأمامية. ومن مقر قيادة جيش التحرير في القاهرة أصدر أوامره بنقل القيادة إلى غزة، وأبلغ الرؤساء الثلاثة في مصر وسورية والعراق وضع قوات جيش التحرير في إمرة القيادات العسكرية في هذه الأقطار لتسهم بنصيبها في المعركة.

على الرغم من جميع هذه الصعوبات، وعلى الرغم من المعاناة الشاقة التي عاشها الشقيري وهو يبني جيش التحرير، قوام الكيان الفلسطيني وأساسه، على الرغم من ذلك كله كان ينسى ساعات العناء الطويلة في لحظات السعادة الغامرة التي كانت تملأ نفسه فخرا واعتزازا حين يرى أمامه كتائب جيش التحرير، ويلمس مدى ما تحقق وأنجز، فينطلق لسانه بحديث عاطفي متدفق، ويحلق به خياله في سماوات البيان معبرا عن فرحه العظيم. يذكر جلسة فريدة النوع عقدها أعضاء المجلس الوطني الفلسطيني في غزة في أيار/مايو 1966 مع كتائب جيش التحرير التي قامت أمامهم بمناورة بالذخيرة الحية، وقام رجال الصاعقة بالهرولة الشجاعة، وهم يصيحون:.. عودة عودة. ويكتب في مذكراته: "وهبت

---

<sup>(1)</sup> الهزيمة الكبرى، مصدر سابق، ج 1، ص 212.

نسائم الجنوب كأنها تسوقنا شمالا.. شمالا إلى فلسطين.. ونحن على مقربة منها.. بل أقرب من حبل الوريد"<sup>(1)</sup>. ويستعيد ما كان يعلق به بعض أعضاء المجلس قائلين: "لقد رأينا جيشنا في الميدان، ومن يموت منا بعد اليوم سيكون مطمئنا في قبره.. إننا على طريق التحرير، مهما طال الزمان"<sup>(2)</sup>. .. ويقف ليخطب قائلاً:.. "لقد بكينا جميعاً، ولكن لم البكاء؟ لقد مضت علينا السنون السالفات ونحن نبكي بدموع حزينة حنينا إلى الديار، أما دموع اليوم فليست حزينة ولا ذليلة، ولكنها دموع مملوءة بالإباء والكبرياء.. دموع تتطلع إلى النصر والتحرير. نحن الآن مع شعبنا، وعلى أرضنا.. شعبنا صنع البطولات على مر الأجيال.. وأرضنا أرض معطاء. نحن نناشد كل ملك، وكل رئيس أن يكون مع شعب فلسطين.. مع الكفاح لتحرير فلسطين. ومن كان معنا فنحن معه، ومن لم يكن معنا فلسنا معه.. نحن نريد أن نعيش حاضراً لمستقبلنا".

وقد حمل الشقيري لجيش التحرير الفلسطيني الإكبار والاعتزاز لما حقق من بطولات؛ ففي حديث خاص مع الرئيس عبد الناصر بعد هزيمة حزيران 1967 يروي له أفعال جيش التحرير البطولية في غزة، والمعارك الضارية التي خاضها في وجه القوات الإسرائيلية، والخسائر الفادحة التي كبدها لها. وكان رد عبد الناصر: "ليت الآخرين مثل جيش التحرير والشعب الفلسطيني، أنا جاءتني تقارير

---

(1) على طريق الهزيمة، مصدر سابق، ص 162.

(2) المصدر نفسه، ص 160.

عن بطولة جيش التحرير في القطاع"<sup>(1)</sup>. وأمام مؤتمر قمة الخرطوم أشاد الشقيري بمنظمة التحرير التي استطاعت أن "تبني جيش التحرير الفلسطيني بناء نضاليا، جعله يقاتل ببسالة وشجاعة في قطاع غزة والجبهة السورية والجبهة الأردنية".

---

<sup>(1)</sup> الهزيمة الكبرى، مصدر سابق، ج 2، ص 92-93.

## المنظمات الفدائية...

### بطولات رائعة

---

إذا كان الشقيري قد أشاد كثيرا بالعمل الفدائي الذي انطلق بعد كارثة حزيران 1967، وصور انفتاح الصحافة العالمية على قضية فلسطين بعدها "لا بالآراء، ولكن بالأنباء، إنها أنباء الكفاح المسلح يخوضه شعب فلسطين بكل بطولة وشجاعة"<sup>(1)</sup>، إذا كان الشقيري فعل ذلك عام 1967 فإن طبيعة عمله السابق في الأمم المتحدة، وأسفاره الكثيرة جعلت صلته بالمنظمات الفلسطينية، وبالحركة الفلسطينية الوطنية على الصعيد الشعبي قبل عام 1963 صلة ضعيفة، وهو يروي في مذكراته أن الوفود الفلسطينية أخذت تتقاطر على بيته في لبنان

---

<sup>(1)</sup> أربعون عاما، مصدر سابق، ص 244.

بعد انتهاء عمله في الوفد السعودي إلى الأمم المتحدة في آب/أغسطس 1963، وبدأ يتعرف على المنظمات الفلسطينية من خلالها، وكان يستمع إلى ما يروى له، ويعتذر عن عدم الاشتراك في بعضها لأنه يؤمن بالعمل مع الشعب بكل جماهيره ، لا مع إحدى منظماته<sup>(1)</sup>.

وقد وقعت الأحزاب والمنظمات الفلسطينية تعارض الكيان الفلسطيني في مرحلة الإنشاء، حين بدأ الشقيري جولاته لإخراج الكيان إلى حيز الواقع بتفويض من مؤتمر القمة العربية الأول. ودخل الشقيري معها في حوار من أجل توحيدها في إطار هذا الكيان، أي في إطار منظمة التحرير الفلسطينية. وكان موقف الأحزاب والمنظمات متضارباً؛ فبعضها معارض، وبعضها مراقب. وقد دعاهم الشقيري جميعاً للمشاركة في قيادة المنظمة تحت شعار الوحدة الوطنية، لكنه أخفق. وعلى الرغم من ذلك، أصر على توجيه الدعوات إليهم للمشاركة في اجتماعات المجلس الوطني في القدس. وسبق انعقاد هذا المجلس الأول في 1964/5/28 جدل حول تمثيل المنظمات، ونسبته المؤبقة، وكانت وجهة نظر الشقيري أن المهم، آنذاك، هو بناء الكيان، أما بناء المجتمع الفلسطيني، بورجوازيّاً كان أو اشتراكياً فأمر تال<sup>(2)</sup>.

---

(1) من القمة إلى الهزيمة، مصدر سابق، ص 9.

(2) من القمة إلى الهزيمة، مصدر سابق، ص 98.



ومع تصاعد العمليات الفدائية التي رافقت إنشاء منظمة التحرير، تمت لقاءات كثيرة في دمشق بين الشقيري وقادة المنظمات من فتح، وأبطال العودة، وجبهة تحرير فلسطين، وعبر الشقيري لهم عن وجهة نظره بشأن العمل الفدائي، وألح على ضرورة توحيد المنظمات الفدائية والمنظمات السياسية، خشية على العمل الفدائي من الفرقة، تحت لواء منظمة التحرير الفلسطينية، المؤسسة الوطنية التي تمثل الشعب الفلسطيني بأسره، على أن يكون إمداد المال والسلاح منها، وعلى أن يضع مجلس عسكري أعلى الخطط العسكرية. لكن قادة المنظمات رفضوا هذا الاقتراح، وعارضوا وجهة نظر الشقيري لأن منظمة التحرير، في رأيهم، تابعة لمؤتمرات القمة.

وقد عاد الحوار مرة أخرى قبل عدوان حزيران 1967 مع قادة المنظمات حول توحيد تلك المنظمات الفدائية بإشراف منظمة التحرير، وحول نسبة التمثيل في المجلس الثوري السري. ورفض القادة مقترحات الشقيري، ورأوها آراء متأثرة بالتفكير السياسي الذي ينفججه الشقيري، في حين أنهم ثوريون، وواقع الأمر يحتاج إلى تفكير ثوري، يقود إلى عمل ثوري، يؤدي إلى "توريث" الدول العربية في المعركة على حد قولهم. وقد أبدى لهم الشقيري مخاوفه من هذا "التوريث"

الذي سيشمل الأمة العربية بأسرها ، في وقت وصلت فيه أوضاع الأمة إلى درجة متدنية من الضعف والتمزق <sup>(1)</sup>.

وعلى الرغم من هذا التعارض بين الشقيري وقادة المنظمات كان يقف دائما إلى جانب العمل الفدائي يمجده ويدافع عنه. ففي الدورة الثانية للمجلس الوطني الفلسطيني في أيار/مايو 1965 ثارت ضجة بين أعضاء المجلس حول العمل الفدائي ، ورأى عدد من ممثلي الضفة الغربية أنه سابق لأوانه، وأنه يجب أن تدعمه الدول العربية، وأن يجري بتنسيق مع الجيوش العربية حتى لا تتعرض القرى العربية للإرهاب الإسرائيلي . وقد طلب الشقيري، عند احتدام النقاش ، أن تحول الجلسة سرية، ووقف يدافع عن العمل الفدائي، وأهميته، وسريته، وقال: "علينا أن نمجد الأبطال الفلسطينيين تحت أية راية سقطوا"<sup>(2)</sup>. ثم طالب المجلس اتخاذ قرار بتفويض رئيس المجلس للقيام بما يلزم من سعي لتوحيد المنظمات الفدائية. كذلك كان الشقيري يتابع، بإعجاب متحفظ ، الأعمال الفدائية المتعاقبة في الأشهر التي سبقت عدوان 1967، ويرى أنها تحمل في بطولتها وبسالتها أصالة الأمة العربية وعراقتها في الشجاعة والبذل والفداء ، لكن دون أن يكون لها سند عسكري يحميها على صعيد العمل العربي الرسمي.. اللهم إلا ما يسمع من الإذاعات العربية.

---

<sup>(1)</sup> الهزيمة الكبرى، مصدر سابق، ج 1، ص 47.

<sup>(2)</sup> من القمة إلى الهزيمة، مصدر سابق، ص 286.

بعد هزيمة حزيران 1967 كان موقف الشقيري من العمل الفدائي أكثر وضوحاً وبعداً عن تردد التفكير السياسي وحساباته الكثيرة. فهو يرد مثلاً على تساؤل الرئيس الجزائري عن دور الشعب الفلسطيني بعد النكسة قائلاً: "شعبنا مستعد ، وضع طاقاته كلها في المعركة ؛ جيش التحرير جاهز ، القوات الفدائية كذلك. نحن قادرون على إرسال عدد من ضباطنا إلى غزة والضفة لبدء إعداد الشعب للمقاومة والتصدي للاحتلال الإسرائيلي من الداخل"<sup>(1)</sup>. ويؤكد الشقيري هذه المعاني للرئيس عبد الناصر وهو يخبره عن استعداد الشعب الفلسطيني في الضفة والقطاع للمقاومة المسلحة، وعن قرار المنظمة بدء مقاومة مسلحة ضد الاحتلال الإسرائيلي في داخل البلاد، وفرز ثمانية عشر ضابطاً من جيش التحرير من أبناء الضفة والقطاع لإرسالهم إلى الأرض المحتلة لبدء إنشاء خلايا مدربة على السلاح وحرب العصابات.

ولما انسحب الشقيري من مؤتمر الخرطوم أعلن أن منظمة التحرير الفلسطينية ستعيد تنظيم مؤسساتها لتكون قادرة على مواصلة الكفاح ومقاومة الاحتلال، متلاحمة مع جميع القوى المناضلة في الوطن العربي. وقد خرج من المؤتمر وهو يرى ضرورة البحث عن طريق جديد. وقام بعدئذ بحملة شورى هادئة مع عدد من الأخوة الفلسطينيين والعرب، وبدأ جلياً أنه غدا يؤمن إيماناً ثابتاً بأن الطريق بعد الهزيمة يجب أن يختلف عن الطريق قبل الهزيمة.

---

(1) الهزيمة الكبرى، مصدر سابق، ج 2، ص 93.

وكان لا بد \_ في رأي الشقيري \_ من البدء بالجانب الفلسطيني وبمنظمة التحرير؛ فالمنظمة أنشئت للتحرير، وكانت \_ قبل الهزيمة \_ جزءا من خطة مؤتمرات القمة لتحرير فلسطين ، وقد وقعت أخطاء ، لكن بقيت خطة التحرير قائمة في الفكر والتخطيط ، وإن لم تستكمل وسائل التنفيذ . أما بعد هزيمة حزيران 1967 فإن التحرير لم يعد جزءا من خطة مؤتمر الخرطوم ، إذ اقتصر فكره وتخطيطه على إزالة آثار العدوان، وبالطريق السياسي . يقول الشقيري: "ولم أكن مؤمنا بهذا الطريق بعلي وبخبرتي.. ورفضت قرار مجلس الأمن ، وراح الحكم العربي يطالب بتنفيذه ، ويعتبره مطلباً قومياً، ويخدع الجماهير العربية"<sup>(1)</sup>.

ورأى الشقيري ضرورة إعادة النظر في الكيان الفلسطيني بعد أن اختلفت الظروف . وخطرت له عدة خواطر؛ منها إعادة بناء الكيان على هيئة طابقين: الأول فوق الأرض ، وهو المنظمة ، والثاني تحت الأرض يتولى الثورة وأعمال مقاومة الاحتلال . وقد بدأ اتصالاته مع عدد من الفلسطينيين لبحث هذه الخواطر وسبل تنفيذها . لقد كان يريد قيام مجلس ثورة ، يعبئ الشعب الفلسطيني والشعب العربي لمعركة التحرير، والهدف "ثورة حتى النصر؛ فالثورة لا تكون فريقاً في

---

<sup>(1)</sup> الهزيمة الكبرى، مصدر سابق، ج 2، ص 301.

التسوية ، أو طرفاً في التصفية.. قضية فلسطين القضية الوحيدة التي لا تقبل التسويات المرحلية"<sup>(1)</sup>.

وقد ظل الشقيري، بعد استقالته من رئاسة المنظمة ، يتابع بإعجاب بطولات الفدائيين الفلسطينيين وبسالتهم ، ويستعيد الذكريات ويستقرئ صفحات التاريخ ويقدم في كتبه ما يذكره نار الفداء والبذل والتضحية. إن صور البطولة التي خط ملامحها أبطال الثورة الفلسطينية منذ القسام ظلت ماثلة في ذهنه لا تبرحه، بل كان يعود إلى أيام الملك العادل نورالدين بن زنكي في القرن الثاني عشر الميلادي (السادس الهجري) ، فيقدم الثورة الفلسطينية اليوم قصة كتاب الفدائيين الذين كان يرسلهم نور الدين إلى بيت المقدس ليغيروا على الإفرنج تمهيداً لإجلائهم وتحرير المدينة المقدسة، وكان أبطال هذه العمليات يلتجئون إلى مغارة في أسفل جبل الزيتون يختبئون، يقدم هذه القصة للثائرين لتكون لهم مثلاً يحتذى ، ووقوداً ينطلقون به في معاركهم مع العدو المحتل . ويهدي لأبطال الأمس ، وللسائرين على من أبطال اليوم كتابه ( معارك العرب وما أشبه الليلة بالبارحة) الذي نشره عام 1975 <sup>(1)</sup> ، ويقول: "فإلى أولئك الأبطال أهدي هذا الكتاب تمجيذاً للأبطال المجهولين ، ووفاءً لكهف الأبطال عند سفح جبل الزيتون، وعهداً بأن نظل مرابطين لتحرير بيت المقدس ".

---

<sup>(1)</sup> الهزيمة الكبرى، ج 2، ص 203.

<sup>(1)</sup> انظر ص 282 من هذا الكتاب.





# في موكب.. العروبة.. والوحدة





## الأمة العربية...

### إيمان بأصالتها، ومقدرتها

---

كان الشقيري مؤمناً إيماناً عميقاً بأصالة الأمة العربية، معبراً، في كل ما خطب أو كتب ، عن فهم واضح للقومية العربية ومقوماتها، معتزلاً في مواقفه الدولية بتاريخ أمته وبمنجزاتها . قال في كلمة وجهها من إذاعة نيويورك عام 1945 إلى المهاجرين العرب في أمريكا، وأبدى فيها إيمانه بالعروبة وعراقتها، وفخره بما قدمته للعالم من إنجازات حضارية: "إن أمة هذا شأنها في الحضارة ، وهذا مكانها في التاريخ ، أمة تحضن البحر الأبيض المتوسط بذراعيها، وتلتقي عند ثغورها القارات الثلاث... أمة تتنوعت أقاليمها، وفي أقطارها من الخيرات والمعادن ما عرفه الإنسان في يومه، وما سيعرفه في غده... أمة هذا أمرها وخبرها ليس لها أن تقنع بالهدوء.. فكانت الحركة ، ولا بالنوم.. فكانت اليقظة ،

ولا بالضعف.. فكانت النهضة. وها هي ترغب أن تقتعد مكانها في الأسرة الإنسانية ، تعزز الأمن وتكرم السلم ، ولكن وطنها عليها أعز وأكرم<sup>(1)</sup>.

ويعلق الشقيري في مذكراته على كلمته تلك ، فيقول: "إنها لم تكن تغزلاً ولا تشبيهاً ، ولكنها كانت الحقيقة من غير زخرف ولا زينة... فإنني لم أشك يوماً في جوهر الأمة العربية ، ولا في أسرار قوتها وبسالتها ، رغم ما أرى فيها من أعراض الوهن ، يبدو حيناً بعد حين. ولم تكن الأيام إلا لتزيد هذا اليقين رسوخاً. ولم تكن الحوادث إلا لتقدم دليلاً يتبع الدليل لإبراز هذه الحقيقة، ساطعة سافرة"<sup>(2)</sup>.

كان تاريخ الأمة العربية الساطع بالماثر والمفاخر مبعث اعتزاز للشقيري ، يثير في نفسه مشاعر يختلط فيها الإكبار للماضي والحزن على الحاضر. ها هو في سفينته التي تعود به من أمريكا عام 1945، يمر بجبل طارق ، فتزدحم في نفسه عواطف الزهو ، وتعود إلى ذاكرته صور البطولات المجيدة ، فيرى جحافل النصر وراء القائد العربي عقبة بن نافع.. يمضي من الشمال الإفريقي.. من نصر إلى نصر ، حتى يبلغ المحيط الأطلسي. ويرى طارق بن زياد ، في ركبه الغطاريف من العرب ، يحرقون سفنهم بأيديهم التماساً للنصر أو القبر. ويسمع طارقاً في خطبته التي تتوارثها الأجيال العربية كأعظم أنشودة للحرب ، وأمجد فاتحة للنصر. ويرى صقور قريش ، وقوافل العلماء والشعراء والفقهاء

---

(1) أربعون عاماً، مصدر سابق، ص ص 245-248.

(2) المصدر نفسه، ص 248.

والأطباء والحكماء يجتازون المضيق ، يحملون معهم مشاعل العلم ، والحضارة ، فتضيء في ذلك العالم السادر في الجهل ، المتردي في الانحطاط . ويرى مدنية عجيبة، وحضارة رفيعة ، وعدلاً شاملاً... كل ذلك في الأندلس.. التي بدت له كالفردوس الذي بحث عنه الفلاسفة وافتقدوه ، تتأخى فيه نوازع الدين والدنيا... لكنه يرى \_ بعد ذلك كله \_ عرباً يتجولون في الأندلس ، لا منتصرين ولا فاتحين ، ولكن زائرين ومتفرجين ، فيقفون عند الآثار، يصعدون الأنفاس ، ويكفكون العبرات..<sup>(1)</sup>.

وكان انتماء الشقيري إلى الأمة العربية أكبر من أي انتماء إلى قطر من أقطارها ، يهب للدفاع عن العروبة من أي موقع ، سواء في الوفد السوري للأمم المتحدة أم في الوفد السعودي . يقول في الدورة الثانية عشرة للأمم المتحدة في خريف عام 1957، والتي يسميها "دورة القومية العربية": "وأخذت على عاتقي أن أرد عليهم (يعني وزراء خارجية الدول الغربية الكبرى) جميعاً ، وأن أتحمل العبء كله ، كما لو كنت أمثل الأمة العربية كلها... وكنت صادقاً في هذا الشعور أمام نفسي ، فقد فقدت وطني الصغير ، وتعاضمت تعلقني بالوطن الكبير. وقد تضعضعت قوميتي الصغيرة ، فتصاعد إيماني بالقومية الكبيرة... ومن هنا أصبحت أحس أن القومية العربية قضيتي، وأن الدفاع عنها مسؤوليتي.."<sup>(1)</sup>.

---

<sup>(1)</sup> أربعون عاماً، مصدر سابق، ص 361.

<sup>(1)</sup> أربعون عاماً، مصدر سابق، ص 403.

وعندما استغرب أحد رؤساء الوفود الأجنبية إلى الأمم المتحدة وجود الشقيري في رئاسة الوفد السعودي ، وكان في الدورة الماضية في رئاسة الوفد السوري ، قال الشقيري له: "القومية العربية هي التي جعلتني رئيساً للوفد السعودي ، بعد أن كنت رئيساً للوفد السوري... صحيح أن هناك عدة دول عربية، ولكننا أمة واحدة ، وما أسماء الحكومات العربية إلا أسماء أقطار معظمها له معان في القواميس العربية، وليست أسماء شعوب . وإن سرعة انتقالنا من الجنسية السورية إلى الجنسية السعودية ، وبهذه السهولة، هو دليل صغير على المعنى الكبير: القومية العربية"<sup>(2)</sup>.

ويؤكد الشقيري حقيقة الأمة العربية الواحدة تأكيداً تاريخياً علمياً، على الرغم من الحياة العربية المعاصرة المؤلمة ، وعلى الرغم من التجزئة والانفصال ووجود النزعات الإقليمية، ويقول: إن العرب أمة تملك كل مقومات القومية الأصيلة، وكل مرتكزات الوحدة الكاملة. وقراءة التاريخ قراءة عميقة ترينا أن العروبة أصيلة في جميع الأجزاء العربية، "وهذا الحكم التاريخي لا ينتقص منه أن يقوم على الأمة العربية عشرون ملكاً ورئيساً وأميراً"<sup>(1)</sup>.

ويستدل الشقيري ، من قراءة التاريخ ، أن العلماء \_ على الرغم من اختلاف آرائهم حول الوطن الأول للساميين \_ يجمعون على أن الجزيرة العربية ، منذ

---

(2) المصدر نفسه، ص 409.

(1) علم واحد، مصدر سابق، ص 35.

فجر التاريخ ، هي "الخان الأكبر" للأمة العربية ، الذي صدرت عنه موجات الهجرات العربية . والحقيقة أن "عروبة الوطن العربي أمر لا شك فيه ، وأن الهجرات العربية غمرت الوطن العربي على مدى أربعة آلاف سنة ، وهي رغم اختلاف أسمائها عربية المولد والمنشأ واللغة والثقافة والحضارة"<sup>(2)</sup>. وهكذا ، فالأمة التي تعيش الآن في الوطن العربي تنتمي إلى الأمة العربية الواحدة ، نسباً ونشأةً وتاريخاً وحضارةً ، منذ سبعة آلاف عام. وقليلة \_ في نظره \_ هي الأمم التي تستطيع أن تثبت أصلاتها في مثل هذا العمر المديد . ولا تنقص طوائف الأقليات العرقية من حقيقة الأمة الواحدة ، لأن القومية العربية تشملهم بإطارها الحضاري.

---

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه، ص 49.

## القومية العربية..

### مقومات ثابتة لا تقبل الشك

---

واللغة العربية \_ عند الشقيري \_ في رأس مقومات القومية العربية ، "فمن تكلم العربية فهو عربي ، كما قال الرسول، صلى الله عليه وسلم، فليست العروبة دماً صافياً، ولا عرقاً نقياً ، ولكنها اللغة العربية بما تملأ صفحاتها من ذكريات التاريخ الواحد ، والآمال المتكاملة ، والحوافز النفسية المشتركة ، والخصائص القومية المتلاحمة ، والتراث الروحي"<sup>(1)</sup>. ويستشهد الشقيري بالجاحظ الذي جاء بتعريف للقومية ، هو عنده أروع حضارة وأروع إنسانية من كل العلماء والفلاسفة ، وقد حدد فيه الخصائص المشتركة للقومية والمقومات الأساسية للوحدة في "اللغة والشماثل والهمة ، وفي الأنفة والحمية ، وفي الأخلاق والسجية ، وذلك يقوم مقام الولادة"<sup>(1)</sup>.

---

<sup>(1)</sup> علم واحد، مصدر سابق، ص 52.

<sup>(1)</sup> علم واحد، مصدر سابق، ص 67.

وفي رد الشقيري على بعض المشككين بالعروبة وبالوحدة ، يهتمهم بأنهم ينطلقون في تفكيرهم من منطلقات غريبة عن الأمة وتراثها ، ويرددون مفاهيم أجنبية . ويدعو إلى صياغة مفهوم واضح للقومية العربية نابع من فلسفة الأمة الخاصة وتراثها . وفي الأمة العربية كل المقومات القومية من لغة وتاريخ وقيم روحية وأشواق وأحاسيس وجدانية . وتراثنا العريق يعزز وجود هذه المقومات.

والشقيري يفرق بين الدولة والقومية ؛ فالقومية أولاً ، والدولة أداة معبرة، ولا توجد الدولة إلا بعد نهضة القومية . وقيام الدولة يحتاج إلى توعية وتثقيف وتنظيم ونضال، أدواته المفكرون. إن القومية العربية غير مسؤولة عن مظاهر التجزئة والانفصال ، وليست مظاهر التجزئة إلا مرحلة انتقالية ؛ فالقومية العربية ثابتة مجسدة عبر قرون، والتجزئة عارضة.



## الوحدة العربية...

### ثقة بحتميتها

---

كان إيمان الشقيري بأصالة الأمة العربية يتلازم عنده مع إيمانه بالوحدة. يقول في ذلك المعنى: "ليست الوحدة العربية عندي ، وعند أي مواطن عربي ، خطبة كما يفعل الملوك والرؤساء ، ولا شعراً كما ينشد الشعراء ، ولا أغنية كما يغني المطربون ، ولكنها حقائق.. تفرح لها أو تفجع في أبسط مظاهرها.."<sup>(1)</sup>. وقد ظلت صورة الوطن العربي الكبير ، الحر الموحد المستقل ، صورة المستقبل الذي كان يتطلع إليه ، فيقول: "وستظل هذه الصورة لوحة فنية رائعة ، يراها كل عربي بفؤاده ، وإن لم تخضع لقرطاسه ومدادته"<sup>(2)</sup>. وهو الذي عرف بنفسه فقال : "أنا وحدوي الهوى والنشأة"<sup>(1)</sup>، ورأى في الوحدة أمل الأمة : "إن الوحدة ، فكراً وعقيدة ودولة ، هي أمل الأمة العربية. وإذا كانت قد أصبحت من غير روح ، فالتبعية تقع على الحكم العربي المعاصر ،

---

<sup>(1)</sup> أربعون عاماً، مصدر سابق، المقدمة.

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه، ص 212.

<sup>(1)</sup> أربعون عاماً، مصدر سابق، ص 425.

أو معظمه"<sup>(2)</sup>. وما مآسي الأمة العربية إلا نتيجة التجزئة، وكل ما لحق بالأمة العربية سببه فقدان الوحدة.

وقال الشقيري للأمين العام للأمم المتحدة ، الذي لاحظ أن الشقيري في خطابه عام 1960 بشأن قضية موريتانيا ، يتحدث عن الوحدة حديث العابد: "الوحدة عندي عبادة . نحن شعب فلسطين ضحية فقدان الوحدة. التجزئة أشد بلاء من الاحتلال"<sup>(3)</sup>. وقال في مؤتمر القمة الثالث في الدار البيضاء عام 1965: "الوحدة هي أكثر لزوماً للأمة العربية من الوحدة في أمريكا، أو في الاتحاد السوفييتي... نريد الوحدة العربية لأننا أمة عربية واحدة"<sup>(4)</sup>. وكتب في معرض الرد على غير المؤمنين بالوحدة: "الوحدة العربية كالبهر المحيط ، تتدفق عليه أنهار من النقد والتجريح والتنديد.. ولكنها تظل هي البهر المحيط ، يستوعبها كلها... يبتلعها ويحتويها ، فتتحول إليه ولا يتحول إليها. وهذا الشبه قديم بين الوحدة العربية والبهر المحيط ، فكلاهما من صنع الطبيعة الأزلية الخالدة ، تتعاقب أحداث الزمان في خضم التاريخ، وتبقى الوحدة هي الوحدة ، والمحيط هو المحيط... فبالطبيعة أصبح الشعب العربي أقدم شعوب الأرض كياناً.. وبالطبيعة أصبحت وحدته الوجودية أقدم وحدة على وجه الأرض... إن

---

(2) علم واحد، مصدر سابق، ص 353.

(3) أربعون عاماً، مصدر سابق، ص 429.

(4) حوار وأسرار، مصدر سابق، ص 241.

شعبنا بين شعوب الأرض من أقدمها ، وإن وحدتنا بين الوحدات التاريخية من أعرقها..<sup>(1)</sup>.

ويؤكد الشقيري أن الوحدة حقيقة جغرافية ؛ فالوطن العربي قارة بين القارات الثلاث ، عنده تلتقي ومنه تفترق ، وقد وجد الوطن العربي ، منذ الخليقة ، ليكون وطننا واحدا لأمة واحدة . تدل على ذلك شواهد التاريخ القديم والكنوز الرائعة التي وجدت مطمورة تحت ركام من وقائع التاريخ وأحداث الزمان . وكان الشقيري \_ منذ شبابه \_ كلفا بقراءة التاريخ العربي من زاوية الوحدة العربية . وقد آمن أن حركة الوحدة عبر التاريخ كانت متصلة ، رغم العقبات . إنها سيرة أربعة آلاف عام من تاريخ الأمة العربية قبل الميلاد . كانت فيها المسيرة على درب الوحدة كياناً ونظماً ودولةً تشمل الوطن العربي بأسره . وكانت عواصم الوحدة تنتقل من بلد إلى بلد ، ولكن الوحدة قائمة.

وفي القرن السابع الميلادي تجدد شباب الأمة ، وانطلقت الجيوش العربية المسلمة تتجز الوحدة والتحرير ، وبدأت معها الموجات العربية تغمر من جديد الوطن العربي ، وتحرره من سلطان الفرس والروم . ولم يفتح العرب أرضاً غريبة عنهم ، فأهلها هم من العرب . وقد تم على يد الدولة الأموية الفتح في المشرق والمغرب ، وتحرير الوطن والأمة ، وتوحيد الكيان . ثم حل العباسيون محل

---

(1) علم واحد، مصدر سابق ، ص ص 15-17.

الأمويين ، فحلت أسرة عربية محل أخرى، وبقيت مسيرة الوحدة ماضية في طريقها ، وظلت دولة الوحدة قائمة صامدة أمام الأحداث قرونا خمسة . وما المقام الكبير الذي حلت به بغداد والدولة العباسية في الحضارة والمدنية الإنسانية إلا نتاج إبداع الأمة العربية الواحدة في ظل الدولة الواحدة . إن وحدة القدرات والثروات والطاقت هي التي أضفت على الدولة العباسية مكانتها المرموقة ، وضمنت لها كل أسباب الرقي والعظمة . لقد كانت الإنجازات العلمية الضخمة التي تمت في أيام الدولة العباسية هي "المجموع" العام لقدرات الأمة الواحدة والدولة الواحدة.

ثم أصيبت الدولة العباسية \_ على الصعيد الداخلي \_ بنكسات ألحقت بالوحدة شروخاً ، فنشأت الدويلات في الوطن العربي . وكان طبيعياً مع هذه التجزئة أن يكون النصر للإفرنج في الغزو الصليبي ، فلما عادت الوحدة على يد صلاح الدين تم النصر، وحررت الأرض العربية من الاحتلال. والنصر في حطين والقدس \_ في رأي الشقيري \_ دليل آخر على أن "الوحدة هي طريق النصر، كما كانت التجزئة سبب الهزيمة"<sup>(1)</sup>، وصلاح الدين بطل من أبطال الوحدة والتحرير، ترك للامة العربية ، تراثاً رائعاً في تمجيد الوحدة وتوكيد مزاياها.

ويسير الشقيري مع موكب الوحدة العربية من بغداد والقاهرة إلى القسطنطينية في القرن السادس عشر الميلادي، ويرى أن القسطنطينية كانت آخر عواصم

---

(1) علم واحد، مصدر سابق، ص 123.

الوحدة<sup>(2)</sup>. ويعتَب على كثير من المؤمنين بالوحدة العربية إذ يجعلون العثمانيين في سلسلة الغزاة الأجانب للوطن العربي ، ويجعلون العلاقة بين الأمة العربية والترک علاقة حاكم بمحكوم بالمعنى الاستعماري الأوروبي ، وكأن السيادة العربية ، أو الوحدة العربية قد انتهت في أيامهم . يطالب الشقيري بضرورة النظر إلى هذه المرحلة بمنظار أسلافنا الذين عاشوا فيها ، والتعرف على أحاسيسهم وخواطرهم . وقد أصبحت القسطنطينية العاصمة الجديدة للخلافة ، وبدأت \_ برأي الشقيري \_ مرحلة جديدة للعرب وللعثمانيين معا ، وكانت الأمة العربية مبنهجة بانتقال الخلافة إلى العثمانيين الذين كانوا يمثلون القوة والمنعة والنصر ، وعدت الدولة العثمانية دولتها ، والخلافة خلافتها . واستقر في وجدانها أن الوحدة العربية قد اتخذت طابعا جديدا في إطار الدولة العثمانية ، وكان الحكم في الأقطار العربية شبه مستقل استقلالاً داخلياً ، وتولت الحكم ، تحت الراية العثمانية، شخصيات وأسر عربية أو مستعربة . وظل هذا الوضع قائماً إلى ما قبل السنوات العشر الأخيرة من حياة الدول العثمانية ، حين اشتدت العصبية بين الشعبين العربي والتركي.

ويسوق الشقيري الأمثلة الكثيرة، ويستعرض الأحداث المتلاحقة ، ويأتي بالحجج المتعددة في كتابه (علم واحد) للاستدلال على طغيان المشاعر العثمانية عند الجماهير العربية بما قد لا يرضى عنه الكثيرون من العرب ، أو يوافقون

---

(2) المصدر نفسه، ص 128.

الشقيري عليه ، وبما يشعرون أنه دفاع عاطفي عن الدولة العثمانية الغربية ، لا يستند إلى الحقيقة في كل ما ذهب إليه . بيد أن القارئ يحس وهو يقرأ هذا الحشد من الوقائع والمواقف التاريخية التي يأتي بها الشقيري ، أنه إنما يريد أن يثبت أن الوحدة العربية لم تغب في عهد الدولة العثمانية ، فلقد امتدت حياتها في إطارها وإن كمنت أو سكنت في ضمير الأمة ، وكانت قائمة بالممارسة والفعل . يقول في ذلك: "حياة الأمة العربية حياة وحدوية في العهد العثماني ، الوطن رقعة واحدة من غير حدود، والأمة تعيش حياتها من غير قيود.." (1).

ويستدرك الشقيري ليؤكد أن هذا الشعور بالوحدة العربية لم يبق ساكناً، بعد أن دبّت عوامل الضعف في جسم الدولة العثمانية ، إذ أدرك العرب خطر السياسة العنصرية المدمرة التي اختطتها جماعة الاتحاد والترقي ، ومطامع الدول الأوروبية في الوطن العربي ، فانطلقت دعوة الوحدة العربية تشمل الأقطار العربية ، وقام المفكرون والقادة العرب منذ النصف الثاني للقرن التاسع عشر بدور كبير في دفع قضية الوحدة العربية نحو التنظيم والعمل النضالي ، وتجسد ذلك في الجمعيات العربية وفي عدد من الحركات العربية، وأخذت نوازع القومية العربية تملأ أفئدة العرب مع ازدياد الكره للأتراك، وتغلبت تلك النوازع على جميع مشاعر الولاء للدولة العثمانية.

---

(1) علم واحد، مصدر سابق، ص 155.

ودخلت الوحدة مرحلة خطيرة باندلاع الحرب العالمية الأولى، واتصال دول الحلفاء بزعماء العرب . وكانت دمشق مقر الحركة العربية، وقد نص ميثاق دمشق ، الذي اتفقت عليه الكلمة وتضمن الالتزامات التي ينبغي على الحلفاء التعهد بها شرطاً لانضمام العرب إليهم ، على إقامة دولة عربية موحدة مستقلة مع مبايعة شريف مكة ملكاً عليها.

لكن الحلفاء نقضوا عهودهم ، وفرضوا الانتداب على ديار الشام، وأطلقت الحركة الصهيونية برأسها.. وخاض العرب معركة التحرير وهم يرفعون شعار الوحدة. ثم شغل كل قطر بقضيته الوطنية ، وباستقلاله وإقامة حكومته، وقامت الجامعة العربية على أساس الاستقلال والانفصال . وعلى الرغم من ذلك كله كانت الدعوة إلى الوحدة تتعالى في أرجاء الوطن العربي، تحمل لواءها القوى الوطنية ، وغدت هذه الدعوة جزءاً من برامج الأحزاب العربية ، وتجسدت وبرزت في الدساتير العربية مادة أساسية من موادها، وجسدتها في الخمسينات القوى القومية في الوطن العربي في مؤتمرات عربية (كمؤتمر الخريجين ، ومؤتمر المحامين) ، وفي اتحادات عربية.

إن ذلك الاستعراض للتاريخ القديم والحديث يوصل الشقيري إلى حقيقة ثابتة، هي "أن الوحدة ، عقيدة وتنظيماً ونضالاً ، ليست غريبة على الأمة العربية، ولا مستوردة على حياتها القومية... فهي قديمة قدم الأمة العربية. وكانت نظاماً

دائماً لمسيرتها ، ولذا فإن العمل من أجل الوحدة لا يبدأ من فراغ ، إنه استمرار للنضال الوجدوي.. رغم الفتور ومراحل الانتكاس"<sup>(1)</sup>.

## واقع التجزئة..

من صَنَعَهُ!؟ \_\_\_\_\_

إذا كانت الوحدة ، عند الشقيري ، قديمة أصيلة بهذا الشكل الذي عرضة، فمن أين جاء الواقع البغيض المجزأ الذي تعيشه الأمة العربية اليوم؟! إن الإجابة

---

<sup>(1)</sup> علم واحد، مصدر سابق، ص 282.



عن هذا السؤال أمر حيوي لفهم الوحدة العربية، وللانطلاق من أجل العمل على بنائها.

يرى الشقيري أن وقائع الحياة العربية المعاصرة تحمل الإنسان العربي على النفور من واقعه . لكنه إذا عرف كيف نشأت الدول، ومن أقام الحدود، فسيتحول اشمزازه إلى تمرد وثورة لإزالة العوائق وتحطيم الحدود وإنشاء الدولة الواحدة . إن استعراض أسماء الأقطار العربية يوضح أن الوطن العربي ، مثل أي وطن آخر، كان مقسما إلى أقطار، لكنه تقسيم طبيعي فرضته ، وتقضيه دواعي التعريف ، مثلما تفرض في تعريف المدن والقرى لتمييز بعضها من بعض . ولم تكن حدود هذه الأقطار حدودا سياسية أو دولية ، ولم تكن أسماؤها دالة على كيانات سياسية مستقلة منفصلة ، بل على أسماء أقاليم متعددة في الوطن الواحد . وظلت التقسيمات بعد الفتح العربي، واستمرت أو زادت أيام الحكم العثماني ، وغدت ولايات وإيالات... ويتساءل الشقيري بلسان المواطن العربي عن أقام هذه الدول ذات السيادة من مناطق إدارية ، كانت كلها إلى عهد قريب قائمة على رقعة واحدة ، وعن أقام الحدود على وطن لم تكن عليه حدود... والجواب عنده هو الاستعمار.

إن تاريخ كل دولة من الدول العربية يثبت هذه الحقيقة، ففي أفريقيا وضعت فرنسا وإيطاليا وبريطانيا الحدود ورسمتها، ومثل ذلك جرى في الجزيرة العربية. وفي المشرق العربي حدثت "ملحمة" استعمارية \_ على حد قول الشقيري \_ قطعت

أوصال الوطن العربي، وأقيمت ممالك وجمهوريات على رقعة واحدة من الأرض، لم تعرف التجزئة والانفصال، منذ العصور الحجرية. لقد تقاسم المنتصرون في الحرب العالمية الأولى الذبائح، ووضعت البلاد العربية التي فصلت عن الدولة العثمانية، تحت الانتداب الدولي، وهو الصيغة الجديدة للاستعمار، وبدأت بريطانيا وفرنسا تبنيان الدول والحدود. إن الاستعمار الأوروبي، سعيًا منه لتأمين مصالحه في المنطقة العربية، أجمع على إبقاء شعوب المنطقة في تفكك وتناحر، وجزأ الوطن العربي وأقام الكيانات المستقلة فيه، على غير إرادة الأمة ومشيتها.

ولم يتوقف تنفيذ هذه الخطة الاستعمارية برحيل الاستعمار، بل ظلت الخطة قائمة والتنفيذ مستمرًا، يحمل أمانته \_ بوعي أو بدون وعي \_ الحكم العربي المعاصر. فقد ورث هذا الحكم السياسة الاستعمارية التي خططت لتجزئة الوطن العربي وفصل أقطاره بعضها عن بعض، وراح يهدم "الأكشاك الخشبية" التي وضعها الاستعمار على الحدود، ويقيم مكانها مباني من الحجارة الصماء<sup>(1)</sup>. لقد رسخ الملوك والرؤساء والأمراء التجزئة، حتى أصبحت الأمة العربية كألمانيا في الماضي، مجزأة بسبب الأنانيات العربية ودسائس الدول الأجنبية. ومن العجيب أن الزعماء العرب، الذين تعاهدوا في زمن الاحتلال على مقاومة التجزئة وعلى محاربة السياسات الإقليمية هم أنفسهم الذين دافعوا عن الإقليمية ورسخوا التجزئة

---

(1) أربعون عاما، مصدر سابق، المقدمة.

حين قامت "الاستقلالات الصغيرة المسماة بالدول العربية، وحينما قامت الجمعة العربية، يتعهدون على المحافظة على سيادتها واستقلالها.." (2).

يقول الشقيري: "إن الاستعمار الغربي أنزل بالأمة العربية مصيبتين: الوطن اليهودي والتجزئة. ومع الزمن كبرت المصيبتان، الأولى أصبحت دولة يهودية في فلسطين، والثانية الانفصال في ظل الاستقلال" (1). وإذا كان لنا أن نفهم أن مصالح الدول الاستعمارية هي التي أملت موقفها، وفسرت، وتفسر حرصها على إبقاء الوطن العربي مجزأً مقطوع الأوصال، فمن غير المفهوم أو الطبيعي المقبول " أن ننصاع لهذا الموقف، وأن نعتبره جبال هملايا التي لا نستطيع زحزحتها" (2). إن الحكم العربي المعاصر، في اعتقاد الشقيري، ينفذ الخطط الاستعمارية، غافلاً أو جاهلاً، أو متأمراً. والجامعة العربية وممارستها تعمق حدود الانفصال والتجزئة، وعلى طلائع الأمة الوحودية بناء الدولة العربية الاتحادية، بدلاً من الجامعة العربية (3). وعلى الأجيال العربية القيادية المعاصرة والآتية أن تدرك \_ إن كانت تعد الوحدة العربية جزءاً من رسالتها في الحياة، أو جزءاً من حياتها \_ عليها أن تدرك "بأن الوحدة العربية تواجه في عام 1969 أربع عشرة عقبة. هذه العقبات

---

(2) حوار وأسرار مع الملوك والرؤساء، مصدر سابق، ص 44.

(1) علم واحد، مصدر سابق، ص 194.

(2) حوار وأسرار، مصدر سابق، ص 269.

(3) علم واحد، مصدر سابق، ص 227.

الأربع عشرة هي الأربع عشرة حكومة عربية تقوم من المحيط إلى الخليج...<sup>(4)</sup>. وكلما نشأت حكومة قامت عقبة جديدة. إن سبب البلاء \_ في نظر الشقيري \_ هو أننا الآن في الوطن أمة واحدة يمزقها الحاكمون. وهو يوجه النقد المر لذلك "الزعيم" \_ أي زعيم \_ الذي "يظل (مؤمناً) بالوحدة داعياً لها إلى أن يصل إلى دست الحكم، ويكون رئيساً. وعندما يصبح انفصالياً في ثياب وحدوية يندد بالانفصال، ثم يلقي بخصومه في غياهب السجون، لأنهم من دعاة الانفصال، حتى إذا سقط عن الحكم عاد مرة ثانية وأصبح من أشد دعاة الوحدة وأشد خصوم الانفصال... وهكذا دوليك"<sup>(1)</sup>.

---

<sup>(4)</sup> أربعون عاماً، مصدر سابق، ص 93.

<sup>(1)</sup> أربعون عاماً، ص 93.

## حرب على ..

### دعاة الانفصال والتجزئة

---

هكذا الإيمان الثابت بالوحدة العربية وقف الشقيري يرد على دعاة النزعات الإقليمية والانفصالية التي كانت تطفو على السطح، كلما انحسر المد الثوري، وتردد عبارات وشعارات تندد بالوحدة وتغمز جانبيها، من مثل شعارات "النظرة العلمية" و "الابتعاد عن السطحية" و "الظروف الموضوعية" وهي أبعد ما تكون عن الالتزام بمعانيها.

ويفند الشقيري حجج الانفصاليين والإقليميين الذين يشيرون إلى العقبات والصعوبات التي تحول دون الوحدة. وأولها الامتداد على قارتين ووجود تضاريس وحواجز تجعل عوامل الوحدة غير متوافرة. فيقارن بين طبيعة الوطن العربي والأوطان الاتحادية في العالم، فيجد أن الوطن العربي من حيث المساحة

والتضاريس والحدود وطبائع البشر مؤهل للوحدة أكثر من دول أخرى كالولايات المتحدة أو الصين أو الاتحاد السوفييتي أو الهند وإندونيسيا وكندا ويوغسلافيا... وهذه الأمثلة، وغيرها كثير، تسقط حجج الانفصاليين، وتثبت أن معظم دول العالم، اليوم، يعيش في دول اتحادية أو وحدوية، ويسعى بعضها لإقامة الاتحادات، على الرغم من الحضارات المختلفة.

وفي معرض الرد على معارضي الوحدة بالاعتماد على ظروف الأمة العربية الراهنة وواقع الخلافات والتناقضات الذي تعيشه، والشخصية المتميزة التي ينقرد بها كل قطر، يقول إن الشخصية المتميزة من طبيعة الحياة وسنتها، ولا تؤخذ دليلاً على التجزئة والفرقة. والحدود بين الأقطار العربية قديمة، عاش في إطارها المواطنون العرب منذ ما قبل الإسلام، والأقطار العربية أسماء ذات تاريخ معروف، وليس للانتساب إليها مدلول قومي عام، لكنها مجرد أسماء وتعريف جغرافية. أما تعاقب الدول العربية وتعدد أسمائها فلا يعني أن الدول قامت بين أمم متحدة، فهي أسماء أسر حاكمة، كالأمويين والعباسيين، ولا تنبئ عن أسماء الشعوب.

وليس الصراعات التي نشأت بعد وفاة الرسول، صلى الله عليه وسلم، بغريبة عن تاريخ الأمم، وهي لا تثبت أنه لم يكن هناك أمة واحدة، ولم يكن الخلاف قائماً على وجود الأمة ووحدتها. والنتيجة التي يخلص إليها الشقيري هي " أن تاريخ الأمة مليء بالنكبات، والتي سببتها الفردية القبلية، إلا أن التاريخ

المظلم بدده التاريخ المشرق... والنزعة الفردية والصراع القبلي أطلقت عزيمة الوحدة والنضال من أجلها خلاصاً من القبلية والجاهلية"<sup>(1)</sup>.

ويرد الشقيري على دعاة الانفصال في اتخاذهم مسألة الأقليات الدينية والطائفية والعنصرية حجة يستترون وراءها، ويكثرون من الحديث عنها، حتى يصل الأمر إلى حد تصوير الوطن العربي "وعاء" لأقليات كثيرة، لا وطناً لأمة عربية واحدة. ويؤكد أن هذه الحجة ليست سوى فرية نشرها الاستعمار، واتخذ من تعبير "حماية الأقليات" ذريعة للتدخل في شؤون الوطن العربي واستعمارها. إن هذه الأمة لا ينتقص من عروبتها، أو من حتمية وحدتها وجود هذه الأقليات، فأفرادها هم مواطنون أصليون في الأمة العربية. الاختلاف الديني \_ سواء كانت جذوره عقائدية أو سياسية \_ ظاهرة طبيعية في المجتمعات البشرية. والقومية العربية \_ في مفهومها الحضاري \_ لا تؤمن بالعنصرية. ولا يمكن لأي دولة في العالم أن تزعم أنها مؤلفة من شعب صاف، أو شعب بلا عناصر ولا مذاهب ولا طوائف.

ليس في الوطن العربي أقليات تمثل مشكلة تعطل الوحدة العربية، فهي أقليات أصيلة في الوطن، عاشت على الأرض العربية، وتحت السيادة العربية منذ ما قبل الإسلام. فالأكراد مثلاً يشاركون في الحياة العربية منذ القديم، وصلاح

---

(1) علم واحد، مصدر سابق، ص 70.

الدين الأيوبي كان بطل الوحدة العربية. ونصارى المشرق \_ كما يثبت الواقع التاريخي \_ ليسوا طارئين، بل هم أبناء الوطن العربي، ساهموا في بناء الدولة الأموية، وعاشوا في ظل الوحدة العربية على مر العصور. ولم يعرف التحزب الديني والطائفي في لبنان مثلاً قبل القرن التاسع عشر. والذي أوقد نار الفتنة هو التدخل الأوروبي. إن آلاف الأسر العربية النصرانية في فلسطين والأردن وسورية ولبنان يعرفون أصولهم العربية والقبائل التي ينتسبون إليها، بل إن كثيراً من الأسر العربية فيها اختلاف في الأديان والمذاهب، مما يؤكد رحابة القومية العربية. إن نصارى المشرق العربي، هم أحفاد القبائل العربية، حاربوا مع إخوانهم المسلمين ضد البيزنطيين والصليبيين والعثمانيين، وعاشوا اليقظة العربية، ومنهم الرواد الأوائل في النهضة الحديثة.

وبعد الشقيري من أخطر التيارات المناهضة للوحدة ذلك التيار يمثله عدد من المثقفين ثقافة غربية على أيدي المستشرقين، سواء في المشرق العربي أو في المغرب العربي. وهؤلاء وقعوا تحت تأثير الحملات العلمية الغربية، وتبنوا اتجاهات فكرية لا قومية خاطئة، تدعو إلى الانحسار عن العروبة والانحسار في الإقليمية الضيقة، وترد أبناء الأقطار العربية المختلفة إلى أصول غير عربية، وإلى سلالات منقرضة. لقد حمل هؤلاء أفكاراً واتجاهات ورثهم إياها الاستعمار، واستخدموا وسائل ثقافية حديثة لعزل الأمة العربية عن لغتها ودينها وحضارتها، واستخدموا العلم استخداماً مضللاً، وأطلقوا نظريات علمية تنفي وجود الأمة



العربية، وتضع مقومات وحدتها. وقد رددوا نظريات، هي في حقيقتها من عمل الاستعمار الأوروبي الذي سعى جهده لنفي صلة الشمال الإفريقي بالعروبة، وحاول في مصر أن يؤكد أن المصريين أمة قائمة بذاتها ولها حضارتها، وأبرز المشرق العربي في صورة أقطار متعددة، في كل واحد منها شعب له مقوماته الحضارية واللغوية المتميزة من الآخر، وأشاع أن الوطن العربي إنما هو ملتقى موجات متعاقبة من الغزوات كانت "الغزوة العربية" واحدة منها<sup>(1)</sup>.

وبعيد الشقيري كلمات المؤرخ البريطاني توينبي في هذا المجال: "إنه يغبط أبناء المجتمع العربي بما تضيفه عليهم صفة الأمة العربية من وحدة"<sup>(2)</sup>. ويقول أن الصراع الفكري حول القومية العربية والأمة العربية الواحدة قد حسمه مثل هذا المؤرخ الأجنبي الكبير بهذه الكلمات الواضحة، وحسمه زعيم عربي كبير هو عبد الناصر فيما أكده الميثاق القومي عام 1962 من أن "الأمة العربية لم تعد في حاجة إلى أن تثبت حقيقة الوحدة بين شعوبها... لقد تجاوزت هذه المرحلة، وأصبحت حقيقة الوجود العربي ذاته"<sup>(1)</sup>.

---

(1) علم واحد، مصدر سابق، ص ص 26-28.

(2) المصدر نفسه، ص 35.

(1) علم واحد، مصدر سابق، ص 34.

بيد أن الشقيري يرى من جديد الحاجة إلى تأكيد معنى العروبة، بعد أن أطلت في أعقاب هزيمة 1967 وحرب 1973 الأفكار الإقليمية القديمة التي تدعو إلى التضامن والتنسيق بدل الوحدة... وبدأت قضية الوحدة مجمدة.

## مع مسيرة الوحدة

---

ولم تكن الوحدة عند الشقيري بحثاً أو فكراً نظرياً، خصص له جانباً من وقته وجهده في سنوات عمره الأخيرة، التي كان فيها معتكفا بعيداً عن ميدان العمل

السياسي والنضالي، بل كانت ممارسة عملية، ومعايشة يومية، ومواكبة طويلة لمسيرتها المعاصرة في هذا القرن.

كان واحدا من أبناء جيل عربي حمل \_ مع الجيل الذي سبقه \_ لواء الوحدة، وعمل مع العاملين على بنائها. يقول في ذلك: "جيلنا واكب الوحدة.. فكانت عندها عزا ومجدا... وأصبحت اليوم سبيلا للبقاء في مواجهة الفناء"<sup>(1)</sup>. ويروي ذكرياته الأولى وهو صبي عن الوحدة العربية في عهد حكومة فيصل، حين انطلقت هتافات الجماهير تنادي "الوحدة من طوروس إلى رفح"، ويشير إلى مذكرة أهالي عكا إلى اللجنة الأمريكية تطالب بالاستقلال والاتحاد مع سورية. ويصف تلك الأيام بقوله: "أصبحت طالبا وحدويا، أتحدث إلى رفاقي الطلاب عن الوحدة ما كنت أسمعه في ديوان بيتنا... معاني الوحدة تعيش معي ، مع جيلي في الديار السورية بأسرها"<sup>(1)</sup>. وتعود به الذاكرة إلى أيام الدراسة في مدرسة صهيون (1924-1926) التي غدت \_ على الرغم من أنها مدرسة تبشيرية \_ من أكثر المدارس دعوة للوحدة العربية، وكان بعض أساتذتها يلهب حماسة الطلاب لمحاربة الصهيونية والتجزئة، ولتحقيق الوحدة.

---

<sup>(1)</sup> حوار وأسرار، مصدر سابق، ص 235.

<sup>(1)</sup> حوار وأسرار، مصدر سابق، ص ص 20-22.

كانت معاني الوحدة تملأ خاطر الشقيري وخواطر أبناء جيله ، وكان شعار الوحدة الوطنية في فلسطين آنذاك "استقلال فلسطين في إطار الوحدة العربية". ووجد حقائق هذه الوحدة ومقوماتها حية قائمة في الجامعة الأمريكية في بيروت ، حيث عاش بضعة أشهر .

لقد كان نادي "العروة الوثقى" يجمع الطلاب من مختلف أرجاء الوطن العربي، يعقدون فيه الندوات لبحث الوحدة العربية وأسسها، ويتعاهدون فيه على تخليص الأقطار العربية من الحكم الأجنبي، وإقامة الدولة العربية الواحدة. وقد وضعوا ميثاقا يحدد أهداف القومية العربية وأسس الدولة العربية الحديثة. كان للشقيري نصيب في هذه الحركة إلى جانب عدد من الطلاب الذين أصبحوا فيما بعد قادة بلادهم، وأنشأوا "جمعية الوحدة العربية" التي جاء في ميثاقها تكريس حياة أعضائها في سبيل الوحدة. ويصف الشقيري الاجتماعات الوطنية في تلك الحقبة، بالنسبة إليه وإلى غيره من الطلبة، بأنها كانت "الفرصة العملية الأولى لنكتشف أننا أمة واحدة، وأن الفوارق بين أقطارنا وشعوبنا لها مثل في الفوارق التي تسود القطر الواحد والشعب الواحد"<sup>(1)</sup>. وبسبب دعوته إلى الوحدة العربية في الخطاب الذي ألقاه في ذكرى شهداء أيار 1927 أبعد عن لبنان، وكان ذلك الخطاب الشرارة الأولى في هذه المسيرة الشاقة الطويلة للعمل على بناء الوحدة.

---

<sup>(1)</sup> أربعون عاما، مصدر سابق، ص 89.

وقد فتح انتقال الشقيري إلى القدس، الطريق أمامه إلى الحياة السياسية العامة، وعمل في الصحافة، وقرأ عن نشوء القوميات، وبدأت صلته، أو بدأ تعرفه على عدد من رجالات العروبة الذين كانوا يزورون فلسطين أو يلجأون إليها، أو يمرون بها عابرين، أو يشاركون في نضالها.

تابع الشقيري نشاطه السياسي خلال إقامته في مصر عند بداية الحرب العالمية الثانية. وكان يتردد على مكتب أسعد داغر في جريدة الأهرام، حيث كانت شؤون القضية العربية محور الأحاديث والنقاش.

وكانت للشقيري خطوة على طريق الوحدة العربية حين أرسله الرئيس شكري القوتلي مبعوثاً شخصياً له ليكون قريباً من مشاورات الوحدة العربية التي أدت إلى وضع بروتوكول الإسكندرية وميثاق الجامعة العربية.

وسار في موكب الوحدة منذ مطلع الخمسينات يوم عين أميناً عاماً مساعداً للجامعة العربية. وقد روى ذكرياته عن الجامعة العربية والمداولات التي سبقت ورافقت معاهدة الدفاع العربي المشترك التي شارك الشقيري في وضع مسودة مشروعاتها. وتحدث بأسى عن تجاربه مع المحاولات الفاشلة للوحدة العربية فقال: "كنت فيها في مؤتمر الإسكندرية، حين قدّم الوفد العراقي والسوري مشروعين لقيام دولة اتحادية.. وكنت فيها عام 1955، يوم بحث أمرها في إحدى ليالي مؤتمر باندونغ بين عبد الناصر وخالد العظم... وكنت على مقربة من قيام الوحدة

بين سورية ومصر، ثم وقفت منكسا في ساحة الأمم المتحدة في نيويورك، وأنا أرى العلم السوري يرتفع على ساريتيه يوم الانفصال.. على حين أنني بكيت فرحا يوم ارتفع العلم السوري في ساحة المرجة في نيسان 1946، في يوم الاستقلال<sup>(1)</sup>.

## صوت الوحدة العربية..

### فوق منبر الأمم المتحدة

---

كان الشقيري في الأمم المتحدة صوت القومية العربية العالي، والمدافع عن قضايا الشعب العربي في أي قطر من الأقطار، لا يهمه الموقع الذي يتحدث

---

<sup>(1)</sup> أربعون عاما، مصدر سابق، المقدمة.

منه، سواء كان في الوفد السوري أو السعودي أو الفلسطيني، ولا ينتظر تعليمات حكومة أو توجيهات رئيس أو ملك، ما دامت القضية عربية والخصم هو المستعمر الأجنبي. لم يكن يشعر أنه موظف أو دبلوماسي محترف، يصف نفسه قائلاً: "أنا إنسان فقدت وطني، ونشأت في نفسي عاطفة جارفة في أن أنجد كل من كانت له مصيبة في وطنه ... وما بالك إذا كان الوطن عربياً، والشعب عربياً؟!"<sup>(1)</sup>. ويصفها أيضاً بهذه الكلمات: "لا أشعر بولاء للحكومة التي أمثلها.. كان ولائي لأي قضية عربية يتجاوز ولائي للقطر الذي أمثله"<sup>(1)</sup>.

بدأ ذلك دورة الأمم المتحدة عام 1951، أو "الدورة الأم" بالنسبة إلى القضايا العربية، فإلى جانب القضية الفلسطينية، كانت بين أيدي الوفود العربية قضايا السودان والجزائر وتونس وليبيا والمغرب. وأخذت الوفود العربية تضرب في جميع الجهات، وتقاتل مختلف القوى الاستعمارية، بالإضافة إلى إسرائيل والقوى الصهيونية. يقول الشقيري: ".. الجميع هم الذين أعلنوا الحرب علينا، ولم يكن أمامنا إلا أن نتصدى للدفاع عن حرياتنا وأوطاننا"<sup>(2)</sup>.

لم تكن قضية تونس على جدول الأعمال، لكن الشقيري أتاح لها أن تعرض في الأمم المتحدة، حين ضم، دون تعليمات، بعض الزعماء التونسيين إلى الوفد

---

<sup>(1)</sup> أربعون عاماً، مصدر سابق، ص 333.

<sup>(1)</sup> أربعون عاماً، مصدر سابق.

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه، ص 330.

السوري، وعقد، باسم هذا الوفد، مؤتمراً صحفياً، شرحوا فيه القضية، وهاجموا الاستعمار الفرنسي، مما أثار ثائرة الحكومة الفرنسية والأمين العام للأمم المتحدة<sup>(3)</sup>. وتولى الشقيري في هذه الدورة أيضاً، باسم الوفد السوري، قيادة معركة القضية الليبية والمطالبة باستقلال ليبيا وتصفية القواعد الأجنبية فيها، في وقت كانت الحرب الباردة بين الكتلتين العالميتين على أشدها. ووقع خيار الوفود العربية أيضاً على الشقيري ليتولى قيادة قضية مراكش في الأمم المتحدة في هذه الدورة، وكان بينه وبين فرنسا ثأراً، منذ أبعدته عن لبنان عام 1927، فانبرى يدرس تاريخ القضية، ويعد وثائقها ومستنداتها، وتولى عرضها وشرحها على الأمم المتحدة، وكشف فرنسا وفضح جرائمها الاستعمارية.

وضم الشقيري إلى الوفد السوري الذي كان يترأسه في دورة عام 1953 ممثلاً عن تونس وآخر عن المغرب بصفة مستشارين، فمكّنهما بذلك الدخول إلى اللجنة السياسية، على الرغم من معارضة الوفد الفرنسي. وندد الشقيري في كلمته بالاستعمار الفرنسي، وفند حجج فرنسا في فرض نظام الحماية. وقد أصابت القضية المراكشية والقضية التونسية في تلك الدورة والدورتين التاليتين نجاحاً طيباً على صعيد الأمم المتحدة.

---

<sup>(3)</sup> المصدر نفسه، ص 333.



وسافر الشقيري إلى الأمم المتحدة خريف عام 1955 ليدافع عن قضايا الجزائر وتونس ومراكش، وكان النضال المسلح متأججا في هذه الأقطار، مما قوى ساعد الشقيري. وكان يوما عظيما في تاريخ العرب يوم نالت تونس ومراكش استقلالهما عام 1956، وأصبحتا من أعضاء الأمم المتحدة. ويذكر الشقيري أن الملك المغربي محمد الخامس أجلسه، خلال اجتماعه برؤساء الوزارات العربية أعضاء مجلس الجامعة عام 1959، بجانبه، وذكر للوفود أن المغرب يدين بالفضل لموقف الشقيري في دورة الأمم المتحدة بباريس عام 1951، فرد الشقيري شاكرًا، مؤكداً أن كفاح الشعب هو الذي حقق الاستقلال، وما الجهد في الأمم المتحدة إلا صدى له<sup>(1)</sup>.

أما الجزائر، التي لم يكن لقضيتها صدى يذكر في المحافل الدولية لأنها، قي نظرهم أرض فرنسية، فقد كان الشقيري منذ بداية الخمسينات يرى أن يزداد الاهتمام بقضيتها، لأن عملية الفرنسة جارية مستمرة، وقد يأتي يوم يتعذر فيه الإنقاذ، لأن " الوطن ليس بأرضه، ولكن بشعبه، في لغته وثقافته ودينه " <sup>(2)</sup>. لكن أثقال القضية الفلسطينية لم تترك له مجالاً للبحث فيها. وعلى الرغم من ذلك، عاشت القضية الجزائرية معه قبل أن تصبح قضية دولية لاهبة، وما كان يترك مناسبة في الجمعية العامة أو في إحدى لجانها دون أن يشير فيها إلى الوضع

---

<sup>(1)</sup> أربعون عام، ص 425.

<sup>(2)</sup> المصدر السابق، ص 472.

في الجزائر وإلى ما يلقاه الشعب الجزائري من المظالم. ولما أصبحت الجزائر قضية دولية عاشها الشقيري بروح ثورتها. وقد أطلقت الجزائر برأسها على الأمم المتحدة في كانون الثاني / يناير 1955 حين وجهت السعودية \_ والشقيري رئيس وفدها \_ شكوى إلى مجلس الأمن بسبب عمليات فرنسا الإرهابية في الجزائر. وتوالت بعد ذلك الدورات، حتى ظفر الشعب الجزائري بحريته عام 1962.

ودافع الشقيري عن القومية العربية بوجه عام في دورة عام 1957، وقد كانت القومية العربية عالية الصيحة، تعالت مبادئ الحياد الإيجابي ومقاومة الأحلاف، وغدت ميدانا واسعا للحرب الباردة بين المعسكرين العالميين. وكان من الطبيعي أن تكون هدفاً لهجوم وزراء خارجية أمريكا وبريطانيا وفرنسا، وأن ينسبوا إليها حال القلق التي يعاني منها الشرق الأوسط. تولى الشقيري العبء كما لو كان يمثل الأمة العربية كلها، وكان صادقا مع نفسه، يحس أن القومية العربية هي قضيته، يقول: "... فقد فقدت وطني الصغير، وتعاضمت تعلقي بالوطن الكبير" (1).

---

(1) أربعون عاما، مصدر سابق، ص 403.

رد الشقيري على الاتهامات التي وجهت إلى القومية العربية، وتحدث عن مقوماتها وأهدافها، وبين أنها حركة بناءة خلقة، وليست عدوانية ولا توسعية، وأنها تسعى للتعاون الدولي، وتعمل على أساس الحق والعدل.

وجاء رد الشقيري على خطاب الرئيس الأمريكي أيزنهاور في دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة عام 1958 ردا "شجاعا من غير عنف، مهذبا من غير ضعف"<sup>(1)</sup>، أودع فيه كل آماله وآلامه. فقد عرف القومية العربية ثم تساءل: "هل هي شكل جديد من أشكال الاستعمار؟ هل هي من أغصان الشيوعية وامتداد لمذهبها؟ هل القومية العربية في يقظتها الحديثة من صنع الغرب أو ثمرة من ثمرات نهضته؟ هل هي حركة مليئة بالحق على الغرب والحب للشرق؟ وهل هي حركة تتم عن البغضاء لكل ما هو أجنبي، وتقلق الباب في وجه التعاون الدولي؟"<sup>(2)</sup>. وقد أجاب عن هذه التساؤلات بتعريف القومية العربية بأنها حركة قائمة بذاتها.. حركة ديناميكية تدعو إلى السلام القائم على العدل والحق، وواقعها وأهدافها تنبع من ثقافتها وحضارتها. إن الأمة العربية، مستلهمة وحدة ماضيها، تناضل الآن في سبيل استكمال الوحدة والحرية. وإن القومية العربية لا تضمّر عدواناً على أحد، ولن تتخلى عن شبر واحد من وطنها الكبير. إن جميع

---

(1) أربعون عاما، مصدر سابق، ص 414.

(2) المصدر نفسه، ص 416.

أرجاء الوطن هي لأمة واحدة.. هي الأمة العربية. وتتجلى هذه الوحدة في وحدة الوجود، ووحدة التفكير، ثم في وحدة التصميم على العمل المشترك. إن أهدافنا القومية هي أهداف عربية، وسيظل العرب يعملون لأنفسهم.. من غير أن ينفصموا عن الأسرة الدولية، وهم يضمرون الود والصداقة لدول العالم كلها، باستثناء إسرائيل.

وأكد الشقيري للجميع أن وحدة العرب القومية ليست من صنع الشيوعية أو من صنع الغرب، إنها وحدة عبرت عن وجودها حين كان الغرب غارقا في الظلمات. والعرب يعلنون عزمهم على التعاون مع الأسرة الدولية، ولكن على أساس المساواة التامة، سعيا وراء المصالح المشروعة المشتركة. ويعلنون أنهم ليسوا شيوعيين، وليسوا غربيين، بل هم مصممون على أن يكونوا لذاتهم، إن أهدافهم عربية في الصميم <sup>(1)</sup>.

---

<sup>(1)</sup> أربعون عاما، مصدر سابق، ص419.

## اخفاقات الوحدة..

### تشخيص وعلاج

---

في فصل يحمل عنوان "عشر دول اتحادية، لماذا انتكست؟" في كتاب (علم واحد) يحاول الشقيري أن يثبت أن انتكاس التجارب الوندوية العشر "لا يؤلف دلائل على عقم الوحدة، فكرا ونظاما وكيانا، كما يدعي الانفصاليون، بل دليلاً على أن الوحدة عقيدة زاهرة بالخصب، ولا ينقصها إلا الإيمان، والعزيمة، وتعبئة

الأمة... وهي معركة حقا ينبغي اقتحامها بكل  
الطاقات..<sup>(1)</sup>.

إن في تاريخ الاتحادات العالمية نكسات واجهاضات، وليست الأمة العربية  
مستثناة، ولا بد لوحدتها من أن تمر بما مر به غيرها، لكن المهم "أن انتكاسات  
الوحدة ليس مردها إلى عيب في الوحدة ذاتها، وإنما إلى ظروف خارجية عن  
إرادتها، أو شلل في سواعد من بنوها، أو ضعف إيمان من أنشأوا، أو إلى إقصاء  
الجماهير عن المساهمة فيها، أو جعلها مسرحية بدلاً من حقيقة.."<sup>(1)</sup>.

والعودة إلى سيرة هذه الدول العشر، أو هذه التجارب العشر يثبت عند  
الشقيري صحة ما توصل إليه. إن أسبابا خارجة عن الإرادة لم تجعل للدولة  
العربية الوحدوية الأولى التي جسدتها حكومة فيصل (1918-1920) حظاً من  
الحياة لتكون نواة دولة عربية وحدوية في المشرق العربي. ولم تستطع أن تبسط  
سيادتها على فلسطين ولبنان، واقتصر سلطان حكمها على الداخل، فلم تعمّر  
طويلاً. لكن نكرايتها ظلت تملأ العقول والنفوس العربية، فلم تتحطم آمال الأمة  
في الوحدة، ولم تشغلها معارك استقلال أقطارها عن قضية الوحدة الكبرى.

---

<sup>(1)</sup> علم واحد، مصدر سابق، ص 331.

<sup>(1)</sup> علم واحد، مصدر سابق، ص 331.

وتحرّكت قضية الوحدة من جديد خلال الحرب العالمية الثانية، وتجدد الأمل في قيام دولة عربية وحدوية. لكن الأمل خاب في جامعة الدول العربية وميثاقها، لما كان لبريطانيا من دور خفي وظاهر في هذه المرحلة، بحيث قامت الجامعة أصلاً على التجزئة، وعلى تكريس استقلال الدول العربية السبع بحدودها القائمة آنذاك، تماماً كما أقامها الاستعمار قبل الجلاء.. وما بعض المشاريع الوحدوية التي كانت تطرح في إطار الجامعة العربية\* إلا دعوات إعلامية تقصد إلى التقرب إلى الجماهير، أو التهرب منها، ولا تجد الاستجابة، تنتهي إلى "مخازن" الجامعة. لقد أصبحت الجامعة العربية \_ في نظر الشقيري \_ مهرباً للحكومات من مطالب شعوبها في الوحدة. وقد برع الحكام في الانتفاع بهذه الجامعة، فكان جوابهم لشعوبهم التي تتساءل عما صنعوا بالوحدة العربية: "لقد فعلنا كل شيء، ولكن الجامعة العربية لم توافق"<sup>(1)</sup>.

ومع ثورة تموز / يوليو 1952 أخذت الأمة العربية تتطلع إلى القاهرة. وكانت القفزة كبيرة حين أعلن عبد الناصر في (فلسفة الثورة) أن "الدائرة العربية تحيط بنا". وبدأت الوحدة تشق طريقها إلى الحياة من جديد. وجاء خطاب عبد الناصر عام 1954 معبراً عن وجدان الأمة العربية المنكوبة بالانفصال كما يقول الشقيري. وقد خرجت قضية الوحدة إلى ميدان العمل بين مصر وسورية، وكان

---

\* منها مشروع سوري ومشروع عراقي طرحا في بداية الخمسينات.

<sup>(1)</sup> حوار وأسرار، مصدر سابق، ص 139.

الشقيري مرافقا لبداياتها الأولى في المباحثات التي جرت بين خالد العظم وعبد الناصر على هامش مؤتمر باندونغ 1955 بحضوره وحضور صلاح سالم. وكان ما جرى \_ في رأي الشقيري \_ بحثاً عن المفهوم المشترك والمضمون المشترك للوحدة وشكلها ونظامها ودستورها ومؤسساتها... في زمن لم يكن الموضوع فيه مختمراً في الأذهان، لذا لم يقدر لهذه الوحدة أن تولد في باندونغ<sup>(1)</sup>.

وشهد الشقيري كيف أصبح الاتحاد مطلباً شعبياً عام 1956، ثم صدور قرار مجلس الوزراء السوري سنة 1956 بتبني الدعوة لاتحاد عربي بين مصر وسورية، ثم موافقة مجلس الأمة المصري على قرار الاتحاد في تشرين الثاني / نوفمبر 1957.. إلى أن كان إعلان الوحدة في الأول من شباط / فبراير 1958. ونقل صورة الفرحة التي عمت أرجاء الوطن العربي، "فقد رأى الناس أنفسهم وجهاً لوجه أمام الفجر ينبثق على الحلم الكبير... وانبعثت نفحات صوفية تجلت في تلك الأيام في خطب زعماء مصر وسوريا على السواء"<sup>(1)</sup>.

وفي العام نفسه أخفقت تجربتان وحدويتان عن بلوغ هذا المستوى، الأولى تجربة الاتحاد الهاشمي بين الأردن والعراق في شباط / فبراير 1958، والتي لم

---

(1) أربعون عاماً، مصدر سابق، ص 388.

(1) حوار وأسرار، مصدر سابق، ص 948.



تعمّر طويلاً بعد انهدام النظام الملكي العراقي، والثانية اتحاد الدول العربية في آذار/ مارس 1958 الذي انضمت فيه اليمن إلى الجمهورية العربية المتحدة. وقد كان برأي الشقيري اتحاداً مزوراً، دخلت القاهرة فيه مع أسوأ نظام رجعي.

أخذت الوحدة بين مصر وسورية تنتقل من الأمل إلى العمل، وتزداد معالمها بروزاً. لكن الصعوبات بدأت تواجه الجمهورية العربية المتحدة، وكان كثير منها ناجماً عن السرعة في إتمام الوحدة من غير روية أو تمهيد. وقد تأمر أعداء الوحدة في الداخل والخارج عليها منذ الأسابيع الأولى، فصورت بصورة تسلط مصري، وابتلاع لسورية. وخاف المعسكر الغربي على مصالحه وعلى إسرائيل، وكشر للوحدة عن أنيابه، ومرت سنوات عمرها القصيرة (1958-1961) وهي "ثن بين حجري الرchy، تعصر الوزراء، وتصهر الزعماء، وتجتر الأحداث، وتلوك الأخبار"<sup>(1)</sup>، إلى أن جاء يوم 1961/9/28 ووقع الانفصال، و تحطمت الوحدة. وكان ذلك اليوم \_كما يصفه الشقيري \_ أفسى يوم في تاريخ الأمة العربية، لم تتجاوزه في التعاسة إلا الحملات الصليبية وحروب التتار<sup>(2)</sup>. ويذكر يوم دخل الأمم المتحدة آنذاك، فرأى بعض أعضاء الوفود العربية في مأتم، ورأى الوفود الغربية باحتقار وازدراء وتشف، وسمع قهقهات الوفد الإسرائيلي، فأحس بها طعنات شماتة توجه إليه وإلى كل عربي، بعد أن انفكت عن إسرائيل "كماشة

---

(1) حوار وأسرار، مصدر سابق، ص 182.

(2) علم واحد، مصدر سابق، ص 344.

الوحدة"، ولم يكن للوحدة أي ذنب في نكسة الانفصال، بل لأخطاء السلوك والتطبيق التي هيأت الثغرات لأعداء الوحدة. وقد ظلت ذكرى هذه الأيام السوداء تتجاوب أصدائها في نفس الشقيري سنوات.

لكن إيمان مصر بعروبتها لم يتزعزع على الصعيدين الشعبي والقيادي، وقد عبر عنه عبد الناصر في الميثاق القومي (أيار/ مايو 1962) الذي جاء فيه "أن الأمة العربية لم تعد في حاجة إلى أن تثبت حقيقة الوحدة بين شعوبها. لقد جاوزت الوحدة هذه المرحلة، وأصبحت حقيقة الوجود العربي ذاته"<sup>(1)</sup>. وفي سورية، استمرت فكرة الوحدة، وازدادت النعمة على المتآمرين الذين دبوا الانفصال، وثار بغداد في 1963/2/8، وتبعها دمشق في 1963/3/8، وأعلنت الوحدة مع مصر شعاراً للثورة، وارتفعت الدعوة إلى الوحدة الثلاثية، وتطلعت الأمة العربية إلى مباحثاتها في القاهرة بأمل ورجاء. وكان الميلاد الجديد يوم 17 نيسان / ابريل 1963 بتوقيع البيان التاريخي بقيام دولة الوحدة بين مصر وسورية والعراق، التي يصفها الشقيري بدولة الأربعين مليوناً، ذات الجيش الواحد، والهدف الواحد. ورأى الغرب وإسرائيل في هذه الدولة خطراً على مصالحه وعلى وجود إسرائيل.. ووقع ما كان الاستعمار يتوقعه.. أو يسعى له، وأصبحت فترة الانتقال، لقيام الدولة الجديدة، ولقيام المؤسسات الاتحادية تكريماً

---

(1) الميثاق القومي، الباب التاسع (الوحدة العربية). انظر: حوار وأسرار، ص 154.

للانفصال<sup>(2)</sup>. وتهاوى ميثاق الوحدة الثلاثية صيف عام 1963 نفسه، وعادت الأمة العربية تتطوي على آلامها حزينة كاسفة البال، وعاد الاستعمار، ومعه إسرائيل، إلى الطمأنينة. وهكذا تحطمت عام 1963 أكبر محاولة عربية لوحدة ثلاثية، بعد أن تحطمت المحاولة السابقة، ولو تمت هذه أو تلك "لكانت حرب الستة أيام، دماراً لإسرائيل"<sup>(1)</sup>.

جرت محاولة أخرى للوحدة بين العراق ومصر عام 1964. ولم تكن الظروف تأذن بقيام وحدة فورية بسبب ما ولدت المحاولات السابقة من عقد ومخاوف، فاشتترطت مصر الوحدة الوطنية، ثم الوحدة العربية، في حين كانت "الوحدة العربية هي خير دعامة للوحدة الوطنية" في رأي الشقيري الذي عبر عنه للرئيس العراقي عبد السلام عارف<sup>(2)</sup>. لذلك لم تتمخض هذه المحاولة إلا عن تشكيل مجلس رئاسة بين مصر والعراق لدراسة وتنفيذ الخطط لإقامة الوحدة بين البلدين. واجتمع المجلس مرات، لكن الوحدة "ظلت حبيسة التمني"، لأن الحكم العربي كان في قلق واضطراب، ثم إن تلك المرحلة شهدت مؤتمرات القمة العربية، وسيطرة الدعوة إلى تضامن عربي، لا إلى وحدة عربية.

---

<sup>(2)</sup> حوار وأسرار، مصدر سابق، ص 205.

<sup>(1)</sup> عالم واحد، مصدر سابق، ص 349.

<sup>(2)</sup> حوار وأسرار، مصدر سابق، ص 206.

وقفزت فكرة الوحدة بعد حرب الأيام الستة عام 1967 إلى السطح، لأنها الجواب الحاسم عن الهزيمة، وكان الشقيري في جملة من شبت في نفسه نوازح الوحدة، فذهب إلى مؤتمر قمة الخرطوم يحمل مشروعاً للدولة العربية المتحدة، يدعو إليها "طريقاً للنصر.. مهما طال الطريق"، فالنكبة لها في نظره "سبب واحد، السبب أننا ثلاث عشرة دولة عربية، ثلاثة عشر جيشاً عربياً"<sup>(1)</sup>. ولم يفلح الشقيري في إثارة موضوع الوحدة وبحث مشروعه، لأن المجتمعين ردوا عليه بأنهم إنما جاؤوا لبحث إزالة العدوان، لا لبحث موضوع الوحدة. وقد دفعه ذلك الموقف إلى القول: "إن الدول العربية لن تستطيع إزالة آثار العدوان إلا بقيام الدولة العربية المتحدة"<sup>(2)</sup>.

واشتعلت الآمال في الوحدة من جديد بقيام ثورة ليبيا في الفاتح من أيلول/سبتمبر 1969، وصدر ميثاق طرابلس أواخر هذا العام لقيام جبهة عربية ثورية تحشد الطاقات لخوض المعركة المصيرية. وكان الميثاق - في رأي الشقيري - خطوة متروية حذرة نحو الوحدة، لكنها "ظلت قائمة في أنقاض الهزيمة"<sup>(3)</sup>.

---

(1) حوار وأسرار، مصدر سابق، ص 217.

(2) المصدر نفسه، ص 223.

(3) علم واحد، مصدر سابق، ص 350.

وجرت محاولة أخرى في ربيع عام 1971 بصدر إعلان بنغازي، والاتفاق على إقامة اتحاد الجمهوريات العربية، وعلى أن يكون الوعاء الذي يستقطب نضال الجماهير العربية الوجدوي، والنواة لدولة الوحدة الأشمل، وتم لقاء الرؤساء الثلاثة، وصدر إعلان دمشق، وتم الاستفتاء على دستور الاتحاد، وفاز بأكثرية ساحقة، وبدأت الإجراءات التنفيذية... لكن المواطن العربي لم يشعر بدولة الاتحاد، على الرغم من توفر فرص النجاح لها، ولم يمنع دستور الاتحاد حدوث القطيعة بين القاهرة ودمشق وطرابلس بعد حرب رمضان / أكتوبر 1973، وبلغت الفاجعة ذروتها بالحرب بين مصر وليبيا في تموز/ يوليو 1977. وسبب ذلك كله عند الشقيري أن الوحدة، أمل الأمة، أصبحت من غير روح يفعل الحكم العربي المعاصر، أو معظمه، الذي يتحمل تبعة ذلك.

حتى في اليمن، حيث لا يوجد شعب أجدر بالوحدة من شعبها، تجسدت أكبر مأساة وحدودية في الوطن العربي، فالجمهوريتان اليمنيتان تؤولان اليمن الواحد الذي كان عبر التاريخ وطنا واحدا وشعبا واحدا، احتل الاستعمار البريطاني قسمه الجنوبي.

وجرت محاولة وحدوية عربية عاشره في عام 1974 بين تونس وليبيا، وصدر إعلان بقيام الجمهورية العربية الإسلامية، انتهى إلى الذي انتهى إليه أي إعلان آخر.. وان كان بصورة أسرع.

تلك تجارب الوحدة في العصر الحديث، ساق الشقيري أمثلتها، لا ليثبط  
الهمم، ويشل العزائم، بل ليكشف أسباب إخفاقها الكامنة في وهن الضمير  
والوجدان عند من بنوها، وإلى مسؤولية الحكم والحكام في إجهاضها أو وأدها،  
وإلى تحلق الأعداء الخارجين عليها، لأن دولة الوحدة "عملاق عربي" يهدد  
المصالح الاستعمارية الأجنبية، وينذر بزوال إسرائيل.

## رؤية مستقبلية..

---

لم يكن هدف الشقيري من النقد التجريح والتهديم، ولم يكن عرضه لتجارب الوحدة وانتكاساتها بقصد إثارة روح اليأس والقنوط في النفوس. لقد كان قصده أن يزيل ما ملأ النفوس العربية من هذه المشاعر السلبية تجاه قضية الوحدة بإثبات أن العيب ليس في الوحدة التي تكتمل مقوماتها لدى أبناء الأمة العربية على اختلاف أقطارهم وتباعد ديارهم، بل في النظم والحكام، وفي الظروف الداخلية والخارجية التي أحاطت بهذه التجارب المخففة. لهذا رأيناه شديد الإيمان بها، متين الاعتقاد بضرورتها... وبحتميتها، وكان إيجابيا في تفكيره وسلوكه،

استخلص من التجارب الماضية العبر والدروس، وخرج برؤية مستقبلية، وبتصور متكامل للنظام الاتحادي العربي ، أو لشكل الوحدة المقبل <sup>(1)</sup>.

وحتى يتحقق الهدف ، وجد الشقيري لزاما عليه أن يبدأ بطرح تساؤل عن شكل الوحدة التي نريدها. فالوحدة \_في رأيه \_أنواع ثلاثة، الأول : هو الوحدة كما يريدها ميثاق الجامعة العربية ، أي دول مستقلة بينها تضامن وتنسيق وتكامل ... الخ . والثاني : دولة واحدة لها سيادة كاملة على جميع الوطن والشعب . والثالث: دولة اتحادية تمارس سيادة كاملة في طائفة من الأمور الهامة ، كالخارجية والدفاع والاقتصاد والثقافة ، وتكون الأمور الأخرى من اختصاص حكومات الأقاليم التي يتألف منها الاتحاد. وهذا النوع من الاتحاد نظام حديث في القانون الدستوري لتوحيد دول تربطها مصالح مشتركة.

يرى الشقيري أن الدولة الواحدة هو النموذج الذي ينطبق على الأمة العربية، فهي أمة واحدة ، في وطن واحد، لها لغة وتاريخ ومشاعر قومية واحدة. ولكن الوصول إلى الدولة الواحدة الاندماجية يقتضي الأخذ بالنوع الثالث، أي الاتحادي ، لضرورات لا يمكن تجاهلها، وواقع يتمثل قيام دول عربية متعددة ، أصبحت

---

<sup>(1)</sup> طرح الشقيري هذه الرؤية المستقبلية في كتابه: علم واحد، في فصل عنوانه: الوحدة العربية، كيف نريدها؟ ، ص ص 215 – 229.



لها أوضاع إقليمية اقتصادية وعسكرية وتشريعية. والنظام الاتحادي ينقلها من الإقليمية إلى الوحدة ، وبذلك تنمو الوحدة بالتجربة والممارسة.

إن ما تعاقب على الوطن العربي من أحداث ترك رواسب بارزة في حياة كل إقليم ، لا بد من مراعاتها عن طريق هذه المرحلة الانتقالية التي تنتقلنا من الإقليمية إلى الوحدة ، والشقيري عارف بالصعوبات الناجمة عن تعدد الأنظمة والديكتاتوريات ، والتي هي صعبات لا بد من معرفتها حتى يمكن التغلب عليها . لكن علينا أن نعرف أنها صعوبات موجودة في كل اتحادات العالم، بل هي عندنا أقل من غيرها ، لأننا أمة واحدة على تراب واحد ، تجمعنا مقومات قومية واحدة.

ولاشك أن إقامة دولة الاتحاد نفسها ليس أمراً سهلاً، ولا يمكن إنجازها في مرحلة واحدة . لذلك يدعو الشقيري إلى إقامة نظام اتحاد فدرالي بين الدول العشرين ، بالحدود القائمة ، والديكتاتوريات النافذة ، والحكومات المسيطرة، في فدرالية تكون فيها محكمة عليا تفصل في المنازعات والخلافات. ويستمد الشقيري من أمثلة الدول الاتحادية في العالم ، كالولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي، لي طرح جملة من المبادئ الأساسية التي يتحتم أن يقوم عليها النظام الاتحادي العربي، إذا كان يراد أن يستجيب لتطلعات الأمة العربية، ويحقق أهدافها. إن أول ما ينبغي توكيده هو أن الاتحاد يجب أن يمارس سيادة فعلية حقيقية، ينص عليها في الدستور بلغة قانونية واضحة. وتتمثل هذه السيادة في الجوانب

القومية، مثل الجوانب العسكرية والسياسية و الاقتصادية والمالية، وأمور النفط والمعادن، والبحث العلمي والثقافة.. فتلك كلها تقع في اختصاص الدولة الاتحادية.

وعلى الدولة الاتحادية أن تحرص على مبادئ أساسية:

الأول: الفصل بين السلطات، لتكون الكلمة العليا للشعب، ولتسد الأبواب في وجه الحكم المطلق. الثاني: المساواة العامة، أي أن يكون رجال الدولة تحت حكم القانون.

الثالث: صيانة الدستور، وهذا يقتضي إنشاء محكمة عليا تكون المرجع الذي يفصل في مشروعية أعمال الدولة، ويراقب تصرفاتها.

الرابع: أبدية الاتحاد، فلا تجزئة ولا انفصال.

الخامس: المواطنة الواحدة، أي أن رعايا الدولة الاتحادية ينتمون إلى جنسية واحدة ويتمتعون بحقوق المواطن في جميع أقاليم الدولة.

السادس: ألا يتولى رئيس الدولة الحكم أكثر من فترتين متعاقبتين.

من المسلم به \_ عند الشقيري \_ أن دولة الوحدة المقبلة ستختار النظام الاشتراكي<sup>(1)</sup> ، فالوحدة من غير اشتراكية ستكون أكثر وبالأعلى الجماهير في

---

(1) علم واحد، مصدر سابق، فصل الوحدة العربية والاشتراكية المعاصرة، ص ص 397 -

دولة واحدة منها في عشرين دولة. إن غاية الوحدة توحيد قدرات الأمة العربية المشتتة والمبددة، والاشتراكية مطلوبة من أجل الانتفاع بهذه القدرات، وتجنيدها في مصلحة الأمة جمعاء، على أساس تخطيط علمي مدروس.

والاشتراكية، كطريق لتحقيق العدالة الاجتماعية وتحرير الإنسان من العبودية والفاقة، ليست من صنع هذا العصر، بل هي منزع قديم. وهي من صميم حياتنا العربية، والأمة العربية لم تكن غريبة عن الفكر الاشتراكي، ولا كانت عالة عليه، فقد ساهمت بنصيب وافر في الفكر الإنساني والنضال العالمي من أجل العدالة الاجتماعية، باعتبارها هدف الاشتراكية، وأخرجت نماذج رائدة من العلماء والفقهاء والمصلحين، مما يثبت أصالة الفكر الاشتراكي في الحياة العربية.

والشقيري، مستفيدا من أخطاء التطبيق الاشتراكي الحديث في عدد من الأقطار العربية، يطالب بأن تكون لنا اشتراكية عربية ذات فلسفة خاصة بها، نابعة من تراثنا، ملائمة لمتطلبات حياتنا القومية. وعلى هذه الاشتراكية العربية أن تحرص على إبراز القيم الروحية الخالدة في المجتمع الاشتراكي العربي، لأن حياة المجتمع لا تكون بقوته المادية فحسب، ولكن بقواه الروحية، وقيمه الأخلاقية. إن دولة الوحدة العربية \_في توقعات الشقيري\_ ستقوم على قاعدتين متوازنتين: القيم الروحية والحقائق الاقتصادية. وقد قدم الأولى لأن الحقائق

الاقتصادية هي الوسيلة ، والسعادة البشرية هي الهدف . والدولة العربية التي يتطلع الى قيامها دولة اشتراكية تكون "المادة" هيكلها و "القيم الإنسانية" روحها.

ويتصور الشقيري المستقبل المشرق الذي ستحملة دولة الوحدة المقبلة لهذه الأمة ، ويسمياها (الدولة العربية العظمى) لأنها تملك في رأيه إمكانات وعوامل ووقائع توفر لها أن تكون "دولة عظمى" . وفيها من الثروات المادية والحضارية ما قد لا يجتمع في دولة أخرى ، فموقعها وسط العالم موقع استراتيجي فريد ، وثروتها التاريخية والسياحية لا نظير لها ، ومركزها التجاري عالمي لا نظير له ، وثرواتها المعدنية تتجاوز الحصر... ومن شأن ذلك كله أن يجعل الدولة العربية دولة عملاقة في ميادين الزراعة والتجارة والصناعة.

ويرد الشقيري على من يشكك في قدرتنا على أن نصبح أمة صناعية، فيقرر أن الاستعمار الأوروبي قد زرع في نفوسنا أن الوطن العربي بلد زراعي ، في حين تملك الأمة العربية جميع المؤهلات التي تمكنها من أن تصبح دولة صناعية عظمى ، ولا ينقصها إلا العلم التطبيقي. وحياسة هذا \_في رأيه \_ ليس معجزة ، إذ أصبح العلم "سلعة" دولية ، والعلماء "بضاعة" تبحث عن السوق الفضلى. وهجرة الأدمغة العربية إلى الخارج ، ومساهمتها في بناء حضارة العالم الغربي دليل على أن الإنسان العربي قادر على أن يكون عالماً ومبدعاً.

إن نهوض الأمة العربية الحديث ، ليس بداية جديدة ، ولكنه استئناف لدور تاريخي قامت به الأمة العربية في ظل الوحدة منذ أقدم العصور ، بيد أن ذلك لن يتم إلا بالوحدة، وفي إطار خطة تكامل تجمع الثروات والقدرات، وتعبئها وتستخدمها لخير الوطن العربي كله . إن ما في الوطن العربي من قدرات وخيرات يكمل بعضه بعضا ، ولا يمكن الانتفاع به مجزأ . لذلك كانت الوحدة ضمانا لأمن الوطن ولسلامة الأمة وسيادتها . ولا يمكن الدفاع عن النفس في وجه المطامع الاستعمارية والصهيونية ، أو الخلاص من الفقر والمرض والجهل إلا بإقامة الدولة الواحدة . وإلا ، فإن الأخطار المحدقة بالعرب تنذر بالفناء ، وسيأتي يوم لا تكون فيه الأمة العربية لتبني الوحدة.

## سبل العمل والتنفيذ

---

يؤكد الشقيري أن لكل عربي دوراً يستطيع أن يؤديه في ميدان النضال من أجل الوحدة ، وأن لكل قطر موقعا في ساحة الكفاح لبناء صرح الوحدة . الوحدة واجب الأمة بأسرها.. والمسؤولية جماعية.. وأي مواطن عربي يستطيع أن يكون له دور قيادي في ميدان الوحدة.. إذا كان مؤهلا لذلك ، وأي قطر عربي يمكن أن يكون قاعدة للنضال من أجل الوحدة.. المهم أن تبدأ حركة الوحدة.

وحركة الوحدة \_ في بدايتها \_ ليست في حاجة إلى الكثرة ، فالقلة المختارة المؤمنة ، أو ما يسميه الشقيري "الطلائع القومية" ، هي البداية. وواجب الطلائع القومية التجمع تحت راية الوحدة وتنظيم الصفوف . وعلى الرغم من أن حركة الوحدة بحاجة إلى ظهور قائد ، وبروز دولة راعية ، لا يجوز للطلائع القومية انتظار هذا القائد أو تلك الدولة الراعية ، فالوحدة نضال وكفاح وطريق مملوء بالصعاب .

ويقترح الشقيري التقاء نفر من القوميين الأحرار على هيئة لجنة تحضيرية لوضع ميثاق إنشاء حركة الوحدة العربية ، ثم ينشر المشروع في الصحف لربط

ال جماهير بحركة الوحدة . وتدعو اللجنة إلى مؤتمر قومي عام في إحدى العواصم العربية لإقرار الميثاق واختيار المؤسسات الدائمة. واللجنة التحضيرية والمؤتمر هما بداية الطريق ، وبعدهما عمل دائم على الصعيد العربي والدولي.

من واجب حركة الوحدة كتابة التاريخ العربي من جديد لإبراز الجوانب الحضارية والقومية ، ووضع الخطط لتنشيف الجماهير بقضية الوحدة ، ولا سيما الطلاب والشباب ، لأنهم القوة الدافعة في حركة الوحدة العربية ، وقادتها في المستقبل ، ووقود نضالها . وستتمكن حركة الوحدة بالمتابعة والتوعية والتنظيم ، وتقجير طاقات النضال عند الشباب والطلاب ، ستتمكن من تحريك الشعب كله ، فلا تستطيع قوة أي سلطة أن تتصدى لهذه الحركة.

إن هدف إقامة دولة عربية اتحادية هدف جليل يستحق من كل مواطن السعي المتواصل والاستعداد للجهاد والاستشهاد ، فالوحدة العربية "شأنها في ذلك شأن الاستقلال العربي ، لا بد لها ، في مرحلة من المراحل ، من أن تخوض معركة بالغة التضحيات.." <sup>(1)</sup>. إن الخصم في عهد الاحتلال هو العدو الأجنبي ، وفي عهد الانفصال السلطة الوطنية ، والتصدي لها واجب قومي ، لأن عهد الانفصال يعطل حياة الأمة ، ويعيق نهضتها ، ويحمل خطر عودة الاحتلال . إن الحرب لتوحيد الأمة العربية \_ إذا لم تنتسر أسباب أخرى \_ حرب عادلة

---

(1) علم واحد، مصدر سابق، ص 231.

مقدسة ، كما في ألمانيا وإيطاليا وأمريكا ، ولا يضير الوحدة العربية أن تعبر بركة من الدماء .. "فقد كانت الحرب.. وما تزال ، طريق الوحدة" (2).

وعلى الرغم من أن الشقيري من طلاب الوحدة الفورية ، لما يحس من الخطر المحيط بالأمة ، والمنذر بفنائها.. كان يدرك الحاجة إلى الأخذ بسياسة التدرج والمراحل ، أي في إطار اتحادات قائمة على أساس المناطق الكبرى في الوطن العربي.. ثم يتكون من هذه الاتحادات "اتحاد الجمهوريات العربية". ويقترح الشقيري البدء بحوض النيل ، أي بمصر والسودان ، لأنهما كانا ، عبر تاريخهما ، بلداً واحداً إلى أن تمكن الاستعمار البريطاني من فصل السودان عن مصر . والبلدان يكمل أحدهما الآخر في مضمار التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، وتوحيدهما يجعل الشريط الأخضر حول النيل أكثر اتساعاً وإنتاجاً وعمراناً ، ويجعله مصدر خير ورفاه لأهله... وللأمة العربية .

والاتحاد الإقليمي الثاني هو المغرب العربي الكبير . فأقطار المغرب يجمعها تاريخ مشترك، تفاعلت على أرضها أحداث مشتركة، ولم تنفصم وحدتها إلا بعد مجيء الاستعمار الأوروبي. وهذا الاستعمار لم يستطع أن يغير ملامح المجتمع العربي الواحد وسماته في المغرب العربي ، وظل النزوع إلى الوحدة في نفوس

---

(2) المصدر نفسه، ص 175.



جميع المناضلين هناك ، لكن تقاعس الحكام هو الذي حال دون التنفيذ والسعي العملي لتحقيقها.

والاتحاد الثالث الذي يدعو له الشقيري هو في الجزيرة العربية ، حيث يوجد فيها عدد كبير من الكيانات السياسية المستقلة التي لا يزيد مجموع سكانها على عشرين مليون نسمة . ويتعجب من أن يرضى المواطن العربي \_ بعد رحيل الاستعمار \_ ببقاء هذه الكيانات المنفصلة في بقعة تؤلف وحدة جغرافية طبيعية. ولكنه لا يقفز إلى حل وحدوي جذري للمشكلة في الظروف الراهنة، بل يرى أن قيام اتحاد الجزيرة العربية يحمل حلا لمعظم جوانب المشكلة. ويتصور أن خير الاتحاد ونفعه سيعمان أبناء الجزيرة العربية كلهم. إن الخطر محقق بمنظمة الخليج ، والأطماع الدولية بتلك الأقطار واسعة ، ولا يتصدى له ويبعدها إلا الاتحاد.

والاتحاد الإقليمي الأخير الذي يتطلع إليه الشقيري هو في المشرق العربي. إن المشرق العربي ، منذ أقدم العصور ، ساحة تاريخية واحدة ليس في داخلها كيانات أو حدود. ولم تبدأ الدولة القائمة فيه حياتها "الانفصالية" إلا في ظل الانتداب ، أما قبل ذلك فكانت ولايات في دولة واحدة . وقد ظلت دعوات الوحدة والاتحاد تنطلق في المشرق العربي منذ قيام هذه التجزئة. ومر هذا المشرق بتجارب وحدة ، أو طرحت فيه مشاريع وحدة، لكنها جميعا تعثرت وأخفقت ، على

الرغم من امتلاك معظمها للمقومات السليمة ، بسبب الممارسات الخاطئة وبسبب طائفة من الأشخاص .

ويركز الشقيري ، في إطار المشرق العربي ، على أهمية الوحدة السورية العراقية بسبب الروابط الكبيرة الكثيرة بين البلدين ، ويرى أن وحدتهما ستفتح الآفاق أمام قيام جمهورية المشرق العربي بأسره .

أما لبنان، فليس مشكلة في وجه الوحدة ، لأن الوحدة \_ برأي الشقيري \_ هي المخرج الوحيد للبنان من مشكلاته الاقتصادية والاجتماعية والدفاعية. يقول في ذلك : "لو أن لبنان يرقى بعقله وروحه بعيدا عن العقد الطائفية والنزعات القبلية والروابط الإقطاعية لرأى أن مستقبل لبنان مرهون بالوحدة العربية الشاملة ، وبوحدة المشرق العربي كمرحلة أولى ، وأصبح داعية من دعاة الوحدة ، كما كان اللبنانيون من رواد اليقظة العربية في القرن التاسع عشر"<sup>(1)</sup>.

والشقيري يعطي لمصر دورا قياديا في حركة الوحدة . وقد سبقه إلى ذلك عدد كبير من المفكرين ، وما ذلك إلا لأن مصر مؤهلة لهذا الدور التاريخي بما فيها من عدد سكان كبير وثروات فكرية ومؤسسات علمية وإمكانات ضخمة . لكن الشقيري يقر بأن مصر \_ على الرغم من ذلك كله \_تفتقر إلى الوعي الكامل بفكرة الوحدة العربية ، وينقصها بالتالي ، أن تعي دورها القيادي في ميدان

---

<sup>(1)</sup> علم واحد، مصدر سابق، ص 271.

الوحدة ، بسبب عزلتها عن العالم العربي ، وبسبب الاحتلال البريطاني ، وبسبب الدعوات الإقليمية الفرعونية فيها . وصحيح أن ثورة يوليو 1952 كشفت لمصر هويتها العربية ، لكن ما تزال بعض طلائعها الفكرية تتخندق في خنادق الفراعنة القديمة . والشقيري يصر على أن تبدأ الوحدة في مصر ، عقيدةً وتنظيماً وحركةً ونضالاً ، لأنها الدولة الكبرى، وستصبح القطب الذي يجذب إليه الدول . وإذا اقتضى الأمر "علينا أن نسوقها إلى جنة الوحدة بسلاسل المعرفة والتوعية"<sup>(2)</sup>، على حد قوله. ولو اقتضت الظروف أن تبدأ الوحدة خارج مصر ، فلا بد من أن تعبر حركة الوحدة إليها . إن مصر لا تستطيع أن تعزل نفسها عن أمتها ، ولو فعلت ، فلن تكون \_ بنظره \_ أكثر من دولة إفريقية . إن مصر بالأمة العربية ، والأمة العربية بمصر ، وفي هذا الإطار ينتظرها مستقبل رفيع في مجال التقدم الإنساني . وبكلمات أخرى : "إذا كان صحيحاً أن الأمة العربية من غير مصر أشلاء منثورة ، فإن مصر من غير الأمة العربية جمجمة مبتورة"<sup>(1)</sup>.

---

<sup>(2)</sup> علم واحد، مصدر سابق، ص 277.

<sup>(1)</sup> حوار وأسرار، مصدر سابق، ص 266، أو علم واحد، مصدر سابق، ص 277.

## الوحدة قوة وانتصار

---

هكذا كانت قضية الوحدة عند الشقيري ؛ كانت شعوراً دافقاً ، وإيماناً صادقاً ، واعتقاداً ثابتاً بحقيقة واضحة الشواهد ، بينة الدلائل . لكنها كانت، إلى ذلك كله ، إدراكاً لواقع تقضي المصلحة فيه أن يتحد العرب ليكونوا أقوىاء في وجه

الاستعمار والصهيونية. والشقيري ، ابن الشعب الفلسطيني الذي احتلت أرضه ، وتشرد أبنائه ونكبوا ، كان يرى في الوحدة سبيل القدرة على النصر ، وكان يردد ذلك في كل مناسبة ، وأمام كل مجتمع.

عبر عن ذلك قبل النكبة ، عندما كانت غيومها تتجمع في الأفق ، وتتذر بالخطر ، عبر عن ذلك عام 1945 لعدد من العرب المهاجرين إلى أمريكا، وبين لهم أن الأمة العربية لم تصل إلى مستوى المعركة ، ولا تملك القدرة على النصر في المعركة المقبلة \_ على الرغم من امتلاكها القدرات والإمكانات \_ لأن هذه الإمكانيات مبعثرة ، ولأن القدرات مشتتة (1).

ويتذكر زيارته للكونغرس الأمريكي عام 1945، ويخطر في ذهنه ما قدمه هذا المجلس للصهيونية من دعم ، فيكتب : "سيظل الكونغرس يفعل هذا وغير هذا ، في عهود الرؤساء اللاحقين .. إلى أن ينهض (الكونغرس) المناضل ، في عهد رئيس عربي مناضل ، في عهد الوحدة العربية"(2).

وقد كتب خلال المباحثات مع الوسيط الدولي الكونت برنادوت في رودس عام 1948: "إن النصر في طاقاتنا وقدراتنا.. إنه في وحدتنا.. في الوحدة

---

(1) أربعون عاما، مصدر سابق، ص 233.

(2) المصدر نفسه، ص 236.

وحدها"<sup>(3)</sup> . ولما مدت إسرائيل عدوانها واحتلت المزيد من الأراضي عام 1967 كتب يقول : "الصهيونية العالمية ، وفي طليعتها إسرائيل ، قوة ديناميكية هائلة ، لا يمكن أن يقف أمامها إلا وحدة عربية ، لها جيش عربي واحد ، على رأسه دولة اتحادية واحدة.. دولة واحدة حول إسرائيل على الأقل . وبدلاً من أن نظل نردد أن شعار إسرائيل من النيل إلى الفرات، علينا أن نقيم دولة الوحدة من النيل إلى الفرات"<sup>(1)</sup>.

وخاطب الشقيري الأمة العربية والشعب الفلسطيني من إذاعة منظمة التحرير في 1967/11/2، الذكرى الخمسين لصدور وعد بلفور، وكانت هزيمة حزيران ما تزال في دمها الحار ، فرجع إلى تذكر شريط الأحداث والوقائع عبر السنين الماضية ، منذ صدور الوعد المشؤوم ، وبحث عن أسباب الكوارث والنكبات ، ثم قال: "... ولكن سببا واحدا يقع في رأس هذه الأسباب.. إنه السبب الأول والأخير... وسيظل سبب الكوارث التي تحل بنا. حين صدور وعد بلفور ، كانت التجزئة أول خطوة في بناء الوطن القومي اليهودي. وفي عام 1948 قامت إسرائيل في ظل التجزئة ، وكانت من حولها حكومات عربية متعددة ، وجيوش عربية متعددة . وحين انطلق العدوان الثلاثي عام 1956 على مصر كان في حساب الدول المعتدية أنهم يواجهون حكومات عربية متعددة ، وجيوشا عربية

---

<sup>(3)</sup> المصدر نفسه، ص 301.

<sup>(1)</sup> أربعون عاما، مصدر سابق، المقدمة.

متعددة . وفي هذا العدوان الإسرائيلي الأخير في شهر حزيران ضربت إسرائيل في مصر والأردن وسورية أين تشاء ، وكيف تشاء ، وهي لا تواجه جبهة عربية واحدة ، ذات خطة واحدة ، على رأسها قيادة واحدة . في هذا كله يتجلى الجواب عن السؤال

الكبير : لقد انهزمنا في ظل التجزئة ، لقد انهزمنا لأننا لم نحقق الوحدة، والوحدة التي أعنيها ليست لفظاً لغوياً ، أو معنى عاطفياً ، أو تعبيراً حماسياً، وإنما أعنيها وحدة حقيقية قومية دستورية ذات سيادة كاملة وسلطة شاملة... إن إسرائيل تمثل جماعات من شعوب مختلفة ، على رأسها حكومة واحدة. ونحن أمة واحدة على رأسنا ثلاث عشرة حكومة... هذه هي أسباب انتصار إسرائيل وانكسار العرب ، ببداية وبساطة<sup>(1)</sup>.

وظل الشقيري يردد مراراً أن إزالة آثار العدوان وتحرير الأرض العربية واسترداد فلسطين لا يتحقق إلا بوحدة عربية ، بين دولتين أو أكثر، "أما عن طريق الأربعة عشر ملكاً ورئيساً فإنه يضعنا في الساحة التي نحن فيها"<sup>(2)</sup>. وعلى الرغم من إكباره العظيم للبطولات العربية والبسالات الفدائية، كان لا يراها قادرة على تحقيق إنجازات حاسمة ، لأن "العمل الفدائي ، وما أروع وأرفع ،

---

<sup>(1)</sup> حوار وأسرار، مصدر سابق، ص ص 224-233.

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه، ص 240.

سيظل مخنوقا بالمخاطر إذا لم تقم وراءه، وحوله وحدة عربية تنبثق عنها وحدة عسكرية<sup>(3)</sup>.

دعا الشقيري العرب بعد 1967 إلى ألا تشغلهم الجهود المبذولة لإزالة آثار العدوان عن الوحدة ، لأنها \_ وحدها \_ تستطيع أن تزيل العدوان السابق واللاحق . "إن النصر لن يكون حليف الأمة العربية وفيها مثل هذه الدويلات. إن الدولة العربية الواحدة هي طريق النصر.. إنه الطريق الوحيد"<sup>(1)</sup>.

لقد غدا الشقيري يخشى على وجود الأمة العربية بعد أن رأى الأخطار التي تنذر بفنائها تزداد يوما بعد يوم ، وراح يطالب الحكام بألا يعللوا الجماهير العربية بالكلام المترهل العليل ، الذي يزعم أن الزمن في مصلحة العرب ، لأن الحقيقة ، كما يقول الشقيري "إن الزمن في صالحنا.. في ظل الوحدة ، ولكنه في صالح عدونا إذا بقينا عشر جمهوريات وثلاث ملكيات وإمارة واحدة"<sup>(2)</sup>.

وأكد في كتابه "علم واحد" الذي كرسه لمسألة الوحدة ، وأصدره بعد حرب رمضان /أكتوبر 1973، وبعدما وقع فيها أخطاء في كنف التضامن لم يكن لها أن تقع في ظل الوحدة ، أكد أن العمل من أجل الوحدة أصبح الآن أكثر ضرورة

---

<sup>(3)</sup> المصدر نفسه، ص 268.

<sup>(1)</sup> حوار وأسرار، مصدر سابق، ص 268.

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه، ص 267.



من أي وقت مضى ، ودعا الى أن تصبح قضية الوحدة قضية قومية مشتعلة ، لا يترك للزمن . وقال : "وان أشهى الأعداء ان تظل على رأس الأمة العربية عشرون حكومة ، تبعثر طاقاتها ، وتبدد قدراتها، وتتقاذفها القوى الدولية... وليس غريبا أن تكون التجزئة والانفصال هو ما تشتهيئه لنا إسرائيل ، فقد وجدت في ظل التجزئة والانفصال ، واستمرت"(1).

نعم ، الوحدة قوة . وبمثل إيمان الشقيري بالوحدة ، كان أمانة بأنها السبيل الوحيد الى القوة.. والنصر.. واستعادة الأرض . بل كان يتمنى أن يراها تتجز وتتم ، ولو جزئيا قبل موته .. أكثر من أي شيء آخر يتمناه ، لأن كل شيء آخر لاريب سيحقق إن تمت . لنستمع إلى هذه السطور التي كتبها بمداد عاطفته اللاهية :

".. وما أدري إذا كان الأجل سيمتد بي لأرى تحرير فلسطين.. ولكني أموت مستريح البال اذا رأيت الوحدة العربية في حياتي ، ولا أبالي بعد ذلك أموت حيث أموت ... لأن رفاتي ستجد طريقها إلى فلسطين.حرة عربية.. في وحدة عربية"(2).

---

(1) علم واحد ، مصدر سابق، ص 289.

(2) حوار وأسرار ، مصدر سابق، ص 270.

مع الأنظمة ..

والحكام العرب

---

كانت مسيرة الشقيري مع الحكام العرب ومع الأنظمة العربية المختلفة، طويلة شاقة ، وتجربته مرة صعبة . وقد كان الحكام والأنظمة موضع لوم شديد ومبعث نقد عنيف عنده ينثرهما في كل صفحة من صفحات كتبه ، ويوحى بهما في كل سطر سجله .. على الرغم من أن قسطا كبيرا من حياة نضاله الوطني أمضاه إلى جانبهم .. وفي كنفهم . لكنه قسط من الحياة المضيعة ، ندم لتبديده دون نتيجة أو فائدة .. حتى أنه جعل على غلاف كتابه ( على طريق الهزيمة

مع الملوك والرؤساء ( الكلمات التالية التي تنبئ بهذا الرأي ، وتعبر عن الحسرة والندم : " أعتذر عن أكبر خطأ ارتكبته في حياتي العامة ، ذلك الخطأ الكبير هو أنني سرت مع الملوك والرؤساء في مسيرة الأعوام الأربعة التي انتهت بحرب الأيام الستة . وذلك الخطأ الكبير هو أنني صدقت الملوك والرؤساء في عام 1963 في مؤتمر القمة في القاهرة ، ثم الاسكندرية ، وبعده في الدار البيضاء .. وأخيرا في مؤتمر الخرطوم . وحمدت الله لأنني انسحبت من هذا المؤتمر غير آسف، ولا نادم".

ولم يكن رأي الشقيري في الأنظمة والحكام رأيا جديدا ، انتهى إليه بعد أن أصبح رئيساً لمنظمة التحرير الفلسطينية أو حين عزم على الاستقالة من هذا العمل.. بل كان الحكام والأنظمة موضع نقد الشقيري و لومه قبل نكبة 1948، وقد حمل الحكام العرب مسؤولية كثير من الأخطاء والمواقف المتخاذلة .. ولكن ، دون أن يفقده ذلك ثقته إيمانه بقدرات الأمة العربية.

منذ عام 1937 ، لم يبد الشقيري ارتياحاً لتدخل الحكام العرب عند اللجنة العربية من أجل الاتصال بلجنة التحقيق الملكية البريطانية ، واعتراه الحزن والإشفاق على اللجنة العربية العليا ، إذ "وضعت نفسها بين حجري الرchy...الملوك والرؤساء في جانب ، والشعب ومطالبة في جانب آخر " على

قوله . وقد دفعة ذلك أن يلزم بيته ومكتبه ، وفؤاده يقول : " الشعب في واد ، الملوك والأمراء في واد.. وشتان بين مشرق ومغرب"(1).

ومن الأمور التي أثارت سخط الشقيري مفهوم (الإجماع) العربي ، واهتمام الحكام العرب دائماً بتحقيقه ، إذ كان ذلك \_ برأيه \_ نقمة لا نعمة . يقول معلقاً على ما جرى أثناء إعداد البيان المشترك في مؤتمر أنشاص عام 1946: .. " يكفي أن تقرمل دولة عربية واحدة ، وتقرمل معها بقية الدول العربية ، وتقف القافلة كلها عن السير ...حجاً بالإجماع"(1).

ويوازن بين حركة الشعب الواضحة الصريحة الصادقة ، وحركة الحكومات المناقضة لذلك حين يتحدث عن مؤتمر بلودان في حزيران/يونيو 1946 (وهو اجتماع مجلس الجامعة العربية) ، فيستعيد صورة مؤتمر بلودان الشعبي عام 1937، ويتضح لديه الفرق بين مصارحة وصدق عند الشعب ، وبين تهامس واجتماعات جانبية عند الحكومات .. وكأن المؤتمر كما يقول الشقيري كان "لا لدرء الأخطار عن فلسطين ، ولكن لدرء (الخطر) الذي تلقاه القضية على عاتق الدول العربية"(2). لقد اختلفت مواقف الحكام العرب ،

---

(1) أربعون عاماً، مصدر سابق، ص 137.

(1) أربعون عاماً، مصدر سابق، ص 269.

(2) المصدر نفسه، ص 270.

وأصدر المؤتمر قرارات سرية ، ظلت بعيدة عن التنفيذ ، وإنفض المؤتمر وسط هالات من الدعاية الكاذبة ، والتصريحات الجوفاء.. في حين كانت غرف وزارات الخارجية العربية تشهد \_ كما يكشف الشقيري \_ اجتماعات المسؤولين العرب بسفراء بريطانيا وأمريكا لتقديم الاعتذار لهم ، والوعد بالمحافظة على الصداقة القائمة.

ويحمل الشقيري القادة والحكام والأنظمة المسؤولية فيما آل إليه الوضع من سوء وتدهور . ففي مواجهة الاستعمار والصهيونية لم تكن هناك سوى قيادة فلسطينية بعيدة في القاهرة ، وحكومات عربية يتربص بعضها ببعض . لذلك من الطبيعي أن تأتي توصيات لجنة التحقيق الدولية خريف 1947 في غير مصلحة العرب ، وداعية إلى التقسيم . وكان يمكن للمشاعر القومية الصادقة التي فجرها الشعب العربي في كل مكان احتجاجاً واستنكاراً لتوصية لجنة التحقيق ، كان يمكن لها أن تؤتي ثماراً طيبة خيرة "لو كان على رأسها حكومات مجاهدة ، تضع قضية فلسطين فوق كل اعتبار... فوق الخلافات والمهاترات.." <sup>(1)</sup>.

وينتقد الشقيري موقف الوفود العربية أثناء اجتماعات الأمم المتحدة السابقة لقرار التقسيم ، فقد كانوا يرفضون الاتصال بوفد الاتحاد السوفيتي، بل يتصلون بالوفد البريطاني، أملاً في أن تغير بريطانيا موقفها . وكان اليهود أكثر تكاءً

---

<sup>(1)</sup> أربعون عاماً، مصدر سابق، ص 284.

وفهماً للأوضاع الدولية من العرب ، فاتصلوا بالسوفييت، وكسبوا تأييدهم . ولما صدر قرار التقسيم ، وعمت مشاعر الغضب الوطن العربي كله ، وتعالّت الصيحات تطالب الحكومات العربية بتنفيذ قرارات مؤتمر بلودان السرية ، وبشن حرب سياسية واقتصادية وبتروولية على كل من أمريكا وبريطانيا المسؤولتين عن كارثة التقسيم ، لم تفعل هذه الحكومات شيئاً بهذا الشأن سوى الاحتجاجات وإصدار البيانات ، واستمرت العلاقات العربية الغربية على حالها ، وصدقت \_ في رأي الشقيري \_ تأكيدات اليهود بأن "العرب لن يفعلوا شيئاً، وأنها جعجة من غير طحن"<sup>(1)</sup> ، بل إن تعاقدات بتروولية جديدة تمت بعد قرار التقسيم مع الشركات الأمريكية.

وقد عبر الشقيري عن سخطه على الحكام بعد صدور قرار الهدنة الأولى في حزيران / يونيو 1948، فقال : "لن يهربوا من التاريخ .. ولن يستطيعوا أن يهربوا من الشعب"<sup>(2)</sup>، ورأى أن الوساطة التي بدأت في رودس بعد إعلان الهدنة بإشراف الكونت برنادوت هي من أجل "امتصاص نقمة الشعوب العربية على حكامها وإلهائها .. والاعتماد على نسيانها ؛ ففي الزمن شفاء من كل داء... هكذا كان التفسير الذاتي عنده حكام العرب"<sup>(3)</sup>.

---

<sup>(1)</sup> أربعون عاماً، مصدر سابق، ص 287.

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه، ص 292.

<sup>(3)</sup> المصدر نفسه، ص 297.

وكانت السنوات التي أعقبت نكبة 1948، وحتى عدوان حزيران 1967 صورة واضحة للتمزق العربي ، ودليلاً على إخفاق العمل العربي المشترك. كتب الشقيري معلقاً على تأجيل مؤتمر القمة عام 1966: "إن الكوارث والهزائم لا تبالي بالكثرة المتفرقة المتبددة .. حتى ولو كان على رأسها 13 ملكاً ورئيساً، و 13 جيشاً. بل إن الأمة، أية أمة، إذا كان على رأسها 13 ملكاً ورئيساً كمن عرفت وزاملت لا بد أن تهزم... لا بد أن تنكسر" (1).

وقد أكثر الشقيري من الشكوى من ضعف الحكومات العربية ومواقفها المتخاذلة. من ذلك قوله : "نحن في باب تعبئة الأصوات في الأمم المتحدة ضعفاء، وأمريكا قوية لمساعدتها الاقتصادية.. ولأن السياسة العربية الخارجية "مرتبطة بالعالم الغربي" (2). وقوله: "... وعلى أرض الوطن ، فقد ارتكبت إسرائيل عدداً من الاعتداءات ، وأدانها مجلس الأمن.. وشكا العرب، وإسرائيل لا تبالي... ولكن العرب قوم بدائيون لا يعرفون العلاقات الدولية، ولا يعرفون (مفهوم ) الحرب.. والحرب تصيح في أسماعهم ووجوههم ، تعلموا صناعة قنابل النابالم ، وأحسنوا استعمالها.. وتمرسوا بأساليب النسف والإرهاب والتقتيل والتشريد" (3).

---

(1) على طريق الهزيمة، مصدر سابق، ص 276.

(2) أربعون عاماً، مصدر سابق، ص 359.

(3) المصدر نفسه، ص 394.

كان الشقيري عالماً بالواقع العربي الممزق، معبراً في كل ما يقوله في أنظمة الحكم والحكام عن رأي جمهور المواطنين العرب. لقد غدا مقتنعاً، والأزمة تتصاعد حرارتها قبل حرب 1967، بأن "الرأي العربي أصبح يشك في جدوى اللقاءات العربية، والتضامن العربي، وضجر من الشعار: أي اعتداء على أية دولة عربية يعتبر اعتداء على الدول العربية جمعاء"<sup>(1)</sup>. وقد قدم صورة قاتمة للعلاقات التي كانت قائمة آنذاك بين الأنظمة العربية فقال: "لم تسكت مدافع الإعلام العربي بعضها عن بعض إلا حين أصبحت فوهات المدافع الإسرائيلية مصوبة على الجبهة السورية"<sup>(2)</sup>.

كان الشعور العربي الرسمي، كما لمسّه الشقيري، قاصراً على الرغبة والتمني، متفاوتاً في العزم على البذل والعطاء، "وتلك هي مصيبة النضال العربي منذ أن أصبح للأمة العربية حكام.. أو أشباه حكام"<sup>(3)</sup>. وقد خرج من تجربته الطويلة مع الأنظمة العربية بالاستنتاج التالي: "إن الدول العربية، كما عرفتُها خلال ربع قرن، لم تكن قادرة على الحرب، لأنها غير راغبة فيها، ولم تكن راغبة فيها، لأنها لم تكن قادرة عليها... معادلة قد تبدو متناقضة"<sup>(4)</sup>. وعلى الرغم من

---

(1) الهزيمة الكبرى، مصدر سابق، ج 1، ص 26.

(2) المصدر نفسه، ج 1، ص 85.

(3) المصدر نفسه، ج 1، ص 151.

(4) المصدر نفسه، ج 1، ص 116.



ذلك كان الشقيري مؤمناً بأن الأمة العربية قادرة على أن ترد لإسرائيل الصاع صاعين لو أن إمكاناتها اجتمعت في قبضة واحدة. ولكن الأمة العربية شيء والحكومات العربية شيء آخر. كان مؤمناً أن أمريكا وبريطانيا إذا أيقنتا أن الحكومات العربية بملوكها ورؤسائها مصممة على المعركة بكل صدق وعزيمة ، فإنهما ستتجنبان التدخل.

وينظر في هزيمة 1967 ليحلل أسبابها ويسمي المسؤول عنها، فلا يجد أمامه سوى الحكم العربي المعاصر مسؤولاً عن الهزيمة. إنه يقف "وقفة خاشعة مجيدة أمام بطولات الجندي المصري في سيناء ، والسوري في الجولان ، والأردني في الضفة الغربية.. إن الهزيمة ليست على أكتاف هؤلاء الأبطال الميامين، الشهداء منهم والأحياء، وليست الهزيمة على أكتاف الأمة العربية الباسلة... ولكن الهزيمة، كل الهزيمة، هي في عنق (الحكم العربي المعاصر) بملكياته وجمهورياته.. كل قدر ظروفه وقدراته ومواقفه..."<sup>(1)</sup>.

"الهزيمة العسكرية في الأيام الستة قد أثارت أشجان الأمة العربية، وأججت غضبها، وكانت صيحتها في تلك الأيام: القتال القتال.. والوحدة الوحدة.. البترول البترول"<sup>(2)</sup>. وتنازع الشقيري "عاملان متباينان ؛ عامل الإعجاب بهذه

---

(1) الهزيمة الكبرى، مصدر سابق، ج ١، ص 358.

(2) الطريق إلى جنيف، مصدر سابق، ص 72.

الأمة، وعامل النعمة على حكامها"<sup>(3)</sup>. ووصف مشاعره بعد النكسة بقوله: "أجل ، لقد تغيرت المعالم... وأنا أكثر رجال (القمة) فجيرة وتوجعا، فقد كان الملوك والرؤساء يعيشون أيامهم ولياليهم في قصورهم، بعيدين عن تلك المعالم... ولكنني كنت في ساحتها، ومع ناسها، أعيش آلام الشعب وأحزانه"<sup>(1)</sup>.

وتناول بالحديث المفصل مسؤولية الحكم العربي في الهزيمة، وطرح عدة تساؤلات عن أسباب هذه الهزيمة ، وعن العوامل التي مكنت إسرائيل من أن تسيطر على الأجواء العربية، وهي لا تملك أكثر من ثلث الطائرات التي تملكها

دول عربية.. وقدم مختلف الإجابات التي دأب الإعلام العربي الرسمي على تقديمها، من أسباب حضارية، وأخرى تكنولوجية، وثالثة عسكرية، ورابعة اقتصادية، وخامسة دولية... ولكن الشقيري يستبعد أن تكون هذه الإجابات، مجتمعة أو منفردة، السبب الأول في الهزيمة، ويلوم الإعلام العربي الذي "تجنب أن يذكر رأس الأسباب.. إن رأس الأسباب هو الحكم العربي في أسلوبه.. والحاكم العربي في أخلاقه"<sup>(2)</sup>. إن أبا الأسباب عند الشقيري "هو الكثرة العربية المشتتة المبددة المترهلة، وإسرائيل قلة موحدة مكتنزة... إنها هذه الكثرة التي

---

<sup>(3)</sup> من القمة إلى الهزيمة، مصدر سابق، المقدمة.

<sup>(1)</sup> المصدر نفسه، المقدمة.

<sup>(2)</sup> من القمة إلى الهزيمة مصدر سابق.

نزهو بها هي سبب الكارثة، فالكارثة تكمن في كثرتنا الغارقة في نتن التجزئة وعفن الانفصال. ولو أن كثرتنا واحدة، وجيوشنا واحدة، وقياداتنا واحدة لما وقعت الهزيمة الكبرى<sup>(1)</sup>. وهويتهم الحكم العربي الرسمي بأنه عمل على أن يحجب عن الأمة العربية العامل الأساسي الذي كان وراء النصر الإسرائيلي والهزيمة العربية.. "ذلك العامل الأساسي هو انعدام الوحدة... وكل ما عداه فهي أسباب فرعية ثانوية... انهزمت الأمة العربية لأنها لم تكن تمثل الوحدة... بل كانت تمثل الفرقة في أبشع صورها.. وانفردت إسرائيل بالجيوش العربية الثلاثة"<sup>(2)</sup>.

لم يكن نصر إسرائيل \_ في نظر الشقيري \_ معجزة فريدة، بل إن هزيمة العرب نفسها لم يكن من سبيل لتجنبها إلا بمعجزة خارقة. "وكانت المعادلة بسيطة أمام الذين يعقلون.. وكانت أطراف المعادلة كما يلي:أولا \_ دول عربية متشاحنة، مبددة الطاقات، موزعة الأهواء. ثانيا \_ أمة عربية واحدة، تحكمها ثلاث عشرة حكومة، لا تستمد سلطاتها من الشعب في مناخ بعيد على الحريات الأساسية والديمقراطية الحقيقية. ثالثا \_ جيوش عربية عصفت بها الانقلابات والصراعات لتكون حارسة (للنظام) لا حامية للوطن"<sup>(1)</sup>.

---

<sup>(1)</sup> الهزيمة الكبرى ، مصدر سابق، ج 2، ص 24.

<sup>(2)</sup> حوار وأسرار، مصدر سابق، ص 212.

<sup>(1)</sup> الهزيمة الكبرى، مصدر سابق، ج 2، ص 299 - 300.

ويكشف الشقيري في هذا المجال النقاب عن تقرير سري وضعه الفريق عبد المنعم رياض، عرض فيه سير العمليات في حرب الأيام الستة، وجاءت فيه هذه العبارة اللاهية: "أن خوض معركة مع العدو يلزم التنسيق والتحضير المسبق. والذي حدث هو أن القيادة العربية الموحدة التي كانت قائمة بهذا العمل قد شلت أيديها قبل المعركة بحوالي سنة. وعليه، لم يكن هناك تنسيق بالمعنى المفهوم، ولم يكن هناك تجهيز لمسرح العمليات بشكل مقبول. والقيادة المتقدمة التي شكلت قبل المعركة بأيام لم يكن بوسعها أن تفعل أكثر مما فعلت ، وهذا خطأ كبير للسياسة العربية التي جنت على الجندية العربية... قبل أن تجني عليها إسرائيل<sup>(2)</sup>".

ولم يقف أمر أنظمة الحكم العربية عند هذه الهزيمة العسكرية، إذ جاءت بعدها الهزائم السياسية، على حد قول الشقيري، ووقف الملوك والرؤساء أمام النكبة "يتنابون ، كأنما الأرض العربية التي احتلتها إسرائيل ليست أرضا عربية، وكأنما مصير الأمة التي يحكمونها ليس بذي موضوع. كل حاكم يرد أسباب النكبة إلى مائة سبب وسبب، حتى يحجب الحقيقة الأظلية، إنه هو السبب. وهذا حكم قاس من غير شك، ولكنه حكم عادل، ومنصف"<sup>(1)</sup>. لقد كان الواجب الوطني \_ في رأي الشقيري \_ يفرض على الملوك والرؤساء أن يجتمعوا يوم

---

(2) المصدر نفسه، ج1، ص 358.

(1) الهزيمة الكبرى، مصدر سابق، ج 2، ص 105 - 106.

العدوان، أو بعد انتهائه.. فلم يجتمعوا إلا بعد 85 يوما في الخرطوم... "وما أرخص الوطن العربي على رؤسائه"<sup>(2)</sup>.

وشهد الشقيري مظاهر استقبال الملوك والرؤساء في الخرطوم، فعلق على ذلك قائلاً: "كان من العجب الأعجب أن هذه الخلائق في ذلك اليوم اللاهب لتستقبل الملوك والرؤساء استقبال الفاتحين المنتصرين، ولما يمسخوا بعد، غفار الهزيمة وغبار النكبة عن وجوههم. ولكن الشعب أراد أن يستقبل آماله المرجوة، وقد فقدها... وأطماعه التي يصبو إليها، وقد خسرها... خرج الشعب ليستقبل النصر والمنتصرين بالغد..."<sup>(3)</sup>.

وبلغ الأمر مداه عند الشقيري في مؤتمر قمة الخرطوم، ووصل الأمر لديه حدا لا يمكن الصبر عليه أو السكوت عنه، فلقد كانت الأمة العربية كلها مستعدة للبذل والتضحية في حين يجتمع مؤتمر الملوك والرؤساء تحت شعار "إزالة آثار العدوان"، وفي جو من التراخي والاستسلام، فألقى كلمة حاسمة، كانت إنذاراً للحكام العرب، واستتكاراً للمصير الذي سينتهي إليه مؤتمرهم. والشقيري يعترف بأنه قد أعد للأمر من قبل، وقرر أن يحسم الأمر بينه وبين الملوك والرؤساء، فيقول: "فلقد طالت مسيرتي مع الملوك والرؤساء في مؤتمراتهم، وما أنا الآن معهم في مؤتمر الخرطوم، أراهم يريدون أن يسيروا بأضعف الإيمان

---

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه، ص 108.

<sup>(3)</sup> المصدر نفسه، ص 164.

وأبخص الأثمان، وهم يملكون أكثر من هذا.. ويقدرّون على أكثر من هذا"<sup>(1)</sup>.

إن الأمر قد بلغ مرحلة خطيرة، "فإما مسيرة صحيحة، ووفاء بالالتزامات وتنفيذ القرارات ، وإما مكاشفة الأمة العربية بالحقيقة، وانتهاء مسيرة نضالية قديمة، يسير فيها من يسير، ويتخلف فيها من يتخلف.. ولا بدّ للشعوب أن تكون في قلب هذه المسيرة"<sup>(2)</sup>. وبلغت الهزيمة السياسية أوجها بالقرار 242 ، وكان السبب الرئيسي في هذه الهزيمة هو الحكم العربي، على درجات متفاوتة . وقد ثبتت الهزيمة السياسية الاحتلال الإسرائيلي ، تماما كما كان الحكم العربي مسؤولا عن الهزيمة العسكرية<sup>(3)</sup>. إن الهزيمة في الوطن \_ برأي الشقيري \_ لا يمكن معها انتصار في الأمم المتحدة "... فإن الغلبة في الأمم المتحدة هي للمنتصرين، ولو كانوا على باطل، والهزيمة للمهزومين، ولو كانوا على حق"<sup>(1)</sup>.

انتهت تجربة الشقيري المؤلمة مع أنظمة الحكم العربي أثناء مؤتمر الخرطوم وما تلاه من تقديم استقالته المشهودة. وقد وصف هذه التجربة الطويلة.. المرة بهذه الكلمات: "قضيت أيامي وأعوامي في منظمة التحرير وفي عنقي ثلاثة

---

<sup>(1)</sup> الهزيمة الكبرى، مصدر سابق، ج 2، ص 196.

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه، من 198.

<sup>(3)</sup> الطريق إلى جنيف، مصدر سابق، ص 72.

<sup>(1)</sup> الهزيمة الكبرى، مصدر سابق، ج 2، ص 50.

عشر حبلاً ، يمسكها ثلاثة عشر ملكاً ورئيساً. وما أشد أن يقع المرء في حلبة الصراع حين يكون المتصارعون هم الملوك والرؤساء. وأنكى من ذلك كله أن تكون الضحية قضية فلسطين<sup>(2)</sup>. وقد أصر على الاستقالة، واعتذر عن عدم العودة قائلاً : " ليست لي مشكلة مع الشعب الفلسطيني ، ولا مع الجماهير العربية... إن مشكلتي مع الملوك والرؤساء ؛ أنا لا يمكنني العمل معهم... ولا يمكن العمل بدونهم... وهذه هي المشكلة"<sup>(3)</sup>.

ويكتب الشقيري في صدر مذكراته التي يكرسها للأمة العربية: "من حق كل عربي، بل من واجبة أن يحزن ويغضب ، وأن تذهب نفسه حسرات؛ فإن الأمة العربية ترزح اليوم تحت كارثتين: احتلال إسرائيلي لا حد لطغيانه وعدوانه، وحكم عربي لم يستطع أن يوحد الصفوف ويعبئ القدرات ويحشد الطاقات... ولعل الكارثة الثانية أدهى من الأولى وأمر"<sup>(1)</sup>.

وفي استعراض الشقيري للمهام والمسؤوليات المتوجبة على الأمة العربية يسطر هذه الكلمات التي تلخص حكمه على الأنظمة العربية والحكام العرب: ".. وأنى للحكم العربي المعاصر، وأعني بالتحديد الحكم العربي الذي قام في الوطن العربي منذ نشوء إسرائيل إلى يومنا هذا ، أن يقوم بهذه المسؤوليات الوطنية

---

<sup>(2)</sup> من القمة إلى الهزيمة، مصدر سابق، ص 300.

<sup>(3)</sup> الهزيمة الكبرى، مصدر سابق، ج 2، ص 309.

<sup>(1)</sup> من القمة إلى الهزيمة، مصدر سابق، المقدمة.

الكبرى وهو مشغول بنفسه، همه في ليله ونهاره أن يثبت وجوده، ويدعم بقاءه  
بمختلف الأسباب، وفي مقدمتها مصادرة الحريات الأساسية، وسلب الشعب حقوقه  
المدنية، وإهدار كرامة المواطن الفرد<sup>(2)</sup>.

---

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه.





# جامعة الدول العربية

ولادة.. مُتَعَسِّرة

---

واكب الشقيري ولادة الجامعة منذ بدايتها، وهو يتذكر مسعى بريطانيا لاجتذاب الرأي العربي ودفع العرب للوقوف معها في الحرب ضد الألمان عن طريق مداعبة أحلام الوحدة عندهم بإصدار بيان إيدن عام 1941\*. لكن هذا البيان لم يحرك اهتمام الشعب لأن الثقة في بريطانيا كانت مفقودة . وقد بذل نوري السعيد نشاطاً كبيراً في الدعوة إلى المشروع الذي تضمنه الكتاب الأزرق\*\*. والتقى الشقيري بنوري السعيد بعد حفل تكريم أقيم له في حيفا ، وناقشة في مشروعه الذي يدعو لإقامة اتحاد فدرالي بين العراق وسورية الكبرى وسأله عن موقع السعودية واليمن. وعن موقع مصر في هذا المشروع. فأجاب إن سكان الدولتين الأوليين بدو لا يصلحون لشيء، أما الثالثة فأهلها فراعنة لا ينفعون

---

\* صدر في أيلول /مايو 1941 ، وفيه يؤيد وزير الخارجية للبريطاني تدعيم الروابط السياسية والثقافية والاقتصادية بين البلدان العربية ، ويعلن أن الحكومة البريطانية ستؤيد أن مشروع في هذا الصدد يحظى بالموافقة العربية.

\*\* المذكرة التي تقدم بها نوري السعيد في كانون الأول/ديسمبر 1942 إلى وزير الدولة البريطانية في مصر يقترح فيها أن تتحد سورية ولبنان فلسطين وشرقي الأردن ، ثم تنضم العراق إلى هذا الاتحاد ( مع استبعاد مصر والسعودية ) ، وعلى أن يعطي اليهود داخل الاتحاد شبه الاستقلال الإداري .

لشيء . وكان رد الشقيري " لو فر هؤلاء من العروبة لوجب أن نمسك بهم حتى نعيدهم "(1).

ثم تصاعد اهتمام بريطانيا بالشؤون العربية بعد عام 1943 ، في حين كان الشعور العربي يتعاطف مع دول المحور . وقدرت بريطانيا أن الظروف قد أصبحت مؤاتية لمعاودة البحث في الوحدة بصورة شاملة ، فأصدر أيدن في شباط /فبراير 1943 تصريحاً عبر النظر بعين العطف إلى كل حركة بين العرب لتعزيز الوحدة الاقتصادية والثقافية أو السياسية بينهم. وهكذا انطلقت إشارة البدء بإنشاء الجامعة خلال الحرب العالمية الثانية، وكان هدف بريطانيا من ذلك \_ في رأي الشقيري \_ إنشاء منظمة إقليمية ، تحت شعار الوحدة ، لخدمة السياسة العربية.

بدأ رئيس وزراء مصر مصطفى النحاس باشا مشاوراته لإقامة الوحدة بين سبع دول عربية. وأوفد الرئيس السوري شكري القوتلي الشقيري إلى الإسكندرية ليكون قريباً من المباحثات إلى أن يصل الوفد السوري الرسمي .

جرت مشاورات الوحدة هذه بشكل ثنائي ، وعلى خمس مراحل، في خريف 1943 في قصر أنطونيادس بالإسكندرية . وبدأت المرحلة الأولى بين الوفدين المصري والعراقي . وكانت وجهات النظر متباعدة بين وفد مصر حديث عهد بالقضية العربية ، يتحدث عن " أمم عربية " ، وبين وفد عراقي يريد " مشروع

---

(1) حوار و أسرار ، مصدر سابق، ص 60.

الهلال الخصيب " وتجبره بريطانيا على البحث في تنظيم أوسع يشمل جميع الدول العربية.

وكانت المرحلة الثانية بين الوفدين المصري والأردني . وقد كان الوفد الأردني يدعو إلى وحدة سورية كبرى بين الأردن وفلسطين وسورية ولبنان ، يليها اتحاد خماسي تدخل فيه مصر والعراق والسعودية واليمن إلى جانب سورية الكبرى أو إلى وحدة سورية صغرى بين الأردن وسورية ، يليها اتحاد مع فلسطين ولبنان.

ودارت المرحلة الثالثة من المباحثات بين الوفدين المصري والسعودي. كانت السعودية \_كما استخلص الشقيري آنذاك\_ ترى إرجاء موضوع الوحدة في الوقت الراهن ، لأنه يتعارض مع الأوضاع القائمة ، ولا تمنع في التعاون الاقتصادي والثقافي . وأما مشروع " الهلال الخصيب وسوريا الكبرى " اللذان تطرحهما بغداد وعمان ، فهما مرفوضان عندهما.

وكانت المرحلة الرابعة مع الوفد السوري الذي أكد حماسة السوريين للوحدة ، وإصرارهم على النظام الجمهوري ، وإيثارهم الحكومة المركزية في دولة الوحدة ، فان تعذرت فلا بأس في الاتحاد.

وحمل الوفد اللبناني، في المرحلة الأخيرة من المشاورات، أفكاراً خلاصتها المحافظة على استقلال لبنان وضمان سيادته، والرغبة في التعاون مع جميع الأقطار العربية على أساس ذلك، وأبدى تحفظه من الوحدة العربية.

كل ذلك دفع الشقيري إلى أن يقول في نهاية تقريره الذي رفعه إلى الرئيس شكري القوتلي بصفته المبعوث الشخصي: "وهكذا ترون فخامتكم أن مشاورات الوحدة العربية قد تناولت كل شيء.. إلا الوحدة العربية"<sup>(1)</sup>.

بدأت في خريف عام 1944 المباحثات الجماعية الرسمية بين رؤساء الحكومات العربية السبع، عدا السعودية واليمن اللتين اكتفتا بإرسال (مندوبين)، وامتدت إلى شتاء عام 1945. وكان الشقيري في مقاعد الوفد السوري . وأقيمت الحفلات في قصر انطونيادس على شرف الوفود، وتوالت بعدها جلسات العمل . وواجهت قضية الوحدة العربية، على حد قول الشقيري "ثرثرة وصرصرة لا مثيل لها"<sup>(2)</sup>، ووجد أن الرؤساء يتكلمون بلسانين وبلغتين.. فيتحدثون للصحافة مؤكدين قيام الوحدة، ويقولون في الاجتماعات ما يخالف ذلك ويناقضه. وفي النهاية أعلن النحاس باشا أنه تقرر بإجماع الآراء استبعاد تأليف حكومة مركزية للبلاد

---

<sup>(1)</sup> الجامعة العربية، مصدر سابق، ص 80.

<sup>(2)</sup> حوار وأسرار، مصدر سابق، ص 85.

العربية كلها لمساسه باستقلال كل بلد، وهي جميعا تريد المحافظة على هذا الاستقلال.

ثم دار الحديث عن هيئة عربية تكون أداة التعاون. وكانت العقدة في فاعلية قراراتها. وهل تكون ملزمة أو غير ملزمة. وفي النهاية صيغ مشروع ينص على أن "تؤلف جامعة الدول العربية.. ويكون لهذه الجامعة مجلس يسمى مجلس جامعة الدول العربية.. وتكون قرارات المجلس ملزمة لمن يقبل بها.."<sup>(2)</sup>.

وبعد أن أصبح الاتفاق وشيكاً "ارتأى الرؤساء أن من اللائق... واسترضاء للرأي العام العربي يستمعوا إلى موسى العلمي ، الذي وصل إلى الإسكندرية موفداً من قبل الأحزاب في فلسطين" على حد قول الشقيري<sup>(3)</sup>. وألقى موسى العلمي بياناً استعرض فيه قضية فلسطين، وأبرز الخطر الذي يتهدها بسبب الهجرة والإرهاب الصهيونيين ، وتقدم بمطالب شعب فلسطين لمساندته بالمال والسلاح حفاظاً على عروبة فلسطين... ولمس الشقيري من واقع ما جرى بعد كلمة العلمي أن أحداً لم يتعرض لهذه المطالب بغير الوعود الإنشائية المعروفة.

---

<sup>(2)</sup> الجامعة العربية، مصدر سابق، ص 91.

<sup>(3)</sup> حوار وأسرار، مصدر سابق، ص 93.



اقترح النحاس باشا \_ بعد الموافقة على إنشاء جامعة الدول العربية المستقلة \_ أن يعهد إلى لجنة فرعية وضع بروتوكول يتضمن ميثاق الجامعة ونظامها . وكان البروتوكول جاهزا، أعدته مصر، ونظرت فيه اللجنة الفرعية ووافقت عليه، وحددت موعد التوقيع عليه يوم 7 تشرين أول/أكتوبر 1944. وتم حفل التوقيع في جامعة فاروق الأول (الإسكندرية) وسط هتاف الجماهير بحياة الوحدة العربية، وهي لا تدري بأن الوحدة كانت أبعد ما تكون عن هذا البروتوكول في نظر الشقيري.

وحضر الشقيري في 14/2/1945 مع وزير الخارجية السوري، وبصفته مبعوث الرئيس السوري ، اجتماع اللجنة التحضيرية ، لإقراره من قبل المؤتمر العربي العام . وبدأ للشقيري \_ من خطاب رئيس وزراء مصر الجديد مصطفى فهمي النقراشي باشا \_ أن موضوع الوحدة العربية، كنظام أساسي، ليس في ذهن المسؤولين، فقد تحدث النقراشي عن اتحاد الشعوب العربية، وعن التعاون بينها، وعن الدول العربية المتحدة في الجامعة.

وفي اللجنة التحضيرية طال الأخذ والرد في موضوع شرعية تمثيل فلسطين، وطريقته، والصفة التي يحضر بها موسى العلمي، وهل هي صفة شخصية، أم بصفته مندوب فلسطين، أو ممثل الأحزاب الفلسطينية..<sup>(1)</sup>. وكان عدد غير قليل

---

<sup>(1)</sup> حوار وأسرار، مصدر سابق، ص ص 98-100.

من الساسة العرب \_ كما يقول الشقيري \_ موزعي الولاء والصداقة بين بريطانيا وأمريكا وفرنسا .. لهذا رسا الاتفاق على أن يدعى موسى العلمي "بلا صفة ولا عنوان". وإرضاء لوفد لبنان الذي طالب بأن يكون الحضور استشارياً، حتى لا يطبق مثل ذلك على الجزائر ومراكش، أكدت الوفود العربية أن هذه الدعوة استثناء يرجع إلى أهمية فلسطين الخاصة. وبذلك اطمأن الوفد اللبناني إلى أن المصلحة الفرنسية لن تمس.

بلغ عدد جلسات اللجنة التحضيرية لبحث مشروع الميثاق ست عشرة جلسة امتدت حتى الأول من آذار/مارس 1945، وانتهت الوفود إلى مشروع ميثاق الجامعة المؤلف من 22 مادة مع ملحقين، أحدهما خاص بفلسطين، والآخر خاص بالبلاد العربية غير المستقلة. وفي الوقت الذي كانت ترد فيه إلى الوفود البرقيات الكثيرة التي تطالب بالوحدة، أرسلت الولايات المتحدة الأمريكية وثائق دومبارتون أوكس (الخاصة بإنشاء منظمة الأمم المتحدة) للاهتمام بها في وضع الميثاق .. أي في إقامة منظمة إقليمية .. لا وحدة عربية أو اتحاد عربي.

تكاملت الوفود العربية في 1945/3/17 على شكل هيئة تحضيرية عامة، وشهدت القاهرة تجمعاً عربياً كبيراً في سراي الزعفران. وكان خطاب رئيس وزراء مصر محاولة للتوفيق بين مشروع ميثاق الجامعة ورغبة الرأي العام العربي في الوحدة، وكأنه كان يتولى الدفاع عن الحكومات العربية أمام غضبة الرأي

العربي.. الذي تعالت صيحاته تستنكر \_ على حد قول الشقيري \_ ذلك "العمل العربي الهزيل تحت ستار الوحدة"<sup>(1)</sup>.

فرغت اللجنة التحضيرية من تلاوة المواد ، وانتهى المشروع، واقرحت مصر عبد الرحمن عزام باشا أمينا عاما للجامعة العربية، وتحدد يوم 1945/3/22 موعدا لاجتماع اللجنة التحضيرية على شكل مؤتمر عربي عام لتوقيع الميثاق. ويصف الشقيري، بسخرية مرة، هذا الحفل وما ألقى فيه من كلمات "أجاد فيها الخطباء، وما أفادوا"<sup>(2)</sup>، وإقبال رؤساء الوفود العربية على "السجل المفتوح الدفين" ليقعوا ميثاق الجامعة نيابة عن حكوماتهم. وبذلك، شهد "ولادة" الجامعة.. وركب السيارة مع عزام باشا، وسط هتاف الجماهير الغافلة بحياة الوحدة العربية. وقد دار بينه وبين أمين الجامعة العربية حوار حول الجامعة، وخيبة الأمل فيها، قال الشقيري في جملة ما قاله خلاله: "لست أطمع في قيام حكومة مركزية عربية الآن، ولكن ميثاق الجامعة قد كرس التجزئة، وأرسى قواعد الانفصال في كل نصوص الميثاق. وكل نشاطات الجامعة قائمة على أساس السيادة والاستقلال، أي على أساس التجزئة والانفصال. والقرارات غير ملزمة. ولا أظن الإنكليز يريدون جامعة خيرا من هذه لهم، وشرا من هذه علينا!!"<sup>(1)</sup>، وكان رد الشقيري

---

(1) حوار وأسرار، مصدر سابق، ص 106.

(2) المصدر نفسه، ص 108.

(1) حوار وأسرار، مصدر سابق، ص 110.

على دعوة عزالم باشا إياه بعدم التشاؤم، وبالنظر إلى الجامعة على أنها خطوة أولى.. يرجى أن تعقبها خطوات.. كان رده: "إنها خطوة.. ولكن إلى الورا" (2).

لقد كان هدف الشقيري من السرد التاريخي الطويل لنشأة الجامعة العربية هو توجيه النقد لملايسات ولادتها، فقد حققت الجامعة التي قامت بهذا الشكل، للسياسة البريطانية حلما قديما كان يراود مخيلتها في مطلع القرن العشرين، وقدمت لها الخطط اللازمة لذلك. وأظهر الشقيري، بوضوح، كيف تسلت الرغبات البريطانية والتمنيات الأمريكية \_ عن قصد أو عن غير قصد \_ إلى الجامعة العربية.. في هيكلها، وميثاقها، ومنهجها، فجاءت هذه الجامعة تكريسا للتجزئة والانفصال.. في ثوب شرعي قانوني.

ويعود الشقيري أخيراً إلى شيء من الاعتدال.. أو الإشفاق ، ويعتذر عن ذلك بأوضاع الدول العربية القائمة آنذاك، وما كانت تعيشه من تخلف سياسي واجتماعي واقتصادي، وما كانت ترزح تحته من نفوذ استعماري، ويقول: "الجامعة العربية ، كما أنشئت يومئذ ، هي حصيلة القدرة العربية في مجموعها.

---

(2) المصدر نفسه.

وأن قيام وحدة عربية بين ( تلك ) الدول، كما هي على حقيقتها، لم يكن له حظ من النجاح الا قليل<sup>(1)</sup>.

ولكن، إذا كان دور بريطانيا وأمريكا في إنشاء الجامعة العربية صفحة غير مشرقة في تاريخنا العربي الحديث، فإن كان في مقدور الدول العربية، في رأي الشقيري ، وبعد أن حدثت متغيرات كبرى في الأمة العربية، أن تطوي هذه الصفحة، وأن تخرج من قيود الجامعة التي وضعت عام 1945 إلى آفاق رحبة من العمل العربي الخلاق، وتوجد نظاما سياسيا أشد وأقوى، وأكثر تعبيرا عن آمالها ومصالحها، وليس هذا الطلب \_ عنده \_ أمرا غريبا أو صعبا؛ ففي التاريخ السياسي الحديث أمثلة لشعوب مستضعفة، استطاعت أن تخرج على إرادة الدول الكبرى لتؤسس حياتها القومية من جديد.

وعلى الرغم من ذلك كله، لا يبخل الشقيري قيمة هذا الحدث في تاريخ الأمة العربية، "إن مجرد قيام جامعة الدول العربية ، مهما قيل في خلفيات نشوئها ونشاطاتها وإنجازاتها ، سلبا أو إيجابا ، يعتبر أكبر حدث في التاريخ العربي المعاصر... ووجود الجامعة العربية، بحد ذاته ، هو تعبير عن الكيان السياسي

---

(1) الجامعة العربية، مصدر سابق، ص111.

والقومي والحضاري للأمة العربية، رغما عن أن الجامعة لم تحقق الكثير من طموحات الأمة العربية.....".

## مآخذ ومطاعن

---

شهد الشقيري ولادة الجامعة العربية، وعمل فيها سنوات طويلة أكسبته معرفة دقيقة بكل خباياها، وإدراكا واعيا لجميع جوانب الضعف فيها. ورأى فيها خيبة لآمال الأمة العربية، وضیعة لأمانیها، واعتترف بأن السنوات السبع التي قضاها فيها كانت بلا فائدة، إذ دخل إليها وخرج منها دون أن ينجز سوى تعيين بعض الموظفين، وإعداد بعض الدراسات. وقد تناثرت ملاحظاته ومآخذه على الجامعة في كتبه كلها، وخصها بكتاب مستقل<sup>(1)</sup> عرض فيه لولادتها ونموها، وأسهب في توضيح جوانب الضعف فيها، ثم رسم خطة لإصلاحها وتطويرها.

---

(1) الجامعة العربية، كيف تصبح عربية؟ مصدر سابق، دار بو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس 1979.

وكانت المآخذ كثيرة متعددة، في مقدمتها العيوب التي تؤخذ على الميثاق. فان ميثاق الجامعة العربية لم يرق على أساس الوحدة، بل على أساس التعاون والتنسيق، ولا يوجد فيه ذكر للأمة العربية، أو يوجد فيه ذكر للأمة العربية أو الوطن العربي، بل للدول العربية والبلاد العربية.

ومن قيود الميثاق، أو عيوبه، تأكيد فكرة الاستقلال المطلق والسيادة التامة، ولهذا نص الميثاق على أن القرارات غير ملزمة. وفي رأي الشقيري، كان البروتوكول أفضل من الميثاق ينص على أن التعاون بين الدول أكثر وحدوية من الميثاق. إن الميثاق ينص على أن التعاون بين الدول قائم بحسب نظام كل دولة وأحوالها، وعلى أن تنفيذ قرارات مجلس الجامعة \_ سواء أكانت بإجماع الأصوات أم بأغليتها \_ يعود إلى كل دولة وفقا لنظمها الأساسية ما عدا بعض الأمور الإدارية التي تتصل بشؤون الموظفين في الأمانة العامة، وميزانية الجامعة، فإنها نافذة بالأغلبية وهكذا فإن الجامعة العربية " سحينة الميثاق... والجامعة والميثاق يسيران بالقيود والأغلال كلما انعقدت دورة من دورات الجامعة"<sup>(1)</sup>.

ويناقش الشقيري في فصل من كتابه "الجامعة العربية" جعل عنوانه "جامعة بلا شخصية، وميثاق من غير أخلاق"<sup>(1)</sup>، ماهية الجامعة مناقشة قانونية.

---

(1) الجامعة العربية، مصدر سابق، ص 117.

(2) المصدر نفسه، ص ص 131 - 142.

فالجامعة العربية \_ كما يراها \_ ليست لها هوية ؛ فهي ليست دولة وحدوية ، أو اتحاد ، بل جمعية دولية تربطها معاهدة . إن الميثاق اتفاق دولي مثل أي إتفاق دولي آخر ، بل إن التزامات الدول تجاه الأمم المتحدة أعلى مستوى من التزامات الدول العربية تجاه الجامعة . فالجامعة إذا "دولية" وميثاقها "معاهدة دولية" والقانون الذي يحكم وجودها واختصاصها هو " القانون الدولي العام " . ولا ينص الميثاق على هوية الجامعة وشخصيتها القانونية ، وليس فيه كلمة عن المواطن العربي ، أو عن الأمة كجماعة إنسانية ، كما في ميثاق الأمم المتحدة . ثم إن الجامعة لا تملك مؤسسات ومنظمات في البلاد العربية كهيئة الأمم المتحدة . ولا تعترف المنظمة الدولية بالجامعة منظمة إقليمية ، كما أن الجامعة لا تملك شخصية ذات قيمة تؤهلها لتحقيق الأغراض التعاونية والأهداف القومية ، وليس لأمينها العام اختصاصات هامة ، وما هو إلا رجل إداري فحسب.

ويلتفت الشقيري ، بعد هذه الوقفة القانونية التحليلية للميثاق، إلى أن مواقف الجامعة العربية العملية ، ليبين جوانب الخطأ فيها. وكان في رأس هذه المواقف:

#### 1) موقف الجامعة العربية من قضية فلسطين 1945 – 1948 :

لم يكن الشقيري بعيدا عن أوساط الجامعة العربية في تلك الفترة المصيرية الحاسمة من تاريخ القضية الفلسطينية. وقد أفرد نص خاص بفلسطين في



بروتوكول الإسكندرية، كما خصت فلسطين بملحق في الميثاق، استجابة لتطلعات الشعب العربي بعامة، والشعب الفلسطيني بخاصة. وبالإضافة إلى تلك الاستجابة ، كان مؤسسو الجامعة أنفسهم من الجيل الذي واكب القضية الفلسطينية ، ولمس نشاط الحركة الصهيونية خلال الحرب العالمية الثانية مع ازدياد التأييد البريطاني الأمريكي ، وتصاعد الإرهاب الصهيوني.

لكن الجامعة العربية لم تسلك السبيل المأمول منها، ولم تتخذ خطة عملية لمواجهة الخطر والإرهاب، بل لجأت إلى أسلوب الصداقة مع بريطانيا وأمريكا سعياً للوصول إلى حل معقول. وكانت في تلك الفترة تستعيد إمكان قيام دولة يهودية، غافلة أو متغافلة عن تصاعد الخطر الصهيوني، وجاهلة أو متجاهلة القوة التي كانت تعدها الجماعات الصهيونية استعداداً للمعركة الحاسمة القريبة .

وتمثلت جهود الجامعة العربية التي اختارت المسعى السياسي دون العمل المثمر في مؤتمر قمة أنشاص الذي انعقد للرد على قرارات اللجنة الأنكلو - أمريكية عام 1946. فبدلاً من أن يعمل الملوك والرؤساء على تمكين شعب فلسطين من الصمود، بتنظيم الشعب الفلسطيني وتدريبه، اتجهت الجهود وجهة المساعي السياسية . وتمثلت أيضاً في قرارات مؤتمر بلودان في العام نفسه ، والتي تدخل في باب بذل المساعي السياسية لدى بريطانيا وأمريكا. وأما ما جاء في القرارات السرية من تهديد بقطع العلاقات العربية مع أمريكا بريطانيا ، أو بضرب الامتيازات الأمريكية والبريطانية في البلاد العربية، فلم يتعد حدود الكلام

إلى التنفيذ، وكان مدعاة للسخرية. وفي النصف الثاني من عام 1946 نشطت الجامعة العربية في إعداد المذكرات والدراسات المتعلقة بقضية فلسطين ، واشتركت في مؤتمر لندن.

إن أكبر أخطاء الجامعة العربية في تلك الفترة، في رأي الشقيري، هو أنها لم تعبئ الميدان العسكري ، وتركت فارغا، يملأه اليهود ، والتقت إلى "الدولتين الصديقتين" بريطانيا وأمريكا، تناشدهما إلا تقدما على انتهاك المبادئ الدولية واغتصاب حق العرب.

لم تتجاوز قرارات الجامعة العربية آنذاك نطاق الاحتجاج والدعوة إلى الإسراع لمساعدة عرب فلسطين بالمال ، والكلام الإنشائي عن العزم على الدفاع ورفض أي مشروع للتقسيم والتمسك بعروبة فلسطين . وكانت الخلافات تحتدم داخل مجلس الجامعة حول تنفيذ قرارات مؤتمر بلودان السرية... وضرورة تنفيذها . يقول الشقيري في وصف حال الجامعة العربية في تلك الأيام : "الجامعة كانت في واد آخر.. وكانت سياسة المحاور تمزقها من الداخل، والتصريحات العربية تنطلق سحباً من الدخان، لتعطي الحقيقة عن عيون الجماهير"<sup>(1)</sup>.

---

(1) أربعون عاما، مصدر سابق، ص281.

ولما ازدادت خطورة الأحداث، وأعلنت بريطانيا عزمها على التخلي عن الانتداب، وإحالة القضية إلى الأمم المتحدة عقدت الجامعة العربية دورة لها في آذار/مارس 1947، ودارت المداولات في مجلس الجامعة حول اختصاص الأمم المتحدة بالنظر في قضية فلسطين، وفي لقاءات لجنة التحقيق الدولية للوفود العربية في صوفر لم تقدم الجامعة العربية سوى البيانات الإنشائية. وكذلك كانت قرارات اللجنة السياسية للجامعة في أيلول 1947 بعد تقرير لجنة التحقيق الدولية الذي أوصى بالتقسيم، مشابهة، من بينها الدعوة إلى تأليف لجنة فنية من أجل إمداد شعب فلسطين بالمال والسلاح، في وقت كانت الأحداث تسابق الزمن، وكانت المعركة لا تنتظر مثل هذه القرارات المتخلفة عن ركبها المتسارع.

ويوجه الشقيري النقد إلى الجامعة العربية بسبب موقفها في اجتماع مجلسها في عالية لاستكمال الخطة العربية في الأمم المتحدة لمناهضة التقسيم وسماع تقرير اللجنة الفنية العسكرية الذي بين خطورة الموقف وضرورة حشد الطاقات العسكرية العربية، وإمداد شعب فلسطين بما يحتاج إليه من عون عسكري ومادي، لأن الجامعة لم تفعل شيئاً لقرارات اللجنة العسكرية، واكتفت بصياغات عامة وقرارات مائعة عن الاحتياجات العسكرية على حدود فلسطين، ولم يكن حشد الجيوش العربية يعني الدخول في الحرب.

ويحمل الشقيري الجامعة العربية المسؤولية فيما آلت إليه الأحداث في تلك الحقبة بسبب استمرارها في الاعتماد على سياسة التقرب من بريطانيا وأمريكا...

دون الدول الاشتراكية.. على الرغم من معارضة أمريكا القضية على محكمة العدل الدولية، ومعارضتها إجراء التصويت على مشروع التقسيم 1947/11/26 خوفا من عدم حصول المشروع على أكثرية الثلثين في ذلك اليوم ، وعلى الرغم من الإرهاب والضغط اللذين مارستهما أمريكا على عدد من الدول لتأمين أكثرية الثلثين يوم 1947/11/29 . لقد اجتمعت اللجنة السياسية للجامعة العربية في كانون الأول/ديسمبر 1947 للنظر في قرار التقسيم.. وأصدرت بياناً.. في الوقت الذي كانت المظاهرات تعم الوطن العربي، مطالبة الجامعة الوفاء بالتزاماتها، وتنفيذ قرارات مؤتمرها.

ويقف الشقيري عند حرب 1948، ويتساءل عن معنى الهزيمة العربية فيها، فيبين أنها كانت حرب الجامعة العربية، وهزيمتها التي تحملت الأمة العربية نتائجها. ولقد ضيعت الجامعة العربية \_ في رأي الشقيري \_ خمس فرص ذهبية، كان يمكن أن تغير نتيجة الحرب، وبالتالي كان يمكن ألا توجد إسرائيل لولا تضييعها<sup>(1)</sup>. وكانت الفرصة الأولى بعد تصاعد أعمال النضال الفلسطيني الذي كان يدعمه المتطوعون العرب إثر صدور قرار التقسيم، فقد أصاب أمريكا القلق على مصير مشروع التقسيم، والخشية على مصير اليهود في فلسطين، حتى أنها عدلت سياستها، وأخذت بإقامة وصاية دولية على فلسطين لتوطيد السلام ، وطلبت وقف تنفيذ التقسيم. وصدر قرار مجلس الأمن في الأول من نيسان/أبريل

---

(1) الجامعة العربية، مصدر سابق، ص ص 236-266.

1948 يدعو لعقد دورة استثنائية للبحث في مسألة حكومة فلسطين المقبلة.. أي أعادت النظر في مشروع التقسيم . وبدأت الجمعية العامة فعلاً تناقش مبدأ قرار التقسيم ؛هل يزول أو يبقى ؟ وطرحت الولايات المتحدة الأمريكية مشروعاً للصياغة الدولية على فلسطين وتألّف قوة دولية لتنفيذه . وهكذا كان التراجع الأمريكي عن قرار التقسيم، في الوقت الذي اشتدت فيه الحملة الصهيونية المناهضة لهذا التراجع والداعية إلى التمسك بقرار التقسيم. وإلا أن دول الجامعة العربية ضيّعت الفرصة التاريخية، وأصدرت أثناء مناقشة مجلس الأمن للقضية على أساس الوصاية ، في أيار /مايو 1948 ، تصريحات حول دخول الجيوش العربية، مما دفع الولايات المتحدة إلى التوقف عن موضوع الوصاية، واقتُرحت \_ مع دخول الجيوش العربية فلسطين وإعلان قيام إسرائيل \_ تعيين وسيط دولي مهمته إيجاد تسوية سلمية .ولو أن الجامعة العربية أمدت الفلسطينيين بالسلاح، ونفذت قراراتها، لحملت الأمم المتحدة على المضي في موضوع الوصاية الدولية، في رأي الشقيري .

أما الفرصة الذهبية الثانية التي أضاعتها الجامعة العربية فهي دعم الحصار العربي للأحياء اليهودية في القدس الجديدة. فقد وافقت الجامعة في اليوم السابع من أيار/مايو 1948 على الهدنة في القدس، ثم حدث تباطؤ في تزويد المناضلين العرب بالسلاح، فتمكنت القوات الصهيونية من فك الحصار .

وكانت الفرصتان الثالثة والرابعة مشابھتين للفرصة الثانية، وهما نقاعس الجامعة عن مد عرب يافا المحيطين بتل أبيب، وعرب عكا بالسلاح، مما أدى إلى سقوط هاتين المدينتين، وأنقذ أكبر تجمع يهودي في تل أبيب، وسقط الجليل الغربي بيد اليهود بعد سقوط عكا.

والفرصة الخامسة والأخيرة التي فوتتها الجامعة العربية كانت حين وافق العرب على الهدنة الأولى بعد دخول الجيوش العربية يوم الخامس عشر من أيار 1948. لقد كان سير الحرب في الأيام الأولى لمصلحة العرب، حتى إن اليهود أنفسهم بدأوا يشكون في جدوى التقسيم، ويبحثون عن حل معقول. وتدخل مجلس الأمن لوقف الحرب وإعلان هدنة مؤقتة، وأصدر قراراً بذلك في 1948/5/27. واجتمعت اللجنة السياسية للجامعة العربية في 1948/6/11، و قدم القادة العسكريون تقاريرهم وكانوا لا يرون قبول الهدنة لأن الوضع العسكري في مصلحة العرب. وارتفعت أصوات معارضة تحذر من قبول الهدنة، لكن الجامعة العربية \_ على حد قول الشقيري \_ كانت تحمل ضغوط بريطانيا وأمريكا، فقبلت الهدنة .. وكان ما كان من كوارث.

ان هذه الفرص الخمس التي أضاعتها الجامعة العربية خلال حرب عام 1948 كانت، برأي الشقيري، كافية للقضاء على الدولة اليهودية، وتجنب الأمة العربية الكوارث التالية، لقد كانت حرب 1948، عنده هي حرب الجامعة العربية، أما الحروب الثلاثة الأخرى التي واجهت الجامعة العربية خلال جيل واحد، فإنها

قد " غابت " عن الثانية 1956 ، وتفرجت على الثالثة 1967، وابتعدت عن الرابعة 1937"<sup>(1)</sup>. ولعل أشد ذكريات الجامعة العربية حزنا في نظر الشقيري أن الأمين العام للجامعة لم يدع إلى المؤتمر قمة الخرطوم عام 1967، فكان ذلك نكسة سياسية أضيفت إلى النكسات العسكرية"<sup>(2)</sup>.

## (2) الجامعة والقضايا العربية في الخمسينات

ينتقد الشقيري أسلوب الجامعة في معالجة عدد من القضايا العربية في الخمسينات ، حين كان الوطن العربي ، في مشرقه وفي مغربه، ثائرا على الحكم الأجنبي.

لقد راحت الجامعة العربية تراقب، وتعالج مختلف القضايا العربية اللاهبة "معالجة هزيلة، أقرب إلى الاستجداء منها إلى النضال"<sup>(2)</sup>. من الأمثلة التي يقدمها الشقيري للتدليل على تقصير الجامعة موضوع التعويضات الألمانية لإسرائيل. فقد عقدت الجامعة الاجتماعات تحت شعار مقاطعة ألمانيا سياسيا واقتصاديا وثقافيا. وشهد الشقيري هذه الاجتماعات، بحكم في الجامعة العربية،

---

<sup>(1)</sup> الجامعة العربية، مصدر سابق، ص 42.

<sup>(2)</sup> حوار وأسرار، مصدر سابق، ص 123.

<sup>(1)</sup> أربعون عاما، مصدر سابق، ص 364.

فكان يشهد تصريحات عربية عنيفة تحت على المقاطعة تعطى للصحف..  
ويسمع في الجلسات المغلقة آراء تعلن عجزها عن المقاطعة. أما في قضايا  
المغرب العربي فقد كانت الجامعة تصدر "عبارات مدبجة لم يكن لها معنى  
عملي، ولم يكن لها مضمون يتجاوز حدود الكلام"<sup>(2)</sup>، وكانت مقنرة على صعيد  
المساعدة المادية لطلاب الجزائر مثلا، كريمة على الصعيد الكلامي. ويلاحظ  
الشقيري أن الجامعة كانت لا تبادر إلى العمل من نفسها، بل تنصاع للرأي العام  
العربي في حركتها. من أمثلة ذلك قرار عرض قضايا تونس والجزائر ومراكش  
على الأمم المتحدة، الذي جاء بعد تصاعد النضال في تلك الأقطار. ويوجه  
الشقيري نقدا مؤلما للجامعة بسبب ترددها في عرض القضية الجزائرية أمام الأمم  
المتحدة، وعزمها على السير في هذه القضية بطريقة إنسانية، وإصدارها في 9 /  
4 / 1953 قرارا هزيعا ينبئ بمنطقها الضعيف، ويدعو إلى "أن تثار  
قضية الجزائر أمام اللجنة الثالثة التابعة للأمم المتحدة في دورتها المقبلة، ويوصي  
أن تبذل المساعي، منذ الآن، لدى لجنة حقوق الإنسان للتمهيد لبحث هذه القضية،  
للتمكن من إثارتها أمام اللجنة الثالثة"<sup>(1)</sup>.

### (3) موقف الجامعة من الخلافات العربية:

---

(2) المصدر نفسه، ص 366.

(1) أربعون عاما، مصدر سابق، ص 367.



يخصص الشقيري فصلاً مستقلاً في كتابه (الجامعة العربية) لبحث قصور الجامعة في مسألة الخلافات العربية. فالجامعة العربية، برأيه، هي جامعة خلافات لا جامعة تضامن ووافق. والويل للعربي إن كانت له قضية في الجامعة. وهو يرى ذلك عن خبرة عميقة بها ومعرفة دقيقة لخباياها، لأنه "بلا مشاكلها سبع سنوات عجاف" على حد قوله<sup>(2)</sup>.

لقد قصرت الجامعة العربية في إطار التنسيق والتعاون، ولم تكن أداة تقدم وتوحيد، بل مسرح خلاف وصراع. يزداد على ذلك أنها كانت دائماً تخفي أسباب الصراع عن الرأي العربي العام. إن نصوص ميثاق الجامعة رخوة لينة في شأن الخلافات وحسمها، وليس فيها أحكام رادعة، مما يشجع على الصراع والخلاف.

ومن أهم الصراعات التي امتحنت بها الجامعة العربية: الخلاف السوري اللبناني عام 1949، والخلاف حول ضم الضفة الغربية إلى الأردن، والنزاع بين مصر والسودان عام 1958، والأزمة بين الجمهورية العربية المتحدة ولبنان في العام نفسه، والأزمة بين الكويت والعراق عام 1961، والنزاع بين دمشق والقاهرة بعد الانفصال عام 1961، وأزمة اليمن عام 1962، والخلاف بين الجزائر والمغرب على الحدود عام 1963، ومشكلة الصحراء المغربية منذ عام 1964 بين الجارات الثلاث المغرب وموريتانيا والجزائر، والحرب الأهلية في لبنان. لقد

---

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه، ص 424.

أثارت هذه الخلافات مسألة القوة الإلزامية لقرارات مجلس الجامعة، وموضوع الميثاق بأكمله، وكشفت ضعف الجامعة في ميثاقها ومؤسساتها، وعجزها عن إيجاد حل عربي، مما كان يدفع الدول العربية إلى الالتجاء إلى مجلس الأمن أو إلى جهات أجنبية. وأكدت ضرورة تفويض مجلس الجامعة باختصاصات الردع والعقاب، والحاجة إلى إيجاد محكمة عدل عربية في الجوانب القانونية. لقد أخفقت الجامعة العربية في حل النزاعات، وإيقاف الحروب بين الدول العربية، وأثبتت مواقفها الضعيفة أنها لا تصلح أداة لتسوية الخلافات العربية.

ويقترح الشقيري \_ في مجال استعراض هذه الخلافات العربية \_ توصيات تمكن الجامعة من معالجه الخلافات العربية، منها إنشاء محكمة عدل عربية تنظر في الخلافات العربية، وإعطاء مؤسسات الجامعة العربية وحدها، لا الأمم المتحدة، اختصاص النظر في الخلافات العربية، وإعطاء مؤسسات الجامعة في حالات النزاع المسلح الاختصاص بمطالبة الدول العربية غير المتورطة في النزاع بفرز قوات عسكرية تكون قوة سلام. ومن هذه التوصيات التوصل إلى التسويات بين الدول العربية المتنازعة على أساس المبادئ القومية والوقائع الصحيحة لا عن طريق الدبلوماسية السرية، وألا تقل اختصاصات الجامعة عن اختصاص الأمم المتحدة في معالجة الخلافات العربية، وأن تكون الإجراءات التي تملكها الجامعة متسمة بطابع السرعة والمبادرة.

#### (4) الجامعة والإعلام:

لقد حاولت الجامعة العربية على مر السنين إنشاء مكاتب إعلامية في عدد من العواصم العالمية، ولكن هذه المكاتب بقيت \_ في رأي الشقيري \_ مقيدة، لم تستطع أن تؤدي دوراً مؤثراً. ناهيك عن التصدي للإعلام الإسرائيلي. ويلاحظ الشقيري أن موضوع الإعلام كان من أكثر مواضيع الجامعة ضخامة، من حيث انعقاد المؤتمرات وإعداد الدراسات وتقارير الخبراء. لكن ذلك كله لم يفض إلى نتيجة تذكر. وهو يعطي على ذلك أمثلة تثبت هذا التقصير؛ فالمواطن العربي لا يستطيع أن يجد ثلاثين كتاباً جيداً باللغات الحية عن الجامعة العربية، أو القضية العربية، أو الوحدة العربية. كذلك لا يستطيع أن يعثر على عشرة أفلام سينمائية جيدة عن الوطن العربي وعن الحياة الاجتماعية للأمة العربية. وفي الخارج لا يجد المواطن العربي أن للجامعة العربية محاضرين، عرباً أو أجانب، ذوي كفاءات عالية، يخطبون في الجامعات والكنائس والأندية العامة، بصورة غير متقطعة، أو أن لها في المكتبات العامة كتيبات صغيرة في مختلف شؤون الأمة العربية، مكتوبة بصورة شيقة علمية. وفي داخل الوطن العربي، ليس

للجامعة مجلة أو جريدة منتشرة على صعيد الوطن العربي كله، تثقف الإنسان العربي بقضايا العرب العامة السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية. كذلك ليس لها إذاعة خاصة بها ، تكون ملتقى المفكرين العرب، وتخطب الإنسان العربي، وتعرفه أبعاد قضايا القومية، وتخطب الشعوب الأجنبية بلغاتها<sup>(1)</sup>.

إن الإمكانيات موجودة ومتوفرة لكل هذه الأشياء، فالأمة العربية غنية بكفاءاتها الفكرية، وبثرواتها المادية، وبتراثها الحضاري، وهي قادرة أن تحقق هذه الإنجازات الإعلامية الأساسية بنجاح وسهولة، لكن الجامعة العربية تركت الإعلام العربي مكبلاً بقيود الروتين في مواجهة الإعلام الصهيوني الديناميكي. "إن الأمة العربية تجد نفسها أمام واقع حزين مخيف، فان خمسا وثلاثين عاماً من عمر الجامعة العربية، بأوضاعها الانفصالية، قد جعلت الإنسان العربي في حالة من الفراغ القومي، تتجاذبه الدعوات المتعددة، فراح يعاني التمزق الروحي والضياح الفكرية، وأصبحنا في حاجة إلى إعلام عربي موجه إلى الأمة العربية أولاً، يعمل على الترشيد والتوجيه والتسديد"<sup>(2)</sup>.

---

(1) الجامعة العربية، مصدر سابق، ص 308 - 310.

(2) المصدر نفسه، ص 311، وقد نشر هذا الكلام عام 1978.

## 5) الجامعة وقضية الوحدة:

يرى الشقيري أن بداية الجامعة كانت خاطئة، فقد قامت على التنسيق والتعاون لا على الوحدة، أو بكلمات أخرى هي منظمة انفصالية بنص ميثاقها الذي أعلن احترام استقلال كل دولة. لقد أخطأ مؤسسو الجامعة إذ اعتبروها منظمة إقليمية، لأن المنظمة الإقليمية لا تقوم في أمة واحدة، بل تقوم في منطقة جغرافية واحدة، تجمع دولاً متعددة. وكان الواجب القومي يفرض قيام منظمة قومية، فيها سمات الوحدة.

وقد أخطأت الجامعة بإنشاء منظمات متخصصة على نحو ما فعلت الأمم المتحدة، لمواجهة المشكلات المستجدة، وكان تعدد المنظمات العربية صورة للنفتت العربي. لقد تداخلت الاختصاصات، ولا سيما في الأمور الاقتصادية، من دون وجود أداة للتنسيق، والتنفيذ والمحاسبة.

وينتقد الشقيري المعاهدات الموقعة بين الدول العربية، كمعاهدة الدفاع المشترك ومعاهدة التعاون الاقتصادي، ويرى أن صيغتها تدين الجامعة بالقصور، وتدين الدول العربية بعدم الالتزام. ويوجه النقد إلى الجامعة لضعفها في الميدان الاقتصادي، فحتى الآن، لم توضع خطة اقتصادية موحدة، بل تعددت الأجهزة الاقتصادية وصناديق التنمية. وفي مجال المقارنة بين دول السوق الأوروبية

المشتركة ودول الجامعة العربية يجد أن المجموعة الأوروبية تؤلف نظاماً فدرالياً، في حين تبدو الجامعة نظاماً انفصالياً. ويلاحظ أن العلاقات بين دول الجماعة الأوروبية والدول العربية علاقات فردية، إذ لم تفاوض الدول العربية السوق الأوروبية المشتركة في إطار الجامعة العربية<sup>(1)</sup>.

لقد خبر الشقيري، وهو أمين مساعد، تقصير الجامعة في قضية الوحدة العربية، وخرج منها بعد سنوات سبع دون أن تتحقق فيها خطوة متواضعة على طريق الوحدة. وظل دائم الاتصال بالجامعة، يتابع مسيرتها، ويعلل نفسه بشيء من الإنجازات على درب الوحدة، أو على الأقل درب التعاون والتنسيق. لكن اليأس أصابه وفقد الأمل في أن يرى الجامعة تسير خطوة طريق الوحدة الصحيح، وثبت له أنها "سارت خطوات واسعة جداً على طريق التجزئة والانفصال، وألقت بالوحدة العربية في سلة المهملات.. مع الفضلات. وبدلاً من الوحدة فقد أصبحت الجامعة العربية (جامعة) حقاً... ولكن لقادة التجزئة والانفصال".

---

(1) الجامعة العربية، مصدر سابق، ص 302 - 307.

## إصلاح وتطوير

---

كان الشقيري، منذ وقت مبكر، يرى الحاجة ماسة إلى إصلاح الجامعة، فبعد قيام ثورة 23 يوليو في مصر، واستقالة عبد الرحمن عزام عام 1952، وتولي الشقيري الأمانة العامة بالنيابة، استدعي إلى قصر عابدين مرارا في شؤون الجامعة مع رجال الثورة المصرية، وطرحت الانتقادات الموجهة إلى الجامعة على بساط البحث والنقاش. وكان من رأي الشقيري أن "رياح الثورة يجب أن تهب داخل الجامعة العربية"<sup>(1)</sup>. لكن عبد الخالق حسونة، الذي تسلم الأمانة العامة، لم يكن في نظر الشقيري الرجل الذي يصلح لهذه المهمة، على الرغم من مؤهلاته.

---

(1) أربعون عاما، مصدر سابق، ص 347.

وقد أثار الشقيري مشكلة الجامعة العربية في أثناء لقائه بمحمد نجيب رئيس مجلس الثورة المصرية، وعلي ماهر رئيس الوزراء آنذاك، وتحدث كعربي محب لمصر، وخبير في شؤون البلاد العربية، وبين لهما أن الجامعة ليست شيئاً آخر غير الحكومات العربية ، وليست شخصية مستقلة ذات اختصاصات مستقلة. فالمشكلة تكمن في الدول العربية.. في نظرتها إلى الجامعة، وتصرفها من خلالها<sup>(1)</sup> ، وأن على مصر أن تحمل رسالة الثورة في سبيل تطوير الجامعة إلى اتحاد عربي. وقد طلب محمد نجيب من الشقيري اقتراحاته بشأن تعديل الميثاق وأجهزة الجامعة، فعكف الشقيري على كتابة مذكرة بذلك، ضمنها كل خبرته، ووضع مشروعا للميثاق المعدل والأنظمة الداخلية للأمانة العامة، واختصاصاتها. لكن المشروع طوي، لأن محمد نجيب كان \_ آنذاك \_ مشغولاً عن موضوع الجامعة والعلاقات العربية بالخلافات في مجلس الثورة.

وكشفت الأحداث ضعف الجامعة العربية في مختلف المجالات والميادين، وتعلت الأصوات تحمل على الجامعة. وكان للخلافات العربية دور كبير في إشعال نار تلك الحملة. والشقيري لا يضع اللوم على الجامعة نفسها، بل يحمل الدول العربية المسؤولية في ضعف الجامعة، لأنها ليست شخصية مستقلة. ومن

---

(1) أربعون عاما، مصدر سابق، ص 352.



أجل جامعة أفضل أعد الشقيري دراسة شاملة عنها<sup>(1)</sup>، بين فيها الأسس والمبادئ التي يجب أن تقوم عليها الجامعة العربية الجديدة.

يرى الشقيري في هذه الدراسة أن الظروف العربية والدولية تستدعي التغيير، فقد استقلت دول عربية كثيرة، واكتشفت الثروات الطبيعية، وفي مقدمتها البترول، مما يمكن من بناء قوة عربية قادرة على مواجهة العدوان بصورة جماعية، تكون الجامعة العربية وعاءها وهيكلها.

ويعقد مقارنة بين الجامعة العربية ودول الجماعة الأوروبية، ويحلل معاهدة روما بين هذه الدول، وما قدمته من مزايا تتصل بحرية الإقامة والسفر والعمل لرعايا الدول المتعاهدة على الرغم من عدم تجانسهم، ويطالب بإطلاق حرية السفر والإقامة والعمل لأبناء الأقطار العربية.

إن الحاجة اليوم لا تملي إصلاح الجامعة فحسب، بل تدعو إلى إيجاد جامعة جديدة، لها ميثاق جديد يواكب التطور والتغيير، ويقدر على الاستجابة لمعالجة المشكلات المستجدة، وعلى رأسها ازدياد السكان والنمو الإنتاجي.. إن

---

(1) الجامعة العربية ، مصدر سابق، تونس 1979، وقد وردت الإصلاحات واقتراحات التطوير في فصلين هما:

أ - جامعة عربية جديدة - الخطوة الأولى على طريق الهدف الكبير، ص 334 - 353.

ب - الجامعة العربية - كيف تكون جامعة وكيف تصبح عربية؟، ص 334 - 383.

خلو الميثاق من نص يتعلق بالإلزام في قراراته يجعله ميثاقاً سيئاً ضعيفاً والملحق الخاص بفلسطين قد غدا بالياً، وكذلك الملحق الخاص بالأقطار العربية غير المشتركة في الجامعة. لقد تبدلت جميع الظروف التي رافقت ولادة الجامعة، فالبلاد العربية التي أسست الجامعة كانت تحت الاحتلال أو الحماية، وكانت دولا فقيرة، ثم تغيرت أحوال معظمها، وأصابها التطور الاقتصادي الهائل، وازدادت ثرواتها، وتغيرت ظروف الأمن العربي بوجود إسرائيل، وغدت المخاطر الكبرى التي تواجه الأمة العربية أعظم من أن تكون الجامعة الحالية أداة صالحة لمجابهتها، ولا بد إذا من جامعة جديدة للمستقبل.

ويطرح الشقيري تصوره لهذه الجامعة العربية الجديدة، فيرى أن الأساس، أو المحور الذي يجب أن يقوم عليه الميثاق الجديد هو الوحدة المدروسة المحددة. وليس أمام الزعماء العرب أي عذر في عدم إقامة الدولة الاتحادية بعد أن استكملت الدول سيادتها، وزادت ثرواتها. إن الاحتجاج باختلاف ظروف البلاد العربية بعضها عن بعض، واختلاف المستويات الاجتماعية في هذه الدول للابتعاد عن الوحدة، احتجاج باطل لا سند له عند الشقيري. إن شواهد التاريخ المعاصر تثبت أن الفروق في المستويات والظروف لا تحول دون الأخذ بنظام الاتحاد. والاتجاه الوحدوي \_ كما هو في أوروبا الآن \_ دليل على أن النظام الاتحادي هو الحل الأكبر لمشكلات الشعوب المتجاورة. ونحن العرب أجدد بالتمسك بهذا الهدف الاتحادي ". نحن حوافزنا زاخرة، ونحن أمة واحدة، لها

تاريخ واحد، ولغة واحدة، ونتطلع إلى مستقبل واحد، يزهر فيه تقدمنا الاقتصادي والثقافي والاجتماعي، ونزداد قوة ومنعة، حتى نستطيع أن نؤدي رسالتنا لأمتنا.. وللعالم أجمع".<sup>(1)</sup>

إن انتكاس التجارب الوجدانية العربية ليس بسبب الفكرة، بل بأصحاب تلك التجارب. لابد من جامعة عربية جديدة تسعى إلى بناء "تجربة وحدوية جديدة جماعية، تضم الدول العربية جميعا، وتقطع مسيرة الوحدة خطوة خطوة". ابتداء بتوحيد الشهور والمقاييس والموازين والمصطلحات والجوازات والمواطنة العربية وحقوقها، والقوانين وما إلى ذلك من الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية..."<sup>(2)</sup>.

ولابد للميثاق الجديد لهذه الجامعة من أن يحدد الماهية العربية، وماهية الروابط بين البلاد العربية وأهدافها، ولا بد له من أن يتميز بمقومات القومية العربية. أما صيغته المتكاملة فذلك شأن لجنة تتولاها، أو مؤتمر عربي يحددها. وحتى يتأكد الانتماء للأمة العربية ولتاريخها ولتراثها، دعما لحاضرها وبناء لمستقبلها، يقترح الشقيري أن يستبدل اسم "جامعة الدول العربية" باسم "جامعه

---

<sup>(1)</sup> الجامعة العربية، مصدر سابق، ص 348.

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه، ص 353.

الأمة العربية"، لأن تعبير "الأمة" يحمل معنى الوحدة، وتعبير "الدول" يبرز التجزئة.

والمبادئ التي يجب أن تقوم عليها الجامعة الجديدة هي: إن الأمة وحدة تشترك في الماضي وتتطلع إلى المستقبل، وإن الوطن العربي وحدة لا تتجزأ، والدفاع عن السيادة العربية واجب على الأمة العربية، والقومية العربية تعبير عن وجود الأمة ثقافياً وحضارياً، والوحدة تعبير إيجابي عن ذلك كله، والمواطنة العربية هي الصفة الشاملة لجميع المواطنين العرب.

وأهداف هذه الجامعة هي صيانة سيادة الأمة العربية، والدفاع عن أمنها، والحفاظ على تراثها، وتوثيق عرى التضامن العربي، وكفالة العدالة الاجتماعية.

ولا بد أن يكون ميثاق "جامعة الأمة العربية" قانوناً في كل دولة عربية. ويجب أن تتمثل فيه الأمة العربية، لا الحكومات العربية فحسب. وأهم القضايا التي تتضمنها مواد الميثاق الجديد في رأي الشقيري هي: شروط العضوية، وموضوع فلسطين، والالتزامات والخلافات العربية، وشؤون الأمن والدفاع العربي، والشؤون الاقتصادية والاجتماعية وأمور العمل والعمال، والتنمية العربية، وشؤون التربية والثقافة والعلوم، والإعلام العربي، وشؤون البترول العربي، والثروة المهاجرة.

إن ميثاقاً جديداً يلائم روح العصر، ويتلاءم مع الظروف العربية، وإن مؤسسات قادرة على تحمل المسؤوليات والتبعات في ظل الصراعات والاختلافات السياسية العربية، هما الحل لمشكلة الجامعة العربية القائمة، والسبيل إلى خلق جامعة جديدة تقفز إلى الدولة الفدرالية، جامعة تخطو على طريق الوحدة العربية السليمة.

## مؤتمرات القمة



## معايشة ومعاناة

---

كان من قدر الشقيري أن يشهد ولادة مؤتمرات القمة العربية، وأن يعيش خباياها الخفية، وأن يكون أثرها في حياته السياسية أكبر الآثار، وأن يعاني أشد العناء .

وعلى الرغم من رأيه الثابت في الجامعة العربية، وفي نظم الحكم العربية، وعلى الرغم من أن المجتمعين في مؤتمر القمة رؤساء هذه الأنظمة العربية.. كانت المشاعر القومية التي تملأ نفس الشقيري، وكان الإيمان بالوحدة الذي لم تزعه نوائب الأحداث، والاعتقاد اليقيني بأن الوطن المحتل السليب لن يتحرر إلا بالوحدة واجتماع الكلمة وائتلاف القلوب واتحاد الجهود.. كان ذلك كله الدافع القوي للشقيري لكي يشارك في مؤتمرات القمة مشاركة فعالة متفانية، ولكي يبذل كل جهد ممكن فيها من أجل خدمة القضية الفلسطينية.



لقد كان في زيارة للمغرب العربي يوم ألقى الرئيس جمال عبد الناصر خطابه في مدينة بورسعيد بتاريخ 1963/12/23، والذي دعا فيه إلى مؤتمر القمة العربي الأول لبحث موضوع تحويل إسرائيل مجرى نهر الأردن، فسعى جهده لدى الملك الحسن الثاني لإقناعه بحضور المؤتمر، في وقت كانت العلاقات فيه بين المغرب ومصر سيئة بسبب تأييد مصر للجزائر في خلافها على الحدود مع المغرب آنذاك، والذي وصل إلى حد نشوب المعارك الحربية بينهما.

وكان اندفاع الشقيري الكبير لحضور المؤتمر الأول، وحماسه الشديدة للجلوس بين الملوك والرؤساء، وليس واحدا منهم، لا لغاية شخصية أو رغبة في مكسب يحققه لنفسه، فقد كان همه كله منصرفا إلى أن يجعل المؤتمر مؤتمراً لقضية فلسطين برمتها، وإلى أن ينتزع من المؤتمر قراراً بإنشاء الكيان الفلسطيني<sup>(1)</sup>. وفي سبيل هاتين الغايتين هدد بالاستقالة من منصبه ممثلاً لفلسطين في الجامعة العربية إن حيل بينه وبين الاشتراك في المؤتمر، وفي سبيلهما خالف ما رسم خبراء البروتوكول، ودفع الكرسي الصغير المتأخر الذي خصصه له، إلى الأمام في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر (1964/1/13)، فصار بمساواة الملوك والرؤساء، وأثبت بذلك وجود فلسطين، لا وجوده الشخصي، وخطا بها خطوة على طريق بناء شخصيتها وكيانها وإثبات وجودها.

---

(1) من القمة إلى الهزيمة، مصدر سابق، ص 35.

وكانت اجتماعات مؤتمر القمة الأول ميدانا صال فيه الشقيري وجال مطالباً بقرارات إيجابية تتعدى حدود الكلام، فأكد أن تحويل الروافد لا يمكن أن ينفصل عن القضية الأم، وهي قضية فلسطين، وخاطب الملوك والرؤساء قائلاً: "الأهم أن تضعوا مشروعا لتحويل روافد الفكر العربي بالنسبة لقضية فلسطين. إن قضية فلسطين قد انحدرت على الصعيدين العربي والدولي.. وقد آن الأوان، بعد خمسة عشر عاماً، أن تعود لهذه القضية قداستها.." (1).

وأظهر الشقيري بين كواليس المؤتمر جرأة ومناورة كبيرتين، وسعى جهده لإقناع الملوك والرؤساء بحضوره الجلسة السرية المقتصرة عليهم. وقد عاد في هذه الجلسة إلى القضية الأساسية، فتحدث عن مراحل القضية الفلسطينية منذ حرب 1948، وعن حالها في المحافل الدولية، وانتهى إلى القول إن قضية فلسطين "قد فقدت وجودها كقضية تحريرية، وإن شعب فلسطين قد فقد وجوده كشعب يتطلع إلى تحرير وطنه، وإن الواجب القومي يفرض قيام كيان فلسطيني، يوحد الشعب الفلسطيني، وينظم صفوفه، ويعبئ طاقاته العسكرية والسياسية للقيام بدوره في تحرير وطنه" (1).

---

(1) من القمة إلى الهزيمة، مصدر سابق، ص 39.

(1) من القمة إلى الهزيمة، مصدر سابق، ص 45.

لم يكن مؤتمر القمة العربية الأول فاشلاً في رأي الشقيري، لأنه حقق بعض الإنجازات التي كان يرجو أن تكون مقدمة لما هو أكبر. صحيح أنه أخفق في إقامة نوع من الوحدة بين الدول العربية قادرة على معالجة مسألة تحويل نهر الأردن ومعها قضية فلسطين. وصحيح أيضاً أن مشروع تحويل الروافد لم يثر التفاؤل عند الشقيري، لأنه من الناحية الفنية لا يعطل المشروع الإسرائيلي، ولأنه من الناحية العسكرية معرض للعدوان الإسرائيلي في أي وقت ومن دون حماية عربية، وخير منه تدمير المشروع الإسرائيلي. وصحيح كذلك أن تقسيط الأموال المخصصة للتعزيزات العسكرية على عشر سنوات يمثل إخفاقاً ذريعاً للمؤتمر، لأن ذلك يعني تجميد الوضع العربي، ومعه قضية فلسطين، عشر سنوات، لا يعلم إلا الله ما ستفعله إسرائيل خلالها، وما سيؤول إليه الوضع الدولي. صحيح ذلك كله، لكن الشقيري، على الرغم من ذلك، رأى في نتائج المؤتمر بعض الإيجابيات الهامة، وعلى رأسها إنشاء القيادة العربية المتحدة، والقرار الخاص بتنظيم الشعب الفلسطيني. وقد رضي الشقيري بهذا القرار، لأنه يضع القدم على أول الطريق.

أما في مؤتمر القمة الثاني الذي عقد في الإسكندرية في 1964/9/15 فقد تكاملت لدى الشقيري خطة شاملة لعمل منظمة التحرير تتناول النشاطات العسكرية والسياسية والإعلامية والتنظيمية والمالية. وكان يطمح في هذا المؤتمر

إلى الاعتراف التحرير ممثلة للشعب الفلسطيني أولاً، وإلى الموافقة على الخطة الشاملة التي أعدتها المنظمة وتوفير الأموال اللازمة لها.

وتعاقبت جلسات المؤتمر السرية، وجرى بحث تقرير القائد العام للقيادة العربية الموحدة ومطالبة العسكرية والمالية المدروسة بدقة، وتقرير هيئة تحويل روافد الأردن الفني عن مشروع التحويل، ثم انتقل المؤتمر إلى موضوع الكيان الفلسطيني الذي استغرق معظم وقت المؤتمر. واستطاع الشقيري أن يحول المؤتمر إلى مؤتمر للقضية الفلسطينية، فتحدث عنها بإسهاب، وشرح مراحل إنشاء الكيان، وراح ينقل القضية من إطارها الفلسطيني إلى إطارها العربي القومي، داعياً إلى أن تكون قضية كل عربي. ودافع عن حق الشعب الفلسطيني، وعن تمثيل المنظمة لهذا الشعب، وانتزع من المؤتمر الموافقة على إنشاء المنظمة، رغم الخلافات العربية، واعتراض بعض الملوك والرؤساء. وانتزع أيضاً الموافقة على إنشاء جيش التحرير على الرغم من تقييد ذلك بخضوع عملياته الحربية للقيادة العربية الموحدة أو القيادات المحلية.

وبعيداً عما رافق أو تلا المؤتمر من تصاريح طنانة وكلام رنان وموجات فرح وابتهاج عمت العالم العربي، كانت نتائج المؤتمر عند الشقيري في بعض جوانبها إيجابية طيبة، إذ أكدت قرارات القمة أن الهدف النهائي هو تحرير فلسطين من الاستعمار والصهيونية، وأعلنت الحاجة إلى حشد جميع الطاقات العربية من أجل هذا الهدف. كما وافقت على إنشاء المنظمة والجيش، ودراسة المشروع

المالي الذي قدمته المنظمة.. أما الجوانب السلبية فكانت بنظره كثيرة، في رأسها مشروع التحويل نفسه. فالشقيري لم يكن مؤمناً به لأن كلفته كبيرة، وهو معرض للتدمير بدون حماية، ومن الأجدى أن ينفق المال المخصص له على تسليح الجيوش العربية. كذلك كان من السلبيات عدم وضع ضمانات كافية تلزم الدول العربية بالوفاء بالتزاماتها المالية، والاكتفاء بكلمة الشرف، واعتبار كلمة الملوك والرؤساء هي الضمان الوحيد. هذا إلى جانب ما كان ينشب من خلافات داخل لمؤتمر تكاد تؤدي به، وإلى جانب السيئة الأخلاقية الكبرى التي كانت تسود لمؤتمر، وكل مؤتمر، حين لم يكن يحافظ على سرية ما يدور داخل قاعة الاجتماع، وتسرب الأخبار إلى الصحف لتفضح الأسرار أو تمارس الضغوط.

وأثبتت الأيام التي تلت مؤتمر القمة الثاني صدق ما كان الشقيري يخشاه أو يتوقعه؛ فقد كانت تقاريره الشهرية التي كان يقدمها إلى لجنة المتابعة المنبثقة عن مؤتمر القمة الثاني تنتهي عادة بمناشدة الحكومات العربية دفع التزاماتها المالية. وكانت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية تشكو دائماً عدم وفاء الدول العربية بالتزاماتها المالية، بل إن مجلس رؤساء الحكومات العربية الذي اجتمع في القاهرة بتاريخ 1965/5/26 أصدر قراراً، هو من أكثر القرارات إثارة للسخرية في نظر الشقيري، دعا فيه الدول الأعضاء إلى المبادرة لسداد المبالغ المتأخرة. ويعجب الشقيري من مناشدة الدول العربية نفسها، وكأنما مجلس الجامعة ليس مؤلفاً من دول الجامعة.

هذا على الصعيد المالي، أما على الصعيد الأخرى، فقد صدقت توقعات الشقيري، وأخذت إسرائيل منذ آذار/ مارس 1965 تنفذ تهديداتها المتلاحقة بتدمير المشروع العربي لتحويل روافد نهر الأردن مدعية أن ذلك قد حدث بنتيجة القصف المتبادل بين القوات الإسرائيلية والقوات السورية. ولم يصدر عن العرب رد عملي لهذا التحدي الإسرائيلي لهم، ولمؤتمراتهم، ولقياداتهم الموحدة، اللهم إلا ما صدر عن مجلس الجامعة العربية من قرار إنشائي بالتضامن مع سورية، واعتبار أي عدوان على أي أرض عربية عدواناً على الدول العربية.

كذلك ، كان الإخفاق نصيب القيادة العربية الموحدة التي ألقى على كاهلها واجب حماية مشروع التحويل وإعداد الخطة العسكرية الموحدة لمجابهة إسرائيل. وقد ظلت هذه القيادة تشكو عدم تنفيذ الدول العربية مطالبها العسكرية، وعدم قدرتها على تحريك القوات العربية وفق ما تملي الحاجة وتقضي الضرورة وترسم الخطة، حتى إن الشقيري ليتساءل في اجتماع مجلس رؤساء الحكومات العربية فيما إذا كانت القيادة العربية الموحدة لجنة استشارية للدول العربية، يرمى بتوصياتها عرض الحائط!!

وأمام العدوان الإسرائيلي المتكرر، والتهديدات العسكرية المتتالية، وأمام التخاذل العربي، بدأ البحث عن مخرج لأزمة نهر الأردن. وشهد الشقيري تبخر المشروع العربي لتحويل مجرى الأردن في اجتماعات رؤساء الحكومات العربية في أيار/ مايو 1965 بحجة تأجيله إلى أن تستكمل الاستعدادات العسكرية

لحمايته، في الوقت الذي كانت القيادة العربية الموحدة تطلب وقف الحديث في الخطط العسكرية، لأن إسرائيل تستدرج العرب إلى معركة ليسوا مستعدين لها، وهكذا "سقط الملوك والرؤساء في عام 1965 في الامتحانات الشهرية، وفي الفصل الدراسي الأول والثاني.." كما كتب الشقيري في فكرته آنذاك<sup>(1)</sup>.

وفي الوقت الذي كانت فيه مشروعات تحويل روافد الأردن ومعها خطط القيادة العربية الموحدة تترنح، مضى الشقيري يستكمل بناء منظمة التحرير الفلسطينية، مع أبناء الشعب الفلسطيني في مختلف أماكنهم.. على الرغم من تكاثر المصاعب، وتفاقمها، وعلى الرغم من كثير من الدول العربية عن التزاماتها. وإدراكاً من الشقيري لدقائق الواقع العربي الممزق وخباياه، ورغبة منه في الحفاظ على المكسب الكبير للقضية الفلسطينية بقيام منظمة التحرير ممثلة للشعب الفلسطيني، وفي إبعاد المنظمة عن ظروف هذا الواقع العربي المتقلبة، والمهاترات والمشاحنات التي كانت تتحكم فيه، وجه كلمة من إذاعة فلسطين إلى أبناء الشعب الفلسطيني قبل أن يتوجه إلى الدار البيضاء لحضور مؤتمر القمة العربية الثالث هناك في أيلول/سبتمبر عام 1965، أعلم فيها هذا الشعب بالمصاعب التي تعاني منها المنظمة، وبالعقبات التي تعترض طريقها، وبالمطالب التي تريدها. وقد عبر في هذه الكلمة عن موقفه من مؤتمرات القمة.. وتطلعاته إلى مستقبل المنظمة، فقال: "ولدت المنظمة على فراش مؤتمر القمة، أسيرة الظروف العربية.. ولا بد

---

(1) على طريق الهزيمة، مصدر سابق، ص 53.

للمنظمة أن تحرر إرادة الشعب الفلسطيني... المنظمة ولدت بترخيص من الدول العربية... أن الأوان أن تمارس المنظمة حرية العمل كاملاً<sup>(1)</sup>. ووعده في كلمته أن يطالب الملوك والرؤساء في مؤتمر القمة بتعبئة طاقات الأمة العربية لمعركة التحرير، ولإعداد الشعب الفلسطيني ليكون طليعة المعركة.

وافتح مؤتمر القمة الثالث في الدار البيضاء، وسط ترحيب الجماهير المغربية وتهليلها وتكبيرها للعروبة ولفلسطين، مما أشعر الشقيري بأن "مؤتمر القمة هو هذه الأمة مجتمعة في هذه الساحات والميادين"<sup>(1)</sup>، وليست القاعة التي تجمع الملوك والرؤساء، وآله أن يكون الشعب المتحمس الصادق جاهلاً بما يجري ويدور خلف الجدران المغلقة، يغرر به الحكام، ويستغلون طبيئته، ويحرفون مساره السليم، ويفرغون حماسه بتمثيلياتهم التي أسموها مؤتمرات القمة. ومما قاله: "وكذلك يكون تنفيس الحماس وتفرغ العواطف بأمثال هذه المهرجانات. وقد برع الملوك والرؤساء في الأداء والإخراج"<sup>(2)</sup>.

استمرت جلسات المؤتمر أربعة أيام (17-13/9/1965)، أقر فيها الملوك والرؤساء مشروع (ميثاق التضامن العربي) الذي علق عليه الشقيري بقوله للصحفيين: "لا شأن لنا بالخلافات العربية... من كان مع فلسطين فنحن معه.

---

(1) على طريق الهزيمة، مصدر سابق، ص 76.

(1) على طريق الهزيمة، مصدر سابق، ص 79.

(2) المصدر نفسه، ص 85.



والمعيار الوحيد عندنا هو الوفاء بالالتزامات وبتيسير مهمة المنظمة، والحفاظ على القضية..<sup>(3)</sup>.

وطرح على مؤتمر القمة تقرير هيئة تحويل روافد الأردن ، وشرح الأمين العام أسباب توقف العمل في المشروعات ، وطالب باعتمادات مالية إضافية. كذلك قدم القائد العام للقيادة العربية الموحدة تقريره بشأن الخطة العسكرية لحماية التحويل، وشرح ما يلاقي من صعوبات بصدد نقل القوات العربية وموقف العناد والرفض الذي تقفه بعض الدول العربية في هذا الشأن مما يؤثر في الخطة العسكرية كلها.

ثم تقدم الشقيري ببيان حول مطالب المنظمة في مسائل الإقامة والسفر، وحرية العمل للفلسطينيين، والتجنيد الإجباري، والانتخابات، وإنشاء قوات فلسطينية إضافية، وعرضت القيادة العربية الموحدة أمام المؤتمر خطة لتحرير فلسطين، مع ملابساتها الدولية، والتزاماتها العربية، ومختلف ظروفها السياسية والعسكرية والمالية. وتعاقب الرؤساء والملوك يثنون على الخطة، ويدعون لتوحيد الصفوف، وللاستجابة لمطالب الخطة العسكرية والمالية. وجاء دور الشقيري في الكلام عن الخطة، فقال: "ليست هذه أول مرة توضع فيها خطه لتحرير فلسطين. لقد عشت مؤتمرات سابقة، وضعت فيها مثل هذه الخطة. وإنني أدعو الله أن

---

<sup>(3)</sup> المصدر نفسه، ص 83.

نكون اليوم أمام الخطة الأخيرة، ويتم تحرير فلسطين، لتستريح الأمة العربية إلى الأبد... القضية الفلسطينية كلفت الأمة العربية ثمناً غالياً من الرجال والجهود والأموال.. وان الأرخص هو تحرير فلسطين... إن الخطة التي سمعتموها هي خطة هجومية انقضاضية، ولكنها تستلزم كذلك خطة دفاعية.. "(1).

وفي الوقت الذي كان فيه الملوك والرؤساء يمتدحون إنجازات المؤتمر، وكانت فيه أجهزة الإعلام تهلل وتكبر لمقرراته، كانت الخواطر السوداء تملأ نفس الشقيري، وتضج في صدره تساؤلات كثيرة حول إنجازات المؤتمر: إن "الخطة العسكرية لتحرير فلسطين عبارة رائعة؛ ولكن أنى للدول العربية الممزقة المتباغضة المتحاسدة أن تحارب؟! وإذا حاربت فأنى لها أن تنتصر؟! "(2) أما المشروع العربي لتحويل الروافد فهو يحتاج إلى أموال وحماية، وليست "هذه موفورة، ولا تلك ميسورة.. فمن أين للمشروع العربي أن ينجح؟! "(3). وقد خرج من المؤتمر في أمر مطالب المنظمة "كصفحة بيضاء.. فأين المفر والمقر؟ "(4).

---

(1) على طريق الهزيمة، مصدر سابق، ص ص 93 - 94.

(2) المصدر نفسه، ص 96.

(3) المصدر نفسه.

(4) المصدر نفسه.

وأحس الشقيري أن الأمر يحتاج إلى مكاشفة ومصارحة، فخطب أبناء الشغب الفلسطيني من إذاعة فلسطين 1965/10/1 ليعرفهم على ذلك المؤتمر الذي وضع خطة لتحرير فلسطين في ستة أيام، وليبين لهم جوانب النجاح والفشل في المؤتمر. لم ينكر قيمة التضامن العربي وخطة التحرير، ولا ينكر أن التضامن وتضافر الجهود العربية هو بداية الطريق لتحرير فلسطين.. لكن ذلك يحتاج إلى روح عالية من الجد والإخلاص، يفتقدها الشقيري في الأنظمة العربية وحكامها. إن مجرد وجود موضوع التضامن على جدول أعمال المؤتمر دليل على الاختلاف، ومن المؤسف أن حكام العرب كلما التقوا تعاهدوا على التضامن ودعوا إلى تضافر الجهود. إن ما تم الاتفاق عليه في المؤتمر أدنى بكثير من إمكانات الأمة العربية.

ولا يجد الشقيري في المؤتمر إنجازاً يستحق الثناء والتقدير، ما لم يستطيع الجهد العربي الموحد أن ينقل خطة التحرير من الورق إلى الميدان العملي. وهو يعيب على مؤتمر القمة تسلل التخلف والروتين إلى أعماله مثلما تسلا إلى الجامعة العربية، وسيطرا عليها فأنهكاها. وقد ناشد الملوك والرؤساء، باسم المنظمة، ألا يوقعوا مؤتمرات القمة ضحايا الروتين القاتل، بتحويل المشاريع والخطط إلى اللجان المختلفة، أو إبقائها معلقة من مؤتمر إلى مؤتمر، كما حدث بشأن مشروع المؤسسة المالية لتحرير فلسطين. لقد نخر الروتين العمل العربي

خلال سبعة عشر عاماً طويلاً، وهو اليوم يدخل إلى مؤتمرات القمة ليهوي بها إلى القاع.. ويهوي معها تحرير فلسطين.

وحدد الشقيري في خطابه الإذاعي موقف منظمة التحرير من مؤتمر قمة الدار البيضاء، فأوضح أن المنظمة لم تجد في المؤتمر ما كانت تطمح اليه، ولم تجد مطالبها - وهي مطالب الشعب الفلسطيني - الاستجابة الجديرة بالتحرير وبأهداف التحرير. لذلك لا بد لها من تحديد موقفها من المؤتمر، والقائم بوضوح على أن أي خطة عربية لتحرير فلسطين من دون شعب فلسطيني حر منظم معبأ خطة مبتورة وفاشلة. وإذا سدت الطرق أمام المنظمة فلا بد من أن يشق الشعب الفلسطيني لنفسه ولمنظمته طريقاً ثانياً تحت الأرض.. هو طريق الكفاح والنضال، وسيمشي فيه بعيداً عن الحكام والأنظمة.

بدأ التشقق ينتاب جدران القمة العربية سريعاً بعد انتهاء مؤتمر الدار البيضاء، ودب الخلاف بين الدول العربية، وظهر التصدع العربي أمام الجماهير العربية في كل مكان؛ وبدلاً من التضامن العربي سادت الخلافات وشاع قطع العلاقات، وبدأ واضحاً أن القيادة الموحدة غير قادرة على تحريك القوات العسكرية، وهيئة تحويل الروافد لا تجد الحماية العسكرية والعون المادي، ومنظمة التحرير بحاجة إلى تحرير...

وطلبت مصر من الأمانة العامة لجامعة الدول العربية تأجيل مؤتمر القمة الرابع، المقرر عقده في الجزائر في أيلول/سبتمبر 1966، إلى أجل غير مسمى، وأصدرت الأمانة مذكرة بهذا الشأن. وبذلك أنفرط عقد المؤتمر، وأخذت سياسة التكتلات والمحاور طريقها إلى الأنظمة العربية. واستبدت بالشقيري الحيرة حول مصير منظمة التحرير وجيش التحرير، وحول موقف المنظمة من الواقع الذي وصلت إليه مؤتمرات القمة، ومن واقع الأنظمة العربية، وأعلمن في خطاب له يوم 1966/7/28 أن المنظمة في منأى عن الخلافات العربية، ما دام الخلاف في منأى عن قضية فلسطين. وأن الشعب الفلسطيني يمد يده إلى جميع الملوك والرؤساء على هدف التحرير، ومن كان معه منهم فهو معه، ومن لم يكن مع الشعب الفلسطيني فليس هذا الشعب معه، وليست الأمة العربية معه.

حدثت تطورات خطيرة بعد تأجيل مؤتمر القمة؛ فقد قامت إسرائيل بافتتاح مبنى الكنيست الجديد في القدس في 1961/8/30، وزادت أمريكا من مساعداتها العسكرية لإسرائيل، ودمرت هذه مشروع تحويل الروافد ومعداته تدميراً كاملاً... وفي هذه الأجواء عقد مجلس الجامعة العربية دورته العادية في أيلول/سبتمبر 1966، وطالب الشقيري في هذا الاجتماع بتنفيذ الدول العربية ما سبق لمؤتمرات

القمة إقراره بشأن الالتزامات العسكرية والمالية. لكن المجلس انتهى إلى قرار إنشائي يحيي.. ويؤيد.. ويندد.. دون أن يكون وراءه عمل وتنفيذ.

واجتمع مجلس الدفاع العربي في 1966/12/7 بعد العدوان الإسرائيلي على السموع (1966/11/13) بدعوة من قائد القيادة العربية الموحدة. وتحدث الشقيري في المجلس طويلا عن دور القيادة الموحدة بما يشبه المرافعة عنها والدفاع عن خططها. ثم انعقد المجلس ثانية في 1967/3/12 في جو متوتر، وغابت عنه بعض الدول العربية رفضا منها لحضور أي اجتماع منبثق في مؤتمرات القمة قبل أن ينعقد مؤتمر قمة جديد. وطالبت القيادة المجلس أن يبت في مصيرها حتى لا تبقى بدون عمل. وانتهى المجلس إلى توصيات تركزت حول دعوة الدول العربية للوفاء بالتزاماتها المالية. وحدد المجلس يوم الرابع من تموز/يوليو 1967 موعدا لاجتماعه المقبل. ويتألم الشقيري من المصير الذي آلت إليه مؤتمرات القمة وما انبثق عنها، فيقول: "وسخر القدر من التوصية الرابعة، فإن مجلس الدفاع لم ينعقد في تموز، لأن الكارثة الكبرى وقعت في حزيران.. تماما كأنها كانت مع الهزيمة على ميعاد... ويا بنس هذا الميعاد!" ويضيف: "لم يكن وقوع الكارثة عجيبا ولا غريبا.. بل العجيب ألا تقع الكارثة..

والغريب الآ تقع الهزيمة.. فقد كانت طوابع النجوم في السماء العربية تشير إلى الكارثة.. وكانت معالم الأحداث على الأرض العربية تسير نحو الهزيمة<sup>(1)</sup>.

فقد الشقيري الأمل بالعمل العربي المشترك، وبصيغة مؤتمرات القمة، وعبر عن رأيه عشية عدوان الخامس من حزيران/يونيو 1967 بقوله تعقياً على اقتراح الملك الحسن الثاني عقد مؤتمر قمة: "ما الفائدة من مؤتمر جديد إذا كانت القرارات السابقة لم تنفذ؟! المعركة على الأبواب، والقضية بسيطة؛ من كان عنده مال أو سلاح أو رجال فليتنقل إلى الميدان.. وهذا خير من مؤتمر قمة. لقد ضجرت الأمة العربية من مؤتمرات القمة.. ثم إن الأحداث تمر بسرعة هائلة.."<sup>(1)</sup>. وظل على حاله اليأس من تحقيق نتائج إيجابية مثمرة من مؤتمر القمة.. فتساءل بعد أن وصف تطلع الجماهير العربية إلى مؤتمر قمة الخرطوم الذي عقد بعد النكسة: "هل ستنبثق عن مؤتمر الخرطوم خطة عربية شاملة عسكرية وسياسية واقتصادية لإزالة آثار العدوان؟ هل يستخدم البترول كسلاح فعال في المعركة؟"<sup>(2)</sup>. وأتى الجواب عن هذه التساؤلات في تعليقه على جدول أعمال المؤتمر: "وما أعددنا أنفسنا للنضال بالعناد والتصميم كما يفعل عدونا.. بل

---

(1) على طريق الهزيمة، المصدر نفسه، ص 276.

(1) الهزيمة الكبرى، مصدر سابق، ج 1، ص 235.

(2) المصدر نفسه، ج 2، ص 82.

إن مؤتمرات القمة، برمتها، لم تعد تخيف إسرائيل، ولم تعد تثير اهتمامها إلا بصورة عادية..<sup>(3)</sup>.

ولعل المرء بعد ذلك الرأي في مؤتمرات القمة يعجب من إصرار الشقيري على حضور مؤتمر قمة الخرطوم، وهو الذي لم يدع إليه بادئ ذي بدء، فهدد وأنذر، أو تأخرت دعوته إلى المؤتمر، فحث واستعجل. لكن الشقيري يجيب على ذلك بوضوح وجلاء إذ يقول: "ولقد كنت زاهدا في الواقع أن أحضر مؤتمرات القمة بعد الذي عانيته من الملوك والرؤساء في السنوات الثلاث الماضية، ولكنني رأيت كذلك أنه لا يصح، من أجل القضية الفلسطينية شعباً ووطناً، أن أرضى بهذه السابقة، وتغيب منظمة التحرير عن الساحة"<sup>(1)</sup>.

وحضر الشقيري مؤتمر قمة الخرطوم، وعاش أجواءه واتجاهاته وخباياه وأسراره، وناضل كي يبعث فيه الحياة، ويجعله من أجل القضية الفلسطينية التحريرية الكبرى.. لا من أجل إزالة آثار العدوان فقط.. وقدم الخطط والدراسات والمشروعات، وكان شديداً في مصادماته وصراحته، فجابه المؤتمر بما لا يجب.. لكن هيهات أن تجدي صيحات الشقيري في ذلك الجو المتخاذل، وكان المؤتمر خيبة أمل كبرى عند الشقيري، وكان أكبر هزيمة سياسية حلت بالأمّة العربية.. "ففي هذا المؤتمر كانت اللا خطة هي الخطة، وانتصرت اللاوحدة على الوحدة،

---

<sup>(3)</sup> المصدر نفسه، ج 2، ص 162.

<sup>(1)</sup> الهزيمة الكبرى، مصدر سابق، ج 2، ص 139.



تغلب بترول العرب على العرب، وارتفعت راية الحلول السلمية بديلاً عن مسيرة النضال..<sup>(2)</sup>. رأى الشقيري أن مؤتمر قمة الخرطوم هو إلى الحضيض، ولم يكن هذا الرأي عنده نابعا من بغض لهذا الملك، أو كره لذلك الرئيس، بل كان الحقيقة المنصفة العادلة، وقد جاءت الأحداث فيما بعد لتثبت صحة كلامه ورأيه.

انسحب الشقيري من مؤتمر الخرطوم، لا لأسباب شخصية، كما يقول، بل لحوافز عامة وأساسية، لقد كان انسحابا من الساحة الرسمية التي ملأت نفسه شعورا باليأس وبخيبة الأمل، ودفعته فيما بعد إلى أن يعلن في مؤتمر صحفي عقده في 1967/11/24 لرفض قرار مجلس الأمن 242 أنه سيعرض على المنظمة اقتراحاً "بعدم حضور اجتماعات عربية رسمية بعد اليوم نحن لا نعتقد بجودها، وسنقيم علاقات ثنائية مع الحكومات العربية"<sup>(1)</sup>.

ولعل رأي الشقيري في مؤتمرات القمة، بعد أن خبرها، أو موقفه المتصلب في مؤتمر قمة الخرطوم بشكل خاص، كان السبب المباشر الذي انتهى بالشقيري إلى تقديم استقالته من رئاسة منظمة التحرير، أو الذي فرض عليه هذه الاستقالة، كما يلح في مذكراته، أو يصرح: ".. فإنني أعتبر أن

---

(2) الجامعة العربية، مصدر سابق، ص 234-235.

(1) الطريق إلى جنيف، مصدر سابق، ص 150.

مؤتمر الخرطوم، بالقرارات التي اتخذها، وبالقرارات التي ما اتخذها، سيفرض علي الاستقالة.. عاجلاً أو آجلاً<sup>(2)</sup>.

---

<sup>(2)</sup> الهزيمة الكبرى , مصدر سابق، ج2، ص299.

## حروب العرب..

## مع العدو الصهيوني

حروب العرب..

مع العدو الصهيوني

---

يقول الشقيري في كتابه: " الجامعة العربية " : منذ ثلاثين عاماً والأمة العربية في صراع متواصل مع إسرائيل ، خاضت خلاله أربع حروب . وصفحات التاريخ الحديث ما تزال مفتوحة على مصراعيها لتدوّن أنباء حروب أخرى قادمة لا محالة حتى تحقيق النصر الأكبر بعودة فلسطين إلى حظيرة الوطن العربي الكبير .. وقد بدأ هذا الصراع الرهيب في عام 1947 ، حين كانت الطائفة اليهودية في فلسطين تتجسد في إطار كيان سياسي اسمه الوطن القومي اليهودي . ثم كان ما كان من صدور قرار الأمم المتحدة في خريف 1947 بإنشاء دولة يهودية في فلسطين ، في مساحة تزيد قليلاً على نصف مساحة فلسطين ، وما تلا ذلك في تصدّي الجامعة العربية بالحرب وبالسياسة، للحيلولة دون قيام الدولة اليهودية. ثم ما انتهى إليه الأمر من هزيمة الجيوش العربية ، وقيام الدولة اليهودية باسم إسرائيل في ربيع 1948 ، وكان أسوأ ربيع شهدته الأمة العربية في تاريخها الطويل الطويل .. وقد عصفت هذه الهزيمة الساحقة الماحقة بكيان الأمة العربية في أرجاء الوطن الكبير، فأطاحت ، وما تزال ، بالملوك والرؤساء ، فوقعت الثورات والانقلابات ، وكلها تطلق شعاراً واحداً ، تحرير فلسطين غير منقوصة.

" وفي غمرة هذا الصراع الرهيب تحملت الأمة العربية ، راضية شامخة ، تضحيات جسيمة ، مادية وبشرية. فاستشهد من أبنائها الألوف والألوف في ساحات الشرف والكرامة ، حتى لم تبق أسرة عربية في الوطن العربي الكبير إلاّ

وفقدت قريباً أو صديقاً أو حبيباً. وكذلك فقد أنفقت الأمة العربية في حلبة هذا الصراع زبدة ثرواتها وخبراتها ، وشدّت الحزام على بطون أبنائها ، ناهيك عن تناقض برامجها الصحية والتعليمية والاجتماعية ، وتخلّف مشروعاتها الزراعية والصناعية والعمرانية . وقد ارتضت الأمة العربية هذه التضحيات الجسام ، وما تزال.. وستظل ، لأن فلسطين هي قلب العالم العربي ، تهون كل التضحيات من أجل تحريرها ولأن العدو الغاصب المحتل يهدّد أمن الأمة العربية وسلامتها ، وخبراتها ومقدساتها ، وحاضرها ومستقبلها .. وكل ذلك جدير بأعلى التضحيات ، وأعزّ الأنفس والأموال والثمرات.

" وحين ننظر في الحساب الختامي لهذا الصراع في كل مرحله نرى أن الأمة العربية لم تحقق شيئاً من أهدافها ، وأن العدو هو الذي حقق الكثير من أهدافه . فقد أصبحت إسرائيل دولة قائمة، معترفاً بوجودها في الأمم المتحدة ، وأصبحت محتلة لفلسطين بكاملها ، معها الأراضي العربية من جبل الشيخ في الجولان إلى شرم الشيخ في سيناء"<sup>(1)</sup>.

والحقيقة الثابتة المؤكدة التي خلص إليها الشقيري - بعد هذا - هي " أن إسرائيل كان يمكن ألا تكون في عام 1948، وأن بقاءها واستمرارها كان يمكن ألا يكونا ..وبالتالي، إن كل هذه الكوارث والمآسي التي تحملتها الأمة

---

<sup>(1)</sup> الجامعة العربية ، مصدر سابق ، ص 234 - 235.

العربية عبر الأعوام الطويلة كان يمكن ألا تكون ، لولا أن الجامعة العربية ، ضيّعت عدة فرص ذهبية كانت كافية للحيلولة دون قيام إسرائيل . ولولا أن القادة العرب قد أجهضوا الحرب بالتخطيط المفقود ، وبالفساد في الضمير والسلاح. إن الدول العربية لم تدخل الحرب بصدق وعزيمة ، ولم تهيئ أسباب المعركة ، ولم تستطع أن توحد الصفوف وتعبئ القدرات ، وتحشد الطاقات. كما لم تستثمر استعداد المقاتل العربي للبذل والفداء والاستشهاد. وهكذا فقد " خسرنا " في عام 1948 الحرب ..ونصف فلسطين"<sup>(2)</sup> ولو قاتل العرب متحدين وصابرين لانتصروا.

## حرب حزيران /يونيو 1967

---

---

<sup>(2)</sup> الطريق إلى جنيف، مصدر سابق، ص 150.



أما بالنسبة إلى حرب حزيران /يونيو 1967 فإن الشقيري يعتقد أن هذه الحرب قد وقعت قبل موعدها بأعوام .. وقعت في "أحسن عام لإسرائيل، وأسوأ عام للأمة العربية" <sup>(1)</sup> . وقد انتابه الغم والهم في الأيام السابقة لهذه الحرب، ومزقت نفسه مشاعر القلق وتوقع كارثة مقبلة، واجتاحتها أحاسيس متضاربة؛ فهو من جهة واثق أن إسرائيل ذات طبيعة عدوانية توسعية، وأنها ستنتهز الفرص حيناً بعد حين للتوسع ، والتوسع لا بد له من حرب . ومن جهة أخرى كان موقناً أن العرب غير مستعدين للحرب .. بل سمع من كثير من المسؤولين العرب، ولا سيّما في مصر، أن المعركة مع إسرائيل تحتاج إلى مزيد من الاستعداد والمال والوقت، وأن الأمر اليوم \* لا يعدو أن يكون مظاهرة عسكرية لتحقيق مكاسب سياسية ، وأن الأمور لن تصل إلى مرحلة الحرب . لذلك كله كان الشقيري يتابع الأخبار، ويقابل المسؤولين ، ويتنقل هنا وهناك .. علّه يجد جواباً لتساؤلاته: هل ستحارب إسرائيل ؟ ومتى؟ وأين؟ وكيف؟.

ونشبت المعركة ، وحلّ بالعرب ما حلّ من هزيمة مفاجئة ساحقة .. ووقع ذلك على الشقيري وقوع الصاعقة .. وكتب يصف وقع تلك الأيام في نفسه: "وددت لو أنني ما استيقظت ، لأمضي في السبات الأبدي ، فلا أرى ما

---

(1) الهزيمة الكبرى، مصدر سابق، ج2، ص299.

\* يعني طلب مصر سحب قوات الطوارئ الدولية من سيناء وقطاع غزة في 1967/5/27 وتحريك القوات المصرية إلى المواقع الأمامية في جبهة سيناء .

رأيت , ولا أسمع ما سمعت من حرب الأيام الستة <sup>(1)</sup> . كان لا يكاد يصدق ما يرى ويسمع , فتضج في نفسه الأسئلة .. "أبهذه السرعة حلت بنا الهزيمة ؟ هل نخلي الضفة ومعها بيت المقدس , قدس أقداس الإسلام؟ هل تحطم الجيش المصري, أمل الأمة العربية ؟ ما الذي جرى ؟ أهى صاعقة ملحفة من السماء أم زلزلة ساحفة من جوف الأرض؟" <sup>(2)</sup>.

وكانت الفاجعة فوق ما يتصور الشقيري .. وفوق ما يتصور الإنسان العربي .. " الله الله ! لقد سقط بيت المقدس وحكام العرب متناقلون عن القتال, متشاغلون عن الجهاد . ورحلت أبحث عن النكبات الكبرى في تاريخ العروبة والإسلام لأستعير كلاماً يخفف المصاب فلم أجد . كل مشاعري تعطلت .. كل إحساسيسي تجمدت .. كل جوارحي تحجرت, فقد كانت الكارثة فوق قدرة الشعور على الشعور .. وفوق طاقة الإحساس على الإحساس " <sup>(1)</sup>.

والمسؤول عن هذه الهزيمة الماحقة عند الشقيري هو "الحكم العربي المعاصر , المتميز باللامبالاة و اللامسؤولية واللاعقلانية . فقد استدرجه مكر الأصدقاء وغدر الأعداء إلى معركة في غير ميدانها, وفي غير زمانها .. فكانت

---

<sup>(1)</sup> الهزيمة الكبرى , مصدر سابق, ج1, ص 260.

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه, ص 350.

<sup>(1)</sup> الهزيمة الكبرى , مصدر سابق, ص 318.

الهزيمة الساحقة الصاعقة<sup>(2)</sup>. ويلوم الحكّام العرب الذين كانوا يعرفون هذه الحقيقة الأساسية، وهي أن "أوضاع الأمة العربية السياسية والعسكرية والاقتصادية في 1967 لا تصلح لا للدفاع ولا للهجوم، ولكنها تصلح للهزيمة"<sup>(3)</sup>.

إن حرب حزيران، عند الشقيري، لم تكن حدثاً عادياً في التاريخ العربي المعاصر، "ولم تكن إعصاراً هادراً هبّ على الوطن العربي لبضعة أيام .. ثمّ سكن، وهدأ، وعادت الحياة إلى طبيعتها ونظامها"<sup>(1)</sup>، بل كانت بأثارها السياسية والعسكرية "عطفاً تاريخية رهيبة، ستظل الأمة العربية ترزح تحت أثقالها، إلى أن تستطیع أن تهزّ عن اكتافها كثيراً من الإهمال .. وأولها الحكم العربي المعاصر ما بين خائب، وخائر، وخائن"<sup>(2)</sup>.

---

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه، ج2، ص 300.

<sup>(3)</sup> المصدر نفسه.

<sup>(1)</sup> الهزيمة الكبرى، مصدر سابق، ج2، ص5.

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه.

## حرب تشرين الأول /أكتوبر 1973

---

يقف الشقيري وقفة اعزاز وإعجاب وتقدير أمام ذلك اليوم الكبير ,  
ويصف انفجار الحرب بلغة أدبية مجنحة , فيقول : "ذات يوم في خريف 1973

طلع الفجر عند الظهيرة , وكان يوماً مشرقاً وضّاء , طلع فيه الفجر بعد ظلام دامس , وليل حالك طويل , أرخى سدوله على الأمة العربية في اليوم الرابع عشر من شهر أيار عام 1948.. وكانت تلك بداية المأساة. وامتدّ الظلام عبر أعوام طويلة مثقلة بالعار. ثمّ اشتدّ حالكا في حرب الأيام الستة, وحلّت بنا هزيمة أخرى. وعاشت الأمة العربية حقبة الظلام هذه وهي تلتمس الفجر.. إلى أن بزغ الفجر أخيراً بعد خمسة وعشرين عاماً, وخمس شهور, واثنين وعشرين يوماً.. وذلك هو الحساب منذ صباح الكارثة إياها.. " (1).

ويصوّر الشقيري , بتقدير , إقدام المقاتل العربي الذي اعترف به حتى الأعداء , ويتابع مراحل الحرب من 6-28 تشرين الأول /أكتوبر.. "النصر العربي أولاً, ثمّ الحرب سجال.. وأخيراً مالت الكفة.." (2) وهو يرى أن هذه الحرب قد حرّرت الأمة, وإن لم تحرّر الأرض, وهي ذات قيمة كبيرة عالية عنده : تنساني جوارحي وجواني إن نسيت اليوم العظيم .. اليوم السادس من أكتوبر .. لقد كان أمجد أيام الأمة العربية في تاريخها الحديث, لا يباريه إلا يوم قيام الجمهورية العربية المتحدة لتضم مصر وسوريا في دولة عربية واحدة " (3) .

---

(1) الطريق إلى جنيف، مصدر سابق، ص 123.

(2) المصدر نفسه، ص 140.

(3) المصدر نفسه، ص 149.

ويؤمن أن العرب قد ربّحوا المعركة العسكريّة في هذه الحرب، ففي الماضي "خسرنا حروباً وأراض .. في حرب أكتوبر ربّحنا الحرب، وإن لم نربح الأرض .. فأصبحنا في منتصف الطريق إلى النصر"<sup>(4)</sup>. وهي عنده الحرب العربيّة الأولى التي خاضتها الجيوش العربيّة بكل شجاعة وبسالة ، وبكل إعداد واستعداد ، مع أنها الرابعة في الحساب الطويل ، "ذلك أن حربنا الأولى عام 1948 وُلدت ميتة ، وقد أجهضها الملوك والرؤساء بالقيادة الخائنة، والتخطيط المفقود، وتلاقي الفساد في الضمير والسلاح، وحربنا الثانية في عام 1956، أثناء العدوان الثلاثي تغلبت فيها السياسة على الحرب. وحربنا الثالثة في الأيام الستة المشؤومة، فقد ضاعت الجيوش العربيّة، ومعها الأرض العربيّة، ضحية للسياسة العربيّة"<sup>(1)</sup>.

ويعدّ الشقيري بإسهاب إنجازات الحرب العسكريّة لا السياسيّة، "فالسياسة والسّاسة يتغيّرون ، ولكن إنجازات المعركة هي الباقيّة الخالدة ، وستبقى للجولات المقبلة حوافز دافعة دافقة دائماً وأبداً"<sup>(2)</sup>. وتتمثل منجزات الحرب " في سقوط مجموعة من الأساطير نسجتها إسرائيل حول نفسها ، وأعانت عليها حروب العرب الثلاثة نتيجة للارتجال ، والفساد ، والإهمال" كما

---

<sup>(4)</sup> المصدر نفسه، ص 150.

<sup>(1)</sup> الطريق إلى جنيف، مصدر سابق، ص 158.

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه، ص 150.

تتمثل في<sup>(3)</sup> مجموعة أخرى من الحقائق البيّنة تتصدى لتلك الأساطير و" تثبت قدرة الجندي العربي على القتال بفن وعلم وشجاعة ورجولة واستعداد كامل للبذل والفداء، يتوجّها الإنجاز الروحي والمعنوي"<sup>(4)</sup>. وقد عبّر الإسرائيليون عن الهلع الأكبر على لسان زعمائهم السياسيين والعسكريين؛ فإسرائيل كما يصورها الشقيري، هي "مجتمع رعديد، كل انتصاراته السابقة مرجعها أن العرب لم يحاربوا في الماضي".<sup>(1)</sup>

لقد كان هدف الشقيري من هذه الإطالة في التفاصيل العسكرية " وضع المواطن العربي أمام الصورة العربية الشامخة، حتى تنتقل إلى المسيرة السياسية الكبرى بعد حرب أكتوبر"<sup>(2)</sup>. ويتساءل فيما إذا كانت هذه المسيرة العسكرية كما هو منتظر، لأن منطق الحرب وكرامة الأمة يؤكدان " إن السياسة التي تلي الحرب يجب أن تكون في مثل مستواها..وأعلى".<sup>(3)</sup>

لكن الواقع جاء مخالفاً لهذا المنطق السليم المنتظر، وجاءت المسيرة السياسية لتبدّد الأمانى التي عاشها الإنسان العربي يوم نشوب الحرب، تلك

---

<sup>(3)</sup> المصدر نفسه، ص 158.

<sup>(4)</sup> الطريق إلى جنيف، مصدر سابق.

<sup>(1)</sup> الطريق إلى جنيف، مصدر سابق، ص 163.

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه.

<sup>(3)</sup> المصدر نفسه.

الأمني التي وصلت لا إلى تحرير الأرض المحتلة عام 1967 .. بل إلى تحرير فلسطين بكاملها . وجاءت الصدمة في الانتقال من حديث الحرب إلى حديث السلام في خطاب السادات قبل أن يتحقق الجلاء الكامل عن الأرض العربية ، وكان أثر وقف إطلاق النار في نفس المواطن العربي كبيراً ، " وهبط المواطن العربي من السماء على الأرض ، وقعد القرفصاء بعد تلك الوقفة الشّماء " .<sup>(1)</sup>

وقد خاض الشقيري خضم الجدل الذي خاضته الأمة العربية حول قرار وقف إطلاق النار في هذه الحرب ، وتساءل عن موقف العملاقين أمريكا وروسيا ، وموقف القوات العربية والإسرائيلية العسكري.. وعن اسباب قصور الحرب في تحرير الأراضي العربية .. لكنه ظلّ ، على الرغم من ذلك كله ، يحمد الله على أمور خمسة حققتها حرب أكتوبر ، " لأن حرب أكتوبر هي الحرب الحقيقية التي خاضتها الأمة العربية.. لأن الحرب استمرت 16 يوماً .. لأن إسرائيل خسرت، لأول مرة ، كثيراً من أبنائها وسلاحها ، ومن روحها.. لأن إسرائيل لم تنتصر، وكانت واثقة من النصر، وكان العالم يشاطرها هذه الثقة.. إن الأمة العربية لم تهزم كتل هزيمة الأيام الستة ، كما كانت إسرائيل تتوقع ، ومعها العالم كذلك " .<sup>(2)</sup>

---

<sup>(1)</sup> على طريق الهزيمة، مصدر سابق، ص 174.

<sup>(2)</sup> الطريق إلى جنيف، المصدر نفسه، ص 176.



ينقل الشقيري حال القلق والحيرة في نفس المواطن العربي في تلك المرحلة الحاسمة، هذا المواطن الذي عرف مجرى السياسة العربية بعد هزيمة حزيران، وهو يريد أن يعرف ما سيجري بعد حرب أكتوبر المجيدة. " هذا المواطن العربي أخذ يتساءل بعد انتهاء الحرب عن هدف الحرب؛ التحرير ، أي تحرير فلسطين بكاملها ، أم تحرير الأرض العربية المحتلة.. أم تسخين الموقف لتحريك أزمة الشرق الأوسط والوصول إلى تسوية سياسية"<sup>(1)</sup>.

إن هذه الأهداف الثلاثة - في رأي الشقيري - لم تتحقق، والسبب هو الحكم العربي الذي يدينه الشقيري في كل حين، لأنه " أهدر النجاح العظيم، وأضاع التأثير السيكولوجي الهائل، فاخترت سياسة دون مستوى الحرب ، وأخذ يلهث وراء تسوية سلمية بدون الإنجازات العسكرية"<sup>(2)</sup>.. هكذا.. وعلى الرغم من الإنجازات الرائعة" استنزفت السياسة العربية رصيد الحرب ، وعادت القضية إلى ثلاجة الأمم المتحدة، وألقت السياسة العربية بالقضية على عتبات البيت الأبيض".<sup>(3)</sup>

---

<sup>(1)</sup> على طريق الهزيمة، مصدر سابق، ص 146.

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه، 165.

<sup>(3)</sup> المصدر نفسه، ص 147.

وحكم الشقيري الأخير على هذه الحرب المجيدة هو أنها " انتهت في  
ريعان الصبا، وبقيت ذكرياتها وأمجادها ، ومعها الآمال والأمانى التي  
لا تموت".

# بترول العرب.. في المعركة



البترول..

سلاح لنا أو علينا؟! \_\_\_\_\_

آمن الشقيري إيمان كل مواطن عربي بأن النفط سلاح جبار بيد العرب،  
قادر على أن يضمن لهم النصر في معاركهم مع الاستعمار والصهيونية، إن هم  
أحسنوا استخدامه واستغلاله.

وهو يتذكر أن الحديث عن دور هذا السلاح كان يتردد على الألسنة منذ أربعين عاماً، لكن الحكم العربي - في رأيه - كان غافلاً، أو متغافلاً عن هذا الدور.. إلى أن كان مؤتمر بلودان عام 1946، وورد من بين مقرراته السرية قرار بعدم إعطاء امتيازات جديدة للشركات البترولية الأجنبية.. وانطلق شعار "بترول العرب للعرب". لكن هذه القرارات ظلت حبيسة الصفحات التي دونت فيها. ولم تخرج إلى حيز الواقع، وظل الشعار كلاماً يطلق ولا ينفذ.. وراح التاريخ - على حد ما يقول الشقيري - ينتظر أن يصبح حقيقة، "فيخرج البترول العربي من (خرج) الحاكم العربي، ويدخل (دخل) البترول العربي إلى بيت كل مواطن عربي"<sup>(1)</sup>.

وفي عام 1958 وقف الشقيري على منبر الأمم المتحدة يدعو إلى إطلاق حرية الأموال المجمدة للبلاد العربية المنتجة للنفط، لاستثمارها في وطنها، وينبه إلى أن "وقف مثل هذه الأموال الضخمة عن العمل، بينما في وسعها تمويل المشاريع الإنمائية في المنطقة، هو عمل واضح من أعمال قتل الشعوب اقتصادياً"<sup>(2)</sup>.

---

(1) الطريق إلى جنيف، مصدر سابق، ص 215.

(2) قضايا عربية، مصدر سابق، ص 132.

وخلال عدوان حزيران/يونيو 1967 انقطع البترول عن بريطانيا وأمريكا والدول الأخرى التي ناصرت إسرائيل في عدوانها. وكان يمكن للدول العربية – برأي الشقيري – أن تجبر العالم على الوقوف معها ضد العدوان لو أنها مضت في استخدام هذا السلاح الاقتصادي، ولم تتراجع. وقد طالب الشقيري في اجتماع وزراء الخارجية العرب في 1967/8/1 تمهيدا لمؤتمر قمة الخرطوم، بفتح الجبهة الاقتصادية في المعركة، إلى أن تستكمل الدول العربية استعداداتها العسكرية لاستئناف القتال، وعرض رأي منظمة التحرير الفلسطينية في الجوانب الاقتصادية والفنية المتعلقة باستخدام النفط في خدمة القضية العربية، وكان هذا الرأي في شكل دراسة علمية مدروسة أعدها خبير البترول العربي الشيخ عبد الله الطريقي (سعودي) الذي ضمه الشقيري إلى الوفد الفلسطيني لهذا الغرض. وقد دار نقاش طويل حول هذا الموضوع، وانتهى رأي وزراء الخارجية إلى الموافقة على إحالة الموضوع إلى اجتماع وزراء الخارجية.. وهؤلاء يضعونه فيما بعد أمام اجتماع مؤتمر القمة المقرر عقده في 1967/8/29.

واجتمع وزراء الخارجية العرب ثانية في 1967/8/26 لإعداد جدول أعمال مؤتمر قمة الخرطوم وما سيرفع إليه من توصيات ودراسات، وكان من بينها توصيات مؤتمر وزراء المال والاقتصاد والبترول العرب في بغداد باستخدام الاقتصاد سلاحا ضد إسرائيل وضد الدول التي تساندها... مع التقارير التفصيلية المدروسة عن شؤون البترول والمال والاقتصاد.

وانبرى الشقيري يشيد بتوصيات مؤتمر بغداد، وبالخبراء الذين أعدوا الدراسات والمشروعات، وبما ضمته من علم وكفاءة ودراسة مدققة. وأعلم المؤتمرين من وزراء الخارجية العرب أنه لن يعود إلى مقررات مؤتمر بلودان السرية عام 1946، ولا إلى مجموعة القرارات التي اتخذت بشأن النفط خلال العشرين عاما الماضية، بل سيكفي بالحاضر الراهن. ويذكر بمؤتمر وزراء النفط العرب الذي عقد في بغداد في الرابع من حزيران/يونيو، أي قبل العدوان بيوم واحد، وبقراريه اللذين اتخذهما آنذاك، الأول بشأن قطع النفط عن الدول المعتدية أو المشاركة في الاعتداء على سيادة دولة عربية أو أراضيها، والثاني إخضاع أموال أي دولة تدخل في عدوان مسلح مباشر أو غير مباشر على دولة عربية، لقوانين الحرب، بما فيها أموال شركات النفط.

واستعرض الشقيري الأصوات التي ارتفعت في الأمة العربية تطالب باستخدام النفط في المعركة، وأولها صوت اتحاد عمال النفط العرب يوم العدوان، واستعرض مواقف الحكومات والشعوب المختلفة، وبين أن النفط "هو السلاح الباقي للأمة العربية في الظروف الراهنة بعد أن تحطمت الأسلحة العسكرية"<sup>(1)</sup>. وأصر الشقيري على طرح توصيات مؤتمر بغداد على التصويت، حتى يعرف الرأي العربي العام ما يقول المسؤولون العرب، لأن "موضوع البترول مضى عليه

---

(1) الهزيمة الكبرى، مصدر سابق، ج 2، ص 145.



أكثر من ربع قرن وهو يترنح بين العن والخباء"<sup>(2)</sup>. لكن وزراء الخارجية لم يوافقوا الشقيري على طلبه، وقرروا إحالة موضوع النفط على مؤتمر قمة الملوك الرؤساء.

وكان الشقيري في مؤتمر القمة هذا يؤكد في كلماته التي ألقاها أو في أحاديثه الجانبية مع بعض الرؤساء، على أهمية النفط، وأنه أخطر سلاح بقي بيد الأمة العربية.. فإذا سقط سقطت القضية العربية. وظل يطالب بوقف ضخ النفط، ولو لمدة محدودة، فإن لم يجد ذلك يؤمم النفط وتحول الأرباح لتمويل صندوق عربي للتحرير والتنمية.

ولكن رياح مؤتمر قمة الخرطوم لم تجر بما يشتهي الشقيري، واتخذ قرارا باستئناف ضخ النفط، لأن النفط، كما يحتج القرار في نصه "طاقة عربية إيجابية يمكن تسخيرها في خدمة الأهداف العربية، وفي الإسهام في تمكين الدول العربية التي تعرضت للعدوان من الصمود لإزالة آثار العدوان"<sup>(1)</sup>.

جاء القرار سريعاً مفاجئاً "بحيث لم يتحمل من الوقت إلا ما تقتضيه الكلمات من زمن"<sup>(2)</sup> على نحو ما يقول الشقيري بسخرية مرة، وكان – برأيه – أول قرار

---

(2) المصدر نفسه، ص 155.

(1) الهزيمة الكبرى ، مصدر سابق، ج 2، ص 207.

(2) المصدر نفسه، ص 206.

يصدره مؤتمر قمة، منذ مؤتمر أنشاص عام 1946، دون مناقشة. وهكذا، وفي ظل أزمة طاحنة كادت تؤدي بالاقتصاد العالمي – كما يقول – انتهت المساومات التي وراء كواليس مؤتمر القمة العربي في الخرطوم بالاتفاق على استئناف ضخ النفط، "فكان أسوأ قرار اتخذته القيادات العربية... ولو أنه بقي في آباره بضعة أسابيع ربما اقتلع إسرائيل من الأرض العربية"<sup>(1)</sup>.

ويتذكر الشقيري أن المفكرين العرب ظلوا، مع استمرار الاحتلال، يناشدون الدول العربية استخدام سلاح النفط لحمل إسرائيل على الجلاء عن الأراضي العربية، في حين ظل (المسؤولون النفطيون) يدعون أن من الخطأ استخدام النفط سلاحاً سياسياً، لأنه – في نظرهم – سلعة اقتصادية يجب أن تبقى بمنأى عن السياسة. ويسفه الشقيري هذا الزعم الذي يروج له هؤلاء المسؤولون، ويذكرهم بأن الولايات المتحدة الأمريكية تستخدم القمح وسيلة ضغط وسلاحاً في مفاوضاتها مع الاتحاد السوفييتي<sup>(2)</sup>.

وإثر انطلاقة حرب تشرين الأول/أكتوبر 1973 انطلقت معركة أخرى، هي معركة النفط العربي. وقد تناول الشقيري هذا الموضوع بإسهاب، واستعرض قرار اجتماع الأوبك في 1973/10/17 بخفض الإنتاج بنسبة 5% إلى أن يتم الجلاء، على أن تتال الولايات المتحدة الأمريكية أكبر تخفيض، بحيث يؤدي – إن لم

---

<sup>(1)</sup> الطريق إلى جنيف، مصدر سابق، ص 216.

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه، ص 217.

تغير موقفها - إلى قطع إمدادات النفط عنها من كل الدول العربية. واستعرض ما تلا ذلك من قرارات تنص على تخفيض الإنتاج بنسبة 25% إلى أن تجلو القوات الإسرائيلية عن الأراضي العربية، ويستعيد الشعب الفلسطيني حقوقه المشروعة، مع استمرار الحظر على شحنات النفط إلى أمريكا. وبين أن المواطن العربي لمس الآثار الإيجابية لمعركة النفط، وكانت هذه المعركة - على ما فيها - كافية لكي يكتشف المواطن العربي والعالم قيمة النفط، ومعنى خفض إنتاجه.

لكن هذه القرارات كانت في رأي الشقيري غير كافية، وقد علق على بعضها قائلاً: "وكان المواطن العربي يرى أن سيف البترول قد استخدم وخزاً ولكزاً، لا ضرباً ولا طعناً"<sup>(1)</sup>، وإن سلاح النفط كان يستخدم استخداماً رخواً، فهو "يضرب ولا يوجع". وعلى الرغم من هذا الاستخدام اللين الرخو، في نظر الشقيري، بدأ التراجع العربي سريعاً، فقد قرر وزراء النفط العرب المجتمعون في 1973/12/25 زيادة الإنتاج بنسبة 10% مع استمرار الحظر على الولايات المتحدة وهولندا. وآلم الشقيري أن يرى ذلك ويراقبه، وأثار غضبه وحزنه أن يخالف وزراء النفط قراراتهم السابقة التي تصر على استمرار إجراءات خفض حتى يتم الجلاء عن الأراضي العربية المحتلة، ويصدروا في 1974/3/19 قراراً برفع الحظر البترولي، ويوقفوا إجراءات الردع البترولية عن الولايات المتحدة، وهكذا "سقط سيف البترول

---

(1) الطريق إلى جنيف، مصدر سابق، ص 218.

وانسحب من المعركة قبل أن تنسحب إسرائيل من الأرض العربية<sup>(2)</sup>. ولاحظ أثر الضغط الأمريكي في هذا القرار الذي يتحدث عن "لفت نظر العالم" و"خلق الجو الملائم" و"عن سياسة أمريكية أكثر توازناً"... وهي عبارات يبدو فيها أسلوب كيسنجر في معالجاته السياسية واضحاً بئناً، وكانت قمة المهزلة المأساة عنده القرار العربي الذي اتخذ في اجتماع القاهرة في 1974/7/10 بإلغاء الحظر عن هولندا من أجل "العلاقات التي يرغب في إقامتها مع الأسرة الأوروبية"<sup>(1)</sup>.

إن النفط، برأي الشقيري، من أخطر الأسلحة التي كان يتوجب على العرب استخدامها في معركتهم، وقد ظل يلح، في كل مناسبة، على أهمية سلاح النفط، وها هو في رسالته التي وجهها من بيته إلى مؤتمر القمة السابع في الرباط عام 1974 يذكر الملوك والرؤساء بأن ثاني الأخطاء العربية، بعد مهادنة الولايات المتحدة الأمريكية، هو تراجع العرب عن قرار استخدام سلاح النفط، ويعد ذلك "فاجعة تعادل فاجعة وقف إطلاق النار"<sup>(2)</sup>، ويطالب الحكام بالعودة عن هذا الخطأ الفاجع.

---

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه، ص 225.

<sup>(1)</sup> الطريق إلى جنيف، مصدر سابق، ص 228.

<sup>(2)</sup> صفحات من القضية العربية، المصدر نفسه، ص 17.

## دول العالم وكتله



## مواقف وآراء

---

كان للشقيري - بحكم عمله السياسي - اهتمام خاص بمراقبة القوى والعوامل الدولية التي تسير مقدرات العالم العربي ودراستها. كانت قضية فلسطين أبلغ شاهد على التآمر الدولي. وقد كانت الأمم المتحدة - خلال عملة في ميدانها خمسة عشر عاما - ساحة واسعة لاستكمال الخبرة في الميدان الدولي، والتمرس بخفايا لعبة البترول. وقد دافع في الساحة الدولية عن القضايا العربية، وفي مقدمتها قضية فلسطين، ودخل في معارك ضارية لا هوادة فيها مع الاستعمار وأتباعه. وواكب حركات التحرر في العالم، وراح يدافع عنها ثأرا لوطنه المغلوب. وفي غمرة هذا العراك بكر في التحالف مع المعسكر الاشتراكي، وختم سيرته في الأمم المتحدة باستقلال الجزائر، فوقف على منبرها يشيد بانتصار الحرية.

وقد تتأثرت آراء الشقيري في مواقف الدول، والأحلاف والكتل في كتبه كلها، وكانت آراؤه هذه تنم عن وعي وطول اختبار ، ودقة وعمق استنتاج، وتوحي بفهم الشقيري العميق للعلاقات المتشابكة في الإطار الدولي:

### بريطانيا:

نشأ بغض الشقيري للإنكليز منذ الطفولة، لأنهم احتضنوا الحركة الصهيونية ونصبوا أنفسهم دولة منتدبة على فلسطين لينفذوا وعدهم الذي قطعوه لليهود في وعد بلفور. وقد ظلت عالقة في ذاكرته صورة اللورد بلومر، المندوب السامي البريطاني، الذي جاء القدس صيف عام 1925، وراه الشقيري يدخل مدرسة صهيون التي كان تلميذاً من تلامذتها ، بكبرياء وغطرسة، وبعد أ، اختارته بريطانيا حاكماً على فلسطين، ليؤدب الشعب ويحفظ الأمن بقوة السلاح " وليبني الوطن القومي اليهودي على أسنة الرماح"<sup>(1)</sup>.

ولمس الشقيري، وهو طالب في معهد الحقوق في القدس، حماسة الموظفين البريطانيين في حكومة الانتداب لإرساء دعائم الوطن القومي اليهودي، وكان في طليعتهم عدد من زعماء الحركة الصهيونية آنذاك أمثال نورمان بنتويتش، النائب العام لحكومة فلسطين ورئيس المجلس القضائي، وحامسون

---

(1) أربعون عاما، مصدر سابق، ص 83.



رئيس دائرة المهاجرة، ودوخان الموظف الكبير في دائرة الأراضي. ورأى حكومة الانتداب تبني - على مدى ثلاثين عاما - الوطن القومي اليهودي حجرا حجرا، "مع كل يهودي بمفرده؛ المهاجر والفلاح والطبيب والمحامي والطالب والصانع والسائق والمرأة والطفل...حتى إذا جاء اليوم الرابع عشر من شهر أيار 1948، كانت إسرائيل .....وكانت الدولة اليهودية"<sup>(1)</sup>.

لقد عاش الشقيري عهد الانتداب البريطاني وهو يرى "الدولة" قد تغلغلت في مراكزها الحساسة الشخصيات الصهيونية والشخصيات البريطانية التي تساندها، كي تبني في فلسطين دولة يهودية، يكون العرب على هامشها، وتحت رحمتها. ولمس حرص بريطانيا على تصوير قضية فلسطين بأنها نزاع العرب واليهود، وهي القاضي لتفسير الحقوق والحدود القومية، في الوقت الذي كانت فيه بريطانيا تنفذ - عمليا - خطة تدمير فلسطين وتقديمها إلى الصهيونية لإنشاء دولتها فيها. "وكان وعد بلفور هو القاعدة التي قامت عليها السياسة البريطانية، أما مصير العشرين تقريراً التي قدمتها لجان التحقيق المختلفة خلال الانتداب فقد كان سلة المهملات، واستمر الحكم البريطاني المباشر في خدمة الوطن القومي، إلى أن جاء عام 1948، فكانت مقومات الدولة اليهودية قد ضربت

---

<sup>(1)</sup> أربعون عاما، مصدر سابق، ص 103.

جذورها في أرض فلسطين، "وتناوحت معها رياح النزوح والرحيل، وهي تصيح: الى خيامكم أيها العرب .."(1)

خرج الشقيري مع الشعب النازح، مخلفا وراءه الوطن بأعلى ذكرياته وأقدس مقدساته، فامتألت نفسه بكل مشاعر النقمة والبغضاء والحق على الإنكليز، وكان همه الأول - خلال عمله في الأمم المتحدة - أن يتصدى لهم ولشركائهم في الجريمة، أمريكا وفرنسا وإسرائيل. لذلك نراه يشارك في جميع القضايا التي تتعلق ببريطانيا، مهما كانت بعيدة عن اهتمام واختصاصه، ويقف فيها يعري مطامعها الاستعمارية، وينتقد سياساتها العدوانية. من ذلك إدانته واعتداء بريطانيا على حقوق أيسلندا في الصيد في المؤتمر الدولي لقانون البحار والمياه الإقليمية في جنيف (1958 - 1960)، ومهاجمته في الدورة 13 للأمم المتحدة عام 1958 سياسة الحزام البريطاني حول الجزيرة العربية، ودعوته لها أن ترحل لأن عهد القرصنة قد انتهى، ولأن حجج الاستعمار البريطاني الباطلة في حماية قناة السويس والحفاظ على الهند قد تقوضت بعد أن تحررت القناة والهند، ويجدر ببريطانيا أن، تفك الحزام عن الجزيرة العربية وتنصبه حول الجزر البريطانية.

---

(1) أربعون عاما، مصدر سابق، ص442.

واتخذ الشقيري من موضوع نزع السلاح ميدان صراع مع بريطانيا خاضه بكل أبعاده، ووصل فيه إلى قضية شحنات الأسلحة التي كانت ترسلها بريطانيا إلى إسرائيل، فهاجم بريطانيا وتساءل إذا كانت هذه هي مساهمتها في إقرار السلام. وكان قصده من ذلك إبقاء قضية فلسطين حية أمام الرأي العام الدولي وفضح السياسة البريطانية الاستعمارية.

وكان عرض قضية قبرص على الأمم المتحدة في خريف عام 1958 مناسبة طيبة للشقيري، استفاد منها في تعرية سيرة بريطانيا الاستعمارية، ولورد على مزاعم سلوين لويد ودفاعه عن سياسة بلدة في قبرص، والإدعاء بأن وجود بريطانيا في قبرص إنما هو من أجل التحضر والتمدن وإيصال البلاد إلى مرحلة النضوج السياسي، وزعمه أن لقبرص أهمية في الدفاع عن مصالح الغرب وعن أصدقاء بريطانيا العرب. وقد طرح الشقيري أمام الأمم المتحدة سيرة الاستعمار البريطاني وتاريخ حروب التحرير، وبين أن، الأمم المتحدة إنما تبحث في مصلحة الأسرة الدولية في حاجة للدفاع عنها، فإنه دفاع ضد بريطانيا التي خانت العرب، وغرست إسرائيل في قلب وطنهم. ونفى أن يكون لبريطانيا أي حقوق مشروعة في الجزيرة، وطالب بحل يحقق أهداف ميثاق الأمم المتحدة وأغراضه،

ويخدم مصالح جميع سكان قبرص، ورفض نقل الحرب الباردة إلى المشرق الأوسط، أو أن تكون جزيرة قبرص قاعدة للعدوان على الوطن العربي<sup>(1)</sup>.

وقد عاد الشقيري، في الخطاب الذي ألقاه في الأمم المتحدة عام 1963 بوصفه رئيساً لوفد فلسطين، ويؤكد التواطؤ بين الصهيونية والاستعمار البريطاني، ويبين أن إسرائيل نبتت في حضن الاستعمار<sup>(2)</sup>. وقدم عرضاً تاريخياً للعلاقة بين مصالح بريطانيا وإسكان اليهود في المنطقة، وكيف قامت الشركات البريطانية بعمليات استغلال واستثمار في فلسطين شبيهة بعمليات إفريقيا. وتعرض لتصريح بلفور الذي استثنى فلسطين من تقرير المصير، لأنه كان يسعى لضمان أغلبية يهودية. ودان إنكلترا لأنها تجاهلت وجود الشعب العربي في فلسطين، بحكم نظرتها الاستعمارية.

وانتقد الشقيري بشدة الدور الذي قام به الوفد البريطاني في مجلس الأمن في اللعبة السياسية عام 1967 لوضع مبادئ مشروع قرار لتسوية أزمة الشرق الأوسط، بعد تعارض الموقفين الأمريكي والروسي، وكيف مثل هذا الوفد دور الوسيط للوصول إلى قرار "منصف متوازن" على حد زعمه، بحجة أن مطالب الفريقين محقة وغير متضاربة، ورأى الشقيري أن مشروع القرار البريطاني، الذي

---

(1) قضايا عربية، مصدر سابق، ص151.

(2) فلسطين على منبر الأمم المتحدة، مصدر سابق، ص114.

تمت الموافقة عليه، باسم القرار 242، قد أعطى إسرائيل جميع ما تطلب منذ عام 1948. وقد رفض المندوب البريطاني إضافتها "القشة التي تقصم ظهر البعير". إن هذا الجدل حول (أل التعريف) كما يقول الشقيري "لم يكن بيزنطيا ولا لغويا... لقد كان موضوعيا يتصل بالموضوع كله.....إنه يتصل بالانسحاب الإسرائيلي...الانسحاب من الأرض العربية كلها، أو معظمها، أو بعضها"<sup>(1)</sup>.

### الولايات المتحدة الأمريكية:

نشأ الشقيري وأفراد جيله مفتونين بالأمريكيين. وقد كانت سيرة أمريكا في الحرب العالمية الأولى عطرة، حلت في قلوب الناس بريطانيا، بل محلا أرفع وأعظم. لقد كان يسمعون أنها دولة ديمقراطية تحب الحرية، وتتاصر الشعوب الضعيفة، وليس لها مستعمرات، حاربت الاستعمار البريطاني، لذا لا يمكن أن ترضى بالظلم يقع على شعب فلسطين. وجاءت مبادئ الرئيس الأمريكي ويلسون فأثارت إعجاب ذلك الجيل، ولم يكن أحد يتردد في قبول الانتداب الأمريكي، لأن الشعب الأمريكي شعب ديمقراطي يساند حرية الشعوب.

ويذكر الشقيري أن الكثيرون علقوا الآمال - خلال سنوات الانتداب - على عدالة السياسة الأمريكية ، وميولها إلى الإنصاف، على الرغم، من معرفتهم

---

<sup>(1)</sup> الطريق إلى جنيف، مصدر سابق، ص 64

بموافقتها على وعد بلفور والانتداب . لكن نهاية الحرب العالمية الثانية حملت إلى الرئاسة الأمريكية ترومان المؤيد للسياسة الصهيونية، لذلك "انقلب ولاؤنا إلى عداء، حين شاخت السياسة البريطانية، وبنيت الوطن القومي اليهودي، تاركة لأمريكا العبء الباقي... إقامة الدولة"<sup>(1)</sup>.

وقد أتيحت للشقيري فرصة الاحتكاك المباشر برجالات السياسة الأمريكية لأول مرة حين كلف إنشاء المكتب العربي في واشنطن عام 1945، فعرف كثيرا من خبايا السياسة الأمريكية وأحولها، وطرق اتخاذ القرارات السياسية، وسيطرت النفوذ الصهيوني هناك.....زار الكونغرس ورأى صورة الديمقراطية الغربية بكل مفاسدها ومساوئها، والقرارات التي لا تتخذ على أساس صدق الوقائع، بل على أساس الضغط والإيحاء. ولم يجد أعضاء الكونغرس من ذوي الكفاءات العالية، وقال في ذلك: "فالسياسة لا يقبل عليها في أمريكا إلا الساذجون أو المغامرون... هذا هو الكونغرس الذي حمل لواء الصهيونية.....، وصنع الدولة اليهودية"<sup>(2)</sup>.

بات الشقيري، الذي فتح عينيه على حب الأمريكان والتغني بعدلهم وإنصافهم، حانقا حاقدا وهو يرى الولايات المتحدة تقيم إسرائيل، وتمدهم بكل

---

<sup>(1)</sup> أربعون عاما، مصدر سابق، ص 451.

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه، ص 236.

أسباب الحياة، سياسياً وعسكرياً واقتصادياً، بقاء وعدوانا وتوسعا . وقد حمل بين جنبهيه مشاعره، ومشاعر جيله كله، إلى الأمم المتحدة، يفجرها "حمماً على الولايات المتحدة وأنصارها"<sup>(1)</sup>، وبدأت حملاته على الرئيس ترومان، العدو الأول للأمة العربية لشعب فلسطين ، فما قدم ترومان إلى نيويورك لوضع حجر الأساس لمبنى الأمم المتحدة عام 1950، تحدث الشقيري عن حقوق الإنسان التي جرّوت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية على انتهاك حقوق الشعب الفلسطيني في وطنه ، وصرح بأن ترومان قد تولى (دفن) ميثاق الأمم المتحدة تحت حجر الأساس للمبنى.

وفي خطاب للشقيري أمام الأمم المتحدة عام 1960، أشار إلى الحملة الانتخابية على الرئاسة الأمريكية، وتنافس المرشحين، نيكسون و كيندي، على كسب ود إسرائيل وتأييدها بالمال والسلاح، حتى بدت الانتخابات الأمريكية "إسرائيلية"<sup>(2)</sup>. وعلق على إعلان كلا المرشحين أن إسرائيل موجودة لتبقى، بتساؤله إن كانت ستبقى لتعتدي على شعب فلسطين وعلى الأمة العربية. وأكد أن الولايات المتحدة قادرة على الضغط على إسرائيل، لأنها مدينة لها بوجودها . وانتقد السياسة الأمريكية التي يطفح سجلها بالظلم لشعب فلسطين وقضيته، وفي خطابه عام 1961 هاجم الولايات المتحدة لمعارضتها حق اللاجئين في

---

(1) أربعون عاما، مصدر سابق، ص452.

(2) دفاعا عن فلسطين والجزائر، مصدر سابق، ص18.

ممتلكاتهم ورفضها البند الخاص بحقوق الإنسان المتصل بلاجئي فلسطين. وقال في ختام هجومه، وفي معرض مديحه للاتحاد السوفيتي الذي سبق الولايات المتحدة في قيادة الفضاء: "فنجمة داود أهم لدى الولايات المتحدة من كل ما في الكون من كواكب ونجوم"<sup>(1)</sup>.

ورد الشقيري عام 1961 على خطاب الرئيس الأمريكي كينيدي في الأمم المتحدة بخطاب ندد بالدعم الذي تقدمه الولايات المتحدة لإسرائيل في باطلها ، وسأل الوفد الأمريكي: "إلى متى هذا التأييد الأعمى لإسرائيل ؟ وإلى متى ستظل أمريكا هي إسرائيل الكبرى؟ وإلى متى تبقى الانتخابات الأمريكية كأنها انتخابات إسرائيلية؟!"<sup>(2)</sup>. وأعاد الشقيري في خطابه أمام الأمم المتحدة عام 1963، توجيه الاتهام إلى الولايات المتحدة الأمريكية، والتدليل على أثر السياسية الأمريكية في إشاعة جو الكراهية في الوطن العربي، في انعدام الثقة بها بسبب مواقفها في قضية فلسطين، ثم تحدى الولايات المتحدة قائلاً: "قد نكون أعزل، وقد نكون شعباً فقيراً، ولكننا نتحدى سياسيات الولايات المتحدة بكل ما لديها من سلطان نووي وموارد مالية"<sup>(1)</sup>.

---

<sup>(1)</sup> المصدر السابق، ص 139.

<sup>(2)</sup> أربعون عاماً، ص 453.

<sup>(1)</sup> فلسطين على منبر الأمم المتحدة، مصدر سابق، ص 105.



وكان قيام منظمة التحرير الفلسطينية بداية معركة ضارية مع الولايات المتحدة وإسرائيل، أو (إسرائيل) كما يسميها الشقيري <sup>(2)</sup> للتدليل على مواقفهما الواحد؛ فلقد سعت الولايات المتحدة وإسرائيل لتصفية القضية بصورة ناعمة هادئة، وحسبنا أن فلسطين لم تعد قائمة في جغرافية العالم الدولي، أن أملها تحقق، وبخاصة أن الدول العربية التي انهزمت لجأت إلى (السياسة الواقعية)، فلم تعد تتحدث عن التحرير، بل غدت تنادي بتنفيذ قرارات الأمم المتحدة وإسرائيل تتطلعان إلى حمل الدول العربية على التفاوض والصلح مع إسرائيل وتوقيع شهادات وفاة القضية. لكنها فوجئتا بقيام منظمة التحرير تعرقل تنفيذ خططها وتقلب موازين حساباتهما، وضيعت عليهما أحلامهما وأوهامهما. لذلك نشطت الدولتان في شن الحملات على منظمة التحرير وعلى رئيسها أحمد الشقيري، من ذلك نشرة دورية تولت توزيعها منظمة صهيونية اسمها (الجماعة الأمريكية لمنع الحرب الثالثة) تحذر العالم المتحضر من احمد الشقيري احد دعاة الحرب ، وأحد العاملين على إثارة الفتن والقتل بين الشعوب <sup>(1)</sup>، وتدعي أن الشقيري وامثاله وإذا تركو وشأنهم فيدفعون لحرب ثالثة ، واخذت اجهزة الاعلام الأمريكية تهاجم المنظمة وتتهمها بأنها تخلق التوتر في الشرق الأوسط، وتحول دون الاستقرار والأمن، وتخرّب مساعي السلم، واتهمت رئيس المنظمة بأنه عميل شيوعي، ودلّلت

---

<sup>(2)</sup> على طريق الهزيمة، مصدر سابق، ص 277.

<sup>(1)</sup> على طريق الهزيمة، مصدر سابق، ص 172.

على ذلك بزيارة الصين الشعبية وبتلقي المنظمة الأسلحة منها وتدريب الفلسطينيين على القتال فيها.

وكان الشقيري مؤمناً بأن إسرائيل، دولة وجيشاً واقتصاداً، بل ووجودنا نابعة من الولايات المتحدة الأمريكية، وأنها تلتزم دائماً النور الأخضر من البيت الأبيض في كل ما تواجهه من أزمات لذلك كله كان يراقب باهتمام كبير السياسة الأمريكية في شهر الأزمة الذي سبق عدوان حزيران/ يوليو 1967، ورأها تسلك طريقين متوازيين: المساندة الإيجابية لإسرائيل عسكرياً وسياسياً، وتحذير الدول العربية – ولا سيما الجمهورية العربية المتحدة – وترويضها وحملها على التراجع.

وتتبع الشقيري جلسات مجلس الأمن خلال العدوان، فوجد أن المندوب الأمريكي صهيوني بالولاء والسياسة، "وهذا شأن الأمريكي المسؤول ما دام يتلقى توجيهات من البيت الأبيض"<sup>(1)</sup>. وقد جاءت أمريكا أسلوب الجدل والمماحكة لتيسر لإسرائيل فرصة تدمير الجيوش العربية. لقد كانت أمريكا تسيطر على مناقشات مجلس الأمن في تشرين الأول/أكتوبر 1967، وتدمير الصراع السياسي مستندة إلى النصر العسكري الساحق الذي أنجزه الإسرائيليون، وتخطط لاستصدار قرار من المجلس يلزم الدول العربية وإسرائيل، في النهاية، بالتفاوض والدخول في صلح. لقد كان في قدرة الولايات المتحدة لو شاءت وفي، كل وقت

---

<sup>(1)</sup> الطريق إلى جنيف، مصدر سابق، ص 113.

– أن تفرض إرادتها على إسرائيل، لكن سياسة الولايات المتحدة، في رأي الشقيري، كانت على نقيض ذلك تسعى دائماً إلى مساعدة إسرائيل، ومدها بسبل البقاء والازدهار، وفرضها على الأمة العربية، وفرض الاعتراف بها، والتعايش معها بالقوة والقهر. لقد كان الصلح العربي الإسرائيلي من أهم أهداف أمريكا الإستراتيجية، منذ نشأت إسرائيل.

ويجزم الشقيري بأن دور أمريكا في حرب رمضان/أكتوبر 1973 كان العامل الأساسي في تغيير نتيجة الحرب، وقد استجابت الولايات المتحدة "للاستغاثة الإسرائيلية" وتدفق المداد العسكري بكل الأنواع وهكذا ، أوصل الاستنفار النووي الأمريكي وتهديدات كيسنجر الى الانفراج الدولي، والى اتفاق العملاقين على قرار مجلس الأمن بوقف إطلاق النار رقم 338. وقد لمس الشقيري أن السياسة العربية قد دخلت في تجربة جديدة بعد في تجربة جديدة بعد هذه الحرب، فصارت تسعى للتودد لأمريكا، لعلها تحمل إسرائيل على الانسحاب من الأرض العربية. لذلك عاد يذكر بأقوال المندوب الأمريكي في مناقشات مجلس الأمن خلال جلسة حزيران/يونيو 1973 \* " حتى يعرف المواطن العربي حقائق السياسة الأمريكية بالنسبة لإسرائيل والشرق الأوسط، فلا ينخدع بما يقوله الحكم العربي المعاصر أن الولايات المتحدة قد تغيرت سياستها تغيراً جذرياً وجوهرياً

---

\* عقدت الجلسة بعد العملية الصهيونية الإرهابية في بيروت في العاشر من نيسان/أبريل والتي اغتيل فيها ثلاثة من قادة المقاومة الفلسطينية.

لصالح القضية.....إن سياسة الخطوة خطوة التي أعلنتها أمريكا في حزيران/يونيو 1973 هي السياسة التي اتبعتها كيسنجر بعد حرب أكتوبر...فالسياسة الأمريكية بالنسبة لإسرائيل ثابتة، والوزراء الأمريكيون يعملون على تنفيذها<sup>(1)</sup>. وأكد الشقيري حقيقة ثابتة، هي أن سياسة أي دولة، ولاسيما أمريكا، لا يمكن أن تتبدل إلا عن طريق (المصالح الأساسية) بقدر ما تستطيع أن تفرض من هيبة واحترام وقوة رادعة، "وهذا ما لم يدركه الحكم العربي المعاصر منذ ريع قرن إلى يومنا، أما جهلا، أو خوفا، أو عجزا"<sup>(1)</sup>.

واستعرض الشقيري خطاب كيسنجر في جلسة افتتاح مؤتمر جنيف في 1973/12/21، فوجده قد انطوى على تأييد كامل للموقف الإسرائيلي، إذ لم يقل بالانسحاب الكامل، ولم يتحدث عن قضية فلسطين، ولا عن الحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني، ولكن جعل الانسحاب إلى حدود تريدها إسرائيل، ويعترف بها العرب. ولم يتحدث عن القدس، فهي عند عاصمة إسرائيل؛ بل تحدث عن الأماكن المقدسة للأديان الثلاثة، وأكد أن السلام يتطلب ضرورة ربط

---

(1) الطريق إلى جنيف، مصدر سابق، ص 114 .

(2) المصدر نفسه.

الإنسحابات بمتطلبات الأمن، ومطالب الضمانات بتمتع كل الأطراف بالسيادة"<sup>(1)</sup>.

لقد كانت أهم الأخطاء التي وقع فيها الحكم العربي بعد حرب أكتوبر 1973 في نظر الشقيري، والتعامل مع أمريكا والثقة بها. وقد بين ذلك في رسالة وجهها إلى مؤتمر القمة السابع في الرباط عام 1974 ، إذ ذكر بدور أمريكا في دعم إسرائيل في حرب رمضان/ أكتوبر 1973 ، ووجد أن الدبلوماسية العربية قد ضخمت دور أمريكا ودور كيسنجر، الذي يشبه بدور لورنس ؛ فهدف كيسنجر، الذي يشبه بدور لورنس؛ فهدف كيسنجر هو حمل العرب على الاعتراف بإسرائيل. وقد ألح على ضرورة قيام عداء عربي يواجه العداء الأمريكي ، وعلى استخدام كل أسلحة الردع الدبلوماسية والاقتصادية ضد أمريكا . وأكد الشقيري في رسالته تلك أن موقفة هذا ناتجا عن البغضاء، لأن أمريكا إخفاؤها، ولأن سياسة كيسنجر خلال العام كله قد رست وانتهت إلى حصيلة واحدة ، وهي، في رأي الشقيري "مغاملات وقلبات للدول العربية ودبابات وطائرات لإسرائيل"<sup>(1)</sup>.

وقد ظل الشقيري يتابع مواقف الإدارة الأمريكية في عهد رئاسة كارتر، واستخلص منها أن السياسة الأمريكية في عهده هي امتداد للسياسة الكيسنجرية

---

<sup>(1)</sup> الطريق إلى جنيف، مصدر سابق، ص 241.

<sup>(1)</sup> صفحات من القضية العربية، مصدر سابق، ص 13.

عام 1973. فأقوال الرئيس كارتر في أحد الاجتماعات الجماهيرية بعد توليه الرئاسة عام 1977 تشعر الشقيري أنه أمام بيان وزير الخارجية الإسرائيلي أبا إيبان في الجلسة اليتيمة لمؤتمر جنيف في كانون الأول/ديسمبر 1973 ، وكأنه يسمع من جديد مفهوم السلام الإسرائيلي، ومتطلبات السلام، واعترف الجيران بإسرائيل ، وفتح الحدود، والتبادل الثقافي والتجاري، والفهم المشترك، وتجنب الحروب.....وهذا كله يثبت للشقيري "أن السلام الإسرائيلي"<sup>(2)</sup>.

ووجه الشقيري – بعد توقيع اتفاقيات كامب ديفيد – رسالة الى مؤتمر قمة بغداد 1978، وقال فيها إن أمريكا هي العدو، وأنه لا بد من استخدام قدرات العرب الاقتصادية لقهرها وإجبارها على التراجع عن عدائها.

وبعث في عام 1979 وقبل توقيع المعاهدة المصرية – الإسرائيلية رسالتين؛ الأولى إلى وزير الدفاع الأمريكي، وانتقد فيها سياسة أمريكا المحابية لإسرائيل، مما يهدد الأمن في الشرق الأوسط، وتوقع أن يؤدي ذلك إلى حرب عالمية نووية.

والرسالة الثانية إلى الرئيس الأمريكي بين فيها رأيه في العلاقات بين العرب وأمريكا، وأكد له فيها أن الشعور العدائي للسياسة الأمريكية لا يصدر عن

---

(2) الطريق إلى جنيف، مصدر سابق، ص260.

روح البغضاء، بل عن طبيعة هذه السياسة المتحاملة على العرب، والمؤيد لإسرائيل.

**فرنسا:**

حمل الشقيري إلى جانب عداة العربي المستعمر للدول الأوروبية ، وحمل عداة شخصيا لفرنسا التي طردته من لبنان بسبب خطابه في ذكرى الشهداء في بيروت وحرمانه من متابعة الدراسة في الجامعة الأمريكية وكانت القضية الجزائرية بشكل خاص هي الميدان الرئيسي الذي نازل فيه فرنسا ، فصال وجال في الأمم المتحدة يدافع عن عروبة الجزائر واستقلالها، ويثأر لنفسه، ولكل عربي من الاستعمار.

ومنذ أن كان الشقيري مساعداً للأمين العام لجامعة الدول العربية كان يرى أن تكون لقضية الجزائر أولوية خاصة، وانه يجب التصدي لفرنسا لأنها عدت الجزائر أرضا فرنسية. ولما انتقل إلى الساحة الدولية في الأمم المتحدة عاش القضية الجزائرية القضية الجزائرية كل عمرها إلي أن استقلت الجزائر عام 1962، وحارب الاستعمار الفرنسي بكل الأسلحة، من غير مجاملة أو دبلوماسية"بالعنف المتطرف والقسوة المسرفة، فتلك خصائص الحرب، وطبيعة المحارب"<sup>(1)</sup>. وكان الرئيس ديغول هو الهدف، يسدد له انتقاداته كلها، لأنه رآه

---

<sup>(1)</sup> أربعون عاما، مصدر سابق، ص 473.

قادراً على حل القضية الجزائرية أو يعطل حلها. فكان يمتدحه كرئيس حركة تحرير فرنسية، ويهاجمه كرئيس دولة مستعمرة.

شهدت دورة 1955 أول صدام بين الشقيري وفرنسا بعد أن تقدمت أربع عشرة دولة إفريقية وآسيوية بطلب لإدراج القضية الجزائرية على جدول أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة، فعلت الصيحات الاستعمارية الفرنسية والبريطانية والأمريكية ترفض الإدراج بحجة أن ذلك تدخل في شؤون فرنسا الداخلية. ولما وافقت الجمعية العامة على طلب إدراج القضية الجزائرية انسحبت فرنسا من الجمعية ولجانها الرئيسية، واستنفذت الدول الغربية كل ما لديها من سلطان وقوة، وفاز اقتراحها بدعوة الجمعية العامة إلى عدم المضي في بحث القضية الجزائرية. وقد وقف الشقيري على المنبر الدولي ليقول: "كان على فرنسا بدلاً من أن تتسحب أن تواجه الأمم المتحدة، وأن تجعل الرأي العام هو الفيصل. بل إنه كان على فرنسا أن تتسحب من الجزائر قبل أن تتسحب من الأمم المتحدة"<sup>(1)</sup>.

ثم مضت الحرب الجزائرية يخوضها الشعب الجزائري الثائر، ومضت فرنسا، تعينها دول حلف الأطلسي، في مقاومة الثورة. وعادت الدول الإفريقية الآسيوية تطلب إدراج القضية على جدول الأعمال، وعادت الدول الغربية تعارض ذلك، فانبأ الشقيري يكشف جرائم الاستعمار الفرنسي في الجزائر وحملات الإرهاب

---

<sup>(1)</sup> أربعون عاماً، مصدر سابق، ص 475.



والتعذيب للمدنيين الجزائريين، ويسأل الوفود الغربية: "كيف تقفلون أبواب الأمم المتحدة في وجه القضية الجزائرية، نحن لا نريد لفرنسا إدانة ولا إهانة، كل ما نريده الوصول إلى حل سلمي ديمقراطي وفق أهداف الأمم المتحدة"<sup>(2)</sup>.

ودارت المعركة السياسية بين الشقيري وفرنسا في المنظمة العالمية عام 1957، وتولى الشقيري - بصفته رئيس الوفد السعودي - عرض القضية الجزائرية بعد أن سجل الوفد الجزائري مع الوفد السعودي. وقد اتهمه بينو وزير الخارجية الفرنسية آنذاك بالغوغائية والشيوعية. وانتهت الدورة بإصدار قرار يدعو إلى إجراء محادثات بين فرنسا والجزائريين، تهدف إلى الوصول إلى حل يتفق مع ميثاق الأمم المتحدة. لكن عام 1957 مضى، ومضى معظم عام 1958 دون أن تستجيب فرنسا لقرار الأمم المتحدة. وقام الشقيري خلال دورة الأمم المتحدة عام 1958 بالرد على أصدقاء فرنسا الغائبة عن الأمم المتحدة، ومضى يرد على الرئيس ديغول، ويفند الموقف الفرنسي، ويدعو الفرنسيين إلى الخروج من الجزائر، وانتهت الدورة بقرار يعلن حق الجزائر في الاستقلال.

ووقف الشقيري في الدورة الرابعة عشرة للأمم المتحدة عام 1959 يشرح للمجتمع الدولي المخاطر التي ينطوي عليها بيان الرئيس الفرنسي ديغول حول حل القضية الجزائرية، وتساءل: "هل تريد الأمم المتحدة أن تضع نفسها في خدمة

---

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه، ص 476.

المصالح الاستعمارية ؟ ثم اعلن من على المنبر أن "الحرب الجزائرية ستمضي إلى ان تحقق الحرية للشعب الجزائري والهزيمة لفرنسا ولا بد ان تنتصر الحرية في النهاية ؟

وجمع الشقيري في دورة عام 1960، الهجوم على فرنسا إلى الهجوم على أمريكا حين طلب الوفد الأمريكي ضبط النفس في القضية الجزائرية الحساسة، وادعى أن الخطب النارية لا تساعد على حل هذه القضية الملتهبة. وتساءل الشقيري: "تري، من الذي جعل القضية ملتتهبة؟ أهى خطبي النارية، أم أسلحتكم النارية؟"<sup>(1)</sup>. ولما طلبت بعض الدول الغربية مزيدا من الوقت بانتظار نتيجة الاستفتاء الذي وعد به ديغول، رد الشقيري قائلا: "نحن نرفض الاستفتاء... ولكن ما هو الاستفتاء؟ فقد جعل منه ديغول عملية مزدوجة ذات استراتيجية ذكية يريد من ورائها فرنسة الجزائر... ما هو الذي يقرر المصير. إن تقرير المصير عند الجنرال ديغول هو إفناء المصير"<sup>(2)</sup>.

وحمل الشقيري ملفاته ثانية إلى الأمم المتحدة عام 1961 ليتابع المعركة مع فرنسا في وقت أخفقت فيه في إخماد الحرب الجزائرية، كما أخفقت مفاوضات إيفان ولوجران بين الجزائريين والفرنسيين. وندد بمحاولة فرنسا الاحتفاظ بالصحراء الجزائرية وبمناطق عسكرية وبتروولية للجاليات الفرنسية، ثم انتهى بقول

---

<sup>(1)</sup> أربعون عاما، مصدر سابق.

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه، ص 485.

حاسم: "طال كلامنا في الأمم المتحدة عن قضية الجزائر، وطال عصيان فرنسا لقرارات الأمم المتحدة، ولكن صبر الشعب الجزائري لن ينفد، وسيظل يحمل السلاح حتى تتحقق له حريته واستقلاله"<sup>(3)</sup>.

وذهب الشقيري إلى الأمم المتحدة عام 1962 ليشهد قبول الجزائر المستقلة عضواً في الأمم المتحدة. وقف يرحب بالجزائر العربية الإفريقية المكافحة، وانتقلت إلى الوفد الفرنسي الذي عاد إلى مقدمة بعد غياب طويل، فقال: "الآن انتهت الحرب بين فرنسا والجزائر، والآن ينتهي الحوار بيننا وبين فرنسا في الأمم المتحدة... وإنني أرى من واجبي أن أعترف، من غير أن أعذر... لقد كنت قاسياً، بالغ القسوة على فرنسا، وعلى الجنرال ديغول.. ولكن هذه هي الحرب. إن الجنرال ديغول انتصر على النازية، أما الآن فلقد انتصر على الفكرة الاستعمارية. وقد كان بطلاً قومياً، وأصبح الآن رجلاً عالمياً... وإن الأمة العربية تتطلع إلى صفحة جديدة مع هذا البطل القومي، والرجل العالمي..<sup>(1)</sup>".

**الاتحاد السوفييتي:**

نشأ الشقيري - باعترافه - كارهاً للاتحاد السوفييتي، ثم انقلب، وأصبح صديقه.. كرهه، أول الأمر، في بداية العشرينات، للمجازر التي سمع أن

---

<sup>(3)</sup> المصدر نفسه، ص 487.

<sup>(1)</sup> أربعون عاماً، مصدر سابق، ص 488.

الشيوعيين يرتكبونها، وأقلقه أن الشيوعية تهدف إلى إنشاء دولة عالمية، وأنها دعوة إلحادية تدعو للإباحية. لكن، حين بدا للشقيري وجيله أن حلفاء العرب قد خانوا عهودهم، وأخذوا يبنون وطناً قومياً لليهود، تحركت العقول نحو النصير، فلم يجدوه في ألمانيا وتركيا، لذلك التقت الشباب إلى الشيوعية وإلى الاتحاد السوفييتي، وكان الشقيري واحداً من هؤلاء الملتفين، لكنه ظل كارهاً للإلحاد. قد بدأ يقرأ عن الاتحاد السوفييتي، وازداد اتصاله بعصبة الشباب\*، ودار بينه وبين بعضهم حوار عن الشيوعية، وموقفها من القضية الفلسطينية.

بعد الحرب العالمية الثانية بدا للجيل الصاعد أن لا بدّ من الاتجاه إلى الاتحاد السوفييتي طلباً للنصرة والتأييد، بعد أن فقد الأمل في الدول الغربية، وغدا هذا الجيل يردد قول تشرشل: "فلنتحالف مع الشيطان لتحقيق النصر"، وازداد ظهور الشباب اليساريين، ولا سيما في حيفا، حيث أصدرت جريدة "الاتحاد"، وحضر الشقيري ندواتهم ومجالس حوارهم. وقد زاره في منزله مطران موسكو، ودار بينهما نقاش حول المسألة اليهودية وحول الدين.

---

\* يقصد "عصبة التحرر الوطني" التي أعلنت منظمة سياسية مستقلة في شهر أيلول عام 1943، أسسها أعضاء منشقون عن الحزب الشيوعي الفلسطيني، وبات معروفاً عنها أنها التنظيم الشيوعي للعرب.

وكان الشقيري يرى أن يذكر الاتحاد السوفييتي في بيان مؤتمر قمة أشخاص عام 1946. وقد صرح برأيه للرئيس السوري شكري القوتلي، واحتج له بقوله: "إن الاقتصار على الدولتين الديمقراطيةين، وهما أصل البلاء، وتجاهل دولة عظمى كالاتحاد السوفييتي، وقد خرجت منتصرة في الحرب العالمية، سيؤكد أننا ما زلنا نسير في فلك الدول الغربية، وهي التي احتضنت الصهيونية، وما تزال"<sup>(1)</sup>. لكن المؤتمرين لم يأخذوا برأي الشقيري.

ومع تصاعد نشاط الإرهاب اليهودي في فلسطين عام 1947 ازداد نشاط الشباب اليساريين في فلسطين، وقويت دعوتهم إلى طرح القضية الفلسطينية على الرأي العام، وأخذوا يدافعون عن فكرة عرض القضية على الأمم المتحدة، وألحوا على الشقيري لتنظيم اجتماعات وطنية شعبية لمساندة الاقتراح. وكان الشقيري يخالفهم، ولا يرى أملا في الأمم المتحدة، لأنها امتداد لعصبة الأمم.

وقد لاحظ الشقيري أن الوفود العربية إلى دورة الأمم المتحدة عام 1947 دائمة الاتصال بالوفد البريطاني، لعل وعسى... فاقترح على الرئيس السوري شكري القوتلي، وعلى رئيس وزراء سوريا جميل مردم أن يرسلوا برقية إلى الوفد السوري كي تتصل الوفود العربية بالوفد السوفييتي للحصول على تأييده.. أو حياده. لكن الوفود العربية عارضت ذلك، في حين كان اليهود أكثر نكاء وفهما

---

<sup>(1)</sup> أربعون عاما، مصدر سابق، ص 269.

للأوضاع الدولية"<sup>(2)</sup> على حد قول الشقيري. وأيد الاتحاد السوفييتي قرار التقسيم بصراحة وقوة وعناد. وقد انكمش اليساريون الفلسطينيون، وتابعهم الشقيري يناقشهم، فبرروا موقف الاتحاد السوفييتي بأن الوفود العربية لم تتصل بالوفد الروسي، وبأن عدداً من الحكومات العربية تسير في فلك الدول الاستعمارية... إلى غير ذلك من التبريرات التي لم تقنع الشقيري، فانتهى ما بينه وبين اليساريين من حوار، بعد أن كان يأمل أن ينقلوا تفكير العرب إلى موسكو، لا العكس.

وللشقيري رأي في تفسير موقف الاتحاد السوفييتي خلال اجتماعات الأمم المتحدة في باريس خريف 1948 بعد مقتل الوسيط الدولي الكونت برنادوت، وعند مناقشة تقريره، وتعيين لجنة التوفيق الدولية، فقد اكتفى آنذاك بالمراقبة دون التدخل، قاصداً من وراء ذلك أن يوقع الإنكليز والأمريكان في "وحل" هذه القضية.

وفي غمرة معارك الشقيري في المجال الدولي، بكر في التحالف مع الوفود الشيوعية، وعلى رأسها الوفد السوفييتي، "في وقت كانت ترتجف أعصاب الحكام في العالم العربي إذا أعلن أي مندوب عربي تضامنه مع الوفد الروسي، ولو على حق..<sup>(1)</sup> بدأ هذا عام 1952، حين كان الشقيري رئيساً للوفد السوري إلى الأمم المتحدة، من أجل مواجهة مشروع قرار يدعو للدخول في مفاوضات مباشرة سمي

---

(2) المصدر نفسه، ص 286.

(1) أربعون عاما، مصدر سابق، المقدمة.

"مشروع الثمانية"، رأى فيه الشقيري تسوية للقضية الفلسطينية لمصلحة إسرائيل. وأدرك أنه لا بد من اللجوء إلى الاتحاد السوفييتي لكسب تأييده، وبالتالي تأييد الدول الاشتراكية كلها حتى تصوت ضد هذا القرار. وقد اتصل بالوفد السوفييتي، وتعرف على رئيسه فيشنسكي، وحدثه عن القضية الفلسطينية، وعن تطلع العرب إلى نصرة الدول الاشتراكية، وعما تحمله الجماهير العربية من بغض للاستعمار الغربي. وأثمرت جهود الشقيري، ووقف الاتحاد السوفييتي والدول الاشتراكية إلى جانب العرب، ولم يظفر مشروع القرار بأكثرية الثلثين. وقد أعلن الشقيري من فوق منبر الجمعية العامة، بجرأة وقوة، شكر الأمة العربية للاتحاد السوفييتي وللدول الاشتراكية، وأطرى موقفها.

وعلى الرغم من ابتهاج الوفود العربية لإخفاق "مشروع الثمانية" كانت هذه الوفود خائفة من مغامرته مع الاتحاد السوفييتي. وكان هذا الموقف بداية عهد جديد، اتبعت فيه موسكو سياسة جديدة، وصفها الشقيري بأنها "لم تكن عربية كاملة بالنسبة للقضية، ولكنها كانت صمام الأمان، أنقذت الموقف العربي من أزمات كثيرة، وخاصة في مجلس الأمن"<sup>(1)</sup>. أما بالنسبة إلى الشقيري، فقد كان ذلك بداية لتحالف مع الاتحاد السوفييتي في جميع القضايا الدولية، من غير تعليمات ولا توجيهات"<sup>(2)</sup>، وأخذ يوافق على اقتراحات السوفييت في الأمم المتحدة،

---

<sup>(1)</sup> أربعون عاما، مصدر سابق، ص 362.

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه.

ويثني على خطبهم طمعا في كسب تأييدهم للعرب في قضية فلسطين، وأصبحت هذه العلاقات تنمو مع الزمن في مختلف القضايا العربية والدولية، التي عرضت على الأمم المتحدة.

وقد التقى الشقيري في أروقة الأمم المتحدة عام 1953 مولوتوف، فحدثه عن الأوضاع العربية والأهداف الاستعمارية والخطط الصهيونية في السيطرة على الوطن، وأكد له أن الوقوف في وجه هذه الأطماع يحتاج إلى أمة عربية قوية، لا تعتمد على الغرب في سلاحها. وطلب -باسم سوريا - تزويدها بالأسلحة بالشروط المناسبة، فوعد مولوتوف بنقل الطلب إلى موسكو. وعد الشقيري ذلك نقطة انعطاف في تاريخ المنطقة، وتطورت الأمور بعدها "فكسرت مصر وسوريا طوق السلاح المفروض"<sup>(1)</sup>.

وعبر الشقيري بصراحة عن تقديره للاتحاد السوفييتي في دورة الجمعية العامة عام 1957، وكان قد أصبح رئيسا للوفد السعودي. وقد أشار في معرض الحديث عن القضية الفلسطينية إلى ما تكنه الأمة العربية من التقدير للاتحاد السوفييتي لأنه لا يسمح لليهود بالهجرة إلى فلسطين، ولأنه يحرم الصهيونية، ويعدها حركة غير مشروعة. وكان الشقيري يمتدح الاتحاد السوفييتي "ودهشة الوفود من هذا (السعودي) الذي يكيل الثناء للروس الملحدين"<sup>(1)</sup>. وقد رأى الشقيري أن من

---

<sup>(1)</sup> أربعون عاما، مصدر سابق، ص 369.

<sup>(1)</sup> أربعون عاما، مصدر سابق، ص 408.



واجبه اتخاذ هذا الموقف من الاتحاد السوفييتي للمساعدات التي يقدمها للعرب، وليجابه حملة الدول الغربية على الاتحاد السوفييتي، واتهامه بأنه جعل الشرق الأوسط قاعدة عسكرية.

وفي دورة الأمم المتحدة عام 1960 التي خلع فيها الرئيس السوفييتي حذاءه ولوّح به وضرب المائدة أمامه، قام الشقيري، فصافح خروشوف، وهناه، وحياه. وعلى الرغم من أنه رأى عمل خروشوف غير مألوف، فإنه اعتقد أن المعسكر الغربي الذي يسيطر على الأمم المتحدة، ويطوق الدول الشيوعية طوال خمسة عشر عاماً، كان "مستحقاً للتأديب بأسلوب غير أديب"<sup>(2)</sup>. وقد بالغ الشقيري في الثناء على خروشوف. كما زاره في مقره، وشرح له القضايا العربية، وفي مقدمتها قضية فلسطين.

لكن اللقاء الكبير مع خروشوف كان في (سوجي) على شاطئ البحر الأسود في صيف عام 1961 تلبية لدعوة خاصة شخصية. وقد عزم الشقيري أن يجعل حديثه في موسكو عن الأمة العربية بأسرها وعن مشكلاتها وقضاياها، ولا سيما قضية فلسطين. فاجتمع أولاً بغروميكو وزير الخارجية، واستعرض معه شؤون الوطن العربي، وأسهب في الحديث عن السياسة الأمريكية في الوطن العربي، وما تهدف إليه من السيطرة عليه واستغلال ثرواته. وأبدى غروميكو استعداد

---

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه، ص 432.

الاتحاد السوفييتي لمساعدة الدول العربية اقتصادياً وعسكرياً وسياسياً، داخل الأمم المتحدة وخارجها، وأبدى تأييده لحق اللاجئين الفلسطينيين في العودة والتعويض، وندد بالاعتداءات الإسرائيلية، أما فوق ذلك فقد استحسن أن يبحث شأنه مع خروشوف مباشرة.

التقى الشقيري بخروشوف في سوجي، وحدثه عن فلسطين من خلال القضية العربية، وصارحه بأن موقف روسيا إلى جانب الاستعمار عام 1947 كان خطأ كبيراً. وعلّل خروشوف ذلك بالعودة إلى تاريخ الشيوعية وقيام الاتحاد السوفييتي وانشغاله – أول الأمر – عن مشكلات العالم العربي.. وصرح للشقيري بأن وقوف الاتحاد السوفييتي مع التقسيم هو قرار ستالين. وأكد للشقيري أن الاتحاد السوفييتي سيستمر في دعم الشعوب العربية وتقويتها، لأن قيام إسرائيل إنما كان بسبب ضعف الدول العربية. وكان الحديث – برأي الشقيري – مشجعاً، قوياً في تأييد العرب، عده تطوراً كبيراً في سياسة الاتحاد السوفييتي، فهو أول كلام من نوعه عن روسي مسؤول. وأعلن خروشوف للشقيري أنه لن يتأخر في معاونة شعب فلسطين الذي يكافح من أجل حقه ووطنه. وقد هاجمت الصحافة الأمريكية الشقيري بسبب هذه الزيارة للاتحاد السوفييتي، واتهمته بالشيوعية.

ظلّ الشقيري، خلال عمله في الأمم المتحدة، باحثاً عن صداقة الاتحاد السوفييتي. يقول عن نفسه: "مضيت في ركب الاتحاد السوفييتي، أحارب حربهم،

ولا أسألم سلمهم<sup>(1)</sup>. ولما قامت منظمة التحرير الفلسطينية، وقويت الحاجة إلى السلاح، التقت الشقيري يبحث عن رصيده في الدول الاشتراكية، وعلى رأسها الاتحاد السوفييتي، وهو باعتقاده فريق رئيسي في الصراع الدولي ضد المعسكر الغربي، ولا بدّ من الاتصال به أولاً. لذلك سعى لدى السفارات السوفييتية في البلاد العربية، وقابل كبار رجال الدولة الروس في أسفاره الكثير، وطلب العون، والسماح بفتح مكتب للمنظمة في موسكو، وبمنح المنظمة عدداً من البعثات.. لكن جهود الشقيري لم تثمر، وكان جواب موسكو دائماً متحفظاً.. مما دفع الشقيري إلى الاتصال بالصين. وبرر تحوله بقوله: "فقد طرقت أبواب موسكو أولاً... ولكن الاتحاد السوفييتي لا يوافق على تحرير فلسطين"<sup>(2)</sup>. ويعلّل تغير الموقف السوفييتي بتغير القيادة السوفييتية عام 1963 وذهاب خروشوف صاحب المغامرات والمبادرات.

وعلى الرغم من ذلك كله عاد الشقيري يحاول الاتصال بالزعماء السوفييت عندما زار كوسيجين رئيس الوزراء مصر عام 1965. وقد أوجز الشقيري لكوسيجين مطالب المنظمة السياسية والثقافية والعسكرية، وعرض السفر إلى موسكو لشرح القضية للمسؤولين هناك. ووعده كوسيجيس بنقل مطالبه إلى مجلس السوفييت الأعلى. لكن موسكو لم تستجب لها، واعتذرت عن عدم الموافقة

---

<sup>(1)</sup> من القمة إلى الهزيمة، مصدر سابق، ص 216.

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه، ص 270.

على زيارة الشقيري محتجة بأن الموقف الدولي صعب، فأدرك أن الصداقة الدولية مثل الفاكهة الموسمية، لا تدوم<sup>(2)</sup>، وأن الشقيري رئيس المنظمة هو غير الشقيري المندوب في الأمم المتحدة، وأيقن أن السياسة السوفييتية ما زالت عند موقفها، فإسرائيل يجب أن تبقى، وتحرير فلسطين غير قائم إطلاقاً، ومنظمة التحرير ليس لها مكان في السياسة السوفييتية.

ظل الشقيري على غير يقين من مقاصد السياسة السوفييتية، لذلك زار سفير الاتحاد السوفييتي في القاهرة ثلاث مرات في شهر أيار 1967 أثناء الأزمة المتصاعدة التي سبقت العدوان الإسرائيلي، وحاول أن يتعرف على موقف الاتحاد السوفييتي من احتمالات الحرب ورأيه في سحب القوات الدولية ومسألة خليج العقبة. وسمع من السفير العبارات التقليدية بتأييد العرب، وبتقديم المساعدات، وبعدم السماح بالعدوان والتدخل الأجنبي... مما دفع الشقيري إلى الإحساس بأن موسكو تريد أن تقف عند حدود معينة، لا تريد أن تتجاوزها. وعلى الرغم من بيان موسكو الرسمي في 1967/5/23 بتأييد الدول العربية في الأزمة، والتحذير من شن العدوان، ظلّ الشقيري حائراً، بين الشك واليقين، لا يعرف ما يريد الاتحاد السوفييتي، وما يستطيع، وما لا يستطيع، وأحس أن الاتحاد السوفييتي يريد أن يتجنب الحرب، ويسعى لإنهاء الأزمة بالضغط الدولي. وقد قال الشقيري لوفد العمال العرب الذين التقى بهم في 1967/5/26 أن الاتحاد السوفييتي "لا يدخل

---

(2) أربعون عاماً، مصدر سابق، ص 472.

أي حرب من أجلنا، ومن أجل تحرير وطننا... يمدنا بالسلح، ولا يمدنا بإرادة القتال.. نحن نشكر الاتحاد السوفييتي معاونته العسكرية ومساندته السياسية... ولكن هذه الحرب التي نواجهها مع إسرائيل هي حربنا.. أمريكا هي العدو... وأمرها مع إسرائيل، يختلف عن أمر الاتحاد السوفييتي مع العرب"<sup>(1)</sup>.

ولاحظ الشقيري أن دور الاتحاد السوفييتي في مجلس الأمن خلال عدوان 1967 كان امتداداً لدوره في الشرق الأوسط، وهو أحد أوراق اللعبة الدولية الكبرى في ميزان القوى بين الدولتين. وقد دافع عن الموقف العربي سياسياً ومنطقياً وقانونياً في وقت كان الأمر يحتاج - في رأي الشقيري - إلى موقف صلب حازم كما كانت عليه الحال عام 1956. لذلك لم تتعد التهديدات الروسية عام 1967 الإطار السياسي والعبارات الدولية المألوفة.

وفي تصوير الشقيري للموقف العربي الجماهيري تجاه الاتحاد السوفييتي بعد حرب 1967 تعبير عن موقفه الشخصي ورأيه الخاص. فالاتحاد السوفييتي فريق رئيسي في نزاع الشرق الأوسط، لذلك خاب أمل الأمة العربية فيه، وتحولت التساؤلات إلى حملة كبرى عليه. ويعجب الشقيري من "أن يتخذ الاتحاد السوفييتي، وهو الصديق، موقفاً بارداً جامداً، والصدقة دافئة متحركة"<sup>(1)</sup>. وكان اكتهاء الاتحاد السوفييتي بقطع العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل في 9/6/1967

---

<sup>(1)</sup> الهزيمة الكبرى، مصدر سابق، ج 1، ص 146.

<sup>(1)</sup> الهزيمة الكبرى، مصدر سابق، ج 2، ص 28.

خيبة أمل له ولأمة العربية. فقد كان عليه أن، يتخذ خطوة ما تصون ماء وجهه أمام الأمة العربية. وكان أثر اقتراح الاتحاد السوفيتي عقد جلسة طارئة للجمعية العامة للأمم المتحدة بارداً باهتاً.

ويتابع الشقيري خطاب كوسيجين في الأمم المتحدة آنذاك، فيراه خطاباً منطقياً جيداً، ولكنه ليس خطاب دولة عملاقة، يتوقع هو والعرب كافة أن تتخذ موقفاً أشد صلابة . ويدرك أن الاتحاد السوفيتي ينظر إلى أزمة الشرق الأوسط في إطار الحالة الدولية الشاملة وإطار مصالحه، وحلها مرتين بالاتفاق مع الولايات المتحدة في شأن القضايا الدولية المتعددة وإن المفاوضات مع إسرائيل، بشكل أو بآخر، لا مفر منها، وإن احداً لا يمكن أن يجازف باحتمال نشوب حرب نووية من أجل مشكلة الشرق الأوسط. وعلى الرغم من أن مشروع القرار السوفيتي أمام الجمعية العامة جاء متفقاً مع مطالب الأمة العربية، اتضح للشقيري وهو يسمع أخبار اجتماع كوسيجين والرئيس الأمريكي جونسون "أن قضية الشرق الأوسط لم تكن همه الأوحد"<sup>(1)</sup>.

وزاد شعور الشقيري بالخيبة من موقف الاتحاد السوفيتي أثناء زيارة الرئيس السوفيتي بودغورني لمصر في 1967/6/20؛ كانت كلماته في خطابه الأول متحفظة لا تبعث على الأمل؛ فقد تحدث عن تسوية سلمية لشرق الأوسط، وألمح

---

(1) الهزيمة الكبرى، مصدر سابق، ج1، ص60

إلى أن الضغط الدولي كفيل بحمل إسرائيل على الانسحاب وإن الالتجاء إلى القوة يمكن التفكير فيه حينما تفشل كل الجهود السياسية والدبلوماسية. وقد وجد الشقيري البيان المشترك بعد اجتماعات بودغورني وعبد الناصر مبهماً غامضاً، ليس فيه التزام واضح من الاتحاد السوفيتي ، ولا إشارة حتى إلى احتمال صدام مسلح.

واطلع الشقيري على اقتراحات الاتحاد السوفيتي الجديدة لتسوية أزمة الشرق الأوسط من خلال الأمم المتحدة، والتي حملها إلى القاهرة نائب وزير الخارجية السوفيتية جاكوب مالك، فراها تدور حول حق إسرائيل في السيادة، وضرورة إزالة حالة الحرب، والتفاهم مع الولايات المتحدة لاستصدار قرار من الأمم المتحدة حول ذلك. وأخبر الشقيري نائب وزير الخارجية بعدم جدوى هذه المقترحات، وبأن فيها تصفية للقضية الفلسطينية.

كذلك أدرك الشقيري من البيان الذي صدر عقب زيارة الرئيسين بو مدين وعبد السلام عارف لموسكو في شهر تموز/يوليو 1967 أن الرئيسين قد فشلا في السوفييت بالضرورة الملحة لاستئناف القتال، وأن الرئيسين عادا من موسكو "بمجموعة من النصائح السياسية القيمة، ويمكن أن تقدمها أية دولة أخرى لا تملك حشدا ضخما من الأساطيل في البحر المتوسط، وليس لديها أسلحة متقدمة

تحسم مصير المعركة"<sup>(1)</sup>. وتبين له أيضاً من هذا البيان أن تصفية آثار العدوان هي أهم شرط لإعادة السلام إلى الشرق الأوسط. وتؤكد للشقيري ذلك الاتجاه للاتحاد السوفيتي بصدور القرار 242 عن مجلس الأمن، والذي أثبت له أن الاتحاد السوفيتي يؤيد الوصول إلى تسوية سليمة لإزالة العدوان.

وتأكد الشقيري من موقف الاتحاد السوفيتي من القضية الفلسطينية أثناء عرض قضية الشرق الأوسط أمام مجلس الأمن في حزيران/يوليو 1973، فعلى رغم تأييده الدولة العربية، لا ننسى أن ذلك إنما تسوية الصراع يجب أن تتم بالطرق السلمية فقط. ولاحظ الشقيري أن مندوب الاتحاد السوفيتي انعطف - خلال المناقشات - إلى موضوع الوفاق الدولي، وأشاد به، وبأثره في السلام العالمي، وكأنه اتخذ من أزمة الشرق الأوسط مناسبة دولية للتحدث عن فضائل الوفاق، وأصبحت أزمة الشرق الأوسط في رأي الشقيري "مكدسة في العربة الأخيرة في قطار الوفاق، تسبقها عربات كثيرة"<sup>(1)</sup>. وجاءت الصياغة الرخوة لقرار مجلس الأمن رقم 338 لوضع حد لحرب أكتوبر دليلاً عند الشقيري على اتفاق العملاقين على احتكار أزمة الشرق الأوسط، وكانت كلمة المندوب الصيني التي وجه فيها الاتهام للاتحاد السوفيتي معبرة، في نظره أيضاً، وعن رأي إنسان العالم الثالث المبتلى بالوفاق الدولي الذي يقرر مصير دول العالم. ويوجه الشقيري النقد إلى

---

<sup>(1)</sup> الهزيمة الكبرى، مصدر سابق، ج2، ص80

<sup>(1)</sup> الطريق إلى جنيف، مصدر سابق، ص109.



خطاب غروميكو في جلسة افتتاح مؤتمر جنيف 1973، لكنه يستدرك أخيراً فيقول: "فليس من حقنا أن نغيب على الاتحاد السوفيتي يصدد سياسته في الشرق الأوسط وبصدد قضية فلسطين بالذات.....أن الاتحاد السوفيتي، كدولة عظمى، له نظرتة الاستراتيجية الكبرى في العالم، وفي الشرق الأوسط بالذات...وينظر إلى مشكلتنا لا بمنظارنا، لكن بمنظاره هو في إطار الوفاق الدولي، كجزء من مشاكله الكبرى مع الولايات المتحدة"(2).

#### الصين الشعبية:

بدأت صداقة الشقيري ورئيس وزراء الصين الشعبية شو إن لاي منذ مؤتمر باندونغ عام 1955 أيام كان الشقيري مع الوفد السوري، والشقيري وشو إن لاي، شرح الشقيري القضية الفلسطينية في إطار الاستعمار العالمي، وانتهى الاجتماع بعهد من شو إن لاي بتأييد القضايا العربية وقضية فلسطين. وبالفعل، أيد القضية الفلسطينية أمام اللجنة السادسة للمؤتمر . وقد أحس الشقيري آنذاك أن صداقة قد توطدت أركانها بينه وبين شو إن لاي.

وبعد قيام منظمة التحرير عام 1946، بسبب الحاجة الملحة إلى السلاح، واتصل الشقيري بسفارة الصين الشعبية في القاهرة يطلب زيارة الصين الشعبية، فوافق شو إن لاي على ذلك دون تردد أو تمهل، وقد قام الشقيري بهذه الزيارة في شهر آذار/مارس 1965 برفقة وفد فلسطين يمثل قطاعات المنظمة ويتألف من:

---

(2) المصدر نفسه، ص ص 238- 239

أحمد الشقيري رئيساً، وعضوية السادة اللواء وجيه المدني عن جيش التحرير وعبد الرحمن السكسك وعبد الخالق يغمور وخالد الفاهوم عن اللجنة التنفيذية، ورفعت النمر وعبد المحسن قطان عن الصندوق القومي، والدكتور فاضل زيدان وجميل بركات وعبد الحميد طقش وشفيق التريزي عن المجلس الوطني، والنقيب فخري شقورة مرافقاً عسكرياً لقائد جيش التحرير. وكان استقبال الوفد في كل مدينة زارها حافلاً عظيماً، أشعر الشقيري بأن "الصين العظيمة" كلها في خدمة الوفد الفلسطيني. وقد عبر في كلماته التي ألقاها هناك عن تطعيه لقيام روابط ثورية بين الصين المنظمة، والانتفاع بتجارب الصين في مقاومة الاستعمار. وحدث شو إن لاي، في لقائهما في بكين، عن أمل الشعب الفلسطيني في الصين، وعرض عليه مطالبه في التأييد السياسي، والعون العسكري. واستجاب رئيس وزراء الصين لهذه المطالب، ووعد بإرسال الأسلحة مجاناً وبتدريب ضباط فلسطينيين على حرب العصابات، على ووافق على فتح مكتب للمنظمة في بكين له حصانة دبلوماسية، وأعرب للوفد الفلسطيني عن استعداد الصين لمساندة الشعب الفلسطيني في نضاله الثوري لتحرير وطنه.

وكان الشقيري خلال لقاءاته المتعددة مع المسؤولين الصيني وجماهير الشعب الصيني في المدن الكبرى يشرح القضية الفلسطينية وأوضاع الشعب الفلسطيني وتصميمه على تحرير وطنه، ويشكر الصين لتفهمها الثوري الأصيل للقضية الفلسطينية، ويعقد المقارنات بين المشكلات العربية والصينية. ومما قاله

في الاجتماع الشعبي في بكين: "إن شعبنا هو من العمال والفلاحين والمتقنين، وتآمرت عليه الإمبريالية الأمريكية والرأسمالية الصهيونية، وإن معركتنا هي جزء من النضال العالمي للتحرير الوطني".<sup>(1)</sup>

وكان توقيع البيان المشترك في 1965/3/22 إنجازاً كبيراً ونصراً سياسياً للمنظمة، ملأ نفس الشقيري سعادة، فأعلن في المؤتمر الصحفي قائلاً: "إننا لسنا حكومة، ومع ذلك فالبيان حديث ثوري في عالم القانون الدولي والصين الثورة أدخلت الاعتراف الثوري.....إنه اعتراف الثوار بالثوار"<sup>(2)</sup>. وقد نص البيان المشترك على أن الفريقين تبادلوا الآراء وتوصلا إلى تفاهم مشترك حول قضية فلسطين وتأييد الشعب الصيني لكفاح الشعب العربي الفلسطيني وتعزيز التضامن بين الشعب الصيني والشعوب العربية ضد الإمبريالية، تنمية التضامن الآسيوي الإفريقي، وعلى أن القضية الفلسطينية في جوهرها هي عدوان سافر من قبل الصهيونية، تدعمها الإمبريالية، وعلى رأسها الولايات المتحدة، وإن كفاح الشعب العربي لا علاقة له بالعنصرية أو الكراهية الدينية، وأنه جزء من كفاح شعوب آسيا وإفريقيا ضد الإمبريالية العالمية، وإن الاستعمار الأمريكي ليس عدو الشعب الفلسطيني وحده، بل شعوب العالم، وإن الشعب الصيني سيستمر في تقديم التأييد للشعب الفلسطيني دون تحفظ. وأشار البيان إلى أن سياسة الأمم

---

<sup>(1)</sup> من القمة إلى الهزيمة، مصدر سابق، ص237.

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه، ص250.

المتحدة إزاء مسألة فلسطين خاطئة منذ البداية، وإن الأمم المتحدة تحولت إلى أداة للإمبريالية، ولا بدّ من إعادة تنظيمها بصورة أساسية.

كانت زيارة الصين مكسباً كبيراً للقضية الفلسطينية. ظلّ الشقيري يعتز به ويعبر عن تقديره لموقف الصين في كل مناسبة. وقد أصاب الشقيري بسبب ذلك كثير من الأذى، ووجهت إليه الاتهامات بالشيوعية، وفترت، بنتيجة الزيارة، علاقته مع القاهرة، لأن القاهرة رأت فيها إشارة إلى صلاتها القوية مع موسكو، حليفها آنذاك، إذ كانت "موسكو عند عبد الناصر أهم في موازين القوى العالمية، من بكين، وإن صداقة الأولى أنفع له من الثانية"<sup>(1)</sup>.

#### مجموعة الدول الآسيوية والإفريقية:

تابع الشقيري، خلال عمله في الساحة الدولية، التطور البطيء والإيجابي لمواقف الدول الآسيوية الإفريقية في تأييد للقضايا العربية بوجه عام، والقضية الفلسطينية بوجه خاص. وقد قبل الاشتراك في عضوية الوفد السوري إلى مؤتمر باندونغ عام 1955 بعد تردد، حين علم أن بعض الدول الآسيوية تعارض إدراج المسألة الفلسطينية في جدول أعمال المؤتمر. وليس هناك أن المؤتمر – في حقيقته الداخلية – كن يمثل العالم في انقساماته إلى كتل شرقية

---

<sup>(1)</sup> من القمة إلى الهزيمة، مصدر سابق، ص 270.

وكتل غربية وثالثة محايدة مستقلة، واطلع على الضغوط الخارجية التي قامت بها الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا لإحباط المؤتمر.

وكانت إسرائيل مشكلة أخرى من مشكلات باندونغ، إذ وجد اتجاه يؤيد دعوة إسرائيل للاشتراك في المؤتمر بحجة أنها دولة معترف فيها في الأمم المتحدة، ولها علاقة دبلوماسية مع عدد من الدول الإفريقية والآسيوية. ولما وقف رد الفعل العربي العنيف في وجه هذا الاتجاه، فلم توجه الدعوة إلى إسرائيل لحضور المؤتمر، سعت هذه جهدها كي لا تثار القضية الفلسطينية في باندونغ. وقد تمثل هذا أثناء إعداد جدول الأعمال، حين اقترح بعض المندوبين - كمندوب الهند ومندوب سيلان - أن يقتصر جدول الأعمال على الأعمال المبادئ لا القضايا، وأن يقتصر على بحث القضايا العالمية لا الإقليمية. وتولى الشقيري الرد على ذلك ببيان أن قضية فلسطين هي قضية استعمارية عالمية، والصهيونية حركة عالمية عدوانية، ثم شرح خطر القضية على السلم الدولي، وبين أنهما قضية تقوم على الحرية وتقرير المصير، ولا معنى للمؤتمر بدون مناقشتها، فلسطين هي الجسر الذي يصل شعوب المؤتمر في آسيا وإفريقيا. وكادت الأمور تنتهي إلى أزمة بين الشقيري ومصر على إدراج القضية في جدول الأعمال ونهرو الذي لا يرى مناقشة القضية في غياب إسرائيل، لكن شو إن لاي وفق بين الطرفين واقترح بحث القضية تحت مبدأ تقرير المصير. وكان ذلك حلا وسطا رضي به الجميع. وشرحت الوفود العربية القضية الفلسطينية وفق ذلك، وصدر قرار تأييد لحق

الشعب الفلسطيني، قريب في صيغته من قرارات الأمم المتحدة. والشقيري رأى ذلك أمراً طبيعياً، ولأن بعض الدول المشاركة في مؤتمر باندونغ معترفة بإسرائيل، لذلك لم يكن من اليسير الحصول على قرار بعيد المدى.

وثارت في اللجنة السياسية للمؤتمر معركة بين الكتلة الغربية والكتلة الشرقية، وظهر الخلاف عند الاستعمار والحياد والأحلاف والسلم العالمي، حتى إن المجموعة العربية نفسها ظهر فيها معسكران خاضا هذه المعركة. وقد تولى الشقيري، أكثر من مرة، الرد على ممثلي الكتلة الغربية من العرب، وعلى الرغم من كل هذه الخلافات التي كانت توصل المؤتمر التي اتخذت بالإجماع في 1955/4/24 إنجاز كبير قفز بالمؤتمر من قمة النصر، وجعل الشقيري يقول "حل مؤتمر باندونغ مكان الصدارة في تاريخ العلاقات الدولية، كأعظم حدث سجله تضامن الشعوب الآسيوية الإفريقية"<sup>(1)</sup>.

وقد كان الشقيري يعبر عن سعادته لانضمام عدد كبير من الدول الإفريقية والآسيوية الى الأمم المتحدة، ويعد انضمامها إلى المنظمة الدولية كسباً لقضايا الحرية والسيادة بشكل عام ولقضية فلسطين بشكل خاص. وقد أشار إلى ذلك في كثير من خطبه في الأمم المتحدة من ذلك دورة عام 1960، التي يسميها "دورة إفريقيا"<sup>(1)</sup> بسبب قبول عدد كبير من الدول الإفريقية التي طرحت قيود

---

<sup>(1)</sup> أربعون عاما، مصدر سابق، ص 387.

<sup>(1)</sup> دفاعا عن فلسطين والجزائر، مصدر سابق، ص 51.

الاستعمار. وقد رأى أن الأمم المتحدة التي كانت قائمة عام 1947 لم تعد موجودة، ودعا إلى أن يحضر مؤتمرات الندوة قادة سياسة الحياد الإيجابي ليكونوا عامل استقرار يساعد على تسوية الخلافات الدولية. ولفت انتباه الوفود الإفريقية والآسيوية إلى أن إسرائيل تتحدث بمنطق الاستعمار الذي عانوا منه، وتزعم - كما زعموا - أنها جاءت ووجدت لتحل الصحارى إلى جنات. ووجه انتباههم أيضا إلى أن المسألة الفلسطينية إنما هي قضية استيطان استعماري يجب أن تستأثر بتأييد جميع الشعوب التي تتحرى العدالة في العالم.

وظلّ الشقيري يراقب، باهتمام بالغ، تزايد عدد المجموعة الآسيوية الإفريقية في المنطقة الدولية، بسبب ما يحمل هذا التزايد من ثقل في تأييد القضايا العربية. وما هو يعلق على صدور قرار مؤيد لموقف العرب في الدورة 27 للجمعية العامة خريف 1972، ساهمت في إقراره وتأييده جميع الدول الصديقة، فيقول: "ويقينا، لو أن قرار التقسيم يعرض على الأمم المتحدة في هذه الأيام، بعد أن تكاثرت فيها الدول الآسيوية والإفريقية بما يزيد على ثمانين عضوا، لما فاز قرار التقسيم بأكثر من أقلية نحيلة، في أحسن الظروف"<sup>(1)</sup>.

ويصف الشقيري جلسة مجلس الأمن في حزيران/يونيو 1973 بأنها كانت مظاهرة سياسية كبرى، لم تشهدها المنظمة الدولية منذ تأسيسها عام 1945،

---

<sup>(1)</sup> الطريق إلى جنيف، مصدر سابق، ص 96.

حتى إن القول يصح بأن "الموقف العربي يؤيده ما لا يقل عن ثلاثة أرباع سكان الأرض"<sup>(1)</sup>، فقد تجمعت في هذه المظاهرة الدول الإفريقية، ودول عدم الانحياز، والدول العربية العشرون، والدول الاشتراكية، ودول أخرى مستقلة في أوروبا وأمريكا اللاتينية، وجاءت ترفض احتلال الأرض بالقوة، وتمكين المعتدي من جني ثمرة عدوانه. وقد رد مندوبو هذه الدول الإفريقية والآسيوية على المندوب الإسرائيلي الذي لبس "قميص الإنسان المضطهد المحاصر المطوق المعذب، يطلب الحماية من هذه الكثرة الضخمة التي أحاطت به من كل جانب"<sup>(2)</sup>، ردوا عليه بأن القضية ليست لها صلة بالكثرة العددية، وهي تستند إلى المبادئ التي يقوم عليها ميثاق الأمم المتحدة، وإلى القواعد الأساسية التي تكفل الأمن الجماعي للأسرة الدولية.

#### القضايا العالمية:

كان للشقيري - خلال عمله في الأمم المتحدة - إسهام كبير في بحث المسائل العالمية الحساسة والمعقدة، وقد واكب حركات التحرر في العالم، وراح

---

<sup>(1)</sup> الطريق إلى جنيف، مصدر سابق، ص 112.

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه، ص 112.



يدافع عن حرية الشعوب وحقها في السيادة على أوطانها، وكأنه يدافع بذلك عن قضيته، ويثأر لوطنه المغلوب.

ومن القضايا العالمية التي شارك في إبداء وجهة نظره فيها مسألة نزع السلاح. وقد أشار في خطابه الاستهلالي في دورة الأمم المتحدة عام 1958 إلى الجو الدولي المتوتر، وبين أن مفهوم نزع السلاح عند الدول الكبرى أصبح يعني التخلص من الأسلحة التقليدية والتحول إلى الأسلحة المدمرة، وبذلك لم يحقق نزع السلاح تقدماً، بل التسابق إلى التسلح المنسق المتضخم. وأكد أهمية مسألة نزع السلاح بالنسبة إلى الدول الصغيرة، فقال: "فنحن نضرع إلى الله أن يحقق ذلك اليوم الذي تخفض فيه الدول الكبرى من نفقاتها العسكرية، حتى دون أن تمتد يد العون والمساعدة إلى البلاد المختلفة... فالسلام، لا المساعدات العسكرية، هو الذي يأتي بالرخاء إلى الشعوب المختلفة، وإلى العالم بصورة عامة"<sup>(1)</sup>. وألمح إلى أن دور هذه الدول الصغيرة في قضية السلام هو الوقوف موقف الحياد بين الكتلتين. وقد وجه النظر، بهذه المناسبة، إلى قضية فلسطين، لأنها نزع سلاح من نوع جديد.. "هو تجريد شعب فلسطين من حقه الطبيعي في تقرير مستقبله"<sup>(2)</sup>، وأعلن أن في وجود إسرائيل تهديداً للسلام العالمي الذي هو الهدف المباشر لنزع السلاح.

---

(1) قضايا عربية، مصدر سابق، ص 131.

(2) المصدر نفسه، ص 123.

وفي دورة الأمم المتحدة عام 1960، التي اختصت تقريباً بقضية الاستعمار، شرح الشقيري معنى مشكلة الاستعمار بقوله إنه "... الأسر السياسي، السيطرة الاقتصادية، الرق الاجتماعي، العبودية الثقافية"<sup>(2)</sup>، وهي مسائل تؤثر في المجتمع الإنساني بكامله. ووجد في الاستعمار، والحرب، وسباق التسلح الفرسان الثلاثة الذين يقودون عربة الإنسانية إلى الهاوية. ووجد أن الاستعمار هو عامل محرك ومدمر في العلاقات الدولية. ودحض النظرية التي تدعي أن الاستعمار رسالة تحضير وتمدين، وقال: "الاستعمار ليس بالرسالة المقدسة، وإنما هو رسالة قذرة وغير مقدسة، فهو يخفي وراءه أسواقاً خاصة، ومستهلكين خائعين، ومواد أولية مغتصبة، ووراءه يختفي رأس المال المسيطر، وانتزاع الأرض وأعمال السخرة، وكلها في مصلحة المستوطنين المستعمرين تحت ستار الحضارة وظلها..."<sup>(3)</sup>.. وعلى الرغم من تقهقر الاستعمار بعد الحرب العالمية الثانية، وتغير صورته فإن معركة الحرية ما تزال مستمرة، ومن حق الشعوب المستعبدة الثورة على السيطرة وتصفية الاستعمار، ومن حق الشعوب المستعمرة في الحرية.

وقد تصدى الشقيري، خلال تلك الدورة، لرئيس الوفد البريطاني الذي ادعى أن الاستعمار البريطاني تحضير وتمدين، وأن بريطانيا أعدت شعوباً كثيرة للاستقلال، ويسرها أن ترى هذه الشعوب أعضاء في الأمم المتحدة.. ورد عليه

---

<sup>(1)</sup> دفاعاً عن فلسطين والجزائر، مصدر سابق، ص 148.

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه، ص 155.

من أقوال رجالات بريطانيا عن مهام الاستعمار، وردت كلمات سيسيل رودس التي تقول: "إننا نحن البريطانيين، أسمى أمة في العالم، وكل ما استوطنه في هذا العالم كان من أجل خير البشرية... وإن العالم يكاد أن يكون مقسماً، وما بقي منه فقد تم توزيعه، أو فتحه، أو استعماره. وإذا كان هناك إله فإنه يريدني أن ألون أكبر رقعة في خريطة إفريقيا باللون البريطاني الأحمر..."<sup>(1)</sup>. وقد دعا الشقيري رئيس الوفد البريطاني أن ينظر إلى أعضاء الوفود في الأمم المتحدة، ليرى أن معظمهم جاء إلى المنظمة من المعتقلات البريطانية بعد أن قادوا معارك التحرير، وإن كتابات نهرو - وكان رئيس الوفد الهندي - تحكي أخبار الاعتقالات.

وتصدى الشقيري في أثناء المناقشة لمندوب الولايات المتحدة الذي أعلن دعم الولايات المتحدة الأمريكية للحركة التحريرية في العالم، فبين، بالوقائع، أن الولايات المتحدة اصطنعت، منذ الحرب العالمية الثانية، أسلوباً جديداً في السيطرة على مصائر الشعوب، وهو الاستعمار من غير حكم.. وهو استعمار جديد يملئ إرادته بالمال. ثم سرد عدداً من القضايا الدولية التي وقفت فيها أمريكا إلى جانب الاستعمار البريطاني والفرنسي. ولم يجد الوفد الأمريكي ما يرد عليه إلا القول إن الشقيري يردد الأكاذيب الشيوعية.

---

(1) أربعون عاماً، مصدر سابق، ص 448.

وكان الشقيري يبحث دائما عن مناسبة يثار بها من أمريكا وبريطانيا، فحين تقدمت كوبا بشكوى ضد أمريكا خلال دورة الأمم المتحدة عام 1962 بسبب تدريب أمريكا اللاجئين الكوبيين للقيام بغارات على كوبا، تدخل الشقيري، في وقت لم يكن أحد يظن أن للعرب مكاناً في هذا الموضوع، ورأى أن الفرصة سانحة كي "ينخس" الولايات المتحدة في أكثر قضاياها حساسية وخطراً، عليها تصحو، وترى مبلغ الظلم الذي أنزلته بشعب فلسطين، وبالأمة العربية. وقد طرح – ساخراً – السؤال التالي على الوفد الأمريكي: "لماذا لا يدرب الفلسطينيون اللاجئين على حمل السلاح ليستردوا بلادهم، وخاصة أن الأمم المتحدة قد اعترفت بحق اللاجئين بالعودة إلى ديارهم... وقد رفضت إسرائيل عودتهم، ولم يبق أمام الفلسطينيين إلا السلاح؟!... لماذا لا يفعل الرئيس كيندي للفلسطينيين ما يفعله للكوبيين؟!"<sup>(1)</sup>. أما خشيت الولايات المتحدة من وجود الأسلحة الذرية السوفيتية في كوبا فقد دفعت الشقيري إلى طرح سؤال آخر على الرئيس كيندي: "ماذا يقول عن إسرائيل التي تواترت الأخبار عن استعداداتها الذرية، وإسرائيل احتلت أرضنا، وهي ليست بعيدة تسعين ميلاً عنا، ولكنها في قلب وطننا الكبير؟!"<sup>(2)</sup>.

---

<sup>(1)</sup> أربعون عاماً، ص 454.

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه.

## الأمم المتحدة:

كان الشقيري يرى أن هذه المنظمة الدولية – منذ نشأتها – لا تعدو أن تكون امتدادا لعصبة الأمم، وأنه لا أمل فيها. وقد عبر عن رأيه هذا للشيوخ الفلسطينيين الذين كانوا يرون أن تطرح القضية الفلسطينية على الرأي العام العالمي من خلال الأمم المتحدة عام 1946. وثبت عنده هذا الرأي لما انتهت المسيرة المعروفة في أروقة الأمم المتحدة إلى إصدار قرار التقسيم عام 1947، والذي تكررت فيه المنظمة الدولية لميثاقها.

وحين بدأ احتكاك الشقيري العملي بأجواء الأمم المتحدة في أواخر الأربعينات، تأكد، بما لا يقبل الشك، أن لا جدوى من المنظمة الدولية. يقول

معلقا على مباحثات لوزان عام 1949 التي عقد عليها العرب الآمال: "فنحن قوم مبتدئون في الحياة الدولية، نحسب أن الأمم المتحدة قادرة أن تعيد اللاجئين وتداول القدس وتسحب إسرائيل إلى المناطق المخصصة لها"<sup>(1)</sup>. وكان الشقيري واحداً من هؤلاء المبتدئين الواهمين، قضى دورة الأمم المتحدة عام 1949 في عمل متواصل وخطب وهو يحسب أن العالم المسيحي سيثور على إسرائيل، وأن

---

<sup>(1)</sup> أربعون عاما، مصدر سابق، ص 314.

أمريكا اللاتينية ستكون نصيرة العرب، وأنها ستدين إسرائيل وتلتزمها بقرارات الأمم المتحدة. لكن الأمم المتحدة أخذت تتكشف له على حقيقتها، وأخذت الحقائق تبرز أمامه شيئاً فشيئاً.. فالأمم المتحدة مؤلفة من خمسين دولة، وهذا العدد، كما يقول الشقيري "كان مربوطاً بالخيط الخفية إلى الدول العظمى... وكانت أول الفجيرة بدول أمريكا اللاتينية"<sup>(1)</sup>؛ فقد ناشدهم بصوت الدين والقانون لكي يحولوا دون تهويد القدس فوجد تجاوباً، ولكن حين أتى دور التصويت وقفت في المعسكر الأمريكي مقهورة. وقال له مندوب البيرو مرة: "أنت خطيب عظيم، ولكن تعليمات واشنطن أعظم.. ثم أضاف: "اذهبوا إلى بلادكم، حاربوا وانتصروا، وستكون الأمم المتحدة معكم"<sup>(2)</sup>.

وقد يسأل سائل: ما دام الشقيري على علم بحقيقة الأمم المتحدة منذ ذلك العهد المبكر، فلم أمضى هذه السنوات الطويلة هناك، يتكلم ويخطب بدون جدوى؟ الواقع أن الشقيري لم يكن غافلاً عن هذه الحقيقة المرة وكان يعرف أن الأمم المتحدة هي التي قسمت الوطن وشردت الشعب، بل كان في كثير من الأحيان يسخر بمرارة حتى من خطبه وكلماته التي كان يلقيها هناك. لكن الأمم المتحدة، في رأيه، ميدان لا بد من إثبات الوجود العربي فيه وعدم مقاطعته، ولا بد من المشاركة فيه على أعلى المستويات، فهو مثلاً ينتقد غياب المسؤولين العرب

---

<sup>(1)</sup> أربعون عاماً، ص 316.

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه.

الكبار عن دورات الأمم المتحدة، ويرى في حديثه عن دورة الأمم المتحدة عام 1955 أن ذلك دليل على أن القضية قد هانت على أصحابها، إذ لم يشترك في هذه الدورة وما بعدها وزراء خارجية الدول العربية، ولو مستمتعين، على حين كان وزراء خارجية إسرائيل يحضرون الجلسات بأنفسهم ويجادلون ويتحدثون.

أما دور الأمم المتحدة على أرض الواقع، وقيمة قراراتها وأثرها، فقد كان الشقيري عارفا بها، مؤمنا بأن الأمم المتحدة ليست سوى منبر خطابي، وبأن قراراتها لا تملك قوة التنفيذ، أولا تريد القوى المسيطرة فيها تنفيذها. يقول في دورة عام 1949 عن الأمم المتحدة: "تتساقط فيها قضايا الشعوب إلا ما كان وراءه كفاح وسلاح"<sup>(2)</sup>. فالمسألة إذا ليست مسألة حق وقانون، بل مسألة قوة تحمي هذا الحق وتساند القانون. يعلق على قرار أصدرته الأمم المتحدة في دورتها عام 1972، وكان قريبا من وجهة النظر العربية، بأن هذا القرار، مثل غيره من القرارات، لا تنقصه "إلا العزيمة المؤمنة والقوة المسلحة لإجلاء الغاصب الدخيل عن الأرض المحتلة... ويبقى على صاحب القرار أن يحمل قراره بيده وينفذ بذراعيه، بالطائرات والدبابات"<sup>(1)</sup>.

---

<sup>(1)</sup> أربعون عاما، مصدر سابق، ص 315.

<sup>(2)</sup> الطريق إلى جنيف، مصدر سابق، ص 96.

وكان الشقيري - خلال عمله الطويل في الأمم المتحدة - دائم النقد لهذه المنظمة الدولية ، ودائم التنديد بقراراتها الضعيفة ، والكشف عن خفايا ما يجري في كواليسها من مناورات وضغوط تقوم بها الدول الكبرى المسيطرة كالولايات المتحدة، لقد وجد - مثلاً - أن صيغة قرار الأمم المتحدة بشأن لجنة التوفيق خلال دورة 1949 هادئة ناعمة، وليس فيها إدانة لإسرائيل، ولا تهديد بالعقوبات، ولا التزام بالحقوق والواجبات، فوصفة بأنه "قرار بلا أسنان"<sup>(1)</sup>. وعلق على ما آلت إليه قضية فلسطين في الأمم المتحدة حين وكل أمرها إلى اللجنة السياسية الخاصة لتعالجها على أنها قضية لاجئين فقال : "وأنى لقضية هذه حالها أن، تشق طريقها في الأمم المتحدة اعتماداً على التاريخ والحق والعدل والمنطق وميثاق الأمم المتحدة"<sup>(2)</sup>.

ورأى إسرائيل توالي اعتداءاتها دون أن يتخذ مجلس الأمن أية إجراءات ضدها سوى لتتديد، ولكن المادة السادسة من ميثاق الأمم المتحدة، التي تنص على الطرد، لم تتحرك، لأن الحكم في الأمم المتحدة "هو لأمريكا وليس للقانون"<sup>(3)</sup>. على حد قوله.

---

<sup>(1)</sup> أربعون عاما، مصدر سابق، ص 317 .

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه، ص 390 .

<sup>(3)</sup> أربعون عاما، ص 394.



وحيث تخفق الشكوى المغربية حول مسألة تفجير فرنسا قنصلتها الذرية في الصحراء المغربية : " وخر الحق والعدل والعلم والمنطق.....كل ذلك خر صريعاً أمام القوة...وسجلت الأمم المتحدة على نفسها أنها ندوة خطابية ليس لها جلال الجامعة وقديسية المعاهد، لأن خطباءها ساسة لا علماء"<sup>(1)</sup>. ويتساءل في خطاب له أمام الأمم المتحدة في دورة عام 1960: "هل الأمم المتحدة مجرد ندوة للمناقشة قصد منها أن تكون ميداناً للبلاغة والحوار والمنطق ليس إلا؟ أم أنها منظمة دولية القصد منها السلام، والحفاظ على القانون والنظام، وحماية الكرامة الإنسانية، وإحقاق الحق، وإزهاق الباطل، وتقديس المبادئ والأهداف التي انطوت عليها شرعة الأمم المتحدة؟...لو كان القبول هو الفلسفة لمعالجة المشاكل الدولية فلا حاجة للأمم المتحدة، بل العودة إلى شريعة الغاب....."<sup>(2)</sup>.

ولما عاد الشقيري إلى الأمم المتحدة عام 1963 رئيساً لوفد فلسطين، طالب المنظمة الدولية بوضع نهاية لمأساة فلسطين التي تعرض على الأمم المتحدة منذ خمسة عشر عاماً أن تهجع هجعة أهل الكهف بالنسبة إلى هذه القضية الدائمة عاجزة مشلولة ي حول لها ولا طول؟.....إننا نريد أن نعرف إذا كان من حقنا

---

<sup>(1)</sup> أربعون عاماً، مصدر سابق، ص 429.

<sup>(2)</sup> دفاعاً عن فلسطين والجزائر، مصدر سابق، ص 46-101.

أن نظل إيماننا بهذه المنظمة وعلى ثقتنا من أنها أداة للسلام، مرتكزة على العدالة؟!<sup>(1)</sup>.

وإثر العدوان الإسرائيلي على السموع، وجه الشقيري رسالتين إلى الملك حسين أكد فيهما رأيه في الأمم المتحدة وعبر فيهما عن خلاصة تجربته الطويلة فيها، فقال في الرسالة الأولى في 1966/11/15 "إن مجلس الأمن لا يحمي شعبنا ووطننا من غدر إسرائيل. مجلس الأمن فيه الولايات المتحدة، هي التي زودت إسرائيل بالمدافع والدبابات والطائرات..."<sup>(2)</sup>. وقال في الثانية التي كتبها بتاريخ 1966/11/22: "إن مناقشات مجلس الأمن تدور في حلقة مفرغة.. وصدور القرار بإدانة إسرائيل لا يشفي غليل الأمة، ولا يعمر الخراب"<sup>(3)</sup>.

وقد تابع الشقيري المعركة السياسية في الأمم المتحدة التي واكبت حرب حزيران/يونيو 1967، فأيقن أن الهدف منها إشعال الأمة العربية عن الهزيمة، وإدراك أن صمت مجلس الأمن إثر العدوان إنما هو "مؤامرة" دولية على هذه الأمة. وهو لا يطلق لفظ "المؤامرة" جزافاً، بل يقصد "علمياً تتوافر كل القرائن والدلائل على صحته ودقته....." لأن السوابق الدولية تقضي أن يدعى المجلس للانعقاد بصورة فورية ويستدعى أعضاء المجلس، حتى من فراشهم، "قان السلام،

---

(1) فلسطين على منبر الأمم المتحدة، مصدر سابق، ص 37.

(2) على طريق الهزيمة، مصدر سابق، ص 237.

(3) المصدر نفسه، ص 241.

كالصلاة، خير من النوم ... ولكنه كان نوما مقصودا<sup>(1)</sup>، إذ لم يصل مجلس الأمن إلى قرار نهائي نافذ بوقف التوافق بين حركة إسرائيل وحركة المجلس من باب الصدفة، "بل كان قصدا وعمدا، مع سبق الإصرار والإعداد"، وكانت الولايات المتحدة هي التي توائم بين الحركتين، وتحرك خيوط المؤامرة، وتخرج مجلس الأمن بقرارات أبقت الأرض العربية تحت احتلال إسرائيل، لتجني ثمرة عدوانها، على خلاف ما تقضي به الأعراف الدولية، وجعلتها في مركز قوة، فلا تجلو إلا بتقديم العرب تنازلات لها<sup>(2)</sup>.

وكما سمي الشقيري ما جرى في مجلس الأمن أثناء العدوان "مؤامرة" سمي الدورة الطارئة للجمعية العامة في 1967/6/13 مشهدا ثانيا في " الملهاة السياسية" التي كان مسرحها الأمم المتحدة لوزراء الخارجية العرب في الكويت في 1967/6/17، وصارحهم بأنه لا يتوقع خيراً من الأمم المتحدة، لأن إسرائيل لن تدعن لأي قرار تصدره في مصلحة العرب، واقترح عليهم أن يدرسوا خطة عربية شاملة للتصدي للعدوان الإسرائيلي، بدل التعلق بأهداب الأمم المتحدة. لكنهم لم يستمعوا لرأيه، وسافروا مسرعين إلى الأمم المتحدة، ليحاربوا فيها ما كانوا يجابهون من قبل، وليدوروا فيلحقه مفرغة من النقاش والجدل السقيم الذي يشغل الرأي العام، ولا يحقق الغرض.

---

(1) الطريق إلى جنيف، مصدر سابق، ص8.

(2) الهزيمة الكبرى، مصدر سابق، ج1، ص349.

كان الشقيري يرى أن الأمم المتحدة "ملهى نهاري للدول الأعضاء، ويسمح فيه للسياح أن يتفرجوا عند إلقاء الخطب. لكن الدول العربية وجدها هي التي لا تدرك هذه الحقيقة إدراكاً جاداً مسؤولاً" <sup>(1)</sup>. لقد وصلته وهو في القاهرة، تقارير الدورة الطارئة في 1967/6/13، وقرأ فيها ما كان ألف سماعه من التغني بالمبادئ، ونصوص ميثاق الأمم المتحدة، واحترام السيادة، واستنكار العدوان، والحفاظ على كرامة المنظمة العالمية وهيبتها ..... " لكن سلطان الولايات المتحدة وأنصارها وأتباعها كان على الدوام إلى جانب إسرائيل" <sup>(2)</sup>، وسقطت مشروعات القرارات في المعركة السياسية على مسرح الأمم المتحدة، وانتهت الدورة إلى غير قرار. وبقي الاحتلال..... وكان هذا الفشل متوقعاً..

ويرى الشقيري أن الأمم المتحدة قد ألقت على العرب دروساً في السياسة الدولية، ولكنهم لم يحفظوها "شأن الطالب الفاشل، يستمع إلى الدروس فلا يعي ولا يستوعب" <sup>(3)</sup>. وكانت حصيلة الدروس البليغة التي رواها مجلس الأمن والجمعية العامة في وجوه العرب منذ 1967 "احتلال ولاجئون ونازحون. ومستوطنات... وقرارات تقارب الثلاثين .. تطالب إسرائيل بالجلء

---

<sup>(1)</sup> الهزيمة الكبرى، مصدر سابق، ج2، ص40.

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه، ص45.

<sup>(3)</sup> المصدر نفسه، ص119.

والكف عن العدوان "(1). وشكا العرب من قنابل النابالم، ومن تشريد اللاجئين، ومن نسف القرى، ومن التعسف الإرهاب... ومضت إسرائيل لا تبالي بمجلس الأمن وبالقانون الدولي وبالمبادئ الإنسانية، واللوم كله في رأي الشقيري - موجه إلى العرب، لأنهم "قوم بدائيون لا يعرفون حقيقة العلاقات الدولية، ولا يعرفون مفهوم الحرب.... الحرب تصيح في أسماعهم ووجوههم : تعلموا صناعة النابالم، وتمرسوا بأساليب العنف والإرهاب "(2).

وينتقد الشقيري عزم الجانب العربي على رفع شكوى لمجلس الأمن في حزيران/يونيو 1973، فهو عنده "كالمتسجير من الرمضاء بالنار". ويسخر من "هرولة" الوفود العربية إلى هذا المجلس تطالب بإصدار قرار جديد يؤيد شكواها على الرغم من الدروس الدولية الكثيرة السابقة، وعلى الرغم من إغفاءة المجلس الطويلة التي امتدت ستة أعوام بعد قرار 242، وهو الذي يملك - إن شاء الله - من السلطات العملية ما يجعل إسرائيل تجثو على ركبتيها.

وينتقد الصياغة الرخوة للقرار 338 في تشرين الأول/أكتوبر 1973، والتي سمحت لإسرائيل بالاستمرار في الحرب، والتحكم في الطرق المؤدية إلى القاهرة ودمشق، فلم توقف القتال إلا بعد أن أنجزت أعمالها العسكرية حسب الخطة

---

(1) الهزيمة الكبرى ، مصدر سابق، ص126.

(2) أربعون عاما، مصدر سابق، ص394.

المرسومة. ويرى أن هذا القرار شبيه بسابقة، وأنه من حلقات المؤامرة التي مسرحها الأمم المتحدة.

### العالم الإسلامي:

أدرك الشقيري أهمية استنهاض العالم الإسلامي من أجل القضية الفلسطينية. وكان – بوصفه واحداً من أبناء الشعب الفلسطيني، وواحداً من أبناء الأمة العربية – يدرك الحاجة إلى تأييد دول العالم الإسلامي ودعمها. يقول في ذلك: "فقد كنا نمد أبصارنا صوب العالم الإسلامي ونستنجد به لننشئ (الإسلامية العالمية) لنواجه (الصهيونية العالمية) في غزواتها على الديار المقدسة"<sup>(1)</sup>.

وقد تناقش في هذا الموضوع مع الرئيس عبد الناصر في أوائل الخمسينات، واتفق وإياه على أنه لا يجوز تجاهل عالم إسلامي واسع تجمع العرب به روابط لا تفرق بها العقيدة الدينية فحسب، وإنما تشدها حقائق التاريخ أيضاً. وقد اقترح على الرئيس عبد الناصر آنذاك أن توطد العلاقات بين مصر والسعودية لهذا الغرض. وتحدث في الأمر أيضاً مع الملك سعود وولي عهده الأمير (الملك) فيصل. وأفلحت الجهود من أجل حشد طاقات العالم الإسلامي، أنشئت الأمانة العامة للمؤتمر الإسلامي، ومقرها القاهرة. يقول الشقيري: "وانشرح صدري أن

---

<sup>(1)</sup> على طريق الهزيمة، مصدر سابق، ص128.

طريقنا للعالم الإسلامي قد أصبح معبداً<sup>(1)</sup>. وقد تابع دعوته – في كل مناسبة – لتوثيق الصلات بين القاهرة والرياض، مما يعود خيره على المسلمين، وعلى العرب، وعلى فلسطين. لكن الدعوة لم تتجح، وانتابت المضاعفات العربية والدولية مسيرة هذه المهمة، فأخفقت.

وفي مؤتمر القمة الثالث في الدار البيضاء عام 1965، طرح الملك فيصل موضوع دور العالم الإسلامي في قضية فلسطين، وأبدى استعداداه للقيام بأي عمل مع الدول الإسلامية. وقد عقب الشقيري على هذا الكلام بقوله: "إن العالم الإسلامي ذخيرة كبرى للقضية الفلسطينية. ولا يمكن أن نهمل العالم الإسلامي بإمكاناته الضخمة... لكن، ليس مسلماً من يتعامل مع إسرائيل. وأنني، باسم منظمة التحرير، نسند جهود الملك فيصل. لكن نريد مؤتمراً إسلامياً حقيقياً يساند الأمة العربية في إنقاذ الديار المقدسة"<sup>(2)</sup>.

لكن الدعوة إلى عقد مؤتمر الدول الإسلامية، التي أعقبت قمة الدار البيضاء كانت سبباً في نزاع بين المملكة العربية السعودية ومصر، مثار حملات متبادلة بينهما، لم تتوقف إلا قبل حرب حزيران/يونيو 1967 بأيام.

---

(1) على طريق الهزيمة، مصدر سابق، ص 128.

(2) المصدر نفسه، ص 82.

وقد جرى في منظمة التحرير نقاش حول هذا الموضوع، وانتهى إلى الاتفاق على أن تعبئة العالم الإسلامي إلى جانب قضية فلسطين شيء..واقامة حلف إسلامي يسير في فلك السياسة الغربية شيء آخر. وان على المنظمة أن تلتزم الصمت في هذا الموضوع، إلى ينجلي الموقف.

وكان على الشقيري أن يشرح للمجلس الوطني الفلسطيني، أيار 1966، ملابسات الدعوة إلى الحلف الإسلامي في قضية فلسطين، مؤكدا أن فلسطين وطن الإسلام بعد الديار الحجازية، وان الجهاد في تحريرها فريضة. وانه "إذا كان انعقاد المؤتمر وقيام الحلف لإعلان الجهاد والزحف المقدس، فنحن مع الحلف الإسلامي. ولكن إذا كان الحلف اجتماعا يضم الحكومات التي اعترفت بقيام إسرائيل، وتتعاون مع لإسرائيل ، فنحن لسنا مع الحلف، وليس مسلماً من يوالي إسرائيل"<sup>(1)</sup>.

وقد خطب الشقيري في وفود 74 دولة إسلامية، في مؤتمر "أبي بكر الصديق" الذي عقد في الإسكندرية عام 1966، فأشاد بالإسلام الذي يهدم حواجز اللون والدم والجنس، وأكد أن قضية فلسطين هي قضية إسلامية، وذكر بمقدسات الإسلام في وطن الإسرائء، وبين أن فلسطين هي مثنى علماء

---

<sup>(1)</sup> على طريق الهزيمة، مصدر سابق، ص158.



المسلمين وشهداءهم، وأوضح أن الاستعمار يسعى لضرب العالمين العربي والإسلامي من فلسطين، وانتهى إلى التذكير بدور الشعوب الإسلامية في معركة تحرير فلسطين.



## الخاتمة

---

وبعد، فهذه سيرة الشقيري عرضناها عليك أيها القارئ الفلسطيني، وأيها القارئ العربي في وقت اشتد فيه الظلام، وتشابه الأمر على الناس، واختلط الخبيث بالطيب.. وقت يتطلع فيه أبناء شعبنا حولهم فلا يرون إلا سواداً مطبقاً، وخيوط مؤامرة مأكرة متشابكة، يحوكها الحائكون في بهيم الليل وفي وضح النهار.. وقت اجتمع فيه الأعداء الحاقدون على شعبنا البطل المناضل، شعبنا الذي ضحى ويضحى كما لم يضح شعب آخر، واجه أشرس الأعداء، وتلقى أقسى الضربات، وقدم على مذبح الوطنية قوافل إثر قوافل من شهدائه البررة الذين ماتوا دون قضيتهم، ورووا بدمائهم الزكية تراب وطنهم المقدس.

إنها ترجمة لحياة مناضل فلسطيني وزعيم مسؤول، وعى القضية وعياً عميقاً، وعرف سبيل الخلاص فأمن به ولم يحد عنه... قدمناها للقارئ من أبناء شعبنا الفلسطيني المكافح، الذي يصارع اليوم موج الباطل اللجي، ويضرب بذراعيه مياهه الجارفة، ويقاوم دواماته المغرقة، طالباً النجاة إلى شاطئ الحق والعدل والتحرير، تنفخ فيه العزم والقوة دماء البطولة والفداء التي تضج في عروقه

النابضة، وترشده وتوجهه نجوم شهادته وكواكب قادته المنافحين عن وجوده  
وحياته.. وفي طليعتهم أحمد الشقيري.

## الملاحق



## الملحق الأول

---

ترجمة الكلمة التي ألقاها الأستاذ أحمد الشقيري

وزير الدولة السعودي لشؤون الأمم المتحدة

خلال الدورة 15 للجمعية العامة للأمم المتحدة 1960/11/29

تشهد الأمم المتحدة لأول مرة في تاريخها، في هذه الدورة، قضية الاستعمار، وهي تعالج، من على منبر هذه المنظمة الدولية، وقد أشرعت أبوابها ليستمع العالم بأسره، إلى آراء الدول الأعضاء في الاستعمار والمستعمرين. ونحن لا ننكر أن موضوع الاستعمار، قد بحث في السنوات الماضية في الجمعية العامة أو في مختلف اللجان، لا كموضوع قائم بنفسه، بل، ضمن هذا أو ذاك من المواضيع المدرجة على جدول الأعمال. ولكن الاستعمار، كموضوع قائم بنفسه، وبكليته، لم يتعرض قط من قبل، للأضواء الكاملة، ولم يصبح مدار بحث ونقاش كاملين. مع الأمل في اتخاذ عمل جماعي، يليق بكرامة الأمم المتحدة وسيطرتها.

وإني لأقدم لبيان هذا، بالإعراب عن الأمل الصادق والمخلص، لأن مشكلة الاستعمار، تقف في المقدمة في تاريخ العلاقات الإنسانية. أجل إنها تقف كمارد جبار، في حقل العلاقات الدولية، إنها تتطوي على الأسر السياسي، والسيطرة

الاقتصادية والرق الاجتماعي، والعبودية الثقافية، وكلها أمور لا تؤثر على الشعوب الاستعمارية فقط، بل على المجتمع الإنساني بمجموعه. ولكي نقيس شروبه المدمرة، يكفي أن نعرف بأن الاستعمار، يمس في الوقت الحاضر، مستقبل أكثر من مائة مليون إنسان، وقد لا يكون لهذه الحقيقة أهمية كبيرة، إذا ما عولجت معالجة عابرة، وقد لا تثير انطباعات عميقة، أو تستفز خيالات واسعة. ولكن عندما نقف لحظة واحدة، مركزين أنظارنا في بؤرة ثابتة معينة، فإن الصورة تتضح أمامنا بجميع ظلالها وألوانها، وكافة أبعادها. أجل إن الصورة آنذاك، تعرض حقائق الحياة التي يعيشها الملايين بعد الملايين من الناس، وما يتناولونه من غذاء، وأجرؤ فأقول ما يعانونه من شظف العيش والمجاعة، وما يرتدونه من لباس، وأجرؤ فأسميه ما هم فيه من عري، وما يأوون إليه من مأوى، وأجرؤ فأسميه، ما يعيشون فيه من خواء، وما يتلقونه من علم، وأجرؤ فأسميه، ما يغوصون فيه من جهالة جهلاء، وما يحيط بهم من أحوال صحية، أجرؤ فأسميها بأحوال المرض والعاهات، وما يحيون به من تقدم اجتماعي واقتصادي، وأجرؤ فأسميه من شقاء اجتماعي واقتصادي.

ويجب، يا سيدي الرئيس، أن تستثير كل هذه الأمور اهتمامنا، لنولي هذه المشكلة، ما تستحقه من أهمية. وليس الاستعمار بالمشكلة العارضة التي نستطيع درسها، وعقولنا في راحة، وقلوبنا في هدوء وطمأنينة. إنها مشكلة يجب أن ندرسها، بعقول يقظة واعية، وقلوب نشطة، وأرواح قلقة. وليس بين المشاكل



الدولية، ما يفوق الاستعمار في الأهمية، إلا مشكلة نزع السلاح. فالاستعمار والحرب ونزع السلاح، هي في الحقيقة، الفرسان الثلاثة المعوجون، الذين يقودون عربة الإنسانية إلى الهاوية، ويا لها من هاوية قرارها الدمار والفناء. وقد قدمت الاستعمار، على الموضوعين الآخرين، لأن الحرب، هي سنة الاستعمار، بينما الأسلحة هي وسيلته. وليست الأسلحة بالدمى الكبيرة، ولا بالهوايات الضخمة للإنسانية. إنها الحاصد العيوس للجنس البشري، أما الاستعمار فثمرة حصادها. وليست الحرب بالنهاية في حد ذاتها، ففي حقبة التاريخ كلها، لم يحارب أي شعب من أجل الحرب نفسها، وإنما كانت الشعوب تحارب سعياً وراء الاغتصاب والاستغلال. وإذا ما استعملنا تعبيراً أوضح، قلنا أن الشعوب كانت تحارب لتغتصب ثراء منطقة من المناطق، ولتستغل ما يملكه شعب تلك المنطقة.

وقد حاربت لتحقيق منافع ضخمة بثمن بخس، هو العمل الرخيص والمواد الأولية الرخيصة. أجل لقد حاربت لتسيطر على مناطق جديدة تصلح للاستغلال، أو لحماية ما سبق لها أن احتلته من مناطق. وحتى الحرب الكونية الأولى التي وقعت في عام 1914، والتي قيل إنها دارت دفاعاً عن المثل والمبادئ، كان الاستعمار محركها الرئيسي الأول، وقد قال الدكتور مون، وهو حجة أمريكي في العلاقات الدولية أن "كارثة عام

1914، لم تنجم عن نزوات ولهم هوهنزولرن (إمبراطور ألمانيا)، الشخصية"... فلقد كان الاستعمار يقوم في جذور السياسات الدولية، وهو سبب وجودها...

ولا أرى بي حاجة إلى تكديس الأدلة التي تؤيد هذا التأكيد الصادق، ويكفي أن يقال، أن الاستعمار كان وراء عدد من المعاهدات والأحلاف والمواثيق والمؤتمرات. أجل لقد كان الاستعمار وراء جميع التناقضات التي جعلت من الأصدقاء أعداء، ومن الأعداء أصدقاء. وكان الاستعمار بعبارة ثانية، العامل العظيم الفرد في التاريخ، وفي خلق قصص التاريخ السيئة.

وهل هناك أسوأ تاريخاً من تاريخنا، عندما تحتم على جيلنا أن يشهد بنفسه، ثلثي سكان العالم، يرزحون تحت نير الاستعمار. فمن الأمور المألوفة، في نهاية الحرب الكونية الثانية، والتي عرفها الجميع، أن عشر دول استعمارية، كانت تملك مستعمرات ومحميات، تبلغ في مساحتها سبعة أضعاف مساحة أوروبا كلها. وكان من المقدر أنه من مجموع بليونين إنسان يعيشون على سطح هذه الكرة الأرضية، كان نحو من بليون ونصف البليون من الناس يعيشون في ظل عهود الاستعمار، مزاملين المرض، والجهل والفقر، وهي أشد أعداء الجنس البشري. وقد حسرت الإحصاءات النقاب، عن أن كل رجل وطفل وامرأة في بريطانيا العظمى، كان يستعبد عشرة أشخاص من سكان المستعمرات، من سود وسمر وصفر، وأن فرنسا كانت تملك مقابل كل فدان في بلادها عشرين فداناً في المستعمرات الفرنسية. وكانت المستعمرات في تلك الأيام أكبر بكثير من البلاد التي يطلق عليها اسم البلاد الأم، وكانت مستعمرات إيطاليا تبلغ ستة أضعاف حجمها، بينما كانت مستعمرات البرتغال ثلاثة وعشرين ضعفاً، ومستعمرات بلجيكا

واحدا وثمانين ضعفا. وهكذا فخلافا لجميع قوانين الخليفة وأنظمتها، يكون الطفل أكبر بمرات كثيرة من والديه، بل من جميع الآباء إن وضعوا معا.

وقد تغيرت هذه الصور تغيرا كبيرا يا سيدي الرئيس، فقد تقلصت أبعاد الاستعمار، وتزايدت قوى التحرر. وانتصرت الحرية، وسجلت لها عددا من المكاسب. وعكس نضال الشعوب في سبيل الحرية، وتطلعها نحو الاستقلال، وثوراتها لتحقيق الرقي الاقتصادي، واضطراباتهما لإيجاد التقدم الاجتماعي، وبكلمة أخرى كفاحها في سبيل تحقيق المثل الإنسانية، اتجاه التاريخ الخاطئ. وتهاوت إمبراطوريات ممزقة شذر مذر، وأخذت الحرية تكسب نصرا بعد آخر، بينما شرع الاستعمار في التقهقر، وقد مني بالهزيمة تلو الهزيمة.

وها نحن نشهد معنا، الثمرة المجيدة لكل هذا. فقد حصلت شعوب عدة على استقلالها، ولم تتله منحة أو هبة، بل اغتصبته اغتصابا. وقد دخلت الأمم المتحدة، واقتحمت أبوابها، شاقة طريقها إلى عضويتها. وها هي تجلس معنا الآن هنا، تحتل مقاعدها الكريمة، وقد فاقت في عددها سادتها السابقين. وقد خرج كثيرون من ممثليها بيننا من غياهب السجون، ومعسكرات الاعتقال وزنانات الأسر، ليجلسوا على قدم المساواة مع سجانهم السابقين. وعندما أثيرت قضية الكونغو في ذلك اليوم، في الجمعية العامة، رأيت بعيني المستر أورمسي \_ غور، وزير الدولة البريطاني للشؤون الخارجية، يركع على ركبتيه في هذه القاعة أمام وفدي غانا ونيجيريا، راجيا إياهما، عدم الإصرار على اقتراحهما، ومن حسن

الحظ أو من سوءه، أن الفرصة قد فانت المصورين لالتقاط هذه الصورة التاريخية. ويمثل هذا الوضع كيف انقلب اتجاه الأحداث من الرجعية إلى التقدم، ومن التاريخ المرعب إلى التاريخ المجيد، ومن هاوية الانحطاط إلى ذرى الكرامة الإنسانية.

ولكن معركة الحرية لم تنته بعد. فما زالت أمامنا مهمة لم نستكملها بعد. وعلينا أن نكملها، هنا، الآن، في هذه الدورة، وفي هذه الجمعية. فعلينا أن نذكر في هذه اللحظة التاريخية، ونحن نناقش موضوع الاستعمار، أن ثمة الكثير من الشعوب، في كثير من البلاد، ما زالت ترزح تحت نير الاستعمار. ومهما أطلقنا على هذه البلاد من أسماء، كالمستعمرات، أو المناطق الواقعة تحت الوصاية، أو البلاد التي لا تحكم نفسها، أو المناطق الواقعة تحت السيطرة، فإن الحقيقة البسيطة، تصرخ غاضبة، عنيفة، بأن نحو من مائة مليون من الناس ما زالوا يعيشون تحت أقدام الحكم الأجنبي. وعليكم أن تعوا، أن هذه الملايين من الأرواح، تصغي إلى مناقشاتنا الآن، وكلها أمل ورجاء. إنها تنتظر من أصواتكم أن تتولى الدفاع عن حريتها، ومن مقرراتكم أن تتبنى تحررها، ومن اقتراحكم، تأييد استقلالها. فهذا حقها، كما هو واجبنا. ومن حق الشعوب المستعبدة، أن تثور على هذه السيطرة وأن تخلصها، وعلى الأمم المتحدة واجب الإعلان عن نهايتها. وأود أن أقول، أن هذا الالتزام على الأمم المتحدة، مفروض منذ أمد بعيد، ولقد حان الوقت للتصرف بالتزاماتنا، دون إبطاء أو تردد.

ولا ريب يا سيدي الرئيس، في أن التزامنا في هذا الصدد، قد استحق منذ أمد طويل مضي. ففي ميثاق الأمم المتحدة، وفي إعلان حقوق الإنسان، وفي مجموعة ضخمة من قرارات الأمم المتحدة، تعهدنا باحترام مبدأ تقرير المصير لجميع الشعوب كبيرها وصغيرها. ولكن الاستعمار ما زال مسيطرًا في أنحاء كثيرة من العالم، وحتى في كتبنا، يقسم العالم إلى شعوب مستقلة وأخرى غير مستقلة، مما يكرس أبشع أنواع التمييز في معاملة الجنس البشري. فمن الواجب أن تستقل جميع شعوب العالم ويجب أن يلغى الاستعمار كنظام، ويصفى تصفية نهائية. وإذا ما عملت الأمم المتحدة ذلك، فإنها ستغدو أمما متحدة حقيقية. وليس من حقنا أن نطلق على أنفسنا اسم الأمم المتحدة، عندما يكون نحو مائة مليون من الناس، غائبين عن هذه المنظمة. فمن الواجب أن يكونوا معنا، لا كما كانوا حتى الآن موضوعا للنقاش، أو كموضوع للحوار والجدل، أجل يجب أن يكونوا معنا كدول مستقلة كاملة الاستقلال، وتامة السيادة. وإذا كان الاستعمار هو العائق، فمن الواجب أن يحطم، وأن يكون تحطيمه نهائيا. أجل يجب أن تتحرر جميع الشعوب فلقد خلق الإنسان أحراراً ويجب أن لا يسمح لإنسان باستبعاد إنسان آخر. وما أقوله ليس مجرد حق وعدل، بل هو فرض من فروض الإخاء الإنساني في ظل العناية الإلهية.

ولا أقصد من حديثي هذا، عظة دينية، تلقى في قداس ديني أو صلاة، ولا سيما وأن منظمتنا ليست مكانا للعبادة، وإنما ما أقوله هو تأكيد مجرد لالتزاماتنا

وتثبيت لأهدافنا. أنه في الحقيقية تلخيص لميثاقنا، الذي أسهمنا بكل إيمان في وضعه وتنفيذه. وإذا كان نزع السلاح، كما ذكر رئيس الوزراء خروشيف، بمنتهى الكفاية والقدرة، هو مشكلة المشاكل، فإن الاستعمار هو أسوأ المساوئ التي يجب أن نحطمها، ونجتثها، أصلا وفرعا. وهذه هي المهمة الناقصة التي يجب علينا أن نكملها.

ولكن هذا الصوت لا ينبثق عن الشعوب التي استقلت حديثا وحدها. لقد كان صوت الإنسانية، منذ بدأ الإنسان يسيطر على أخيه الإنسان. وعندما كان الاستعمار في أوج عنفوانه وسلطانه، وكانت هناك أصوات باسلة، ترتفع، منددة بالاستعمار، وفي الوقت الذي كانت فيه حدود الإمبراطورية البريطانية تتسابق مع الشمس في شروقها وغروبها، كان ثمة بعض البارزين من الإنكليز، يحملون على الاستعمار البريطاني ويستكرونه. ولقد أكد جيريمي بنتام، والد الراديكالية البريطانية، في رسالة له نشرت في عام 1830 تحت عنوان: "حرروا مستعمراتكم"، أن المستعمرات تكلف بريطانيا نفقات عسكرية وبحرية ضخمة، كما تعرضها لأخطار الحرب الخارجية، والفساد السياسي. وأوضح جيمس ميل، في مقالة الذي ادرج في عام 1818، كتكملة للموسوعة البريطانية، شرور الاستعمار ومتاعبه. و لكن الهجوم الساحق الشديد، جاء من ريتشارد كوبدن، حامل لواء حرية التجارة. فقد أطلق على الحكومة البريطانية التي كانت قائمة في ذلك الحين اسم "المؤامرة الدائمة للسيطرة على الشعوب وخداعها". ومهما كان الإنسان مهذبا

ودمّث الخلق فليس في وسعه أن يتجنب الحقيقة الواقعة، وهي أن الاستعمار من بدايته حتى نهايته، لا يعدو أن يكون استغلال للشعوب الضعيفة، واغتصاباً لثرواتها. ولا أريد أن استعمل كلمات السرقة والخداع، إذ أن السرقة أو اللصوصية، متأصلة في الاستعمار وبالطبع، كان ثمة من يدافع عن الاستعمار، ولكن هذا شأن المجرم، الذي يجعل من نفسه قاضياً، ثم يعلن براءته. لكن هذه المحاولات فاشلة دائماً، وهي لا تتعدى إقامة الدليل على الجريمة، وبإلها من جريمة مخيفة.

فلقد زعم أن للاستعمار، رسالة تحضير وتمدين، ورسالة مقدسة للشعوب السوداء. وعلى أساس هذه النظرية التي لا أساس لها، كان الرجل الأبيض يحس بالحق الذي يجب أن يمارسه والواجب الذي يجب أن يؤيده، والعبء الذي يتحتم عليه أن يحمله على منكبيه. وعبء الرجل الأبيض هو الفلسفة الكاملة للاستعمار ولكن هذه الفلسفة نفسها بدت عارية على حقيقتها بأيدي فلاسفتها أنفسهم. فلقد كان روديارد كيبلنج شاعر الاستعمار نفسه، هو الذي أنشد يقول:

"احملي عبء الرجل الأبيض، أيتها الشعوب المولدة الكئيبة، التي يجمع أبنائك بين صفات الإنسان والشيطان".

ولا ريب أن حقيقة الحقائق، هي أن الاستعمار، شيطان قائم بنفسه. وليس الاستعمار بعبء الرجل الأبيض، بل اثبت بأنه غنيمة الرجل الأبيض

وجائزته. ولو كان الاستعمار عبثاً من أي نوع، فلأن الرجل الأبيض، قد انقل بثروات الرجل الأسود، وكنوز الرجل الأسمر، وموارد الرجل الأصفر.

ومع ذلك، يمكن ان يوجه الرجل الأبيض، سؤال مشروع، هو من كلفك يا ترى بحمل هذا العبء؟ ومن أعطاك هذا الحق الذي تريد أن تمارسه؟ ومن عهد إليك بهذا الالتزام الذي تريد أن تقي به؟ وإني لأتحدى بين ملايين الرجال البيض، رجلاً واحداً، فرداً، يستطيع أن يتطوع، بتقديم جواب معقول.

وأنا لا أنكر أن بعض دهاقنه الاستعمار قد حاولوا الرد على هذه الأسئلة. وقد اثبت الفرنسيون في هذا الميدان انهم أذكى المدافعين عن قضية خاسرة فقد كتب ألفرد رامبو الأستاذ في جامعة السوربون، في عام 1886، مجلداً كاملاً، برر فيه الاستعمار، أطلق على الكتاب اسم "فرنسا الاستعمارية". ولا ريب في أن هذا العنوان كاف لوصم القضية. وكتب بوليو وهو اقتصادي فرنسي في عام 1870 يقول: "إن كل يوم يمضي، يزيدني اقتناعاً بأهمية الاستعمار عامة، وأهميته لفرنسا بصورة خاصة". وهكذا فان فرنسا قبل غيرها، هي المهمة في الموضوع، وقد أعلن فيكتور بيروغارد في عام 1924 في كتابه "إمبراطورية فرنسا الاستعمارية" أن "درس التاريخ يكشف عن نتيجة، لها مثل يقين القاعدة المقررة، وهي أن لفرنسا عبقرية تفوق غيرها من الدول في الاستعمار"، ولا ريب يا سيدي الرئيس في أن هذه الأكذوبة عبقرية، وإذا كانت هذه قاعدة مقررة، فإنها قاعدة في الخطأ والمغالطة. إذ بعد هذه الإشارة العابرة إلى عبقرية فرنسا، مضى الكاتب



يقول: "إن مستقبل فرنسا قائم في مستعمراتها". وهكذا فإن فرنسا لا مستعمراتها، هي موضوع البحث والأهمية.

لكن القاعدة المقررة الصحيحة يا سيدي الرئيس، هي أن الاستعمار ليس بالرسالة المقدسة وإنما هو رسالة قذرة وغير مقدسة. فهو يخفي وراءه أسواقا خاصة، ومستهلكين خائعين، وموارد أولية مغتصبة. ووراءه يختفي رأس المال المسيطر، وانتزاع الأرض، وأعمال السخرة، وكلها في مصلحة المستوطنين المستعمرين تحت ستار الحضارة وظلها.

ولقد شن الاستعمار منذ البداية، كحملة لاغتصاب العمل والتجارة والصناعة، وكلها نفذت بتصميم واقع على الاستغلال. والآن تذكروا فقط أسماء تلك المشاريع الضخمة، كشركات الهند الشرقية، وشركات الهند الغربية وشركات الشرق الأدنى والشركات الإفريقية. وتذكروا أيضا، أن هذه الشركات كانت تملك جيوشا وقوات من المرتزقة، هي التي قامت فيما بعد ببناء الإمبراطوريات الشاسعة. وهناك اعترافات مسهبة صادرة عن بناء الإمبراطورية أنفسهم، بأن عبء الرجل الأبيض، ليس إلا ذريعة كاذبة. فليس القصد من الاستعمار، في الحقيقية إلا خدمة مصالح البلد الأم كما تسمى. ويالها من عاطفة نبيلة أن يتصور الطفل جوعا، لتشبع الأم. ونعمة الاستقلال، للشعوب المستعمرة، هي تحرر اقتصادي إذ أن القصد من الاستعمار في البداية، كان السيطرة الاقتصادية.

ولا ريب في أن سجل الاستعمار في منتهى البلاغة، ولا ريب في أن سجل فرنسا في هذا الصدد يتفوق على كل سجل آخر.

ولقد سبق لرئيس وزراء فرنسا جول فيري أن أعلن في عام 1884 أن "للشعوب المتفوقة حقا لدى الشعوب المنحطة ... وإذا قدر لفرنسا أن تمتنع عن الاستعمار، فإنها ستخضع من مرتبة دول الدرجة الأولى إلى مرتبة الدرجة الثالثة أو الرابعة".... وهكذا فإن الاستعمار يعني بالنسبة لفرنسا ليس مساعدة مستعمراتها على الصعود، بل تجنب هبوط فرنسا إلى المرتبة الرابعة.

وأعلن رئيس وزراء فرنسا من جديد في عام 1890 إن "السياسة الاستعمارية هي وليدة السياسة الصناعية". وإذا كان لهذه الكلمات من معنى فإنها تعني أن رئيس وزراء فرنسا يقول بأن المستعمرات ليست إلا أسواقا لفرنسا تباع فيها سلعها بأعلى الأسعار، وهي السلع التي صنعتها من المواد الأولية التي ابتاعها منها بأرخص الأسعار، واستخدمت في صنعها العمال بأخفض الأجور. ولا شك في أن هذا البيان الصادر عن رئيس وزراء فرنسا يكشف حقيقة أهداف فرنسا الاستعمارية أكثر من أي شيء آخر.

وشرح السيد غجيتا، على نفس المستوى، في عام 1881، وفي خطاب ألقاه في مجلس النواب الفرنسي، أهداف بلاده من احتلال تونس فقال: "إن تونس

ضرورية جدا لرخائنا المادي". وهكذا فإن رخاء فرنسا، لا رخاء تونس، هو المهم لفرنسا.

ووصف السيد شوطان، وزير المستعمرات الفرنسي نفسه في عام 1895، بأنه "في الحقيقة وزير ثان للتجارة". لا ريب في أن مثل هذا الاعتراف الصادر عن وزير المستعمرات، إقرار بالإدانة والجريمة، صدر بمنتهى الحرية.

فإذا كان وزير المستعمرات، وزير للتجارة، فإن المستعمرة، وأهلها وثروتها وحتى مصيرها، ليست إلا مجرد سلعة فرنسية تتاجر بها.

وحسب بوليو، الاقتصادي الفرنسي في عام 1882، النقاب عن الاستعمار الفرنسي إلى أقصى حدود الحس والصرامة. فلقد ذكر بعبارات بسيطة واضحة أن "الاستعمار يعني لفرنسا قضية حياة أو موت". وهكذا فإن القضية لا تتناول حياة الشعب المستعمر أو موته. وإنما المهم حياة فرنسا أو موتها. إما شعوب المستعمرات، ففي وسعها أن تعيش بقدر ما تستطيع، وإن تموت كما يجب أن تموت: إنها متروكة إلى مصيرها، لتعيش في رحمة القدر.

وهكذا يا سيدي الرئيس، لم يقض خصوم الاستعمار عليه، بقدر ما هزمه أصحابه وأنصاره. لقد مضى بناء الاستعمار، ومشيدو الإمبراطوريات، سواء أكانوا من الحالمين، أو كانوا من واضعي الخطط وراسميها. ولكنهم خلفوا وراءهم مجلدات ضخمة من الاعترافات التي تحسر النقاب عن فظائع الاستعمار، والتي

تهدم إلى الأبد أكذوبة "الأنسنة" كدافع للاستعمار. وليس ثمة من حاجة في النصف الثاني من هذا القرن العشرين، إلى حشد كافة الحقائق التي تؤيد وجوب منح الاستقلال لشعوب البلاد المستعمرة، ففي منتصف القرن التاسع عشر، عندما كان الاستعمار في أوجه وذروته تعرى هذا الاستعمار، كمؤسسة مرعبة، يقصد منها قبل كل شيء الاغتصاب والاستغلال، على نطاق دولي. وقد استعملت كلمة النطاق الدولي لأن عبارات الداعية الاستعمارية المشهور في بريطانيا، سيسيل رودس، ما زالت ترن في آذاننا. فلقد تحدث هذا عن عالم القرن التاسع عشر فقال: "لقد أصبح العالم مجزءا تقريبا. أما ما بقي منه، فيجري تقسيمه الآن. واحتلاله، واستعماراه... ولو كان ثمة اله، لأراد مني هذا الإله، أن أرسم باللون الأحمر الذي يمثل بريطانيا، في القارة الإفريقية، أكثر ما أستطيع من البلاد...." وعندما وجد سيسيل رودس أن العالم أصغر من أن يشبع نهم الاستعمار البريطاني، مضى يقول: "وإني لأفكر دائما باحتلال النجوم إذا استطعت، ويحزنني كثيرا، أن أراها بعيدة، وواضحة". وهذه الكلمات، يا سيدي الرئيس، عن التجزئة والاحتلال والتقسيم بالنسبة إلى العالم، ورسم خريطة أفريقيا باللون الأحمر تعبير صريح وواضح عن الاستعمار بمفهومه التقليدي أما النهم الشره، في ضم النجوم فأنما يكشف عن الاستعمار البريطاني في القرن التاسع عشر، الذي لم يكتف بأستعمار الأرض، فأخذ يتطلع إلى أستعمار الفضاء الخارجي، وتطالب المملكة المتحدة اليوم بأستخدام الفضاء الخارجي، في

الأغراض السلمية. وهي لاتضع أية خطط الآن لأستعمار هذا الفضاء , ولعل السبب في ذلك هو تخلفها البعيد في مضمار السيطرة عليه.

ولمنح الأستقلال للشعوب المستعمرة من الناحية الثانية, وجهة نظر إنسانية اخرى. فبالأضافة الى التحررالاقتصادي , يقود الأستقلال الى الأنعتاق الروحي, فهو يعني إستعادة الكرامة الإنسانية, وبعث الشخصية الإنسانية. ويقوم الأستعمار على نظرية التفوق العنصري. فتفوق الجنس الأبيض هو المنبع الذي تتدفق منه فلسفة الأستعمار. ويحمل الأستعمار كتابين مقدسين, أحدهما يبشر بعبأ الرجل الأبيض ورسالته, والثاني يمارس أعمالاً محاطاً بضماً قتال الى الفوائد, وجوع أكال للغنائم. ولكن الكتاب المقدس الذي يعتمد التبشير بالرسالة, والذي يفترض فيه أن يغرس في الأذهان فكرة أو ينشر مبدأ, غارق في عقائدية مرعبة مخيفة, وهي عقيدة التفوق العنصري . وعندما تحدث سيسيل رودس عن الأستعمار البريطاني قال "انني أؤكد بأننا نمثل الجنس الأول في العالم. وكلما أتسعت مساحة البلاد التي نسكنها, كلما كان ذلك أفضل للجنس البشري" وهذا القول فرع من العقد النفسية والتناقضات, فمن التناقضات التي لا يقبلها العق, ان يقدم جنس متفوق , فيتنازل عن مكانته لسرقة جنس وضيع. اما العقد النفسية فهي صارخة في مثلها, لأنها "مركب العظمة". أما الحقيقة الثابتة التي لاتقبل أي شك ولاجدال فهي أن الاستعمار يدفعه شره أنساني, لاطبقية أنسانية فحسب, وكتابه المقدس

لايقوم على رسالة "عش ودع الآخرين يعيشون" , وإنمت على رسالة "عش ولا تترك أحد يعيش سواك".

وهذا الوضع لم يظل شيئاً من شؤون التاريخ الغابر, ياسيدي الرئيس. انه تاريخ ماثل, بجميع أهدافه وأغراضه. ففي تصنيف العالم اليوم, صيغت عبارة جديدة للذين يملكون والذين لا يملكون. وقد وجد هذا التعبير مجالا محترما حتى في سجلاتنا, فمن الحقائق المقررة أن بين البليونى إنسان الذين يعيشون على سطح هذه الكرة الأرضية, بليون ونصف البليون من الفقراء إلى حدود لا يكاد يصدقها العقل. وهذا يفسر لماذا يؤلف الذين يملكون الأقلية, بينما يؤلف الذين لا يملكون الغالبية, وتعيش القلة, عيشة أكثر رخاء وثراء. أما الغالبية ففقيرة, تعيش في فقر وتعاسة. ومن الغريب, مع ذلك, أن الذين لا يملكون, أكثر ثراء في المناطق التي يسكنونها وفي الموارد المعدنية والمادية. إذن فما هو السبب في فقرهم الذي لا يصدق. إن الرد موجود في الاستعمار. فاستعمار القرن التاسع عشر يفسر فقر القرن العشرين. والاستعمار هو سبب وجود تصنيف دول العالم الى دول "تملك" وأخرى "لا تملك".

وفي سجلات الأمم المتحدة, أرقام وإحصاءات, مذهلة عن الاقتصاد الوطني في جميع الدول الأعضاء في هذه المنظمة. وكثيرا ما يشار بشيء من الزهو والخيلاء, إلى الحقيقة الواقعة, وهي ان مستوى الحياة في بعض البلاد مرتفع, وان هذا المستوى في بلاد أخرى خفيض للغاية. وتشير هذه الأرقام مثلا, إلى

أن بريطانيا العظمى وفرنسا وبلجيكا، من البلاد التي تتمتع بمستوى رفيع من الحياة، بينما تعيش بلاد آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية في مستوى خفيض. وليس في هذا القول، ما يعيب الفقراء ، أو ما يفاخر به الأغنياء. فلم ينجم ثراء الدول الغربية، عن عبقرية فذة كما لم تنتج فاقة الدول الفقيرة، عن عجز فطري فيها. لكن الاستعمار هو الإيضاح الصحيح، لظاهرة عدم التكافؤ. فلقد قضت شعوب إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية عصورا طويلة، تزرع تحت نير الاستعمار، ويسرق منها ذهبها، وماسها، وقطنها، وحريرها، وعاجها، وتوابلها، وعقاقيرها، مطاطها، وزيتها، وثروتها الحيوانية، وكثير ما سرقت منها أيضا متاحفها الأسطورية التي تضم أحداث ملوكها وملكاتهن.

هذه هي القصة الكاملة لمن يملكون ومن لا يملكون، وتعود في جذورها إلى الاستعمار. فأحوال الفقر والتأخر، التي تسود الآن الكثير من مناطق العالم، هي التراث المباشر للاستعمار. فالشعوب المستعبدة، التي غدت مستقلة الآن، أو تلك التي ما زالت تنتظر الاستقلال، تحتفظ بدين ضخم، من حقها أن تطالب به. وما يقدم إليها الآن على شكل عون اقتصادي، ليس إلا جزءا ضئيلا من مجموع هذا الدين الضخم. انه ليس بالدين الأدبي، بل انه دين حقيقي، اعترف به ويحمل كل ما في الديون الشرعية من خصائص، ودعونا الان نفحص قائمة الحساب وندرسها.

تحدث جوزيف تشمبرلين عن سياسة بريطانيا الاستعمارية فقال: "أن الإمبراطورية، هي تجارة" وهكذا لخص جوزيف تشمبرلين في بضع كلمات، ما لا يمكن لعدة مجلدات إيضاحه. قد رسم استعماري بريطانيا معروف هذه الصورة عن إمبراطورية التجارة، في مكان آخر. فلقد خطب هنري ستانلي في عام 1884 في اجتماع عقده غرفة تجارة مانشستر فقال: "هناك نحو من أربعين مليوناً من البشر يعيشون وراء بوابة الكونغو، ومنتظر غزالوا مانشستر إلياسهم الملابس القطنية. ومنتظر مسابك برمنغهام، وقد توهج الحديد المصهور فيها باللون الأحمر، أن تصنع لهم حاجاتهم الحديدية، وأن تنتج لهم الحلي، التي يزينون بها صدورهم القاتمة السوداء". ولا تحتاج مثل هذه الأقوال إلى أي تعليق. فهي توضح نفسها تلقائياً. إنها تظهر كيف تمكن الاستعمار من رفع مستوى العيش في مانشستر وبرمنغهام، وكيف خلف إفريقيا بأسرها، في فاقة وشقاء. وفي وسعنا اليوم أن نقضي على عدم التكافؤ القائم بين الذين "لا يملكون" في إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية، وبين الذين يملكون في أماكن أخرى. ولأكون أكثر دقة في تعبيرى، أقول أن في الإمكان الإسراع في هذا العمل، عن طريق الإسراع في منح الاستقلال، لجميع البلاد التي ما زالت ترزح في ظل الاستعمار. كما أن الحرية والسلام شيئان لا يفترقان، فكذاك الرخاء الاقتصادي شيء لا يمكن تجزئته. وتتطلب الحرية الاقتصادية للبلاد غير المستقلة، مغامرة تحمل معنى الشهامة، إذ تنطوي على الأقل، على تعبير من الندامة، لأن استعباد هذه البلاد، جاء ثمرة مغامرات تخلو من كل معاني الشهامة. وقد أعلن عن هذا الاستعمار



التجاري، في مناسبات عدة، بحيث لا يتطلب أن برهان أو دليل على وجوده. ولقد أعلن استعماري عبقرى، كدزرائيلي، في خطابه المشهور والمعروف بخطاب "قصر البلور" أن الاستعمار يؤلف دعامة أساسية في سياسته. وقد برهن دزرائيلي بالفعل، على أنه من كبار المساهمين في إقامة صرح الاستعمار في صورته الحالية. ولقد كانت له علاقات شتى بآل روتشيلد وغيرهم من كبار أصحاب الأموال. وعندما عرضت أسهم شركة قناة السويس للبيع، سارع دزرائيلي إلى قبول العرض فوراً، دون أن ينتظر الحصول من برلمان بلاده، على الاعتمادات المالية اللازمة، وهي مغامرة، أضافت، كما نعرف، فصلاً آخر إلى تاريخ الاستعمار في الشرق الأوسط. ولكن دزرائيلي، اضطر لإتمام الصفقة إلى اقتراض أربعة ملايين جنيه استرليني من آل روتشيلد، ويقول لنا الأستاذ مون، وهو الحجة الأمريكي المعروف في العلاقات الدولية، أن آل روتشيلد كسبوا مائة ألف جنيه في هذه الصفقة. ولعل هذا المثل، وهو واحد من كثير، يحسر النقاب عن الطريقة التي كانت تبتر فيها ثروات الشعوب، كما يظهر الأرباح الخرافية التي كانت تجنى، وكيف أدى الاستعمار إلى عدم التكافؤ الاقتصادي، الذي تعاني منه معظم دول العالم حتى اليوم.

وأرى لزوماً علي أن أذكر في هذه المرحلة، أن روتشيلد هذا هو الذي تلقى في الثاني من تشرين الثاني عام 1917، وعداً من وزير خارجية بريطانيا بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين.

وقد أثرت هذه القضية أمام الجمعية العامة، إذ أننا في دراستنا لموضوع الاستعمار، يجب أن لا ننسى، أن إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين قد نبعت منذ بدايتها، من السياسة الاستعمارية، تماما، كأية سياسة استعمارية أخرى طبقت في إفريقيا أو آسيا. ولقد برهنت السياسة البريطانية ومعها شريكها السياسة الأمريكية، في إقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين، على أنها تمثل أبشع صور الاستعمار وأقبحها. فلقد انحسر الاستعمار عن أجزاء كثيرة من العالم، تاركا البلاد لأهلها، ومخلفا الشعوب في بلادها. أما في فلسطين، وبالطريقة التي طبق فيها، فقد أدى الاستعمار إلى تسلي مليوني يهودي إلى البلاد، وطرد مليون عربي، يعيشون الآن لاجئين في مخيماتهم. ولكن الوقت سيحين، قريبا، عندما يعود اللاجئين إلى وطنهم، وتحرر بلادهم من الاحتلال الصهيوني، وتنضم إلى الأمم المتحدة متمتعة بكامل سيادتها، كدولة فلسطين الحرة والمستقلة.

ويمثل العزاء، في المناطق الأخرى الباقية. فقد وصل الاستعمار في القرن التاسع عشر إلى أوجه، وأخذ يشهد في القرن العشرين سيره في طريق التدهور والانحطاط. فلقد تمكن نحو من ألف وخمسمائة مليون إنسان في غضون الخمس عشرة سنة الماضية، من تحطيم قيودهم، والانطلاق أحرارا مستقلين. لقد كانت أعظم المعارك التي شهدتها العالم، والتي أعادت الحرية إلى أكثر من نصف سكان الكرة الأرضية. وكثيرا ما تكون الأرقام أكثر إيضاحا من المجلدات. والآن فكروا بهذه الأرقام وما تعنيه في الحقيقة. إنها تعني أن الأمم المتحدة عند تأسيسها لم

تكن تمثل أكثر من نصف سكان العالم. وأن النصف الثاني كان لا يزال يروح تحت نير الاستعمار. أما الآن فقد وصلنا إلى مرحلة، لم يبق فيها إلا نحو من مائة مليون من الناس يعيشون في ظل الاستعمار والأسر الدولي. وكانت نسبة التحرر في السنوات الخمس عشرة الأخيرة، بمعدل مائة مليون في كل عام. ولذا بات لزاما على الأمم المتحدة، أن تعلن، الآن وهنا، حرية المائة مليون الباقين من أصدقائنا وإخواننا الذين ما زالوا يعيشون في العبودية، وهم مجزأون في شتى أنحاء المعمورة، ولكنهم متحدون في نضالهم من أجل التحرر، وفي توقعهم إلى الحرية.

فشعوب فلسطين وكينيا وعمان وعدن وأطراف الجزيرة العربية، ونياسالاند وأنغولا وموزمبيق وروديسيا وراوندا واوروندي، وإفريقيا الجنوبية الغربية وتجانيقا، وأوغندا، وإيريسان الغربية ومالطة، وغيرها من أطراف العالم يجب أن تتحرر في أوطانها. أما الجزائر، فقضية ملحة بشكل خاص، لأن الحرب فيها قد دخلت عامها السابع الآن. ومن حق شعب الجزائر أن ينال ما نلناه نحن. أجل يجب أن يتحرر شعب الجزائر، وأن يكون مستقلا، كما نحن مستقلون، وأن يتمتع بكرامته، فقد خلق جميع الناس أحرارا، ولقد قال خليفتنا العظيم "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا".

إن للشعوب المستعمرة يا سيدي الرئيس حقا فطريا في الحرية، ومن واجبنا أن نعترف بهذا الحق، وأن نعلنه. وإني أصر على كلمة الاعتراف، لأن تعبير

"منح الاستقلال" الوارد في مذكرة الاتحاد السوفييتي، ليس بالتعبير الصحيح في رأيي. فحرية المائة مليون من الناس، حق لهم، لا منحة منا. إنه حقهم الفطري، لا الهبة التي تعطى لهم.

ومهما كان التعبير، فقد سمعنا دائما من يقول، أن هذه الشعوب ما زالت تحتاج إلى الإرشاد والوصاية، وأن تقدمها الاقتصادي والاجتماعي يتطلب مثل هذا الإرشاد واستمراره إلى أمد ما، إن هذه الحجة عتيقة بالية، لا تستحق منا الاهتمام لأنها لا تتفق مع روح العصر. إنها حجة سخيفة، جديرة بأن تلقى منا الابتسامات الساخرة الصفراء.

فلقد قضت هذه الشعوب في ظل الإشراف والوصاية، حقبا بل وقرونا، فحتى متى يمكن لنا أن ننتظر استمرار هذه المحنة المنهكة، بل هذه التجربة المؤلمة، والامتحان القاسي؛ وإذا كان الإشراف الماضي لم يستطع حتى الآن، أن يرتقي بهذه الشعوب من حالة الاتكال إلى حالة الاستقلال، فإن من حقنا أن نقول، أن هذا الإشراف كان فاشلا، وأن من واجب الأمم المتحدة أن تضع نهاية لهذا الفشل. وهناك أيضا، الحجة الحديثة، التي نستخلصها من أوضاع الكونغو. فهناك أصوات تمثل حطام الاستعمار، ما زالت ترتفع صارخة، لتظهر أن أوضاع الكونغو، شرح واضح للتحذير القائل بأن الوقت لم يحن للاستقلال. وهذا القول، هو آخر طراز من طرازات المنطق، صممه المصممون التقليديون للأزياء

السياسية. ولكنه يفتقر إلى كل مقومات المنطق السليم. ويكفي لإدانة هذه الحجة، أن نعرف بأن مروجيها هم أعداء الحرية والتحرر.

ووضع الكونغو في الحقيقة، حجة تؤيد الحرية، لا تنافضها، فالأزمة هناك ليست ثمرة التسرع في الاستقلال. إنها ثمرة التسرع في العدوان ضد دولة مستقلة جديدة. ولو تركت الكونغو وشأنها، لكان في الإمكان تجنب الأزمة كلها، ولما اقتضى الأمر حشد قوات الأمم المتحدة وتجميعها، ولما أصبحت الكونغو بنداً في جدول أعمال الأمم المتحدة، ولما تحصن دعاة الاستعمار وأنصاره وراء حجة واهية تعيسة في تأييد استعمارهم.

وجميع هذه الحجج، أو الحجج الواهية الضحلة، إذا شئنا الدقة في التعبير، تنتهى إلى الحضيض. فالشعوب المستعمرة يجب أن تتحرر، وعلينا أن نخلي سبيلها. وفي وسعها أن تعنى بأمورها. ففي إمكان المستعبدين الآن الاهتمام بأنمائهم الاقتصادي إذا تحرروا، ونهضتهم الاجتماعية، وتقديمهم الثقافي. وسيكونون في أيد أمينة، لأنها أيديهم هم أنفسهم. وليس ثمة ما هو أجدى، ولا أنفع، ولا أكرم، من أن يعنى الإنسان بشؤونه. وليس ثمة ما هو أكثر إرضاءً لشعب من الشعوب، من أن يقوم هو بنفسه، ببناء حياته القومية. إذ سيضع هذا الشعب، وراء هذا البناء، لا أيدي أبنائه فحسب، بل عقولهم، وأرواحهم، وقلوبهم أيضاً. وستكون النتيجة، لا هذا التطور المتدهور من الإشراف والوصاية، بل ذلك التطور الثوري من الاستقلال.

ولنضرب بغانا مثلاً. فلقد كانت طاقات القوة المائية، نائمة منذ سنوات طويلة، أيام العهد الاستعماري. أما وقد تحقق الاستقلال، فإن مشروع نهر الفولتا، الذي سيجعل من غانا بلداً صناعياً، أصبح الآن في وضع التنفيذ. وينطبق هذا القول أيضاً على غينيا بمشاريعها المثيرة.

ولنضرب بالجمهورية العربية المتحدة مثلاً آخر. فلقد ظل مشروع خزان أسوان، نائماً في محفوظات الحقب الطويلة، سنوات عدة. فلما تحقق لها الاستقلال الحقيقي، في ظل الرئيس عبد الناصر، أضحى المشروع الآن، قيد التنفيذ بأحدث السبل والأجهزة العصرية.

وكانت الصين مجزأة، ومستعبدة وذليلة، فلما تحقق لها الاستقلال، غدت مارداً إنتاجياً جباراً، يصح أن يطلق عليه اسم المارد الذي نفذ صبره. أجل أن الصين، ملّت الانتظار، وهي تحاول مسابقة الزمن واللاحق به.

وأخيراً لنأخذ الهند والباكستان، فقد كانتا تعيشان قبل الاستقلال في جو آسن من الجمود، أما بعد الاستقلال، فقد غدتا خلية نحل، تعج بالمشاريع والخطط الإنمائية.

ولن أمضي في تعداد الأمثلة، ذلك لأن البليون ونصف البليون من الناس، الذين تحرروا في السنوات الخمس عشرة الأخيرة، هم خير دليل على نجاح أعظم التجارب الإنسانية.

وأرى لزما يا سيدي الرئيس، أن لا تقوت انتباهنا نقطة أخيرة. فمع نهاية الاستعمار، يجب أن ينتهي أيضا مجلس الوصاية الدولية. وما وصاية الأمم المتحدة كنظام في الحقيقة، إلا صورة أخرى من نظام انتداب عصبة الأمم السابقة. ومن المؤسف أن يظل مجلس الوصاية حتى هذه اللحظة جهازا رئيسيا من أجهزة الأمم المتحدة. ولا ريب في أن تعبير الحكم الذاتي الذي نص عليه ميثاق الأمم المتحدة، كالهدف النهائي الذي يجب أن تسير نحوه البلاد الواقعة تحت الوصاية، لا يقل بعثا على الأسى والأسف. فالهدف النهائي يجب أن يعلن بأنه الاستقلال، لا الحكم الذاتي الواهي، الذي عبر عنه الميثاق. وعندما بحث موضوع الوصاية في سان فرانسيسكو عام 1945، أوصى مولوتوف، وزير الخارجية السوفيتية آنذاك، بأن يكون الهدف من الوصاية، الاستقلال، وكانت الفيليبين، هي الدولة الوحيدة التي أيدت مولوتوف آنذاك. ومما يؤسف له أن الولايات المتحدة، ممثلة في شخص وزير خارجيتها ستيتينيوس، كانت هي التي تولت قيادة المعارضة للاقتراح، موصية باستخدام تعبير الحكم الذاتي.

لكن كل هذا، غدا من شؤون التاريخ الغابر يا سيدي الرئيس، وسواء أكان التعبير ينص على الاستقلال، أو على الحكم الذاتي، فإن علينا الآن أن نضع تاريخا جديدا يليق بعصرنا. فدعونا نعلن استقلال جميع الشعوب حيثما وجدت، ومهما كان العنصر أو اللون الذي تنتمي إليه. ودعونا نقوم بتصفية الاستعمار

بجميع أشكاله، وأن نضع نهاية له في جميع مظاهره، أجل دعونا نطلق سراح الشعوب في كل مكان.

ولكل دولة من الدول الثماني والتسعين\* الممثلة في هذه المنظمة، وأنا لم أخطئ في الرقم مطلقاً، عيد استقلالها، فدعونا نجعل من هذا اليوم عيد استقلال للعالم بأسره، وبذلك نستطيع أن نخلد بمنتهى الزهو والفخار والبهجة، عملاً مجيداً، هو ضمان الحرية والسيادة والاستقلال للجميع، وضمان ما هو أكثر من ذلك، أن تكون الأمم المتحدة للجميع..

---

\* الدولة المحذوفة من الرقم، هي إسرائيل، التي لا يعترف المؤلف ولا أي عربي بوجودها – "المعرب".



## الملحق الثاني

---

ترجمة الكلمة الثالثة التي ألقاها الأستاذ أحمد الشقيري  
بوصفه رئيس وفد فلسطين خلال الدورة الثامنة عشرة  
للجمعية العامة للأمم المتحدة 1963.

سألقي، يا سيدي الرئيس، ويا حضرات المندوبين الكرام، على مسامعكم في هذا الصباح، خطابي الختامي في المناقشة العامة. ولكن أرجو أن تسمحوا لي قبل أن أفعل ذلك، بأداء ثلاثة واجبات أولية.

دعوني أولاً وقبل كل شيء أن أقدم إليكم يا سيدي الرئيس، عميق شكرنا نحن أعضاء الوفد الذي يمثل شعب فلسطين، معبراً بذلك عن شكر الشعب العربي في كل مكان، على الطريقة الرائعة التي وجهتم بها سير النقاش والأعمال، في هذه المشكلة الخطيرة الأهمية والمثيرة للأسى. ولا ريب في أنك قد عرضت يا سيدي الرئيس بمنتهى الذكاء والكفاية في هذه اللجنة الموقرة، ما تتمتع به من إحساس بالمسؤولية، وما تتميز به من حياد وإنصاف، وهي مزايا عرفت بها بلادك العظيمة في تاريخها الطويل النبيل.

وإني لأذكر يا سيدي الرئيس، إنني عندما كنت رئيساً للوفد السوري، ومن ثم رئيساً للوفد العربي السعودي، كان من حسن حظي أن أجلس دائماً إلى جانب الوفد الروماني، نظراً لتقارب المقعدين حسب الإجراء المتبع لترتيب الحروف الأبجدية. أما وقد بت الآن أحمل صفة أخرى، فإن في وسعي أن أقول، إن علاقاتنا معكم باتت أكثر قوة وعمقاً، إذ أنها علاقة شعب بشعب، بل أمة بأمة، وعلاقة شعب من اللاجئين، بشعب سعيد في وطنه، مستقر في أرضه. وقد تعود إلى بلدك يا سيدي الرئيس بعد انتهاء الدورة، وقد يعود كثيرون غيرك من أعضاء اللجنة الموقرة إلى أوطانهم أيضاً. لكننا نحن، لن نعود إلى وطننا. إذ أن وطننا

قد احتلت إسرائيل، واغتصبته. سنعود إلى حياة التشرد واللجوء، التي عشناها منذ خمسة عشر عاماً. ولعل هذه الحقيقة، هي أبلغ ما يربطنا إليكم وإلى جميع الشعوب المحبة للحرية والسلام في العالم من روابط.

ويحتم الواجب الثاني علي أن أتقدم بالشكر الصادق إلى الوفود المائة والعشرة، وبينها زميلي المحترم ممثل ليبيريا، لصبر أعضائها تجاه ما أبديناه من نفاذ صبر، أرى فيه كل الحق والشرعية. وانني لأتحدث عن نفاذ الصبر المشروع، لأنني أود أن أذكر زميلنا الليبيري، بأننا، شعب فلسطين كنا الشعب الشرعي لفلسطين، وقد أدرجنا نظام الانتخاب ضمن مجموعة (أ). ويعرف صك الانتخاب لمجموعة (أ) نفسه، بأنه يفرض على شعب وبلاد جديرين بالاستقلال. ولكنهما يحتاجان إلى فترة من الأعداد للحصول على الاستقلال الكامل والسيادة المطلقة. وقد استقلت جميع الشعوب التي أدرجت في هذه المجموعة استقلاً كاملاً، أيها الزميل الليبيري المحترم، كما استقلت أيضاً جميع الشعوب التي أدرجت في المجموعتين (ب) و (ج). وهناك شعوب أخرى لم تكن في أي من هذه المجموعات بل دونها كلها، استقلت تمام الاستقلال، أصبحت سيادة نفسها. ولم نحرم نحن من حريتنا فحسب، أو من استقلالنا، أو من حقنا في الجلوس هنا إلى جانب زميلنا الليبيري، كممثلي دولة كاملة الاستقلال والسيادة، وإنما حرماناً أيضاً من بيوتنا وديارنا ووطننا. ترى كيف يمكن للمواطن الفلسطيني أو الوفد الفلسطيني أن يعرب عن عواطفه ومشاعره، وأحاسيسه، بمنتهى الرقة والكماسة والدمائة، وهو

يرى أن شعبة قد اقتلع من دياره ووطنه؟ وقد تعود في يوم ما إلى بلادك، لتتعم بالحياة فيها داخل بيتك ولتجلس مع أسرتك تصطلي إلى جانب المدفأة، تقرأ قصة أو رواية، وتشهد عرضاً تليفزيونياً ناعماً بالحياة البيئية، وبكل ما تغدقه الحضارة من متع، وأنت في وطنك وبين شعبك، ولكننا لا نعود من هذه الدورة إلى وطننا. ولن تكون عودة أعضاء هذا الوفد موحدة. فسننفرق، لنمضي إلى بلاد متعددة في الوطن العربي. أتعرف ما يعنيه هذا؟ انه يعني أننا نعيش وجوداً محطماً مهشماً. فقد تشتت شمل أسرنا، وافترق الآباء عن أبنائهم، وأولاد الأعمام عن أقاربهم وأصهارهم، وتحطم كياناتنا العائلي، وبتنا نعيش منذ خمسة عشر عاماً في المعسكرات والخيام. ومع ذلك، يقوم هناك من يطالبنا بأن نكون رقيقين في تعابيرنا، كيسيّن في ألفاظنا.

لا ريب يا سيدي الرئيس، ويا زميلي مندوب ليبيريا، في أننا سنخدع أنفسنا، لو أننا لم نقل كل ما يجول في أفكارنا، ونطلق كل ما تخفيه ضمائرنا ومشاعرنا: وقد قلت قبل قليل، أننا من البشر وأن اللاجئين من البشر. فإذا كنا حقاً من البشر، فإن علينا أن نتصرف في أقوالنا وأفعالنا كبشر أيضاً. هذه هي عواطفنا ومشاعرنا. وهذه هي حقيقتنا. إنها شرعة الحياة. فإذا غضبت فلا بد أن تغضب، وإذا استثرت كما قال المستر ديفيز، فلا بد أن تثور. وإذا كنا نعيش حياة الحيوانات، فليس في وسعنا أن نأتي، إلى هنا، إلى الأمم المتحدة، لنلبس حياتنا ثوباً رقيقاً مصطنعاً، ولنصطنع البساطة والرقّة كما تريدون منا أن نفعل.

هذه هي شرعة الحياة الإنسانية، وهي أن تحس، كما تحس وتفكر، كما تفكر، وتكون كما تكون، وأنتم سعداء في أوطانكم، ولذا فمن السهل عليكم أن تتقدموا بالنصيحة إلينا. وأنتم تتعمون بحياتكم القومية في أوطانكم، وتمثلون دولاً كاملة الاستقلال، كاملة السيادة. وأنني لا أحسدكم على هذه الحقيقة، ولا أنكرها عليكم. وإنني لسعيد كل السعادة في أن أرى دولة إفريقية كليبيريا، ممثلة خير تمثيل، بالخطيب المفوّه الذي استمعنا إليه هذا الصباح.

ولكن من حقي أن أقول، أن عليكم أن تكونوا منصفين عادلين، مع الشعب الذي يمثلّه هذا الوفد الفلسطيني.

وواجبي الأخير، هو أن أتقدم بالشكر والحمد، للوفود العديدة، التي أعربت عن رأيها في تأييد قضيتنا... وإنني لأعتمد على ذاكرتي، فأذكر بصورة خاصة وفد باكستان ووفد الاتحاد السوفيتي، ووفد غينيا، ووفد الهند، ووفد أفغانستان، ووفود بلغاريا وإندونيسيا ومالي. وكلّي أمل ألا أكون قد نسيت أحداً، إذ أن من يعيش المأساة لا بد أن ينسى الذين يؤيدونه، إذ أن تفكيره يكون محصوراً في أولئك الذين يسيئون لقضيته ويعادونها. وأصدقائنا ماثلون هنا ولكننا نتطلع الى الرد على أولئك الذين يعادون قضيتنا ومناقشتهم، إذ أن قضيتنا قائمة على الحق والعدل.

وقد استمعت في هذا الصباح إلى محاضرة ممتعة من صديقنا المحترم مندوب ليبيريا عن التفاوض. وأني لأحترم هذا الصديق الليبيري، ولا سيما وأنة تلا على مسامعنا بعض الآيات النبيلة التي استمدها من الإنجيل، العهد الجديد. ونحن أيضا نجل الإنجيل كل الإجلال، ونحترمه كل الاحترام، وذلك لأننا شعب البلاد المقدسة. وأننا شعب البلاد التي شهدت رسول السلام. إننا شعب البلاد التي نزل فيها الإنجيل فيها واليهما، والتي شهدت معجزاته وتعاليمه، مصحوبة بأعذب الذكريات عن السيد المسيح عليه السلام.

ومن السهل على المرء، أن يكرر رفع شعار المفاوضات ، إذ إن المفاوضات في هذه المشكلة قد باتت شعاراً، ولكن لا معنى لأية مفاوضات في قضية فلسطين ومشكلة اللاجئين. أنها تخلو من كل معنى، ولا تطوي على أية أهمية. ترى مع من سنتفاوض؟ وقبل المناداة بالمفاوضات عليكم أن تردوا على السؤال الملح الذي لا بد من الرد عليه أولاً، وهو من هو الفريق الآخر؟ وهل هذا الفريق بسياسته، وأقواله وسلوكه وسجله داخل الأمم المتحدة وخارجها أهل للتفاوض؟.

وقد بيّنا بالأدلة المدعمة بالوثائق، أن إسرائيل هي وليدة الصهيونية والاستعمار، بكل ما فيهما من شرور ومظاهر. أو يمكن لإنسان أن يتفاوض مع عنصر مخرب وحركة هدامة؟ أن التفاوض لا يكون إلا مع الحركات الشريفة، ولا يمكن التفاوض إلا عندما يكون في وسع سياسات الفريق الذي تتفاوض معه،

وسلوكه وأقواله، وعقائديته أن تتعايش معك، إذ بدون التعايش يستحيل التفاوض، ولا يمكن للتعايش أن يوجد مع التوسع. وليس في وسع الأمم المتحدة أن تتسامح مع العدوان والمعتدين، وعليها إلا تتسامح مع التوسع وطالبيه. فلا يمكن التفاوض مع المعتدي، إذ أن هذا التفاوض يكون تكريسا للعدوان. والحركة الصهيونية بطبيعتها، وبخصائصها، حركة هدامة، بل حركة عدوانية توسعية. وهي ليست أهلا لأن تكون فريقا يجري التفاوض معه. وليس في مكنتنا على الإطلاق، أن نقبل بها فريقا يمكن التفاوض معه.

أو تسمحوا لي بأن أتلو على مسامعكم شيئا من تعاليم الصهيونية، ومن أقوال زعمائهم، ومن خصائصها وعقائديتها. فهل في مكنة أحد أن يتفاوض مع النازية كنظام؟ إنني أعرف أن دول الحلفاء رفضت ذلك إبان الحرب العالمية الثانية وهي تقول... "ولن نتفاوض مع النازية، إلا بعد استسلامها الكامل والنهائي". ويقول بن غوريون في الكتاب السنوي لحكومة إسرائيل لعام 1954، وفي الصفحة 35 منه وأنا استند في أقوالي دائما إلى وثائق إسرائيل الرسمية، ما نصه: "وعندما يتحدث يهودي في أمريكا أو جنوب أفريقيا إلى إخوانه اليهود مستعملاً عبارة "حكومتنا" فإنه يعني بها عادة حكومة إسرائيل". وإني لأضع هذه العبارات أمام زميلي مندوب ليبيريا الذي أشار في خطابه إلى جنوب إفريقيا، لأبين له الصورة التي يرسمها بن غوريون لجنوب إفريقيا في ذهنه، وكيف يفكر بهذه الدول الإفريقية، وكيف تفكر الصهيونية وإسرائيل بجنوب إفريقيا أو

بأية دولة أو أرض أفريقية أخرى يعيش فيها شعب إفريقي، من أخوان زميلي الأفريقيين. أن هذه هي الصورة التي يشير فيها بن غوريون إلى جنوب إفريقيا والإفريقيين.

أسمعت هذه العبارة أيها الزميل الليبيري؟ أسمعت أن اليهود في جنوب أفريقيا، يعني إسرائيل إذا استعمل عبارة "حكومتنا"؟ أو في الإمكان على ضوء هذه التعاليم، أن يتفاوض المرء مع إسرائيل، التي يقودها قادتتها أن مواطنيك في جنوب إفريقيا يعنونها عندما يتحدثون عن حكومتهم؟

أو هذه هي الطريقة التي تريد من إخوانك الإفريقيين في طول القارة الإفريقية وعرضها، أن يفكروا بإسرائيل عندما يعنون حكومتهم لمجرد انهم من اليهود؟ أن اليهود دين ليس إلا. واني لأعرف هناك ألوفاً عدة من اليهود، يعيشون حياة الرخاء والازدهار في القارة الإفريقية. أو تريد أن يصبح هؤلاء المواطنون الإفريقيون الذين يدينون باليهودية، مواطنين في إسرائيل، يتحدثون عن حكومتها على أنها الحكومة التي تمثلهم؟ أو تريد من اليهود في بلادك، وهو ليبيري مولد وجنسياً، ومواطننا أن يعني إسرائيل عندما يتحدث عن حكومته؟ هذا هو لباب القضية كلها وجوهرها، بل هذا هو الأساس الذي تقوم عليه إسرائيل بتعاليمها وسياستها. أو تجعلها هذه السياسية أهلاً للتفاوض؟



ويمضي بن غوريون إليها الزميل الليبيري المحترم فيقول: "وفي الوقت نفسه تنظر جماهير اليهود في مختلف البلاد، إلى سفراء إسرائيل على أنهم ممثلون..." هذا هو قول بن غوريون، الذي يؤكد أن اليهود في مختلف البلاد ينظرون إلى سفراء إسرائيل على أنهم سفراءهم، أي أن السيد كومي هنا، هو سفير اليهود في نيويورك. وإني لأعرف أن كثيرين من اللبنانيين، بل الألوف منهم يعيشون هنا في نيويورك. ولم أسمع قط هؤلاء اللبنانيين يشيرون إلى السفير اللبناني حكيم، الممثل للبنان هنا في هذه اللجنة. وأنهم لا يعنون السيد حكيم عندما يقولون "سفيرنا"، بل أنهم يعنون المستر ستيفنسون أو المستر بليمبتون، إذا كان هو يمثل الولايات المتحدة في هذه اللجنة. أجل انه هو، فقد رفع يده، وبات في وسعي أن أراه الآن.

وأني لأتجه بسؤالي الآن إلى السفير بليمبتون، لأرى أن كان هو سفير الولايات المتحدة التي تشمل يهود نيويورك أو أن السيد كومي لا المستر بليمبتون سفيرهم. وهنا لا بد أن يقوم تضارب في الصلاحيات بين الرجلين أمل أن يتمكننا من حله في وقت من الأوقات. انظروا إن الجالسين في مقاعد المترجمين يضحكون ساخرين من قول بن غوريون. حقا انه يثير الضحك، ومع ذلك يطلب إلينا أن نتفاوض مع هذا الذي يسخر الجميع من قوله، لأن قوله يقوم على أساس خاطئ. وها آنذا أرى الدكتور بانثس يبتسم أيضاً، وإني لأكاد أقرأ ما يفكر فيه، وتتطرق ابتسامات الدكتور بانثس بالذكاء، وذلك لأنه رجل ذكي لامع.

ولا نستطيع التفاوض مع فكرة كهذه، أو مع سياسة وأهداف كسياسة الصهيونية وأهدافها، وذلك لأنها من الطراز المخرب الهدام، ولأنها تخلق الازدواج في الولاء. فالسيد بن غوريون يطلب من اليهود في كل مكان أن يعتبر علم إسرائيل علمه، وأن يكون ولاؤه لإسرائيل لا الولايات المتحدة، وأن يكون رئيس إسرائيل لا الرئيس الكندي، رئيسه. هذه هي فلسفة إسرائيل. وهذا هو منطق الصهيونية. إذن كيف يمكن التفاوض مع أفكار كهذه؟

وعلى المرء أن يفكر طويلاً في هذا قبل أن يطلب إلينا التفاوض مع إسرائيل. فمن السهل على المرء جداً، أن يتحدث عن المفاوضات. ولكن كيف يمكن تطبيقها، على وضع كالوضع الذي نحن فيه؟

وقد تحدثت عن المفاوضات التي تدور بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي. ولكن لهاتين الدولتين الكبيرتين حقوقهما، وهما تقومان على أرض وطنيهما. وليست هناك حدود بين هذين الوطنين. وقد يكون ثمة صراع مذهبي بينهما، أو قضية تسليح أو لا تسليح، أو أسلحة نووية أو تقليدية لا نووية. لكن قضيتنا هنا، تختلف كل الاختلاف. فهي متعلقة بوطن وبشعب اغتصب منه وطنه، وأجبر على العيش حياة التشرد والأبعاد في خارج بلاده. هذه هي قضية في منتهى التجرد والبساطة، فلا يمكن التفاوض مع إسرائيل والصهيونية، بالنسبة إلى عقائدهما فحسب بل وبالنسبة إلى أساليبيهما ووسائلهما. فأهدافها لا مشروعة

وطرقهما ووسائلهما لا مشروعة أيضاً. ولا ريب في أن أساليب الصهيونية وإسرائيل وطرقهما، تستثير الاضطهاد، وتخلق اللاسامية.

ولا يستبد بكم العجب أيها الزملاء، إذا أكدت لكم، أن شطراً من سياسة الصهيونية وإسرائيل يستثير اللاسامية، ويستفز على الاضطهاد، ذلك بالنسبة الى رغبتها في حشد جميع يهود العالم في فلسطين.

وقد عرفنا هذا منذ الثاني عشر من أغسطس عام 1961. وإني لألفت نظر الزميل، مندوب ليبيريا، الى ما كتبه اللورد كرومر في مجلة "الاسبكتاتور"، وهو رجل ذو كفاية نادرة، ومواهب عظيمة...فقد قال:

"يؤثر أكثر اليهود حماسة أن يعانون الاضطهاد على أن ينعمون بالحرية وذلك لان الأول يبقى على شعلة القومية عندهم متقدة مشتعلة، بينما تعمل الثانية على إخمادها".

هذا هو ما توصل إليه سياسي بريطاني كبير وبارز، أكد أن الصهيونية تؤثر الاضطهاد، اذ انه يعمل على تحقيق حلمهم في تجمع اليهود في فلسطين.

وقد يتراءى للمندوب الليبيري الزميل أن يقول...حسناً، أن هذه وجهة نظر بريطانية، وهي لا تنطبق على الحالة التي نتولى درسها الآن . ولكنني سأشير عليه بالرجوع إلى مصدر يهودي. انه مصدر إسرائيلي معاصر، يظهر أن

أسلوب الصهيونية وإسرائيل، هو تعريض اليهود للاضطهاد، وإثارة اللاسامية في العالم اللايهودي ... انهم يقولون...دعونا نستفز شعار اللاسامية في العالم اللايهودي وذلك لنحمل اليهود على التدفق والهجرة الى فلسطين.

ولدي الآن مرجع لا يمكن تكذيبه، وهو يظهر أن أساليب الصهيونية وإسرائيل تنطوي على التحالف مع اللاسامية، ومع كل ما تنطوي عليه من شرور وآثام. ففي صحيفة "دافار" وهي الناطقة الرسمية بلسان حزب العمال (الماباي) الحاكم في تل أبيب، الدليل على أن الصهيونية تستغل اللاسامية كوسيلة لتحقيق أهدافها. هذه الصحيفة هي الناطق بلسان الحزب الحاكم، فهي والحالة هذه، الصحيفة شبه الرسمية في البلاد. ترى ما الذي تقوله؟ اسمعوا وافتحوا آذانكم لتصغوا، بشيء كثير من الصبر إلى ما أقوله ،، وأنا أتلو على مسامعكم الدليل. يقول كاتب المقال في الصحيفة المذكورة:

"سأختار عشرات من الشبان الأكفيا والأذكيا والمخلصين، الذين كرسوا حياتهم لهدفنا الأسمى، والذين تستند بهم الرغبة في العمل على إنقاذ اليهود وسأبعث بهم إلى البلاد التي يعيش فيها اليهود في حالة رضى خاطئة".

وقد يبعثون بهم إلى ليبيريا، أو إلى أية بلاد ممثلة هنا. وستكون مهمة هؤلاء الشبان في ليبيريا، أو في أي بلاد ممثلة هنا، كما يقول صاحب المقال...

"ومهمة هؤلاء الشبان، أن ينتكروا بمظهر غير اليهود، وأن يحملوا على الصهيونية المتوحشة، وأن يحيلوا حياة اليهود في تلك البلاد إلى جحيم بشعارات اللاسامية، كشعار "اليهودي القذر" و "اذهب إلى فلسطين أيها اليهودي" وغير ذلك من الشعارات المرعبة. وفي وسعي أن أقول، أن النتائج التي يحققها هؤلاء الشبان على صعيد الهجرة الكبيرة لليهود من هذه البلاد إلى إسرائيل، هي أضعاف ما يحققه المبعوثون العاديون من نتائج ولو كانوا يعدون بالألوف.

إذا سيطلب إلى هؤلاء الشبان الصهيوين أن يذهبوا إلى البلاد التي يقيم فيها اليهود، وأن ينشروا الإرهاب بينهم بشعارات اللاسامية المرعبة. هذه هي أساليب إسرائيل وحيلها، كما نشرتها صحيفة "دافار" الناطقة الرسمية، بلسان الحكومة القائمة.

ولعلكم تذكرون أيها السادة، تلك الحملة التي اجتاحت أوروبا وبعض بلاد جنوب أمريكا، وتذكرون أن المرء كان يستيقظ في الصباح ليجد الشوارع كلها وقد امتلأت بمنشورات الحملة على اليهود. وكلكم يذكر ولا شك أن تلك المنشورات كانت تتضمن شعارات كالشعارات التي تنادي بها دافار.

وفي وسعكم أن تعرفوا الآن من هم أصحاب هذه الحملة ومن كان وراءها . انهم الصهيوينيون، بل والإسرائيليون.

ترى أي حزب هذا. أيها الزملاء الكرام، الذي يتبع مثل هذه الأساليب، ويبعث بموفديه إلى أوروبا وأمريكا الجنوبية، حاملين هذا الشعار، ليثيروا اللاسامية، وليؤثروا على اليهود، ليدفعوهم إلى الهجرة من بلادهم إلى فلسطين.

إنها أساليب شريرة، أساليب مخزية، وهدامة، ومن الواجب طرد أصحابها من مائدة التفاوض فوراً، ودون إبطاء، لأنهم لا يستحقون الجلوس إليها. وليس في وسعكم أن تمثلوا لعبة التفاوض على هذا النحو. أجل ليس في وسعكم أن تفعلوا هذا.

ولكن لم لا نهبط إلى الواقع. قد يقول الزميل مندوب ليبيريا، أن ما قلته لا يخرج على حدود النظريات. إذن ما هي وقائع الوضع؟ سأمضي معه في فرضه هذا، لأرى مدى الواقعية في موضوع المفاوضات.

قلت قبل دقائق أننا من البشر. حقا إنه من الخير أن يعترف بعض الموجودين هنا بأننا من البشر، كان يخیل إلي أننا مجرد سلعة، تباع وتشتري، معروضة في السوق، على المشتريين. كان يخیل إلي أننا قطيع من الخراف أو المعيز أو الخنازير، يمكن دفعها من مكان إلى آخر. وإنه ليسرني حقا أن يتحدث عنا زميلي المحترم مندوب ليبيريا، على أننا من البشر. ولكنكم تطلبون من الحكومات أن تتفاوض على هؤلاء البشر. إنكم تطلبون منها أن تقرر مصيرنا. أجل إنكم تطلبون من الحكومات أن تتفاوض لتقرير حياتنا المقبلة. ولكن بحق

السماء كيف يمكن لكم تقرير مصيرنا في غيابنا؟ كيف يمكن لكم أن تقرروا مصير بلادنا في غيابنا وأن يتم هذا التقرير بين حكومات بعضها معني بالقضية وبعضها لا شأن له على الإطلاق؟

إنه مصيرنا الذي تريدون أن تقرروه، لا مصير هذه الحكومات معنية كانت أم غير معنية.. إنه مستقبلنا. وإذا كنتم تقررون أننا من البشر، فمن حقنا أن نعيش، ومن حقنا أن نقول "لا" أو "نعم". إن من حقنا أن يكون لنا رأي في مستقبلنا، ولن يقدر للمفاوضات أن تتجح، إذا لم يكن لنا رأي فيها. ولم لا نطلبون إلى جميع حكومات الأمم المتحدة أن تتفاوض بالنسبة إلينا وإلى مستقبلنا ومصيرنا؟ ولم يكون التفاوض بين الحكومات المعنية وحدها؟ إننا نحن الشعب المعني وليس ثمة من حكومات معنية في هذه القضية.

إننا نحن، الفلسطينيون الذين نعد مليونين من الناس، أصحاب القضية، ومن حقنا أن نقرر مصيرنا بأنفسنا، وليس من حق أحد أن يتفاوض باسمنا. هذا هو حقنا. وإذا كنتم تقررون أننا من البشر، فيجب أن نعامل كبشر. ومن حقنا كبشر أن نتفاوض في حقوقنا. أجل حقوقنا القومية. ولست أفهم كيف يمكن في عصر الأمم المتحدة، أن يوضع مصير شعب بأسره على مائدة التفاوض دون وجوده. هذه ليست بالمفاوضات. إنها مجرد تصفية لشعبنا، وقضاء على حقوقنا. إننا نعيش في عصر الحرية والديمقراطية. فكيف يمكن للإنسان أن يحترم الحرية والديمقراطية، وأن يجلس مبادئهما، عندما يحرم شعب من أن يقول كلمته، ويعهد

إلى غيره بتقرير مصيره؟ إننا نعيش في عصر الحق في تقرير المصير. وكما نعمت بممارسة هذا الحق القومي، فمن حقنا أن ننع، بتقرير مصيرنا.

ولنعد الآن إلى موضوع الواقعة من جديد. وليس لي الزميل مندوب لبيريا بأن أعرض على مسامعه تقرير لجنة التوفيق الدولية في هذا الموضوع المتعلق باللاجئين. لنرى معاً المدى الذي يمكن للمفاوضات أن تصل إليه في هذه المشكلة. ذكرت اللجنة في تقريرها الثالث المقدم إلى الجمعية العامة في يونيو عام 1949، وبمنتهى الوضوح والجلء، فقرة سأتلوها على مسامعكم، تقول "إن اللجنة لم تفلح في حمل حكومة إسرائيل على قبول العودة". ها هي لجنة التوفيق تبلغ الجمعية العامة أنها قد أخفقت حتى في إقناع حكومة إسرائيل بقبول مبدأ العودة. إذن علام سنتفاوض؟ ونحن نرى إسرائيل تتكر هذا المبدأ؟ إن إسرائيل لا تنكر العودة وترفضها فحسب، بل وترفض قبولها من ناحية المبدأ أيضاً. وعلى ضوء هذا الرفض والإنكار، لا أستطيع أن أفهم دعوتكم للتفاوض في هذه المنطقة، مع وجود هذا الإنكار الكلي حتى لحق العودة ومبناها. ومع ذلك فأنتم تطلبون إلى الحكومات العربية أن تتفاوض في موضوع العودة.

وقد عادت إسرائيل، فقدمت في يوليو عام 1949، إلى لجنة التوفيق مذكرة رسمية تقول فيها: أنه ليس في الإمكان إرجاع عقارب الساعة إلى الوراء. هذه هي تعابير إسرائيل. اسمعوها، إنها تقول.. "لا يمكن إعادة عقربي الساعة إلى الوراء. والعودة الفردية للاجئين العرب إلى أماكن إقامتهم السابقة أمر مستحيل"،



هل سمعتم؟ إنها تقول أن عودة الأفراد أمر مستحيل. هذه ليست عباراتي. إنها العبارات التي اختارتها إسرائيل نفسها. وقد نقلت لجنة التوفيق هذه العبارات بنصها إلى الجمعية العامة. وعندما نسمع إسرائيل تقول أن عودة اللاجئين مستحيلة، فكيف يمكن بحق السماء أن تطلبوا إلى الحكومات العربية أن تتفاوض في موضوع العودة، مع أنها تعرف مسبقاً أن إسرائيل تقول باستحالتها. إن مثل هذا التفاوض لا يعني ألا أن نتفاوض على الاستحالة. أجل إنه يعني المفاوضة على المستحيل. أو ليست هذه مغالطة، بل مهزلة المهازل؟ فالتفاوض لا يكون إلا في حالة وجود الممكن، لا في حالة وجود المستحيل. ولعلكم تفهمون الآن لماذا نرفض التفاوض.

وعندما أوضح زميلي مندوب سوريا هذه النقطة، لم يكن يركز في إيضاحه إلى خواء أو فراغ، وإنما كان يركز إلى جوهر ومادة. فعندما تعلن إسرائيل أن العودة مستحيلة، فكيف يمكن التفاوض عليها؟ وليست المفاوضات إلا وسيلة لتحقيق الممكن. وبين ميثاق الأمم المتحدة أن التفاوض طريقة محددة لتحقيق الممكن، ولكن عندما تقول إسرائيل بالاستحالة، فلا يمكن للمفاوضات أن تحقق المستحيل.

وعاد ممثل إسرائيل يقول في نوفمبر عام 1955... "وليس في مكنة حكومتي أن توافق على اقتراح السفير لابواسيه الذي يدعو إلى عملية خيار حر بين العودة والتعويض بالنسبة إلى اللاجئين، كما أن ليس في وسعها أن تتبناه". أولاً ترون

أنا نخوض الآن في بعض المتاهات، بعد أن تلوت على مسامعكم اقتراح إسرائيل. إن هذه المتاهات تتبع من الظلام. ظلام الضمير. ومن هنا ترى أيها الزميل، أن المندوب الإسرائيلي قد ذكر بأن ليس للاجئين حق الخيار. فإذا لم يكن لهذا الشعب حق الخيار، فما الفائدة من المفاوضات يا ترى؟ إن هذا شيء غير مفهوم على الإطلاق. إنها مجرد تمرين، تمرين رياضي على الجميز، لا إجراء من إجراءات الأمم المتحدة. فإجراءات المنظمة الدولية، يجب أن تكون متصلة بالحياة، ومنسجمة مع الوقائع، ولكن إسرائيل قد سدت الطريق أمامها مسبقاً.

وهناك مصدر آخر، سأعرضه عليكم. إنه إنجيل إسرائيل. إنني أجل الإنجيل الذي تقرأونه، ولكن دعونا نرى ما هو إنجيل إسرائيل. إنه الإنجيل الذي يتلى في الكنيسة، برلمان إسرائيل، وها هو النص أمامي لعام 1961، وقد نقلته صحيفة النيويورك تايمز على النحو التالي:

"أقرت الكنيسة هذه الليلة بما يشبه الإجماع، موقف الحكومة من عدم السماح للاجئين العرب الذين فروا من المناطق التي أصبحت الآن جزءاً من إسرائيل بالعودة إليها. وقد أقرت الكنيسة في نفس الاقتراع البيان الذي ألقاه دافيد بي غوريون رئيس الوزراء في الحادي عشر من أكتوبر والذي رفض فيه الاقتراح المعروض على الأمم المتحدة بإعطاء اللاجئين حق الخيار بين العودة والإسكان".

هذا هو موقف الكنيست، وهو كما نعرف جميعا برلمان إسرائيل. إنه يرفض العودة، ويرفض حق اللاجئين في الخيار بين العودة والإسكان.

واتخذ قرار آخر في نفس الموضوع في نوفمبر عام 1962، وإنني لأتلوه على مسامعك يا صديقي المحترم مندوب ليبيريا. وقد نقلت البرقيات الصحفية في الثالث عشر من نوفمبر هذا القرار من القدس وهذا نصه:

"اقترع الكنيست الإسرائيلي بعد يومين من المناقشات الحادة على سياسة إسرائيل الخارجية، وعلى موضوع اللاجئين الفلسطينيين العرب بوجه خاص، بما يكاد يشبه الإجماع ليلة أمس فأكد سياسة الالعودة بالنسبة إلى اللاجئين إلى الأراضي الإسرائيلية".

هذا هو قرار البرلمان الإسرائيلي في عام 1962. وقد عرضت على مسامعكم هذا البيان الطويل من سياسة إسرائيل، مستندا إلى الواقع لا إلى النظريات أو الأهواء، إنها السياسة الفعلية التي اتبعتها إسرائيل عاماً بعد عام، هنا في الأمم المتحدة وفي البرلمان، إنها تقوم على لا عودة اللاجئين. وها نحن نسمع، هنا وفي الأمم المتحدة، بشعار "المفاوضات" الذي يعني "لا عودة اللاجئين".

حقاً إنها قضية خطيرة. فتاريخ إسرائيل في الأمم المتحدة وخارجها يستبعد كل الاستبعاد أي قرار أو أية دعوة للتفاوض. ونحن نعرف ما يعنيه الاتفاق مع

إسرائيل. فقد كانت هناك اتفاقات هدنة معها، وقد وقعها جميع الفرقاء المعنيين، تحت إشراف مجلس الأمن، ونحن نعرف أيضا أن إسرائيل قد خرقت هذه الاتفاقات وانتهكتها مئات المرات ولكن ليست هذه هي النقطة التي أحاول جلاءها هنا. إنني سأتلوا على مسامعكم البيان الذي ألقاه بن غوريون في البرلمان الإسرائيلي عند احتلال شبه جزيرة سيناء. وقد ألقى هذا البيان في الكنيست في جلسة الثامن من نوفمبر، إنه يقول فيه:

"انتهت الهدنة مع مصر إلى غير رجعة، كما انتهت خطوط الهدنة معها. وليس في مكنة أي سحرة أو مشعوذين أن يعيدوها إلى ما كانت عليه".

وإذا كان رئيس وزراء إسرائيل يقول في برلمانه أن هذا الاتفاق الذي وقع تحت إشراف مجلس الأمن قد انتهى إلى غير رجعة، وأن ليس في وسع أي سحرة أو مشعوذين أن يعيدوا الخطوط التي وضعها ذلك الاتفاق إلى حالها، فكيف يمكن والحالة هذه التفاوض مع الفريق الذي يستنكر اتفاقات الهدنة المعقودة تحت إشراف مجلس الأمن وتلبية لتعليماته؟ ومع ذلك فأنتم تطلبون إلينا أن نتفاوض مع هذا الفريق.

من الواجب أن ينطوي كل اقتراح وكل عرض على المنطق. وأن لا يكتفي ببسطه هنا على المائدة، وحمل كل إنسان على التفكير فيه. إن هذا الاقتراح غير قابل للتفكير إطلاقاً، وليس في وسعنا أن نفكر فيه.

وقد بسطت في الخطابين اللذين ألقيتهما في هذه القاعة، قضية شعب فلسطين بوجه عام وقضية اللاجئين بوجه خاص. وقد عرضتهما، وأنا أدعي هذا متواضعا، بصورة كاملة، وبحرية وصراحة. وتلوت على مسامعكم بعض الحجج التي تستند إلى القانون الدولي، وإلى ما يمليه الميثاق ومبادئ الأمم المتحدة. واستشهدت بالأرقام والإحصاءات، واستندت إلى المراجع والمصادر الموثوقة، سواء منها تلك المستقاة من سجلات مجلس الشيوخ الأمريكي أو من كتاب إسرائيل السنوي، وكلها مراجع موجودة هنا، في الأمم المتحدة. ولم ألجأ إلى المقتطفات الصحفية إلا نادرا، إذ أنني كنت أؤثر دائما الاعتماد على المراجع الرسمية.

تري ما هو أثر أقوالي هذه؟ يؤسفني أن أقول أنني لم أتلق رداً من جانب الولايات المتحدة على الإطلاق. وقد تحدثت في خطابي الثاني ثلاث ساعات طوال. مستشهداً بالمراجع الأمريكية على الاتهامات الخطيرة والمتعددة التي وجهتها إلى سياسة الولايات المتحدة، ومع ذلك، فلم أسمع أي رد على اتهاماتي هذه.

ويؤسفني أن أقول أن القضية التي عرضتها لم تكن مبنية على أساس الشكل، وإنما كانت شاملة وكاملة، إلى آخر ما في الكمال من معنى تدعمه الأدلة الكثيرة التي لا تناقض. وقد اكتفى ممثل الولايات المتحدة المحترم، برد قصير، لم يعلق فيه على الجوهر والمادة، ولا على التهم التي وجهتها إلى حكومته،

وإنما رد فيها على اللغة التي استعملتها، واللهجة التي لجأت إليها. وقد ذكر سفير الولايات المتحدة، أنني استخدمت عبارات مهينة، وأن لهجتي كانت تتطوي على المرارة، وأن الولايات المتحدة لا تود تشريفي بالرد على أقوالي. ولكنني رجل كريم شريف، ووفدنا وفد كريم شريف، وشعبنا، الفلسطيني بل والعربي كله، شعب كريم وشريف. والشرف يسري في عروقتنا. وهذه حقيقة أود من الولايات المتحدة أن تعرفها.

وإذا كان ثمة من دليل على كرامتنا وشجاعتنا، فإن الدليل ماثل في تحدينا للولايات المتحدة. فنحن نمثل أضعف شعب في العالم، ومع ذلك فنحن نتحدى أقوى شعوب العالم طراً. وقد نكون شعباً أعزل وقد نكون شعباً فقيراً، ولكننا نتحدى سياسات الولايات المتحدة بكل ما لديها من سلطان نووي، وموارد مادية. وإذا كان هناك من دليل على كرامتنا، فإن هذه الكرامة هي التي أوحى لنا بالشجاعة على تحدي الولايات المتحدة. وليس في مكنة من يخلو من الكرامة والشجاعة أن يتحدى الولايات المتحدة، لا سيما إذا كان فقيراً وأعزل من السلاح. ولكننا تحديناها بمنتهى الكرامة والشجاعة.

أجل سبق لي أن وجهت عدداً كبيراً من التهم الخطيرة إلى الولايات المتحدة، وهي ما زالت قائمة حتى الآن على السجل، تنتظر الرد. فقد تحدثت قبل كل شيء، عما عثرت عليه لجنة الشيخ فولبرايت بالنسبة إلى الرشاوى من إسرائيل للمؤسسات الأمريكية لتسميم عقول الناس في الولايات المتحدة. وأشارت بصورة

خاصة إلى الجهود التي يبذلها عملاء إسرائيل، لإعداد تصريحات حكام الولايات ورؤساء البلديات في الولايات المتحدة، تأييدا لمواقف إسرائيل، وظلت هذه التهم قائمة تحتاج إلى الرد.

وكان أكرم بالولايات المتحدة وأشرف أن لا تشرفني بل تشرف الحقيقة والواقع والصدق، وأن ترد بالنفي أو الإيجاب، عما إذا كانت تحقيقات الشيخ فولبرايت صحيحة أو غير صحيحة.

وقد اتهمت الولايات المتحدة الأمريكية بالغبار الذري الانتخابي الذي ينهال على شعبنا من اللاجئين يوماً بعد يوم. وقد قلت أن الغبار الذري الانتخابي يصيبنا برشاشه باستمرار، من جراء هذه التصريحات المختلفة التي تصدر هنا، في الولايات المتحدة، طيلة أيام السنة، ولا سيما في الحملات الانتخابية. وما زالت هذه التهمة قائمة تحتاج إلى الرد من جانب وفد الولايات المتحدة، الذي تكرم ممثلها هنا فاكثف بالقول بأن اللهجة التي أستعملها، واللغة التي أعبر بها، مهينة ومسيئة. ولا تهمني اللغة سواء كانت مسيئة أم لا، وإنما تهمني الأعمال التي يجب أن يحكم عليها، سواء كانت مسيئة أو لا مسيئة. وقد أعلنت أن سياسة الولايات المتحدة مسيئة ومهينة بالنسبة إلى الأعمال التي ترتكبها. ولا يمكن أن يعتبر قول المندوب الأمريكي بأن لهجتي "سيئة ومهينة"، رداً على اتهامي إذا كانت أعمال حكومته مسيئة ومهينة.

وقد اتهمت أمريكا بأن السيد بن غوريون وحكومته يقلبان قراراتها رأساً على عقب في أكثر من مناسبة، واقتبست من أقوال بن غوريون نفسه، ما يشير إلى ادعائه القدرة على قلب قرارات الحكومة الأمريكية. وطلبت من الوفد الأمريكي رداً على سؤالي عما إذا كان من الصحيح أن إسرائيل قادرة على قلب القرارات الأمريكية. ونحن معنيون بهذه النقطة، لأن القرارات التي تقلب تتعلق باللاجئين وبحقوق شعب فلسطين. والآن أرجو أن تجيبني بلا أو نعم. هل صحيح أن إسرائيل قادرة وعلى استعداد دائم لقلب قرارات حكومتك بالنسبة إلى مصائرنا وإلى مستقبلنا وأهدافنا وحقوقنا القومية؟ إن من حقنا أن نعرف الرد على هذا السؤال.

ووجهت أيضاً تهمة أخرى وهي أن لجنة التوفيق الدولية قد أساءت التصرف والسلوك، وخرجت على الحدود المرسومة لها، وتجاهلت حقوق شعبنا في العودة. واتهمت الولايات المتحدة أيضاً، بأن العبارة الأخيرة في بيان ممثلها هنا تتحدث عن إدماج اللاجئين في حياة الشرق الأوسط الاقتصادية. قلت كل هذا بصراحة. وهو خرق فاضح لصلاحيات لجنة التوفيق ومسؤولياتها. ولو كانت الولايات المتحدة مخلصاً لسياستها، فإن الواجب يحتم عليها أن تأتي إلى هنا، إلى الجمعية العامة وأن تقول، "إننا عاجزون عن تنفيذ المهمة الموكلة إلينا"، بدلاً من الإغفاء في سبات طويل على هذه المهمة امتد خمسة عشر عاماً، لتأتي بعد انصرامها قائلة... وها نحن نحاول العثور على حل جديد. إن هذا القول ضرب من الخيال والوهم. وليس هذا بعالم الواقع الذي نتحدثون عنه. فالحل هنا. وقد أقرته الأمم



المتحدة في عام 1948. وكنتم أنتم الذين وضعتم الفقرة الحادية عشرة في هذا القرار، وكان عليكم بوصفكم عضواً في لجنة التوفيق الدولية، مخلصين لصلاحيتها، ولهذه الفقرة التي صغتموها بأنفسكم، أن تنفذوا هذا الحل، وألا تبحثوا عن حل آخر. إن الحل قائم ينتظر التنفيذ، ولا يفتر إلى الاكتشاف.

أما بالنسبة إلى اللغة المهينة، فإنني جد آسف حقاً أن أسمع من دولة كبرى ممثلة في الأمم المتحدة، مثل هذا الدفاع السيئ. وإني لأقول أنه دفاع سيئ لأن الواجب يحتم عليكم أن تردوا على الحقائق والوقائع والأرقام والإحصاءات، وكلها مستخلص من سجلات الأمم المتحدة.. أجل إنها موجودة كلها إما في سجلات الأمم المتحدة أو في سجلات مجلس الشيوخ. وقد تحدثت طيلة ساعات طوال، فهل كان حديثي كله مسيئاً مهيناً؟ لست أعرف أن المعجم الإنجليزي يضم من الكلمات المسيئة والمهينة، ما يستغرق ثلاث ساعات طوال من الحديث. وإني لأعلم أن اللغة الإنكليزية ضعيفة لأنها لا تضم عدداً كبيراً من الألفاظ المسيئة المهينة. ولا أدري إن كان زميلنا المحترم بليمبتون يعرف هذه الحقيقة، إذ أنه واسع الاطلاع في اللغة الإنكليزية.

يا لها من غرابة... أتحدث ثلاث ساعات طوال، ثم لا أسمع من الولايات المتحدة رداً، سوى أن لغتي مسيئة مهينة. ولكن اللغة التي أستعملها، لا تخرج عن اللغة التي يستعملها مواطنو الولايات المتحدة البارزون، سواء كانوا من المسؤولين، أو كانوا ينتمون إلى أية ناحية من نواحي الحياة العامة.

وهنا لا بد لي من أن أوجه نظركم إلى بيانات هذه الشخصيات الأمريكية.  
فقد ذكر الدكتور ميلر باروز في كتابه.. "فلسطين شغلنا الشاغل" ما نصه:

"كانت حكومتنا هي المسؤولة عن إرغام أعضاء الأمم المتحدة على الاقتراع إلى جانب قرار التقسيم في التاسع والعشرين من نوفمبر عام 1947" أي أن الولايات المتحدة هي التي فرضت قرار التقسيم. إن حكومتها هي التي فرضته ... أو هذه لغة، معيبة. إنها لغتكم على أي حال...ومضى الدكتور باروز بعد ذلك يقول:

"وقد فرضته حكومتنا دون خجل عن طريق اللجوء إلى أساليب سياسات القوة التي أخنى عليها الدهر".

ترى هل تعتبر هذا التعبير رقيقاً أو مسيئاً. ويمضي الدكتور باروز فيقول:

" وكان هذا العمل عرضاً مخجلاً للحقيقة المؤلمة، وهي أن في وسع الأساليب القديمة المستنكرة من الناحية الخلقية، والتي تتبع في فرض الضغط المشبوه والإرهاب الدبلوماسي، أن تسيطر على هيئة أنشئت لهدف سام وهو تحقيق العدالة الدولية".

ولم تكن العبارات "المخجلة" و"المؤلمة" والمستنكرة، والمشبوهة من وضعي أنا، إذ أن العبارات التي استعملتها كانت أقل قسوة وعنفا. وإذا صح أن عباراتي

مهينة ومسيئة، فما هو الوصف الذي يمكن أن يطلق على تعابير الدكتور باروز؟ إنها قضية أذواق، بل وقضية تسمية. ولست أعرف ذوق الوفد الأمريكي بالنسبة إلى الإهانة والعبارات المهينة. ويبدو لي أننا نختلف على تعريفه. ويبدو لي أننا نختلف على تعريف اللغة المهينة. ولعل من الإساءة للتعبير نفسه، أن نختلف في تعريفه. إن اتهام التعبير بالإهانة والإساءة، في الوقت الذي يتميز فيه بالرقّة والكياسة شيء مهين حقاً .

ولأستشهد بمرجع آخر. انه وزير الدفاع هذه المرة، جيمس فورستال. فقد كتب في يومياته يقول:

"وكانت الأساليب التي اتبعت لفرض الضغط على الدول الأخرى في الجمعية العامة، أقرب ما تكون إلى الفضيحة الضخمة".

إنه وزير الدفاع الأمريكي، يتحدث عن سياسة الولايات المتحدة في فرضها الضغط على الجمعية العامة للأمم المتحدة في عام 1948، ويصفها بالفضيحة، والفاضحة. وقد تحدثت في ذلك اليوم عن السياسة الفاضحة، وها هو وزير الدفاع الأمريكي نفسه يؤيد قولي . وإذا كان وزير دفاعكم يجد في نفسه الشجاعة الكافية، والصدق في أن يصف سياستكم بأنها فاضحة، فماذا تنتظرون منا معشر اللاجئين الذين اقتلعنا من جذورنا في وطننا كنتيجة مباشرة لسياستكم هذه؟.

وتكهن المستر فورستال وزير الدفاع، بأن هذا التأييد المطلق لإسرائيل "سيترك آثاراً لا تزول من الكراهية وانعدام الثقة" بالنسبة إلى الولايات المتحدة في الوطن العربي.

أجل تركت سياستكم آثاراً لا تزول من الكراهية وانعدام الثقة في الوطن العربي، ولم يكن خطابي اليوم أيضاً إلا انعكاساً لهذه الآثار من الكراهية وانعدام الثقة، ما زالت سائدة في الوطن العربي. ولكنها ليست بالكراهية الطبيعية الفطرية. فنحن لا نكره الولايات المتحدة وشعبها. اننا نعجب بالشعب الأميركي ونعجب بما يبديه من تسامح، وكرم، وشهامة، وتعلق بالديمقراطية، ولكننا نكره السياسة الأمريكية لمواقفها اللاديمقراطية والمشبوهة والفاضحة من مشكلة فلسطين، وإني لأستعير الآن هذه التعابير من أقوال المستر فورستال.

أو تسمحون لي بأن أذكركم، بأن مشرعنا العظيم السير ظفر الله خان، حذر العالم الغربي في عام 1947، أثناء مناقشات الجمعية العامة في موضوع التقسيم بقوله....."أرجوكم، أتوسل إليكم، ألا تحطوا وتنسفوا كل ما لكم من رصيد في العالم العربي".

أجل إنه حذركم في عام 1947 من تحطيم رصيدكم في العالم العربي فلم تكثرثوا بتحذيره. وها إنكم تجنون الآن الثمرة، كراهية وعدم ثقة. أننا لم نكره الولايات المتحدة في يوم ما. أو تسمحون لي بأن أذكركم، بأن العالم العربي كله

صفق إعجاباً لكم في عام 1919 عند ما أعلن الرئيس ويلسون نقاطه الأربع عشرة. أجل هللنا لنقاط الرئيس ويلسون، ولا سيما للنقطة التي تقرر مبدأ تقرير المصير. وعندما ذهبت لجنة كينج \_ كرين إلى بلادنا في عام 1919، اقترح تسعون في المائة منا، أي من أهل سوريا وفلسطين، إلى جانب انتداب الولايات المتحدة علينا، إذا كان الاستقلال متعذراً.

أو ترون مدى الثقة التي كنا نضعها في حكومات الولايات المتحدة، أننا طالبنا بالانتداب الأمريكي كبديل عن الاستقلال في عام 1919. فقد انهارت هذه الثقة كلها، وأصبحت صفراً. وتحول حبنا للولايات المتحدة، إلى كراهية، وعدم ثقة على حد تعبير المستر فورستال في يومياته.

وهناك مرجع آخر. أمامي بيان ألقاه عضو الكونغرس لورنس أ.ش. سميث، في مجلس النواب الأمريكي. إنه يقول:

"دعونا ننظر إلى السجل\_أي سجل الولايات المتحدة في الجمعية العامة \_يا سيدي الرئيس. لنرى، ماذا حدث في الجمعية العامة للأمم المتحدة قبل الاقتراع على التقسيم...".

إنه يمضي قائلاً:

" أن الضغط الذي فرضه ممثلونا وبعض مواطنينا يؤلف سلوكاً يستحق عقابنا وعقابهم".

أسمعتهم... "سلوك يستحق الحساب"، من الولايات المتحدة وموظفيها لأنها فرضت الضغط الشديد على الجمعية العامة لإرغامها على الاقتراع إلى جانب قرار التقسيم.

ولم يكن هناك في ذلك الحين، إلا اقتراحان معقولان ومنطقيان، قد عرضا على الجمعية العامة. ورفضت الحكومة الأمريكية عن طريق وفدها هذين الاقتراحين. ترى ما هما هذان الاقتراحان المعقولان والمنطقيان؟

كان أولهما يطالب بالاستفتاء، أي أن يستقّي شعب فلسطين نفسها بما يريد تحقيقه.

وكان ثانيهما يقضي بالرجوع إلى محكمة العدل الدولية، لتقرر ما إذا كانت الجمعية العامة صاحبة الحق في تقسيم وطن له شعبه، ضد إرادة الشعب.

وقد رفضت الولايات المتحدة هذين الاقتراحين وعملت على هزيمتهما. أجل رفضت الولايات المتحدة الاستفتاء. فكيف يمكن أن توصف سياستها بالديمقراطية عندما تعارض في استفتاء للتأكد من رغبات شعب البلاد؟ ولنعد الآن إلى الاقتراح الثاني. طالبنا بالرجوع إلى محكمة العدل الدولية، لاستشارتها فيما إذا

كان من حق الأمم المتحدة أن تقسم وطننا ضد إرادة شعبه، وعلى الرغم منه. ومع ذلك فقد رفضت الولايات المتحدة، الرجوع إلى العدالة.

وليس هذا هو كل شيء. فلم تكتف الولايات المتحدة، بما أنزلته بنا من أضرار في الماضي، وإنما تقف اليوم متهمة بإلحاق أذى جديد باللاجئين. وقد سمعنا السفير كوك في ذلك اليوم، ينهي بيانه بعبارة يطلب فيها اتخاذ قرار بإدماج اللاجئين في اقتصاد الشرق الأوسط.

حسن، إن اللاجئين لا ينتمون إلى الشرق الأوسط. انهم ينتمون إلى فلسطين، ومن حقهم أن يعودوا إلى وطنهم. ليس في مكنثهم أن يتحدثوا عن مشكلة اللاجئين على أنها جزء لا يتجزأ من مشكلة الشرق الأوسط. فنحن لا نناقش مشاكل هذا الشرق هنا. وليس من حق الأمم المتحدة، ولا من صلاحية الولايات المتحدة أن تبحثا في مشاكل الشرق الأوسط.

وأود أن اذكر صديقي المحترم ممثل الولايات المتحدة، كما أذكر السيدة ماير، لأنهما كما يبدو يقفان في معسكر واحد، لأن إسرائيل كانت دائما طفل الولايات المتحدة المدلل، ولذا فإن وقوفهما في صف واحد ليس من قبيل الصدفة العارضة، فان السيدة ماير قالت في بيانها الذي ألقته:

"تتحدث الفقرة الحادية عشرة عن "الإدماج" وقد عادت قرارات الأمم المتحدة اللاحقة، فحددت في حياة الشرق الأوسط الاقتصادية".

ومن هنا يبرز هذا الاشتراك بين الولايات المتحدة وإسرائيل في الحدث عن الاندماج في حياة الشرق الأوسط. ولكن الإدماج ليس بالتعريف اللغوي. وليس من قبيل الاصطلاح، أن يعود الإنسان إلى المعجم ، ليجد "الإدماج". انه تعريف الأمم المتحدة، وهو مصطلح من مصطلحاتها. وعلى المرء أن يبحث عنه بين قرارات الأمم المتحدة، وها أنني أجد أمامي قرار الأمم المتحدة رقم 393(5) الصادر في الثاني من ديسمبر عام 1950. وأرى من واجبي هنا أن أبين أن هذه الفقرة التي سأتلوها على مسامعكم، كانت من صياغة الوفد الأمريكي، وأن الولايات المتحدة هي التي أدخلت هذه الفقرة، التي تولت بالاشتراك مع غيرها من الدول، تضمينها الاقتراح المقدم الى الأمم المتحدة، وتتص الفقرة الرابعة من هذا القرار على ما يلي:

"وترى دون المساس بنصوص الفقرة الحادية عشرة من قرار الجمعية العامة رقم 194(3) الصادر في الحادي عشر من ديسمبر عام 1948 إدماج اللاجئين في حياة الشرق الأدنى الاقتصادي، إما عن طريق العودة أو الأسكان". وهكذا لا يكون الإدماج في حياة الشرق الأوسط الاقتصادية، مجرد تعريف عام وإنما هو تعريف مرتبط بأختيار الاجئين، فمن يؤثر العودة منهم يعود، ومن لايريدها منهم، يعاد إسكانه. ومن هنا لا يكون الإدماج بلا قيد أو شرط، وإنما هو إدماج محدد إما بالعودة أو بالإسكان.



وهناك وثيقة أخرى مهمة كل الأهمية، من إعداد المستر همرشولد الأمين العام للأمم المتحدة. ولا ريب في أن هذه الفرصة مؤاتية للإشادة بذكراه. فقد مات في إفريقيا دفاعا عن السلام، ولكنني آمل، ألا تموت هذه الوثيقة التي يتحدث فيها عن الإدماج، والتي يقدم فيها إلى الجمعية العامة تفسيره لهذا التعريف، في عيون الوفد الأمريكي. ففي التقرير الذي قدمه إلى الجمعية العامة عن تجديد مدة وكالة الإغاثة الدولية، وهو التقرير الموضوع أمامي الآن، يقول السكرتير العام للأمم المتحدة:

"وللقضية التي يجب البحث فيها عن الإدماج، ناحية سياسة في منتهى الأهمية، فقد قررت الجمعية العامة في الفقرة الحادية عشرة من القرار رقم 194(3)، أن يسمح للاجئين الراغبين في العودة إلى ديارهم والعيش بسلام مع جيرانهم بالعودة".

ويمضي المستر همرشولد بعد ذلك قائلا: "ومن هنا يكون الموقف الذي يتحتم على الجمعية العامة أن تقفه، هو إدماج اللاجئين في الحياة الإنتاجية لإسرائيل، كما في الحياة الإنتاجية للدول العربية حسب اختيار اللاجئين أنفسهم.. فالراغبون في العودة إلى فلسطين، يجري إدماجهم فيها، بينما يدمج الذين لا يرغبون في العودة في الحياة الاقتصادية للبلاد العربية".

هذا هو تفسير المستر همرشولد، بالنسبة إلى موضوع الإدماج ومن هنا يتبين أن الإدماج ليس بالشيء الجديد، الذي تحاول الولايات المتحدة أن تجر الجمعية العامة بأسرها إليه. وهو إدماج اللاجئين في حياة الشرق الأوسط الاقتصادية كلها.

وقد عاد المستر همرشولد يقول: "ولن يكون الإدماج مرضياً أو حتى ممكناً، إذا كان تحقيقه، ينطوي على إرغام الناس على اتخاذ مواقفهم الجديدة ضد رغباتهم".

وهكذا فإن المستر همرشولد قد أبلغ الجمعية العامة، بأن ليس في استطاعتكم إرغام هؤلاء الناس على مواقف ضد رغباتهم..

فإرادتنا هي التي يجب أن يكون لها القول الأول والأخير، وليست إرادة الأمم المتحدة أو الولايات المتحدة. وليس في مكنتم أن تدمجوا اللاجئين في سوريا أو لبنان أو العراق. إن اللاجئين مصممون على الاندماج في فلسطين، في ديارهم ووطنهم. وهذا هو قولهم الأخير، بل موقفهم الأخير، ومن واجب الولايات المتحدة أن تخضع لإرادة هؤلاء الناس وأن تحترمها، إذا شاءت أن تكون هنا ممثلة للديمقراطية، وممثلة لإرادة الشعوب، ولكل ما يفرضه ميثاق الأمم المتحدة.

أما وقد أنهيت حديثي عن هذا التواطؤ بين إسرائيل والولايات المتحدة، فإن من واجبي أن أعود إلى البحث في تواطؤ آخر. إنه التواطؤ بين المملكة المتحدة وإسرائيل، وإني لأعتقد أن كل إنسان ينتظر هذا التواطؤ ليعرف سببه ونشأته وتاريخه. وقد يكون من المجدي والمفيد لزميلي المحترم ممثل المملكة المتحدة أن يعرف تاريخ حكومته في هذه القضية، أجل تاريخ حكومته مع إسرائيل وتاريخ الإمبراطورية البريطانية مع الصهيونية. وقد تحدث بالأمس رداً على ما قاله أخي وزميلي السيد الباجه جي، عن العلاقة بين الصهيونية والاستعمار البريطاني، وبين الصهيونية والاستعمار العالمي. وتطوع المندوب البريطاني، برد، أرى أنه مع مزيد الاحترام من أسوأ الردود، وهو قائم على الاعتقاد أكثر منه على قوة الحجة. وإني لأؤثر أن أنصح جميع الأعضاء، بأن يدرسوا السجلات والوثائق قبل أن يتحدثوا في أي موضوع مدرج على جدول الأعمال، ولذا فإن من واجب وفد المملكة المتحدة أن يدرس سجل دولته وتاريخ سياستها في طول العالم وعرضه، قبل أن يتطوع بتقديم بيان هنا، في الأمم المتحدة. وإذا كان هذا الوفد يجهل السجل والتاريخ، فإن من واجبي أن أذكره بهذا السجل.

وقد سبق لي أن قلت أن الصهيونية هي لباب الاستعمار وقلب الإمبريالية، بكل ما فيهما من شرور ومساوئ. وذكرت السيدة ماير، في البيان الذي ألقته بالأمس أن "الوفود العربية، تحاول أن تقرض علينا وصمة الإمبريالية والاستعمار". فالاستعمار والإمبريالية، ليستا بالوصمة أو الدمغة. ونحن لا نصم

أحدا أو ندمغ أحدا بهما على الإطلاق. فقد نشأت الصهيونية في حضن الاستعمار، وانتقلت من حضن دولة إلى أخرى منذ نشوئها. ولذا فهذه الصلة ليست الوصمة. وليست الصهيونية وإسرائيل إلا الثمرة الرئيسية للاستعمار بكل ما فيه من مظاهر سيئة، وكل ما فيه من شرور. والسجل أمامي جلي واضح. حاولت الصهيونية منذ نشأتها، أن تتحالف مع جميع الدول والقوى الاستعمارية في عصر الاستعمار وزمانها. وكان خالقو الصهيونية، يجوبون أنحاء أوروبا كلها بحثا عن الأحلاف مع القوى الاستعمارية البارزة في تلك الأيام. وقد بدأوا جولتهم بفرنسا وقدموا إليها مذكرة يقولون فيها:

"سنضم البلاد التي نعتزم احتلالها، مصر السفلى، والأقسام الجنوبية من سوريا ولبنان. وسيمكننا هذا الوضع من أن نصبح سادة التجارة مع الهند والجزيرة العربية، وشرق أفريقيا وجنوبها. ولا يمكن لفرنسا إلا أن ترغب في رؤية الطريق إلى الهند والصين المحتلة من شعب يسير وراءها إلى الموت وهل هناك من شعب يصلح لهذا الهدف أكثر من اليهود، الذين شاء لهم منذ بداية عصور التاريخ أن يرتبطوا بمثل هذا الهدف. وليس ثمة من شك في أن اليهود والفرنسيين قد خلقوا منذ الأزل، ليعملوا معاً".

أتسمعون! هذه هي لغة الاستعمار، كما تحدثت بها الصهيونية إلى فرنسا بالنسبة إلى الهند وإلى الطرق التجارية العربية، وتجارة البحار. إنها لغة الاستعمار، كما خاطبت الصهيونية بها فرنسا. ولكن هذه ليست النهاية.

فقد مضى قادة الصهيونية إلى ألمانيا، وعرضوا عليها برنامجهم على النحو التالي: "نحن نريد أن نقيم على الشواطئ الشرقية للبحر الأبيض المتوسط حضارة عصرية، ومركزاً تجارياً يكونان دعامة للسيادة الألمانية مباشرة أو لا مباشرة".

وهكذا فهم يقولون لفرنسا، أننا نعبد الفرنسيين، وقد خلقنا لنعمل معكم يداً بيد. نعيش معاً ونموت معاً، وهاهم يقولون للألمان بأنهم سيكونون دعامة السيطرة الألمانية. ثم يقولون:

"وستكون فلسطين، عن طريق الهجرة اليهودية، قاعدة سياسية وتجارية، بل صخرة ألمانية \_ تركية كصخرة جبل طارق على حدود المحيط الإنكليزي \_العربي".

وهكذا أرادت الصهيونية أن تكون العملية التابعة لألمانيا الاستعمارية، كما أرادت أن تكون العملية التابعة لفرنسا الاستعمارية. وإني لأقول هذا مع احترامي الشديد لفرنسا، التي لم تعد استعمارية على الإطلاق بفضل قائدها العظيم الرئيس ديغول، الذي تمكن من تطهير تاريخ فرنسا من آخر بقايا الاستعمارية وآثارها.

وهذا بالنسبة إلى ألمانيا وفرنسا، فما الموقف بالنسبة إلى بريطانيا والولايات المتحدة؟ تقول رسالة بتاريخ الرابع عشر من يناير عام 1918 ، وجهها وايزمن إلى برانديس ما نصه:

"إن فلسطين اليهودية التي تخلقها بريطانيا العظمى، وتساعدنا أمريكا تعني ضربة مميتة، توجه الى السيطرة الإسلامية \_ البروسية \_ الطورانية على الشرق".

هذا محور جديد. إن الصهيونية تتخلى عن البروسيين والألمان والفرنسيين وتتجه إلى الأمريكان والإنكليز، قائلة لهم إن "اشتراكننا يعني ضربة مميتة نوجهها إلى ألمانيا والإسلام وتركيا". انه محور استعماري جديد كل الجدة، والحديث عنه، جديد وبلغة جديدة، تخاطب بها الصهيونية كلا من أمريكا وإنكلترا ويمضي وايزمن قائلاً:

"يجب أن يكون من الواضح كل الوضوح أن ثمة ارتباطا كليا بين المصالح الأمريكية والبريطانية واليهودية في وجه المصالح التركية \_ البروسية".

ولكن هل كانت هذه الخطوة خاتمة المطاف؟ لا. وألف لا. إن الصهيونية تتقدم بعروضها إلى ألمانيا وفرنسا والمملكة المتحدة والولايات المتحدة. ولكن هذه العروض، لم تضع نهاية لمخططاتها. فهناك دولة كبيرة أخرى، أخذت في الظهور بعد الحرب الكونية، وبعد الحرب العالمية الثانية. إنها الاتحاد السوفيتي. فكيف يمكن للصهيونية التقرب إليها؟ إنها القلعة الأخيرة التي لا بد من اقتحامها.

وقد تقربت منها على النحو التالي، إذ مضى بن غوريون الزعيم الإسرائيلي المعروف يقول للاتحاد السوفيتي في عام 1944 ما نصه:

" ولن تتمكن روسيا السوفيتية، عن طريق تشجيعها الهجرة اليهودية من تحميل الجماعات اليهودية في طول العالم وعرضه جميلاً لا تنساه فحسب، بل ستخلق لنفسها أيضاً مركزاً ممتازاً في الشرق الأوسط" .

فها هم الصهيونيون يعرضون الشرق الأوسط بكامله على الاتحاد السوفيتي هذه المرة، وكأنهم هم أصحابه الشرعيون. وها قد رأيتكم، كيف أن الصهيونية كحركة استعمارية، تقربت من الاتحاد السوفيتي، والولايات المتحدة وبريطانيا العظمى، وفرنسا، وغيرها من الدول. ولكننا نعرف أن الاتحاد السوفيتي لم يلق بالاً إلى هذه السخافة الصهيونية التي تدعوه إلى تشجيع الهجرة اليهودية الى فلسطين، ليكسب لنفسه مركزاً ممتازاً في الشرق الأوسط، ونحن نعرف أن الاتحاد السوفيتي لا يبحث عن مركز ممتاز في الشرق الأوسط، لأن للشرق الأوسط أهله وأصحابه. أن الشرق الأوسط ملك لأهله، والاتحاد السوفيتي أبعد ما يكون عن التفكير أو تصور مركز ممتاز في الشرق الأوسط، عن هذه الطرق والأساليب الدعائية التي تتبعها الصهيونية. فالصهيونية حركة لا مشروعة في الاتحاد السوفيتي ، وإنني لأعتقد أن هذا السبيل هو الطريق المعقول الذي يمكن لجميع شعوب العالم اتباعه، إذ أن الصهيونية حركة هدامة ومخرية. وقد قدم الاتحاد السوفيتي الكثير لخير السلام والاستقرار في العالم بتحريمه الصهيونية

كحركة مخربة. هذا الدرس يجب أن تتعلمه الدول الأخرى والأمم المتحدة في مجموعها.

ولكن الصهيونيين لم يكتفوا بهذا كله. فقد تقدموا إلى الإمبراطورية العثمانية متقربين منها، وذلك لأن فلسطين كانت جزءاً من الإمبراطورية، وقد عرض هرتزل، في مقابلته الأولى للسلطان العثماني عبد الحميد في الثامن عشر من مايو عام 1901، مليون وستمئة ألف جنية إسترليني، للحصول على "قرمان" سلطاني يقضي بالسماح لليهود بإقامة مستعمرات في فلسطين. ولكن السلطان، وكان ذا نبل وشرف، رفض العرض، أزدري الرشوة، كتب ما يلي، وقد استقيته من دائرة المعارف البريطانية التي أود لو اطلع عليها زميلي مندوب المملكة المتحدة الذي تحدث بالأمس عن العلاقات بين الصهيونية والاستعمار البريطاني. أجل إن ما سأتلوه مقتبس من دائرة المعارف البريطانية التي نشرت الرسالة التي بعث بها السلطان إلى هرتزل

وقد جاء فيها:

"أرجو أن، تنصحوا الدكتور هرتزل، بأن لا يقوم بأية خطوات أخرى في هذا الموضوع. فليس في وسعي أن امنحهم شبراً واحداً من الأرض، إذ أنها ليست ملكي، وإنما هي ملك شعب. وقد حارب شعبي من أجل هذه الأرض وجبل ترابها بدمائهم. فليحتفظ اليهود بملايينهم. ولو قدر لإمبراطوريتي أن تتجزأ،



فقد يحصل اليهود على فلسطين بلا مقابل، لكنهم لن يقطعوا الا جزءا من جثتنا. وليس في وسعي أن أقبل بقطع بلادي".

كان هذا هو الموقف الذي وقفه السلطان الذي تصفه بعض الدوائر البريطانية بأنه كان طاغية. انه رفض ملايين الصهيونيين، لأن الأرض ملك لأهلها. ولكن مما يؤسف له أن جماعة "تركيا الفتاة" الذين حكموا فيما بعد، قبلوا هذه الرشوة الضخمة الهائلة. وأمامي الآن الخطاب الذي ألقاه المستر هنري مورجنتاؤ، في سينسيناتي، بعد تخليه عن منصبه كسفير في تركيا، والذي أشار فيه إلى قضية فلسطين. فقد أعلن انه كان قد اقترح مؤخراً على الحكومة العثمانية أن تباع تركيا فلسطين إلى الصهيونيين بعد انتهاء الحرب. أضاف أن الحكومة التركية قبلت هذا العرض تقبلاً حسناً، وأن البحث قد جرى في الأرقام. حقا إنها صفقة بيع وشراء. إنها صفقة وكأنها مزرعة تباع – ولكن الصفقة تتناول بلادا لها أهلها وشعبها. وقد تحدث المستر مورجنتاؤ، في خطاب انتشر انتشاراً لإتمام صفقة الولايات المتحدة، عن المفاوضات التي أجراها مع الحكومة التركية لإتمام صفقة البيع والشراء التي تتناول بلاداً لها شعب.

هذا هو الشكل الواضح للاستعمار، بل انه أبشع أشكال الاستعمار وأشنعها. انه المظهر المربع للاستيطان الاستعماري. هناك أبشع من التفاوض مع الحكومة التركية، بقصد الحصول على بلاد بكاملها، بعد انتهاء الحرب، مع شعبها الذي يعيش فيها مقابل المال سواء أكان هذا المال دولارات أو جنيهات إسترليني. انه

أسوأ من الإقطاع، حيث كانت الإقطاعيات تباع مع فلاحيتها. أما هنا فليس الموضوع متعلقا بإقطاعية، وإنما هو متعلق ببلاد بأسرها، يتفاوض السفير الأمريكي مع الحكومة التركية على بيعها وشراءها. إنها بلاد ليست مجهولة في التاريخ، بل لها أهميتها التاريخية. إنها بلاد عريقة، تعرف بأرض السلام، وقد شهدت معجزات رسول السلام. إنها البلاد المقدسة التي يتفاوض السفير الأمريكي على بيعها مقابل المال، بكل ما فيها من سكان، وذكريات، ومقدسات، ككنيسة القيامة، وكنيسة المهد، والناصرية، والقدس المقدسة بآثارها. إنه يريد بيعها للصهيونيين مقابل المال عن طريق مفاوضات يجريها هو في تركيا بوصفه سفير الولايات المتحدة. ومع كل هذا، فهناك في هذه القاعة من يجد في نفسه الجرأة والشجاعة ليقول إنها "وصمة الاستعمار" نحاول أن نستخدمها، وأن لا علاقة بين الاستعمار البريطاني والصهيونية. أو ليس هذا هو الاستعمار في مبناه ومعناه.

وأود هنا أن ألفت انتباه الزميل المحترم، ممثل المملكة المتحدة من جديد إلى الطبعة الأخيرة من دائرة المعارف البريطانية. وإذا كان هذا الزميل لم يقرأ الطبعة الأخيرة، لأنه أكبر سنا من أن يقرأها، بعد أن قرأ طبعاتها السابقة، فأني أقول أنها تضم عبارة ربطت فيها بين الاستيطان الاستعماري اليهودي في فلسطين وبين ضمان "السلامة الدائمة لمداخل قناة السويس".

هذا هو لباب العلاقة بين الاستعمار البريطاني والصهيونية. إنه الدفاع عن مداخل قناة السويس وضمن سلامتها الدائمة. وقد ذكر الزميل المحترم

مندوب المملكة المتحدة في خطابه في ذلك اليوم، أن بريطانيا تخلت عن انتدابها على فلسطين في عام 1947، لأنها وجدت انه "غير عملي من الناحية العملية وغير قابل للتوفيق بين المصالح المتضاربة". ولكن لم يكن السبب في هذا التخلي، لا عملية الانتداب، وتضارب التزامات الدولة المنتدبة، ولكن كان السبب أنكم رأيتم أن طرق المواصلات، لم تعد الشيء الذي يهتمكم للاتصال مع إمبراطوريتكم.

ولم تعد السويس جزءاً من الإمبراطورية ، وانما هي الان ملك لأهلها. إنها ملك الشعب العربي، وهي ملك شعب الجمهورية العربية المتحدة في الوقت الراهن. عندما رأيتم تطور الأمور، تخيلتم عن سلطاتكم المنتدبة. وقد جئتم بالصهيونية إلى المنطقة عندما كنتم فيها لتضمنوا السلامة الدائمة لخطوط مواصلاتكم، وضمان سلامة قناة السويس. ولكن القناة أصبحت ملكا لشعبها، فتخليتم عن الانتداب. ومن هنا لا تكون القضية مجرد لا عملية أو صعوبة في التوفيق بين التزاماتكم بموجب الميثاق بل صعوبة في التوفيق بين مصالحكم ليس إلا.

وكنتم أظن أن الزميل بوصفه ممثلاً للمملكة المتحدة، لا بد وأن يعرف تاريخ حكومته البريطانية في هذه القضية. ترى هل يعرف تعليمات المستر بالمرستون إلى ممثلي بريطانيا في الشرق بين عام 1839 - 1841 ، عندما اتضح أن على اليهود في فلسطين أن يشجعوا على التطلع إلى بريطانيا العظمى لحمايتهم؟ كانت الحكومة البريطانية في تلك الأيام تدرس مشروعاً لإسكان اليهود في شبه جزيرة سيناء، على أبواب فلسطين.

وعرضت قبرص على الصهيونيين باقتراح من تشمبرلين، كما عرض عليهم اذاشاؤوا، قطعة من الأرض على ساحل محمية إفريقيا الشرقية البريطانية في تلك الأيام، ولم يمض عشرون عاماً حتى كانت هناك خطة جديدة يدعمها دزرائيلي وسالسبوري، تقترح إسكان اليهود في مساحة من الأرض الى الشرق من نهر الأردن. وهذا هو سجل الإمبراطورية البريطانية في هذه القضية، وهذه هي تعليمات رؤساء وزاراتها، ووزراء خارجيتها في هذا الموضوع.

لنعد إلى ما كتبه المستر ايمري، السياسي البريطاني البارز في هذا الموضوع.

أنه يقول:

"وكنا نرى من وجهة النظر البريطانية الخالصة، إن إقامة شعب يهودي ناجح في فلسطين، يدين بوجوده، وبفرصته في التطور والنمو للسياسة البريطانية، كسب ثمين لضمان الدفاع عن قناة السويس من الشمال، وكمحطة للطرق الجوية المقبلة مع الشرق".

هذا ما قاله المستر ايمري، وهو كما تعرفون ليس بالرجل العربي، عن المصلحة المشتركة بين الصهيونيين والاستعمار البريطاني.

وأمامي أيضا الان مذكرة مهمة مؤرخة في عام 1916 ، تحمل عنوان "مذكرة سياسية"، وقد كتبها سياسي إنكليزي بارز . إنها تقول: "وتتفق المصالح البريطانية واليهودية.....وهذا الانسجام بين أعرق المطالبين بفلسطين وبين المصالح الاستعمارية لبريطانيا العظمى، يفرض على الفريقين واجباً مشتركاً وهو صياغة خطة تلتقي فيها هذه المطالب والمصالح وتتوحد".

وأرى أن اقتبس الآن فقرة من المستر لويد جورج، تتحدث عن هذه العلاقات بقولها:

"وكان الرأي السائد، أن وعداً كهذا – المقصود به وعد بلفور –سيترك أثراً قوياً على اليهودية العالمية خارج روسيا، ويضمن لدول الحلفاء مساعدات المصالح المالية اليهودية. وستكون لهذه المساعدات في أمريكا قيمة خاصة، حيث استهلك الحلفاء كل ما لديهم من ذهب و ضمانات تسويقية في شراء البضائع الأمريكية".

أرأيتم؟ إن المستر لويد جورج يتطلع الى الضمانات والذهب في أسواق الولايات المتحدة.

وإنني لأرى، انه كان أكرم بمندوب المملكة المتحدة، قبل الإقدام على مثل هذا الخطاب الذي ألقاه، أن يقرأ السجلات والوثائق، لا تلك التي كتبها ساسة بريطانيا وحدهم، بل والزعماء الصهيونيين ايضا، الذين جعلوا من لندن مركزاً

لنشاطهم. أجل اختار الصهيونيين لندن أخيراً لتكون مركزاً رئيسياً للحركة الصهيونية.

وفي عام 1900، استهل الدكتور هرتزل، الزعيم الصهيوني خطابه الافتتاحي للمؤتمر الصهيوني في لندن، بالعبارة الألمانية التالية:

"لا ريب في أن إنكلترا، وعيونها تجوب البحار كلها، ستفهمها تمام الفهم، وستفهم أهدافنا".

هذا الموقف الصهيوني من هذه القضية.

ولكن دعونا ننحي هذه المراجع جانباً، ونتخلّى عن هذه العبارات لنعود إلى الوقائع نفسها. فكما لعب الرأسمال الاستعماري دوره في إفريقيا، وإنني لألفت انتباه زميلي المحترم مندوب ليبيريا الذي عاد إلى مقعده، إلى هذه الحقيقة، فإن نشاط الصهيونية بالنسبة إلى الرساميل وتأليف الشركات في لندن، التي تسجل كشركات بريطانية، تماماً فعلت عدة شركات أوروبية ذات نشاط واسع في أفريقيا بالطريقة نفسها في أوروبا للقيام بعمليات الاستثمار والاستغلال، لعب دوره في فلسطين، بالطريقة نفسها التي أداها رأس المال الاستعماري في إفريقيا، ولم يأل جهداً في تشجيع الهجرة الغربية إلى البلاد لإقامة "الوطن القومي اليهودي".

وقد سجلت الشركة القومية اليهودية في عام 1899 كشركة بريطانية في لندن، وسجل الصندوق القومي اليهودي في إنكلترا في عام 1917 كشركة بريطانية، وسجلتا شركتين بريطانيتين تمارسان أعمالهما في فلسطين. فهل هناك من دليل أقوى من هذا لإثبات التحالف بين الاستعمار البريطاني والنشاط الصهيوني؟

وقد أسهب مندوب المملكة المتحدة في الحديث عن مبادئ تقرير المصير، وعن التضارب بين التزامات بريطانيا بموجب الانتداب. واقتضى العثور على تضارب هذه الالتزامات واكتشافها من بريطانيا خمسة وعشرين عاما، لكي ترى ما فيها من تناقض ولا عملية، واستحالة على التطبيق؟ ولكن ساسة بريطانيا البارزين، أدركوا منذ البداية، بل منذ خلق هذه المشكلة، تضارب الالتزامات البريطانية.

فقد ذكر المستر لويد جورج ، وهو كما تعرفون من أبرز الساسة، البريطانيون ما نصه:

"وكل ما تعذر عليّ فهمه، هو إمكان التوفيق بين وعد بلفور من ناحية وبين ميثاق عصبة الأمم من ناحية أخرى".

هل سمعتم؟ أن المستر لويد جورج لا يستطيع أن يفهم كيف يمكن التوفيق بين وعد بلفور وبين ميثاق العصبة.

وقد أدلى اللورد بلفور، صاحب الوعد المشهور، بهذا التصريح الذي سجله التاريخ كوثيقة كاشفه للغاية إذ قال :

"وقد وافقت على مبدأ تقرير المصير، ولكن كان من المستحيل تطبيقه بصورة عامة وبلا استثناء. ولعل فلسطين خير دليل على ما أقول".

إن فاللورد بلفور، يرى أن فلسطين هي إحدى الاستثناءات من مبدأ تقرير المصير. انه يقر المبدأ، ولكنه يستثني فلسطين منه. ولكن لم تستثنى فلسطين؟ ولم تكون هي الاستثناء الوحيد؟ إن السيد بلفور يرى أن فلسطين يجب تستثنى من مبدأ تقرير المصير. انه يمضي بعد ذلك قائلا:

"فنحن في فلسطين لا نعالج رغبات شعب قائم، بل نريد عن وعي وتصميم إقامة شعب جديد فيها. ونحن نعمل عن وعي وتصميم أيضا على ضمان الأغلبية العددية لهذا الشعب الجديد فيها في المستقبل".

هل سمعتم....؟ إن السيد بلفور يقول أن حكومته لا تبحث عن حقوق الشعب القائم، بل على إقامة الأغلبية العددية للشعب اليهودي في البلاد.

ومع هذا كله، نرى المندوب البريطاني يقول أن الالتزامات لم تكن عملية، ولم يكن من الممكن التوفيق بينها، بينما بلفور نفسه، قال، إن حكومته لا تحس



بالشعب الموجود في البلاد، وانما تعمل على إقامة غالبية عددية للشعب اليهودي فيها.

ويعود بلفور، فيدلي ببيان في منتهى الأهمية والطرافة في هذا الصدد، عندما رد على بعض النواب وسؤالهم عن حقوق شعب فلسطين. انه يقول:

"إن الصهيونية، سواء أكانت على خطأ أم على صواب، وسواء أكانت سيئة أو طيبة أكثر أهمية لنا، من رغبات سبعمائة ألف من العرب يقيمون في هذه البلاد العريقة".

أن بلفور واضح يتحدث هنا بعبارات واضحة. فسواء كانت الصهيونية طيبة أو سيئة، فهذا ليس بالأمر المهم، إذ انه لا يكثرث برغبات سبعمائة ألف من العرب يسكنون في هذه البلاد العريقة ويقيمون فيها.

تري أي حق، وأية عدالة، وأي إنصاف في هذا الوعد، وعد بلفور، عندما يقول صاحبه، بأن الصهيونية سواء أكانت على خطأ أو على صواب، وسواء أكانت سيئة أم طيبة، أهم من رغبات سبعمائة ألف من الناس يقيمون في البلاد.

ونحن أيها السادة، ذرية أولئك السبعمائة ألف من سكان فلسطين، الذين تجاهلهم اللورد بلفور، والمملكة المتحدة، دون علم زميلنا المحترم، ممثل المملكة المتحدة.

وهؤلاء السبعمئة ألف من سكان فلسطين، تلك البلاد العريقة، هم أهلها وأصحابها منذ أقدم عصور التاريخ، إذ أنها وطن آبائهم وأجدادهم. ولما كان وعد بلفور قد أقيم على هذه الأسس التي أوضحها صاحب الوفد، والتي تقول...أن أهل هذه البلاد لا يهتمونه في شيء، فأن هذا يعني أنه كان يرى أن في قدرته التصرف بهم كما يشاء ويهوى، وكأنهم من الماشية. والمأساة المدرجة على جدول أعمال الأمم المتحدة أمامكم اليوم تتناولها نحن ذرية هؤلاء السبعمئة ألف، الذين تجاهلتهم المملكة المتحدة بحكم نظرتها الاستعمارية وبحكم ارتباطها في أهدافها ومطامحها مع الصهيونية.

والسجل طويل، وحافل، ولكنني لن أمضي بعيدا في التعداد ، باستثناء مرجع واحد أود أن اقتبس شيئا منه، لأبين أن مأساة فلسطين الراهنة، كانت معروفة حق المعرفة لجميع الساسة، انهم لم يكونوا بحاجة إلى انقضاء جيل كامل، ليكشفوا، وجود الظلم فيها أو ليتبينوا التناقض الماثل في الالتزامات المتعارضة.

ونحن نعرف أن الساسة البريطانيين من ذوي المواهب العظيمة، وأن لهم عقولاً نيرة. فهم أذكىء للغاية، وهم يعرفون ما في هذه الحركات كلها من خير وشر. وقد عرفوا منذ البداية، أنه ستكون هناك مشكلة للاجئين، وأن هذه المشكلة مخبوءة في طيات القدر لهم.

وأمامي الآن قطعة من منشور أصدره المكتب الصهيوني في لندن في  
مستهل عام 1919. يقول هذا المنشور ما نصه، وإنني لأرجو من مندوب الولايات  
المتحدة أن يستمع إلى ما سأتلوه بالإضافة إلى المندوب البريطاني...

"تعني الديمقراطية في أمريكا في الغالب، حكم الغالبية، ولو طبق هذا  
المفهوم الحسابي الفج للديمقراطية الآن على أوضاع فلسطين، أو في أية مرحلة  
مبكرة من مراحل المستقبل، فإن الغالبية العربية، هي التي ستحكم والحالة هذه".

هذا هو حساب الصهيونية. إنها النسبة والتناسب، فإذا ساد حكم الأغلبية،  
على رأي المنشور الصهيوني، فإن الغالبية العربية هي التي ستحكم فلسطين... ثم  
يمضي المنشور فيقول:

"ولا يشك اليهودي على الإطلاق، في الإخلاص الذي ستبديه أمريكا إذا  
ما تولت الوصاية على فلسطين اليهودية. ولكن المخاطر الموضحة هنا، هي  
مخاطر كامنة في الأوضاع الأمريكية".

ففي أمريكا حكم الأغلبية، ولذا فإن الصهيونية لا تريد الوصاية الأمريكية.  
وهي تؤثر عليها الوصاية البريطانية لأن البريطانيين أكثر دهاء، وفي مكنتهم  
أن يحققوا الأغلبية اليهودية، أو أن يفرضوا سياسة تؤدي إلى طرد الشعب من  
بلاده، والسماح للهجرة اليهودية بالتدفق، حتى يتمكن اليهود من السيطرة على  
البلاد.

وقد أصدرت اللجنة الدولية لفلسطين، وهي جهاز من أجهزة الأمم المتحدة، قراراً في عام 1947، يظهر، أن كل ما يتعلق بقضية فلسطين، يخلو من جوهر "القضايا"، فوعد بلفور لا يعتبر قضية والوطن لا يعتبر قضية أيضاً. والانتداب البريطاني على فلسطين، لا يعتبر قضية أيضاً. وهذا هو قرار اللجنة المذكورة:

"لم يطبق مبدأ تقرير المصير في فلسطين. وقد يقال فعلاً أن الوطن القومي اليهودي، والانتداب على فلسطين، يتناقضان كل التناقض مع هذا المبدأ".

هذا هو قرار الأمم المتحدة. انه يقضي بأن مبدأ تقرير المصير لم يطبق على فلسطين. وقد ذكر زميلنا المحترم مندوب نيوزيلندا، في خطابه قبل أيام، أن الأقلية العربية في فلسطين تنعم بكافة الحقوق التي ينعم بها المواطنون، وأن هذه الحقوق لا تقل عن تلك التي تمارسها القطاعات الأخرى من السكان. وأنا لا أود الخوض في تفاصيل هذا الموضوع، وكفي أن أقول أن زميلنا النيوزيلندي المحترم، قد تفضل في الأمس بإلقاء بيان دون أن يدرس القضية. ويؤسفني أنه قال، أن أبناء جيله، كانت لهم قياداتهم أبان الحرب الكونية الأولى في العالم العربي وتحت ظلال الأهرامات. لكن ليثق، أن هذا لن يتكرر، ولن تشهد الأرض العربية جنوداً من الأجانب عليها. وما يؤسفني هو أن رجلاً من ذلك الجيل، ولا يعرف عن الموضوع أكثر مما يعرفه هذا الزميل. فليست فكرة وجود الأقلية العربية في فلسطين في الواقع، إلا تجسيدا للاضطهاد.

فلو قدر لشعب الولايات المتحدة أن يصبح أقلية في وطنه نتيجة تدفق موجات من الغزو الصيني أو الياباني أو الكندي، فإن تحول هذا الشعب إلى أقلية هو الاضطهاد بلحمة ودمه.

وأنا لا أريد أن أخوض في التفاصيل الكاملة لتاريخ هذه القضية، ولكن دعوني أردد على مسامع الزميل النيوزيلندي المحترم، أن الواجب كان يقضي عليه بأن يدرس القضية ويطلع عليها، وقبل أن يأتي إلى هذه اللجنة، ليتطوع بإلقاء بيانه فيها.

أمامي نص البرقية التي بعث بها رئيس المجلس القروي في أحد القرى العربية، وهو أحد أفراد الأقلية العربية التي تحدث عنها، وقد أرسلها إلى رئيس جمهورية إسرائيل:

"قام المستعمرون اليهود في الحادي عشر من أغسطس عام 1953 بنسف بيوتنا بعد أن اقتلعوا ألوف الأشجار المثمرة. وقد تولت السلطات الإسرائيلية مساعدة المعتدين على دخول أراضينا، وقدمت لهم العون. ولم أشهد في الثمانين عاماً من حياتي التي قضيتها، عملاً طغيانياً واستبدادياً كهذا العمل. فأما أن تدفعوا لنا ثمن الممتلكات التي اغتصبتموها، حتى نتمكن من الرحيل، أو فاقتلونا لننعم بالراحة الأبدية. أشكو إلى الله ظلمكم. اقتلونا. أننا نكره الحياة في ظل

نيركم الظالم. ترى هل نحن في دولة، أو أننا نعيش مع عصابة من قطاع الطرق؟".

هذا هو نص البرقية التي بعث بها رئيس المجلس القروي في قرية عربية إلى إسرائيل. وهو فرد من الأقلية العربية التي تحدثت عنها. انه يسأل رئيس إسرائيل "...أنعيش مع عصابة من قطاع الطرق، أو أننا نعيش في دولة؟".

كان من الأفضل لك أيها الزميل، لو قرأت السجل، قبل أن نتكلم.

ذكرت السيدة جولدا ماير في بيانها الذي ألقته في هذه اللجنة قبل أيام ان الصهيونية حركة تحررية، وأكدت ان من بين أهدافها بعد تحرير اسرائيل، تحرير إفريقيا، مؤكدة بصورة خاصة، رغبتها في إنقاذ إفريقيا من تجارة الرقيق.

وأنا لا انوي هنا أن أتحدث عن موضوع التزامات إسرائيل بالنسبة إلى تحرير إفريقيا، فهذا موضوع أترك بحثه إلى الزملاء، مندوبي الدول الإفريقية، لأرى إن كانوا يقبلون تحرير قارتهم وإنقاذها كجزء من التزامات إسرائيل. أن هذا الموضوع لا يعني. ولكن ما يعني هو ذلك الجزء الذي أكدت فيه السيدة على تجارة الرقيق، إذ أنه أثار اهتمامي. أجل انه أثار اهتمامي وحفزني الى المزيد من المعرفة، إذ أن من واجبنا أن نغد الى هنا بعقول متفتحة راغبة في المعرفة الموضوعية. ولذا فقد حملت نفسي ومضيت إلى مكتبة الشارع الخامس طالبا

المزيد من المعرفة. وصعدت إلى الطبقة الثانية، حيث يقوم القسم اليهودي. وأمسكت بدائرة المعارف اليهودية.

وعثرت في الصفحة (565) من المجلد التاسع من هذه الموسوعة، التي لا يكمن أن تكون عربية، أو مجرد قصاصة من صحيفة على العبارة التالية:

"وكان من الطبيعي أن يسهم اليهود في تجارة الرقيق، التي كانوا صالحين لها كل الصلاح، بالنظر إلى معرفتهم الواسعة باللغات، وعلاقاتهم المنتشرة في جميع أرجاء العالم. ولقد ظهر تجار الرقيق اليهود إلى حيز الوجود منذ القرن الأول للحقبة المسيحية في أوروبا. وقد تزايد نشاطهم بصورة خاصة بعد القرن السادس".

وانتقلت من هذه الموسوعة، إلى مصدر آخر، انه الموسوعة اليهودية. وهذه الموسوعة هي غير دائرة المعارف اليهودية العالمية التي أشرت إليها. وعثرت في الصفحة (409) من المجلد الثاني على ما يلي:

"وقد أصبح اليهود في القرن السادس، أكبر تجار الرقيق في العالم. وكان العبيد البريطانيون الذين يحملون إلى أسواق النخاسة الرومانية سلعة يتناولها تجار الغرب إلى الشرق، ومن الشرق إلى الغرب. وكان الكثيرون من يهود إسبانيا مدينين بثرائهم إلى تجار الرقيق".

ومضيت أنقب في مصدر آخر. انه الموسوعة الاجتماعية. وقد عثرت في الصفحة 78 من المجلد الرابع عشر على العبارة التالية:

"وقد ظلّ اليهود أجيالاً طويلة يتولون تصدير العبيد إلى مختلف أسواق التجارة".

وكلي أمل، أن لا تجرؤ السيدة ماير مرة ثانية على التحدث عن تحرير إفريقيا وإنقاذها، إذ إن في الموسوعات اليهودية والعالمية، ما يفضح أكاذيبها عند حديثها عن الصهيونية كحركة تحريرية، وعن إسرائيل كمحررة لأفريقيا. هذا هو سجلكم. اذهبوا وقرأوه قبل أن نتحدث عن هذا الموضوع.

وتحدثت السيدة ماير إلى الأمم المتحدة عن الحفريات الأثرية في فلسطين، فذكرت أن علماء الآثار في بلاد عدة، "يكشفون عن آثار الماضي في بلادنا، ويؤكدون روايات التوراة عن الحضارة العبرية فيها". حقا انه قول طريف ممتع يستند إلى علم الآثار. فلست أعرف مكانا في العالم، يحتكر فيه التنقيب عن الآثار لشعب دون آخر، وليس في فلسطين احتكار لآثار العبرانيين. ففي فلسطين آثار الآشوريين والبابليين والمصريين القدماء، والسلاجقة الأتراك، والعثمانيين والفرس، بل ولجميع الشعوب من مختلف الأقوام. فقد شاء وضع فلسطين الجغرافي أن تكون عند مفترق الطرق في العالم، ولذا فقد توافرت فيها آثار مختلف الأمم والشعوب. وإذا كنا نبني مكاننا هنا في الأمم المتحدة على



علم الآثار وعلماء الآثار، فإن الأمم المتحدة ستتحول إلى مجتمع لعلماء الآثار لا للدبلوماسيين. وأناي لا أدري ، إذا كانت السيدة ماير، تظهر آنذاك هنا، عالمة للآثار تمثل إسرائيل.

وأعود إلى موضوع الحضارة العبرية، فأقول أن ليس ثمة من ينكر أن شعباً عبرياً قد أقام في فلسطين. لكن كما كانت هناك حضارة عبرية، وجدت في البلاد حضارات آشورية ورومانية وإغريقية. ولم أسمع من أي إنسان في اليونان أو في إيطاليا أن لهذين الشعبين حقوقاً تاريخية في فلسطين لأن حضارتيهما وجدتتا فيها. ولو شئنا متابعة الحضارات أنفسكم وأعدنا بعثها، وأقمنا الأمم المتحدة من جديد على أساسها، فستجدون أنفسكم وقد خلوتم من أوراق اعتمادكم، وأصبحت الآثار والحجارة هي أوراق اعتمادكم. ولن تتلقوا هذه الأوراق من حكوماتكم، بل من علماء الآثار. حقا أنه شيء يثير الضحك والسخرية، أن نقيم حجتنا على الآثار والحضارات. وأناي لأود أن اذكر أعضاء هذه اللجنة الموقرة، أن قضايا الشعوب لا تتصل بالآثار. فلنا نحن العرب، متاحف حية في إسبانيا، يقوم على حراستها وحمايتها أصدقاؤنا المحترمون من شعب أسبانيا الذي نقدره ونجله. وقد قضى العرب في تلك البلاد ثمانية قرون يشيدون حضارتهم، وما زالت لنا فيها تماثيل حية قائمة بكل اعتزاز، يتولى حمايتها، علماء إسبانيا العظام وباحثوها، تقديراً منهم للحضارة وفهما لها. إن الحضارات شيء عالمي. وكانت حضارتنا في إسبانيا عربية، ولكنها تقوم الآن كحضارة عالمية، ويعني الاسبانيون أبلغ العناية

بما فيها من مساجد وقصور وآثار، ولكن ليس فينا من يدعي أن لنا ارتباطات تاريخية بإسبانيا، ولا بسبب الآثار ولا بسبب الحضارات. حقا انه شيء غريب. ومن واجب الأمم المتحدة أن لا تسمح بهذا الهراء الذي يخلو من كل منطق.

وذكرت السيدة ماير إن التوراة تفضل غيرها كمصدر للمعلومات، وإن من الواجب الرجوع إليها طلباً لهذه المعلومات. وأنا لا أختلف معها في أن التوراة تضم الكثير من المعرفة والمعلومات عن تاريخ فلسطين. ولكن ما في التوراة من تاريخ، يتناول غزوات مختلف القبائل كالعموريين واليبوسيين والعبرانيين والكنعانيين، وهي قبائل كانت تشترك في معارك مع بعضها البعض. هذا هو التاريخ الذي تضمه التوراة. وإذا كان لا بد لنا من العودة إلى التوراة، فعلينا أن نرجع إلى الثقافات الذين يعرفون ما فيها. وإني لأقول أن السيدة ماير تجهل التوراة. فهي ليست بالحاخام، وإنما هي السيدة ماير، لا أكثر ولا أقل. وفي وسعنا أن نعود إلى ما يقوله الحاخامون، عن التوراة... في أحد المجلات البريطانية البارزة والصادرة في 1878، مقال نشره عدد من الحاخامين، وقد اقتبسه صديقي الكريم مندوب سوريا. إن الحاخامين يقولون:...

" لم نعد نمثل هيئة سياسية منذ فتح الرومان فلسطين. أننا مواطنون في البلاد التي نقيم فيها. فنحن إما من الإنجليز أو الفرنسيين أو الألمان. ومكان إقامتنا هو الذي يقر هويتنا".

هذا ما قاله الحاخامون، وهم أكثر علماء بالتوراة من السيدة ماير. هناك قول آخر قاله الحاخامون في عام 1885. انهم مجموعة من أبرز حاخامي تلك الأيام وقد اجتمعوا في بتيسبرج، في بنسلفانيا، وصدر عنهم ما يلي:

"لم نعد نعتبر أنفسنا أمة، وانما طائفة دينية. ولذا فنحن لا نتوقع أية عودة إلى فلسطين".

هذا هو القرار الذي أصدره الحاخامون، وقد اجتمعوا على هيئة مؤتمر. انهم يقولون إن اليهود لم يعودوا يمثلون أمة، وانهم لا ينتظرون العودة إلى فلسطين. وإذا كنا نقر بأن التوراة تفضل غيرها كمصدر للمعلومات، فإن علينا أن نلتزم بما يقوله الذين يعرفون التوراة أحسن من غيرهم، وهم الحاخامون، إلا إذا شاءت السيدة ماير، أن نأتي إلى هنا في الدورة القادمة، وقد ارتدت زي الحاخامين، وأسمت نفسها بالحاخام جولدا ماير، ونحن على استعداد لقبولها بهذه الصفة.

وهناك حاخام آخر. انه الحاخام فيليب سيجال. انه يقول...

"لم يكن هناك قط وجود لما يسمى بالشعب اليهودي. إذ أن اليهودي لم يهتم في أي يوم من الأيام، بالتسلسل العضوي الحياتي أو بالأرض أو اللغة أو التاريخ، أو التنظيم السياسي، أو غير ذلك من مقومات القومية المقبولة".

هذا هو حكم الحاخامين. أنكم لستم بالأمة ولا الشعب ولا الجنس البشري  
وليس لكم أية مقومات سياسية. إنما أنتم تمثلون عقيدة، وديناً.

وقد عرضت على مسامعكم أقوال الحاخامين في المملكة المتحدة والولايات  
المتحدة. وها أنا أنتقل الآن إلى آراء الحاخامين في الاتحاد السوفيتي. اسمعوا ما  
تقوله البارونة جونزبرج في رسالة لها . أصبح من رأينا بعد الثورة، اننا مجرد  
اناس الروس يؤمنون الكنس اليهودية للصلاة".

وهكذا فاليهود في الاتحاد السوفيتي، هم من الروس، الذين يذهبون إلى  
الكنس للصلاة، وهم في الولايات المتحدة، أمريكيون يؤمنون الكنس. وهم في  
المملكة المتحدة بريطانيون يصلون في كنسهم. انهم ليسوا بالأمة ولا بالشعب ولا  
بالعنصر. هذا هو حكم التوراة.

إنه حكم أولئك الذين يعرفون التوراة خيراً منك ايتها السيدة , فلا ترجعي  
إلى التوراة لتكون مستندك الأخير , والحكم الفاصل في قضيتك , اذ ان التوراة  
ستدينك لأن هذا هو حكمها .

وإذا كنت لا تحبين اللاهوت، فلم لا نعود إلى ما يقوله العلم. ترى ما هو  
حكم العلم المجرد في القضية؟ أمامي دراسة حديثة من الناحية الحياتية  
(البيولوجية) للشعب اليهودي ، أصدرتها منظمة اليونسكو في عام 1960. وقد  
صدرت هذه المطبوعة تحت إشراف اليونسكو، وهي كما تعرفون من أكبر

منظمات الأمم المتحدة، ولها القول الفصل في شؤون العلم والثقافة والتربية. ترى ما هو قول اليونسكو في هذا الموضوع؟ انه صادر عن قلم يهودي، هو قلم الأستاذ هاري شابيرو. إنه أستاذ يهودي، يتحدث عن الموضوع، وهو في الوقت نفسه رئيس دائرة علم الأجناس البشرية في المتحف الأمريكية للتاريخ الطبيعي. إنه يصور اليهود على النحو التالي...

"إنهم ليسوا بالعشيرة، ولا بالقبيلة. وهم ليسوا بالأمة بصريح العبارة".

وهكذا، إن شئت اللاهوت، فهناك أقوال الحاخامين، وإن شئت العلم فهناك رأي اليونسكو. إنه بحاث يهودي، يقول أنكم لا تؤلفون عشيرة ولا قبيلة ولا أمة. إذن علام تستندون؟ وما هو كيانكم هنا؟ من حقي أن أسأل هذا، وإني لأسف إذا حملتك ما لا تطيقين. فقد مر علينا ونحن نعيش هذه المشكلة أكثر من خمسة عشر عاماً. إنها عاشت هنا خمسة عشر عاماً، وهي المدة التي قضتها شعبنا في الخيام والمعسكرات والشقاء والآلام، ولعل هذا هو السبب الذي يدفعني إلى أن أتبين واجبي في أن أعرض كل شيء عليكم، وعلى ضمائرکم، لتعرفوا الحقيقة، كاملة غير منقوصة، فقد عاشت هذه القضية في الظلام، وفي غياهب الأضاليل الصهيونية. وهناك بعض الوفود تأتي إلى هنا، دون أن تقرأ شيئاً، حتى تاريخ حكوماتها وسياساتها. ولهذا فإنها تنتظر إلى القضية نظرة سطحية تخلو من العمق. ولعل هذا هو السبب الذي حفزني على عرض كل هذه السجلات على مسامعكم.

وقد وجهت نظر الوفد الأمريكي إلى سجلات الولايات المتحدة وتاريخها، ووجهت نظر الوفد البريطاني إلى سجلات حكومته وتاريخها، ووجهت نظر إسرائيل إلى أقوال التوراة، سواء أقامت على أسس اللاهوت أو العلم. هذا هو الواجب الذي يدفعني إلى عرض كل شيء على مسامعكم.

وقد وجهت نظر الوفد الأمريكي إلى سجلات الولايات المتحدة وتاريخها، ووجهت نظر الوفد البريطاني إلى سجلات حكومته وتاريخها، ووجهت نظر إسرائيل إلى أقوال التوراة، سواء أقامت على أسس اللاهوت أو العلم. هذا هو الواجب الذي يدفعني إلى عرض كل شيء على مسامعكم.

وإنني لأقر أن خطبي كانت مطولة، الأول منها والثاني، وهذا الأخير. وإنني لأقر أيضاً، أنني اندفعت أحياناً مع عواطف وأحاسيسي ومشاعري، ولكنني لا أعتذر، لا لطول خطبي، ولا لتدفق عواطفني. وإنني لأذكر، أن الناس عندما يخرجون من أحد المسارح، تبدو على وجوههم في حالات كثيرة، ابتسامات عريضة، يصخبون ويضحون، لأنهم شهدوا رواية هزلية. قد تكون الرواية أسطورية، ومع ذلك فإن الابتسامات تبدو على وجوه النظارة عند خروجهم من المسرح. وكثيراً ما رأينا أناساً آخرين، يخرجون من المسارح وقد امتلأت عيونهم بالدموع، وابتلت مناديل السيدات منهم بآثار البكاء. وقد تكون المأساة التي شهدوها أسطورية، خالية من كل حقيقة وواقع، وقد تكون شخصياتها خيالية، لم تكن حية في يوم من الأيام، ومع ذلك، وبالرغم من اللاواقعية، فإن الدموع تنهمر

من الآماق، وتبتل المناديل بها. ولكن ترى ما شعوركم بالمأساة إن كانت واقعية لا أسطورية! وما إحساسكم، إن كانت شخصياتها، حية من البشر، لا مجرد أفراد، بل شعبا بأسره؟ لهذا السبب وحده، أنا لا أعتذر، لا لما تدفق به خطابي هذا الصباح من عواطف، ولا لما قد يتدفق خطابي بعد ظهر اليوم من مشاعر وأحاسيس.

ولا ريب في أن هذا الوضع يكون أكثر صدقاً، عندما تكون المأساة كلها، لا تزال تعيش في جو ما يحيط بها من سحب الأضاليل والأكاذيب. وقد استمعنا إلى السيدة ماير قبل أيام، وهي تنطق بأكذوبة كبيرة، تتعلق بموضوع اللاجئين. فقد قالت في خطابها مستندة إلى صحيفة "النيويورك تايمز" كمرجع لها... "أعلنت الجامعة العربية برنامجها لاحتلال فلسطين من قبل جيوش دولها الأعضاء". ولا ريب في أن الادعاء بأن سبعة جيوش عربية قد دخلت إلى فلسطين، وهي مصممة على تحدي قرار الأمم المتحدة، وتحطيم وجود إسرائيل، تهمة خطيرة توجه هنا في الأمم المتحدة. وكان في وسع المرء أن ينتظر من مجلس الأمن أن يقول شيئاً بعد أن دخلت سبعة جيوش عربية إلى أرض فلسطين. أجل كان في وسع المرء أن ينتظر من مجلس الأمن أن يقول شيئاً بعد أن دخلت سبعة جيوش عربية إلى أرض فلسطين. أجل كان في وسع المرء أن ينتظر قراراً من مجلس الأمن، بل إدانة منه للدول العربية وجيوشها، لأنها المعتدية، إذا كان هناك عدوان حقاً.

ونحن نعتزف بأن الجيوش العربية دخلت إلى فلسطين، ولكنها لم تدخلها إلا في الرابع عشر من مايو عام 1948، أي بعد ستة أشهر من اتخاذ قرار التقسيم في عام 1947. ولو كان عمل الجيوش العربية عملاً عدوانياً، ولو كان عملها خرقاً للميثاق، لكان مجلس الأمن، قد أعلن هذا ولو بعبارة واحدة، يستكر فيها مثل هذا العدوان. وقد قامت الجيوش العربية بهذا العمل في وقت كان مجلس الأمن فيه يوالي عقد جلساته، وكان يلتزم باستمرار لدراسة مشكلة فلسطين. وكان القلق الذي يسود فلسطين سبباً دعا مجلس الأمن إلى أن يواصل جلساته باستمرار، وبالرغم من أن العمل الذي قامت به الجيوش العربية، كان من المواضيع التي درسها، إلا أن المجلس لم يتخذ أي قرار يدين الدول العربية بهذا العمل.

ولا ريب في أن هذا الدليل كان للبرهنة على أن عمل الجيوش العربية لم يكن عدواناً. ولا ريب في أن سكوت مجلس الأمن عنه، يكاد يقرب من معنى التأييد. إنه يكاد يكون إقراراً بأن ما قامت به الجيوش العربية من تدخل، عمل شرعي، وقانوني، وله كل ما يبرره على صعيد الشرعية. فهل يعقل أن يظل مجلس الأمن، وهو المسؤول الأول عن الحفاظ على السلام والأمن الدوليين، قانعاً بالجلوس في استراحة مجلس الأمن، مكتفياً بمشاهدة الجيوش العربية وهي تدخل فلسطين دون أن تصدر عنه عبارة واحدة تحمل معنى الإدانة؟ لا ريب في



أن مثل هذا الموقف، يعتبر اعترافاً ضمناً بحق الدول العربية السبع، في أن تقوم بهذا العمل الذي قامت به.

وإذا جاز لنا أن نتحدث عن الإدانة، وإذا كان من واجبنا أن نشير إليها، فإن من الضروري أن نشير إلى سلسلة الإدانات التي أقرها مجلس الأمن، لا ضد الدول العربية ولا ضد الجيوش العربية، بل ضد إسرائيل، وما قامت به من أعمال ومذابح، ومجازر. وتتضمن سجلات الأمم المتحدة، عدداً من الحالات التي أديننت فيها إسرائيل على الأعمال اللا مشروعة التي قامت بها، وعلى ما لجأت إليه من مذابح ومجازر، بينما لا تتضمن هذه السجلات إدانة واحدة من مجلس الأمن للعرب.

دعوني أردد على مسامعكم أيها السادة، أن مجلس الأمن قد دان إسرائيل في الرابع والعشرين من نوفمبر عام 1953 في أقصى عبارة، وأكثرها تجريماً، للمذبحة التي قامت بها في قرية عربية بكاملها، هي قرية قبية، على الجانب الأردني من الحدود، حيث ذبح الأبرياء الذين لا حول لهم ولا طول، والعزل، في وضح النهار دون أي استقزاز، بعد نسف القرية كلها وتدميرها. وقد دان مجلس الأمن إسرائيل على ذلك الهجوم الوحشي والهمجي واللامتحضر، على قرية عزلاء، بينما لم تكن هناك أية إدانة للعرب من جانب مجلس الأمن، سواء بتدمير قرية، أو بمهاجمة جندي إسرائيلي فرد.

ودان مجلس الأمن في الثامن والعشرين من مارس عام 1955، إسرائيل من جديد لهجومها اللامشروع على مدينة غزة وأهلها، حيث اقترفت عملاً من أعمال القتل الجماعي، مصحوباً بعملية نسف كاملة. ومن هم أهل غزة يا ترى؟ إنهم تجمع من اللاجئين. ففي قطاع غزة ثلاثمائة وخمسون ألفاً من اللاجئين، ولا ريب في أن إسرائيل تعتبر قصفها المدفعي لمدينة مأوى باللاجئين ومخيماتهم عملاً من أعمال الحرب، ينطبق مع أخلاقها وعرفها. فهناك شعب حرم من وطنه، يعيش حياة شقية مسالمة، أعزل من السلاح. ومع ذلك فإن إسرائيل تجد أن مما يناسبها أن تقصف هذا الشعب والمنطقة التي يعيش فيها بنيران مدافعها، مرتكبة عملاً يدينه مجلس الأمن. هذه هي الإدانة الثانية.

وكانت الإدانة الثالثة في التاسع عشر من يناير عام 1956، عندما هاجمت إسرائيل، ثكنة عسكرية سورية على الشاطئ الشرقي لبحيرة طبريا. وكان هذا الهجوم غارة عسكرية لا مبرر لها، ولم تكن ناتجة عن استقراز من أن نوع أو شكل، نفذ عن سابق تصميم في دجى الليل، لا في وضح النهار، ليمثل، عملاً من أعمال الجبن. وقد دان مجلس الأمن هذا العمل، بأقسى عبارة، وأعنف صورة، وحدث في ذلك الحين، والقضية معروضة على مجلس الأمن، أنني كنت رأس الوفد السوري إليه. كانت هذه هي الإدانة الثالثة.

وكانت هناك إدانتان أخريان من مجلس الأمن، الأخيرة منهما تلك التي أصدرها مجلس الأمن بمناسبة العدوان الثلاثي على سيناء، وعلى قوات مصر.

والآن دعوني أسألكم، أهنالك دولة من هذه الدول الممثلة في هذه القاعة،  
قد تعرضت لإدانة مجلس الأمن مرة واحدة؟

وقد وجهت السيدة ماير قبل بضعة أيام، سؤالاً إلى الدول الممثلة في  
هذه اللجنة متسائلة عما إذا كانت هناك دولة واحدة، تسمح بدخول الناس إلى  
بلادها، دون إذن؟ والرد على هذا السؤال في منتهى البساطة. ترى أهنالك دولة  
واحدة ممثلة هنا وفي هذه اللجنة تعرضت لإدانة مجلس الأمن خمس مرات  
متعاقبة في غضون أربع سنوات. أنا لا أعرف دولة نالت مثل هذه الأوسمة  
الخمسة، أوسمة الإدانة التي صدرت من مجلس الأمن على إسرائيل، التي يجلس  
ممثلاً في الجانب الآخر من القاعة. ومع ذلك، فهو ورفاقه يتحدثون عن السلام  
والمفاوضات والسجل الناصع.

وتحدث زميلنا مندوب ليبيريا في هذا الصباح، عن أولئك الذين يجب أن  
يأتوا إلى الأمم المتحدة بأيد نظيفة. وراح بعد ذلك يذكرنا بأن على الذين ينشدون  
الإنصاف والعدالة أن يكونوا ذوي أيد نظيفة. ترى أين يدا إسرائيل النظيفتان؟  
إنهما يدان تملؤها القنابل، وتلطخهما الإدانات الصادرة عن مجلس الأمن. إنني  
أود أيها الزميل الليبيري أن أسير على قاعدتك وأن أقول أن على طالب الإنصاف  
أن يكون ذا يدين نظيفتين. وإسرائيل تطلب التفاوض، ومن حقي أن أسأل، هل  
يذاها نظيفتان وهل يمكن أن تكون يداها نظيفتين، وقد أديننت خمس مرات متعاقبة  
من مجلس الأمن؟ إنهما أبعد ما تكونان عن النظافة.

استشهدت السيدة ماير بصحيفة النيويورك تايمز عن دخول الجيوش العربية السبعة إلى فلسطين. ولكن لم الاستشهاد بالنيويورك تايمز في هذا الصدد؟ أجل لم نستشهد بصحيفة في هذا الموضوع؟ أنا لا أريد البحث في وضع هذه الصحيفة وآرائها بصورة عامة في قضية فلسطين، وانطباعاتها في موضوع اللاجئين. ولا أريد أن أشير إلى تجاهل الصحف الأمريكية عامة لهذه القضية. فقد مضى علينا حتى الآن ثلاثة أسابيع ونحن نبحث في هذه القضية في الأمم المتحدة، ولم أر سطرا واحداً يكتب عنها في صحف الولايات المتحدة، لأنها تمنع نشر شيء عنها. ومع ذلك فهناك من يزعم وجود حرية للصحافة والإعلام في هذه البلاد. أجل هناك حرية في منع الإعلام، وإخفاء الأنباء. هذه هي الحرية التي نشهدها.

ولكن لم الاستشهاد بالنيويورك تايمز في هذا الصدد؟ أماننا سجلات مجلس الأمن ووثائق الأمم المتحدة. إن هذه السجلات والوثائق، هي المصدر الأول الذي يجب أن نعتمد عليه في استشهادنا. ولا يستتجد المرء بالنيويورك تايمز أو غيرها من الصحف، إلا إذا كان مفتقرا إلى سجلات الأمم المتحدة. وسجلات مجلس الأمن في هذا الصدد واضحة كل الوضوح.

وأود أن أشير هنا إلى وثيقة معينة من وثائق مجلس الأمن، إنها تحمل رقم S/745 ، وهي وثيقة من وثائق الأمم المتحدة، ولو كانت إسرائيل جادة حقاً، وتود أن تضع الحقائق والوقائع كما هي، أمام هذه اللجنة، فإن عليها أن تستشهد

بوثائق الأمم المتحدة، ولا سيما ما كان خاصاً منها بمجلس الأمن. فقد تلقى مجلس الأمن عندما انعقد في الرابع عشر من مايو عام 1948، رسالة من الأمين العام للجامعة العربية، وقد غدت هذه الرسالة وثيقة من وثائق الأمم المتحدة. إنها تتناول موضوع دخول سبعة جيوش عربية؟ هذا ما تقوله الوثيقة... "أن حكومة الانتداب"، وهي تشير إلى الحكومة البريطانية المنتدبة التي أمل ألا يشعر ممثلها هنا بالإستياء ، فقد جائني قبل بضع دقائق ، وقدم إلي نفسه بطريقة في منتهى الود ، وهذا شأن البريطانيين دائماً، عندما يكونون بعيدين عن نطاق السياسة... قالت الوثيقة... أن حكومة الانتداب:

"قد أعلنت، أنها لن تكون مسؤولة عن الحفاظ على الأمن والنظام في فلسطين بعد انتهاء انتدابها عليها إلا إذا..."

"يعني هذا، أن تظل فلسطين تماماً دون سلطة إدارية، من حقها وفي استطاعتها أن تحافظ في البلاد على جهاز إداري قادر على ضمان حماية الأرواح والممتلكات فيها..."

"يضاف إلى هذا، أن الاضطرابات الأخيرة تؤلف خطراً مباشراً وخطيراً على الأمن والسلام في أراضي الدول العربية نفسها. ولهذه الأسباب \_ وهنا لا بد لي من أن ألفت نظركم إلى هذه الفقرة الهامة \_ ورغبة في إشغال الفراغ الذي خلقه إنهاء الانتداب، وكنتيجة للعجز عن استبداله بسلطة شرعية، فإن الحكومات

العربية تجد نفسها مرغمة على التدخل، هادفة من تدخلها، إلى أمر واحد ليس إلا، وهو إعادة السلام والطمأنينة إلى البلاد، وفرض الأمن والنظام والقانون فيها".

هذه هي الأسباب التي قدمتها الجامعة العربية إلى مجلس الأمن. وقد تلقى مجلس الأمن هذه الوثيقة من الجامعة العربية. وانهقد ليدرس الوضع المزعج في الشرق الأوسط، بالنسبة إلى الاندلاع نيران الأحداث في فلسطين. أجل اطلع مجلس الأمن على هذه الوثيقة التي تعبر عن رأي الجامعة العربية. ولكن ترى، ما الذي فعله مجلس الأمن؟ هل أصدر المجلس قراراً أو إدانة أو حكماً في القضية؟ لا، إنه لم يصدر شيئاً من ذلك وإنما ترك الأمور تجري على أعنتها، وأصبحت الرسالة جزءاً من وثائق مجلس الأمن الرسمية.

ولو عنى هذا شيئاً، وهو يعني الكثير، فإنه يعني أن الجيوش العربية دخلت إلى فلسطين بصورة قانونية، لهدف واحد ليس إلا، وهو كما تقول الرسالة، إعادة الأمن والنظام إلى البلاد، وملء الفراغ الذي خلقه تخلي الحكومة البريطانية عن انتدابها. أجل كان الهدف واحداً، وهو إقامة الأمن والنظام والحفاظ على أرواح الناس وممتلكاتهم وحمايتهم من الخراب.

دعوني أؤكد لكم، أيها السادة، ولا سيما من ممثلي تلك الدول التي يذهب أبناؤها في أعياد الفصح والميلاد إلى الديار المقدسة ليؤدوا حجهم إليها، إنه لولا تدخل الجيوش السبعة، لما وجد مواطنوكم عند ذهابهم إلى فلسطين في هذه

الأعياد كنيسة القيامة والمهد، سليميتين قائمتين، ولما وجدوا الأماكن المقدسة في الناصرة، سليمة غير محطمة، إذ كان لا بد أن تتحطم إبان عمليات القتل والإرهاب والحرق والتدمير الإسرائيلية. أجل لولا دخول الجيوش العربية، لما وجدت هذه الكنائس التي يؤمها مواطنوكم سليمة، بل محطمة ومجموعة أنقاض. ولا ريب في أن العالم المسيحي مدين لهذه الجيوش العربية السبعة التي حافظت على أماكنها المقدسة سليمة، بحيث يستطيع المسيحيون من كل مكان أن يؤموها، أحراراً للصلاة فيها وأداء فريضة الحج إليها.

هذه حقيقة يجب أن تعرفوها. فلماذا دخلت الجيوش العربية فلسطين؟ أجل لماذا؟ هل كان دخولها بقصد اللهو والمزاح؟ أو هل كان بقصد التسلية أو مجرد عرض عسكري؟ لا بد أن هناك سببا دعاها إلى الدخول. ترى ما هو السبب؟ في وسعنا أن نعود إلى السجلات. إنني أقول أن الإسرائيليين شرعوا فيما أسميه بحرب السنوات السبع. وبالرغم من أن هذه الحرب كانت أضيق نطاقاً من حرب السنوات السبع في أوروبا، إلا أنها كانت في الواقع حرب سنوات سبع من الإرهاب والتدمير، شنت في البلاد المقدسة على شعب البلاد الأعزل. فهناك في السجلات ما يثبت أن بن غوريون قال شيئاً في عام 1940، ويجب أن تذكروا هذا التاريخ لأنه يمثل بداية حرب السنوات السبع. وقد سمعتم من المندوب البريطاني، أن الحكومة البريطانية أصدرت في عام 1939 كتاباً أبيض قررت فيه ألا تكون هناك دولة يهودية في فلسطين. أجل قضى الكتاب الأبيض على

فكرة الدولة اليهودية، وراح الإسرائيليون والوكالة اليهودية بزعامة بن غوريون يعلنون حرباً لإقامة الدولة اليهودية. ولدينا في السجلات إعلان بن غوريون لهذه الحرب بعبارات واضحة صريحة، لا على شكل مجازي ، أو في صورة استعارة، بل إعلان بعبارات حقيقية واضحة. وقد قال بن غوريون: "سحارب الكتاب الأبيض، وكأن ليست ثمة حرب عالمية".

وكانت المملكة المتحدة آنذاك مشتبكة في حرب مع النازيين. وكانت الدول الحليفة مشتبكة في هذه الحرب مع النازية، وبالرغم من هذا المجهود الحربي ، فقد رأى المستر بن غوريون أن الوقت ملائم ، لإعلان الحرب على الكتاب الأبيض، وكأن ليست ثمة حرب عالمية قائمة.

وهناك بلاغ رسمي آخر. إنه مرجع ثان مؤرخ في العاشر من أكتوبر عام 1944. فقد أعلن القائد البريطاني العام في الشرق الأوسط أن الإرهابيين اليهود، وأنصارهم وأعوانهم من النشيطين الفعّالين، يعرقلون بصورة مباشرة المجهود الحربي لبريطانيا، مما يساعد الألمان في حربهم.

ترى من كان العدو في تلك الحرب؟ إنهم النازيون. ومع ذلك فإن القائد العام للقوات البريطانية في الشرق الأوسط، يقول في بيانه: "يعرقل الإرهابيون ومن ينصرهم نصره سلبية أو إيجابية جهود بريطانيا العسكرية، مساعدين بذلك



العدو على حربه". وبالرغم من هذا البيان، فقد واصل الصهليون حرب الإرهاب والدمار وسفك الدماء في الشرق الأوسط بعد عام 1944.

ولننتقل الآن إلى عام 1946. ترى ما هو الوضع الذي كان قائماً في عام 1946؟ نحن نعرف كما يعرف زملاؤنا أعضاء الوفدين الأمريكي والبريطاني، أنه كانت لجنة أمريكية \_ بريطانية، تزور فلسطين في تلك الأيام لدراسة الوضع، ولترى الأسباب القائمة وراء الإرهاب الإسرائيلي، وراء حرب إسرائيل وحملاتها التدميرية التي شنتها على أهل البلاد. وقد اجتمعت اللجنة في القدس، وعقدت جلسات عدة في مختلف أرجاء البلاد. وليس في وسعي أن أتلو على مسامعكم التقرير بكامله على الرغم من أهميته وما يضمنه من معلومات في منتهى الأهمية، ولكنني أكتفي بأن أضع أمامكم عناوين هذا التقرير الذي قدمته اللجنة. وهنا لا بد لي من القول إن اللجنة لم تكن سوفيتية بحيث تستطيع القول أن التقرير صادر عن لجنة تمثيل الكتلة الشرقية، إذ أنني كثيراً ما أسمع من يقول هنا، أن هذه المعلومات أو هذا البلاغ أو تلك الحجج، صادرة عن الكتلة الشرقية، وذلك في معرض الطعن في صحتها وصدقها، إنها لجنة أمريكية \_ بريطانية قامت بزيارة البلاد. فهل تسمحون لي بقراءة عناوين هذا التقرير؟ أنا لن أخوض في بحث الأحداث، لأنها تثير الرعب والفرع والأسى. وأكتفي بالعناوين لأصور لكم الإرهاب الذي كانت الصهيونية تشن حملاته على البلاد المقدسة وأهلها.

وقد صورت اللجنة الأمريكية \_ الإنجليزية، هذه الأحداث المفزعة بعبارات واضحة جلية. لن أقرأ عليكم التفاصيل، ولكن اسمحوا لي بأن أقرأ عناوين بعض الأعمال التي اقترفتها القوات اليهودية في فلسطين بين عامي 1940 و 1946، عندما كانت اللجنة تتولى دراسة الأوضاع في فلسطين. هذه هي العناوين يا سيدي الرئيس، ويا حضرات الأعضاء المحترمين... "التحرش بكاتدرائية القديس جورج في القدس"، "محاولة اغتيال المندوب السامي"، "الهجوم على دائرة المهاجرة في فلسطين"، "إطلاق القنابل على رئاسة دائرة الشرطة"، "تدمير مكاتب ضريبة الدخل"، "قتل رجال الشرطة الإنجليز"، "مهاجمة دار الإذاعة"، "قذف دوائر الحكومة بالقنابل"، "محاولة قتل المندوب السامي وعقيلته"، "اغتيال اللورد موين وزير الدولة البريطاني في الشرق الأوسط"، "مهاجمة سكك حديد فلسطين"، "قتل الجنود البريطانيين"، "خطف الضباط"، "نسف فندق الملك داود وقتل تسعين شخصا وإصابة العشرات بالجراح"، "إلقاء القنابل على سيارة شرطة"، "القتل بالجملة في حيفا عن طريق المتفجرات"، "خطف قاض في المحكمة"... هل سمعتم خطف قاض من محكمته رغم ما يتمتع به القضاة من حصانة في جميع أنحاء العالم، "إخراج القطارات عن الخطوط الحديدية"، "مهاجمة المدن والقرى العربية"، "المتفجرات في رسائل البريد"، وقد وجه بعضها إلى تشرشل وإتلي وبيفن وهربرت موريسون وغيرهم من القادة البريطانيين. هل سمعتم؟ رسائل ملأى بالمتفجرات إلى هؤلاء الساسة البريطانيين البارزين، بحيث تنفجر عند فتحهم لها.

وتسألون ، لم دخلت الجيوش العربية إلى فلسطين؟ فقبل عام واحد من ظهور ما يسمى بدولة إسرائيل، كانت الأمور تسير على هذا النحو هناك، وكانت الخطط تعد هنا في الأمم المتحدة، وإنني لأتساءل ، هل يقبل القضاة في أمريكا، وتقيل السلطات المسؤولة فيها، باقتراح مثل هذه الجرائم في الولايات المتحدة تحت سمع النائب العام وبصره، أو تحت سمع النيابة العامة وبصرها.

ونشر "صندوق المقاومة الفلسطينية"، وهو الاسم الذي يطلق على إحدى المنظمات الصهيونية، إعلاناً في الرابع عشر من مايو عام 1947، في صحيفة "النيويورك بوست"، وهي كما تعرفون صحيفة أمريكية، هذا نصه:

"وفي كل يوم تنسفون فيه سجنًا بريطانيًا، أو تدمرون قطارًا بريطانيًا وتبعثون بأجزائه متطايرة في الهواء، أو تسلبون مصرفًا بريطانيًا، أو تطلقون نيران بنادقكم أو قنابلكم على البريطانيين ترقص أفئدة اليهود في أمريكا فرحاً وطرباً وكأنهم في عيد".

وأنتم تعرفون أعياد الولايات المتحدة؟ لعل هذا هو السبب في أن عدد الأعياد في الولايات المتحدة قد تناقص في هذه الأيام، إذ لم تعد هناك قنابل تقذف على المصارف البريطانية. ولكننا نحب أن نرى بعض الأعياد، حتى يأتي زميلي المحترم ممثل بريطانيا في الأمم المتحدة، فيسر في أذني شيئاً، لا يرغب في تسجيله.

هذا مصدر آخر، من مصادر الثقة. إننا لا نلقي القول على عواهنه. فلدينا سجلات موثوقة، كانت حكومة الانتداب البريطانية قد قدمتها في يوليو عام 1947 إلى الأمم المتحدة.

هذه وثيقة، في سجلات الأمم المتحدة. إنها مذكرة تلقي مسؤولية الحرب في فلسطين، بصورة مباشرة ، على عواتق اليهود فيها تقول المذكرة ما نصه:

"ادعت الطائفة اليهودية في فلسطين منذ بداية عام 1945 لنفسها الحق الصريح في ارتكاب الإرهاب السياسي، تدعمها فيه حملات منظمة من القتل والخروج على القوانين وأعمال التدمير، وهي تزعم في ادعائها هذا، أنه مهما كانت الأهداف التي تعمل هذه الحملات على تحقيقها، فمن الواجب أن لا يسمح لأي شيء بالوقوف في وجه الدولة اليهودية، والهجرة اليهودية إلى فلسطين".

هذه وثيقة من وثائق الأمم المتحدة ، قدمتها الدولة البريطانية المنتدبة، التي تقول أن اليهود قد ادعوا لأنفسهم الحق في إعلان الحرب، والقيام بأعمال الإرهاب، وأن لا شيء يستطيع الوقوف في طريق إقامتهم للدولة اليهودية. ومع كل هذا، تجد السيدة ماير في نفسها الجرأة على أن تأتي إلى هنا لتتساءل عن الأسباب التي دعت الجيوش العربية إلى دخول فلسطين. إنكم تدعون لأنفسكم الحق في القيام بأعمال الإرهاب، وفي قتل الناس من شبوخ وأطفال، وتدمير المنشآت، وإرسال الرسائل البريدية التي تضم القنابل إلى الوزراء البريطانيين في لندن، ثم

لا تسمحون للجيش العربية بأن تدخل إلى فلسطين لتملأ الفراغ الذي خلفه انتهاء الانتداب البريطاني ولتعيد الأمن والنظام إلى البلاد. حقاً إنها مهزلة المهازل.

وهناك في السجلات الإسرائيلية هذه المرة، لا في سجلات الحكومة البريطانية، ما يؤكد هذا. إنها وثيقة في سجلات الهاجاناه، جيش إسرائيل اللارسمي قبل قيام إسرائيل، وجيشها الرسمي بعد قيامها. إن الهاجاناه تطالب إقامة الدولة اليهودية دون اكتراث بمعارضة العرب، واهتمام بوجودهم، وذلك في مذكرة رسمية قدمتها إلى لجنة الأمم المتحدة هذه المرة. إنها مذكرة مقدمة من الهاجاناه إلى لجنة الأمم المتحدة، وقد أعلنت فيها ما يلي:

"... ليس ثمة من شك في تفوق القوات اليهودية تنظيمياً، وتدريباً وتخطيطاً ومعدات. وإذا كنتم تقبلون بالحل الصهيوني في إقامة الدولة اليهودية، ولا ترغبون أو تجدون أنفسكم عاجزين عن فرضه، فكل ما نرجوه منكم، أن لا تتدخلوا، ونحن قادرون على تحقيقه وتنفيذه".

أو ليست هذه لغة الحرب؟ إنها موجهة إلى الأمم المتحدة. ومع ذلك فإن السيدة ماير، تأتي إلى هنا، لتقول أن الجيش العربية دخلت إلى فلسطين وإن دخولها، هو الذي خلق مشكلة اللاجئين. فأنتم تقتلون الناس، وتهاجمون قراهم العزلاء المكشوفة، وتخرجون أهلها من البلاد، وعندما تدخل الجيش العربية إلى فلسطين بعد ستة أشهر من اتخاذ الجمعية العامة للأمم المتحدة لقرار التقسيم

في عام 1947، تفدون إلى هنا، لتقرروا أن هذه الجيوش كانت السبب في المأساة. ترى ما الذي كنتم تصنعونه بقنابلكم ومدافعكم، وأسلحتكم النارية والتدمير؟ إنكم أنتم وحدكم، الذين خلقتكم المأساة وأثرتموها.

كانت مجزرة مخططة ومدروسة من البداية حتى النهاية. إنها سياسة إسرائيل، التي خططت لذبح الشعب الفلسطيني. وأنتم تعرفون أن الدولة اليهودية قد أقيمت على أساس ضمها لأربعمئة وخمسين ألفاً من اليهود ومثلهم من العرب. ومثل هذه الدولة، يهودية في الاسم، إذ أنها ثنائية الجنسية في الواقع. ولكن ما السبيل إلى تحويلها إلى دولة يهودية في الواقع؟ إن السبيل هو القضاء على الأربعمئة والخمسين ألفاً من العرب، عن طريق ذبحهم، ذبحاً منظماً. و"الذبح المدروس المنظم"، تعبير لم أكن أنا الذي استعملته، وإنما هو تعبير استخدمه الإسرائيليون أنفسهم، ولدي هنا وثيقة تلقي ضوءاً صريحاً وواضحاً وتبين أن إسرائيل قد استخدمت "المذابح المدروسة المنظمة"، كجزء لا يتجزأ من سياستها.

ونحن نعثر في الصفحة الواحدة والثمانين من كتاب "جندي مع العرب" على القصة الطريفة التالية، وهي قصة تجمع بين دفتيها الطرافة والأسى...

كان أحد كبار ضباط الجيش العربي الأردني من البريطانيين يزور في شهر ديسمبر عام 1947، أحد حكام الأقلية الإنجليز في فلسطين. وقد شهد المقابلة، قائمقام يهودي، يعمل تحت إمرة الحاكم الإنجليزي.

وهكذا تضم القصة الشخصيات التالية... الحاكم البريطاني، والضابط الإنجليزي، والقائمقام اليهودي، وكانوا يحضرون معاً إحدى حفلات الكوكتيل. ولنر الآن ما وقع في الحفلة، وما دار بها من نقاش. كان الثلاثة يشربون معاً، في المساء، وكانت الأمم المتحدة قد نشرت قبل أيام، مشروعها لتقسيم فلسطين. وراح الضابط البريطاني يسأل القائمقام اليهودي، عما إذا كانت الدولة اليهودية المقترحة ستواجه المصاعب الداخلية، من جراء الحقيقة الواقعة، وهي أن عدد السكان اليهود فيها سيكون معادلاً لعدد السكان العرب. حقاً كان السؤال في منتهى الذكاء. فقد راح الضابط البريطاني يسأل الموظف اليهودي قائلاً "وماذا سيكون مصير العرب في فلسطين؟ وماذا تعتزمون أن تفعلوا بهم؟" هذه هي المشكلة الهائلة التي كانت تواجه اليهود. وأرى هنا أن أذكركم بما كان الدكتور زاهر قد كتبه إلى الدكتور وايزمن في عام 1917، إذ قال... "وحتى لو تحققت كافة مشروعاتنا، فسيظل هناك السكان العرب يؤلفون مشكلة مخيفة".

وقد ظهرت هذه المشكلة بكل ما فيها من قوة في عام 1947، عندما واجهت الدولة اليهودية وجود أربعمائة وخمسين ألفاً من عرب فلسطين، فيما يسمى بالدولة اليهودية، وهم يساؤون عدد اليهود فيها. وقد رد القائمقام اليهودي، وفي رده الكثير من الكشف عن خطط الصهيونية وعن خفايا الموضوع كله. إن فيها آثار المأساة كلها.

ترى ما الذي قاله القائم مقام اليهودي؟ إنه قال ما نصه.. "لا.. لا" هذا هو الانطباع الأول عند القائم مقام اليهودي، بالنسبة إلى مشكلة العرب الهائلة، داخل الدولة اليهودية.. هذه مشكلة يمكن أن تحل. فالقيام بعدد من المجازر المدروسة والمحسوبة، يمكن أن يؤدي إلى الخلاص منهم. هل سمعتم؟ إنه كان موظفاً متحضرًا، يعمل في وظيفة عالية، في سلك الإدارة في حكومة الانتداب. ومع ذلك فقد قال... "إنها لا تُولف مشكلة، إذ يكفي القيام ببعض المجازر المحسوبة والمدروسة للخلاص منهم". وكلنا يعرف ما تعنيه هذه المجازر المدروسة. ولكن اسمحوا لي أن أعرض عليكم صورة منها، لأظهر لكم، لم طرد أهل فلسطين من ديارهم، ولم أخرجوا من وطنهم ليعيشوا حياة اللجوء والتشرد في البلاد المجاورة. وإني لأطلب إليكم، بالرغم من هذا السرد المرعب للقصة التي تلوتها على مسامعكم أن تعيروني أسماعكم، مدة أطول.

ففي العاشر من إبريل عام 1948، وهذا تاريخ في منتهى الأهمية، إذ أنه سبق موعد دخول الجيوش العربية إلى فلسطين بنحو من شهرين، هاجم الصهيونيون قرية دير ياسين في ضواحي مدينة القدس. وجمع الجنود اليهود غالبية سكان القرية الذين يعدون ستمائة إنسان، ونهبوا كل ما فيها من أشياء ذات قيمة، ثم تحولوا بانتهابهم إلى النهب الإنساني، فقتلوا الرجال، والنساء والأطفال، دون رحمة أو إشفاق. وقد ذبح اليهود في القرية نحو من مائتين وخمسين شخصاً، بينهم اثنتان وخمسون من الأمهات اللاتي يرضعن أطفالهن،



وستون امرأة وفتاة أخرى، وخمس وعشرون من الحوامل، اللائي بقر اليهود بطونهن بمنتهى الوحشية، ومزق الصهيونيون جثث الأطفال على مرأى من أمهاتهم، وقذفوا بنحو من مائة وخمسين جثة أنزلوا بها التشويه في جب في القرية. وحالت القوات الصهيونية بين الناس وبين رؤية ضحايا هذه المجزرة، وعندما طلب المسيو جاك رينر مندوب منظمة الصليب الأحمر الدولي، الإذن من الوكالة اليهودية، بمعينة المكان، أخرت الوكالة ذهابه إليه يوماً كاملاً لتتيح للقتلة فرصة الإغفاء على آثار جرائمهم.

وقد تحدث المسيو رينر، وهو كما قلت مندوب الصليب الأحمر الدولي، عن حقائق الحادث، فذكر أن الوضع كان في منتهى الفظاعة. فبالإضافة إلى الجثث التي أُلقيت في الجب، كانت هناك جثث أخرى، مبعثرة بين أنقاض البيوت المدمرة. ولا ريب في أن هذه المجزرة، ليست إلا واحدة من المجازر المدروسة المحسوبة، التي أشار إليها القائمون اليهودي، والتي قصد منها الخلاص من هذه المشكلة الهائلة وهي مشكلة العرب في الدولة اليهودية.

وكانت مجزرة دير ياسين موضوعاً طرقه بالبحث والدرس الأستاذ توينبي المؤرخ العالمي المشهور، الذي تحدث في كتابه "دراسة تاريخية" عنها فقال...

"ولا ريب في أن الأعمال الشريرة التي ارتكبتها اليهود الصهيونيون ضد عرب فلسطين، يمكن أن تضاهى بالجرائم التي ارتكبتها النازيون ضد اليهود".

أسمعتم؟ إنها تشبه جرائم النازيين . هذه هي المقارنة التي عقدها توينبي بين الصهيونية والنازية. إنها إدانة أصدرها توينبي المؤرخ المشهور ، وقد سجلها تاريخ القرن العشرين، معادلا بين النازية والصهيونية... فقد مضى الأستاذ توينبي يقول...

"وقعت مجزرة الرجال والنساء والأطفال في دير ياسين في التاسع من أبريل عام 1948... وتقع مسؤولية الدم العربي الذي سفك في دير ياسين في التاسع من أبريل عام 1948، على عاتق الارجون، أما طرد العرب الجماعي بعد الخامس عشر من مايو عام 1948، فتقع على إسرائيل كلها". هذا هو الحكم الذي أصدره الأستاذ توينبي صاحب العقل اللامع في المملكة المتحدة، والذي وجهه إلى العالم بأسره. وإني لأعتقد أن هذه الإدانة أهم على الصعيد العالمي، من القرارات التي تصدر عن اجتماعات ضخمة لوزارة الخارجية البريطانية.

وكان الأستاذ توينبي عنيفا أيضا كل العنف في تجريمه للأعمال الإرهابية الصهيونية قبل وقت قصير، أثناء الحوار الذي دار بينه وبين سفير إسرائيل في كندا في ندوة جامعة ماجيل في مدينة مونتريال الكندية في الواحد والثلاثين من يناير عام 1961، إذ قال....

"وما نكرهه فيما اقترفه الألمان، هو أن جرائمهم، كانت تسير على خطة موضوعة ومدروسة، نفذت بمنتهى القسوة، وعن سابق قصد وتصميم. وكل ما أخشاه أن تكون هذه النقاط قد انطبقت تمام الانطباق على ما اقترفه قوات إسرائيل المسلحة".

وقد يكون هناك من يقول، أننا لم نأت إلى هنا لننشر آراء المؤرخين، وإن هذه الآراء عرضه للنقاش والحوار، لا سيما وإننا نعرف أن التاريخ ليس إلا انعكاساً للتباين بين آراء مختلف الناس، وبين مختلف الاتجاهات والميول. ولكن قصة دير ياسين. كانت أيضا موضوع النقاش في محكمة إسرائيلية. أجل نظرات محكمة إسرائيلية في هذه القضية. ترى ما هو حكم الذي أصدرته هذه المحكمة في القضية؟ جرت عادة الناطقين بلسان سلطات إسرائيل، وبينهم بالطبع، السيدة ماير، على التبرؤ من جريمة دير ياسين والاعتراف بهولها، ونسبتها إلى المتطرفين. أن إسرائيل هي التي اقترفتها و نفذتها قواتها المسلحة . وهذا هو القرار الذي صدر عن محكمة إسرائيلية. فهنا بعض الناس، الذين يستطيعون قول الحقيقة مرة واحدة على الأقل، وفي مناسبة أو أكثر من مناسبة ، فهناك أويقات من الطهر في العنصر الإنساني، سواء أكان هذا العنصر من الإسرائيليين أم من غيرهم . وهذا هو قرار المحكمة الإسرائيلية بالنسبة إلى مجزرة ديرياسين، وذلك في القضية التي رفعها كوفمان، وهو ضابط إسرائيلي كان مسؤولا عن المجزرة، على حكومة إسرائيل، يطالبها فيها بالتعويض. إنه ضابط عسكري

إسرائيلي أسهم في مجزرة دير ياسين، ورفع قضية على حكومته يطالبها بالتعويض. وقد تعمقت المحكمة في بحث القضية كل التعمق، وتوصلت الى القرار التالي الذي أعلنته بقولها.....

"واقنتعت المحكمة تمام الاقتناع بأن وزير الحربية الإسرائيلي هو الذي أصدر أمره بعملية دير ياسين، كعملية موجهة ضد العرب".

ومن هذا يتبين أن المجزرة، لم تكن عملاً من أعمال المتطرفين أو المنشقين. وانما تمت بأمر من وزير الحربية الإسرائيلي كجزء من العمليات العسكرية ضد العرب. وهذا هو قرار المحكمة الذي لا بد وأن اطريه هنا غاية الإطراء. أجل إنني اطري المحكمة الإسرائيلية التي تعقد جلساتها في وطني وعلى تربة بلادي. ومع ذلك فإنها تقول الحقيقة التي اشعر من واجبي أن أعترف بها هنا أيا كان مصدرها، وأن أرفض أكاذيب السيدة ماير عندما تستهدف التضليل.

والآن لننتقل بالبحث إلى حادث آخر، لإيضاح الأسباب التي دعت إلى دخول الجيوش العربية السبعة إلى فلسطين في الرابع عشر من مايو عام 1948. انه يتصل باتفاق خطي تم الوصول إليه بين الفريقين، أي العرب واليهود في مكتب حاكم اللواء البريطاني في يافا، وهو من طراز الاتفاق الذي تدعون العرب واليهود إلى الوصول إليه الآن عن طريق التفاوض. والآن لنبحث في نتيجة

هذا الاتفاق المحلي الذي تم الوصول إليه بين سكان يافا من عرب ويهود، فقد تم الاتفاق على إعلان يافا مدينة مفتوحة، لا تجوز مهاجمتها ، ووضع اتفاق خطي خاص بهذا الموضوع تم التوقيع عليه في مكتب حاكم اللواء . ولكن بالرغم من هذا الاتفاق الذي أعلن مدينة يافا، مدينة مفتوحة، فإن القوات الإسرائيلية ما لبثت أن هاجمتها بعد انسحاب القوات البريطانية منها. وقد كتب جون كيمشي، وهو من أبرز اليهود وان لم يكن صهيونياً، ومن أصحاب المؤلفات والدراسات، في كتابه "الأعمدة السبعة المتهالكة"، وهو الكتاب الذي ضمنه، مشاهداته أثناء اضطرابات فلسطين، إذ كان مع الجنود هذا الجانب أو ذاك، ما نصه.... "وقد بدأ القصف بإطلاق مدافع الهاون من عيار ثلاث بوصات وهي المدافع التي كان اليهود قد استولوا عليها منذ بضعة أسابيع، في أثناء الغارة التي قاموا بها على أحد المعسكرات والتي قتلوا إبانها ضابطاً وأربعة من الجنود. وقد أحدث القصف المدفعي موجة من الفرع بين عرب يافا، وشرع الباقون منهم، وهم يتجاوزون عشرين ألفاً، يغادرون المدينة براً وبحراً. وبدأت القوات اليهودية في نهب المدينة ، نهباً جماعياً. وبدأ الجنود الأرجون الشبان في البداية بنهب لملابس والحلي، لصديقاتهم من الفتيات، ولكنهم سرعان ما تخلوا عن هذا التمييز في منهباتهم ، وأخذوا ينقلون من يافا ما يمكن نقله من أثاث وسجاد وصور، وزخارف ، وأدوات صينية، ومجوهرات ، وأدوات بيتية.

وهكذا نهبت الأجزاء المحتلة من يافا، وسرعان ما ظهرت إحدى المظاهر العسكرية المألوفة في أبشع صورها. فقد حطم اليهود ما لم يستطيعوا نقله ونهبه. ولحق الدمار بالنوافذ أجهزت البيانو والستائر والأضواء الكهربائية".

هل سمعتم؟ هذه أقوال جون كيمشي. انه شاهد عيان يهودي، يروي كل ما وقع في يافا.

وعندما تحدثت في المرة الماضية، من فوق المنبر في الأمم المتحدة، قلت إن اليهود يستعملون كل شيء، حتى ملاعقنا. أجل إن الإسرائيليين يستعملون حتى ملاعقنا في فلسطين. وقد ابتسم بعض الأعضاء عندما قلت هذا، وقد خيل إليهم أنني أقول هذه العبارة مجازاً. أجل خيل إليهم أنني أستعمل هذا التعبير لأعني به شيئاً آخر. لكنكم سمعتم الآن من جون كيمشي ان اليهود نهبوا كل شيء، حتى السجاد وملابس البنات، وأدوات الخزف والطبخ وكل شيء من البيوت العربية، وان ناهبيها كانوا من الجنود الذين يدينون بمبادئ الهدم والإرهاب وسفك الدماء. ومع ذلك من يسألنا هنا عن أسباب دخول الجيوش العربية الى فلسطين في الرابع عشر من مايو عام 1948. هذا هو الرد على هذا السؤال.

ولنعد الآن إلى قصة يافا، هناك مرجع آخر أُممي، لا بد أن أشير إليه. انه يقول: "وشرعت القوات اليهودية في التقدم داخل مدينة حيفا، وكأنها سكن تشطر الزبدة، وأخذ العرب يفرون من المدينة فرعين، وهم يصرخون دير ياسين.

ولم يبق عربي واحد في بلدة صفد في شمالي فلسطين من أهلها الذين كانوا يعدون أربعة عشر ألفاً، وذلك بعد ست ساعات ليس إلا من بداية الهجرة الجماعية". أو تعرفون مصدر هذه العبارة؟ إنه كتاب "الثورة" لمناحيم بيجين، الإرهابي اليهودي المعروف والزعيم الأرجوني بين الإسرائيليين. انه يقول: أن القوات اليهودية أخذت تتقدم في مدينة حيفا وإنها سكين تشطر الزبدة. انه يصف ضحايا الإرهاب اليهودية الذي يصف بالسكين، بالزبدة ولا ريب في إن هذه الصورة تعرض الشكل الذي تمت فيه الهجرة الجماعية لشعب فلسطين.

ولدينا مصدر آخر. انه من جماعة الهاجانا. فقد ألقت القوات اليهودية بمنشورات من الطائرات في الجليل الأعلى، وأعلن قائد الهاجانا في السادس عشر من مايو في هذا المنشور الذي طبعته قيادة الجيش النظامي الإسرائيلي، ووزعته الطائرات الإسرائيلية وما يلي:

"ولهذا فأنا أعلن في هذا البلاغ، أن على جميع من لا يرغبون في هذه الحرب أن يغادروا أماكنهم مع نسائهم وأطفالهم ، ليصبحوا في نجوة من الخطر. فالحرب التي تخوضها ستكون حرباً لا رحمة فيها ولا شفقة. وليس ثمة من سبب يدعوكم إلى تعريض أنفسكم إلى الخطر".

وراح مكبر الصوت الذي تستخدمه الهاجانا بالعربية في مدينة القدس أن على جميع السكان العرب أن يغادروا المنطقة قبل الخامسة والربع من بعد ظهر الخامس عشر من مايو عام 1948، وهذا نص الإعلان :

"وأشفقوا على نسائكم وأطفالكم، واخرجوا بهم من الحمام الدموي. امضوا بهم بعيداً عن طريق أريحا قبل أن تقفل هذه الطريق في وجوهكم. وأما إذا آثرتم البقاء، فإنكم تعرضون أنفسكم إلى كارثة".

أو ليست هذه دعوة موجهة إلى اللاجئين للخروج من البلاد؟ أما إذا شاء هؤلاء اللاجئين من أهل فلسطين، أن يوجهوا الدعوة إلى الجامعة العربية لإرسال جيوش دولها لحماية أرواحهم ، فان هذه الدعوة تعتبر جريمة في عرف إسرائيل وشريعتها.

وقد ذكرت الآنسة بيرتا فيستر، وهي مبشرة أمريكية قضت حياتها في مدينة القدس، في كتابها "قدسنا"، أن القادة اليهود كانوا يوجهون الإنذارات إلى سكان القدس والقرى العربية المجاورة، وهم يقولون فيها: "وما لم تغادروا بيوتكم، فان مصير أهل دير ياسين ينتظركم". هذه هي الدعوة التي وجهتها القيادة الإسرائيلية المسلحة، وقد نقلتها هذه السيدة الأمريكية، الممتازة، التي لا تعتبر متحيزة، أو تمت إلى طرف في النزاع، والتي عاشت حياتها كلها، كمواطنة هادئة آمنة في مدينة القدس.



وهناك شهادة أخرى من يهودي بارز، كان يعيش في فلسطين وقد غدا الآن مواطناً في إسرائيل. انه ناثن شوفشي، وهو من طلائع المهاجرين اليهود إلى فلسطين، يصف حقيقة ما وقع، بقوله.....

"... وفي وسعنا نحن المستوطنون اليهود الأول في فلسطين، الذين رأينا بأنفسنا الطريقة التي فر فيها العرب، من البلاد، أن نعرض الأسلوب الذي اتبعه اليهود في إرغام العرب على مغادرة مدنهم وقراهم. فقد أرغم بعضهم على الفرار بقوة السلاح، بينما استخدمت الخداع والكذب، والتضليل في الوعود المعسولة، في إقناع البعض الآخر بالفرار. ويكفي أن نستشهد بما وقع في يافا والرملة وبئر السبع وعكا، وغيرهم من المدن التي لا عد لها ولا حصر، والتي طرد منها أهلها العرب".

وهناك وثيقة أخرى، فقد كتب الأب رالف جورمان في مجلة "الإشارة"، وهي مجلة كاثوليكية أمريكية مستقلة ذات انتشار على الصعيد القومي، وتتميز بنظرتها الموضوعية، خلافا لعدد من الصحف الأمريكية التي تفتقر إلى الموضوعية في وجهة نظرها واتجاهاتها يقول... "لم يسبق للنازيين أن لجأوا إلى الإرهاب بصورة أكثر قسوة وتعميقاً من الإرهاب الذي اتبعه الإسرائيليون في مذبحه قبية". هذا هو الأب رالف جورمان وهو يكتب في مجلة "الإشارة"، وهي مجلة كاثوليكية أمريكية على الصعيد القومي. وإنني لأعرض هذا المرجع على أنظار الوفد الإسرائيلي ليقراه، وينفيه إذا أراد، وإذا تمكن من ذلك دون تضليل أو تشويه.

وأخيرا، أود أن أعرض عليكم قائمة نشرتها صحيفة "النيويورك تايمز" بأسماء المدن والقرى العربية التي احتلتها القوات الإسرائيلية قبل أمد طويل من دخول الجيوش العربية إلى فلسطين، وبعضها من المدن والقرى، التي تقع ضمن الدولة العربية وفقا لمشروع التقسيم.

وأنا لا أهدف من هذا إلى قول شيء معين... فانتم تعرفون أهدافنا القومية، وحقيقة موقفنا. لكنني أود أن أناقش ضمن حدود قرار الجمعية العامة، عارضا قائمة نشرتها صحيفة النيويورك تايمز وهي تظهر القرى والمدن التي احتلتها القوات الإسرائيلية ، قبل أسابيع وأشهر طويلة من دخول الجيوش العربية إلى أرض فلسطين. وهذه القائمة مستقاة من صحيفة "النيويورك تايمز"...

قزازه ... احتلتها اليهود في 21 ديسمبر عام 1947.

سعسع... احتلها اليهود في 16 فبراير عام 1948.

سلمه ... احتلها اليهود في 1 مارس عام 1948.

بير عدس ... احتلها اليهود في 6 مارس عام 1948.

كفر كنة ... احتلها اليهود في 13 مارس عام 1948.

القسطل ... احتلها اليهود في 4 إبريل عام 1948.

- دير ياسين ... احتلها اليهود في 10 أبريل عام 1948.
- اللجون ... احتلها اليهود في 15 إبريل عام 1948.
- ساريس ... احتلها اليهود في 17 إبريل عام 1948.
- طبريا ... احتلها اليهود في 20 إبريل عام 1948.
- حيفا... احتلها اليهود في 22 بريل عام 1948.
- القدس... احتلها اليهود في 25 إبريل عام 1948.
- يافا... احتلها اليهود في 26 إبريل عام 1948.
- عكا... احتلها اليهود في 27 إبريل عام 1948.
- القدس... وقد احتل اليهود مناطق أخرى فيها 1 مايو 1948.
- صفد... احتلها اليهود في 7 إبريل عام 1948.
- بيسان... احتلها اليهود في 9 إبريل عام 1948.

ومن هذا يبدو أن اليهود قد احتلت هذه المدن والقرى قبل أشهر وأسابيع طويلة من دخول الجيوش العربية، طبقاً لأقوال صحيفة النيويورك تايمز وهي صحيفة غير عربية كما تعرفون.

وهنا مصدر آخر، لا يقل وثوقاً عن هذه المصادر كلها. إنها أقوال صدرت عفواً عن وفد الولايات المتحدة الأمريكية وفي فترة محددة سبقت الرابع عشر من مايو 1948، وكانت من اللحظات النادرة التي تميز بها العقل الأمريكي في معالجة القضية الفلسطينية طيلة هذه المدة الطويلة، بالحكمة والتعقل. أجل أنها فقرة من بيان الممثل الأمريكي في مجلس الأمن، وقد جاء فيها ما يلي:

"ولما كان قد اتضح أن قرار الجمعية العامة \_ المقصود هنا قرار التقسيم لعام 1947 \_ عسير بل ومستحيل على التنفيذ بالوسائل السلمية، وأن مجلس الأمن ليس على استعداد لتنفيذه، فإن في وسع المجلس أن يوصي بإقامة وصايا مؤقتة على فلسطين تحت إشراف مجلس الوصايا".

كانت هذه لحظة قصيرة من لحظات الحكمة والتعقل، التي ندر وجودها في تاريخ معالجة الولايات المتحدة للمشكلة الفلسطينية، إذ أبلغت مجلس الأمن أن قرار الأمم المتحدة متعذر على التنفيذ بالوسائل السلمية، ولا يمكن تنفيذه إلا عن طريق سفك الماء والإرهاب والتدمير والحرق، وغير ذلك من الأعمال التي اقترفتها إسرائيل قبل الرابع عشر من مايو عام 1948 بوقت طويل. وقد طلبت

الولايات المتحدة فرض الوصاية على فلسطين لأنها رأت أن هذا القرار لا يمكن تنفيذه بالوسائل السلمية، وإن إسرائيل تعمل على تنفيذه عن طريق قواتها المسلحة. ولكن القوات الإسرائيلية كانت قد تقدمت، ووجهت رسالة إلى مجلس الأمن تبلغه بتقديمها، وكانت هذه هي الوسيلة الوحيدة التي اعتقدت أن في وسعها أن تتهرب فيها من مجلس الوصاية. وقد رفضت في رسالتها الوصاية، وأكدت أن قواتها المسلحة قادرة على أن تهزم اقتراح فرض الوصاية، وأعلنت إصرارها على المضي في إقامة الدولة اليهودية. وقد مضت قدماً في تنفيذ مخططاتها، دون أن تأبه بأقوال وفد الولايات المتحدة الأمريكية في مجلس الأمن في تلك الأيام، وعندما مضت في هذا العمل، وجدت الجيوش العربية السبعة أن واجبها يدعوها إلى دخول فلسطين لإنقاذ ما يمكن إنقاذه منها. وقد تمكنت هذه الجيوش من إنقاذ بضع مئات من الألوف من الناس الذين يعيشون حتى يومنا هذا. وإذا كان ثمة بقايا لهذا الشعب اليوم، فإن الفضل في ذلك يعود إلى دخول هذه الجيوش السبعة، التي لولا دخولها، لتمكن الإسرائيليون من إبادة الشعب بكامله، ومن تحويل البلاد كلها إلى أنقاض من مخلفات التدمير والإحراق.

وهنا لابد لي من أن أشير إلى أخطر تشويه للحقيقة، ظهر في أقوال السيدة ماير إلى هذه اللجنة. فقد تحدثت عن الفقرة (11) من القرار المعروف بقولها...

"لا تتحدث الفقرة عن حق اللاجئين في العودة، وإنما تتحدث عن احتمال سماح إسرائيل لهم بها".

وكلن السيدة ماير تحدثت في الصفحة نفسها من الخطاب عن هذه الفقرة فوصفتها بأنها "فقرة وحيدة من قرار قديم".

يا لها من مهزلة حقاً، تنطق بالكفر والسخرية. فعندما يكون الحديث عن حقوق اللاجئين في فقرة، فليس من الضروري، أن يكون هذا الحديث في كتاب بأكمله أو بفصل بمجموعه، إذ أن حق اللاجئين في العودة إلى ديارهم، حق في منتهى البساطة، ويمكن النص عليه في فقرة واحدة ليس إلا. أما القول بأنها فقرة وحيدة في قرار قديم، فإنها القصد منه، أن هذه الفقرة لم يعد لها وجود، إذ أن القرار بات قديماً، وهنا لا بد لي من القول أن الأمم المتحدة لا تمثل مقبرة، أو أضرحة تدفن فيها القرارات القديمة، وتدفن فيها جميع الحقوق التي تنص عليها هذه القرارات. وإذا كان ثمة من قرار قد مات، فإن هناك قراراً أقدم منه يجب أن يموت، هو قرار عام 1947 الذي أقام إسرائيل. وإذا كانت حقوق اللاجئين قد ماتت، لأن القرار الخاص به قد صدر في وقت أسبق أي في عام 1947... فأصبح محتملاً على إسرائيل أن تخرج من الأمم المتحدة.

هذه هي فلسفة السيد ماير، وإني لأقول إنها تقتقر إلى الفلسفة. بل هذا هو منطق السيدة ماير، وإني لأقول أنه يفتقر إلى كل منطق.

وكان كم المدهش حقاً، أن تختلف الأقوال بالنسبة إلى هذه الفقرة. فقد اختلفت تفسيرات السيدة ماير وتعددت له. فهي تتحدث أولاً عن الصلح مع

إسرائيل، ولكن إذا كان ثمة من تفسير لهذه الفقرة، فإن عبارة "إسرائيل" لم ترد فيه على الإطلاق، إذ نصت على ما يلي:

يجب السماح للاجئين الراغبين في العودة إلى ديارهم، والعيش بآمان فيها مع جيرانهم، بذلك في أقرب موعد عملي ممكن..."

أهناك نص على إسرائيل في الفقرة كلها، أو ذكر لها. وإذا كنت أيتها السيدة تريدان استنباط ما تشائين من تفسيرات لها، فإن في وسعي أن أسألك، أين عبارة إسرائيل في الفقرة كلها؟ إنها لا تظهر فيها، إذ لا وجود لها على الإطلاق. وكيف يمكن لنا أن نستورد عبارة الصلح مع إسرائيل، في الوقت الذي لا وجود لإسرائيل في الفقرة كلها. وكل ما تقوله هو وجوب "السماح للاجئين بالعودة إلى ديارهم والعيش بسلام مع جيرانهم" لا مع "جاراتهم". فاللاجئون العرب يعودون إلى وطنهم ليعيشوا بسلام مع جيرانهم لا مع ساداتهم. هذا هو نص الفقرة الحادية عشرة وهو واضح في ان عليهم أن يعيشوا بسلام مع جيرانهم، أما الآن فإن إسرائيل تود أن يفرض نفسها سيذا على اللاجئين، ولكن هذه السيادة غير موجودة لا في نص الفقرة ولا في روحها، لا في مبناها ولا في معناها. وإني لأقول انه جدير بالإسرائيليين الذين يعيشون الآن في إسرائيل، أن يعودوا إلى ديارهم السابقة ليعيشوا بسلام مع جيرانهم في ألمانيا وفرنسا والأرجنتين وغيرها من الدول المختلفة التي كانوا يعيشون في السابق في ديارهم.

ولكن هذا التفسير التي تقدمت به السيدة ماير، لا يصمد حقاً، حتى على ضوء الاتفاقات التي عقدتها إسرائيل نفسها. فإسرائيل، تنكر هنا حق اللاجئين في العودة. لكن هذا الحق، ليس منحة من الأمم المتحدة. فنحن أصحاب الحق، لأن الحق الى جانبنا. إنه الحق الذي خولناه الله، وأقول هذا لكل من يؤمن بالله، وخولتناه الطبيعة وأقول هذا بالنسبة الى كل من يؤمن بالطبيعة. إن هذا الحق ليس منحة من الأمم المتحدة. فنحن شعب فلسطين، وفلسطين هي وطننا سواء أرادت إسرائيل أم لم ترد. وقد أعلننا نحن حقنا واعترفتم انتم به. إنكم لم تمنحونا هذا الحق، ولم يمنحكم أي إنسان حقكم في وطنكم. أجل لم يمنحكم إنسان حق في العودة الى بلادكم لقضاء عيد الميلاد فيه ، إذ أن هذا هو حقكم.

ومن هنا يتبين لكم أن الأمم المتحدة لم تقم من إعلان حق العودة. أن هذا الحق ليس من ابتكارها ولا من خلقها. انه حق أصيل قائم، وليس في وسعنا أن نجلس هنا، نستمع الى السيدة ماير وهي تقول أن علينا أن نطلب الإذن من إسرائيل. لكي نستطيع العودة إلى ديارنا . كنا في فلسطين قبل وجود إسرائيل. أجل وجدنا فيها ، لأنها وطننا قبل أجيال من وجود إسرائيل، بل قبل قرون وقرون ، أن حقنا في الوجود يسبق وجود إسرائيل، وعلى وجودها أن يكون مستندا الى وجودنا وتابعاً له، وهذا ما يعنيه قرار الأمم المتحدة. وأنا لا أعرض هنا موقفنا القومي، فوجود إسرائيل مشروط بحقوق شعب فلسطين وإرادته، إذ أن هذا الشعب موجود قبل وجود إسرائيل بأجيال وقرون، وقرون.



وأمامي الآن وثيقة. وسأحدثكم عنها فيما بعد. إنها وثيقة إسرائيل بل ممثليها المخول بالتوقيع عنها، وهذا هو نص الوثيقة.....

" ولما كانت لجنة التوفيق لفلسطين ، راغبة في أن تحقق في أسرع وقت ممكن، الأهداف المتوخاة من قرار الجمعية العامة في الحادي عشر من ديسمبر عام 1948، بالنسبة الى اللاجئين، واحترم حقوقهم، وصيانة ممتلكاتهم، بالإضافة الى القضايا الإقليمية وغيرها، فقد اقترحت على وفد إسرائيل، وعلى وفود الدول العربية، أن تكون الوثيقة التخطيطية، الملحقة بهذه الوثيقة، أساساً في مناقشات اللجنة.

"وقد وافقت الوفود المعنية على هذا الاقتراح ، مع تفهمها بأن ما سيجري من تبادل في الآراء من جانب اللجنة مع الطرفين المعنيين، سيؤثر على التعديلات الإقليمية اللازمة لتحقيق الأهداف المشار إليها أعلاه".

هذه هي الوثيقة المعروفة ببروتوكول لوزان، وقد وقعتها إسرائيل، من أجل وقعها وفدها المخول بالتوقيع، وقد اعترف فيها بحقوق اللاجئين في العودة وفي حماية ممتلكاتهم كما اعترف بأن هذه الحقوق هي الهدف من المحادثات.

وافقت إسرائيل على الدخول في محادثات مع لجنة التوفيق الدولية، لتحقيق هذه الأهداف المذكورة، وهي احترام حقوق اللاجئين، وصيانة ممتلكاتهم. أوليست هذه وثيقة وقعتها إسرائيل؟ ليس هذا اعترافاً من إسرائيل بحق اللاجئين في العودة

وفي ممتلكاتهم؟ أو ليس هذا هو الهدف الذي أقرت به لجنة التوفيق، وقرأت به إسرائيل بتوقيعها على الوثيقة؟ ومع هذا فإن زميلنا المحترم ، ممثل ليبيريا ، يقترح علينا في هذا الصباح أن نمضي قدما في الماضي قدما في المفاوضات، أفي وسعك أن توضح لي كيف يمكن التفاوض على حقوق اللاجئين بعد أن اعترفت إسرائيل بها؟ وإذا كان هذا الاعتراف قد وقع فعلا، وقد وقع، فليس ثمة من حاجة الى التفاوض عليه، أن حقوق اللاجئين في العودة وصيانة الممتلكات هدف وافقت عليه إسرائيل وأقرته بختمها وتوقيعها، أجل أقرته مع لجنة التوفيق، ومع ذلك نرى، أحد أصدقائنا، يقوم في هذه القاعة بعد أربعة عشر عاماً من إقرار إسرائيل فيقترح، لأن اقتراحه يوافق اسرائيل أن التفاوض على حقوق اللاجئين. إن هذه الحقوق ، أيها الصديق، لا تقبل النقاش والتفاوض، وليس في وسعنا أن نتفاوض عليها، فقد قبلتها إسرائيل، وإذا شاءت هي الآن أن تتكرر توقيعها، وأن تتراجع عن موقفها، وأن تقول ، أن حقوق اللاجئين ليست حقوقاً ، فان الموضوع كله يصبح بمشيئة إسرائيل ورغباتها وتغدو عودتنا متوقفة على أهوائها ويضحى من واجبنا أن نتفاوض في ميدان حافل بالإنكار والتراجع. إن هذا الحق قد قبل في عام 1949 تحت إشراف لجنة التوفيق وأقرته إسرائيل ووقعت على إقرارها به كحق، كما أقرت بضرورة صيانة ممتلكات اللاجئين، فكيف يمكن لنا أن نتفاوض على موضوع كهذا.

وتحمل فكرة التفاوض، أن هناك خلافاً، وأن الموضوع قابل للحوار والنقاش والشك والإنكار، ولذا فنحن نرفض التفاوض على شيء لا يقبل الحوار والنقاش والإنكار، إن حقوقنا لا تقبل الجدل والحوار، فقد قبلت بها الأمم المتحدة منذ عام 1948، كما قبلت بها إسرائيل بتوقيعها، فكيف يمكن والحالة هذه أن تطلبوا إلينا التفاوض عليها ؟ إن التفاوض لا يكون إلا على ما يقبل الجدل والحوار، والنقاش والخلاف، أما الأشياء المقبولة من ناحية المبدأ، وبينها قرارات الأمم المتحدة، فلا يمكن التفاوض عليها، وهنا لابد لي من أن أشير الى الحقيقة الواقعة، وهي أن ثمة قرار من الأمم المتحدة يؤكد حقوق اللاجئين، وقد أعادت المنطقة الدولية تأكيد هذا الحق، عاما بعد آخر، طيلة خمسة عشر عاما، فكيف يمكن بحق السماء أن تجعلوا من هذا القرار موضوعا للتفاوض والنقاش؟ إن مجرد التفكير يجعل من الأمم المتحدة طرفا في التفاوض. ويجعل من قرارها موضوعا للنقاش. أو ليس مثل هذا الموضوع إلا تلك المواضيع سخرية بالأمم المتحدة؟ ففي وسعكم أن تطلبوا بالتفاوض في أي موضوع إلا تلك المواضيع التي سبق للأمم المتحدة أن حلتها ، فإذا كان ثمة قرار ، فالحل موجود ولا يمكن التفاوض عليه إطلاقاً. إن التفاوض لا يكون إلا على القضايا التي لم تقرها الأمم المتحدة بعد....

وقد جرت عادة الأمم المتحدة، عند تناولها أي موضوع بالمعالجة، أن تطلب الى الأطراف المعنية أولاً التفاوض على ما بينها من خلاف، فإذا فشل هذا الاقتراح، وجدت الأمم المتحدة نفسها مضطرة الى اتخاذ القرار، وأمامنا الآن

قرار الأمم المتحدة، فهل في مكنتنا أن نتفاوض على قرار قائم . إن مجرد التفكير في هذا يجعل من الأمم المتحدة كلها طرفاً في التفاوض، ولكن المنظمة الدولية ليست طرفاً، إذ يمكن التفاوض على قرار. فالمشاكل التي لم تحل هي التي يجري التفاوض عليها ، أما عندما تحل أية مشكلة، فإن الحل يكون موجوداً، وهذا هو كل مل في الموضوع، إن الحل لا يخضع للتفاوض، وإلا عرضنا الأمم المتحدة كلها للهز والسخرية. وإذا كان لابد من السخرية بهذه المنظمة، فإن من الواجب أن لا تصدر عن أعضاءها ووفودها، وإنما يجب أن تصدر عن جهة أخرى ليست عضواً فيها، ولا مكان لها في مبناها، ولا تؤلف مجموعة من أعضاء يطلبون التفاوض على قضية سبق للأمم المتحدة أن حلتها.

وإني لأرجوكم أن تفهموا هذه النقطة تمام الفهم، وإن تفكروا فيها، تفكيراً رصيناً وعميقاً حرصاً على كرامة الأمم المتحدة نفسها، أن نطلب التفاوض على قراراتها، إذ أن الواجب يدعو أعضاءها الى المبادرة الى تنفيذ أي حل تضعه، لا الى التفاوض عليه.

وقد أشارت السيدة ماير الى تشويه ضخيم للحقيقة عندما تحدثت عن ممتلكات اللاجئين ، فقد زعمت أن أملاك اللاجئين لا تؤلف أكثر من 16.5 في المائة من الأراضي الواقعة تحت سيطرة إسرائيل، ومن السهل على المرء أن يذكر ما يشاء من أرقام إذا كان الواقع يدعمها، ترى من أين جاءت السيدة ماير بهذه الإحصاءات؟ وكيف تسنى لها ، تصل الى هذا الاستنتاج القائل بأن

ممتلكات اللاجئين لا تعدو 16.5 في المائة ؟ ترى لم هذا الرقم، ولما لم يكون 15 أو 17 أو 20 في المائة ؟ ولم لم تنف أن للاجئين ممتلكات في المناطق المحتلة ؟ ما هو الأساس الذي قام عليه هذا الرقم؟ وكيف وجدت السيدة في نفسها الجرأة لتزعم أن ممتلكات العرب لا تعدو 16.5 في المائة؟ أمامي الآن اعتراف من بن غوريون نفسه، وهو زعيم السيدة ماير ورئيسها، وكان رئيسا لوزراء إسرائيل سنوات عدة، انه اعترف موجزاً، وعندما أتحدث أذكر المصدر الذي استند إليه، أما عندما تتحدث السيدة ماير فلا تستند الى أي مصدر، وإنما تختلق الأكاذيب.

هذا هو مصدري، سجلات الأمم المتحدة ووثائقها، وكان بودي أن تأتي السيدة ماير الى الأمم المتحدة بأرقام مستمدة من وثائقها وسجلاتها.

ففي الصفحة السابعة عشرة من تقرير اللجنة السابعة عشرة من تقرير اللجنة الدولية الخاصة بفلسطين وهي لجنة من لجان الأمم المتحدة، نص على أن بن غوريون قال للجنة أن العرب يملكون 94 في المائة من الأرض وأن اليهود يملكون 6 في المائة.

ألا يكفي هذا لتبديد أكذوبة السيدة ماير؟ أولا يكفي هذا الدليل لإظهار ما في خطاب السيدة ماير من تضليل وتشويه للحقيقة، وما لم تستند السيدة في

إحصاءاتها وأرقامها على تقارير لجان الأمم المتحدة ووكالتها، فإن هذه الإحصاءات التي توردها ستظل أكاذيب الى يوم يبعثون.

وانتقل الآن الى موضوع السيادة، فقد بنت السيدة ماير قضيتها كلها بالنسبة الى ممتلكات اللاجئين على حجة السيادة، وإني لأعرف أن هذه الحجة تستهوي الدول الأعضاء في الأمم المتحدة، فقد التفتت الى كل وفد من الوفود المشتركة في هذه القاعة، وراحت تسأله بعبارات واضحة...أو تقبل تدخلا في قضية داخلية تخص بلادك وحدها، وتقع ضمن صلاحيتها؟ وأنا لا شك في أن الرد على هذا السؤال سيكون دائما السلب . ولكن إسرائيل تفتقر إلى الصلاحية، اذ ليست لها أية صلاحية بالنسبة الى ممتلكات اللاجئين، وأنا لا أود الخوض عميقا في نصوص القانون الدولي في هذه القضية، إذ أن وزير خارجية الأردن المحترم قد عرض على مسامعكم ما يقوله القانون الدولي ، وقفة في هذا الموضوع ، ولكنني سأكتفي بأن أعرض على مسامعكم ما يقوله القانون الدولي الذي تجسده الأمم المتحدة وقراراتها ، فقد سألت السيدة ماير كل من في القاعة...هل تقبل تدخلا في صلاحيات بلادك الداخلية وفي سيادتها؟ وكان الرد طبعا السلب لسبب واحد ليس إلا.

فالسيادة بالنسبة الى كل دولة عضو في الأمم المتحدة، هي تعبير عن إرادة شعبها، إذ أن هذه السيادة، هي من خلق الدولة، والحكومة والشعب والدستور، فكل ممثل هنا، لأية دولة من الدول، دستوره في بلاده الذي وضعتة الجمعية الو

طنية هناك باستثناء إسرائيل. إذ أن الأمم المتحدة هي التي صاغت لها دستورها، وسيادتها، وليس ثمة من دولة في الأمم المتحدة، تولت المنظمة العالمية صياغة دستورها إلا إسرائيل التي صاغ لها دستورها، قرار الجمعية العامة في عام 1947، وهذا القرار، يؤلف كتيباً صغيراً. انه لا يشبه القرارات التي لا تعدو في العادة مجرد بضع فقرات، إنه كتيب كامل يضم الصلاحيات التشريعية والتنفيذية. ولم يسبق لي أن رأيت الأمم المتحدة بأخذ لنفسها الصلاحيات التشريعية والتنفيذية، في أي قرار سابق، وكأنها دولة فوق دولة، إلا في موضوع إسرائيل بالذات وفي قرار التقسيم لعام 1947، وقد سبق للسيدة ماير، أن أعلنت هنا في بيانها، وفي هذه القاعة، بأن إسرائيل قد قبلت قرار الأمم المتحدة لعام 1947.

وإذا كنت يا سيدة ماير قد قبلت بالقرار، فإنك ولا ريب قد قبلت بالقواعد الأساسية التي تضمنها الدستور الذي نص عليه الفصلان الأولان من ذلك القرار. لن أتلو على مسامعكم نصوص هذين الفصلين. وإنما أود أن أوجه أنظاركم الى فقرة واحدة في القسم (ج) من ذلك القرار، فقد قررت الأمم المتحدة:

" إن الشروط التي تضمنها الإعلان تعتبر قوانين أساسية للدولة، ويجب ألا يتعارض أي قانون أو نظام أو عمل رسمي مع هذه الشروط، أو يعترض سبيلها، كما يحظر تغليب أي قانون أو نظام أو عمل رسمي عليها".

وهكذا فإن الجمعية العامة قد أبلغت إسرائيل، انه مهما كانت صورة التشريع التي تتخذها، ومهما كان شكل الأعمال التي تقوم بها، فإن أي تشريع يجب ألا يتغلب على المبادئ الأساسية التي يتحتم على دستور إسرائيل أن يتضمنها. وفي هذه النصوص الجوهرية شروط كافية لحماية حقوق العرب المقيمين داخل الدولة اليهودية وليس من حق إسرائيل أبدا أن تشرع أي قانون أو تتخذ أي إجراء، سواء أكان هذا الإجراء إدارياً أم غير إداري، يتنكر لحقوق اللاجئين ويتغلب عليها.

ويتضح لكم من هذا أن دستور محدد بقيود وشروط.....فسيادة إسرائيل خاضعة لنصوص قرارات الجمعية العامة، وإذا كنتم قد قبلتم بقرار عام 1947، فإنكم قد قبلتم بتحديد صلاحياتكم، وقبلتم بالقيود تفرض على سيادتكم، وتحتم عليكم أن تلتزموا بقرارات الجمعية العامة، لأنها هي التي خلقتكم، إنكم المولود الذي ولدته الأمم المتحدة، وقرار عام 1947 هو شهادة ميلادكم، وليس في وسعكم أن تتجاوز حدود هذه الشهادة أو تتحدوها.

وقد نص قرار الجمعية العامة، على أن ليس من حق أي تشريع أو عمل وقد نص قرار الجمعية العامة، على أن ليس من حق أي تشريع أو عمل إسرائيلي أن ينتكر لحقوق العرب في فلسطين. انه حق دستوري وكل عمل أو تشريع من جانب إسرائيل يعتبر خروجاً على الدستور، ولا دستورياً. وهذا ليس كل ما في الموضوع، فالجمعية العامة تكتف بهذا الحد وتقف عنده، فقد ذكرت في فقرة



أخرى من القرار نفسه ما نصه: "وستضمن الأمم المتحدة النصوص الواردة في الفصلين الأولين من الإعلان، ولا يمكن إدخال أي تغيير فيها دون موافقة الجمعية العامة للأمم المتحدة. ومن حق كل دولة عضو في الأمم المتحدة، أن تلفت نظر الجمعية العامة إلى أي انحراف أو خطر إنحراف عن هذه الشروط. وعلى الجمعية العامة في مثل هذه الحالة، أن تتقدم بالتوصيات التي تراها مناسبة لمواجهة هذه الظروف.

إن أو لم تنص الجمعية العامة على حقوق شعب فلسطين؟ إنها تعهدت بأن تكون هذه الحقوق بضمانتها، وخولت كل دولة من الدول الأعضاء المشتركة فيها، الحق في أن تلفت نظرها إلى أي انحراف عن هذه الحقوق، كما حظرت أي تعديل يطرأ عليها من إسرائيل أو من غيرها إلا بموافقة الأمم المتحدة. ومن هذا يتضح لكم أن كل ما أصدرته إسرائيل من تشريعات عن ممتلكات اللاجئين لاغية وباطلة، إذ أنها تنهار إلى الحضيض وذلك لأنها تعتبر انتهاكا لقرار الجمعية العامة. ومن واجب كل دولة من الدول الأعضاء أن تلفت انتباه الجمعية العامة إلى أي انحراف أو خطر بانحراف إسرائيل عن صيانة حقوق شعب فلسطين. هذا هو واجبكم وهذا هو حقنا.

ولم يكتف قرار الجمعية العامة بتحديد هذه السيادة فحسب، بل جاءت اتفاقات الهدنة منكرة لها، وكلكم يعرف أن إسرائيل طرف في هذه الاتفاقات التي وقعتها والتي تنص الفقرة الثانية من المادة الثانية من اتفاق الهدنة السورية

الإسرائيلية وهو اتفاق واحد منها عقد في العشرين من يوليو عام 1949، على ما يلي:

"وقد أملت الاعتبار العسكرية لا السياسية وحدها نصوص هذا الاتفاق"، وقد قامت إسرائيل هناك على الأرض بقوة اتفاقات الهدنة، وتقول هذه الاتفاقات أن ليس لنصوصها أية أهمية سياسية، إذ أنها جاءت نتيجة املاءات الإعتبارات العسكرية وإذا كانت الإملاءات العسكرية هي التي تفرضها، فإن إسرائيل لا تملك والحالة هذه أية سيادة، كما أن التشريع الإسرائيلي الذي استخدم في سرقة ممتلكات اللاجئين يعتبر عملاً يخالف روح اتفاقات الهدنة وميثاق الأمم المتحدة.

وأنا لا أعرب هنا عن رأيي الخاص، وإنما أناقش الموضوع من زاوية قرارات الأمم المتحدة. ترى ما الموقف بالنسبة الى المناطق التي احتلتها إسرائيل والخارجة عن حدود الدولة اليهودية بموجب مشروع التقسيم، فهذه المناطق تحتلها إسرائيل نتيجة عمليات حربية أثمرت فتحها لها، وعلى هذا الأساس، فليس لإسرائيل في هذه المناطق أية صلاحيات قانونية وليس من حقها أن تضع تشريعات للمناطق الخارجة عن حدود التقسيم. ونعود أيضا الى منطقة القدس، وهنا أنا لا أود الإعراب عن رأيي، وإنما أناقش الموضوع من ناحية الفقه القانوني للأمم المتحدة. فقد قررتم في عام 1947 وفيما تلاه من قرارات أن تكون القدس وحدة منفصلة، يفرض عليها نظام التدويل، ويعني هذا أن ليس لإسرائيل حق التشريع في القدس، وليست لها أية سيادة عليها. إذ أن هذه السيادة، بموجب

قرار التقسيم في عهدة الأمم المتحدة. وإني لأناقش هنا قراركم لا الموقف الذي أأفقه من القضية، فإذا كانت القدس وحدة منفصلة في ظل الحكم الدولي، فإن السيادة عليها تكون للأمم المتحدة لا لإسرائيل وإذا كانت إسرائيل تشرع لبعض مناطق القدس خلافاً لقرار الأمم المتحدة، وخلافاً لسيادتكم على المدينة، فإنها بعملها هذا تعتدي على سيادتكم ولا بد أن يكون عملها لاغياً وباطلاً.

ويقول الأستاذ توينبي عند معالجته موضوع ممتلكات اللاجئين في كتاب "دائرة المعارف البريطانية" لعام 1959، وهو كما ترون كتاب غير حديث جداً بحيث لا يستطيع زميلنا المحترم، مندوب بريطانيا تبرير عدم قراءته له بحجة أنه كتاب حديث، ما نصه:

"لقد قيل في بعض الأحيان أن اللاجئين الفلسطينيين العرب، قد فقدوا حقوقهم في ممتلكاتهم الموجودة في الجانب الإسرائيلي من خط الهدنة، بسبب خروجهم من بيوتهم أثناء العمليات الحربية في عام 1948. ولكن هذا الرأي مرفوض، ولا يمكن قبوله في العالم المتحضر. ولو كان في الإمكان قبول هذا الرأي، لصح لنا أن نستنتج أم من حق النازيين أن تغتصبوا أملاك اليهود الذين أتاح لهم الفرص وبعد النظر من الفرار من ألمانيا".

وسأترك هذا القول دون تعليق، إذ أنه ينطق بإدانة إسرائيل على ما اقترفته من أعمال تجاه ممتلكات اللاجئين.

ولعل ما هو أهم من هذا، هو أن اللاجئين الذين يعيشون في مخيماتهم عبر خطوط الهدنة، يشهدون عند مطلع الشمس في كل يوم، وعند غروبها، أراضيهم وبساتين حمضياتهم التي زرعوها بأنفسهم، ولا يستطيعون الوصول إليها، ولو سولت لهم أنفسهم أن يجتازوا الخطوط لقطف بعض ثمارها، فأنهم يتعرضون للموت. هذه هي الحادثة الأولى من نوعها في العالم المتحضر، حيث يقتل الإنسان، لأنه يقترب من ممتلكاته، وإني لأقول هذا لأنني عثرت في كتاب المستر هتشينسون عن "الهدنة الدامية" على فقرة استخلصها من تجاربه الطويلة عندما كان يعمل رئيساً للجنة الهدنة المشتركة وهذا نصها:

"وقد قتل الكثيرون من العرب وهم يحاولون استخلاص بعض الأشياء من بيوتهم السابقة، أو جني ثمار الأراضي التي كانوا يملكونها يوماً ما في فلسطين".

ومن هذا يتبين لكم، إن العرب لا يحرمون من حقهم في ممتلكات فحسب، بل ويقتلون عندما يحاولون الدنو منها، أو ليست هذه حالة فريدة من نوعها في العالم المتمدين حيث يقتل الإنسان لأنه يحاول الاقتراب من داره؟ إنني أترك لكم الحق في الحكم على هذا.

وإني لأعتقد أن أوضاع اللاجئين تتطلب العمل بموجب ميثاق تحريم الإبادة الجماعية، فقد نصت المادة الثانية من هذا الميثاق في معرض تعريفها لهذه العملية على ما يلي:

"تعني الإبادة الجماعية، القيام بأي عمل من الأعمال التي تقتترف بقصد تحطيم أية جماعة دينية، أو عنصرية، أو عرقية أو قومية، تحطيماً كلياً أو جزئياً... وحظر وضع هذه الجماعة بصورة متعمدة في أوضاع حياتية يقصد منها القضاء عليها قضاء فعلياً، بصورة كلية أو جزئية".

هذا هو التعريف الذي وضعته جمعيتكم العامة لعملية الإبادة الجماعية. ويقول المستر ديفيز في تقريره المقدم إليكم، أن الألوف تلو الألوف من الناس باتوا معرضين الآن للتضور جوعاً، فالسبعة آلاف رجل من عشيرة العزازمة، والثلاثمائة والخمسة وعشرون ألفاً من الناس الذين لا يستطيعون الحصول على المساعدات من وكالة الغوث لأن تعريف اللاجئين لا ينطبق عليهم لأنهم من سكان القرى الأمامية، معرضون جميعاً للتضور جوعاً، وهذه هي الإبادة الجماعية بعينها. وإني لألفت انتباهكم الى هذا العمل، مطالباً إياكم بوقفه، وإذا كنا لا نستطيع تيسير سبل عودة الشعب الفلسطيني فوراً الى دياره، فإن علينا على الأقل أن نتجنب اقتراف جريمة الإبادة الجماعية، لا عن طريق ما تقدمونه لهؤلاء الناس من غوث لا يعدو الستة سنوات في اليوم بعد تسجيلهم على قوائم المستر ديفيز، بل عن طريق السماح لهم بزراعة أراضيهم، والعيش على كدهم وجهدهم، والحياة حياة كريمة على ريع أراضيهم وممتلكاتهم التي اغتصبتها إسرائيل وسرقتها منهم.

ونحن نسمع من يطالبنا بالعيش في سلام تحت شعار "التعايش السلمي" ولكن لن يكون هناك تعايش سلمي، إلا عندما يكون العيش مشروعاً وقانونياً، فلا يمكن أن يكون ثمة تعايش بين اللص وضحيته، بل بين المضطهد الغاصب وفريسته، عليكم أن ترفعوا الاضطهاد أولاً، وأن تقفوا على آثار اللصوصية، قبل أن تحققوا التعايش السلمي ، ولكن ليس في وسعكم أن تطلبوا الى الضحية أن يتعايش سلمياً مع المجرم الذي جعله ضحية.

ونجد في الفقرة الثالثة من مقدمة الميثاق الدولي ، لحقوق الإنسان العبارة التالية:

"ومن الضروري جداً، إذا كانت النية متجهة الى عدم إرغام الإنسان على اللجوء، كوسيلة أخيرة، الى الثورة على الطغيان والاضطهاد، وحماية الحقوق الإنسانية عن طريق حكم القانون".

فعندما يكون حكم القانون هو الذي يتولى حماية الحقوق الإنسانية فإن في وسع المرء أن يطالب بالتعايش السلمي، لكن هذا التعايش لا يمكن أن يقوم مع العدوان سواء كان هذا العدوان غزوا عسكرياً أو احتلالاً..ولا يعتبر مثل هذا الوضع تعايشاً سلمياً، بل نهبا، وامتهانا للكرامة الإنسانية.

"وقد نشأت الحروب من جراء التنكر للمبادئ الديمقراطية في احترام كرامة الإنسان والحقوق المتبادلة والمتكافئة بين الناس".

والآن اسمحوا لي بدقيقة أو دقيقتين، ألخص لكم فيها رأينا وموقفنا. فهذا هو خطاب وفدي الأخير في ختام المناقشات نيابة عن شعبنا، وان من واجبي بعد هذا العرض المستفيض للمشكلة الفلسطينية، ومشكلة اللاجئين الفلسطينيين بالذات أن ألخص موقفنا بالعبارات التالية:

أولاً: العودة حق لنا، دون قيد أو شرط ودون تحفظ، إذ أنها عودة الى وطننا فلسطين، وأرض آبائنا وأجدادنا.

ثانياً: على الأمم المتحدة إذا أرادت بحث موضوع اللاجئين، وقضية فلسطين في مجموعها، أن تتحدث إلينا نحن شعب فلسطين، فهذا الشعب هو الطرف الرئيسي في المشكلة الفلسطينية. والدول العربية مرغمة بحكم واجبها القومي على الدفاع عن قضيتنا بمختلف السبل والوسائل المتوافرة لها، لكن المصير النهائي، لشعبنا، شعب فلسطين، ومستقبل بلادنا، رهن بمشيئة هذا الشعب، فنحن الذين في وسعنا أن نقبل وأن نرفض.

ثالثاً: ليس ثمة من جدوى لأي قرار بطلب التفاوض بين الدول العربية وإسرائيل، إذ أن مثل هذا القرار يوجه الى الفريق غير المعني، فالدول العربية

ليست الفريق الشرعي المعني في أية مفاوضات بالنسبة الى حقوق اللاجئين، وليس من حق هذه الدول أن تتفاوض في الحقوق الوطنية لشعب فلسطين.

ويضاف الى هذا يا سيدي الرئيس، أن المفاوضات ليست السبيل الصالح في مشكلة اللاجئين أو في مشكلة فلسطين في مجموعها، ولا يمكن حل مشكلة اللاجئين إلا بالعودة، لا التفاوض.

أما بالنسبة الى القضية الفلسطينية في مجملها، فإن إعادة النظر فيها لا التفاوض، هي مفتاح المشكلة كلها، ويجب أن تكون إعادة النظر هذه، جذرية، وعلى أسس جديدة، لا علاقة لها بقرار عام 1947 وكل ما ترتب عليه من إجراءات. وقد أثبتت الفروض التي قام عليها هذا القرار، طيلة الخمسة عشر عاماً الماضية، أنها تقتقر الى الأساس، وأن الأهداف التي توخاها لم تتحقق، وأن السلام، لم يقم، وأن الخطر الذي يهدده في المنطقة، بل وفي العالم بأسره، كما قال المستر ديفيز في تقريره، قائم وقريب.

رابعاً: يتمثل الحل الوحيد في الاعترافات بحق شعب فلسطين الشرعي في أن يعيش في وطنه بكرامة وحرية، متمتعاً بسيادته الوطنية .

خامساً: أما إذا واصلت الأمم المتحدة سياسة التقاعس والتخاذل واستمرت في تجاهلها، ولم تقم بأية محاولة جدية لاستعادة حقوقنا، فإننا شعب فلسطين سنعمل بكافة السبل والوسائل، على استعادة وطننا وديارنا، وبيوتنا.



ولا يمكن حل مشكلة فلسطين، وهي مشكلة استعمارية، إلا على النحو الذي حلت به مشكلة الجزائر، وكلكم يعرف معنى الحل الجزائري من البداية الى النهاية. فقد يغدو من الضروري أن نشرع في حركة تحريرية، وعلى مثل هذه الحركة أن تعتمد على جيش للتحرير يجب أن يقوم، وبهذه العبارات، أنهى بياني الى لجنتم الموقرة.

## الملحق الثالث

---

الخطاب الذي ألقاه الأستاذ أحمد الشقيري في افتتاح المؤتمر

اللسطيني الأول (القدس) 1964/5/28

في هذا اليوم التاريخي، وفي مدينة القدس الخالدة، يجتمع شعب فلسطين لأول مرة بعد كارثة فلسطين، فما أعظم هذا اللقاء وما أكرم معناه وأبعد مداه.

ولقد شهدت هذه المدينة الباسلة منذ أن دخلها سيدنا عمر بن الخطاب وهو يسوق جملة وعليه مولاه، شهدت أياما فاصلة جليلة اقتحمت على التاريخ العربي طريقه فغيرت مجراه وصعدت به إلى ذروة الأمجاد الإنسانية، وما أيام صلاح الدين الأيوبي إلا واحدة منها. واليوم تشهد هذه المدينة حدثا تاريخيا سيقتم على الحياة العربية طريقها ليغير مجراه فيعيد إلى الديار المقدسة عروبتها وحريتها وأمنها وقدسيتها.

ونحن إذ نعقد هذا المؤتمر الوطني تطالعنا هذه المعاني بارزة واضحة، وأكبر هذه المعاني أننا نجتمع لأول مرة بعد ستة عشر عاما من عمر الكارثة، وهذه أكبر المعاني حقا، فقد تألبت على هذا الشعب الباسل قوى الصهيونية والاستعمار مجتمعة متساندة، فأقامت إسرائيل على أرضنا، وتحالفت على إخراجنا من وطننا وتشريدنا تحت كل سماء وكوكب، ثم راحت ترهق اللاجئين منا عاما بعد عام باللبؤس والحرمان، وهي تحسب أن هذا الشعب لن يجتمع أبدا.

ولكن مؤتمرا هذا في يومنا هذا ليعلن للدنيا بأسرها، أننا نحن أهل فلسطين أصحابها الشرعيين قد التقينا \_ قد اجتمعنا \_ قد التقينا واجتمعنا على تحرير فلسطين.

ونحن هنا وفود فلسطين، قد تتأدينا إلى هذا المؤتمر العتيد على أرض فلسطين، على الخطوط الأمامية من فلسطين، نشهد أرضنا وديارنا، معابدنا ومرابنا، مدننا وقرانا في الوطن السليب، ونحن هنا لا نمثل الفلسطينيين في سوريا ولبنان والعراق وقطاع غزة، ولكننا هنا شعب واحد، ووطن واحد، وكفاح واحد.

بل إن معنا في هذا المؤتمر إخواناً لنا \_ نحن نمثلهم لأنهم لا يستطيعون الوصول إلينا، إخواناً لنا يصابرون جهد الطاقة الإنسانية في سبيل حماية عربتهم وصون لغتهم \_ أولئك هم إخواننا الفلسطينيون في المنطقة المحتلة، إنهم معنا ونحن معهم، إنهم الآن يحضنون أجهزة الراديو، ويستمعون إلينا بقلوبهم وجوارحهم، إليهم تحياتنا وإعجابنا، رجالاً ونساءً، شباباً وأطفالاً، ونحن معهم على عهد وموعد، وكل آت قريب.

وإن مؤتمرنا هذا ليضم أجيال الكفاح، ويضم أجيال النكبة منذ وقعت النكبة، فبيننا الجيل الذي أطل من الحرب العالمية الأولى ليستمع إلى وعد بلفور الذي أصدرته الحكومة البريطانية ظلماً وعدواناً فثار على هذه السياسة الظالمة بالاستتكار والاحتجاج والإضراب والسلاح، وبيننا الجيل الذي شهد عهد الانتداب البريطاني بكل مظالمه ومغارمه فنازل الاستعمار بالسلاح عام 1921 و 1929 و 1936 و 1939، وكان من آيات الكفاح ذلك الإضراب الذي امتد ستة أشهر كاملة لم يعرف له تاريخ الحركات التحررية مثيلاً. وبيننا الجيل الذي غصت

بهم السجون والمعتقلات، ونسفت منازلهم وهدمت قراهم وعلق أبناؤهم على أعواد المشانق، وبيننا أخيراً الجيل الصاعد الذي له من ذكريات الوطن ظلال خفية يعيش دوماً في النكبة، وتعيش النكبة فيه.

كل هذه الأجيال بكل ذكرياتها القريبة والبعيدة إنما تمثل الكفاح الدائم للشعب، وستظل أجيالنا الحاضرة والمقبلة تتعاقب عليها أعباء الكفاح، حتى نحرر الوطن السليب، وندق أعلامنا على عكا وحيفا ويافا وسائر الشاطئ الخصيب.

وهذا المعنى الكبير الذي يتجلى في تجمع الشعب الفلسطيني، يجاوره معنى كبير يوازيه في جلاله وخطره، ذلك هو اجتماع الأمة العربية ممثلاً بيننا في جلالة الملك الحسين، ملك المملكة الأردنية الهاشمية وإخواننا الأجلاء ممثلي الملوك والرؤساء للدول العربية.

إنهم اليوم معنا وورائهم الأمة العربية بكل طاقاتها الروحية والمادية، وكما كان مؤتمر الذروة العربي أول اجتماع عال يلتقي فيه المشرق العربي والغرب العربي على قضية فلسطين، فمن حقنا أن نسجل باغتيالنا أننا نشهد اليوم أول مؤتمر فلسطيني يعقد على مقربة من خطوط الهدنة، لنعلن على الملأ أن الشعب العربي الفلسطيني مصمم تصميماً لا يلين، وعازم عزماً لا ينتهي، على تحرير وطنه مهما عظمت التضحيات، ومهما طال الزمان.

وليس ما أقوله مجازاً ولا حماساً، فإنه الحقيقة الراسخة التي تعيشها الأمة العربية لا بملوكها ولا برؤسائها فحسب، ولكن في صميم جماهيرها، في بواديها وحواضرها.

وفي جولتي الأخيرة في الوطن العربي من المحيط إلى الخليج شهدت بنفسني لهفة الأمة العربية على فلسطين ولوعتها على ضياعها وتحرقها على الكفاح لتحريرها.

لقد شهدت احتفالات تونس لتحرير بنزرت فكان الشعب في تونس يهتف لفلسطين إلى جانب هتافه لبنزرت.

وشهدت ذكرى استقلال ليبيا في طرابلس فكان الشعب الليبي يهتف لفلسطين إلى جانب هتافه لاستقلال ليبيا.

وشهدت مؤتمراً كبيراً في الجزائر فأعلن شعب الجزائر أن سيادة الجزائر لا تتم إلا بتحرير فلسطين.

وشهدت اجتماعات وطنية في المغرب فكان المغرب يهتف لتحرير فلسطين إلى جانب هتافه لحريته واستقلاله.

وخطبت في مساجد الخرطوم ونواديها فكان الشعب في السودان يهتف  
لفلسطين لتحرير فلسطين .

وفي قاعة الخلد في بغداد كان شعب العراق يرد على خطابي مطالباً  
بالتطوع والسلاح.

والتقيت بالشعب في صيدا \_ لبنان في مؤتمر كبير، وكانت الجماهير  
تصيح من هنا الطريق الى فلسطين.

وفي سوريا وقفت مع الإخوان في القرى الأمامية المطلّة على الجليل، وكان  
السؤال الصارخ على أفواه الجميع، متى نحرر هذه الربوع الغالية من الوطن  
الغالي.

وفي الكويت كان حديث الشعب ألي أشد حماسة من حديثي إليهم، الأموال  
والرجال فداء فلسطين. وكذلك كان هذا الشعور الفياض في قطر والبحرين.

وفي الجمهورية العربية المتحدة شهدت احتفالات أسوان فكان بناء السد  
العالي يهتفون في أذن الرئيس خروشوف لتحرير فلسطين ولما يجف العرق على  
جباههم.

أما في الأردن وقد كانت لي اجتماعات كبرى في ضفتيه فقد شهدت  
الفلسطيني أردنيا والأردني فلسطيني، الكل سواء في الكفاح تجمعهم اخوة المصير  
والسلاح، واستقر في ضميري أن أهل عكا و حيفا ويافا لا جنبا إلى جنب بل  
قلبا الى قلب.

ولو أتيح لي أن أزور الجزيرة العربية لرأيت فيها المشاعر العربية نفسها  
سواء بسواء وكلها تتطلع بالتأييد لفلسطين وكيان فلسطين.

وأنني إذ أتحدث عن كيان فلسطين أجدني أمام حقيقة مفاجئة، لقد تداولنا  
هذا التعبير "الكيان الفلسطيني" سنوات عديدة، إنه تعبير غريب على الحياة العربية  
والدولية، إنه تعبير جديد لا سابقة له في تاريخ الأمم ، وكل الشعوب كافحت  
لنيل حريتها لا تعرف هذا التعبير، لم يعرف تاريخ الكفاح العربي شيئا اسمه  
الكيان السوري والمصري، والعراقي، أو الجزائري، ولم تعرف آسيا الكيان  
الإندونيسي ولا إفريقيا الكيان النيجيري، ولا عرفت أميركا اللاتينية الكيان الكوبي  
ولكن فلسطين فريدة الكارثة، وحيدة الفاجعة، فكان لا بد من وضع غريب ووحيد.

وواضح أن السبب في ذلك أن كل الشعوب التي ابتليت بالاستعمار بقيت  
مستقرة في وطنها آمنة في ديارها، تكافح في أرضها، في جبالها ووهادها، في  
شواطئها وسهولها، وفي غاباتها وأحراشها، ولكن شعب فلسطين قد اقتلع من

وطنه، وأخرج من دياره، وهم كيانه فأصبح لا بد له أن يبني لنفسه كيانا، ليستأنف حياته القومية وينهض بدوره الكامل في تحرير وطنه وتقرير مصيره.

هذا هو السبب وراء هذا التعبير الفريد، الكيان الفلسطيني، إنه تعبير مفجع ينطلق من الفاجعة التي حلت بفلسطين، ولكن يجب أن يكون واضحا أن هذا الكيان ليس كيانا انفصاليا فنحن دعاة وحدة، ولا كيانا انعزاليا فنحن رسل تضامن وإخاء، وأنه لمن يمن الطالع لمؤتمرنا أننا نعقد في أنام نتبادل فيها التهاني لاتفاق الوحدة الذي تم أخيراً بين الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية، فإن الوحدة.. هي أعز آمال شعب فلسطين، إننا لندعو الله أن يكون اتفاق القاهرة \_ بغداد له ما بعده، وأن تزداد رقعة الوحدة العربية سعة وعمقا، فإن الوحدة هي الطريق إلى فلسطين.

ومن معاني هذه الوحدة أن انبثاق الكيان الفلسطيني في مدينة القدس لا يهدف إلى سلخ الضفة الغربية عن المملكة الأردنية الهاشمية ولكننا نهدف إلى تحرير وطننا المغتصب غرب الضفة الغربية. ونحن لا نتعرض للكيان الأردني من قريب أو بعيد، فقد كانت هذه الديار على مر التاريخ وطنا واحدا وشعبا واحدا، وما وضعه الاستعمار من حواجز على مدى ثلاثين عاما أعجز من أن يفصم روابط السنين والأجيال، وإننا لن ننسى أبدا أن القرون الوسطى قد شهدت معارك فلسطين لا على أسوار عكا والقدس ولكن على أسوار الكرك، ونحن في عهد الصواريخ، أجد بأن نرفض التفريق والتجزئة، ويجب أن يكون شعارنا الوحدة



الآن وفي كل آن وزمان، ومن أجل ذلك فإن أي عون عسكري أو سياسي أو اقتصادي للمملكة الأردنية إنما هو عون عسكري لفلسطين، وإننا لندعو الأمة العربية بأسرها بحكومات وشعوباً أن تعتبر أن الأردن هو المنطلق الكبير لتحرير فلسطين فهنا الهضاب المشرفة، وهنا الجبال المطلة، وفوق هذا وذاك هنا الشعب المتعطش للثأر، المتلهف إلى الجهاد والاستشهاد.

وإننا إذ نجتمع اليوم لبناء الكيان الفلسطيني إنما نهدف أن نضيف قوة جديدة في الساحة العربية عامة والكيان الأردني خاصة، ونحن شعب كان لنا كيان يوم كنا في وطننا، وقد تمثل هذا الكيان في أحزابنا ومنظماتنا ولجاننا القومية، تمثل في الفلاحين الذين استشهدوا وفي العمال الذين علقوا على أعواد المشانق، وفي الطلاب والشباب وفي الرجال والنساء الذين حصدوا قتلاً، واضطهدوا سجناء واعتقالاً وتعذيباً، تمثل في كفاح مريد نهض به الشعب بكل فئاته قرابة ثلاثين عاماً وبذل في سبيله المهج والأرواح.

تلك كانت سيرتنا أيام كنا في وطننا نكافح الصهيونية والاستعمار معاً، إلى أن خرجنا من ديارنا، لا حباً ولا استكانة، ولكن لأن القوة العربية لم تكن يومئذ على مستوى المعركة، وإذا كان الركب العربي قد خطا خطوات واسعة في ميدان القوة العسكرية والاقتصادية فقد بقي علينا نحن الشعب الفلسطيني أن نسير في موازاة هذا الزحف العربي، فنبنئ كياننا ونجمع صفوفنا ونعبي كل طاقاتنا وكفاءتنا فتعود القضية لشعبها ويعود الشعب لقضيته.

أقول هذا لأن الشعب الفلسطيني منذ أن حلت الكارثة بوطنه قد أفلت الزمام من يده، ولم يعد يمارس مسؤولياته القومية بشأن قضيته على حين كنا نرى في هذه الحقبة الأخيرة جميع القضايا التحررية في العالم تقوم عليها شعوبها، منظمة في ميدان التحرير، على خير ما تكون التعبئة والتنظيم.

ولقد كان لي شرف الدفاع عن كثير من القضايا التحررية العربية والدولية إلى جانب الوفود العربية، سواء حين كنت رئيساً للوفد السوري أو رئيساً للوفد السعودي، وكانت كل هذه القضايا تتجسد أمام الأسرة الدولية بشخصية شعوبها، عقلاً وضميراً، ولحماً ودماً، إلا قضية فلسطين فلم يكن شعبها متجسداً فيها، وكان السؤال الرهيب الخطير الذي يدوي خلال ستة عشر عاماً في أروقة الأمم المتحدة وخارجها، أين هذا الشعب الفلسطيني الذي نتحدث المحافل الدولية عن قضيته؟

لذلك كانت الحاجة ملحة في أن يقوم الكيان الفلسطيني وأن تهيأ الفرصة كاملة أمام الشعب الفلسطيني لينهض بتبعاته الوطنية في تحرير وطنه. ولقد جرت محاولات متعددة في الماضي داخل الجامعة العربية وخارجها لإنشاء الكيان الفلسطيني، فلم تفلح تلك المجهودات لأسباب متعددة، إلى أن انعقد مؤتمر الملوك والرؤساء في القاهرة فأقر بالإجماع العمل على إنشاء الكيان الفلسطيني.

ومنذ أن صدر ذلك القرار بإنشاء الكيان أخذ الاستعمار والصهيونية وأعوانهما، يطلقون الأراجيف من حوله، ويشنون عليه الدسائس، ولكن الأمة العربية ومنها شعب فلسطين لا تجوز عليها هذه المكائد، وكان طبيعياً أن يقف الاستعمار هذا الموقف فهو يريد أن يصفي قضية فلسطين ويعفي عليها. والكيان الفلسطيني ومعه الأمة العربية إنما يهدف إلى تصفية إسرائيل وأن يعفي عليها. والكيان الفلسطيني ومعه الأمة العربية إنما يهدف إلى تصفية إسرائيل وأن يعفي عليها.

وإنكم لتجدون أيها الأخوة الهيكل العام للكيان الفلسطيني في مشروعين، الأول الميثاق القومي، والثاني النظام الأساسي لمنظمة التحرير، وقد وضعت في هاتين الوثيقتين خلاصة تجاربي المتواضعة بشأن قضية فلسطين بالنسبة لشعب فلسطين وبالنسبة للأمة العربية حكومات وشعوبا وبالنسبة للعالم الدولي، وهذان المشروعان مطروحان أمام المؤتمر الوطني للدرس والمناقشة، والتعديل والتبديل، إنهما مطروحان للقبول أو الرفض، فاقبلوا ما شئتم وارضوا ما شئتم، فإن قضية فلسطين هي ملك شعب فلسطين، وإن شعب فلسطين هو صاحب الكلمة الأولى والأخيرة بشأن قضية فلسطين.

ولهذا فإنني أتقدم إليكم بهذا الهيكل العام للكيان، أعرضه ولا أفرضه، ومن كان لديه مشروع آخر يمكن تحقيقه ويستطيع أن يضع يده على الوسائل التي تيسر الإنجاز والتنفيذ فإنني مستعد أن أسير وراءه بأن أعمل في خدمته وأن

أضع نفسي تحت تصرفه ، فإن قضية فلسطين تتطلب منا جميعا التجرد والإخلاص، والتفاني وإنكار الذات.

ولست أدعي أن هيكل الكيان كما وضعته أمامكم هو الكمال والمثال، ولكنني أدعي مخلصاً وصادقاً أنه بداية نستطيع أن ننهجها على ضوء الظروف التي تحيط بقضية فلسطين سواء من ناحية فلسطينية أو عربية أو دولية.

ولكن كائنة ما كانت البداية، فإن هنالك أمراً ثابتاً لا يرقى إليه الشك، ذلك أن الكيان الفلسطيني يجب أن يبنيه شعب فلسطين، يبنيه بعقله وإرادته وعزيمته. إن شعب فلسطين غني بالكفاءات والطاقات، وإخواننا المهاجرون هنا يساهمون في بناء وطنهم العربي الكبير بإخلاصهم وقدراتهم الخلاقة وهم قادرون على بناء كيانهم بأنفسهم ومن حق شعب فلسطين أن يبنوا كيان فلسطين. إن كيان فلسطين لا تبنيه الدول العربية لا مجتمعة ولا منفردة، وليس دور الدول العربية إلا أن تيسر قيامه وتدعم كفاحه، ذلك هو حقنا وذلك هو واجب الدول العربية.

غير أن الحقيقة الصارخة التي يجب ألا تغيب عن بالنا أن الكيان الفلسطيني لا يكون قوياً وثورياً بقوة التعابير التي نكتبها، ولا بثورية الشعارات التي نطلقها، ولكنه يكون قوياً وثورياً بالإمكانات الثورية التي تضعها الدول العربية تحت تصرف الشعب الفلسطيني.

وهنا يبرز جسد الكيان وروحه، يبرز عقله وضميره، فإن الكيان الفلسطيني، فلسطيني وعربي، فلسطيني البناء، ولكنه عربي الوسائل والإمكانات، تقدمها الدول العربية، فإذا كانت الوسائل هزيلة كان الكيان هزيلاً وإذا كانت الوسائل قوية كان الكيان قوياً ثورياً، وإن شعب فلسطين سيبدل لوطنه الأرواح والأموال، ولكن مصير الكيان مرهون في النهاية بالدول العربية. والدول العربية جميعها، فإن بذلت ويسرت ودعمت نهض الكيان بكل أعباء التحرير، وهنا لا بد لي أن أعلن بصراحة أننا نحن أهل فلسطين سنرفض السير في أي طريق إلا طريق الكفاح والسلاح، فقد سئم شعب فلسطين ومعه الأمة العربية القرارات التي لا تنفذ والتصريحات التي لا تطبق.

وإنني كواحد من هذا الشعب الباسل أعلن في مؤتمرنا هذا أنه يجب أن يجند القادرون منا على حمل السلاح رجالاً ونساءً، وهذا في نظري هو جوهر الكيان الفلسطيني، وإذا خلا الكيان من الناحية العسكرية كان كلاماً في كلام وكياناً من غير كيان.

وإن الشعب الفلسطيني يريد منظمة التحرير الفلسطينية أن تكون ثورية نضالية، فإن شعب فلسطين هو شعب من الثوار والأحرار، قد نختلف في قدراتنا وطاقاتنا شأن جميع الشعوب، ولكننا في مجموعنا شعب ثائر، وكل فلسطيني منا هو إنسان ثائر، فمن لم يكن ثائراً بفطرته ونشأته، فهو ثائر بكارثته ونكبته، وهو ثائر بخبرته وتجربته.

أقول بتجربته وخبرته لأن الشعب الفلسطيني قد رأى في الستة عشر عاماً الماضية أن قضية فلسطين ليس لها حل سياسي أو دبلوماسي، وليس لها حل في الأمم المتحدة ولا في المحافل الدولية الأخرى، أن قضية فلسطين لا تحل إلا في فلسطين ولا تحل في فلسطين إلا بالسلاح والكفاح، ولا تحل في فلسطين إلا بتعبئة الأمة العربية حكومات وشعوبا وفي مقدمتها شعب فلسطين.

وعلى هذا أصبح واجباً لزاماً أن يهياً ابن فلسطين لتحرير فلسطين، وأن يهياً جندياً وفدائياً، فحرام أن تظل طاقات هذا الشعب مهجرة، حرام أن يموت اللاجئون في الخيام بدلاً من أن يستشهدوا في ميدان الشرف، وحرام أن تمضي السنون وكل الذي نفعله في أيار من كل عام أن نبكي وطننا الضائع ونندب حظنا العاثر.

وإننا لنعلم أن قضية فلسطين باعتبارها قضية تحريرية لا تحل إلا كما حلت جميع القضايا التحريرية في العالم، ولذلك نعلن من هذا المؤتمر أننا نأبى أنصاف الحلول، نحن نرفض التقسيم، نحن نرفض التدويل، نحن نرفض التوطيين، وعهدنا وميثاقنا أن نمضي في الكفاح إلى أن تعود فلسطين لنا وأن نعود الى فلسطين.

وتحقيقاً لهذه الغاية المقدسة وجب علينا نحن الشعب الفلسطيني أن نعبئ كل طاقاتنا ومواردنا الى جانب طاقات الأمة العربية ومواردها، ففي معركة تحرير فلسطين لا غنى عن أهل فلسطين ولا غنى لأهل فلسطين عن الأمة العربية، فنحن في هذه المعركة سواء بسواء.

أما بالنسبة لشعب فلسطين فلا بد لكياننا أن تكون له بداية، بداية نستطيع أن نسير بها من غير انتظار طويل، لهذا فإن صورة الكيان الفلسطيني كما أضعها أمامكم ترسم البداية، البداية التي يمكن السير بها في عامنا هذا فنحن لا نحتمل ستة عشر عاماً أخرى. إن أماننا فرصة العمر، فيجب ألا تضيع في الجدل بل يجب أن نبنيها بالعمل وبالصبر على العمل.

وصورة الكيان تتمثل حية في حقائق حية، وهذا هو الميثاق أمامكم، والنظام أمامكم، الكيان الفلسطيني ككائب فلسطينية مسلحة تشكلها القيادة العربية الموحدة بالتعاون مع الدول العربية.

الكيان الفلسطيني صندوق فلسطيني يجبي الأموال بأمانة وينفقها بأمانة وحساباته مفتوحة للشعب.

الكيان الفلسطيني مكاتب سياسية في جميع أرجاء العالم لكسب الأصدقاء والتماس العون والمدد أينما وجدناه.

الكيان الفلسطيني تنظيم فلسطيني لجميع فئات الشعب اللاجئ والمقيم، الطلاب والشباب، الرجال والنساء، فالكيان للشعب وفي خدمة الشعب ومفتوح لكل أفراد الشعب. ومن شاء أن يعمل ومن شاء إن يبني فليتنفصل. إن ميدان العمل رحب فسيح للذين يعملون ، للذين يعزمون على البناء.

وانني على يقين، ونحن اليوم على بداية الطريق أننا لن نقف وحدنا ومعنا  
أولا الأمة العربية ونحن معها، ومعنا ثانيا الدول المتحررة في أوروبا وآسيا وأفريقيا  
وأمریکا اللاتينية وخاصة الدول الاشتراكية، ومعنا ثالثا أحرار العقل والضمير في  
كل أرجاء العالم، ومعنا أخيرا قوى الحرية والسلام والعدل في جميع الشعوب  
التي تناصر الحرية والسلام والعدل.

وانكم لترون أنني لم أشر الى الدول الغربية، فالسياسة الغربية هي سبب  
هذه الكارثة الرهيبة وهذا الظلم الصارخ، السياسة الغربية هي التي أوجدت إسرائيل  
وما تزال تمدها بالمال والسلاح، فالسياسة الغربية هي التي ما فتئت تعلن أن  
إسرائيل وجدت لتبقى.

هذه هي معالم الطريق أيها الأخوان نسير فيها جميعا، يسير فيها الشعب  
الفلسطيني بأسره، إن الكيان الفلسطيني مفتوح أمامنا جميعا، لكل فلسطيني مكان  
في هذا الكيان، إن شرف الكفاح حق لنا جميعا وواجب علينا جميعا، لا استثناء  
ولا احتكار، الشعب كله في المعركة، لأن الوطن للشعب والشعب للوطن. إن  
العالم يتطلع إلينا، الأعداء والأصدقاء، فلنحقق رجاء الأصدقاء ولنخيب أمل  
الأعداء، إن التاريخ يطل علينا، فلنكتب أمجد صفحاته، ولنكتب اليوم في أول  
هذه الصفحات أن شعب الكفاح يعود اليوم إلى طريق الكفاح وهذا هو الكيان.



وخير ما أختتم به كلمتي أن أقدم أصدق عبارات الإجلال لصاحب الجلالة الملك الحسين المعظم لتفضله بافتتاح المؤتمر وتيسير كل الأسباب لانعقاده وهذا هو العهد بجلالته فإن دورا تاريخيا ينتظر الأسرة الأردنية تحت قيادته الباسلة لتحرير فلسطين.

واني أوجه كذلك الشكر والامتنان لأصحاب السيادة، ممثلي أصحاب الجلالة والفخامة ملوك العرب ورؤسائهم ولسيادة الأمين العام للجامعة العربية، لتفضلهم بشهود افتتاح المؤتمر فإنهم يحملون عزيمة الأمة العربية وتصميمها على تحرير فلسطين.

عاشت فلسطين عربية حرة وعاشت الأمة العربية.

## الملحق الرابع

---

## تقرير عن المؤتمر الفلسطيني الأول لمنظمة التحرير الفلسطينية

المنعقد في القدس 5/28-1964/6/2

### الأعمال التحضيرية:

بناء على القرار الصادر عن اجتماع مؤتمر الملوك والرؤساء المنعقد في مدينة القاهرة بتاريخ 1964/1/13 بتكليف السيد أحمد الشقيري ممثل فلسطين لدى جامعة الدول العربية بالاتصال بالشعب الفلسطيني والدول العربية بغية إقامة القواعد السليمة لإنشاء الكيان الفلسطيني وذلك لتمكين الشعب الفلسطيني من تحرير وطنه وتقرير مصيره، قام السيد الشقيري بجولة زار خلالها الدول العربية واتصل بالشعب الفلسطيني ووضع مشروع الميثاق والنظام الأساسي لمنظمة تحرير فلسطين.

وبتاريخ 1964/3/21 وعملا بالمادة السادسة من مشروع النظام الأساسي لمنظمة التحرير الفلسطينية اختار السيد أحمد الشقيري، ممثل فلسطين لدى جامعة الدول العربية، أعضاء اللجنة التحضيرية في المملكة الأردنية الهاشمية وهم السادة: روجي الخطيب، أنور نسييه، قذري طوقان، فلاح الماضي، سعيد علاء الدين، يوسف عبده، الآنسة زليخا الشهابي، عبد الرحمن السكسك.

وقد عقدت اللجنة التحضيرية أول اجتماع لها في مدينة القدس في 1964/3/25 واستمرت في عقد جلساتها إلى أن انتهت من المهمة الموكلة إليها وأعدت قائمة بأسماء المرشحين لعضوية المؤتمر.

وفي الوقت ذاته قام السيد الشقيري باختيار لجان تحضيرية في جميع البلاد العربية المضيفة للفلسطينيين وقامت تلك اللجان بإعداد قوائم بأسماء المرشحين لعضوية المؤتمر من تلك البلاد.

وعلى أثر انتهاء اللجان التحضيرية من إعداد قوائم المرشحين لعضوية المؤتمر اختار السيد الشقيري أعضاء لجنة التنسيق المنصوص عنها في مشروع النظام الأساسي لمنظمة التحرير الفلسطينية، ونظرا لتعدد اختصاصات لجنة التنسيق فقد تم تأليفها من ست لجان فرعية وهي المبينة في الملحق رقم (11).

وقد قامت اللجنة الإدارية المتفرعة عن لجنة التنسيق بتنسيق أسماء المرشحين لعضوية المؤتمر وأعدت قائمة نهائية بأسمائهم، شملت الأعيان والنواب والوزراء والنواب والأعيان السابقين ورؤساء البلديات والمجالس القروية في المملكة الأردنية الهاشمية ورجال الدين والمحامين والأطباء والصيادلة والمهندسين وأساتذة الجامعات وممثلي اتحاد الطلبة وأعضاء المجلس التشريعي في قطاع غزة ورؤساء الغرف التجارية والتجار والمغتربين وممثلي الهيئات النسائية والعائدين المقيمين في المخيمات وشيوخ عرب بئر السبع والنقباء وممثلي اتحادات ونقابات العمال

والمزارعين ورؤساء مجالس الشركات ومدراء وموظفي المصارف وخلافهم، وهم المدرجة أسماؤهم في الملحق رقم (12).

ولمساعدة لجنة التنسيق للقيام بالمهام الملقاة على عاتقها اختار السيد الشقيري الدكتور عزت طنوس مديرا عاما لمكتب المؤتمر وأوكل إليه مهمة تأسيس المكتب، وقد تطوع لمعاونته عدد من أبناء فلسطين، وتولى مدير المكتب العام إرسال الدعوات لحضور المؤتمر.

وكان السيد أحمد الشقيري أثناء طوافه في البلاد العربية قد وجه الدعوة لحضور المؤتمر لأصحاب الجلالة والفخامة ملوك ورؤساء الدول العربية ولسيادة الأمين العام لجامعة الدول العربية كما وجه الدعوة لأصحاب السيادة والدولة والمعالي والعطوفة رئيس وأعضاء مجلس الوزراء ورئيس مجلس الأعيان ورئيس الديوان الملكي ورئيس مجلس النواب ووزير البلاط ورؤساء الوزراء السابقين ومحافظ القدس والقائد العام للقوات المسلحة ومدير الأمن العام في المملكة الأردنية الهاشمية.

وفي صباح يوم الخميس الواقع في 1964/5/28 التأم عقد المؤتمر في فندق إنتركونتيننتال في القدس، وقد شهد المؤتمر صاحب الجلالة الملك الحسين المعظم ملك المملكة الأردنية الهاشمية والمدعوون الرسميون من المملكة الأردنية الهاشمية وأصحاب المعالي والسعادة الآتية أسماؤهم:

1. السيد عبد الخالق حسونة الأمين العام لجامعة الدول العربية ممثلاً لجامعة الدول العربية.
2. السيد المنجي سليم وزير الخارجية للجمهورية التونسية، والسيد السفير محمد بدره، والسيد السفير أحمد بن عرفه، ويمثل هذا الوفد فخامة الرئيس الحبيب بورقيبة رئيس جمهورية تونس.
3. السيد عبد العزيز بوتفليقة وزير الخارجية، والسيد إبراهيم كبويه، ويمثل هذا الوفد الرئيس أحمد بن بللا رئيس الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.
4. السيد السفير أحمد مختار، والسيد السفير خليفة عباس، ويمثل هذا الوفد معالي الرئيس الفريق إبراهيم عبود رئيس الجمهورية السودانية.
5. السيد منصور الأطرش عضو مجلس الرئاسة، والدكتور حسان مريود وزير الخارجية، والسيد زهير الدالاتي السفير لدى المملكة الأردنية الهاشمية، والسيد شاكراً مصطفى المدير العام للدائرة السياسية في وزارة الخارجية، ويمثل هذا الوفد سيادة الفريق محمد أمين الحافظ رئيس المجلس الوطني لقيادة الثورة في الجمهورية العربية السورية.
6. الدكتور عبد الرازق محيي الدين وزير الدولة لشؤون الوحدة، والسيد علي كاشف الغطاء مدير المكتب السياسي في وزارة الخارجية، ويمثل هذا الوفد الرئيس المشير عبد السلام عارف رئيس الجمهورية العراقية.

7. الدكتور حسين خلاف وزير شؤون الثقافة الخارجية، والسيد حسن صبري الخولي الممثل الشخصي لسيادة الرئيس جمال عبد الناصر في لجنة المتابعة، والسيد كمال خليل السفير لدى المملكة الأردنية الهاشمية، والسيد صلاح زعزوع. ويمثل هذا الوفد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة.

8. السيد السفير خالد العدساني ممثلاً لصاحب السمو أمير دولة الكويت.

9. السيد السفير جوزيف أبو خاطر ممثلاً لفخامة الرئيس اللواء فؤاد شهاب رئيس الجمهورية اللبنانية.

10. السيد الوزير الدكتور أحمد البشتي وزير الصحة ممثلاً لجلالة الملك إدريس السنوسي ملك المملكة الليبية.

11. السيد السفير محمد العربي العلمي، والسيد السفير عبد الرحمن الفاسي، ويمثل هذا الوفد جلالة الملك الحسن الثاني ملك المملكة المغربية.

12. السيد عبد القوي حميم نائب رئيس الوزراء، والسيد إسماعيل الأكوع وزير الخارجية، ويمثل هذا الوفد الرئيس المشير عبد الله السلال رئيس الجمهورية اليمنية.

وفي تمام الساعة العاشرة بدئ المؤتمر بتلاوة من آي الذكر الحكيم وأعقبها أمين القدس السيد روجي الخطيب بالترحيب بالمؤتمر باسم مدينة القدس ثم تفضل

صاحب الجلالة الملك حسين المعظم وافتتح المؤتمر بكلمة سامية. ثم ألقى السيد عبد الخالق حسونة الأمين العام لجامعة الدول العربية كلمة باسم جامعة الدول العربية، ثم تكلم السيد أحمد الشقيري ممثل فلسطين لدى جامعة الدول العربية وألقى بيانا عن الكيان الفلسطيني، وبذلك انتهت جلسة الافتتاح.

#### الجلسة الثانية للمؤتمر:

في تمام الساعة الثالثة من بعد ظهر يوم الخميس الواقع في 1964/5/28 عقدت الجلسة الثانية للمؤتمر، واقتصر العمل فيها على انتخاب رئيس للمؤتمر ومكتب رئاسة مؤلف من ثلاثة نواب للرئيس، وأمين عام، وقد انتخب المؤتمر السيد أحمد الشقيري رئيسا للمؤتمر، كما انتخب السادة الآتية أسماؤهم: حكمت المصري، الدكتور حيدر عبد الشافي، الدكتور نقولا الدر (نواب رئيس)، عبد الرحمن السكسك (أمينا عاما).

وعلى الأثر أعلن رئيس المؤتمر أن عمل المؤتمر سيبدأ بتأليف اللجان وأن العمل فيها سيكون على أساس التطوع، وذلك بأن يدون كل عضو على نموذج خاص وزع على الأعضاء أسماء ثلاث لجان بالتسلسل الذي يفضلته ويترك لمكتب الرئاسة تنسيق عضوية اللجان. وقد قام مكتب الرئاسة بتنسيق عضوية اللجان، وأعد جدولا خاصا باللجان وأسماء أعضائها، واختارت كل لجنة منها رئيسا ومقررا وأمين سر.



اجتمعت اللجان يومي السبت والأحد وصباح الاثنين في 30 و 31 أيار و 1 حزيران سنة 1964 وانتهت من إعداد تقاريرها في المواضيع التي تقع ضمن اختصاص كل منها.

#### الجلسة الثالثة للمؤتمر:

وفي تمام الساعة الخامسة من بعد ظهر يوم الاثنين في 1/6/1964 عقدت الجلسة الثالثة للمؤتمر وكانت جلسة تنظيمية، قرر المؤتمر فيها أسلوب العمل فيما يتعلق بتقارير اللجان التي رفعت إلى المؤتمر.

#### الجلسة الرابعة للمؤتمر:

وفي صباح يوم الثلاثاء الموافق 2/6/1964 عقدت الجلسة الرابعة والأخيرة للمؤتمر، ونظر المؤتمر في تقارير اللجان، وبعد مناقشتها اتخذت القرارات المدونة في المحضر الخاص بها، كما اتخذ المؤتمر القرارات الخاصة الآتية:

1. انتخاب السيد أحمد الشقيري رئيساً للجنة التنفيذية.
2. انتخاب السيد عبد المجيد شومان رئيساً لمجلس إدارة الصندوق القومي.
3. يصبح المؤتمر بكامل أعضائه المجلس الوطني الأول لمنظمة التحرير الفلسطينية.

وفي ختام المؤتمر ألقى السيد أحمد الشقيري بصفته رئيساً للجنة التنفيذية الكلمة المرفقة (ملحق رقم 9).

وبذلك اختتم المؤتمر الفلسطيني الأول أعماله في جو مفعم بالحزن والتصميم على استرداد الوطن السليب، ... "والله أكبر، وإننا لعائدون".

منظمة التحرير الفلسطينية

المؤتمر الوطني الأول

المنعقد في مدينة القدس ما بين 1964/5/28 و 1964/6/2.

### قرارات المؤتمر:

اتخذ المؤتمر القرارات الآتية:

1. انتخاب السيد أحمد الشقيري رئيساً للمؤتمر.
2. انتخاب مكتب رئاسة المؤتمر من السادة حكمت المصري والدكتور حيدر عبد الشافي والدكتور نقولا الدر نواباً للرئيس، وعبد الرحمن السكسك أميناً عاماً.
3. إعلان قيام منظمة التحرير الفلسطينية (ملحق رقم 4).

4. تشكيل تسع لجان للمؤتمر (ملحق رقم 29).
5. المصادقة على الميثاق (ملحق رقم 5).
6. المصادقة على النظام الأساسي (ملحق رقم 6).
7. المصادقة على اللائحة الداخلية للمجلس الوطني (ملحق رقم 8).
8. اعتبار ما جاء في بيان السيد أحمد الشقيري في جلسة افتتاح المؤتمر تفسيراً للكيان الفلسطيني، وتوضيحاً للأسس التي قامت عليها المنظمة، وأساساً للعمل الثوري النضالي الذي يتوجب على كل عربي فلسطيني اتباعه (ملحق رقم 3).
9. انتخاب السيد أحمد الشقيري رئيساً للجنة التنفيذية.
10. انتخاب السيد عبد المجيد شومان رئيساً لمجلس إدارة الصندوق القومي.

#### القرارات العسكرية:

قرر المؤتمر من الناحية العسكرية ما يلي:

1. المباشرة فوراً بفتح معسكرات لتدريب جميع القادرين على حمل السلاح من الشعب الفلسطيني، رجالاً ونساء، وبصورة إلزامية تهيئ إعداد كل فرد منهم ليكون على مستوى معركة التحرير.
2. تشكيل كتائب فلسطينية عسكرية نظامية، وكتائب فدائية قادرة وفعالة.
3. اتخاذ كافة الإجراءات السريعة لتزويد الكتائب الفلسطينية بمختلف أنواع الأسلحة الحديثة والتجهيزات اللازمة.
4. اتخاذ الإجراءات اللازمة لإلحاق الشباب الفلسطيني وزيادة إعداده في الكليات العسكرية بأنواعها لدى الدول العربية والصديقة.
5. تطبيق نظام المقاومة الشعبية والدفاع المدني في صفوف الشعب الفلسطيني.
6. إنشاء جهاز عسكري متخصص في القيادة العربية الموحدة، يساهم فيه الفلسطينيون، لتنظيم الاستفادة من طاقات الشعب الفلسطيني في الميدان العسكري على النطاق الواسع.
7. مناشدة القيادة العسكرية العربية الموحدة بالمبادرة للاضطلاع بمسؤولياتها كاملة.

8. اتخاذ الإجراءات اللازمة الفعالة الكفيلة برعاية أسر الشهداء وحمايتهم.

9. تنشئة الجيل الصاعد بإعدادهم رياضياً وعسكرياً كل حسب قدرته.

### القرارات السياسية:

قرر المؤتمر من الناحية السياسية ما يلي:

1. إن قيام إسرائيل في فلسطين، وهي جزء من الوطن العربي، رغم إرادة أصحابها الشرعيين، يعتبر عدواناً استعمارياً صهيونياً مستمراً ويخالف مبدأ حق تقرير المصير، وبقاء إسرائيل في هذا الجزء من الوطن العربي يشكل خطراً مستمراً على كيانه وعلى السلام العالمي.

2. للشعب العربي الفلسطيني الحق، بموجب الأعراف الدولية والمبادئ المقررة، أن يناضل في سبيل تحرير وطنه بكافة الوسائل، مدعوماً بمساندة الدول العربية الشقيقة والدول المحبة للسلام.

3. العمل بالتعاون مع الدول الشقيقة والصديقة على طرد إسرائيل من الأمم المتحدة وجميع المحافل الدولية لممارستها سياسة عدوانية توسيعية عنصرية، وخرقها جميع المبادئ الدولية وقرارات الأمم المتحدة.

4. الطلب من جامعة الدول العربية اتخاذ موقف حاسم تجاه دول السوق الأوروبية المشتركة لموافقتها على منح إسرائيل امتيازات اقتصادية.

5. تقوم منظمة التحرير بتمثيل فلسطين لدى جامعة الدول العربية ومكاتب المقاطعة، والأمم المتحدة ومنظماتها ووكالاتها المختلفة، والمؤتمرات الرسمية والشعبية، وهي تملك وحدها حق تمثيل الفلسطينيين وتنظيمهم والنطق باسمهم.

6. تبليغ جميع الدول والمنظمات الدولية والشعبية والحركات التحررية في العالم قيام منظمة التحرير الفلسطينية وأهدافها وطلب المساندة والتعاون والتأييد.

#### القرارات المالية:

قرر المؤتمر من الناحية المالية ما يلي:

1. المصادقة على النظام الأساسي للصندوق القومي (ملحق رقم 7).

2. المباشرة بجمع التبرعات للصندوق القومي في جميع البلاد العربية والمهجر.

3. تخصيص أسبوع يسمى أسبوع فلسطين تقوم خلاله الدول العربية والصدقية بجمع التبرعات بشتى الوسائل لصالح الصندوق القومي على أن يبدأ

هذا الأسبوع في 28 أيار من كل سنة وبالنسبة لهذا العام يقام أسبوع فلسطين في الوقت الذي تحدده اللجنة التنفيذية.

4. يجبى للصندوق القومي رسم قدره خمسة فلسات عن كل برميل من المواد البترولية المصدر من البلاد العربية المنتجة للنفط.

5. تقوم اللجنة التنفيذية بالاتصال بالدول العربية لإعفاء التبرعات للصندوق القومي من ضريبة الدخل.

6. تقوم اللجنة التنفيذية بالاتصال بالدول العربية لفرض رسوم إضافية لصالح الصندوق القومي على ما يلي:

(أ) رسم تحدده كل دولة عربية على جميع البضائع المستوردة والمصدرة على أن يضاعف هذا الرسم بالنسبة للبضائع الكمالية أو شبه الكمالية كأدوات الزينة والعطور والمشروبات الروحية والسجائر وما شابه ذلك.

(ب) رسم تحدده كل دولة عربية على تذاكر الطائرات.

(ج) رسم تحدده كل دولة عربية من قيمة رسوم الموانئ والمطارات.

(د) إصدار يانصيب خاص تخصص حصيلته للصندوق.

## قرارات التوعية والإعلام:

قرر المؤتمر من ناحية التوعية والإعلام ما يلي:

1. استبدال كلمة اللاجئين "بالعائدين".
2. تدرس قضية فلسطين في جميع المراحل التعليمية للطلاب العرب ويؤكد المؤتمر وجوب جعل قضية فلسطين مادة دراسية في الجامعات والمعاهد العالية في البلاد العربية وأن تدرج ضمن مواد التخصص.
3. إنشاء محطة إذاعة خاصة تنطق باسم فلسطين في مكان تقرره اللجنة التنفيذية.
4. تنظيم وسائل الدعاية لقضية فلسطين في جميع أنحاء العالم ويشمل ذلك شراء أو استئجار خط تلفزيوني في الولايات المتحدة الأمريكية وإصدار جريدة أو مجلة باللغات الأجنبية وإخراج الأفلام السينمائية وغير ذلك من وسائل الإعلام الحديثة والاستعانة بالطلاب العرب الموجودين في البلاد الأجنبية.
5. إعداد الكتب الدراسية اللازمة لتوعية الطلاب العرب.
6. توجيه النشء الجديد إلى أن الجهاد واجب مقدس على كل فلسطيني وفلسطينية.



7. إحياء المناسبات الفلسطينية والقومية العربية.
8. إقامة أسبوع توعية في جميع المدارس يبدأ في التاسع والعشرين من شهر تشرين الثاني من كل سنة على أن تقام فيه معارض فنية.
9. تخصيص ركن إذاعي وتلفزيوني في محطات الإذاعة والتلفزيون العربية يتولى التوعية بشؤون القضية الفلسطينية.
10. تأسيس مكاتب فلسطينية للإشراف على عملية التوعية والإعلام في الأمكنة التي تختارها اللجنة التنفيذية على أن تكون منها مكاتب في الأمم المتحدة وموسكو وبكين وبلغراد ونيودلهي وعاصمة أفريقية جنوبي الصحراء.
11. الطلب من الدول العربية الشقيقة أن تلحق بسفاراتها أحد أبناء فلسطين كملحق صحفي وذلك في الأمكنة التي يتعذر على المنطقة افتتاح مكاتب لها فيها.
12. إرسال وفود تضم شخصيات دينية للمحافل الدينية.
13. تشجيع زيارات قادة الفكر الأجنبي إلى الدول العربية وخاصة إلى فلسطين.

14. إيجاد تعاون إعلامي بين منظمة التحرير والبلدان التي تحارب الاستعمار.

15. توصية الدول العربية بإمداد الدول النامية بالفنيين والخبراء العرب عامة والفلسطينيين خاصة لتتمكن تلك الدول من الاستغناء عن الفنيين الإسرائيليين.

16. تزويد مكاتب السياحة والسفر في البلاد العربية والأجنبية بالمعلومات الأساسية عن قضية فلسطين.

17. إعداد الأدلاء السياحيين في البلاد العربية إعداداً يمكنهم من شرح القضية الفلسطينية بطريقة صحيحة.

18. تعيين ملحقين عماليين في مكاتب المنظمة في الخارج للاتصال بالتنظيمات العمالية لشرح القضية الفلسطينية وذلك لما لهذه المنظمات من أثر فعال على سياسة الحكومات المعنية.

19. الاتصال بكبار الكتاب والمؤلفين ودور الطباعة والنشر لتصحيح ما كتب خطأ عن قضية فلسطين.

20. إنشاء جهاز خاص في منظمة التحرير يعنى بجميع شؤون العائدين في البلدان المضيفة وسواها وأن يمثل هذا الجهاز في اجتماعات المشرفين على شؤون العائدين في البلاد العربية.

21. كشف ومحاربة الجمعيات الصهيونية المستترة تحت أسماء إنسانية براقية.

22. إعطاء الناحية الدينية والأخلاقية حقها من الاهتمام ببرامج التوعية.

23. العمل على محور الأمية ورفع مستوى الأسرة الفلسطينية.

24. تشجيع القيام بالرحلات الاستطلاعية للأقسام الباقية من فلسطين وخصوصا الخطوط الأمامية ومخيمات العائدين.

#### القرارات العامة:

قرر المؤتمر من الناحية العامة ما يلي:

1. اعتبار يوم 28 أيار من كل سنة يوماً قومياً لجميع الشعوب العربية.

2. مطالبة الدول العربية بالمزيد من مراقبة التصرفات المشبوهة التي يقوم بها اليهود في البلاد العربية والحد من نشاطهم السياسي والاقتصادي الذي يستهدف خدمة الصهيونية والاستعمار.

3. اشتراك المرأة الفلسطينية العربية في جميع مجالات العمل التنظيمي والنضالي ومساواتها بالرجل في جميع الحقوق والواجبات من أجل تحرير الوطن.

4. تشكيل اتحادات نقابية للعمال الفلسطينيين وأصحاب المهن والخريجين وضمها للاتحادات العربية العامة.

5. مطالبة الدول العربية بمنح الفلسطينيين حق التنقل والعمل في البلاد العربية وإعطائهم الأفضلية في العمل.

6. يحيي المؤتمر اتفاق الوحدة الذي تم بين الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية ويطالب الشعوب العربية وحكوماتها السير قدماً لتحقيق خطوات وحدوية أخرى.

7. يحيي المؤتمر ويؤيد نضال الشعب العربي في جنوب الجزيرة العربية والحركات التحررية العربية الأخرى ويستنكر المعاهدات غير المتكافئة ويطالب بإزالة القواعد الاستعمارية في كافة أنحاء الوطن العربي.

8. مطالبة الدول العربية باتخاذ الخطوات العملية اللازمة للتشديد في تنفيذ المقاطعة الاقتصادية على إسرائيل ووضع حد لتسللها للدول النامية.

9. مناشدة الدول العربية باتخاذ موقف اقتصادي وسياسي موحد من الدول التي تساند إسرائيل بما يتلاءم ومصلحة العرب بوجه عام وفلسطين بوجه خاص.

10. العمل على تقوية روابط الأخوة مع الشعوب والدول الإسلامية في العالم وتوعيتها بالقضية الفلسطينية والسعي لحملها على اتخاذ موقف موحد من إسرائيل وذلك استجابة لدواعي الأخوة الإسلامية.

11. يستنكر المؤتمر موقف الدول الاستعمارية وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا من قضايا العرب بصورة عامة وقضية فلسطين بصورة خاصة. ويسجل بالتقدير موقف الدول الاشتراكية وبشكل خاص جمهوريات الاتحاد السوفييتي وجمهورية الصين الشعبية من هذه القضايا.

12. انتهاز جميع المناسبات الدولية وغيرها للكشف عن سياسة التمييز العنصري والاضطهاد التي تمارسها إسرائيل تجاه العرب في القسم المحتل من فلسطين خلافا لميثاق الأمم المتحدة وقراراتها.

13. مطالبة الدول العربية منح الحصانة والتسهيلات للفلسطينيين الذي يعملون في منظمة التحرير الفلسطينية وأجهزتها المختلفة.

14. إصدار بطاقة هوية شخصية من منظمة التحرير الفلسطينية لجميع أبناء فلسطين.

15. طلب تعيين حارس دولي على الأملاك والأموال العربية في القسم المحتل من فلسطين ليعود ريعها على أصحابها الشرعيين ريثما يسترد العرب وطنهم السليب.



## الملحق الخامس

---

### منظمة التحرير الفلسطينية - الميثاق والنظام الأساسي

نحن الشعب العربي الفلسطيني ، الذي خاض معارك ضارية متصلة من أجل الحفاظ على وطنه والدفاع عن شرفه وكرامته، والذي قدم عبر السنين قوافل متتابعة من الشهداء الخالدين ، وسطر أروع صفحات البذل والتضحية والفداء .

نحن الشعب العربي الفلسطيني، الذي تألّبت عليه عوامل الظلم والشر والعدوان، وتآمرت عليه قوى الصهيونية العالمية والاستعمار ، وعملت على تشريده واغتصاب دياره و أراضيهِ واستباحة حرّماته وانتهاك مقدساته، فما استكان أو لانت له قناة، نحن الشعب العربي الفلسطيني، الذي آمن بعروبيته وبحقه في استخلاص وطنه وتحقيق حريته وكرامته، وصمم على حشد قواه وتعبئة كل جهوده وطاقاته من أجل متابعة نضاله والسير قدما على طريق الجهاد المقدس حتى



يتحقق له النصر النهائي الكامل، نحن الشعب العربي الفلسطيني، استناداً إلى حقنا في الدفاع عن النفس واسترداد الوطن السليب بكامله وهو الحق الذي أقرته الأعراف والمواثيق الدولية، وفي مقدمتها ميثاق الأمم المتحدة، ولبادئ حقوق الإنسان، وإدراكاً منا لطبيعة العلاقات السياسية الدولية، بمختلف أبعادها، ومراميها، واعتباراً للتجارب التي أخلت في كل ما يتعلق بأسباب النكبة وأساليب مجابقتها، وانطلاقاً من الواقع العربي الفلسطيني، ومن أجل عزة الإنسان الفلسطيني وحقه في الحياة الحرة الكريمة، وشعوراً منا بالمسؤولية القومية الخطيرة الملقة على عاتقنا، ومن أجل هذا كله، نحن الشعب العربي الفلسطيني، نملي هذا الميثاق القومي الفلسطيني ونعلنه، ونقسم على تحقيقه:

مادة 1- فلسطين وطن عربي تجمعته روابط القومية العربية بسائر الأقطار العربية التي تؤلف معها الوطن العربي الكبير.

مادة 2- فلسطين بحدودها التي كانت قائمة في عهد الانتداب البريطاني، وحدة إقليمية لا تتجزأ.

مادة 3- الشعب العربي الفلسطيني هو صاحب الحق الشرعي في وطنه وهو جزء لا يتجزأ من الأمة العربية يشترك معها في آمالها وآلامها، وفي كفاحها من أجل الحرية والسيادة والتقدم والوحدة.

مادة 4- شعب فلسطين يقرر مصيره، بعد أن يتم تحرير وطنه، وفق مشيئته وبمحض إرادته واختياره.

مادة 5- الشخصية الفلسطينية صفة أصيلة لازمة لا تزول وهي تنتقل من الآباء إلى الأبناء.

مادة 6- الفلسطينيون هم المواطنون العرب الذين كانوا يقيمون اقامه عادية في فلسطين حتى عام 1947، سواء من اخرج منها أو بقي فيها، وكل من ولد لأب عربي فلسطيني بعد هذا التاريخ داخل فلسطين أو خارجها هو فلسطيني.

مادة 7- اليهود الذين هم من أصل فلسطيني يعتبرون فلسطينيين إذا كانوا راغبين بأن يلتزموا العيش بولاء وسلام في فلسطين.

مادة 8- إن تنشئة الجيل الفلسطيني تنشئة عربية قومية واجب قومي رئيسي، ويجب اتخاذ جميع وسائل التوعية والتثقيف لتعريفه لوطنه تعريفاً روحياً عميقاً يشده على الدوام إلى وطنه شداً وثيقاً راسخاً.

مادة 9- المذاهب العقائدية سياسية كانت أو اجتماعية أو اقتصادية لا تشغل أهل فلسطين عن واجبهم الأول في تحرير وطنهم، والفلسطينيون جميعاً جبهة وطنية واحدة يعملون لتحرير وطنهم بكل مشاعرهم وطاقاتهم الروحية والمادية.

مادة 10- يكون للفلسطينيين ثلاثة شعارات. الوحدة الوطنية، والتعبئة القومية، والتحرير، وبعدان يتم تحرير الوطن يختار الشعب الفلسطيني لحياته العامة ما يشاء من النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

مادة 11- الشعب الفلسطيني يؤمن بالوحدة العربية، ولكي يؤدي دوره في تحقيقها، يجب عليه في هذه المرحلة من كفاحه أن يحافظ على شخصيته الفلسطينية ومقوماتها، وأن ينمي الوعي بوجودها وأن يناهض ايا من المشروعات التي من شأنها إزابتها أو أضعافها.

مادة 12- الوحدة العربية وتحرير فلسطين هدفان متكاملان يهيئ الواحد منهما تحقيق الآخر، فالوحدة العربية تؤدي إلى تحرير فلسطين، وتحرير فلسطين يؤدي إلى الوحدة العربية والعمل لهما يسير جنباً إلى جنب.

مادة 13- إن مصير الأمة العربية بل الوجود العربي بذاته رهن بمصير القضية الفلسطينية، ومن هذا الترابط ينطلق سعي الأمة العربية وجهدها لتحرير فلسطين، ويقوم شعب فلسطين بدوره الطبيعي لتحقيق هذا الهدف القومي المقدس.

مادة 14- أن تحرير فلسطين، من ناحية عربية، هو واجب قومي تقع مسؤولياته كاملة على الأمة العربية بأسرها حكومات وشعوبا وفي طليعتها الشعب العربي الفلسطيني، ومن أجل ذلك فان على الأمة العربية أن تعبئ جميع طاقاتها العسكرية والمادية والروحية في سبيل تحرير فلسطين وعليها بصورة خاصة أن

تبذل للشعب العربي الفلسطيني العون والتأييد وتوفر الوسائل والفرص الكفيلة لتمكينه من القيام بدوره في تحرير وطنه.

مادة 15- ان تحرير فلسطين ، من ناحية روحية، يهيئ للبلاد المقدسة جوا من الطمأنينة والسكينة تصان في ظلاله جميع المقدسات الدينية وتكفل حرية العبادة والزيارة للجميع من غير تفريق ولا تمييز سواء على أساس العنصر أو اللون أو اللغة أو الدين. ومن أجل ذلك فان أهل فلسطين يتطلعون إلى نصره جميع القوى الروحية في العالم.

مادة 16- ان تحرير فلسطين، من ناحية دولية، هو عمل دفاعي تقتضيه ضرورات الدفاع عن النفس كما ينص عليه ميثاق الأمم المتحدة. من أجل ذلك فإن الشعب الفلسطيني الراغب في مصادقة جميع الشعوب يتطلع إلى تأييد الدول المحبة للحرية والعدل والسلام لإعادة الأوضاع الشرعية إلى فلسطين وإقرار الأمن والسلام في ربوعها، وتمكين أهلها من ممارسة السيادة الوطنية والحرية القومية.

مادة 17- إن تقسيم فلسطين الذي جرى عام 1947 وقيام إسرائيل باطل من أساسه مهما طال عليه الزمن لمغايرته لإرادة الشعب الفلسطيني وحقه الطبيعي في وطنه ومناقضته للمبادئ العامة التي نص عليها ميثاق الأمم المتحدة، وفي مقدمتها من تقرير المصير.

مادة ١٨- يعتبر باطلا كل من وعد بلفور وصك الانتداب وما ترتب عليهما وأن دعوى الروابط التاريخية أو الروحية بين اليهود وفلسطين لا تتفق مع حقائق التاريخ ولا مع مقومات الدولة في مفهومها الصحيح. وان اليهودية بوصفها ديناً سماوياً ليست قومية ذات وجود مستقل وكذلك فان اليهود ليسوا شعباً واحداً له شخصيته المستقلة وإنما هم مواطنون في الدول التي ينتمون إليها.

مادة ١٩- الصهيونية حركة استعمارية في نشوئها، عدوانية وتوسعية في أهدافها عنصرية تعصبية في تكوينها، وفاشستية بمراميتها ووسائلها. وان إسرائيل بوصفها طليعة هذه الحركة الهدامة وركيزة للاستعمار، مصدر دائم للقلق والاضطراب في الشرق الأوسط خاصة ، وللأسرة الدولية بصورة عامة. ومن اجل ذلك فان أهل فلسطين جديرون بعون الأسرة الدولية وتأييدها.

مادة ٢٠- إن دواعي الأمن والسلم ومقتضيات الحق والعدل تتطلب من الدول جميعها حفظا للعلاقات الصادقة بين الشعوب واستبقاء لولاء المواطنين لأوطانهم أن تعتبر الصهيونية حركة غير مشروعة وتحرم وجودها ونشاطها.

مادة ٢١- يؤمن الشعب الفلسطيني بمبادئ العدل والحرية والسيادة وتقرير المصير والكرامة الإنسانية وحق الشعوب في ممارستها ويؤيد جميع المساعي الدولية التي تهدف إلى إقرار السلم على أساس الحق والتعاون الدولي الحر.

مادة 22- يؤمن الشعب الفلسطيني بالتعايش السلمي على أساس الوجود الشرعي إذ لا تعايش مع العدوان ولا سلم مع الاحتلال والاستعمار.

مادة 23- تحقيقاً لأهداف هذا الميثاق ومبادئه تقوم منظمة التحرير الفلسطينية بدورها الكامل في تحرير فلسطين، وفق النظام الأساسي لهذه المنظمة.

مادة 24- لا تمارس هذه المنظمة أية سيادة إقليمية على الضفة الغربية في المملكة الأردنية الهاشمية ولا قطاع غزة ولا منطقة الحمة، وسيكون نشاطها على المستوى القومي الشعبي في الميادين التحريرية والتنظيمية والسياسية والمالية.

مادة 25- تكون هذا المنظمة مسؤولة عن حركة الشعب الفلسطيني في نضاله من أجل تحرير وطنه في جميع الميادين التحريرية والتنظيمية والسياسية والمالية وسائر ما تتطلبه قضية فلسطين على الصعيدين العربي والدولي.

مادة 26- تتعاون منظمة التحرير مع جميع الدول العربية كل حسب إمكانياتها، ولا تتدخل في الشؤون الداخلية لأية دولة عربية.

مادة 27- يكون لهذه المنظمة علم وقسم ونشيد ويقرر ذلك كله بموجب نظام خاص.

مادة 28- يلحق بهذا الميثاق نظام يعرف بالنظام الأساسي لمنظمة التحرير الفلسطينية تحدد فيه كيفية تشكيل المنظمة وهيئاتها ومؤسساتها واختصاصات كل منها وجميع ما تقتضيه الواجبات الملقاة عليها بموجب هذا الميثاق.

مادة 29- لا يعدل هذا الميثاق إلا بأكثرية ثلثي مجموع أعضاء المجلس الوطني لمنظمة التحرير الفلسطينية في جلسة خاصة يدعى إليها من أجل هذا الغرض.

### النظام الأساسي:

### الباب الأول:

### مبادئ عامة:-

مادة 1- يشكل الفلسطينيون فيما بينهم وفقاً لأحكام هذا النظام منظمة تعرف باسم منظمة التحرير الفلسطينية

مادة 2- تباشر منظمة التحرير الفلسطينية مسؤولياتها وفق مبادئ الميثاق القومي وأحكام هذا النظام الاساسي، وما يصدر استناداً إليها من لوائح وقرارات.

مادة 3- تقوم العلاقات داخل المنظمة على أساس الالتزام بالنضال والعمل الوطني في ترابط وثيق بين المستويات المختلفة من قاعدة المنظمة إلى قيادتها الجماعية، وعلى أساس احترام الأقلية لإرادة الأغلبية وكسب ثقة الشعب عن طريق الإقناع ومتابعة الحركة النضالية والعمل على استمرار الدفع التحريري لدى الجماهير. وتطبيقاً وتنفيذاً لهذا المبدأ على اللجنة التنفيذية أن تضع نظاماً خاصاً بتشكيلات المنظمة مراعية في ذلك ظروف الفلسطينيين في مختلف أماكن تجمعهم وتحقيق أهداف الميثاق والنظام.

مادة 4- الفلسطينيون جميعاً أعضاء طبيعيين في منظمة التحرير الفلسطينية يؤيدون واجبه في تحرير وطنهم قدر طاقاتهم وكفاءاتهم والشعب الفلسطيني هو القاعدة الكبرى لهذه المنظمة.

### الباب الثاني:

المجلس الوطني:-

مادة 5- ينتخب أعضاء المجلس الوطني عن طريق الاقتراع المباشر من قبل الشعب الفلسطيني بموجب نظام تضعه اللجنة التنفيذية لهذه العناية.

مادة 6- إذا تعذر إجراء الانتخابات الخاصة بالمجلس الوطني استمر المجلس الوطني قائماً إلى أن تنتهي ظروف الانتخابات.



مادة 7- المجلس الوطني هو السلطة العليا لمنظمة التحرير، وهو الذي يضع سياسية المنظمة ومخططاتها وبرامجها.

مادة 8- مدة المجلس الوطني ثلاث سنوات، وينعقد دورياً بدعوة من رئيسه مرة كل سنة في شهر أيار/ مايو من كل سنة، أو في دورات غير عادية بدعوة من رئيسه، بناء على طلب من اللجنة التنفيذية أو من ربع عدد أعضاء المجلس، ويكون مكان انعقاده في القدس أو غزة أو أي مكان آخر، حسب الظروف. فإذا لم يدع رئيس المجلس إلى مثل هذا الاجتماع منعقداً حكماً في المكان والزمان المحددين في طلب أعضائه أو طلب اللجنة التنفيذية.

مادة 9 - يكون للمجلس الوطني مكتب رئاسة مؤلف من الرئيس ونائبين للرئيس وأمين عام ينتخبهم المجلس الوطني في بدء انعقاده.

مادة 10- ينظر المجلس الوطني في دور انعقاده العادي في:

- أ- التقرير السنوي الذي تقدمه اللجنة التنفيذية عن إنجازات المنظمة وأجهزتها.
- ب- التقرير السنوي للصندوق القومي واعتماد الميزانية.
- ج - الاقتراحات التي تقدم إليه من لجان المنظمة،

د - أي مسائل أخرى تعرض عليه.

مادة 11- يؤلف المجلس الوطني، تيسيراً لأعماله، اللجان التي يرى ضرورة لتشكيلها. وتقدم هذه اللجان تقاريرها وتوصياتها إلى المجلس الوطني الذي يقوم بدوره بمناقشتها ويصدر قراراته بشأنها.

مادة 12- يتكون النصاب القانوني للمجلس بحضور ثلثي أعضائه، وتتخذ القرارات بأغلبية أصوات الحاضرين.

### الباب الثالث:

#### اللجنة التنفيذية:-

مادة 13- ينتخب المجلس الوطني من بين أعضائه رئيس اللجنة التنفيذية ويتولى الرئيس اختيار أعضائها

مادة 14- تؤلف اللجنة التنفيذية من خمسة عشر عضواً بما فيهم الرئيس، وينتخب هؤلاء من بينهم نائباً للرئيس.

مادة 15- اللجنة التنفيذية هي أعلى سلطة تنفيذية للمنظمة وتكون دائمة الانعقاد وأعضاؤها متفرغون للعمل، وتتولى تنفيذ السياسة والبرامج والمخططات التي يقررها المجلس الوطني وتكون مسؤولة أمامه، مسؤولية تضامنية وفردية.

مادة 16- تتولى اللجنة التنفيذية:

- أ- تمثيل الشعب الفلسطيني.
  - ب- الإشراف على تشكيلات المنظمة.
  - ج- إصدار اللوائح والتعليمات واتخاذ القرارات الخاصة أعمال المنظمة على ألا تتعارض مع الميثاق أو النظام الأساسي.
  - د- تنفيذاً السياسة المالية واعداد ميزانيتها. وعلى وجه العموم ، تباشر اللجنة التنفيذية جميع مسؤوليات منظمة التحرير وفق الخطط العامة والقرارات التي يصدرها المجلس الوطني.
- مادة 17- يكون المقر الدائم للجنة التنفيذية في مدينة القدس، ولها أن تعقد اجتماعاتها في أي مكان آخر تراه مناسباً.

مادة 18- تنشئ اللجنة التنفيذية الدوائر الآتية:

- أ- الدائرة التحريرية.
- ب- دائرة الشؤون السياسية والإعلامية.
- ج - دائرة الصندوق القومي الفلسطيني.
- د- دائرة الشؤون العامة والتوجيه القومي.
- و- أي دائرة أخرى ترى اللجنة ضرورة إنشائها.

ويكون لكل دائرة مدير عام والعدد اللازم من الموظفين. ويحدي اختصاص كل دائرة بنظام خاص تضعه اللجنة التنفيذية.

مادة 19- تقوم اللجنة التنفيذية بتوثيق العلاقات وتنسيق العمل بين المنظمة وبين جميع المنظمات والاتحادات والمؤسسات العربية والدولية التي تتفق معها في الأهداف أو تعيينها على تحقيق أغراض المنظمة

مادة 20- تستمر اللجنة التنفيذية في ممارسة صلاحياتها واختصاصاتها ما دامت متمتعة بثقة المجلس الوطني وعلى اللجنة التنفيذية أن تقدم استقالتها للمجلس الوطني الجديد في أول اجتماع يعقده، ويجوز إعادة انتخاب رئيس اللجنة المستقيل .

مادة 21- يتكون النصاب القانوني للجنة التنفيذية من ثلثي أعضائها، وتتخذ قراراتها بأغلبية أصوات الأعضاء الحاضرين.

#### الباب الرابع:

#### أحكام عامة:-

مادة 22- تشكل وحدات فلسطينية خاصة وفق الحاجات العسكرية والخطة التي تقررها القيادة العربية الموحدة بالاتفاق وبالتعاون مع الدول العربية المعنية.

مادة 23- تعمل اللجنة التنفيذية على إلحاق الفلسطينيين بالكليات والمعاهد الحربية العربية للتدريب العسكري وتعبئة جميع طاقات الفلسطينيين وأمكاناتهم، لمعركة التحرير.

مادة 24- ينشأ صندوق يعرف بالصندوق القومي الفلسطيني لتمويل أعمال المنظمة يقوم بإدارته مجلس إدارة خاص يؤلف بموجب نظام خاص بالصندوق يصدره المجلس الوطني.

مادة 25- موارد الصندوق القومي تتألف من:

- أ- ضريبة ثابتة على الفلسطينيين تفرض و تجبى بنظام خاص.
- ب- المساعدات المالية التي تقدمها الحكومات والأمم العربية.
- ج- طابع التحرير الذي تنشئه الدول العربية لاستعماله في المعاملات البريدية وغيرها.
- د- التبرعات والهبات.
- هـ- القروض والمساعدات العربية أو التي تقدمها الشعوب الصديقة.
- و- أية موارد أخرى يقرها المجلس الوطني.

مادة 26- تشكل في البلاد العربية والصديقة لجان تعرف بلجان نصرّة فلسطين لجمع التبرعات "ومساندة المنظمة في مساعيها القومية.

مادة 27- يكون تمثيل الشعب الفلسطيني في المؤسسات والمؤتمرات العربية على المستوى الذي تقررّه اللجنة التنفيذية وتسمي اللجنة التنفيذية ممثلاً لفلسطين لدى جامعة الدول العربية.

مادة 28- يحق للجنة التنفيذية أن تصدر من اللوائح ما يلزم لتنفيذ أحكام هذا النظام.

مادة 29- تعديل هذا النظام الأساسي أو الإضافة إليه من المجلس الوطني للمنظمة بأغلبية ثلثي أعضائه.

#### الباب الخامس:

##### أحكام انتقالية:-

مادة 30 - يصبح المؤتمر الوطني الأول مجلساً وطنياً انتقالياً تنتهي مدته بانتخاب أول مجلس وطني وفقاً لأحكام هذا النظام، ويمارس كافة الاختصاصات والصلاحيات المقررة للمجلس الوطني .

مادة 31- تكون مدة المجلس الوطني الحالي سنتين ابتداء من 28 / 5 / 1964.

## الملحق السادس

---

كلمة الأستاذ أحمد الشقيري في مؤتمر القمة في الخرطوم سنة 1967

يواجه مؤتمر القمة العربي بوصفه أعلى أداة للعمل العربي مشترك مرحلة خطيرة حاسمة ستقرر مستقبل العلاقات الرسمية، كما ستعكس آثارها على القضية الأساسية التي انعقد المؤتمر من أجلها ، ألا وهي إزالة العدوان الاستعماري الإسرائيلي الذي وقع على الوطن العربي.

ولقد تابعت منظمة التحرير الفلسطينية المداولات التي جرت في مؤتمر وزراء الخارجية العرب في كل من الكويت ونيويورك والخرطوم ، كما درست لأبحاث والتوصيات التي توصل إليها مؤتمر وزراء الاقتصاد والمال والنفط العربي في بغداد.

وبعيداً عن روح التشاؤم ، يبدو واضحاً لمنظمة التحرير أنه إلى هذه اللحظة ، فإن مؤتمر القمة يسير إلى نهاية غير مجدية، إذا لم يبادر الملوك والرؤساء إلى التوصل إلى قرارات إيجابية ترتفع إلى مستوى آمال الأمة العربية و مطالبها، وتخرج الوطن العربي من المحنة القاسية التي ألمت به . ومهما يكن تقييم ما تم وضعه حتى الان من توصيات ودراسات، فإنه مما لا ريب فيه أن الاتجاه الغالب يمكن تلخيصه فيما يلي:

- (1) استبعاد استئناف القتال في وقت قريب.
  - (2) عدم الموافقة على قطع العلاقات السياسية والاقتصادية مع الدول التي ساندت العدوان.
  - (3) التخلي عن وقف ضخ البترول جزئياً أو كلياً ، لزمن محدود أو غير محدود.
  - (4) عدم الموافقة على سحب الأرصدة العربية من منطقتي الإسترليني والدولار.
- وإذا كان هذا ما سينتهي إليه الأمر، فإن مؤتمر القمة يكون قد اقتصر غاية جهده السياسية المجردة من وقوة، تاركاً لمعركة الكلام وحدها في الأمم المتحدة وغيرها، أن تخرج العدو من الأراضي العربية.

ومثل هذه النتيجة التي يتوجب على مؤتمر القمة أن يتجنبها ، لا تعكس إرادة الأمة العربية، فضلاً عن أنها ستؤدي إلى بقاء العدوان، أو للإستسلام



للمعتدي، وترك الأعباء كلها على كاهل الدول المعتدى عليها، تتحملها كلن بمفردها وقدر طاقاتها ومواردها.

غير أن الحقيقة الصارخة الأكيدة أن هذا الاتجاه على الصعيد الرسمي لا يمثل إطلاقاً مشيئة الشعوب العربية ولا تصميمها على إحتمال كل تضحية تقدم عليها حكوماتها ، بالغة ما بلغت.

إن وقف ضخ البترول كلياً ولأجل غير محدود، مع سحب الأرصد، وقطع العلاقات بالدول المعادية، كل ذلك سيؤدي، حتماً إلى إزالة آثار العدوان.

على انه إذا كانت الإجراءات المقترحة حتى الآن غير مقبولة، كما يبدو الاتجاه الغالب، أصبح من الواجب أن نجيب على السؤال الكبير، إذن ما هي الخطة البديلة لإزالة آثار العدوان؟؟.

وطبيعي أن تكون هذه مترابطة في جوانبها العسكرية والاقتصادية السياسية لتؤدي إلى ازالة العدوان، وإذا لم توضع هذه الخطة المتكاملة فان النتيجة الحتمية هي استمرار العدوان قائماً على الأرض العربية وفلسطين، ويكون مؤتمر القمة قد تخلف عن تحقيق الغاية التي اجتمع من أجلها..

أما بالنسبة للقضية الفلسطينية على الصعيد العربي في الظروف الحاضرة، فان منظمة التحرير ترى من واجبها أن تلفت النظر إلى عدد من

الأمر الهامة ذات الصلة الوثيقة بمصير القضية الفلسطينية،و تتلخص هذه الأمور فيمايلي:

أولاً- إن سياسة إسرائيل ومشروعاتها التي تقوم بها في قطاع غزة والضفة الغربية تستهدف الإدماج أو الاحتلال الطويل المدى.

ثانياً- تعمل إسرائيل بمختلف وسائل العنف واللف على اظهار الشعب الفلسطيني في هاتين المنطقتين بمظهر الرضاء بالأمر الواقع، وعدم مقاومته، أو الاستسلام له.

ثالثاً- تسعى إسرائيل بكل جهدها، بديلا عن الانسحاب غيرالمشروط، الى تقديم حلول متعددة، تبدأ من إقامة حكم ذاتي في الضفة الغربية وقطاع غزة ، إلى إنشاء جمهورية فلسطينية ترتبط بحسن الجوار مع إسرائيل.

وان المنظمة الفلسطينية رغما عن إيمانها بصلاية الشعب الفلسطيني، وصموده أمام المؤامرة الاستعمارية الصهيونية في الخمسين عاما الماضية، ورغما عن أنها ترفض جميع هذه الحلول جملة وتفصيلاً، لما ستؤدي إليه من تصفية القضية الفلسطينية، فإنها تحذرمن الخطر الذي يحرق بالشعب الفلسطيني.. و قضيته في المرحلة الحاضرة.

ومما يضاعف هذا الخطر، أن الخطة الإسرائيلية لاتقابلها خطة عربية تستهدف إحباطها. إن الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة يتصدى الان بشجاعة وبطولة للخطة الإسرائيلية، وهو أعزل من أسباب المقاومة والصمود، وكل ما يلقاه على الصعيد العربي من الدعم والتأييد، هو الإذاعات العربية تنشر أخبار بطولاته وبسالاته.

وتلح منظمة التحرير الفلسطينية أن لاينتهي مؤتمر القمة دون أن يضع خطة عربية عاجلة تقسد على إسرائيل خططها وعدم المقاومة الشعبية في فلسطين المحتلة، وأن منظمة التحرير الفلسطينية مستعدة لان تقوم بدور فعال في تنفيذ الخطة العربية بما يتيسر لديها من رجال وسلاح، هذا وتؤكد المنظمة من جديد بالنسبة لجوهر القضية الفلسطينية المبادئ الآتية:

أولاً- لا صلح ولا تعايش مع إسرائيل.

ثانيا- رفض المفاوضات مع إسرائيل وعدم الاعتراف بالاحتلال السابق.

ثالثاً- عدم الموافقة على أية تسوية فيها مس بالقضية الفلسطينية ، وما يؤدي إلى تصفيتها.

رابعاً- عدم التنازل عن قطاع غزة والضفة الغربية ومنطقة الحمة مع التأكيد باهتمام خاص على عروبة القدس.

خامسا- في نطاق الاتصالات الدولية في هيئة الأمم المتحدة وخارجها  
لا تنفرد أية دولة عربية في قبول أية حلول لقضية فلسطين

سادسا- التركيز الدائم المستمر على الصعيدين العربي والدولي، على  
أن قضية فلسطين، وإن تكن عربية مصيرية، إلا أن شعب فلسطين هو صاحب  
الحق الاول في وطنه ، وهو الذي يقرر مصيره. ويبقى على منظمة التحرير  
الفلسطينية أن تنبه إلى مصير منظمة التحرير الفلسطينية.

إن منظمة التحرير هي نفسها انجاز كبير، يتجلى في قيامها كيان  
الشعب الفلسطيني وشخصيته الوطنية، وإن بقاءها واستمرارها في الاضطلاع  
بمسؤولياتها القومية، ألزم واجب في هذه المحنة القاسية من أي وقت مضى.

ولقد استطاعت منظمة التحرير، رغم المصاعب الكثيرة المتراكمة في  
طريقها أن تجمع حولها جميع فئات الشعب الفلسطيني، فأصبحت تمثله كما تمثل  
أية حكومة عربية شعبها المتجمع على ارضها، المقيم تحت سلطاتها.

وبالإضافة إلى نشاطاتها السياسية، والإعلامية.. فلقد استطاعت منظمة  
التحرير أن تبني جيش التحرير الفلسطيني بناءً نضالياً جعله يقاتل ببسالة  
وشجاعة في قطاع غزة والجبهة السورية والجبهة الأردنية.

إن منظمة التحرير الفلسطينية وجيش التحرير الفلسطيني يقفان الآن  
وجهاً لوجه أمام المصير، وإن بقاء المنظمة ضرورة قومية، فلسطينية وعربية،  
في المقام الأول.

وانها لكارثة قومية، فلسطينية وعربية، أن تُصفى المنظمة وإن يسرح  
جيش التحرير، ويأبى شعب فلسطين ومعه الأمة العربية أن تصل المنظمة  
وجيشها إلى هذا المصير، وسيظل شعب فلسطين يقطع من لحمه، ويستنزف  
من دمه ليبقي ما أمكن أن يبقى من منظمة التحرير وجيش التحرير.

ولهذا فإن منظمة التحرير الفلسطينية تقترح على مؤتمر القمة إصدار  
القرارات التالية:

- 1) الوفاء بجميع الالتزامات المالية المترتبة لمنظمة التحرير وجيش التحرير  
بموجب قرارات مؤتمرات القمة، والاستمرار في أدائها في مواعيدها المقررة.
- 2) تمكين منظمة التحرير الفلسطينية من مسؤولياتها القومية في تنظيم الشعب  
الفلسطيني، وتهيئته ليقوم بدوره الطبيعي في تحرير وطنه وتقرير مصيره.
- 3) تعزيز جيش التحرير الفلسطيني بحيث تكون للمنظمة سلطة كاملة عليه من  
حيث تشكيله وتدريبه وتسليحه وجميع شؤونه الإدارية، على أن واجبه العسكري  
يظل مرتبطاً بالخطة العربية الموحدة.

4) إنشاء معسكرات لتدريب أبناء فلسطين في الدول العربية، بالتعاون مع منظمة التحرير الفلسطينية.

5) إصدار التعليمات أو الأوامر اللازمة في الدول العربية، كل حسب نظمها الدستورية، لتمكين منظمة التحرير الفلسطينية من استيفاء ضريبة التحرير من أبناء فلسطين حيثما وجدوا.

**كلمتان..**

## في ذكرى أحمد الشقيري

---

ألقيت الكلمتان التاليتان في حفل تأبين المجاهد أحمد الشقيري الذي أقيم في مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في الكويت مساء يوم الأربعاء 1980/4/9

كلمة الأستاذ جاسم القطامي  
عضو مجلس الأمة ( الكويتي )

أيها الحفل الكريم ،

من عادة الشعوب والأمم الحية أن تكرم أبناءها البررة ورواد نضالها  
باحياء ذكراهم بعد مماتهم، ففي الذكرى شحذ للهمم وشحن لما اختزن من طاقات  
وتجديد للأمال والطموحات. وما تلك المناسبات الجلييلة إلا محطات تقف عندها  
الأمم تستعرض مراحل نضالها وما تحقق من أهدافها ومن ثم تحاسب نفسها  
وتستشرف المستقبل فتتزود بوقود يحفظ للمسيرة النضالية زخمها ويحثها الخطى  
نحو تجسيد آمال وطموحات وتطلعات المستقبل.

وما أجدنا نحن أبناء الأمة العربية، والوفاء من شيمنا الأصيلة ، أن  
نكرم اليوم رائداً أميناً من رواد أمتنا إنما نحتفل اليوم بذكرى الأربعين لوفاة فقيده

العروبة وفلسطين الأستاذ المناضل أحمد الشقيري . والشقيري ليس مجرد اسم مقترن بمرحلة بل هو من رموز الأمة العربية الأساسية في مرحلة إلتسمت بالنهوض الجماهيري والمد الثوري. لقد كان رحمه الله وطيب ثراه عروبي الانتماء وقومي الجذور بقدر ما كان فلسطيني الهوية إنساني النزعة. ولا يمكن لنا أن ننسى مواقفه العربية المخلصة وصوته العروبي المدوي في أروقة المنظمة الدولية وقاعات الجامعة العربية، فمواقفه أكثر من أن تعد أو تحصى وهو يدفع الحجة بالحجة ويقارع الخصوم منتقلا من حلبة نضال إلى أخرى دونما كلل أو وهن فاستحق بذلك لقب خطيب الأمم. كيف لا والفقيد سيد البيان وربيب الفصحى فكانت العربية طوع لسانه، وهو الأديب المتبحر والقانوني الضليع والخطيب الذي لا يشق له غبار ولا يجاريه في هذا المضمار أحد. كما لا ينبغي لنا أن ننسى أن الفقيد قد وضع النضال الفلسطيني في مساره الصحيح وبدأ رحلة التثوير والاستنهاض للإنسان الفلسطيني وأثراء هويته بالمضمون النضالي والقومي وربط القضية الفلسطينية بالقضية العربية ربطاً عضوياً ومصيرياً.

أيها الحفل الكريم،

كان فقيدنا أبو مازن زميل نضال وصديق فكر ورفيق درب جمعتنا معا مبادئ الانتماء العربي والفكر القومي فشدت أواصرنا وقرّبت أرواحنا وأتاحت لنا أن نلتقي في أكثر من منتدى وتجمع بهدف تجذير الفكر العروبي وطرح آفاق جديدة للنضال القومي. والحقيقة إن القومية في الشقيري لم تكن مجرد شعارات تطرح وجملاً جوفاء مفرغة المضامين تلقى في المناسبات بل كانت رسالة وإيماناً



وممارسة وإلهاماً، وكان يردد دوماً أن إسرائيل هي قضية قومية في المحل الأول والأخير وإذا كان الخندق الفلسطيني قد سقط فإن الخنادق العربية ينبغي لها أن تظل صامدة يقاتل من خلالها العرب كل العرب وفي طليعتهم الفلسطينيون. وكانت قناعته التي يروج لها دائماً أن إسرائيل بكل المقاييس والمعايير والتقييمات ليست إلا مرحلة عابرة لأنها قبض الريح وباطل الأباطيل، وأنها تستمد قوتها وعدوانيتها من واقع الضعف العربي، ولابد لهذا الكيان العدواني الاستعماري العنصري أن يزول عند يقظة قومية توحّد فيها الجهود وتحشد الطاقات وتعبأ الإمكانيات في معركة مصيرية مع الكيان الصهيوني الآثم، ومن هنا كان قربّه وثقته بقيادة عبد الناصر. وأذكر أن الشقيري كان يردد دائماً بعد نكسة 1967 أن عبدالناصر قد ازداد تجربة وأصبح أكثر إيماناً بقدرات جماهير الأمة العربية وقدرتها على العطاء، وأكثر إصراراً على أن يجمع الطاقات العربية والعالمية حول النضال الفلسطيني برؤيا ثورية مستنيرة.

أيها الأخوة ،

لقد كان فقيدنا أبو مازن يعيش لفلسطين وبفلسطين؛ يراها نبض العالم العربي وضميره ومن خلال الولاء لفلسطين ومبلغ الإخلاص تتحدد هويات الأنظمة ومواقف الحكومات. ولم يكن الفقيد العزيز يعرف معنى لليأس أو يترك للحقد الشخصي أو السياسي مكاناً في قلبه حتى تجاه أشد معارضيه فكراً و رأياً، وكان يؤمن بأن فلسطين للعرب ولكل أبنائها، وأن حتميات التاريخ وقدرات الأمة

العربية ستتحقق الانتصار طال الزمن أم قصر. وهناك حلم ملأ عليه حياته: فكانت الوحدة العربية بالنسبة لمناضلنا هاجسه اليومي وشغله الشاغل يرى فيها البداية والنهاية والمنطلق والملجأ والهدف والقدر، وانعكس ذلك في أدبياته المتناثرة و تصريحاته وخطبه ومؤلفاته العديدة وآخرها ( علم واحد وعشرون نجمة)، استعرض بين جنبات كتابه هذا مختلف مراحل تطور الوحدة العربية وأسباب انتكاساتها ومعوقاتها مع طرح آفاق وتوجيهات جديدة لتحقيقها. لم يضعف إيمانه بقدرات هذه الأمة العظيمة رغم النكسات والتراجعات وكان ينظر إلى الواقع الحالي على أنه سحابة صيف مظلمة سرعان ما تزول لأن عظمة الأمة العربية وطاقاتها المخزونة و ارادتها الجبارة تكمن في توجهاتها الوجدانية وطموحاتها القومية، ويقدر ما تتوحد إرادة الأمة بقدر ما تزول ملامح الضعف الحضاري وعلائم التخاذل السياسي فتنهياً لها فرص النهوض والانتفاض على الواقع المرير والتصدي لكافة الحلول الاستسلامية المطروحة والهجمات الإمبريالية الصهيونية الشرسة.

وربما كان وداع الشقيري للعالم في يوم فتحت فيه القاهرة المعزّ وعبد الناصر ذراعيها لتستقبل أول سفير صهيوني أمراً له دلالاته، فهو احتجاج، ومظاهر رفض، وموقف اختيار من قبل مناضل تعود أن يجهر بالحقائق ويتخذ المواقف حتى في لحظة وداعه للعالم.

فيا أخي أبا مازن نم قرير العين مستريح الضمير، واثق الوجدان بقدرات  
أمتك العربية وشعبك الفلسطيني الجريح، وعهدا أن نحمل الراية ونسير على درب  
الرواد من أمثالك فالرائد لا يكذب أهله.

### كلمة الأستاذ

#### خير الدين أبو الجبين

أيها السادة ، إخواني وأخواتي:

نلتقي اليوم في بيت فلسطين، في مقر منظمة التحرير بالكويت لتأبين  
أول رئيس لها، ابن فلسطين البار،المجاهد الكبير المرحوم أحمد الشقيري.

وإننا إذ نؤبن الشقيري اليوم، فإننا نكرّم نضاله الطويل، ذلك النضال  
الذي لم ينقطع إلا عند وفاته في الأردن في شباط الماضي، حيث نعاه قائدنا  
الأخ أبو عمار، وبكاه شعبنا كما يبكي أكرم الرجال.

ويحلو لنا الان وفي هذا الحفل الكريم أن نتذكر أستاذنا الكبير أبا مازن،  
ونذكر شمانله الحلوة، ونستذكر مراحل جهاده الطويل من أجل أمته العربية  
وفلسطين التي أحبها كل الحب ، ووهبها كل حياته، فظل يعمل ويكتب ويخطب  
من أجلها ... ما نسيها لحظة من لحظات عمره.

وكلماتي هذه ليست إلا دمة تقدير وانحناء إجلال واكبار لذكرى هذا الصديق والقائد الكبير.

عرفت الشقيري رحمه الله أول ما عرفت خطيباً مملوءاً بالحماسة والوطنية، يأخذ بالباب مستمعيه، يدعو الشعب إلى النضال ومقاومة الانتداب والصهيونية وكان ذلك في فجر شبابي عندما قدمته إلى جماهير شعبنا في المهرجان الوطني الكبير الذي أقامته منظمة النجادة الفلسطينية في ربيع عام 1945 في مدينة يافا عروس فلسطين. وكان الشقيري في ذلك الاحتفال الفارس المجلي.

وقد ترك خطابه وأسلوبه الآخاذ أثراً كبيراً في نفسي.

وبعد ذلك أصبحت من المعجبين بشخصيته ووطنيته ومقدرته الخطابية. وازددت إعجاباً به عندما تابعت نشاطاته في الأمم المتحدة وهو يدافع عن قضية فلسطين وقضايا استقلال المغرب وتونس والجزائر وليبيا.

وقد بدأت أعرف الشقيري عن كثب منذ آذار عام 1964 عندما حضر إلى الكويت في إحدى جولاته لإبراز الكيان الفلسطيني حيث قدمته إلى الجمهور الكبير بملعب ثانوية الشويخ فخطب وأبدع وتحدث عن الكيان الفلسطيني، وذكّر الشعب بأيامنا الزاهرة واحتفالاتنا الوطنية في فلسطين، وفي ذلك الحفل وصف أهل الكويت بأنهم الأنصار والفلسطينيين هنا بالمهاجرين، ووصف سمو أمير

الكويت الراحل المغفور له الشيخ عبد الله السالم بأمير المهاجرين والأنصار فكان موضع إعجاب وتقدير كل من سمعه.

وكانت زيارته هذه للكويت، وزيارته لمختلف الأقطار العربية آنذاك من أجل إبراز الكيان الفلسطيني الذي بذل الشقيري في سبيل إبرازه جهودا مضنية يحتاج الحديث عنها إلى صفحات وصفحات. وقد وصف الشقيري المرحلة التي سبقت إبراز الكيان الفلسطيني بقوله: "كان الهدف واضحا ومعروفا ولكن أسلوب العمل كان تأثها وسط بحور الكلمات الرنانة والألفاظ الحماسية وكانت قضية فلسطين تعلق في كل الأوقات فوق أي اعتبارات أخرى. ولكن طريق العودة لشعبها لم يكن مرسوما ولا مخططا".

وقد استطاع الشقيري أن يحوّل قرار مؤتمر القمة الأول في كانون الثاني 1964 "بتكليفه بالاتصال بالشعب الفلسطيني والدول العربية بغية وضع القواعد السليمة لإنشاء كيان فلسطيني"، حوّل هذا القرار من قرار مكتوب إلى واقع ملموس ولم ينتظر الموافقة بل أعلن قيام منظمة التحرير الفلسطينية باسم المؤتمر الفلسطيني الأول الذي انعقد بالقدس في 28 أيار 1964، وأبلغ ذلك إلى مؤتمر القمة الثاني الذي عقد في الإسكندرية في أيلول من ذلك العام.

وبعد قيام المنظمة بدأ الشقيري بإنشاء ثم تدعيم أركانها الأربعة كما كان وهي جيش التحرير والمكاتب السياسية والصندوق القومي والتنظيم الشعبي.

وقد رافقت الشقيري في هذه المرحلة في جلسات الوطني الأول والمجلسين المتعاقبين، وكذلك أثناء عملي في مكتب المنظمة في الكويت. وخلال هذه السنوات وما تلاها منذ استقالته حتى وفاته لازمت أبا مازن فعرفت فيه صدق العزيمة والإيمان المطلق بقدرات شعبنا وأمتنا العربية مع دعوته لأن يكون لقضية فلسطين بُعداً إسلامياً إلى جانب بُعدها العربي. وعرفت في الشقيري مناظلاً شريفاً حصيف الرأي مبدعاً في الخطابة والكتابة والقانون والفقه والحديث والسياسة والدبلوماسية، ذا حافظة قوية وذهن متوقد.

وكان الشقيري وفياً للمجاهدين وذكرهم يقدر لهم جهادهم حتى لو كانوا من خصومه السياسيين، وأذكر أنه عندما انتقل مفتي فلسطين وزعيمها المرحوم الحاج أمين الحسيني إلى الرفيق الأعلى كان الشقيري في مقدمة المعزين فيه رغم ما كان بينهما من خصومة. وقال لي يوماً في منزله بكيفون: "إنني أعزي في المفتي لأنه في جهاده الطويل لم يُلن ولم يهادن المستعمر بل كان يرفض الانتداب والصهيونية على الدوام".

لقد كان الشقيري معلماً لنا ولرفاقنا. علمنا الكثير من دروس الوطنية الصادقة. علمنا أن لا نهادن العدو أبداً مهما بدا أنه أقوى. علمنا لآليات الخطوم الثلاثة، وكان يقول لنا إن الوطن يحتاج إلى عمل مخلص مستمر شريف وأن يد الله دائماً مع الجماعة.

لقد تعلمنا من الشقيري الإيمان بحتمية الوحدة العربية وأن الوحدة هي العلاج الناجع والوحيد لكافة مصائبنا وآلامنا، وكان رحمه الله يقول إن الصهيونية العالمية وفي طليعتها إسرائيل قوة ديناميكية هائلة لا يمكن أن يقف أمامها إلا وحدة عربية لها جيش عربي واحد على رأسه دولة اتحادية واحدة، وبدلاً من أن نظل نردد أن شعار إسرائيل من النيل إلى الفرات علينا أن نقيم دولة الوحدة من النيل إلى الفرات.

وكان الشقيري يؤمن بضرورة الاستعداد المبكر لمجابهة العدو قبل أن يقوى ويشتد. قال لنا في إحدى زيارته لمكتب المنظمة بالكويت عام 1965 أن ثمن التحرير يتضاعف سنة بعد سنة، فإذا كان التحرير يكلف الآن بليوناً فإنه سيكلف في السنة المقبلة عشرة وفي السنة التي تليها مئة، فعلينا أن نسرع في تجميع قوانا واعداد أنفسنا لخوض معركة التحرير.

وكان رحمه الله يؤمن أيماناً راسخاً بأن طاقات الأمة العربية وإمكاناتها لو تجمعت كافية لقهر العدو والقوى التي تسانده.

وبعد أن ترك الشقيري رئاسة المنظمة عام 1968 لم يخلد إلى الراحة بل استمر في خدمة وطنه، وكان بيته في القاهرة وكيفون وتونس ملتقى لرجالات والعروبة يتدارسون فيه سبل التحرير وطريق الوحدة. وانصرف إلى الكتابة فأصدر نيقاً وعشرة كتب ضمّنها مذكراته وتجاربه وآراءه في كل ما يتعلق بالوحدة العربية وتحرير فلسطين.

وعندما بدأ السادات مسيرته الخيانية وجد الشقيري أنه لا يمكنه الاستمرار في العيش في القاهرة.

قال لي في زيارته الأخيرة للكويت في آذار من العام الماضي، وكان رحمه الله يحب كثيرا القيام بهذه الزيارات للالتقاء بإخوته ومحبيه من أجل تبصيرهم وتوعيتهم: " لقد أصبحت حياتي في القاهرة لا تطاق وأنا مراقب أينما ذهبت حتى عندما أذهب في رياضتي اليومية وتليفوني مراقب ورسائلي مراقبة. وإنني أشعر وكأن مانشيتات الصحف اليومية القاهرية ومقالاتها المضللة لشعبنا العربي في مصر رماح تغرز في صدري صبيحة كل يوم لما تحتويه من أذاليل وأكاذيب وما تدعيه من إخلاص السادات وسعيه لخير شعب فلسطين. لهذا فقد قررت مرغما أن أترك القاهرة التي أحببت ".

وفي أول رسالة بعثها لي بعد ذلك قال إنه اختار أن يقيم في تونس فشعبها طيب، وهي مقر الجامعة العربية، وبذلك يمكنه الالتقاء دوما برجالات العرب الذين يفدون للجامعة في شتى المناسبات ليحدثهم عن القضية المقدسة ويتدارس معهم سبل العمل.

ولكن المرض لم يمهل الشقيري ولم يسمح له بتحقيق أمنيته هذه، إذ أصبح من الصعب عليه بسبب مرضه أن يجتمع بزائريه الكثر، ولكنه مع ذلك لم ينقطع عن الكتابة...

وفي آخر رسالة كتبها لي من تونس يصف حالته المرضية، وأورد فقرات ضمّنها رأيه وتجربته فيما يمكن أن يسمى وصيته فقال: " ... بقي أن أرجوك



أنت وإخواننا في النضال أن تتصّبوا أنفسكم حراسا على القضية الفلسطينية وأن  
تداوموا على نصح إخواننا ألا يفرطوا بأي شبر من وطننا المقدّس ولا ذرة من  
تراب وطننا الغالي، فإن تجربة السادات الخائن قد أثبتت أن كل تفريط واستسلام  
يقابله العدو بالمزيد من الأطماع والتوسع والعدوان. وهذه هي وصيتي لشعبنا  
البطل أرجو أن تحفظها وتدوّنوها بين أوراقك، وأسأل الله لقادتنا الهدى ولشعبنا  
النصر المبين، ولا بأس أن تنشر هذه المعاني في صحفنا الوطنية في الكويت،  
إعزازا لقضيتنا المقدسة واستمساكا بوطننا الغالي".

وبعد... فيا حبيب فلسطين، يا فارسها. يا ابنها البار يا صوتها الراعد  
الجبار نم قرير العين فإن شعلة النضال باقية. إن راية الثورة... راية منظمة  
التحرير الفلسطينية ستظل تواصل مسيرتها النضالية مستلهمة روحك الغالية وروح  
أمثالك من المناضلين الكبار من أبناء شعبنا وأمتنا العربية. عهدا أبا مازن أننا  
سنحمل الراية إلى فلسطين ولن نتراجع مهما كانت التضحية.